# البركان الجارف

## لشرح المجسم ابن أبي العز التالف

جمعه وأعده

حفيد رسول الله الشيخ الدكتور عماد الدين جميل حليم الحسيني

الأشعري الشافعي الرفاعي القادري

رئيس جمعية المشايخ الصوفية

قدم له ثلة من الفقهاء والمحدثين والمفاتي

والأساتذة والمشايخ والدكاترة

من أهل العلم والمعرفة الثقات

الطبعة الأولى

١٤٣٥ هـ ـ ٢٠١٤ م

شركة دار المشاريع

بيروت ـ لبنان

العنوان: المزرعة، بربور، شارع ابن خلدون، بناية الإخلاص
تلفون وفاكس: ٣١١ ٣٠٤ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٥٢٨٣ ـ ١٤ بيروت ـ لبنان



شركة دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

# التقريظ الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله الإله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين وعلى ءاله وأصحابه مصابيح الهدى وقطر الندى وسلم تسليمًا كثيرًا أما بعد فقد أبى الله إلا أن يرفع الحق ويضع الباطل وإن ارتفع الباطل ءانًا فلا يلبث حتى تراه في مواضعه الطبيعية في المهاوي السحيقة ألا وإن العقيدة الأشعرية هي عقيدة أهل السنة والجماعة ومن أكثر من عشر قرون من الزمن رضي من رضي وأبى من أبى وعندما نقول الأشعرية فالماتريدية هي محسوبة ضمنًا لأنهما لا يفترقان في الحق على العموم فهما كالظهر للبطن. وفي اصطلاح أهل الاعتقاد إذا قلت أهل السنة فإنه يقابلهم أهل الأهواء وهم كثر كالمجسمة والحشوية والجهوية والمعتزلة وغيرهم. وإن من رؤوس هؤلاء المجسمة ابن أبي العز الموسوم بالحنفي زورًا وبهتانًا ولو كان حنفيًا حقًا لما غيّر وبدل وزور عقيدة أبي حنيفة وصاحبيه والطحاوي رحمهم الله جميعًا. وبارك الله بالشيخ الحسيني صاحب البركان الجارف الذي جرف خزيهم وزيف عقائدهم الفاسدة وبضاعتهم الكاسدة فجزاه الله عن أمة سيدنا محمد خير الجزاء وصلى الله على سيدنا محمد في الأولين والآخرين.

**فضيلة الشيخ العلامة الأستاذ النحوي الفهامة المسند القائم بنصرة الحق وأهله الفقيه الشافعي الأشعري الماتريدي محمد نجل مفتي الحبشة المحدث العالم العلامَة الأستاذ الكبير والعالم الشهير محمد سراج ابن الشيخ محمد سعيد الأني الجبرتي حفظه الله ونفع به وأجرى الخير على يديه**

# التقريظ الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أحمد الله الذي لا إلـٰه إلا هو وأشكره على جليل ءالائه وعظيم نعمائه وأتم الصلاة وأكمل التسليم على الرسول قائد الغر المحجلين وعلى ءاله وأصحابه الميامين وبعد.

ليس كل من كتب بالحق كتب بل كثير ممن كتب كذب واستطال بالكذب على الله ورسوله ومن أبرز هؤلاء اتباع ابن تيمية الحراني حيث تعلموا الكذب على الله ورسوله منه فلطالما يقولون كلامًا ينسبه مرة لأكابر السلف أو للمحدثين وما هو إلا محض الباطل فمن هؤلاء الأصاغر ابن أبي العز الذي ادعى زورًا وبهتانًا أنه شرح العقيدة الطحاوية بل شرح أوهامًا بدعية في رأسه فكان في طليعة المبتدعين والمفترين على دين الله تعالى فعقيدة الإمام السلفي (حقيقة) الطحاوي قائمة على تنزيه الله عن الجهة والمكان وعن كل ما لا يليق به وكذلك تنزيه الصفات كما تنزيه الذات فالذي وجدنا في هذا الشرح المزعوم والكتاب المأزوم طامات وطامات من الرزايا والخزايا لا تمت بصلة إلى هذا المتن الطاهر من كل رجس ونجس وعلى ما قال وإليه مال ابن أبي العز وإني لأكبر همة هذا المصنف صاحب البركان الجارف الذي وقف على كل هذه الأباطيل فسحقها ومحقها أيما سحق ومحق اعزازًا لدين الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فبارك الله بالحسيني الشريف على ما قدم لنفسه عند الله والحمد لله وصلى الله على رسول الله.

**فضيلة الأستاذ الشيخ الفقيه الجليل النبيل الزاهد المتواضع الجبل القوَّال بالحقّ الصادق الأمين الذي لا يخشى في الله لومة لائم الداعي إلى الله عبد العزيز ابن الشيخ ابراهيم بلال الحبشي الأشعري الشافعي نصره الله**

# التقريظ الثالث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية الظاهر فليس فوقه شيء والباطن فليس دونه شيء من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. وأصلي وأسلم على من رفع لواء التوحيد بالقول السديد والفعل الرشيد وعلى ءاله الشرفا وصحبه أولي الوفا وعلى من لآثارهم اقتفى وللبدعة السيئة جفا وبأدلة الحق احتفى وبها اكتفى وبعد:

يقول الله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [سورة البقرة].

في هذه الآية بيان واضح على ما ءال إليه أمر الوهابية والمجسمة القدماء، الذين ضلوا وزلوا بسبب سوء فهمهم لكتاب الله العظيم فتركوا الآيات المتشابهة على ظواهرها ومنعوا التأويل فيها إلا في مواضع تتفق ومعتقداتهم على زعمهم فوقعوا في ظاهرة التحكم فلقد منعوا التأويل عن الآيات التي ظواهرها تدل على أن الله يسكن السماء ويقعد على العرش ويتحيز في جهة العلو مع العلم أن الله أثبت لنفسه صفة العلو وليس جهة العلو وأوجبوا تأويل سائر الآيات التي لا تدل على أهوائهم وأوهامهم فمن ذلك: أثبتوا لله الجسم والمكان والحركة والسكون وكلامًا ذا لغة وصوت ونزول ومجيء واستواء على وجه يماثل المخلوقات فضلوا وأضلوا فالخلف توسعوا في التأويل لرد كيدهم وكذلك السلف أولوا وإن أقلوا لعدم الاحتياج لذلك في عصرهم لأن فتنة زنادقة المجسمة لم تكن قد ذرت بقرونها ومع ذلك فقد اولوا والرسول ﷺ قال في حديث سبعة يظلهم الله في ظله وفي حديث

ءاخر قال في ظل عرشه وهذا تأويل صريح لذاك.

حتى إن الله تعالى قال كلامًا وأوله حيث روى البخاري في حديث قدسي أن الله تعالى قال: «**عبدي مرضت ولم تعدني فقال كيف أعودك وأنت رب العالمين فقال مرض عبدي فلان ولو عدته لوجدتني عنده**» الحديث.

فالوهابية والمجسمة سفهوا أقوال الخلف وتأويلاتهم واتهموهم بالزندقة والمزدكة بسبب ذلك.

فهل يفعلون ذلك مع السلف وماذا يفعلون مع الله ورسوله فهل يردون على الله ورسوله أم ماذا؟...

فيا أيها الرجل الهمام يا أيها الجميل الشريف الحسيني أيدك الله بنصرك ونصرك بتأييده جعلك الله للحق نصيرًا وللدين ظهيرًا وألهب الله بركاتك على الفاجرين وانعش الله أنسامك على المؤمنين والحمد لله أولا وءاخرًا.

**الشيخ المسند الداعية القائم على خدمة الدعوة**

**والدين محمد صالح ابن الشيخ سعيد الهرري.**

# التقريظ الرابع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي لا إلـٰه سواه وليس له أنظار ولا أشباه لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان لا يفنى ولا يبيد ولا يكون إلا ما يريد وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى ءاله وأصحابه الطيبين الطاهرين أما بعد:

لقد فاجأني في هذا الكتاب (البركان الجارف) لمزاعم وأباطيل المجسمة ولا سيما في هذا العصر حيث إن الهمة لمناهضتهم قد ضعفت حتى كادت أن تتلاشى أمام أموالهم وأعلامهم الفاجر وتزويرهم للحقائق ولا شك أن هذا الكتاب سيعمل بإذن الله تعالى على استنهاض الهمم للتصدي لويلات المجسمة وبلاياهم التي عمت في كل عصر ومصر. وسلوانا بأن النصر مع الصبر وإن مع العسر يسرا وإن أشد مراحل الظلام تلك التي قبيل الفجر وأننا لن ننغر بناعق أو ناهق يريد أن يهتك ستر الشريعة ويدمر حصونها العالية يكسر راياتها الغالية. فيا أيها الكاتب لقد كتبت فأجزلت وأحكمت فأحسنت ودمت وأمثالك لدين الله أعوانًا وأنصارًا وءاسادًا وأنسارًا همة غالبة وحجة بالغة فاثبتوا فأنتم على ثغر من ثغور الجهاد على معلم من معالم السداد.

فاثبتوا ثبتكم الله والله الموفق.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

**فضيلة الشيخ الأستاذ الفقيه النحوي المفسر الأصولي المعمَّر**

**المشارك في أنواع العلوم الشيخ عبد الصمد سادو**

# التقريظ الخامس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وبه نستعين ولا عدوان إلا على الظالمين وأصلي وأسلم على سيدنا محمد طه الأمين وعلى إخوانه النبيين والمرسلين وعلى ءاله الطيبين وأصحابه الطاهرين وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين وعلى من سار على هداهم إلى يوم الدين أما بعد.

فيقول الله تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [سورة الإسراء].

ألا فليعلم إن الباطل وإن كان له صولات وجولات فما هي إلا سراب ليس بعد شراب وإن قام بعض السحرة ببعض الألاعيب فليس معنى ذلك أنها معجزات أو كرامات بل هي أراجيف وتراهات تلك التي جاء بها المجسمة وأشباههم ليدمروا صروح أهل السنة والجماعة لكن الله متم نوره ولو كره الكافرون فقد انبرز لهم رجال أبطال زيفوا ءاراءهم فحصحص الحق وانبلج الفجر وهكذا كان مع الشيخ الشريف الدكتور جميل حليم الحسيني الذي دمر ببركانه الجارف كل ما قدموه من زخارف لكن حيلهم لم ولن تنطلي على ذي قلب وبصيرة فأتى بنيانهم من الأساس وبكل عزم شديد المراس. لقد كانت عبارات الطحاوي محكمة وحكيمة ورغم ذلك أرادوا أن يموهوا على الناس ليخرجوا الناس من دين الله أفواجًا ولكن هيهات هيهات... والحمد لله أولا وءاخرا.

**فضيلة الشيخ الأستاذ العالم الفقيه الحنفي الماتريدي الفاضل صاحب الأيادي البيضاء في خدمة الدعوة خالد خوجا ساوملي التركي الإسطنبولي**

# التقريظ السادس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الحنان المنان الموجود أزلاً وأبدًا بلا جهة ولا مكان من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وأصلي وأسلم على النبي المصطفى والرسول المجتبى وعلى ءاله وأصحابه أولي الطهر والوفا وبعد...

فإن الله تعالى قيّض لهذا الدين رجالاً اعلامًا يحفظونه من الغالين وكيد الكافرين ويزودون عن حياضه بما أوتوا من قوة ولو دفعوا أرواحهم الغالية فداء لعقيدتهم الغالية ومنهم مصنف هذا الكتاب الشيخ جميل الحسيني الذي رد على أحد دجاجلة المجسمة الذي ينسب نفسه إلى المذهب الحنفي ولو كان حنفيًا حقًا لسار على ءاثار أبي حنيفة النعمان ولما حرف معاني عقيدة أبي حنيفة المتمثلة بالعقيدة الطحاوية الحنفية وبالتالي تمثل عقيدة أهل السنة والجماعة قاطبة فلما عجزت المجسمة أن تعزو أضاليلها لإمام معتبر عمدوا إلى الطحاوية وحرفوا معانيها وزعموا أن الأشعري والجويني وغيرهما تراجعوا عن مذهب الحق إلى مذهب التجسيم فالويل لهم من الوبال والخبال يوم تبيض وجوه وتسود وجوه.

هذا، وإني لأرجو لهذا المصنف البار بأمته أن يكون وجهه من الذين تبيض وجوههم يوم الفزع الأكبر فجزاه الله كل خير والسلام عليكم.

**الشيخ الأستاذ الدكتور سليم بن محمود علوان الحسيني الحسيب النسيب السيد**

**الشريف ماجد الأشعري الشافعي الرفاعي القادري المكاشفي**

**الأمين العام لدار الفتوى - سيدني استراليا**

# التقريظ السابع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمد الشَّاكرين والصَّلاة والسَّلام على أشرف المرسلين محمد النبيّ السَّيد الهمام وإمام كلّ إمام وعلى آله الأخيار وصحبه الأطهار ما توالى الليل والنهار أما بعد:

فقد ظهرت جماعة مبتدعة أوغلوا في البدعة أيما إيغال فابتدعوا في الأصول والفروع والعقائد والأحكام فضلوا وأضلوا وزاد على ذلك بأن تسموا بالسلفية والسلفية منهم براء وكثير من العامة يسمونه كذلك لأنهم ربما يهرفون بما لا يعرفون ولو عرفوا لما سموهم بهذا الاسم بل حرام على من عرف حالهم وعرف معنى السلفية أن يسميهم بهذا الاسم بل ضل ضلالا بعيدًا وهذا كأنه يقول: السلف الصالح يعتقدون أن الله جسم وأنه يقعد على العرش وأنه يتكلم ككلامنا بالحرف والصوت واللغة وأنه ينزل بذاته ويطلع وأنه يسكن السماء وأن السلف الصالح يكفرون من سواهم من المسلمين مع العلم أن السلف هم الصحابة والتابعون وتابعو التابعين أي القرون الثلاثة الأولى كما جاء في الصحيح.

هذا وإن من أعظم المبتدعين الغالين الذين ابتدعوا في الاعتقاد ابن أبي العز الذي تأثر بفكر ابن تيمية الحراني فأعظم الافتراء على السلف وسفّه الخلف ثم إني رأيت هذا الكتاب البركان الجارف الموسوم بالخير والموسوم بالعدل والإحسان لما فيه من الدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة المتمثلة بفكر الطائفتين الطاهرتين الماتريدية والأشاعرة. من هنا فإنني أدعو لهذا المؤلف بحق رسول الله وبحق كل عظيم أن يحشره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحُسن أولئك رفيقًا.

**فضيلة الشيخ الدكتور الأستاذ طارق بن محمد نجيب اللحام البيروتي الأشعري الشافعي القادري الخطيب المحاضر**

**١- دكتوراه في الفقه المقارن. ٢- دكتوراه في علوم القرآن. ٣- دكتوراه في الفقه العام.**

# التقريظ الثامن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العليم العلام، والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام كل إمام وعلى ءاله وأصحابه الميامين الاعلام وبعد

فقد روى مسلم في مقدمة صحيحه عن محمد بن سيرين أنه قال: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم.

فليعلم أنه ظهرت في حين وآن طائفة تعمل على تحريف هذا الدين بالأباطيل والأراجيف ومنهم المجسمة ولا سيما شخص يسمى ابن أبي العز الدمشقي ظهر في القرن الثامن بعد هلاك رأس المجسمة ابن تيمية الحراني وقد عمل بزعمه شرحًا للعقيدة الطحاوية فدس السم في الدسم وحرف الكلم عن مواضعه فالواجب الحذر كل الحذر من هؤلاء الغالين وجزى الله الشيخ جميل الحسيني خيرًا حيث تصدى له ولأمثاله بالحجة الساطعة والبراهين البارعة فجزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء.

**فضيلة الشيخ الأستاذ الشاعر الأديب الخطيب**

**الداعية إلى الله أبو أحمد أسامة بن محمد**

**السيد الأشعري الشافعي القادري**

# التقريظ التاسع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المصطفى الأمين وعلى ءاله الطيبين وأصحابه الطاهرين وعلى من اقتفى ءاثارهم إلى يوم الدين أما بعد:

فقد نظرت في كتاب في الرد على المجسم بن أبي الغر الدمشقي الذي عمل إفساد معاني عقيدة أهل السنة والجماعة من خلال شرح للعقيدة الطحاوية فقد صرح بعقيدة التجسيم والجهة لله تعالى وخاض في مسائل الذات والصفات على منهج ابن تيمية وأمثاله ومنه ومن أمثاله أخذت الوهابية دينها والعياذ بالله تعالى فالجهاد في منافعة ومكافحة أفكارهم واجبة ألا وبارك الله بالأستاذ الدكتور جميل حليم الشريف الحسيني بهذا التصنيف المبارك في الذود والدفاع عن دين جده محمد بن عبد الله الهاشمي ﷺ وبارك الله به وأجزل له العطاء يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

والحمد لله أولاً وءاخرًا

**فضيلة الشيخ خضر محمد أبان الجِمّي الأورومي الحبشي**

# التقريظ العاشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المصطفى الأمين وعلى آله الطيبين وأصحابه الطاهرين وعلى من اقتفى آثارهم إلى يوم الدين أما بعد:

فقد نظرت في كتاب في الرد على المجسم بن ابي العز الدمشقي الذي عمل على إفساد معاني عقيدة أهل السنة والجماعة من خلال شرحه للعقيدة الطحاوية فقد صرح بعقيد التجسيم والجهة لله تعالى وخاض في مسائل الذات والصفات على منهج ابن تيمية وأمثاله ومنه ومن أمثاله أخذت الوهابية دينها والعياذ بالله تعالى فالجهاد في منافحة ومكافحة أفكارهم واجبة ألا وبارك الله بالأستاذ الشيخ جميل حليم الشريف الحسيني بهذا التصنيف المبارك في الزود والدفاع عن دين جده محمد بن عبد الله الهاشمي ﷺ فبارك الله به وأجزل له العطاء يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم والحمد لله أولًا وءاخرا .

**فضيلة الشيخ الداعية الأستاذ**

**محمد حسن الأثيوبي**

## التقريظ الحادي عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم لك الحمد حمدًا يوفي نعمك ويكافئ مزيدك ويدفع عنا نقمك وأصلي وأسلم على سيدنا نور الهدى النبي المجتبى وعلى الصحب والآل وبعد

إن مجسمة العصر الوهابية يحرصون حرصًا شديدًا على الاستشهاد والاستدلال بابن أبي العز الحنفي ويشددون على كلمة «الحنفي» على اعتبار أن الطحاوي حنفي وهو حنفي ليخرجوا بانطباع لدى الناس بأن ما قرره ابن أبي العز الجهوي المجسم هو عين مذهب أبي حنيفة النعمان ولكن شتان بين مشرّق ومغرّب وهذا دأبهم في التدليس والكذب على دين الله تعالى ومن تتبع متن الطحاوية وقارنها بالشرح المزعوم وجد بونًا شاسعًا وفرقًا واسعًا. ولذي يتأمل بدقة يرى أن الشارح يرد على صاحب المتن كالذي يقول أعلم إن اللبن شديد البياض الشرح والمعنى أن اللبن شديد السواد. وهكذا وذلك في مواضع كثيرة أو بالغالب نرى أن الشروح تتعاضد مع المتون ولا تتناقض إلا في كتاب هذا الحنفي المزعوم وهذا من جملة فضائحهم وفدائحهم الكثيرة والمثيرة في كل زمان ومكان. فجزى الله صاحب البركان الجارف خير الجزاء لما قدم لأمتنا الغالية اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه والحمد لله رب العالمين.

**الداعية فضيلة الشيخ الأستاذ الأشعري**

**صالح بن عيسى الحبشي الشافعي**

# المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، هو الأول بلا بداية، والآخر بلا نهاية، خلق الخلق وأحصاهم عددًا، تكفل بأرزاقهم وعلم أقوالهم وأعمالهم، وحدد لهم آجالهم، شرع لهم دين الإسلام منهجًا ارتضاه لهم ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[1]، وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وقائدنا وقرة أعيننا، وبهجة نفوسنا وأرواحنا، محمدًا عبده ورسوله وصفيُّه وحبيبه وخليله العالي القدر العظيم الجاه، الحبيب المحبوب، بلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، وترك أمته على المحجّة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، وعليكم بالجماعة ومن شذ شذ في النار.

قال[2] الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[3] وقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[4] دين

---

(١) سورة آل عمران/ الآية:٨٥.

(٢) قال أبو حيان في تفسيره ظاهره النهي عن أن يموتوا إلآ وهم متلبسون بالإسلام والمعنى دوموا على الإسلام حتى يوافيكم الموت وأنتم عليه (٣/ ٢٨٥).

(٣) سورة آل عمران/ الآية:١٠٢.

(٤) سورة الأحزاب/ الآية:٧٠ ـ ٧١.

الله تعالى واحد، وهو الحقُّ والنور والهدى، والصراط المستقيم الذي يوصِل إلى رضوانه والجنة، فقد أرسل الله تعالى الأنبياء والمرسلين مبشرين ومنذرين، وأوحى إليهم الدين الحق دين الإسلام، والعقيدة الصحيحة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾[1][2].

وقد بيّن الله تعالى طريقة الأنبياء التي كانوا يدعون بها أُمَمَهم، كما أخبرنا الله عنهم في القرءان الكريم، فقد دعوا إلى توحيد الله تعالى وعبادته وحده، أوَّلهم ءادم وخاتمهم محمد عليهم الصلاة والسلام، فنبينا محمد ﷺ جاء داعيًا للإيمان، مُحذِّرًا من طريق الزيغ والضلال.

وأديان الشياطين كثيرة من ملاحدة وقدرية ومرجئة ومشبهة ومجسمة نفاة التوسل والتبرك والتأويل وغيرهم كالحلولية من أهل البدع الاعتقادية والأهواء، قال الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾[3]، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: خطَّ رسول الله ﷺ خطًّا بيده ثم قال: «**هذا سبيل الله مستقيما**»، قال: ثم خط خطوطًا عن يمينه وشماله، ثم قال: «**هذه السبل، ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه**»، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ[4] فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[5] رواه النسائي وأحمد وصححه الحاكم.

---

(١) سورة الشورى/ الآية: ١٣.

(٢) قال القرطبي (١٦/ ١١) في تفسيره أي جعلوه قائماً يريد دائماً مستمرًا محفوظًا مستقرًا من غير خلافٍ فيه ولا اضطراب، فمن الخلق من وفى بذلك ومنهم من نكث. ومن نكث فإنما ينكث على نفسه.

(٣) سورة الأنعام/ الآية: ١.

(٤) قال القرطبي في تفسيره (٧/ ١٣٨) وهذه السبل تعُمُّ اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر أهل الملل وأهل البدع والضلالات من أهل الأهواء والشذوذ في الفروع وغير ذلك من أهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام وهذه كلها عرضة للزلل وهذا ذمٌّ صريحٌ للمشبهة المجسمة ولكل أهلِ الأهواءِ.

(٥) سورة الأنعام/ الآية: ١٥٣.

فمن أراد النجاة والسعادة الأبدية فليثبت على عقيدة الإسلام عقيدة كل الأنبياء عقيدة أهل السنة والجماعة، السواد الأعظم الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «**فمن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة**»[(١)][(٢)]، أي جمهور الأمة المحمدية، والذين كانوا يُسَمَّونَ في أول الأمر «الجماعة» و«أهل السنة والجماعة» و«السواد الأعظم»، ثم تجدد لهم اسم ءاخر في القرن الرابع الهجري وهو «الأشاعرة والماتريدية»، وكما قال الحافظ الزبيدي: «وحيث أُطلِقَ (أهلُ السنة) فالمراد بهم الأشاعرة والماتريدية».

وكل العقائد والفرق والجماعات المخالفة للسواد الأعظم فهي على باطل وخسران وهلاك.

---

(١) قال المناوي: فإنَّ من شذَّ انفرد بمذهبه عن مذاهب الأمة فقد خرج عن الحق لأن الحق لا يخرج عن جماعتها فيض القدير (٣/ ١٠٢).

(٢) أخرجه الشافعي (١/ ٢٤٤)، والطيالسي (ص/ ٧، رقم ٣١)، والحميدي (١/ ١٩، رقم ٣٢)، وأحمد (١/ ١٨، رقم ١١٤)، والحارث كما بغية الباحث (٢/ ٦٣٥، رقم ٦٠٧)، وعبد بن حميد (ص/ ٣٧، رقم ٢٣)، والترمذي (٤/ ٤٦٥، رقم ٢١٦٥) وقال: حسن صحيح غريب. وأبو يعلى (١/ ١٣١، رقم ١٤١)، وابن حبان (١٦/ ٢٣٩، رقم ٧٢٥٤)، والدارقطني في العلل (٢/ ٦٥، رقم ١١١)، والحاكم (١/ ١٩٧، رقم ٣٨٧) وقال: صحيح على شرط الشيخين. والبيهقي (٧/ ٩١، رقم ١٣٢٩٩). وأخرجه أيضًا: النسائي في الكبرى (٥/ ٣٨٨، رقم ٩٢٢٥).

# سبب التأليف

## بسم الله الرحمـٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن اتبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين وبعد:

قال رسول الله ﷺ: **«خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى يَشْهَدَ الرَّجُلُ وَلاَ يُسْتَشْهَدُ وَيَحْلِفُ الرَّجُلُ وَلاَ يُسْتَحْلَفُ»** رواه الترمذي[1]، وقال ﷺ: **«فتنٌ كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا يبيع دِينَه بعرضٍ من الدنيا»**[2].

ففي الحديث الأول بين لنا رسول الله ﷺ أن خير الناس من حيث الغالب والإجمال من كانوا في القرون الثلاثة الأولى وأنّ أمته ﷺ لا تجمع على ضلالة وأن من زاغ وشذّ عنهم فهو إلى النار كما في حديث مسلم: **«من شذّ شذّ إلى النار»**[3]، فمن أراد السلامة في دينه ودنياه فعليه بالثبات على عقيدة رسول الله ﷺ وصحابته الكرام وإجماع أمته فإنهم على الحق المبين وهل بعد الإجماع إلا الضلال فمن انقلب إلى عقيدة المشبهة والمجسمة فإنه من الهالكين، وقد قال رسول الله ﷺ: **«أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته»**[4]، أبى الله أي لا يقبل الله، والبدعة هنا بدعة أهل الأهواء أي العقائد المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة ومنهم المشبهة والمجسمة، ومن أشهرهم ابن أبي العز الحنفي المجسم وأشياعه.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الشهادات: باب منه.

(٢) رواه مسلم وأحمد والترمذي.

(٣) رواه مسلم.

(٤) الترمذي وابن ماجه والسيوطي. وابن أبي عاصم في السنة قال السندي في شرح ابن ماجه المراد بالبدعة الاعتقاد الفاسد دون العمل الفاسد كما عليه الاصطلاح اليوم فإن صاحب الاعتقاد الفاسد يقال له مبتدع وصاحب العمل الفاسد يقال له فاسق اصطلاحًا (١/ ٤٢).

وفي الحديث الثاني يبين لنا رسول الله ﷺ أن من الناس من يخرج من الإسلام وينقلب على عقبيه بين المساء والصباح ومن أمثلة ذلك من نظر في كتاب من كتب المجسمة المشبهة التي تكذب القرءان والحديث والإجماع وتشبه الله بخلقه وتصفه بالجلوس والقعود وتجعل كلامه حرفًا وصوتًا ولغةً فاعتقدها صحيحة أو صدَّقَها أو استحسنها فقد خرج من دائرة الإسلام وخلع رَبْقَةَ الإسلام من عنقه ككتاب (شرح ابن أبي العز على الطحاوية) والذي ملأه بالتجسيم والتشبيه وتبع فيه إمامه ابن تيمية خطوة خطوة وراج بين الناس وانتشر بين طلبة العلم حتى اعتمد وقُرر تدريسه في كثير من المعاهد التي تسمى إسلامية والعياذ بالله تعالى من هذا السم الزعاف، فلذلك وجب علينا التحذير من هذا الشرح الذي أشاع المجسمة المشبهة بأن مؤلفه حنفي فقط ليروج على ضعفاء العقول الذين لا يميزون بين الحق والباطل، والمجسمة أسلاف ابن أبي العز ومن جاء بعده لا يرون اعتبارًا لأبي حنيفة رضي الله عنه ولا لأهل مذهبه بل يكفرونهم ويستبيحون دماءهم وأموالهم كما سترى ذلك في هذا الكتاب من نصوص عباراتهم ومؤلفاتهم حيث لم ينج منهم ولا من تكفيرهم أبو حنيفة ولا الطحاوي ولا أي حنفي، في فصل أفردناه لبيان هذا الأمر.

والواجب على كل مستطيع تحذير الناس من هذا الكتاب ومن أمثاله كما يجب على كل قيّم أو مدير أو ناظر أو مدرس أو أستاذ أو شيخ في المعاهد والمساجد والمدارس والجامعات والثانويات والكليات أن يوقفوا تدريس هذا الكتاب وأن يحذروا منه تحذيرًا بليغًا فإنه على خلاف عقيدة أهل السنة والجماعة الخلف والسلف الأشاعرة والماتريدية وقد روى القشيري في رسالته عن العالم الولي الصالح أبي علي الدقاق رضي الله عنه أنه قال: «الساكت عن الحق شيطان أخرس»، وقال رسول الله ﷺ: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ أَيْ فُلَانُ مَا شَأْنُكَ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ قَالَ كُنْتُ آمُرُكُمْ

بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ». رواه البخاري ومسلم[1].

---

(١) صحيح البخاري كتاب بدء الخلق «باب صفة النار وأنها مخلوقة» (٣٢٦٧) صحيح مسلم كتاب الزهد والرقائق» باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله (٢٩٨٩).

# نسب المؤلّف إلى رسول الله ﷺ

هو السيّد الشّريف عماد الدّين أبو محمّد جميل[1] بن محمّد الأشعريّ الشّافعيّ الحسينيّ الرفاعيّ القادريّ، رئيس جمعية المشايخ الصوفيّة، وهو ابن السيّد محمّد ابن السيّد عبد الحليم ابن السيّد قاسم ابن السيّد أحمد ابن السيّد قاسم ابن السيّد عبد الكريم ابن السيّد عبد القادر ابن السيّد عليّ ابن السيّد محمّد ابن السيّد ياسين ابن السيّد إسماعيل ابن السيّد حسين ابن السيّد محمّد ابن السيّد إبراهيم ابن السيّد عمر ابن السيّد حسن ابن السيّد حسين ابن السيّد بلال ابن السيّد هارون ابن السيّد عليّ ابن السيّد عليّ أبي شجاع ابن السيّد عيسى ابن السيّد محمّد بن أبي طالب ابن السيّد محمّد ابن السيّد جعفر ابن السيّد الحسن أبي محمّد ابن السيّد عيسى الرومي ابن السيّد محمّد الأزرق ابن السيّد أبي الحسن الأكبر عيسى النّقيب ابن السيّد محمّد ابن السيّد عليّ العُرَيْضي ابن الإمام جعفر الصّادق ابن الإمام محمّد الباقر ابن الإمام السجّاد عليّ زين العابدين ابن الإمام السّبط السّعيد الشهيد الحسين ابن السيّدة الجليلة الزكيّة الطّاهرة فاطمة البتول زوجة أمير المؤمنين أسد الله الغالب عليّ بن أبي طالب عليه السلام وابنة رسول ربّ العالمين خاتم النّبيين والمرسلين محمّد صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدّين[2].

---

(١) أولاده السيد محمد والسيد عبد الرحمن والسيد زكريا والسيد يوسف والسيدة نور الهدى والسيدة هاجر.

(٢) وهذا نسبٌ شريفٌ صحيحٌ بلا مِرْيَةٍ مضبوط في كتاب جامع الدّرر البهيّة بأنساب القرشيّين في البلاد الشّاميّة، جمع الدكتور الشّريف كمال الحوت الحسيني، شركة دار المشاريع الطبعة الثانية ص٣٣٢-٣٣٣ تاريخ ٢٠٠٦ر - ١٤٢٧هـ وفي كتاب غاية الاختصار في أنساب السادة الأطهار، ويليه المستدرك الطبعة الثالثة (ص١) تاريخ ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، وفي كتاب الحقائق الجليّة في نسب السّادة العريضية ص٤٣٣-٤٣٤ كلاهما للدكتور الوليد العريضي الحسيني البغدادي.

# التوطئة

## الميزان في بيان عقيدة أهل الإيمان

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلّى الله وسلَّم وشرَّف وكرَّم على سيِّدنا محمَّد، الحبيبِ المحبوبِ، العظيمِ الجاهِ، العالي القدرِ طه الأمين، وإمامِ المرسلينَ وقائدِ الغرِّ المحجَّلينَ، وعلى ذُرِّيته وأهلِ بيته الميامين المكرّمين، وعلى زوجاته أمَّهات المؤمنين البارّات التقيَّات النقيَّات الطاهرات الصفيَّات، وصحابته الطيِّبين الطاَّهرين، ومن تَبِعهم بإحسان إلى يوم الدّين. أما بعد، فهذه عقيدة كل الأمّة الإسلامية سلفًا وخلفًا، وهي المرجع الذي تعرض عليه عقائد الناس، فمن خالفها أو كذبها فلا يكون من المسلمين، وهي ميزان الحقّ الذي يكشف زيف الباطل وزيغه، فكان لا بُدَّ من هذا البيان المهم لخصوص الغرض وعموم النّفع؛ وعليه:

اعلم أرشدَنا اللهُ وإياكَ أنّهُ يجبُ على كلِّ مكلفٍ أن يعلمَ أنّ اللهَ عزَّ وجلَّ واحدٌ في ملكِهِ، خلقَ العالمَ بأسرِهِ العُلويَّ والسفليَّ والعرشَ والكرسيَّ، والسمواتِ والأرضَ وما فيهمَا وما بينهُمَا. جميعُ الخلائِقِ مقهورونَ بقدرتِهِ، لا تتحرَكُ ذرةٌ إلا بإذنِهِ، ليس معهُ مُدَبّرٌ في الخلقِ ولا شريكٌ في الملكِ، حيّ قيّومٌ لا تأخذُهُ سنَةٌ ولا نومٌ، عالمُ الغيبِ والشهادةِ لا يخفى عليه شيء في الأرضِ ولا في السماءِ، يعلمُ ما في البرّ، والبحرِ وما تسقطُ من ورقةٍ إلا يعلمُهَا، ولا حبّةٍ في ظلماتِ الأرضِ ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا في كتابٍ مبينٍ. أحاطَ بكلِ شيء علمًا وأحصَى كلّ شيء عددًا، فعالٌ لما يريد، قادرٌ على ما يشاء، له الملكُ وله الغنى، وله العزُّ والبقاءُ، وله الحكمُ والقضاءُ، وله الأسماءُ الحسنى، لا دافعَ لما قضَى، ولا مانعَ لما أعطَى، يفعلُ في ملكِهِ ما يريدُ، ويحكمُ في خلقِهِ بما يشاءُ، لا يرجو ثوابًا ولا يخافُ عقابًا، ليس عليه حقٌّ [يلزمه] ولا عليه حكمٌ، وكلّ نعمةٍ منْهُ فضلٌ وكل نِقمةٍ منه عدلٌ، لا

يسألُ عمّا يفعَلُ وهم يسألونَ. موجودٌ قبلَ الخلقِ، ليسَ لهُ قبلٌ ولا بعدٌ، ولا فوقٌ ولا تحتٌ، ولا يمينٌ ولا شمالٌ، ولا أمامٌ ولا خلفٌ، ولا كلٌّ، ولا بعضٌ، ولا يقالُ متى كانَ ولا أينَ كانَ ولا كيفَ، كانَ ولا مكانَ، كوَّنَ الأكوانَ، ودبَّرَ الزمانَ، لا يتقيَّدُ بالزمانِ، ولا يتخصَصُ بالمكانِ، ولا يشغَلُهُ شأنٌ عن شأنٍ، ولا يلحقُهُ وهمٌ ولا يكتنِفُهُ عقلٌ، ولا يتخصَصُ بالذّهنِ، ولا يتمثَّلُ في النّفسِ، ولا يُتَصَورُ في الوهمِ، ولا يتكيفُ في العقلِ، لا تلحقُهُ الأوهامُ والأفكارُ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

نقول جازمين معتقدين صادقين مخلصين، بأنّا نشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، الواحد الأحد، الفرد الصّمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، الذي لم يتخذ صاحبة وليس له والدٌ ولا والدةٌ، الأول القديم الذي لا يُشبِه مخلوقَاته بوجه من الوجوه، لا شبيه ولا نظير له، ولا وزير ولا مُشير له، ولا مُعين ولا ءامِرَ له، ولا ضِدَّ ولا مُغالِبَ ولا مُكْرِهَ له، ولا نِدَّ ولا مِثلَ له، ولا صورةَ ولا أعضاءَ ولا جوارحَ ولا أدواتَ ولا أركانَ له، ولا كيفيةَ ولا كميةَ صغيرةً ولا كبيرةً له فلا حجمَ له، ولا مِقدارَ ولا مِقياسَ ولا مِساحةَ ولا مَسافةَ له، ولا امتدادَ ولا اتِّساعَ له، ولا جهةَ ولا حيِّزَ له، ولا أينَ ولا مكانَ له، كان الله ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان بلا مكان.

تنزَّه ربّي عن الجلوس والقعود والاستقرار والمحاذاة، الرّحمـٰن على العرش استوى استواءً منزهًا عن المماسة والاعوجاج، خلق العرشَ إظهارًا لقدرته ولم يتَّخِذه مكانًا لذاته، ومن اعتقد أنّ الله جالسٌ على العرش فهو كافر، الرّحمـٰن على العرش استوى كما أخبر لا كما يخطر للبشر، فهو قاهرٌ للعرش مُتَصرِّفٌ فيه كيف يشاء، تنزَّه وتقدَّسَ ربّي عن الحركة والسكون، وعن الاتصالِ والانفصالِ والقُربِ والبُعدِ بالحِسِّ والمسافة، وعن التَّحوُّل والزّوال والانتقال، جلَّ ربّي لا تُحيط به الأوهامُ ولا الظُّنونُ ولا الأفهامُ، لا فِكرةَ في الرَّبِّ، لا إلـٰه إلا هو، تقدَّسَ عن كلِّ صفاتِ المخلوقينَ وسِماتِ المحدَثينَ، لا يَمَسُّ ولا يُمَسُّ ولا يُحَسُّ

ولا يُحَسُّ، لا يُعرَفُ بالحواسِّ ولا يُقاسُ بالناس، نُوَحِّدُه ولا نُبَعِّضُه، ليس جسمًا ولا يتَّصِفُ بصفاتِ الأجسام، فالمجسّم كافر وإن صام وصلّى صورةً، فالله ليس شبحًا وليس شخصًا، وليس جوهرًا وليس عَرَضًا، لا تَحُلُّ فيه الأعراضُ، ليس مؤلَّفًا ولا مُرَكَّبًا، ليس بذي أبعاضٍ ولا أجزاءٍ، ليس ضوءًا وليس ظلامًا، ليس ماءً وليس غيمًا وليس هواءً وليس نارًا، وليس روحًا ولا له روحٌ، لا اجتماعَ له ولا افتراقَ، لا تجري عليه الآفاتُ ولا تأخذُه السِّناتُ، منزّهٌ عن الطُّولِ والعَرْضِ والعُمْقِ والسَّمْكِ والتركيبِ والتأليفِ والألوانِ، لا يَحُلُّ فيه شيء، ولا يَنْحَلُّ منه شيء، ولا يَحُلُّ هو في شيء، لأنه ليس كمثله شيء، فمن زعم أنَّ الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك، إذ لو كان في شيء لكان محصورًا، ولو كان من شيء لكان مُحْدَثًا أي مخلوقًا، ولو كان على شيء لكان محمولًا، وهو معكم بعلمه أينما كنتم لا تخفى عليه خافية، وهو أعلم بكم منكم، وليس كالهواء مخالطًا لكم.

وكلَّم الله موسى تكليمًا، وكلامُه كلامٌ واحدٌ لا يتبعّض ولا يتعدّد ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً، ليس مُبتدأً ولا مُختتَمًا، ولا يتخلله انقطاع، أزليٌّ أبديٌّ ليس ككلام المخلوقين، فهو ليس بفم ولا لسان ولا شفاه ولا مخارج حروف ولا انسلال هواء ولا اصطكاك أجرام، هو صفةٌ من صفاتِه، وصفاتُه أزليةٌ أبديةٌ كذاتِه، وصفاته لا تتغيَّر لأنَّ التغيُّرَ أكبرُ علاماتِ الحدوثِ، وحدوثُ الصِّفةِ يستلزمُ حدوثَ الذّاتِ، والله منزَّهٌ عن كل ذلك، مهما تصورت ببالك فالله لا يشبه ذلك، فصونوا عقائدَكم من التَّمَسُّكِ بظاهِرِ ما تشابه من الكتابِ والسنَّةِ فإنَّ ذلك من أصولِ الكفر، ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ﴾، ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾، ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾، ﴿ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴾، ومن زعم أنَّ إلـٰهنا محدودٌ فقد جَهِلَ الخالقَ المعبودَ، فالله تعالى ليس بقدر العرش ولا أوسع منه ولا أصغر، ولا تصِحُّ العبادة إلا بعد معرفة المعبود، وتعالى ربّنا عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، ولا تحويه الجهات السّت كسائر المبتدعات، ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد خرج من الإسلام وكفر.

﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾، ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾، ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾، ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وكل ما دخل في الوجود من الأجسام والأجرام والأعمال والحركات والسّكنات والنّوايا والخواطر وحياة وموت وصحّة ومرض ولذّة وألم وفرح وحزن وانزعاج وانبساط وحرارة وبرودة وليونة وخشونة وحلاوة ومرارة وإيمانٍ وكفر وطاعة ومعصية وفوز وخسران وتوفيق وخذلان وتحركات وسكنات الإنس والجنّ والملائكة والبهائم وقطرات المياه والبحار والأنهار والآبار وأوراق الشجر وحبّات الرّمال والحصى في السّهول والجبال والقفار فهو بخلق الله بتقديره وعلمه الأزلي وأنّ الإنس والجنّ والملائكة والبهائم لا يخلقون شيئًا من أعمالهم وهم وأعمالهم خلق لله، ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾، ومن كذّبَ بالقدر فقد كفر.

ونشهد أنّ سَيِّدَنا ونبيَّنا وعظيمنا وقائدَنا وقُرَّة أعينِنا وغوثنا ووسيلتنا ومعلمنا وهادينا ومرشدنا وشفيعنا محمَّدًا، عبدُه ورسولُه، وصفيُّه وحبيبُه وخليلُه، مَن أرسَلَه اللهُ رحمةً للعالمين، جاءنا بدين الإسلام ككُلِّ الأنبياء والمرسلين، هاديًا ومُبَشِّرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه قمرًا وهَّاجًا وسِراجًا مُنيرًا، فبلَّغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمّة وجاهد في الله حقّ جهاده حتى أتاه اليقين، فعَلَّمَ وأرشدَ ونصحَ وهدى إلى طريق الحقِّ والجنَّة، صلّى الله عليه وعلى كلِّ رسولٍ أرسَلَه، ورضي الله عن ساداتنا وأئمتنا وقدوتنا وملاذنا أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وسائر العشرة المبشّرين بالجنّة الأتقياء البررة وعن أمّهات المؤمنين زوجات النّبي الطاهرات النّقيات المبرّءات، وعن أهل البيت الأصفياء الأجلاء وعن سائر الأولياء وعباد الله الصالحين.

ولله الفضل والمِنَّة أن هدانا لهذا الحقّ الذي عليه الأشاعرة والماتريدية وكل الأمّة الإسلامية، والحمد لله ربّ العالمين.

# نبذة مختصرة عن حياة المؤلف
# بقلم الناشر

هو السيد الشريف الشيخ الدكتور عماد الدين جميل حليم، الحسيني نسبًا، الأشعري عقيدة، الشافعي مذهبًا، الرفاعي القادري طريقة، خادم الآثار النبوية الشريفة. وله مئات الإجازات من مشايخ وعلماء ومحدّثين في بلاد عربية وإسلامية عديدة ومنها: هرر ولبنان والأردن ومكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والإحساء ورابغ والإمارات (من مشايخ أشاعرة وماتريدية) وسوريا والعراق وأثيوبيا واليمن والمغرب ومصر والسودان والجزائر وتونس والهند وباكستان وبنغلادش وتركيا وأندونيسيا وماليزيا بمختلف الفنون والعلوم الإسلامية ومنها القرءان وعلومه وتفسيره والحديث النبوي الشريف وعلومه وشروحه والعقيدة الإسلامية وفقه المذاهب الإسلامية المعتبرة والسيرة النبوية واللغة العربية وعلومها. مجاز بالطرق الصوفية الصحيحة كلها إجازة عامة مطلقة والمشابكة التي أخذها الإمام الروّاس من الخضر عليه السلام. حائز على دكتوراه في أصول العقيدة الإسلامية.

وهو رئيس جمعية المشايخ الصوفية في لبنان. مارس الخطابة في عدد من المساجد لمدة تفوق ربع قرن وما زال إلى الآن، وهو يشغل مناصب مختلفة في عدد من الجمعيات في دول عدة ومنها:

- جمعية السادة الأشراف في لبنان.
- جمعية مشيخة الصوفية في مصر.
- نقابة السادة الأشراف في العراق.
- نقابة الأشراف في بيت المقدس.
- الأمانة العامة لأنساب السادة الهاشميين.

• الأمانة العامة لاتحاد المؤرّخين العرب.

كما وأنه دعي وجال وتنقل في كثيرٍ من البلاد العربية والإسلامية والأوروبية كالحجاز وسوريا والأردن والعراق ومصر واليمن والمغرب والإمارات العربية وأندونوسيا وماليزيا وأستراليا والهند وباكستان وبنغلادش وجزر الموريس وألمانيا وفرنسا وهولندا وفنلندا والسويد والدانمارك وهرر وبلاد أثيوبيا وتركيا للتدريس والخطابة والتوجيه والمشاركة في المهرجانات وتفقد أحوال المسلمين والدعوة الإسلامية وشارك وحاضر في عدد كبير من المؤتمرات في مختلف بقاع الأرض وله مقالات ومقابلات نُشرت في صحف ومجلات عربية كما وله العديد من المؤلفات[1].

(١) انظر مؤلفات الشيخ الدكتور جميل حليم آخر الكتاب (من أثار المؤلف).

# مدح الأشاعرة والماتريدية
# في الكتاب والسنة النبوية

قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

فإنه قد جاء في تفسير القرطبي «الجامع لأحكام القرءان»[2] ما نصه: «رَوَى الْحَاكِم أَبو عَبْد الله فِي «الْمُسْتَدْرَك» بِإِسْنَادِهِ: أَنَّ النَّبِيّ ﷺ أَشَارَ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيّ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَة فَقَالَ: «هُمْ قَوْم هَذَا»، قَالَ الْقُشَيْرِيّ: فَأَتْبَاع أَبِي الْحَسَن مِنْ قَوْمه، لِأَنَّ كُلّ مَوْضِع أُضِيفَ فِيهِ قَوْمٌ إِلَى نَبِيّ أُرِيدَ بِهِ الْأَتْبَاع» اهـ.

وجاء في تفسير الطبري «جامع البيان في تفسير القرءان»[3]: «حَدَّثَنَا مُحَمَّد ابْن الْمُثَنَّى قَالَ: ثنا مُحَمَّد بْن جَعْفَر، قَالَ: ثنا شُعْبَة عَنْ سِمَاك بْن حَرْب عَنْ عِيَاض الْأَشْعَرِيّ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَة: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ قَالَ: أَوْمَأَ رَسُول الله ﷺ إِلَى أَبِي مُوسَى بِشَيْءٍ كَانَ مَعَهُ فَقَالَ: «هُمْ قَوْم هَذَا» اهـ.

حتى في تفسير ابن كثير[4] تلميذ ابن تيمية جاء فيه: «وَقَالَ اِبْن أَبِي حَاتِم حَدَّثَنَا عُمَر بْن شَبَّة حَدَّثَنَا عَبْد الصَّمَد يَعْنِي اِبْن عَبْد الْوَارِث حَدَّثَنَا شُعْبَة عَنْ سِمَاك سَمِعْت عِيَاضًا يُحَدِّث عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيّ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ قَالَ رَسُول الله ﷺ: «هُمْ قَوْم هَذَا» وَرَوَاهُ اِبْن جَرِير مِنْ حَدِيث شُعْبَة بِنَحْوِهِ.

---

(١) سورة المائدة/ الآية: ٥٤.

(٢) الجامع لأحكام القرءان (ص/ ٢٢٠)، مطبعة دار الكتب، الطبعة الأولى المجلد السادس.

(٣) جامع البيان في تفسير القرءان (٦/ ١٨٣)، دار الجيل، المجلد الرابع.

(٤) تفسير ابن كثير، الطبعة الأولى ١٩٨٦م من طبعة دار ومكتبة الهلال (٢/ ٣٢٠).

وأخرج الحافظ ابن عساكر في «تبيين كذب المفتري» والحاكم في المستدرك أنه لما نزلت هذه الآية أشار النبي ﷺ إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه فقال: «هم قوم هذا».

وقال الحافظ البيهقي: «وذلك لما وُجد فيه من الفضيلة الجليلة والمرتبة الشريفة للإمام أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه فهو من قوم أبي موسى وأولاده الذين أوتوا العلم ورُزِقوا الفهم مخصوصًا من بينهم بتقوية السنة وقمع البدعة بإظهار الحجة ورد الشبهة»[1] اهـ.

وذكر الإمام البخاري في صحيحه في باب «قدوم الأشعريين وأهل اليمن» وقال أبو موسى عن النبي ﷺ: «هم مني وأنا منهم[2]» اهـ أي محبَّتي لهم كاملة، ومحبَّتُهم لي كاملة.

هذا مدح الأشاعرة في الكتاب والسنة المطهَّرة، فالإمام أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه هو من أحفاد الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وأرضاه، والسلطان صلاح الدين الأيوبي رضي الله عنه هو أشعري المعتقد كما سنبيِّن.

أما مدح الماتريدية، فقد روى الإمام أحمد في مسنده والحاكم وصححه ووافقه على تصحيحه الذهبي، أن رسول الله ﷺ قال: «لتفتحنَّ القسطنطينية فلنِعم الأميرُ أميرها ولنعم الجيشُ ذلكَ الجيش»[3]. ولقد فُتِحت القسطنطينية بعد ثمانمائة عام فتحها السلطان محمد الفاتح الماتريدي رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا به، وكان سنيًّا

---

(١) ذكره ابن عساكر في تبيين كذب المفتري (ص/ ٥٠).

(٢) قال الحافظ ابن حجر المراد بقوله هم مني المبالغة في اتصال طريقهما واتفاقهما على الطاعة فتح الباري (٨/ ٩٧) وقال بدر الدين العيني: «هم» أي الأشعريون مني وأراد المبالغة في اتصالهم في الطريق واتفاقهم على الطاعة وكلمة «من» هنا تسمى بمن الاتصالية أي هم متصلون بي (٢٦/ ٢٨٠) عمدة القاري.

(٣) ذكره في الفردوس بمأثور الخطاب (٥/ ٤٨١) ومعجم الصحابة لعبد الباقي بن قانع (١/ ٨١) ورواه الإمام أحمد والحاكم.

يعتقد أن الله موجود بلا مكان، ويحب الصوفية الصادقين ويتوسل بالنبي ﷺ.

والأشاعرة والماتريدية فرقة واحدة في العقيدة ولذلك صح لنا أن نقول: الأشعري ماتريدي، والماتريدي أشعري.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[١].

قال القشيري: فأتباع أبي الحسن الأشعري من قومه لأن كل موضع أضيف فيه قوم إلى نبي أريد به الأتباع، قاله القرطبي في تفسيره[٢].

ونحن نحمد الله تعالى على هذه العقيدة السنية التي نحن عليها والتي كان عليها رسول الله ﷺ وأصحابه ومن تبعهم بإحسان، والتي مدح الرسول ﷺ معتنقها، فقال فيما رواه الإمام أحمد والحاكم بسند صحيح: «**لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش**»، ولقد فتحت القسطنطينية بعد ثمانمائة عام فتحها السلطان محمد الفاتح رحمه الله» وكان سنيا ماتريديا والماتريدي أشعري بالمعنى يعتقد أن الله موجود بلا مكان ويحب الصوفية الصادقين ويتوسل بالنبي ﷺ.

وعلى هذا الاعتقاد مئات الملايين من المسلمين في الشرق والغرب تدريسًا وتعليمًا ويشهد بذلك الواقع المشاهد، ويكفي لبيان حقّية هذا كون الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان على هذه العقيدة، فممن تبعهم بإحسان هؤلاء الحفاظ الذين هم رءوس أهل الحديث الحافظ أبو بكر الإسماعيلي صاحب المستخرج على البخاري ثم الحافظ العالم المشهور أبو بكر البيهقي ثم الحافظ الذي وصف بأنه أفضل المحدثين بالشام في زمانه ابن عساكر، كان كل واحد من هؤلاء علمًا في الحديث في زمانه، ثم جاء من هو على هذا المنوال الحافظ الموصوف بأنه

---

(١) سورة المائدة/ الآية: ٥٤.

(٢) (ج٦/ ٢٢٠).

أمير المؤمنين في الحديث أحمد بن حجر العسقلاني، فمن حقّق عرف أن الأشاعرة والماتريدية فرسان ميادين العلم والحديث وفرسان ميادين الجهاد والسنان.

يكفي أن منهم مجدّد القرن الرابع الهجري الإمام أبو الطيب سهل بن محمد الصُّعلوكي وأبو الحسن الباهلي وأبو بكر بن فورك وأبو بكر الباقلاني وأبو اسحق الإسفراييني والحافظ أبو نعيم الأصبهاني والقاضي عبد الوهاب المالكي والشيخ أبو محمد الجويني وابنه إمام الحرمين والحافظ الدارقطني والحافظ الخطيب البغدادي والأستاذ أبو القاسم القشيري وابنه أبو نصر والشيخ أبو اسحق الشيرازي ونصر المقدسي والغزالي والفراوي وأبو الوفاء ابن عقيل الحنبلي وقاضي القضاة الدامغاني الحنفي وأبو الوليد الباجي المالكي والإمام السيد أحمد الرفاعي الكبير وابن السمعاني والقاضي عياض المالكي والحافظ السلفي والنووي وفخر الدين الرازي والعز بن عبد السلام وأبو عمرو بن الحاجب المالكي والحافظ ابن دقيق العيد وعلاء الدين الباجي وقاضي القضاة تقي الدين السبكي والحافظ العلائي والحافظ زين الدين العراقي وابنه الحافظ ولي الدين والحافظ مرتضى الزبيدي الحنفي والشيخ زكريا الأنصاري والشيخ بهاء الدين الرواس الصوفي ومفتي مكة أحمد زيني دحلان ومُسنِد الهند ولي الله الدهلوي ومفتي مصر الشيخ محمد علّيش المالكي المشهور وشيخ الجامع الأزهر عبد الله الشرقاوي.

ومن علماء طرابلس الشيخ المشهور أبو المحاسن القاوُقجي نُقطة البيكار في أسانيد المتأخرين والشيخ الصالح حسين الجسر والشيخ عبد القادر الأدهمي والشيخ محمد رشدي الميقاتي والشيخ عبد المجيد المغربي والشيخ عبد القادر الزعبي والشيخ عبد الفتاح الزعبي والشيخ إبراهيم الحسيني والشيخ عبد القادر الشلبي والشيخ مصطفى وهيب البارودي والشيخ عبد الكريم عويضة والشيخ محمد كامل البابا الشيخ رامز بن محمود الملك.

ومن مشايخ بيروت الشيخ عبد اللطيف فتح الله مفتي بيروت والشيخ عبد الباسط الفاخوري مفتي بيروت والشيخ المحدث محمد بن درويش الحوت

وابنه عبد الرحمن نقيب أشراف بيروت والشيخ مصطفى نجا مفتي بيروت والشيخ رجب محمد جمال الدين الشافعي والشيخ عمر محمد الأنسي.

ومن مشايخ الحجاز الشيخ السيد إسحاق بن عقيل عزوز الحسيني والمحدث الشيخ محمد ياسين الفاداني والسيد محمد أمين كتبي والشيخ محمد طاهر الكردي المكي والشيخ محمد المشاط المالكي المكي والسيد علوي بن عباس المالكي الحسني والشيخ محمد العربي التباني.

ومن مشاهير مشايخ الشام والعراق ومصر المحدث الكبير الشيخ بدر الدين الحسني والشيخ علي الدقر الدمشقي والولي الكبير أحمد الحارون والقطب الفقيه الشيخ رسلان الدمشقي والقطب الغوث السيد عبد القادر الجيلاني الحسني وأبو مدين الغوث وعبد السلام بن مشيش وعبد السلام الأسمر وأبو الحسن الشاذلي والقطب الغوث السيد أحمد البدوي ومفتي سوريا أبو اليسر عابدين والقاضي الجليل ابن فرحون المالكي.

ومن مشاهير علماء ومشايخ بلاد العجم واليمن أبو الفتح الشهرستاني، والإمام أبو بكر الشاشي القفال وأبو علي الدقاق النيسابوري والشيخ عبد القادر الرافعي والحاكم النيسابوري صاحب المستدرك والشيخ محمد بن منصور الهدهدي والشيخ أبو عبد الله محمد السنوسي والشيخ محمد بن علان الصديقي الشافعي والعلامة علوي بن طاهر الحضرمي الحداد والعلامة المحقق الحبيب بن حسين بن عبد الله بلفقيه وجميع السادة الحضارمة من ءال علوي والسقاف والجنيد البغدادي والعيدروس، وشافعي العصر رفاعي الأوان الشيخ الفقيه المحدث عبد الله الهرري المعروف بالحبشي، وغيرهم من أئمة الدين كثيرٌ لا يُحصيهم إلا الله.

ومنهم الوزير المشهور نظام الملك والسلطان العادل العالم المجاهد صلاح الدين الأيوبي طاردُ الصليبيين من القدس رحمه الله فإنه أمر أن تذاع أصول العقيدة على حسب عبارات الأشعري على المنائر قبل أذان الفجر، وأن تُعلم المنظومة التي

ألفها له ابن هبة الله المكي للأطفال في الكتاتيب، ومنهم الملك الكامل الأيوبي هازم الصليبيين في دمياط والسلطان الأشرف خليل بن منصور سيف الدين قلاوون طارد الصليبيين من بلاد الشام، بل وكل سلاطين المماليك وكذا سائر السلاطين العثمانيين الذين ذبّوا عن المسلمين وحموا حمى الملّة قرونًا متتالية.

وليس مرادُنا بما ذكرنا إحصاء الأشاعرة فمن يحصي نجوم السماء أو يحيط علمًا بعدد رمال الصحراء؟

ومثلهم في العقيدة الحقة الماتريدية أتباع إمام أهل السنة أبي منصور الماتريدي رضي الله عنه.

**فالأشعرية والماتريدية هم أهل السنة والجماعة الفرقة الناجية.**

# ترجمة الإمام أبي حنيفة

هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت، قال ابن خلكان: أبو حنيفة النعمان بن ثابت ابن زُوطى بن ماه الفقيه الكوفي، مولى تيم الله ابن ثعلبة. وقيل في نسبه أيضًا أنه النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزُبان. ولد سنة ثمانين للهجرة وكان خزَّازًا يبيع الخز وهو نوع من النسيج، طلب العلم في صباه ثم اشتغل بالتدريس والإفتاء، وأدرك ستة من الصحابة وروى عنهم وهم: أنس بن مالك وعبد الله بن أنس، وواثلة بن الأسقع، وعبد الله بن أبي أوفى، وعبد الله بن جزء الزبيدي، ومعقل ابن يسار.

أخذ الفقه عن حماد بن أبي سليمان وسمع من عطاء بن أبي رباح وأبي إسحٰق السّبيعي ومحارب بن دثار والهيثم بن حبيب الصوّاف ومحمد بن المنكدر ونافع، وروى عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وأبي الحسن زيد بن الحسين رضي الله عنهم، وأبي بكر الزهري.

ويبلغ عدد مشايخه من التابعين الذين روى عنهم نحو المائتين.

ومن تلامذته عُبيد الله بن المبارك ووكيع، وأشهرهم أبو يوسف القاضي ومحمد بن الحسن الشيباني، وغيرهم كثير.

## مناقبه:

لم يبلغ الإمام المجتهد أبو حنيفة رضي الله عنه من العلم والمرتبة وقوة الحجة ما بلغ لو لم يكن قوي القريحة متفتح الذهن قوي الحافظة؛ إذ روي عنه من العجائب في القضاء والفقه ما يشهد بتفوقه وذكائه، من ذلك أن رجلًا أتاه وقال له: يا إمام، دفنتُ مالًا مدة طويلة ونسيت الموضع الذي دفنتُهُ فيه، فقال الإمام: اذهب فصَلِّ الليلة إلى الغداة فإنك ستذكره إن شاء الله، ففعل الرجل فلم يمضِ إلا أقل من ربع الليل حتى ذكر الموضع الذي دفن فيه المال، فجاء إلى أبي حنيفة رضي الله عنه

وأخبره بذلك فقال: لقد علمتُ أن الشيطان لا يدعُك تصلي الليل كله، فهلا أتممتَ ليلتك كلها شكرًا لله.

ويروي أصحاب التواريخ والسير والتراجم القصص الكثيرة عن ذكائه وفطنته وقوة قريحته.

لقد كان الإمام رضي الله عنه رجلًا زاهدًا ورعًا تقيًا كثير الخشوع دائم التضرع إلى الله تعالى، فقد روى ابن خلكان في «وفيات الأعيان» عن أسد بن عمرو أنه قال: صلى أبو حنيفة فيما حُفظ عليه صلاة الفجر بوضوء صلاة العشاء أربعين سنة، وكان عامة ليله يقرأ جميع القرءان في ركعة واحدة، وكان يُسمع بكاؤه في الليل حتى يشفق عليه جيرانه، وحفظ عليه أنه ختم القرءان في الموضع الذي توفي فيه سبعة ءالاف مرة. وقال يزيد بن الكُميت: كان أبو حنيفة شديد الخوف من الله، فقرأ بنا علي بن الحسين المؤذن ليلة في العشاء سورة «إِذَا زُلْزِلَتِ» وأبو حنيفة خلفه، فلما قضى الصلاة وخرج الناس نظرت إلى أبي حنيفة وهو جالس يتفكر ويتنفس، فلما خرجت تركت القنديل فيه زيت قليل يكاد ينطفئ، فجئت وقد طلع الفجر وهو قائم وقد أخذ بلحيته وهو يقول: يا من يجزي بمثقال ذرة خير خيرًا، ويا من يجزي بمثقال ذرة شر شرًا، أجِر النعمانَ عبدك من النار ومما يقرب منها من السوء، وأدخله في سعة رحمتك، قال: فأذَّنْتُ والقنديل يُزْهر، فلما دخلتُ قال لي: اكتم عليَّ ما رأيت، وركع ركعتين وجلس حتى أقمتُ الصلاة وصلى معنا الغداة على وضوء أول الليل.

وقد أراد الخليفة المنصور أن يوليه القضاء فأبى، فحلف المنصور ليفعلَنَّ، فحلف الإمام ألا يفعل، فقال الربيع بن يونس الحاجب: ألا ترى أمير المؤمنين يحلف فقال: أمير المؤمنين على كفارة أيمانه أقدر مني على كفارة أيماني، وأبى أن يلي.

وروي عن الربيع أنه قال: رأيت المنصور ينازل أبا حنيفة في أمر القضاء فقال أبو حنيفة: اتَّقِ الله ولا تُرعي أمانتك إلا من يخاف الله، والله ما أنا مأمون الرضا فكيف أكون مأمون الغضب ولا أصلح لذلك، فقال له المنصور: كذبت، أنت تصلح،

فقال له: قد حكمت لي على نفسي، كيف تولي قاضيًا على أمانتك وهو كذّاب.

وكان يزيد بن عمر بن هُبيرة الفزاري الأمير أراده أن يلي القضاء بالكوفة أيام مروان بن الحكم فأبى عليه فضربه مائة وعشرة أسواط في كل يوم عشرة، فلما رأى امتناعه عن القضاء خلَّى سبيله.

## علمه وقوة حجته:

لقد كان الإمام رضي الله عنه مجتهدًا مطلقًا قوي الحجة. وقد كان في وقته سيف السنة المسلط على رقاب المعتزلة، فقد تتبع مجالسهم في البلاد وناظرهم وأقام عليهم الحجة، وبلغ في علم الكلام (وهو علم التوحيد) أنه كان المشار إليه بين الأنام، وكان معتمد أهل السنة وأشهرهم في الرد على أهل الأهواء ولا سيما المعتزلة.

وقد نقل صاحب كتاب «التبصرة البغدادية» عن الإمام أبي عبد الله الصيمري أن الإمام كان متكلم هذه الأمة في زمانه وفقيههم في الحلال والحرام.

ونقل الخطيب في تاريخه[1] عن حرملة بن يحيى عن الشافعي أنه قال: من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة.

وروى كذلك الشافعي[2] أنه قيل لمالك رضي الله عنه: هل رأيت أبا حنيفة فقال: نعم، رأيت رجلًا لو كلّمك في هذه السارية أن يجعلها ذهبًا لقام بحجته.

وذكر الخطيب[3] في «تاريخ بغداد» أيضًا أن أبا حنيفة رأى في المنام كأنه ينبش قبر رسول الله ﷺ، فبعث من سأل ابن سيرين فقال: صاحب هذه الرؤيا يثور علمًا لم يسبقه إليه أحد قبله.

---

(١) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٤٦).
(٢) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٣٨).
(٣) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٣٤).

## ثناء العلماء عليه:

قال عنه إمام الجرح والتعديل يحيى بن معين: كان أبو حنيفة ثقة في الحديث، وكان من أهل الصدق ولم يتهم بالكذب[1]، ولا يحدِّث بالحديث إلا بما يحفظه ولا يحدِّث بما لا يحفظ[2]، وقال أيضًا: كان ثقة صدوقًا في الفقه والحديث مأمونًا على دين الله ما سمعت أحدًا ضعَّفه[3].

وقال عنه سفيان الثوري: إن الذي يخالف أبا حنيفة يحتاج أن يكون أعلى منه قدرًا وأوفر علمًا، وبعيد ما يوجد ذلك[4].

وقال عبد الله بن المبارك: ليس أحد أحق أن يُقتدى به من أبي حنيفة؛ لأنه كان إمامًا تقيًّا ورعًا عالما فقيهًا كشف العلم كشفًا لم يكشفه أحد ببصر وفهم وفطنة وتقى ما رأيت أورع منه وقال علي بن المديني: ثقة لا بأس[5] به.

وقال الخريبي: ما يقع في أبي حنيفة إلا حاسد أو جاهل[6].

وقال أبو يوسف القاضي: كان والله شديد الأخذ للعلم ذابًّا عن المحارم لا يستحل أن يأخذ إلا ما صح عن رسول الله ﷺ، شديد المعرفة بناسخ الحديث ومنسوخه، وكان يطلب أحاديث الثقات والأخذ من فعل رسول الله ﷺ[7].

وها هو شعبة بن الحجاج المشهود له بقوة الحفظ والإمامة والتدقيق والتشديد

---

(١) البداية والنهاية (١٠/ ١٢٤)، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجي (ص/ ٣٤٥) ط أولى المطبعة الخيرية ١٣٣٣هـ.

(٢) سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٩٥)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٤٤٩) ومقدمة فتح الملهم بشرح صحيح مسلم لبشير أحمد العثماني (ص/ ١٦٧) ط ناظم آباد كراتشي باكستان.

(٣) الخيرات الحسان في مناقب الإمام الأعظم (ص/ ٣١-٣٢) لابن حجر الهيثمي، ط دار الكتب العربية الكبرى سنة ١٣٢٦هـ.

(٤) الخيرات الحسان (ص/ ٢٩).

(٥) مقدمة فتح الملهم (ص/ ١٦٧).

(٦) سير أعلام النبلاء (٦/ ٤٠٢).

(٧) الخيرات الحسان لابن حجر الهيثمي (ص/ ٣٠).

في نقد الرجال، يقول: كان والله حسن الفهم جيد الحفظ حتى شنَّعوا عليه بما هو أعلم به منهم[1].

وبهذا القول الرشيد يسقط كل ما ادعاه المتعصبون والحاقدون ولا عبرة بما يقوله متقدم أو متأخر من ذم هذا الإمام العظيم فهو فقيه ثقة، وقد ختم الحافظ ابن حجر ترجمته بقوله: ومناقب الإمام أبي حنيفة كثيرة جدا فرضي الله عنه وأسكنه الجنة آمين[2].

## عقيدته:

كان الإمام رضي الله عنه على عقيدة النبي ﷺ وصحابته الكرام رضوان الله عليهم إذ التقى ببعضهم وأخذ عنهم، وشأنه شأن غيره من أئمة السلف الذين هم على عقيدة التوحيد وتنزيه الله تعالى عن الشبيه والجسمية والمكان، ويدل على ذلك ما جاء في كتابه «الفقه الأبسط» وهو قوله: «كان الله ولا مكان، كان قبل أن يخلق الخَلْق، كان ولم يكن أينٌ ولا خَلْق ولا شيء وهو خالق كل شيء».

ومن نفيس كلامه في تنزيه الله تعالى عن كل ما هو من صفات الأجسام قوله في الفقه الأكبر: «يده صفته بلا كيف» أي أن اليد صفة له من غير أن تكون جارحة» وقال أيضًا: «والله واحد لا من طريق العدد ولكن من طريق أنه لا شريك له، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، لا جسم ولا عَرَض ولا حَدَّ له ولا ضد ولا ند ولا مثل، لا يشبه شيئًا من خلقه، ولا يشبهه شيء من خلقه، وهو شيء لا كالأشياء.

كما كان أيضًا من المنزهين لله تعالى عن الصوت والحروف واللغة، إذ بَيَّن أن كلام الله تعالى الذاتي الأزلي الأبدي ليس بحرف ولا صوت فقال في «الفقه الأبسط» ما نصه: «ويتكلم لا ككلامنا، نحن نتكلم بالآلات من المخارج

---

(١) المصدر السابق (ص/ ٣٢).

(٢) تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٥٢).

والحروف والله متكلم بلا ءالة ولا حرف، فصفاته غير مخلوقة ولا مُحْدثة، والتغير والاختلاف في الأحوال يحدث في المخلوقين، ومن قال إنها مُحدثة أو مخلوقة أو توقف أو شك فهو كافر. وفي كل هذا بيان ودليل ساطع على أن علم الكلام الذي هو علم التوحيد المتعلق بمعرفة ما يجب لله من الصفات وما يستحيل عليه من الصفات، هو علم ممدوح بدليل أن الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه كان من أكثر الناس اشتغالًا به في وقته، وكان تبحره في هذا العلم هو سلاحه المشهور على أهل الأهواء والضلال ولا سيما المعتزلة، إذ تتبعهم في البلاد ودحض مزاعمهم وأبطل شبهاتهم وبيّن زيفهم.

إلى هذا فإن كتابيه «الفقه الأكبر» و«الفقه الأبسط» دليل ساطع على خوضه في علم الكلام من خلال إقامته الأدلة العقلية والنقلية على مسائل علم الكلام التي هي على مذهب أهل السنة والجماعة.

ولأجل هذا كله نقمَتْ المجسمة قديمًا وحديثًا على الإمام أبي حنيفة فضللوه وكفروه لأنه من أئمة المنزهين لله تعالى عن صفات المخلوقين، ولأنه لا يوافقهم في حمل الآيات المتشابهات على ظواهرها، وينزه الله تعالى عن الجلوس والمكان والأعضاء، وهذا لا يعجب المجسمة لأنه هَدْمٌ لعقيدتهم.

## وفاته:

كانت وفاته سنة مائة وخمسين للهجرة، وهي السنة التي وُلد فيها الإمام الشافعي لإحدى عشرة ليلة خلت من جُمادى الأولى فقيل «مات قمر وولد قمر».

وقيل مات في السجن لرفضه أن يلي القضاء، وقيل إنه لم يمت في السجن.

وقد خرج في جنازته قريب الخمسين ألفًا فصلي عليه ودفن في مقبرة الخيزران في بغداد رحمات الله الواسعة عليه.

# الذهبي حبيب المجسمة يثني على أبي حنيفة ثناءً عظيمًا

قال الذهبي في كتابه «تذكرة الحفاظ»[1] ما نصه: «أبو حنيفة الإمام الأعظم فقيه، تفقه به زفر بن الهذيل وداود الطائي والقاضي أبو يوسف ومحمد بن الحسن وأسد بن عمرو والحسن بن زياد اللؤلؤي ونوح الجامع وأبو مطيع البلخي وعدة. وكان قد تفقه بحماد بن أبي سليمان وغيره وحدث عنه وكيع ويزيد بن هارون وسعد بن الصلت وأبو عاصم وعبد الرزاق وعبيد الله بن موسى وأبو نعيم وأبو عبد الرحمٰن المقري وبشر كثير، وكان إماما ورعًا عالمًا عاملًا متعبدًا كبير الشأن لا يقبل جوائز السلطان بل يتّجر ويتكسب.

وقال ابن المبارك: أبو حنيفة أفقه الناس، وقال الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة، وقال يزيد: ما رأيت أحدًا أورع ولا أعقل من أبي حنيفة، وروى أحمد بن محمد ابن القاسم بن محرز عن يحيى بن معين قال: لا بأس به لم يكن يتهم، ولقد ضربه يزيد ابن هبيرة على القضاء فأبى أن يكون قاضيًا، قال أبو داود رحمه الله: إنّ أبا حنيفة كان إمامًا.

وروى بشر بن الوليد عن أبي يوسف قال: كنت أمشي مع أبي حنيفة فقال رجل لآخر: هذا أبو حنيفة لا ينام الليل، فقال: والله لا يتحدث الناس عني بما لا أفعل، فكان يحيي الليل صلاة ودعاء وتضرعًا.

---

(١) (دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، سنة ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧ر) المجلد الأول (ص/ ١٢٦ - ١٢٧).

# ترجمة الإمام الحافظ الطحاوي

هو أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك بن سلمة بن سليم بن سليمان ابن جناب الأزدي الحجري المصري أبو جعفر. كان ثقة نبيلًا فقيهًا إمامًا، ولد سنة مائتين وسبع وعشرين، ومات سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، صحب المزني وتفقه به، ثم ترك مذهبه وصار حنفي المذهب، تفقه على أبي جعفر أحمد ابن أبي عمران موسى بن عيسى، خرج إلى الشام فلقي بها قاضي الشام والكوفة وكرخ بغداد الثقة العادل أبا خازم عبد الحميد بن عبد العزيز المتوفى سنة اثنتين وتسعين ومائتين فسمع منه وتفقه عليه وهو عن بكر بن خلف العمَى وغيره من البصريين عن هلال بن يحيى عن أبي يوسف ومحمد.

وسمع الحديث من أكثر من مائة شيخ من المصريين والمغاربة واليمنيين والبصريين والكوفيين والحجازيين والشاميين والخرسانيين وغيرهم وجمعهم عبد العزيز بن أبي طاهر في جزء، منهم والده محمد بن سلامة وخاله إسماعيل بن يحيى المزني والربيع بن سليمان الأزدي ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم ويونس ابن عبد الأعلى الصدفي والحافظ أحمد بن شعيب النسائي والحافظ أبو زرعة الدمشقي عبد الرحمٰن بن عمرو وبكار بن قتيبة المصري وسليمان بن شعيب الكيساني وأبو خازم المتقدم ذكره وءاخرون.

وله كتاب أحكام القرءان يزيد على عشرين جزءًا، وكتاب معاني الآثار، وبيان مشكل الآثار. وللطحاوي من المصنفات أيضًا كتاب اختلاف الفقهاء، والعقيدة المشهورة.

قال ابن يونس: «كان الطحاوي ثقة ثبتًا فقيهًا عارفًا لم يخلف مثله اهـ وقال ابن عبد البر في كتاب العلم: «كان من أعلم الناس بسير الكوفيين وأخبارهم مع مشاركته في جميع مذاهب الفقهاء» اهـ

روى عنه ابن مظفر الحافظ والحافظ أبو القاسم الطبراني وأبو بكر بن المقرئ

وءاخرون. وقال ابن الجوزي في المنتظم: «كان الطحاوي ثقة ثبتًا فهمًا فقيهًا عاقلا. اهـ.

وكذا قال سبط ابن الجوزي في مرءاة الزمان ثم قال واتفقوا على فضله وصدقه وزهده وورعه. اهـ.

وقال الصلاح الصفدي كان ثقة نبيلا ثبتًا فقيهًا عاقلا لم يخلف بعده مثله. اهـ.

وقال الحافظ السيوطي فيه الإمام العلامة الحافظ صاحب التصانيف البديعة وكان ثقة ثبتًا فقيهًا لم يخلف بعده مثله. اهـ.

# تكفير الوهابية خوارج العصر للإمام المجتهد السلفي أبي حنيفة

انظروا وتأملوا في تكفير المجسمة أدعياء السلفية لأئمة أهل السنة والجماعة لأنهم لا يوافقونهم في عقيدتهم، فلم ينجُ ولم يَسْلَم من تكفيرهم الإمام المجتهد أبو حنيفة رضي الله عنه (١٥٠هـ)، ففي كتابهم المسمى كذبًا وزورًا «السنة»[1] المنسوب لعبد الله بن أحمد بن حنبل، ساق المجسم المفتري على عبد الله بن أحمد، جملة من الاتهامات والشتائم لأبي حنيفة التي تصف الإمام بأقبح الصفات كقولهم عنه بأنه: (كافر، استتيب من الكفر مرتين، استتيب مرارا، زنديق، استتيب أصحابه من الكفر غير مرة، أصحابه جرب، أنه قال لا بأس بأكل الخنزير البري، يكبه الله في النار، ضرب الله طاقا من نار على قبر أبي حنيفة، يُلعَن، أن مالكا كفَّرَه، كان يرى السيف على أمة محمد، يُضرَبُ على حديثه، ليس أحد أجرأ على الله منه، يَضْرِبُ بحديث رسول الله الأمثال فيردها، سوَّد الله وجهه، خطَّأ عمر بن الخطاب، أَقطع لعُرَى الإسلام، مات جهميًا، وينقض الإسلام عُروةً عُروة، وما وُلد في الإسلام أشأم ولا أضر على الأمة منه، وأنه أبو الخطايا، ويكيد الدين!! وأبو جيفة!! وأول من قال بأن القرءان مخلوق!! وأن الرجل يؤجر على بغض أبي حنيفة وأصحابه!!). وغير ذلك الكثير مما تقشعر له جلود الذين آمنوا، والعياذ بالله تعالى من هذه الوقاحة العريضة والصفاقة البليدة، هذا دَيدَنهم ودأبهم في تكفير علماء الأمة واستباحة دمائهم.

---

(١) دار ابن القيم-الدمام، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ما يسمى تحقيق محمد القحطاني، جامعة أم القرى - كلية الدعوة، قسم العقيدة، المجلد الأول من (ص/ ١٨٠) إلى (ص/ ٢١١). ومن (ص/ ٢١٣) إلى (ص/ ٢٢٩). وكذلك في المطبعة المسماة السلفية ومكتبتها - مكة المكرمة ١٣٤٩هـ الجزء الأول، اشتغل على طبعه لجنة تحت رئاسة عبد الله بن حسن بن حسين آل الشيخ، أمر بطبعه على نفقته الملك عبد العزيز آل سعود. وكذلك طبعته دار الكتب العلمية، الطبعة الرابعة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٢م.

فإذا كان هذا رأيهم وقولهم في أبي حنيفة، فما معنى انتساب المجسم ابن أبي العز إلى المذهب الحنفي؟؟!!! أيُّ فضيحة هذه؟! تقولون فيه ما لم نسمعكم تقولونه في إبليس ثم تنتسبون إليه؟؟!!! ما هذا إلا للتلبيس على مَن ينتسبون للمذهب الحنفي لأنهم بالملايين لتُشيعوا بينهم عقيدة التجسيم والتشبيه!! ولكن أمركم مفضوح وتلبيسكم مكشوف لكل ذي لب نبيه.

فتبين بما لا خفاء ولا شبهة ولا لُبسَ فيه أن ابن أبي العز مجسم وانتسابه لأبي حنيفة لا ينفعه وهو كانتساب المجسمة لأحمد وكانتساب اليهود لموسى عليه الصلاة والسلام.

## اعتراف مجسمة هذا العصر بما مرَّ في الفصل السابق

وهاكم ما قاله حفيد محمد بن عبد الوهاب المجسم صالح آل الشيخ في شرحه على الطحاوية[1]: «س٤/ ما رأيكم ما جاء في كتاب عبد الله بن الإمام أحمد من اتهام لأبي حنيفة وبالقول عليه بخلق القرءان إلى آخره؟

ج/ هذا سؤال جيد، هذا موجود في كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد، وعبد الله بن الإمام أحمد في وقته كانت الفتنة في خلق القرءان كبيرة، وكانوا يستدلون فيها بأشياء تُنْسَبُ لأبي حنيفة وهو منها براء في خلق القرءان... وكانت الأقوال تُنْقَلْ: قول وكيع قول سفيان الثوري قول سفيان بن عيينة قول فلان وفلان من أهل العلم في الإمام أبي حنيفة.

فكانت الحاجة في ذلك الوقت باجتهادِ عبد الله بن الإمام أحمد قائمة في أن ينقل أقوال العلماء فيما نَقَلْ... وكان ابن تيمية ينسبه إلى القول بالإرجاء... ومن غلا أيضًا من المنتسبين للحديث والأثر فوقع في أبي حنيفة رحمه الله أو وقع في الحنفية كمدرسة فقهية أو في العلماء... حتى أتينا إلى أول عهد الملك عبد العزيز لَمَّا دَخَل مكة، وأراد طباعة كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد وكان المشرف على

---

(١) انظر الكتاب (ص/ ٦٧٥ - ٦٧٦).

ذلك والمراجع له الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ رئيس القضاة إذ ذاك في مكة، فَنَزَعَ هذا الفصل بكامله من الطباعة، فلم يُطْبَعْ لِأَنَّهُ من جهة الحكمة الشرعية كانَ لَهُ وقته وانتهى... بل الأمانة أن لا نجعل الناس يَصُدُّونَ عن ما ذكره عبد الله بن الإمام في كتابه من السنة والعقيدة الصحيحة لأجل نُقُولٍ نُقِلَتْ في ذلك. (ومراده أن يحذفوا الطعن بابي حنيفة في تلك المدة لترويج عقيدتهم التشبيه والتجسيم التي دسوها في كتابهم المنسوب لعبد الله بن أحمد)، وطُبِعَ الكتاب بدون هذا الفصل وانْتَشَرَ في الناس وفي العلماء على أنَّ هذا كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد.

حتى طُبِعَت مُؤَخَّرًا في رسالةٍ علمية أو في بحثٍ علمي وأُدْخِلَ هذا الفصل - وهو موجود في المخطوطات معروف - أُدْخِل هذا الفصل من جديد، يعني أُرجِعَ إليه، وقالوا إنَّ الأمانة تقتضي إثباته إلى آخره... ولما طُبِعَ كُنَّا في دعوة عند الشيخ صالح الفوزان في بيته، وكان داعيًا للشيخ عبد العزيز، فطَرَحت عليه أول ما طُبِع كتاب السُّنَّة الطبعة الأخيرة التي في مجلدين إدخال هذا الباب فيما ذُكر في أبي حنيفة في الكتاب وأنَّ الطبعة الأولى كانت خالية من هذا لصنيع المشايخ.

فقال لي في مجلس الشيخ صالح: الذي صنعه المشايخ هو المُتعيّنُ ومن السياسة الشرعية أن يُحذَفَ وإيراده ليس مناسبًا. وهذا هو الذي عليه منهج العلماء. (لأنهم خافوا الفضيحة وانقلاب الناس عليهم)... لأن العلماء إذا أخطأوا فلا نتابعهم في أخطائهم، وخاصَّةً الأئمة هؤلاء الأربعة؛ لأنَّ لهم شأنًا ومقاما لا يُنكرُ» انتهى كلام المجسم صالح آل الشيخ.

# تكفير الوهابية للسلطان محمد الفاتح الذي بشَّر به النبي ﷺ ومدحه وللسلطان العادل صلاح الدين الأيوبي رضي الله عنهما

**تكفيرهم للسلطان محمد الفاتح رضي الله عنه:**

فقد كفَّرت الوهابيةُ الدولةَ العثمانية، وذلك لأنهم يحتفلون بالمولد النبوي الشريف ويتوسلون بالأنبياء والأولياء والصالحين ويتبرّكون بآثارهم، وما نشاهده اليوم يدل على اعتناء العثمانيين الشديد واحتفاظهم ومحافظتهم على الآثار النبوية وآثار الصحابة الكرام في متاحف تركيا كمتحف قصر طوب-قابي وغيره، فقد نقل المؤرخ العثماني سعد الدين أفندي عن أبيه حسن جان أن السلطان سليم الأول (١٥١٢-١٥٢٠م) لما عاد من مصر، أتى بالمقتنيات النبوية الشريفة والأمانات المباركة الموجودة في خزائن المماليك والعباسيين وأمراء الحجاز إلى إسطنبول، ووضعها في قصر طوب قابي، ونقل المؤرخ التركي أحمد راسم في كتابه «التاريخ العثماني» أن أمير مكة الشريف أبو نُمي بن بركات أرسل الأمانات المقدسة الموجودة في مكة المكرمة إلى إسطنبول مقر الخلافة الجديد، وقد سجل أحمد راسم قائمة مفصلة للأمانات المباركة التي جاءت مع أبي نُمي، وجاء في كتاب «ءاثار طرابلس الإسلامية»[1] لعمر تدمري (أن السلطان العثماني عبد الحميد أهدى أهلَ طرابلس (الشام) شعرة نبوية شريفة من أثر النبي العظيم ﷺ، وقد وضع الشعرة في علبةٍ من الذهب الخالص، وأُرسِلَت مع أحد الباشوات في فرقاطة -أي سفينة حربية- خاصة).

ثم إن الوهابية كفَّرت السلطانَ محمدًا الفاتح الحنفي الماتريدي الصوفي، الذي مدحه رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه أحمد والبزار والطبراني ورجاله

(١) ءاثار طرابلس الإسلامية (ص/ ١٥٤ - ١٥٥).

ثقات، وصححه الحاكم «لتفتحنَّ القسطنطينية فلنِعم الأميرُ أميرها ولنعم الجيشُ ذلكَ الجيش»، حتى أتت الوهابية عليه بالاسم كما سيأتي معنا، وإنما كفَّروه لأنه لم يكن مجسمًا مثلهم، لأنه كان يعتقد أن الله ليس جسمًا، كما ذكر الشيخ علاء الدين الطوسي الذي كان يقصده السلطان محمد الفاتح ليدرس عنده، فإنه قد مَيَّزه وأنفق عليه أكثر مما أنفق على بقية العلماء وأعطاه مدرسة وعيّن له كل يوم مائة درهم، كما أعطاه قرية هي أقرب القرى من القسطنطينية لُقِّبَت بقرية مَدرَس، ففي كتابه «تهافت الفلاسفة»[1] يقول: «لا خلاف في أن الله ليس بجسم ولا جسماني، ولا في زمان ولا في مكان، ولا في جهة ولا في محل» اهـ.

بل كان العثمانيون يُكَفِّرون المجسمة، فهذا شيخ السلطان الفاتح، الشيخ أحمد ابن إسماعيل بن عثمان الكَوراني، شهاب الدين الشافعي ثم الحنفي، جاء في كتاب «تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام في العهد العثماني»[2] (أنه العارف والعالم العامل والفاضل الكامل، أحد الخمسة الكبار من شيوخ الإسلام في العهد العثماني، الذين يُشهد لهم بالرفعة والعلم، وقد شهد فتح إسطنبول، وأول شيخ للإسلام يُدفن فيها... وقرأ الحديث والتفسير وأجازه علماء عصره في العلوم المذكورة، وأجازه ابن حجر في الحديث وشهد له بأنه قرأ الحديث سِيَّما صحيح البخاري رواية ودراية)، وهو مفسر، كردي الأصل من أهل شهروزر، تعلم بمصر، رحل إلى بلاد الترك، فعهد إليه السلطان مراد بن عثمان بتعليم ولي عهده (محمد الفاتح)، وولي القضاء في أيام الفاتح، وتوفي بالقسطنطينية سنة ٨٩٣هـ، وصلى عليه السلطان بايزيد، في كتابه «الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع»[3] يقول في تكفير المجسمة: «إذ المجسم كافر وإن صام وصلى» اهـ.

---

(١) تهافت الفلاسفة (ص/ ١٨٧)، طبع الدار العالمية، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

(٢) تأليف أحمد صدقي شقيرات (١/ ٣٢٨ - ٣٢٩)، (مطبعة كنعان-إربد-الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ).

(٣) الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع (ص/ ٦٥٦)، دار صادر-بيروت، مكتبة الإرشاد-إسطنبول، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.

# القرضاوي يحرم على الناس تقليد المذاهب ويوجب عليهم الاجتهاد

فيقول في كتابه المسمى «الحلال والحرام»[١] ما نصه: «ولو أرضى لعقلي أن أقلّد مذهبًا معينًا في كلّ القضايا والمسائل أخطأ أو أصاب فإنّ المقلّد كما قال ابن الجوزي: «على غير ثقة فيما قلّد فيه وفي التقليد إبطال منفعة العقل لأنه خلق للتأمل والتدبر وقبيح بمن أعطي شمعة يستضيء بها أن يطفئها ويمشي في الظلمة» اهـ.

وفي جريدة الحياة[٢] يقول صاحب المقال عن القرضاوي: «خلال رحلته الدعوية المديدة خرج القرضاوي بنتيجة مؤداها إنّ مسلمي اليوم بحاجة إلى فقه جديد ليستحقوا أن يكونوا ممن وصفهم الله بأنهم قوم يفقهون» اهـ.

وقال في كتابه المسمى «الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم»[٣] ما نصه: «ولهذا أنكر كبار علماء الأمة ومحققيها هذا الغلو في التقليد الذي كاد يشبه ما فعله أهل الكتاب من اتخاذ أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله» اهـ.

وقال فيه ما نصه: «فقد صحّ عن الشافعي أنه نهى عن تقليده وتقليد غيره» اهـ.

وقال في كتابه المسمى «في فقه الأولويات»[٤]: «استدل ابن القيم على منع التقليد وذمه بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[٥] قال: والتقليد ليس بعلم باتفاق أهل العلم»[٦] اهـ.

---

(١) الحلال والحرام (ص/ ١٣).

(٢) جريدة الحياة، بتاريخ ١٧/ ١٠/ ٩٦ (ص/ ٢١).

(٣) الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم (ص/ ١٢٢).

(٤) في فقه الأولويات (ص/ ٦١).

(٥) سورة الإسراء/ الآية ٣٦.

(٦) قال ابن بطال في شرح البخاري (١٠/ ٣٥١) إذا كان الرأي والقياس على أصل من كتاب الله وسنة رسول الله أو إجماع الأمة فهو محمود وهو الاجتهاد والاستنباط الذي أباحه الله للعلماء=

وقال في كتابه المسمى «الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم»[1] ما نصه: «ومن القواعد المسلمة أنّ الخطأ مرفوع عن هذه الأمة كالنسيان» اهـ.

ويقول في المجلة المسماة «الأمان»[2]: «وبعبارة أخرى عملنا هو الاجتهاد في الاستنباط والتفصيل والتكييف. والاجتهاد في الشريعة الإسلامية باب مفتوح للرجال والنساء جميعًا» اهـ.

ويقول في كتابه المسمى «شريعة الإسلام»[3] ما نصه: «هذا التغير في عالمنا ومجتمعنا المعاصر كيف نستطيع أن نواجهه بفقهنا القديم وكيف تصلح أحكام استنبطت في عصور خلت للتطبيق في عصرنا الحاضر؟ والجواب أن شريعتنا الخالدة قادرة على مواجهة التطور ومعالجة قضايا عصرنا ولكن بشروط يجب توفرها وتحققها جميعًا إذا كنا صادقين في العودة إلى شريعة ربنا، أول هذه الشروط وأهمها هو فتح باب الاجتهاد من جديد للقادرين عليه والعودة إلى ما كان عليه سلف الأمة والتحرر من الالتزام المذهبيّ فيما يتعلق بالشريعة للمجتمع كلّه وليس عندنا نصّ من كتاب الله ولا سنة رسوله يلزمنا التقيد بمذهب فقهيّ معين بل نصوص الأئمة أنفسهم متواطئة على النهي عن تقليدهم فيما اجتهدوا فيه واتخاذه دينًا وشرعًا إلى يوم القيامة» اهـ.

وما هذا إلا خطّ وخلط من القرضاوي الذي يوهم الناس أنه من المجتهدين لأن لا يُعترض عليه في ما يفتريه من عند نفسه ويُلصقه بالدّين ومعلومٌ أن

---

= وأما الرأي المذموم والقياس المتكلف المنهي عنه فهو ما لم يكن على هذه الأصول لأن ذلك ظن ونزع من الشيطان والدليل على صحة هذا قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ قال ابن عباس لا تقل ما ليس لك به علم وقال قتادة لا تقل رأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم. اهـ

(١) الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم (ص/ ١٤٢).

(٢) المجلة المسماة «الأمان»، العدد ٢٧٦.

(٣) الكتاب المسمى «شريعة الإسلام» (ص/ ١٠٦).

القرضاوي ليس من المجتهدين ولا من الفقهاء ولا من المحدثين، بل هو مُتقوّلٌ، ألّف دينًا جديدًا لم يُسبق إليه فليُحذر من تشجيعه العوامّ والجهال على ما سمّاه «اجتهادًا» بل هو حثٌّ على الفتوى بغير علم - نعم، باب الاجتهاد لم يُغلق، لكن له شروطه وله أهله وهو مرتبةٌ في هذا العصر نادرةٌ جدًا، فليتنبّه لذلك.

# ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب ومنهجهما التكفيري الشمولي

في كتاب «النزعة التكفيرية في فكر الوهابية»[1] للدكتور اليماني الفخراني، يقول عن محمد بن عبد الوهاب: «رفع نفسه إلى مرتبة قريبة جدًا من الأنبياء»، ثم قال: «انظر إلى الشيخ ابن عبد الوهاب وهو يتحدث عن نفسه، ويَمُن على أتباعه بهدايتهم بعد ضلالهم وهو يقول: فالرجل الذي هداكم الله به لهذا إن كنتم صادقين، لو يكون أحب إليكم من أموالكم وأولادكم لم يكن كثيرًا، فكيف يقال: أفتى في مسألة الوقت، أفتى في كذا، أفتى في كذا؟ كلها ولله الحمد على الحق، إلا أنها مخالفة لعادة الزمان ودين الآباء»[2].

ثم قال[3] عن تكفير ابن تيمية لأهل مصر زمن الفاطميين: «ومن أكبر شواهد المجازفة في التكفير الحكم على أهل مصر بالردة وفي ذلك يقول: لأجل ما كانوا عليه من الزندقة والبدعة بقيت البلاد المصرية مدة دولتهم نحو مائتي سنة قد انطفأ نور الإسلام والإيمان حتى قالت فيها العلماء: إنها كانت دار ردة ونفاق كدار مسيلمة الكذاب»[4] على زعمهم. انظر رحمك الله كيف عمَّم الحكم بالتكفير لكل أهل مصر ولم يقتصر على من صدر منه موجب التكفير.

---

(١) النزعة التكفيرية في فكر الوهابية (مكتبة مدبولي-القاهرة ١٤٣٣هـ، الطبعة الأولى ص/ ١٩-٢٠).

(٢) الرسالة ٣٥ (ص/ ٢٤١) ضمن الرسائل الشخصية، مطبوع ضمن مؤلفات محمد بن عبد الوهاب الجزء السادس، دراسة وتحقيق صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، محمد بن صالح العيلقي، جامعة محمد بن سعود، الرياض.

(٣) النزعة التكفيرية في فكر الوهابية (ص/ ٣٢).

(٤) الفتاوى الكبرى (٣/ ٤٩٥) لابن تيمية، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ تحقيق حسنين مخلوف، عدد الأجزاء ٥.

وقال[1]: «بل اعتبر فعل ابن عمر رضي الله عنهما - وهو ما رواه ابن حبان من نزوله في المواضع التي نزل فيها الرسول ﷺ بين مكة والمدينة للتبرك بها -، ذريعة للتشبه بأهل الكتاب، وذريعة للشرك بالله، ومخالفة للصحابة»[2].

فانظروا أيها المسلمون! إلى وقاحة ابن تيمية كيف يصف عمل الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بأنه ذريعة للشرك، وليت شعري ماذا يريد بقوله «ذريعة للشرك»، لأنه كان يعتقد أنه شرك، فلا معنى لقوله «ذريعة»، ويكون بهذا قد حكم على الصحابي الجليل ابن عمر بالارتداد والشرك كما حكم على غيره من المسلمين وإن لم يكن فعل ابن عمر شركًا مع أنه تتبع ءاثار الرسول ﷺ كما هو ثابت عنه بالاتفاق بيننا وبين الوهابية، فما معنى تكفير المسلمين إذًا، ولماذا تجعلون أيها الوهابية فعل المسلمين شركًا حقيقيًا وفعل ابن عمر مجرد ذريعة، والفعل واحد!! وعبد الله بن عمر هو من علماء وأولياء الصحابة وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: **إن عبد الله رجل صالح**. رواه البخاري. فماذا يُتَوقَّع بعد ذلك من ابن تيمية وأتباعه.

وقال[3] عن ابن تيمية: «يشكك في إسلام علي وهو صبي، ويُرَجِّح عدم صحة إسلامه»[4].

ويقول بأن إسلامَه غيرُ مُخرِجٍ له من الكفر على قول، وأما ما ذكره فقهاء الشافعية من أن الولد الذي يجرى عليه أحكام الكفر لكفر والديه لا يصح إسلامه فهذا لا ينطبق على سيدنا علي رضي الله عنه، لأن عليًا أسلم قبل نزول هذه الأحكام وإسلامه صحيح معتبر لا شك فيه.

وقال[5]: «ولم يكتفِ الوهابيون بهذا التعميم التكفيري لطوائف المسلمين،

---

(١) النزعة التكفيرية في فكر الوهابية (ص/ ٤٢).
(٢) (في كتاب ابن تيمية المسمى اقتضاء الصراط المستقيم ص/ ٣٩٠).
(٣) النزعة التكفيرية في فكر الوهابية (ص/ ٤٠).
(٤) (المنهاج لابن تيمية ٤/ ٤٢-٢١٨-٢١٩).
(٥) النزعة التكفيرية في فكر الوهابية (ص/ ١٣٣).

بل خصوا البلاد الإسلامية بلدًا بلدًا بالتكفير، ابتداء بدولة الخلافة ومن رضي بخلافتها وحتى بلاد الحرمين» اهـ.

وقد قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في «الدرر الكامنة»[1]، عن ابن تيمية: «ومنهم من ينسبه إلى النفاق لقوله في علي ما تقدم ولقوله إنه كان مخذولا حيثما توجه، وأنه حاول الخلافة مرارا فلم ينلها وإنما قاتل للرياسة لا للديانة، ولقوله إنه كان يحب الرياسة وأن عثمان كان يحب المال، ولقوله أبو بكر أسلم شيخًا لا يدري ما يقول، وعلي أسلم صبيًا والصبي لا يصح إسلامه على قول» اهـ.

فتبيّن لك أن ابن تيمية الحراني كفَّر عليًا رضي الله عنه واعتبره لم يخرج من كفره وشركه قبل البلوغ،

وقد نقل الحافظ أحمد بن محمد بن صديق الغماري الحسني في كتابه «علي بن أبي طالب إمام العارفين» الطبعة الأولى، عن ابن تيمية الحراني أنه طعن بالسيدة الجليلة فاطمة الزهراء رضي الله عنها فقال فيها: إن فيها شبه من المنافقين الذين وصفهم الله بقوله ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾[2]، قال ابن تيمية: «فكذلك فعلت هي إذ لم يعطِها أبو بكر من ميراث والدها ﷺ».

ثم قال الحافظ الغماري[3] بعد كلام: «فقبَّح اللهُ ابنَ تيمية وأخزاه وجزاه بما يستحق، إذ جعله الله إمام كل ضال مضل بعده، وجعل كتبه هادية إلى الضلال فما أقبل عليها أحد واعتنى بشأنها إلا وصار إمام ضلالة في عصره، ويكفي أن الله تعالى أخرج من صلب أفكاره الخبيثة قرن الشيطان وأتباعه كلاب النار وشر من تحت أديم السماء» اهـ. يريد بهم محمد بن عبد الوهاب وأتباعه الوهابية.

---

(١) الدرر الكامنة، طبع دار إحياء التراث العربي (١/ ١٥٥).

(٢) سورة التوبة/ ءاية ٥٨.

(٣) علي بن أبي طالب إمام العارفين (ص/ ٥٦).

# محمد بن عبد الوهاب
# يعتبر الفقه شركًا والعلماء شياطين

لم يكن موقف ابن عبد الوهاب من الفقه والفقهاء بأحسن حالًا من موقف شيخه ابن تيمية، فقد هاجم الفقه واعتبره شركًا وهاجم علماء الفقه وسماهم بالشياطين، فهو هاجم الفقه وعلمائه من المتقدمين وحتى المتأخرين لم يسلموا منه وأراد أن ينسب موقفه المعادي للفقه وأهله إلى الإمام أحمد بن حنبل ويستتر خلفه فقال في (مؤلفات محمد بن عبد الوهاب، الجزء السادس: الرسائل الشخصية، الرسالة السابعة والثلاثون، طباعة جامعة محمد بن سعود): «ولما حدث قليل من هذا، لا يشبه ما أنتم عليه في زمن الإمام - يعني الإمام أحمد -، اشتد إنكاره لذلك، ولما بلغه عن بعض أصحابه أنه يروي عنه مسائل بخراسان. قال: أشهدكم أني قد رجعت عن ذلك، ولما رأى بعضهم يكتب كلامه، أنكر عليه وقال: تكتب رأيًا لعلي أرجع عنه غدًا، اطلب مثلما طلبناه، ولما سئل عن كتاب أبي ثور قال: كل كتاب ابتدع فهو بدعة، ومعلوم أن أبا ثور من كبار أهل العلم، وكان أحمد يثني عليه، وكان ينهى الناس عن النظر في كتب أهل العلم الذين يثني عليهم ويعظمهم، ولما أخذ بعض أئمة الحديث كتب أبي حنيفة، هجره أحمد، وكتب إليه: إن تركت كتب أبي حنيفة، أتيناك تسمعنا كتب ابن المبارك» اهـ.

ولم يكتف ابن عبد الوهاب بالادعاء أن الإمام أحمد ينهى عن تراثه الفقهي، والإبداع الفقهي للإمام الأعظم، فقد نسب إليه النهي عن كتب الفقه عمومًا ولو اشتملت على فائدة، وهذا من العجب العجاب، ومعارضة صريح الدين وأهدافه العامة، تأمل كلامه (الرسائل الشخصية، الرسالة السابعة والثلاثون): «ولما ذكر له بعض أصحابه أن هذه الكتب فيها فائدة لمن لا يعرف الكتاب والسنة، قال: إن عرفتَ الحديث لن تحتج إليها، وإن لم تعرفه لم يحل لك النظر فيها، وقال: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان، والله يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ

﴿ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1]، قال: أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك. ومعلوم أن الثوري عنده غاية، وكان يسميه: أمير المؤمنين».

وكما صور ابن عبد الوهاب موقف الإمام أحمد من الفقه، لم يفته الادعاء بأن متأخري الحنابلة قد حرفوا المذهب وشانوه على قلة بدعتهم كما يرى، ومع أنه وصفهم بقلة البدعة وصفهم أيضًا بمخالفة نص رسول الله ﷺ، تأمل كلام ابن عبد الوهاب (الرسائل الشخصية، الرسالة السابعة والثلاثون) في قوله: «فهؤلاء الحنابلة من أقل الناس بدعة، وأكثر الإقناع والمنتهى -منتهى الإيرادات- مخالف لمذهب أحمد ونصه، فضلًا عن نص رسول الله ﷺ، يعرف ذلك من عرفه».

تأمل كلام ابن عبد الوهاب[2] الذي يقول فيه: «كثير ممن سمع ذم الكلام مجملًا، وذم الطائفة الفلانية مجملًا، ولا يعرف التفاصيل، من الفقهاء وأهل الحديث ومن كان متوسطًا في الكلام لم يصل إلى الغايات التي منها تفرقوا، تجده يذم القول وقائله بعبارة ويقبله بعبارة، ويقرأ كتب التفسير والفقه وشروح الحديث وفيها تلك المقالات التي يذمها فيقبلها من أشخاص أخر ذكروها بعبارة أخرى، أو في ضمن تفسير ءاية أو حديث أو غير ذلك، هذا مما يوجد كثيرًا، والسالم من سلمه الله، حتى إن كثيرًا من هؤلاء يعظم أئمة وذم أقوالًا، وقد يلعن قائلها ويكفره، وقد قالها هؤلاء الأئمة الذين يعظمهم، ولو علم أنهم قالوا لما لعن القائل، وكثير منها قد قاله النبي ﷺ، ولو ذكرت ما أعرفه من ذلك لذكرت خلقًا، ولا أستثني واحدًا من أهل البدع لا من المشهورين بالبدع الكبار من معتزلي ورافضي ونحوهما، ولا من المنتسبين إلى السنة من كرامي، وأشعري،

---

(١) سورة النور/ ءاية ٦٣.

(٢) (تفسير آيات من القرءان الكريم، مؤلفات محمد بن عبد الوهاب، الجزء الخامس، دراسة وتحقيق: محمد بلتاجي، طباعة جامعة محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص/ ١٤).

ونحوهما، وكذلك من صنف على طرائقهم من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم، هذا كله رأيته في كتبهم».

هنا نجد ابن عبد الوهاب يرشدنا إلى من استقى منه هذه الأفكار وهو ابن تيمية، وأنه يجب العودة إلى البداية والبدء من الصفر، والبداية على الجميع، فعندما سئل ابن عبد الوهاب[1] عن: «قول الشيخ تقي الدين، ولتكن همته فهم مقاصد الرسول، في أمره ونهيه، ما صورته؟ فأجاب: مراده ما شاع وذاع أن الفقه عندهم هو الاشتغال بكتاب فلان وفلان، فمراده التحذير من ذلك».

ولم يكتف ابن عبد الوهاب بالتنبيه على تحذير ابن تيمية من كتب الفقهاء، بل اعتبر نفسه مبعوث العناية الإلهية بالهدى[2] قال: إني مرسل إليكم هدى من عندي، لا أَكِلُكُمْ إلى رأيكم ولا رأي علمائكم، بل أنزل إليكم العلم الواضح الذي يبين الحق من الباطل، والصحيح من الفاسد، والنافع من الضار، ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[3]: ومعلوم أن الهدى هو هذا القرءان، فمن زعم أن القرءان لا يقدر على الهدى منه إلا من بلغ رتبة الاجتهاد، فقد كذب الله في خبره أنه هدى، فإنه على هذا القول الباطل لا يكون هدى إلا في حق الواحد من الآلاف المؤلفة، وأما أكثر الناس فليس هدى في حقهم، بل الهدى في حقهم أن كل فرقة تتبع ما وجدت عليه الآباء، فما أبطل هذا القول! كيف يصبح لكم يدعي الإسلام أن يظن في الله وكتابه هذا الظن».

يبدو أن محمد بن عبد الوهاب أبى إلا أن يفصح عن مكنونات صدره،

---

(١) تفسير آيات من القرءان الكريم، مؤلفات محمد بن عبد الوهاب، الجزء الثاني عشر، دراسة وتحقيق: محمد بلتاجي، طباعة جامعة محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص/ ١٣٤).

(٢) (مجموعة الحديث على أبواب الفقه- الجزء الأول مطبوع ضمن مؤلفات محمد بن عبد الوهاب، الجزء السابع، الثامن، التاسع، العاشر، دراسة وتحقيق: خليل ابراهيم ملا خاطر، طباعة جامعة محمد بن سعود، الرياض المملكة العربية السعودية، ص/ ٢٦٥).

(٣) سورة النساء/ ءاية ١٦٥.

وعن ضيق أنفاسه، ونفاذ صبره على الفقهاء، فأعلنها صريحة مدوية بأن الفقه شرك والفقهاء شياطين[1]، انظر إلى قوله: «ومن أدلة (محمد بن عبد الوهاب): ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[2]، فقد فسرها رسول الله ﷺ والأئمة بعده، بهذا الذي تسمونه: الفقه، وهو الذي سماه الله: شركًا، واتخاذهم أربابًا، لا أعلم بين المفسرين في ذلك اختلافًا، والحاصل: أن من رزقه الله العلم يعرف أن هذه المكاتيب التي أتتكم، وفرحتم بها وقرأتموها على العامة، من عند هؤلاء الذين تظنون أنهم علماء، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾[3].

ويؤكد كلامه فيقول[4]: «تغير الأحوال إلى هذه الغاية صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال، وتسمى الولاية، وعبادة الأحبار هي العلم والفقه، ثم تغيرت الأحوال إلى أن عبد من دون الله من ليس من الصالحين، وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين».

قال الكوثري[5]: «إن كان ذلك الداعي إلى نبذ التمذهب يعتقد في الأئمة المتبوعين أنهم من أسباب وعوامل الفرقة والخلاف بين المسلمين، وأن المجتهدين في الإسلام إلى اليوم كلهم على خطأ، وأنه يستدرك عليهم في ءاخر الزمن الصواب الذي خفي على الأمة منذ بزوغ شمس الإسلام إلى اليوم، فهذا من التهور والمجازفة البالغين إلى حد النهاية» اهـ.

---

(١) (الرسائل الشخصية، الرسالة التاسعة والثلاثون/ والدرر ٢/ ٥٩).

(٢) سورة التوبة/ ءاية ٣١.

(٣) سورة الأنعام/ ءاية ١١٢.

(٤) (كتاب التوحيد، مطبوع ضمن مجموعة مؤلفات محمد بن عبد الوهاب، دراسة وتحقيق: عبد العزيز بن عبد الرحمن وغيره، جامعة محمد بن سعود، الرياض المملكة العربية السعودية، الجزء الأول، ص/ ١٠٣).

(٥) (مقالات الكوثري، ص/ ١٣٥، المكتبة التوفيقية).

سرعان ما يردد أتباع محمد بن عبد الوهاب كلام شيخهم بأنه مقلد للكتاب والسنة، ولأئمة الفقه الأربعة، وينقلون كلام ابن عبد الوهاب في قوله (الرسائل الشخصية، الرسالة الرابعة عشر): «وأما ما ذكرتم من حقيقة الاجتهاد، فنحن مقلدون الكتاب والسنة، وصالح سلف الأمة، وما عليه الاعتماد من أقوال الأئمة الأربعة: أبي حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس، وأحمد ابن حنبل، رحمهم الله تعالى».

وهنا ينبغي التنبيه على أن أتباع محمد بن عبد الوهاب هم الذين يحرفون الكلام عن مواضعه، ويؤمنون ببعض النصوص ويكفرون بالبعض الآخر، إعلان ابن عبد الوهاب احترام المذاهب الفقهية المعتمدة الأربعة في الرسالة الرابعة عشر من رسائله الشخصية، واعتبار الفقه شركًا ونسبة ذلك إلى الله عز وجل وإلى رسوله ﷺ في الرسالة التاسعة والثلاثين من رسائله أيضًا، فهي في مرحلة متأخرة زمنيًا.

ولو قيل بأن هذه الرسائل الشخصية غير مرتبة زمنيًا والقول بأن: تقليد المذاهب الفقهية المعتمدة هو المعتمد عند الشيخ، فإني أشك في أن يكون هذا الموقف وهو الحقيقي لابن عبد الوهاب بالنسبة للفقه، ولا أدل على ذلك من تبني تلاميذ ابن عبد الوهاب للموقف المعادي للفقه.

لأن هذا الكلام المذكور في الرسالة الرابعة عشر، قد أرسله إلى حاكم اليمن القوي، فقد راعى ابن عبد الوهاب فيها من الآداب ما لم يراعه في باقي الرسائل، كما أنه صدرها باسم الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب، مع أنها من صياغة ابن عبد الوهاب، ولكن تقويًا بالأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود.

ويدأها بإطراء إلى الأخ في الله: أحمد بن محمد العديلي البكبلي، سلمه الله من جميع الآفات، واستعمله بالباقيات الصالحات، وحفظه من جميع البليات، وضاعف له الحسنات، ومحا عنه السيئات، وهذا يدل على أن ابن عبد الوهاب كان يخشى بطش هذا الحاكم، فصدرها باسم الأمير السعودي، كما أنها خالية من

الشتائم، وفيها من المدح والتقريظ لحاكم اليمن ما فيها، ولو كانت لغيره واعترض أو استسفر عن شيء من كلام ابن عبد الوهاب، لكان له السباب، وقال له: أنت وأبوك ومشايخك ومشايخ مشايخك لا تعرفون دين الإسلام، ولا تفرقون بينه وبين دين عمرو بن لحي.

# تكفير الوهابية للأتراك وللدولة العثمانية من كتبهم وكتب غيرهم

لطالما سمعنا من الوهابية أنهم ليسوا من الخوارج وأنهم ما خرجوا على دولة الخلافة - الدولة العثمانية - فهل هذا صحيح؟!!!! بالطبع لا وألف لا. وليست هذه اللاءات هي لاءات الفقير، ولكنها لاءات أئمة هذه الدعوة سطرتها أيديهم في كتبهم ورسائلهم.

فهذه مقتطفات من كتابهم المُعَنْوَن بـ: الدُّرَرُ السَّنِيَّةُ في الأجوبة النجدية تأليف: علماء نجد من عصر محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا[1].

وهذه المقتطفات تقطع بيقين بأن الوهابية من الخوارج، وأنهم كفروا دولة الخلافة - الدولة العثمانية - وخرجوا عليها. كما أن هذه المقتطفات تقدم بجلاء نظرة الوهابية لمن خالفهم. يقول عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن في إحدى رسائله[2]: وبمعرفة ذلك، يهتدي العبد إلى محبته وتعظيمه، وإسلام الوجه له، وإنابة القلب إليه، وإفراده بالقصد والطلب، وسائر العبادات، كالخشية والرجاء، والاستعانة والاستغاثة، والتوكل والتقوى، ويرضى به ربًا وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًا رسولًا، ويذوق من طعم الإيمان، ما يوجب له كمال حب الله وحب رسوله، وكمال الحب بجلاله، ويعرف الوسائل إلى هذا المطلوب الأكبر، والمقصود الأعظم، ويهتم بها غاية الاهتمام، ويطلبها منتهى الطلب. ويعرف ما يضاد هذا الأصل ويناقضه، من تعطيل وكفر وشرك، ويعرف وسائلها وذرائعها الموصلة إليها، المفضية إلى اقتحامها وارتكابها؛ فيهتم بتحصيل وسائل التوحيد، ويهتم بالتباعد عن وسائل الكفر، والتعطيل والتنديد، كما يستفاد من قوله تعالى:

---

(١) دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم - الطبعة السادسة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

(٢) (١٠/ ٣٢٢-٣٢٣).

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[1]. فمن عرف هذا الأصل الأصيل، عرف ضرر الفتن الواقعة في هذه الأزمان، بالعساكر التركية، وعرف أنها تعود على هذا الأصل الأصيل بالهدّ والهدم، والمحو بالكلية، وتقتضي ظهور الشرك والتعطيل، ورفع أعلامه الكفرية، وأن مرتبتها من الكفر، وفساد البلاد والعباد، فوق ما يتوهمه المتوهمون، ويظنه الظانون. وبه يعلم: أن أسباب ما وقع من الوسائل، إلى تهوين تلك الفتنة، وتسهيل أمرها، والسكوت عن التغليظ فيها، من أكبر أسباب وقوع الشر، ومحو أعلام التوحيد، والوسيلة لها حكم الغاية. فإن انضاف إلى تسهيلها، إكرام من أقام بديارهم، وتلطخ بأوضارهم، وشهد مهرجانهم، وتوقيره، والمشي إليه، وصنع الولائم له، فعند ذلك ينعى الإسلام، ويبكيه من ﴿ كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[2]. وفي الحديث: «**من وقر صاحب بدعة، فقد أعان على هدم الإسلام**»[3]، فكيف بما هو أعظم وأطم من البدع؟! فالله المستعان. وأعجب من هذا: أن بعض من يتولى خدمة من حاد الله ورسوله، يحسن أمرهم، ويرغب في ولايتهم، ويقدح في أهل الإسلام، وربما أشار بحربهم، فإذا قدم بعض بلاد أهل الإسلام، تلقاه منافقوها وجهالها، بما لا يليق إلا مع خواص الموحدين. فافهم أسباب الشرك ووسائله، ومن كان في قلبه حياة وله رغبة، وله غيرة وتوقير لرب الأرباب، يأنف ويشمئز مما هو دون ذلك، ولكن الأمر كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية» اهـ.

ويقول[4]: من عبد اللطيف بن عبد الرحمن، إلى الابن الأخ: حسن بن عبد الله، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد، يذكر لي ما كتب إليك

---

(١) سورة الفاتحة/ ءاية ٥.
(٢) سورة ق/ ءاية ٣٧.
(٣) قال المناوي في فيض القدير (٦/ ٣٠٨) لأن المبتدع مخالف للسنة مائل عن الاستقامة ومن وقره حاول اعوجاج الاستقامة اهـ.
(٤) انظر الكتاب (١٠/ ٣٤٧ - ٣٤٨).

عبد الرحمن الوهيبي من الشبهة لما ذكرت له قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾[1]، ونصحته عن الإقامة بين أظهر العساكر التركية، وأنه احتج عليك بأن الآية فيمن قاتل المسلمين، وقال: تجعلون إخوانكم، مثل من قاتل رسول الله ﷺ وأصحابه؛ وهذا جهل منه بمعنى الآية وصريحها، ومخالفة لإجماع المسلمين وما يحتجون به، على تحريم الإقامة بين أظهر المشركين، مع العجز عن القدرة على الإنكار والتغيير.

قال ابن كثير: هذه الآية عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين، وهو قادر على الهجرة، وليس متمكنًا من إقامة الدين؛ فهو ظالم لنفسه، مرتكب حرامًا بالإجماع، وبنص هذه الآية، حيث يقول تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾[2]، أي بترك الهجرة. ﴿قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ﴾ أي: لِمَ كنتم هاهنا، وتركتم الهجرة؟ ﴿قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[3] أي: لا نقدر على الخروج، ولا الذهاب في الأرض، ﴿قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[4] وساق، ما رواه أبو داود عن سمرة بن جندب: أما بعد، قال رسول الله ﷺ: «من[5] **جامع المشرك وسكن معه، فإنه مثله**» فانظر حكاية الإجماع على تحريم ذلك، وانظر تقريره معنى الآية، وتعليقه ما فيها من الأحكام، والوعيد على مجرد الإقامة بين أظهر المشركين، وأن هذه الآية نص في ذلك. وانظر خطاب الملائكة لهذا الصنف، وأنه على المكث والإقامة بدار الكفر. وانظر ما أجابتهم الملائكة عن قولهم: لا نقدر على الخروج. كل ذلك ليس فيه ذكر للقتال؛

---

(١) سورة النساء/ ءاية ٩٧.
(٢) سورة النساء/ ءاية ٩٧.
(٣) سورة النساء/ ءاية ٩٧.
(٤) سورة النساء/ ءاية ٩٧.
(٥) (من جامع المشرك) بالله والمراد الكافر ونص على الشرك لأنه الأغلب حينئذٍ (وسكن معه) أي في ديار الكفر (فإنه مثله) أي من بعض الوجوه لأن الإقبال على عدو الله وموالاته توجب إعراضه عن الله ومن أعرض عنه تولاه الشيطان ونقله إلى الكفران. فيض القدير (٦/ ١٤٤).

فتأمل هذا، يطلعك على بطلان هذه الشبهة، وجهل مبديها. اهـ

ومن رسالة للمدعو عبد الله بن عبد العزيز العنقري[1]: «وقد بلغنا أن الذي أشكل عليكم، أن مجرد مخالطة الكفار ومعاملتهم، بمصالحة ونحوها، وقدومهم على ولي الأمر لأجل ذلك، إنما هي موالاة المشركين، المنهي عنها في الآيات والأحاديث، وربما فهمتم ذلك من «الدلائل» التي صنف الشيخ سليمان ابن عبد الله بن الشيخ، ومن سبيل النجاة للشيخ حمد بن عتيق. فأولا: نبين لكم سبب تصنيف «الدلائل»، فإن الشيخ سليمان، صنفها لما هجمت العساكر التركية على نجد في وقته، وأرادوا اجتثاث الدين من أصله، وساعدهم جماعة من أهل نجد، من البادية والحاضرة، وأحبوا ظهورهم. وكذلك: سبب تصنيف الشيخ حمد بن عتيق «سبيل النجاة» هو لما هجمت العساكر التركية على بلاد المسلمين، وساعدهم من ساعدهم، حتى استولوا على كثير من بلاد نجد. فمعرفة سبب التصنيف مما يعين على فهم كلام العلماء، فإنه بحمد الله ظاهر المعنى؛ فإن المراد به موافقة الكفار على كفرهم، وإظهار مودتهم، ومعاونتهم على المسلمين، وتحسين أفعالهم، وإظهار الطاعة والانقياد لهم على كفرهم. والإمام لم يقع في شيء مما ذكر، فإنه إمام المسلمين، والناظر في مصالحهم، ولا بد له من التحفظ على رعاياه وولايته، من الدول الأجانب، والمشايخ كالشيخ سليمان بن عبد الله، والشيخ عبد اللطيف. والشيخ حمد بن عتيق، إذا ذكروا موالاة المشركين، فسروها بالموافقة والنصرة، والمعاونة والرضى بأفعالهم؛ فأنتم وفقكم الله، راجعوا كلامهم، تجدوا ذلك كما ذكرنا» اهـ

ويقول[2]: «وقال بعضهم – يقصد بعض علماء نجد – أما بعد: فإنه قد بلغني أن بعض الناس قد أشكل عليه جهاد المسلمين لأهل حايل، هل هو شرعي أم لا؟ فأقول وبالله التوفيق: الجهاد مشروع لأحد أمور: منها: الخروج عن طاعة

---

(١) رسالة للمدعو عبد الله بن عبد العزيز العنقري (١٣/ ١٥، ١٥٨).
(٢) رسالة للمدعو عبد الله بن عبد العزيز العنقري (١٣/ ٢٨٩، ٢٩٢).

ولي أمر المسلمين، فمن خرج عن طاعته، وجب جهاده على جميع الأمة، ولو كان الخارج مسلمًا، كما جاهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخوارج، وهو يعتقد إسلامهم: فإنه سئل عن كفرهم، فقال: من الكفر فروا» وقال مرة أخرى لما سئل عنهم: «إخواننا بغوا علينا». والدليل على هذا قوله ﷺ» **من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم، ويفرق جماعتكم، فاضربوا عنقه كائنًا من كان**». وما زال الأئمة في كل زمان ومكان، يجاهدون من خرج عن طاعة إمام المسلمين، والعلماء يجاهدون معهم ويحضونهم على ذلك، ويصنفون التصانيف في فضل ذلك، وفي فضل من قام فيه، لا يشك أحد منهم في ذلك، إلا أن يأمر الإمام بمعصية الله، فلا تحل طاعته لأحد، بل تحرم طاعة مخلوق في معصية الخالق. وأهل حائل أمرهم الإمام بالدخول في الطاعة، ولزوم السنّة والجماعة، ومنابذة أهل الشرك، وعداوتهم وتكفيرهم، فأبوا ذلك وتبرؤوا منه والإمام يقول - من أول الأمر إلى يومنا هذا - لهم الشريعة، مقدمة بيني وبينكم، نمشي على ما حكمت به، على العين والرأس، فلم يقبلوا ولم ينقادوا، فوجب قتالهم على جميع المسلمين، لخروجهم عن الطاعة، حتى يلتزموا ما أمرهم به الإمام من طاعة الله تعالى.

الأمر الثاني: مما يوجب الجهاد لمن اتصف به عدم تكفير المشركين، أو الشك في كفرهم، فإن ذلك من نواقض الإسلام ومبطلاته، فمن اتصف به فقد كفر، وحل دمه وماله، ووجب قتاله حتى يكفر المشركين، والدليل على ذلك قوله ﷺ: «**من قال لا إلـه إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه**»، علق عصمة المال والدم بأمرين:

الأمر الأول: قول: لا إلـه إلا الله.

الثاني: الكفر بما يعبد من دون الله.

فلا يعصم دم العبد وماله، حتى يأتي بهذين الأمرين:

الأول: قوله: لا إلـه إلا الله.

الأمر الثاني: الكفر بما يعبد من دون الله، والمراد بذلك تكفير المشركين،

والبراءة منهم، ومما يعبدون مع الله. فمن لم يكفر المشركين من الدولة التركية، وعباد القبور، كأهل مكة وغيرهم، ممن عبد الصالحين، وعدل عن توحيد الله إلى الشرك، وبدّل سنّة رسوله ﷺ بالبدع، فهو كافر مثلهم، وإن كان يكره دينهم، ويبغضهم، ويحب الإسلام والمسلمين، فإن الذي لا يكفر المشركين، غير مصدق بالقرءان، فإن القرءان قد كفر المشركين، وأمر بتكفيرهم، وعداوتهم وقتالهم. قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب، في نواقض الإسلام: الثالث: من لم يكفر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم، كفر. وقال ابن تيمية: من دعا علي بن أبي طالب، فقد كفر، ومن شك في كفره، فقد كفر» اهـ.

ويقول[1]: «وسئل أيضًا: الشيخ محمد بن الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن، عن حكم من اتصف بالكفر اليوم وقام به، من بادية نجد، هل هو كفر أصلي، أم طارئ؟ وهل عمهم الإسلام، في وقت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، أم لا؟

فأجاب: اعلم - وفقني الله وإياك للصواب - أن أهل نجد باديتهم وحاضرتهم، قبل دعوة شيخ الإسلام، وعلم الهداة الأعلام، مجدد ما اندرس من معالم الإسلام، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، قدس الله روحه، ونور ضريحه، في جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء؛ قد اشتدت غربة الإسلام فيما بينهم، واستحكمت، وعم الشر وطم، وفشا الشرك، وشاع الكفر وذاع، في القرى والأمصار، والبادية والحضر، وصارت عبادة الطواغيت والأوثان، دينا يدينون به، ويعتقدون في الأولياء، أنهم ينفعون ويضرون، وأنهم يعلمون الغيب، مع تضييع الصلاة، وترك الزكاة، وارتكاب المحرمات، ولم يوجد من ينكر ذلك؛ نشأ عليه الصغير وهرم عليه الكبير. فشرح الله صدر إمام الدعوة الإسلامية، الشيخ محمد، فدعا الخلق إلى دين الله، وعرفهم حقيقة العبادة التي خلقوا لها، وأمروا بها، ودعت إليها الرسل، فشمروا له عن ساق العداوة، فعارضوه، وصادموه، العلماء منهم والأمراء، وسعوا بالتهييج عليه عند القريب والبعيد، ولم يبقوا ممكنًا.

---

(١) رسالة للمدعو عبد الله بن عبد العزيز العنقري (١٣/ ٤٤٩، ٤٥١).

فعند ذلك ثبته الله، وصبر على أعباء الدعوة ومكابدة من عارضه، ولم يعبأ بمن خالفه، لأنه قام مقام نبوة، لأن حقيقة ما دعا إليه هي دعوة الرسل، من أولهم إلى آخرهم. فأعانه على هذه الدعوة، والقيام بها، وتحمل عداوة القريب والبعيد، وآواه ونصره الإمام محمد بن سعود، وأولاده، وإخوانه، فعاضدوه، فثبتهم الله وقوى عزمهم. وبادأهم من بادأهم بالعداوة والقتال، وألبوا عليهم، فما ثنى عزمهم ولا تضعضعوا، فأظهرهم الله، وخذل جميع من ناوأهم، فدخل كافة أهل نجد والجزيرة، من البادية والحاضرة، تحت ولايتهم، والتزموا ما دعوا إليه، ودانوا به. ولم يوجد في نجد من البادية والحاضرة، من لم يدخل في هذا الدين، ولم يلتزم شرائعه بل شملتهم الدعوة الإسلامية، والتزموا أحكام الإسلام، وواجباته. وأقاموا على ذلك مدة سنين، في أمن وعافية، وعز وتمكين، وبنودهم تخفق شرقًا وغربًا، جنوبًا وشمالا، حتى دهمهم ما دهمهم، من الحوادث العظام، التي أزعجت القلوب، وزلزلتهم من الأوطان، عقوبة قدرية، سببها ارتكاب الذنوب والمعاصي، لأن من عصى الله وهو يعرفه، سلط الله عليه من لا يعرفه. والفتنة التي حلت بهم، هي فتنة العساكر التركية، والمصرية، فانتثر نظام الإسلام، وشتت أنصاره وأعوانه، وارتحلت الدولة الإسلامية، وأعلن أهل النفاق بنفاقهم، فرجع من رجع إلى دين آبائه، وإلى ما كان عليه سابقًا من الشرك والكفر، وثبت من ثبت على الإسلام، وقام بهم من أمور الجاهلية أشياء، لا تخرج من ثبت منهم عن الإسلام. إذا تبين هذا: فاعلم أن الكفر الموجود في أعراب نجد، الذين قد دخلوا في الإسلام سابقًا، إنما هو كفر طارئ، لا كفر أصلي، فيعامل من وجد منه مكفر بما يعامل به أهل الردة، ولا يحكم عليهم بعموم الكفر، لأنه يوجد فيهم من هو ملتزم لشرائع الإسلام وواجباته» اهـ.

ومن رسائل عبد الرحمن بن حسن[1]: «وأما الدول التركية المصرية، فابتلى الله بهم المسلمين لما ردوا حاج الشام عن الحج، بسبب أمور كانوا يفعلونها في

---

(١) من رسائل عبد الرحمن بن حسن (١٧/ ٢٦).

المشاعر، فطلبوا منهم أن يتركوها، وأن يقيموا الصلاة جماعة، فما حصل منهم ذلك، فردهم سعود تدينا؛ فغضبت تلك الدولة التركية، وجرى عندهم أمور يطول عدها، ولا فائدة في ذكرها» اهـ.

# الوهابية يكفرون السيدة حواء
# وأهل المذاهب الأربعة
# ويُوجِبُونَ قَتْلَهُم

وقال أحد كبار زعمائهم في الهند وهو محمد القنوجي الهندي في كتابه المسمى «الدين الخالص»[1] ما نصه: «تقليد المذاهب الأربعة من الشرك» وفيه السيدة حواء[2]: «الصحيح أن الشرك إنما وقع من حواء فقط دون آدم» اهـ وبهذا تكون الوهابية جعلت البشر أولاد زنى.

وقال أحد مشايخ الوهابية وهو محمد سلطان المعصومي الخجندي في كتابه «هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين»[3]: «ليس فقط الجهال والأميين ولكن أيضًا كثير من العلماء الذين يتخيلون أنفسهم مثقفين جدًا هم برأيهم أن كل مسلم عليه أن يتبع إمام، إما الإمام أبي حنيفة أو الإمام الشافعي أو الإمام مالك أو الإمام ابن حنبل، هذه ليست فقط فكرة خاطئة بل هي دليل على الجهل في معرفة أساسيات الإسلام».

ويقول[4]: «هو مؤكد أن ليس عليه (أي المسلم) أن يتبع أي من المذاهب مثل الحنفي، الشافعي، المالكي أو الحنبلي، إن فعل هذا يكون من الناحية الشرعية غلط وتعصب ويكون شخص عاصي وسيعامل ضمن الذين فرقوا دين الإسلام إلى عدة طوائف».

ويذكر المؤلف[5] آيات قرآنية نزلت في الكفار والمشركين ويدعي أنها نزلت

---

(١) الكتاب المسمى الدين الخالص (١/ ١٤٠).
(٢) الكتاب المسمى الدين الخالص (١/ ١٦٠).
(٣) كتاب «هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين» (ص/ ١٢)، طباعة دار السلام- الشارقة.
(٤) كتاب «هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين» (ص/ ١٦).
(٥) كتاب «هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين» (ص/ ١٧).

في متبعي المذاهب الأربعة، فيقول: «فبوجود هذه الآيات من القرءان الكريم (التي ذكرها المؤلف) أنه من الواضح أن لا مكان في الدين لمذاهب متعددة ولا يجب اتباع أي من هذه المذاهب أو الفرق».

ويقول[1]: «الحنفي اعتبر الشافعي منافس له والعكس أيضًا، في بعض الأحيان أتباع نفس المذهب يتقاتلون بينهم كأنهم يقاتلون غير المسلمين، معظم هذه الفرق هم تحت تأثير فلسفات وعادات عدة، وهذه العادات والفلسفات دخلت هذه الفرق عبر الإغريق، البوذيين، الوثنيين، الهندوس والمنجمين».

## المجسمة الوهابية أتباع ابن أبي العز يوجبون قتل أهل المذاهب الأربعة

ويقول الوهابي محمد سلطان المعصومي الخجندي[2]: «أي شخص يوجب الاتباع الأعمى لمذهب معين يستتاب ليترك هذا وإن كان غير مستعد يقتل، لأنه اتخذ هذا الإمام الذي يتبعه شريكًا مع الله لأنه يشرع له دينًا غير دين الله» اهـ.

ومع هذا فمحمد بن عبد الوهاب وأتباعه الوهابية يقولون كذبًا وزورًا إنهم حنابلة ويحترمون المذاهب الأربعة والأئمة العلماء ليدخلوا من هذا التمويه إلى الناس ويتمكنوا من إفسادهم حتى قال الدكتور الوهابي ناصر بن عبد الكريم العقل في كتابه المسمى «إسلامية لا وهابية»[3]: «إن محمد بن عبد الوهاب ومشايخ دعوتهم صرحوا أنهم على مذهب الإمام أحمد في الفروع، ويحترمون المذاهب الثلاثة الباقية الحنفي والمالكي والشافعي، بل كثيرًا ما يرجحون غير قول الحنابلة إذا كان الدليل مع أحد المذاهب الأخرى» اهـ.

---

(١) كتاب «هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين» (ص/ ٢١).

(٢) المصدر السابق (ص/ ٣٢).

(٣) الكتاب المسمى «إسلامية لا وهابية» (ص/ ٢٩٦)، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، طباعة دار كنوز إشبيليا، الطبعة الأولى والثانية ٢٠٠٣-٢٠٠٤.

وبهذا يتضح لك تناقض وتضارب زعماء الحركة الوهابية فيما بينهم إلى حدّ تكفير بعضهم بعضًا ومع هذا يكذبون على الناس فيزعمون أنهم يحترمون المذاهب الأربعة وقد رأيت سابقًا فيما مرَّ معك عنوانًا في هذه المسألة وهو «محمد بن عبد الوهاب يعتبر الفقه شركًا والعلماء شياطين» فتكفير الوهابية لأهل المذاهب الأربعة إنما أخذوه من زعيمهم النجدي محمد ابن عبد الوهاب ومع هذا رأيت كيف أنهم يخدعون الناس بقولهم أنهم حنابلة وهذا دليل على أنهم يعملون بالتقية أي أنهم يبطنون خلاف ما يظهرون وهذا يذكرك برأس المنافقين وأتباعه عبد الله ابن أُبي بن سلول الذي كان أيام الرسول ﷺ.

فالوهابية انطلقت في أعمالها الإرهابية من تفجير واغتيالات وقتل وسفك للدماء وتخريب للبلاد واستباحة أموال وأعراض من ليس معهم ومن خالفهم من نقطة خطيرة جدا وهي «التكفير العام الشمولي» وليست فكرة في أذهانهم فقط بل انطلقوا من تكفير الغير إلى تنفيذ القتل وعمليات التخريب والتدمير فعليا بدعوة من مفاتيهم ومشايخهم في المناهج والكتب التي تدرس في مدارسهم وفي جامعاتهم الرسمية وفي مجالسهم، وليس كما يظن بعض الباحثين اليوم أنه مجرد فكر أو عقيدة من غير قتل لمن خالفهم بل بتنفيذهم للاغتيالات وسفك الدماء وتخريب البلاد وتقتيل العباد يظنون أنهم بذلك يتقربون إلى الله، فلينتبه الجميع.

فالوهابية هنا تكفّر كل الشعوب بلا تفصيل لمجرد أن يحكم الرؤساء بالقانون ولا تثور الشعوب عليهم أو يكونوا تحت النظم والقوانين الوضعية كما نراهم في بعض البلاد يحدثون القلاقل والفتن والقتل وسفك الدماء كما سيمر معنا.

# شراح العقيدة الطحاوية هم الأشاعرة والماتريدية

والعقيدة الطحاوية توالى على شرحها كثير من المؤلفين، نذكر من هذه الشروح:

١- شرح إسماعيل بن إبراهيم بن أحمد الشيباني - المتوفى سنة ٦٢٩هـ -.

٢- النور اللامع والبرهان الساطع، تأليف نجم الدين منكوبرس بن يلنقلج عبد الله التركي - المتوفى سنة ٦٥٢هـ.

٣- شرح هبة الله بن أحمد بن معلى التركستاني - المتوفى سنة ٧٣٢هـ -.

٤- القلائد في شرح العقائد، تأليف محمود بن أحمد بن مسعود القونوي - المتوفى سنة ٧٧١هـ -.

٥- شرح القاضي سراج الدين عمر بن اسحاق الهندي الحنفي - المتوفى سنة ٧٧٣هـ.

٦- شرح محمد بن محمد بن محمود البابرتي-المتوفى سنة ٧٨٦هـ.

٧- شرح العقائد الطحاوية، تأليف: محمد بن أبي بكر الغزي الحنفي - كان حيًا سنة ٨٨١هـ -.

٨- شرح المولى محمود بن أحمد بن أبي اسحاق الفقيه الحنفي القسطنطيني - أتم تأليفه سنة ٩١٦هـ.

٩- شرح عقائد الطحاوي، تأليف عبد الرحيم بن علي الأماسي الرومي الحنفي - المتوفى سنة ٩٤٤هـ.

١٠- نور اليقين في أصول الدين، تأليف المولى كافي حسن أفندي الأقحصاري المتوفى سنة ١٠٢٥هـ -.

١١- شرح العقيدة الطحاوية، تأليف عبد الغني الغنيمي الميداني الحنفي - المتوفى سنة ١٢٩٨هـ، وهو مطبوع.

١٢- إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية.

١٣- الدرة البهية في حل ألفاظ العقيدة الطحاوية. كلاهما للإمام الحافظ المجتهد المجدد الشيخ أبو عبد الرحمٰن عبد الله بن محمد بن يوسف بن جامع الهرري المعروف بالحبشي - المتوفى سنة ١٤٢٩هـ -.

## طعن علماء أهل السنة والجماعة في ابن أبي العز المجسم الحنفي وتحذيرهم منه

قال الشيخ شجاع الدين هبة الله بن أحمد بن معلّى التُّركستانيُّ الحنفيُّ الماتريديُّ المتوفى سنة ٧٣٣هـ في كتابه «شرح العقيدة الطحاوية» ما نصه[١]: «وإنما أخرجت هذا الشرح -يعني شرح ابن أبي العز- من جملة كلام صاحب كشف الظنون لسببين اثنين:

- عدم تجانس هذا الشرح مع سائر الشروح المذكورة، وعدم التجانس هو: عدم صحة حمل وصف واحد عليه وعلى الشروح المذكورة معًا، وأعني بالوصف هنا، قولنا: شرحٌ على الطحاوية، فلا يقال:

شرح ابن أبي العز شرح على الطحاوية بينما يقال ذلك في سائر الشروح المذكورة مثلًا: يقال شرح الغزنوي شرح على الطحاوية». وقال[٢]: «وإن أراد ابن أبي العز بـ: الكتاب، كتابَ الله، فقد قال تعالى في محكم كلامه الصدق: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ ومن لم يكفه كلام الله تعالى، فإن قول فقهاء الملة في الطحاوية: (مازال بصفاته قديمًا قبل خلقه. لم يزدد شيئًا لم يكن

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص/ ١٦-١٧) (دار النور، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ ٢٠١٢ر).
(٢) شرح الغزنوي شرح على الطحاوية (ص/ ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥).

قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزليًا، لا يزال عليها أبديًا)، لا يكفيه.

وفي ختام الكلام في هذه الرسالة الموجزة جدًا، والواضحة تمامًا، نقول:

لا يصحُّ أنْ ينتسب ابن تيمية ومتابعوه كابن أبي العز إلى العقيدة الطحاويّة، للاختلاف الجذري والجوهري في كبريات المطالب الكلامية العالية بينهما» اهـ.

والعجب كلُّ العجب كيف أنّ أحمد شاكر لم يعلق على هذه الطامّة، ولعل سكوته لكثرة الطوامّ» اهـ.

قال الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ في كتابه «إنباء الغمر بأبناء العمر» ما نصه[1]: «واولها ان الأديب علي بن أيبك عمل قصيدة لامية على وزن «بانت سعاد» وعرضها على الأدباء والعلماء فقرظوها ومنهم علي بن علاء الدين بن العز الحنفي ثم انتقد فيها أشياء فوقف عليها علي ابن أيبك المذكور فساءه ذلك ودار بالورقة على بعض العلماء فأنكر كل من وقف عليها ذلك وشاع الأمر فالتمس ابن أيبك من ابن العز أن يعطيه شيئًا ويعيد إليه الورقة فامتنع، فدار على المخالفين وألبهم عليه، وشاع الأمر إلى ان انتهى إلى مصر، فقام فيه بعض المتعصبين إلى أن انتهت القضية للسلطان فكتب مرسومًا طويلًا، منه: «بلغنا أن علي أيبك مدح النبي ﷺ بقصيدة وأن علي بن العز اعترض عليه وأنكر أمورًا منها التوسل بالنبي ﷺ والقدح في عصمته وغير ذلك وأن العلماء بالديار المصرية خصوصًا أهل مذهبه من الحنفية أنكروا ذلك فتقدم بطلبه وطلب القضاة والعلماء من أهل المذاهب ونعمل معه ما يقتضيه الشرع من تعزير وغيره»... وفيه «وبلغنا أن جماعة من الشافعية والحنابلة والمالكية يظهرون البدع ومذهب ابن تيمية... واتفق رأيهم على أنه لا بد من تعزير ابن العز... فحكم القاضي الشافعي بحبسه فحبس بالعذراوية ثم نقل إلى القلعة» اهـ.

قال العلامة الحافظ الشيخ عبد الله الهرري رحمه الله تعالى المتوفى سنة

---

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر (ص/ ٩٧ - ٩٨ - ٩٩).

١٤٢٩هـ: «شرح علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الدمشقي ينبغي الحذر من هذا الشرح لأن الشارح هو من المجسمة، فقد حشاه بعبارات التجسيم والتشبيه، تعالى الله عن ذلك، وقد طبع الكتاب مرات عديدة ءاخرها مع تعليق لمحمد ناصر الدين الألباني فزاد الكتاب بعبارات التجسيم» وقال في كتابه إظهار العقيدة السُنية بشرح العقيدة الطحاوية: «فيجب الحذر من شرح له شرحه بعض الحنفية الذين هم ممن قبل أربعة قرون -أي ابن أبي العز المجسم- شحنه مؤلفه بآراء ابن تيمية كقوله بأزلية العالم بنوعه، وقد تبعه في كل شىء حتى في قوله: إن العالم لا ابتداء له فيما مضى، كما أنه لا انتهاء له في المستقبل، ويقول: نوع كلام الله أزلي أما أفراده فحادثة، وكذلك يقول في إرادة الله أي أن ذات الله يحدث فيه كلام بعد كلام وإرادة بعد إرادة من الأزل إلى الأبد اللانهائي، فهذا قول لا تقبله العقول السليمة، لأن النوع لا يتحقق إلا في ضمن الأفراد، فإذا كانت الأفراد حادثة فلا يعقل أن يكون نوع تلك الأفراد أزليًا» اهـ.

قال الدكتور الشيخ سمير بن سامي القاضي في كتابه حاشية الكيفوني على الدرة البهية في حل ألفاظ العقيدة الطحاوية: «لم يجرؤ المجسمة القدماء ولا أذنابهم المحدثون على التصريح بالطعن فيها (أي العقيدة الطحاوية) رغم ما تحمله قلوبهم من غل على الطحاوي رحمه الله ولإمامه النعمان رضي الله عنه ولمذهبهما في العقيدة وفي الفروع، وما كلام ناصر الدين الألباني في تشبيهه الفقه الحنفي بالإنجيل المحرف والتحريف المدسوس في ترجمة الإمام أبي حنيفة من تاريخ بغداد عندما طبعوه إلا مثالين عن بغضهم للإمام رضي الله عنه ولمنهجه، فلما كان الحال كذلك عَمَدُوا إلى وضع بضعة شروح بزعمهم لمتن العقيدة الطحاوية لم يقصدوا منها في الحقيقة الشرح والتوضيح وإنما قصدوا الدسّ والردّ والتحريف والاعتراض، وانظر إذا شئت الشرح المسمّى شرح الطحاوية لابن أبي العز المتنسب تدليسًا للمذهب الحنفي والذي خرّج ناصر الدين الألباني أحاديثه تر واضحًا ما ذكرت لك فحيث يقول الطحاوي ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم

الخالق يُقر الشارح بأن كلام الطحاوي يفيد منع تسلسل الحوادث في الماضي لكنه يخالفه فيقول بجواز حوادث لا أول لها كالفلاسفة والعياذ بالله تعالى، وحيث يقول الطحاوي تعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات يخالفه الشارح فيقول إنّ الله له حدٌّ وإنه في جهةٍ فوق العالم حيث انتهت المخلوقات، وحيث يقول الطحاوي ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر يخالفه الشارح ويقول إن الله ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا نزولًا من عُلوٍ إلى سُفْلٍ وهو النزول المعقول بزعمه عند جميع الأمم فَيَدَّعي أن نزول الله كنزول البشر وغيرهم من المخلوقين، وعلى هذا المنوال يمضي الشرح المزعوم بل هذا التحريف لكلام الطحاوي إلى ءاخره، نسأل الله السلامة، ولذلك قال الملا علي ابن سلطان القاري عند ذكره هذا الشرح إن مؤلفه يُغرِبُ في استدلاله ويخالف العقيدة الحقة ويتبع المبتدعة القائلين بالجهة في حق الباري سبحانه» اهـ.

قال عبد العزيز بن عبد الجبار الحاضري في كتابه «تنزيه الحق المعبود عن الحيز والحدود»[1] كلمة حول عقيدة الإمام الطحاوي - تعالى عن الحدود والغايات - ومدى مخالفة ابن تيمية لها» ما نصه: «وقبل أن أسوق نصوص السادة الحنفية أشير إلى شارح للعقيدة الطحاوية ينتسب إلى المذهب الحنفي في الفروع، ولكنه حشوي في الأصول، وهو علي ابن أبي العز الحنفي المتوفى سنة ٧٩٢ فإنه خالف عقيدة الإمام الطحاوي، وأثبت عظائم نفاها الإمام الطحاوي، كالقول بالقدم النوعي للعالم، وأن الله محلٌ للحوادث، كما أثبت الحدود لله في ذاته، والجهة، وغير ذلك تبعًا لابن تيمية على ما سيأتي.

وقد ذكر الحافظ بن حجر العسقلاني في كتابه «إنباء الغُمْر بأبناء العُمْر» أن علماء الديار المصرية خصوصًا أهل مذهبه أنكروا عليه - ابن أبي العز - أشياء، فطلبوه للقضاء والتعزير، فكان من جملة من توارد على الإنكار عليه سعد الدين

---

(١) تنزيه الحق المعبود عن الحيز والحدود (ص/ ٥٢ إلى ٥٧) (مكتبة اليسر، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧ر).

النووي، وجمال الدين الكردي، وشرف الدين الغزي، وزين الدين بن رجب، وتقي الدين بن مفلح، وأخوه، وشهاب الدين بن حجي[1].

وزيادة في بيان حال ابن أبي العز هذا، أنقل إليك ما قاله عنه الحنفية أنفسهم، خصوصًا ما يتعلق بشرحه على «العقيدة الطحاوية»، وأقتصر على ثلاثة:

الأول: الإمام المحدث الفقيه الأصولي نور الدين أبو الحسن علي بن سلطان القاري الحنفي المتوفى سنة ١٠١٤هـ رحمه الله تعالى:

ذكر هذا الإمام - يعني ملا علي القاري - شارح العقيدة الطحاوية ابن أبي العز الحنفي في «شرحه على الفقه الأكبر» بالأوصاف التالية:

١- بالإغراب، فقال[2]: «لقد أغرب الشارح حيث قال..». وقال[3]: «ومن الغريب أنه استدل..».

٢- بأنه يتبع طائفة من المجسمة وجهلة الحنابلة، وأنه مخالف لأهل السنة والجماعة، وإليك كلامه حيث قال في معرض الرد عليه ما نصه[4]: «وأما علوه تعالى على خلقه، المستفاد من نحو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ[5]﴾[6]. فعلو مكانة ومرتبة، لا علوُّ مكان، كما هو مقرر عند أهل السنة والجماعة، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا».

٣- كما حكم على عقيدته بالبطلان، وأنه تبع فيها طائفة من أهل البدع، وفي ذلك يقول[7]: «والحاصل أن الشارح يقول بعلو المكان مع نفي التشبيه، وتبع فيه

---

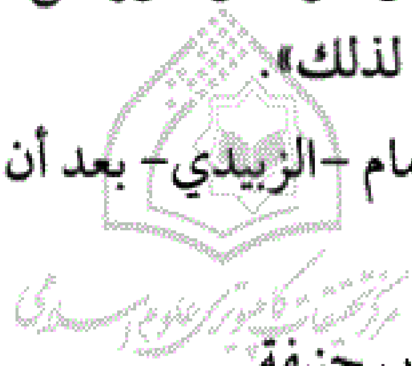
(١) انظر «إنباء الغمر بأبناء العمر» (٢/ ٩٥ - ٩٦ - ٩٧).
(٢) شرح الفقه الأكبر (ص/ ١٧١)، دار الكتب العلمية.
(٣) شرح الفقه الأكبر (ص/ ١٧٢).
(٤) شرح الفقه الأكبر (ص/ ١٧١).
(٥) قال القرطبي (٦/ ٣٩٩): معنى «فوق عباده» فوقية الاستعلاء بالقهر والغلبة عليهم أي هم تحت تسخيره لا فوقية مكان اهـ.
(٦) سورة الأنعام/ ءاية ١٨.
(٧) شرح الفقه الأكبر (ص/ ١٧٢).

طائفة من أهل البدعة... ومن الغريب أنه استدل على مذهبه الباطل برفع الأيدي في الدعاء إلى السماء».

فتحصل من كلام المحدث العلامة القاري أن ابن أبي العز كثير الإغراب، وأن مذهبه باطلٌ، تبع فيه طائفةٌ من المجسمة وجهلة الحنابلة، فخالف بذلك أهل السنة والجماعة.

**الثاني: الإمام الحافظ والفقيه اللغوي السيد محمد بن محمد الحسيني الشهير بمرتضى الزبيدي الحنفي المتوفى سنة ١٢٠٥هـ رحمه الله تعالى:**

يقول في كتابه «إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين» معلقا على شرح ابن أبي العز عند ذكر (صفة الكلام) ما نصه: «ولما تأملته حق التأمل، وجدته مخالفًا لأصول مذهب إمامه، وهو في الحقيقة كالرد على أئمة أهل السنة، كأنه تكلّم بلسان المخالفين، وجازف وتجاوز عن الحدود، حتى شبه قول أهل السنة بقول النصارى، فليتنبه لذلك».



تحصل من كلام هذا الإمام -الزبيدي- بعد أن تأمل شرح ابن أبي العز حق التأمل ما يلي:

١- أنه مخالف لعقيدة إمامه أبي حنيفة.

٢- شرحه كالردّ على أهل السنة.

٣- تكلم بلسان المخالفين.

٤- أنه مجازف ومتجاوز للحدود، حتى شبه قول أهل السنة بقول النصارى.

٥- النتيجة: فليتنبه لذلك.

**الثالث: المحدث الشيخ محمد بن الحسن زاهد الكوثري المتوفى سنة ١٣٧١هـ:**

يقول في كتابه «الحاوي في سيرة الإمام أبي جعفر الطحاوي»، عند بيان

مؤلفات الإمام الطحاوي: «وله عقيدة مشهورة»[1]، قال في هامش الكتاب تعليقًا على ما ذكر: «عقيدة لها شروح، منها شرح نجم الدين أبي شجاع مَنكُوبرس الناصري البغدادي من شيوخ الشرف الدمياطي، ومنها شرح السراج عمر بن اسحاق الغزنوي ثم المصري، ومنها شرح محمود بن أحمد بن مسعود القونوي، ومنها شرح الصدر علي ابن محمد الأذرعي، وتلك الشروح توجد في الخزانات بكثرة، ولها شُرّاح سوى ذلك، وطبع شرح لمجهول -يعني ابن أبي العز- ينسب إلى المذهب الحنفي زورًا ينادي صُنع يدِهِ بأنه جاهل بهذا الفن وأنه حشوي مختل العيار».

فتلخص من كلامه ما يلي:

١- الشارح ليس حنفيًا في الأصول، بل هو حشوي، تمامًا كما وصفه الإمام ملا علي القاري عندما ذكر أنه يتبع طائفة من المجسمة.

٢- جاهل بهذا الفن.

٣- مختل المعيار» اهـ.

(١) الحاوي (ص/ ٣٨).

## التحذير من ضلالات المجسمة ممن شرح الطحاوية
## ابن أبي العز الحنفي ومحمد نجاتي الألباني وابن باز وابن عثيمين وصالح آل الشيخ وصالح الفوزان وسفر الحوالي وخالد المصلح وعبد الله بن جبرين وعبد العزيز الراجحي وعبد الرحمـٰن البراك ومحمد المحمود النجدي وناصر العقل ويوسف الغفيص

لأن العقيدة الطحاوية لاقت شهرة واسعة بين المسلمين وتلقتها الأمة بالقبول من شرقها إلى غربها، وفيها ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، ومؤلفها هو الإمام السلفي أبو جعفر الطحاوي، عمد رؤوس المجسمة المشبهة كابن أبي العز الحنفي تلميذُ تلميذِ المجسم ابن تيمية وأذنابه كابن باز (له دروس صوتية غير مفرّغة يقول فيها كقول ابن أبي العز وله تعليقات مطبوعة) وابن عثيمين وصالح آل الشيخ (تفريغ صوتي) وصالح الفوزان وسفر الحوالي وخالد المصلح (تفريغ صوتي) وعبدالله بن جبرين وعبد العزيز الراجحي وعبد الرحمـٰن البراك والألباني وغيرهم، عمدوا إلى شرحها على طريقتهم الخبيثة في دس سم تشبيههم وتدليسهم وتلبيسهم، وصاروا يتناقلون العبارات منه ليوهموا الناس أن العقيدة الطحاوية توافق عقيدة التشبيه والتجسيم، وكل منهم سمى شرحَه أو كتابه «شرح العقيدة الطحاوية»، أما الألباني سماه «تعليق على الطحاوية» فرَدَّ عليه المجسم إسماعيل الأنصاري واعتبره سيِّء الفهم والتصرف كما في كتابه «نقد تعليقات الألباني على شرح الطحاوية»[1]، وحذَّرَهُ من التسرُّع في الحكم على الحديث لمجرد عدم تحصيله إياه[2]، وهذا من تناقض المجسمة فيما بينهم، وخرَّج الألباني[3] أيضًا لابن أبي العز

---

(١) نقد تعليقات الألباني على شرح الطحاوية (ص/ ٧)، مكتبة الإمام الشافعي - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(٢) المصدر السابق (ص/ ٩).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، طبعة دار الفكر العربي.

كما فعل محمد الحمود النجدي[1]، وأما المجسم محمد صالح المنجد المشرف العام على موقعه الالكتروني المسمى (الإسلام سؤال وجواب)، فتوى رقم (٩٣١٩٧)، تحت عنوان (العقيدة)، فيقول بزعمه ناصحًا باعتماد شرح ابن أبي العز وشروح أذنابه على الطحاوية، ومنتقدًا الطحاوي واصفًا إياه بمخالفة السلف وموافقة المرجئة وأهل البدع والمعطلة: «وقد اهتم كثير من - الذين سماهم - العلماء بشرح هذه العقيدة وتفسير كلماتها ومعانيها، ومن أشهرهم ابن أبي العز الحنفي، حيث كتب شرحا مطولا عليها، ثم من المتأخرين عبدالعزيز بن باز ومحمد ناصر الدين الألباني، وكذا سفر بن عبد الرحمن الحوالي، فيمكن لمن أراد التوسع في فهم معاني الطحاوية الرجوع إلى هذه الشروح». وقال: «عقيدة الطحاوي اقتصرت على جمل المسائل، وإنما الذي كتب لها الذيوع والشهرة في أوساط -المجسمة الذين سماهم- السلفيين خاصة، هو شرحها الذي كتبه ابن أبي العز الحنفي، وهو أهم شروحها وأوسعها مادة، وقد استقى مادة هذا الشرح من كتب ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم». ثم قال: «رغم ما أشرنا إليه من محاسن هذه العقيدة، وشرحها ابن أبي العز؛ ففيها أيضًا عدة مسائل قد انتقدت، لمخالفتها لما عليه السلف؛ مثل قوله في تعريف الإيمان: (والإيمان هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان)؛ فإن الاقتصار على ذلك هو مذهب مرجئة الفقهاء الذين يخرجون أعمال الجوارح من حقيقة الإيمان. وهكذا قوله بعدها: (والإيمان واحد، وأهله في أصله سواء) وفيها أيضًا بعض العبارات المجملة التي تحتمل معاني باطلة، بل كثر استعمالها من أهل البدع في مقاصد تخالف ما عليه السلف الصالح؛ مثل قوله: (وتعالى عن الحدود والغايات، والأركان والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات كسائر المبتدعات)؛ فمثل هذه العبارات يستعملها المعطلة في نفي ما ثبت لله تعالى في كتابه وسنة رسوله، من الصفات الحسنى اللائقة بكماله سبحانه، مثل الوجه

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، المكتبة المسماة أضواء السلف - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

واليدين والعينين، فيسمونها الجوارح والأعضاء، وينزهون الله عنها، ومثل علوه سبحانه فوق خلقه، واستوائه على عرشه في سمائه، فيسمون هذه (جهة، ومكانا) وينزهون الله تعالى عنها. ولأجل ذلك كان من المهم لطالب العلم أن يعتني بأخذ هذه العقيدة عمن شرحها من -المجسمة الذين سماهم- أهل السنة، كابن أبي العز قديما، ومن علمائنا المعاصرين من علق عليها تعليقات مختصرة، كما أشرنا إليه. ويوجد لها شروح صوتية كثيرة، وبعضها مفرغ، مثل شرح صالح آل الشيخ، وشرح يوسف الغفيص، وغيرهما. ولسفر الحوالي شرح وتعليق مطول على شرح ابن أبي العز، يمكن الرجوع إليه» انتهى كلام المجسم محمد صالح المنجد.

ولم يبتعد عنهم ابن جبرين في الطعن في الطحاوي كما في كتابه المسمى «التعليقات الزكية على العقيدة الواسطية»[1]: «وعلى كلٍّ فهو -أي الطحاوي- قد دخل عليه شيء من شبهات أهل الكلام، فلأجل ذلك تعاطى شيئًا من بدعهم واستعمل شيئًا من عباراتهم والله يعفو عنه)» اهـ.

**ونذكر هنا بعض ضلالات المجسم ابن أبي العز الحنفي التي افتراها ودسَّها في شرحه على الطحاوية وما كان منها عند بقية أذنابه المجسمة المشبهة.**

يقول الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرنـؤوط في تعليقهما على شرح المجسم ابن أبي العز للطحاوية[2]: «والشارح قد عاصر كل هؤلاء الذين تأثروا بابن تيمية، ويغلب على الظن أنه قد حَضَرَ دروسهم وأفاد من علومهم وانتفع بتواليفهم فكان لذلك أثر قوي في تكوين اتجاهه ونضوجه العلمي. وقالا[3]: «لكن كتب التراجم التي وقفنا عليها لم يرد فيها ذكر لهؤلاء الشيوخ الذين تتلمذ عليهم، وأغلب الظن أنه تلقى علومه الأولية على أبيه في

(١) الكتاب المسمى التعليقات الزكية على العقيدة الواسطية (١/ ٣٣).

(٢) مؤسسة الرسالة ناشرون، حققه وعلق عليه وخرَّج أحاديثه وقدَّم له عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م (ص/ ٤١).

(٣) المصدر السابق.

البيت، ثم اختلف إلى المدارس يتعلم فيها مختلف العلوم». وقال[1]: «وفي يقيننا أن تلامذة ابن تيمية وبخاصة ابن القيم وابن كثير، كان لهم أكبر الأثر في جذبه إلى منهج السلف، وتحوله إليه واتجاهه الحر في البحث، وعدم التقيد بآراء الآخرين والوقوف عندها». وقال[2]: «وأثرُ الأول منهما وهو ابن القيم واضح في النقول الكثيرة من كتبه في هذا الشرح، وأغلب الظن أنه كان يتصل به ويستفيد منه، ولكنه لا يصرح بالنقل عنه ولا عن ابن تيمية وربما كان يعتمد ذلك لتعم (على زعمه) فائدة كتابه، وينتفع به الموافق والمخالف. وأما ابن كثير فقد ذكره في ثلاثة مواضع من هذا الشرح ووصفه بأنه شيخه». وقال[3]: «ويُرَجِّح من تلك الآراء والمذاهب ما استبان له صوابه لقوة دليله وسلامته من المعارض وإن كان على خلاف مذهبه الذي ينتمي إليه». وقال[4]: «وإنما هو متابع فيها خاصة لابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وكان ينبغي على هؤلاء القضاة الذين بحثوا معه تلك المسائل الذين أصدروا بحقه هذا الحكم القاسي».. «وانتهت إلى السلطان فجاء المرسوم يتضمن أنه أنكر أمورا منها التوسل به -عليه السلام- والقدح في عصمته» اهـ.

وبهذا يتبين أن ابن أبي العز المجسم هو ناشرٌ لعقيدة ابن تيمية وابن قيم الجوزية ولكنه حاول ان يتستر ويخفي ذلك في أول أمره لما يعرف من بغض المسلمين ونفورهم منهما ولما صدر فيهما من فتاوى علماء المذاهب الأربعة ورؤساء القضاة والأمراء والسلاطين تحذيرًا وتنفيرًا منهما لأنهما خرقا الإجماع ووافقا اليهود في عقيدة التشبيه والتجسيم وانتقصا النبي ﷺ وحرما التوسل والتبرك بالأنبياء والأولياء والصالحين والسفر بقصد زيارة قبور الأنبياء والأولياء وأنَّه على نهجهما في عقيدتهما المبتدعة المستحدثة وهذا الاعتراف من الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي والمعروف من هو عندهم ومن شعيب الأرنؤوط يثبت لنا

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) (ص/ ٤٢).

(٤) (ص/ ٤٧).

ولكل العقلاء أن ابن أبي العز ليس سلفيًا وليس حنفيًا ولكنه كان تابعًا لابن تيمية على عقيدةٍ معارضة للقرءان والحديث والإجماع.

والآن أوان البدء بسرد بعض أقوال ابن أبي العز المجسم التي خالف فيها السلف والخلف:

١- يقول المجسم ابن أبي العز في كتابه «شرح العقيدة الطحاوية»[1]: «**فَعَنْ أَبِي يُوسُفَ رَحِمَهُ الله تَعَالَى أَنَّهُ قَالَ لِبِشْرٍ الْمَرِّيسِيِّ: الْعِلْمُ بِالْكَلَامِ هُوَ الْجَهْلُ، وَالْجَهْلُ بِالْكَلَامِ هُوَ الْعِلْمُ، وَقَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ الله تَعَالَى: حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ وَالنِّعَالِ، وَيُطَافَ بِهِمْ فِي الْعَشَائِرِ وَالْقَبَائِلِ، وَيُقَالُ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَأَقْبَلَ عَلَى الْكَلَامِ**».

**الرد:** إنما قال ابن أبي العز هذا الكلام من غير فهم لمعناه لأنه على عقيدة التشبيه والتجسيم فلا يعجبه كلام أهل السنة في التنزيه والتوحيد ولم يدر ابن أبي العز المجسم معنى هذا الكلام أنه ذمٌّ وطعن وقدح في كلام أهل الأهواء والبدع الاعتقادية كالمعتزلة القدرية والمرجئة والمجسمة أمثاله ولما كان علم أهل السنة والجماعة قائمًا على تنزيه الله تعالى عن الجسم وصفاته وعن الحدوث والتغير وعن حلول الحوادث فيه طعن فيه ابن أبي العز موافقًا في ذلك أسياده المجسمة السابقين ونسي ابن أبي العز أن علم الكلام المذموم هو العلم الذي اشتغل به أشياخه كابن تيمية وابن القيم واشتغل به هو وكما قال الذهبي لشيخه وشيخكم ابن تيمية: «يا رجل قد بلعت سموم الفلاسفة ومصنفاتهم مرات وبكثرة استعمال السموم يدمن عليها الجسم وتكمن والله في البدن» وقال له: «يا خيبة من اتبعك فإنه معرضٌ للزندقة والانحلال»[2] فعلم الكلام المذموم ما انتم قائمون على نشره وأشربتم في قلوبكم حبه وهو كلام الفلاسفة والمشبهة المجسمة أئمتكم وليس ما عليه أئمة السلف والخلف.

---

(١) مؤسسة الرسالة ناشرون، حققه وعلق عليه وخرّج أحاديثه وقدّم له عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ص٨١-٨٢.

(٢) نصيحة الذهبي لابن تيمية.

# بيان أن علم الكلام يتضمن الحِجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقليَة والنقلية والرد على المبتدعة المنحرفين وبيان ما يجب من علم التوحيد على كل مكلفٍ وما يجب على بعض المكلفين

اعلم أن العلم بالله تعالى وصفاته أجلّ العلوم وأعلاها وأوجبها وأولاها، ويسمّى **علم الأصول وعلم التوحيد وعلم العقيدة**.

ويسمى هذا العلم أيضًا مع أدلته العقلية والنقلية من الكتاب والسنّة **علم الكلام**، والسبب في تسميته بهذا الاسم كثرة المخالفين فيه من المنتسبين إلى الإسلام وطول الكلام فيه من أهل السنة لتقرير الحق، وقيل لأن أشهر الخلافات فيه مسئلة كلام الله تعالى أنه قديم -وهو الحق- أو حادث. فالحشوية -من طوائف المشبهة- قالت: كلامه صوت وحرف، حتى بالغ بعضهم فقال: ان هذا الصوت أزلي قديم وأن أشكال الحروف التي في المصحف أزلية قديمة، فخرجوا عن دائرة العقل، وقالت طائفة أخرى -وهم المعتزلة قبحهم الله-: إن الله تعالى متكلم بمعنى انه خالق الكلام في غيره كالشجرة التي سمع عندها موسى كلام الله لا بمعنى انه قام بذات الله كلام هو صفة من صفاته، وقال أهل السنة: إن الله متكلم بكلام ذاتي أزلي أبدي ليس حرفا ولا صوتا ولا يختلف باختلاف اللغات.

وموضوع **علم الكلام** هو النظر أي الاستدلال بخلق الله تعالى لإثبات وجوده وصفاته الكمالية وبالنصوص الشرعية المستخرج منها البراهين. وهو **على قانون الاسلام لا على أصول الفلاسفة**، لأن الفلاسفة لهم كلام في ذلك يعرف عندهم بالالٰهيات، وعلماء التوحيد لا يتكلمون في حق الله وفي حق الملائكة وغير ذلك اعتمادا على مجرد النظر بالعقل، بل يتكلمون في ذلك من باب الاستشهاد بالعقل على صحة ما جاء عن رسول الله ﷺ، فالعقل عند علماء التوحيد شاهد للشرع ليس أصلا للدين، وأما الفلاسفة فجعلوه أصلا من غير التفات إلى ما جاء عن

الأنبياء، فلا يتقيدون بالجمع بين النظر العقلي وبين ما جاء عن الأنبياء، على أن النظر العقلي السليم لا يخرج عمّا جاء به الشرع ولا يتناقض معه.

قال الغزالي في «الاحياء» ما نصه[1]: «وأما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات التي نقلها أهل السنة من السلف الصالح لا غير» اهـ.

قال الحافظ ابن عساكر [2]: «اخبرنا الشيخ أبو القاسم عبد الرحمٰن بن الحسن ابن أحمد الجرجاني الصوفي المعروف بالشعر بنيسابور قال: سمعت أبا الحسن علي ابن أحمد المديني يقول: سمعت الإمام أبا محمد عبد الله بن يوسف الجويني يقول: رأيت إبراهيم الخليل عليه السلام في المنام فاهويت لأن أقبل رجليه فمنعني من ذلك تكرما لي فاستدبرت فقبلت عقبيه، فأولته الرفعة والبركة تبقى في عقبي، ثم قلت: يا خليل الله ما تقول في علم الكلام، فقال: يدفع به الشبه والأباطيل» اهـ.

فعلماء الكلام من أهل السنة ذكروا الأدلة العقلية على إثبات وجود الله وإثبات حدوث العالم وهو كل ما سوى الله، وما يجب لله من صفات الكمال التي تليق به، وما يجب تنزيهه عنه من صفات المخلوقين كالجسمية والمكان ومشابهة الخلق وغير ذلك مما لا يجوز أن يوصف الله به.

فمثلا قالوا: من البراهين العقلية على حدوث العالم أن الجسم لا يخلو من الحركة والسكون وهما حادثان لأنه بحدوث أحدهما ينعدم الآخر، فما لا يخلو من الحادث حادث فالأجسام حادثة.

ولهم دليل ءاخر على إثبات حدوث العالم بإثبات حدوث الأعيان والأعراض، فقالوا: **العالم بجميع أجزائه محدث** إذ هو أعيان وأعراض فالأعيان ما له قيام بذاته وهو إما مركب وهو الجسم أو غير مركب كالجوهر -الفرد- وهو الجزء الذي لا يتجزأ، أي **قسموا العالم إلى أعيان وأعراض ولا ثالث لهما**، لأن الأعيان ما له قيام بذاته، والقيام بذاته معناه التحيز بنفسه أي ليس تحيزه تابعا لتحيز شيء ءاخر

---

(١) إحياء علوم الدين: بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة (١/ ٥٢).
(٢) تبيين كذب المفتري (ص/ ٣٥٥ - ٣٥٦).

كالشخص من الأشخاص من بني ءادم وكالفرد من أفراد الحجر والفرد من أفراد الشجر إلى غير ذلك، هذه الأشياء أعيان لأنها متحيزة تحيزا مستقلا أي غير تابع لتحيز شىء اخر، والأعيان إما مركبة من جزئين فأكثر، ويسمى المركب جسما، أو غير مركب كالجوهر، والجوهر في اللغة الأصل وفي اصطلاحهم الجزء الذي لا يقبل الانقسام من التناهي في القلة ويقال له **الجوهر الفرد**، وإنما سمي الجوهر لأنه أصل الأجسام، والأجسام تحصل من جوهرين فأكثر فتصير قابلة للإنقسام ويعبر عنه بالجزء الذي لا يتجزأ.

**والعرَض ما لا يقوم بذاته** يعني أن العرض الذي هو أحد قسمي الحادثات ما لا يقوم بذاته بل بغيره كبياض الجسم الأبيض وسواد الجسم الأسود وحركة الجرم وسكونه ونحو ذلك، فهذه الأعراض حادثة، **والخالق لهذه الأعيان والأعراض هو الله تعالى.**

وقالوا في الرد على المشبهة: لو كان الله يشبه شيئا من الأشياء لكان لا يخلو من أن يكون يشبهه من كل جهاته أو يشبهه من بعض جهاته، فإن كان يشبهه من كل جهاته وجب أن يكون محدثا من كل جهاته، وإن كان يشبهه من بعض جهاته وجب أن يكون محدثا مثله من حيث أشبَهَهُ، لأن كل مشتبهين حكمهما واحد فيما اشتبها به، ويستحيل أن يكون المحدث قديما والقديم محدثا، وقد قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1]، وقال تعالى وتقدس: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[2].

وفي هذا رد على الوهابية المشبهة الذين يشبهون الله تعالى بالبشر فيقولون الله متكلم بحرف وصوت قديم النوع حادث الأفراد، ويقولون بأن الله يتحرك وغير ذلك من ضلالهم والعياذ بالله تعالى، لذلك نراهم يذمون هذا العلم الذي يقض مضجعهم ويبين فساد عقيدتهم.

---

(١) سورة الشورى/ ءاية ١١.

(٢) سورة الاخلاص/ ءاية ٤.

# بيان نشأة علم الكلام

كان الحجاز وما حوله من فلسطين والشام وبلاد الروم والعراق وأرض الفرس والهند وبلاد إفريقية وما والاها حين بُعث النبي ﷺ على الشرك من عبادة الأوثان والأصنام والكواكب وغير ذلك، فقام سيدنا محمد ﷺ بالدعوة إلى الإسلام وأقام الحجة لدعوته بحيث لا يدع لمعاند عذرا، وأيقظ العقول بطريقة لا تعلو عن مدارك العامة ولا يستنكرها الخاصة فدانوا له تباعا، وعلمهم طريق التنزيه وفقههم في أبواب العمل ودربهم على الفضيلة والسجايا الكريمة فانتشرت دعوته ﷺ إلى جميع الآفاق فدانت الأمم بنور هدايته في مشارق الأرض ومغاربها.

وأمهات ما تلقت الأمة من النبي ﷺ هي العلم بالله وصفاته والعلم بالأحكام العملية من عبادات ومعاملات.

وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن الحق لصحة الاعتقاد والمعرفة، ويسألونه عن الباطل والشر للتمكن من المجانبة حتى قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنتُ أسأله عن الشر مخافة أن يُدركني» رواه البخاري[1]، وإنما كان يفعله لتصح له مجانبته لأن من لم يعلم الشر يوشك أن يقع فيه كما قال الشاعر:

عرفتُ الشرَّ لا للشرّ لكن لتوقيهِ ... ومن لا يعرف الشرَّ من الناسِ يقعْ فيهِ

وقد أخبر رسول الله ﷺ أنه سيظهر في زمن الإسلام فرق مختلفة تخالف ما عليه المتمسكون بالكتاب والسنة، فقال عليه الصلاة والسلام: «**إن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين: ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة، وهي الجماعة**»[2] رواه أبو داود.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الفتن: باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة.
(٢) سنن أبي داود: كتاب السنة، باب. شرح السُّنة.

فظهرت بعد وفاته ﷺ فرق عديدة منها المعتزلة ويسمّون القدرية لإنكارهم القدر، والجهمية ويسمّون الجبرية أتباع جهم بن صفوان يقولون إن العبد مجبور في أفعاله لا اختيار له وإنما هو كالريشة المعلقة في الهواء يأخذها الهواء يمنة ويسرة، والخوارج الذين خرجوا على سيدنا علي رضي الله عنه ويكفرون مرتكب المعصية الكبيرة، والمرجئة الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب بمعنى لا يعاقب عصاة المؤمنين في الآخرة، والكرّامية الذين يقولون إن الله تقوم به الحوادث في ذاته وأقواله ويقولون بأن الله ليس له نهاية من الجهات الخمس وله نهاية من الأسفل، والمشبهة والمجسمة -أسلاف الطائفة المسماة بالوهابية في يومنا هذا- الذين يتقوّلون في الله ما لا يُجوّزه الشرع ولا العقل من إثبات الحركة له والنقلة والحد والجهة والقعود والإقعاد[1] والاستلقاء والاستقرار إلى نحوها مما تلقوه بالقبول من دجاجلة الملبسين من الثنوية وعباد الأوثان ومما ورثوه من أمم قد خلت، ويؤلفون في ذلك كتبا يملأونها بالوقيعة في أهل السنة ويتسترون بالسلف مستغلين ما ينقل عن بعض السلف من الأقوال المجملة التي لا حجة فيها، نعم لهم سلف ولكن من غير هذه الأمة وهم على سنة ضلالة ولكن على من سنها الأوزار إلى يوم القيامة.

وكان أناس يواصلون السعي في نشر الإلحاد بين المسلمين وترجمة كتب الفلاسفة والملاحدة والثنوية من الفرس حتى أستفحل أمرهم، فأمر المهدي العلماء من المتكلمين بتصنيف الكتب في الرد على هؤلاء فأقاموا البراهين وأزالوا الشبه وأوضحوا الحق وخدموا الدين. وكان لخصماء الدين من الأسلحة ما لا يمكن مقابلته إلا بمثل أستهم، وجروا مع المسلمين على طريق التدرج في مراحل العداء، فلو تُرك الأمر وشأنه لكاد أن تتسرب شكوكهم إلى قلوب جماعة المسلمين فيطم الخطب.

---

(١) أي زعمهم أن الله يقعد محمدًا إلى جنبه على العرش يوم القيامة، كما قال ابن تيمية في فتاويه وغيرها.

قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه ممزوجا بكلام الشارح البياضي[1]: «[وأصحاب رسول الله ﷺ إنما لم يدخلوا فيه] أي فيما فيه اختلاف الأمة من الاعتقادات [لأن مثلهم] بإفنائهم الزائغين بعد كشف شبههم لإصرارهم في اللجاج لم يحوج إلى التوغل في الاحتجاج، وصار مثلهم فيه وحالهم [كقوم ليس بحضرتهم من يقاتلهم] ويبرز لهم [فلا يتكلفون] ولا يظهرون الكلفة والمشقة في تعاطيهم [السلاح] لدفع من لم يقاتلهم» اهـ، ثم قال: «[ونحن قد ابتلينا] في عصرنا [بمن يطعن] في الاعتقاديات [علينا] من أهل البدع والأهواء [ويستحلّ الدماء منا] ويستطيلون علينا لشيوع بدعتهم، ونصرة بعض ملوك السوء لهم كيزيد بن الوليد ومروان بن محمد من الأموية كما في تاريخ الخلفاء للسيوطي وغيره. [فلا يسعنا أن لا نعلم] بإقامة البراهين اليقينية [من المخطئ منا] أي من المتخالفين [ومن المصيب، وأن لا نذب] ونمنع المخالفين بإقامة الحجج عليهم وإبطال نحلهم [عن] الاستطالة على [أنفسنا وحرمنا، فقد ابتلينا بمن يقاتلنا] من أهل الأهواء بإظهار الشبه والإغراء الذي هو القتال المعنوي [فلا بد لنا] في دفعهم وإزالة شبههم [من] إقامة الحجج الساطعة والبراهين القاطعة التي في معنى [السلاح] فقد أشار إلى أن البحث فيه والمحاجة صارت من الفروض على الكفاية دون البدع المنهية، وصرّح به في «الملتقط» «والتتار خانية» اهـ.

ففي مثل هذه الظروف الحرجة غار الإمام أبو الحسن الأشعري على ما حل بالمسلمين من ضروب النكال وقام لنصرة السنة وقمع البدعة فوفقه الله لجمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم وقمع المعاندين وكسر تطرفهم، وتواردت عليه المسائل من أقطار العالم فأجاب عنها فطبق في ذِكره الآفاق وملأ الدنيا بكتبه وكتب أصحابه في السنة والرد على أصناف المبتدعة والملاحدة، وتفرق أصحابه في بلاد العراق وخراسان والشام وبلاد المغرب ومضى لسبيله وبعد وفاته بيسير استعاد المعتزلة بعض قوتهم في عهد بني بويه لكن الإمام ناصر السنة أبا بكر

(١) إشارات المرام [٣٢ وما بعدها]، بتصرف لا يغير المعنى.

الباقلاني قام في وجههم وقمعهم بحججه، ودانت السنة على الطريقة الأشعرية أهل البسيطة إلى أقصى بلاد إفريقية. وقد بعث ابن الباقلاني في جملة من بعث من أصحابه إلى البلاد أبا عبد الله الحسين بن عبد الله بن حاتم الأزدي إلى الشام ثم إلى قيروان وبلاد المغرب فدان له أهل العلم من أئمة المغاربة وانتشر إلى صقلية والأندلس، وقام بنشر المذهب في الحجاز راوي الجامع الصحيح الحافظ أبو ذر الهروي وأخذ عنه من ارتحل إليه من علماء الآفاق.

وفي كلام المتقدمين من المتكلمين ما ينبغي أن يسترشد به القائمون بالدفاع عن الدين في كل عصر، ومن البيّن أن طرق الدفاع عن عقائد الإسلام ووسائل الوقاية عن تسرب الفساد إلى الأخلاق والأحكام مما يتجدد في كل عصر بتجدد أساليب الأخصام وهي في نفسها ثابتة عند ما حده الشرع لا تتبدل حقائقها، فيجب على المسلمين في جميع أدوار بقائهم أن يتفرغ منهم جماعة لتتبع الآراء السائدة في طوائف البشر والعلوم المنتشرة بينهم وفحص كل ما يمكن أن يأتي من قبله ضرر للمسلمين لا سيما في المعتقد الذي لا يزال ينبوع كل خير ما دام راسخا رصينا ويصير منشأ كل فساد إن استحال واهنا واهيا، فيدرسون هذه الآراء والعلوم دراسة أصحابها أو فوق دراستهم ليجدوا فيها ما يدفعون به الشكوك التي يستثيرها أعداء الدين بوسائط عصرية حتى إذا فوّق متقصد سهامًا منها نحو التعاليم الاسلامية من المعتقد والأحكام ردوها إلى نحره، وإن لم يفعلوا ذلك يسهل على الأعداء أن يجدوا سبيلًا إلى مراتع خصبة بين المسلمين تنبت فيها بذور تلبيساتهم بحيث يصعب اجتثاث عروقها الفوضوية بل تسري سموم الإلحاد في قلوب خالية تتمكن فيها فيهلك الحرث والنسل وقانا الله شر ذلك.

فتبين من ذلك أن نشأة علم الكلام كان ضرورة للرد على أهل البدع من المعتزلة والمجسمة وغيرهما من الفرق الضالة، وللرد على الفلاسفة والملاحدة والمخالفين لأهل الحق في المعتقد.

قال[١] القاضي أبو المعالي بن عبد الملك: «من اعتقد أن السلف الصالح رضي الله عنهم نهوا عن معرفة الأصول وتجنبوها أو تغافلوا عنها وأهملوها فقد اعتقد فيهم عجزا وأساء بهم ظنًا لأنه يستحيل في العقل والدين عند كل من أنصف من نفسه أن الواحد منهم يتكلم في مسئلة العول وقضايا الجد وكمية الحدود وكيفية القصاص بفصول ويباهل عليها ويلاعن ويجافي فيها ويبالغ ويذكر في إزالة النجاسات عشرين دليلا لنفسه وللمخالف ويشقق الشعر في النظر فيها ثم لا يعرف ربه الآمر خلْقَه بالتحليل والتحريم والمكلّف عباده للترك والتعظيم فهيهات أن يكون ذلك، وإنما أهملوا تحرير أدلته وإقرار أسئلته وأجوبته فإن الله سبحانه وتعالى بعث نبينا محمدا صلوات الله عليه وسلامه فأيده بالآيات الباهرة والمعجزات القاهرة حتى أوضح الشريعة وبيَّنها وعلَّمهم مواقيتها وعينها فلم يترك لهم أصلا من الأصول إلا بناه وشيده ولا حكما من الأحكام إلا أوضحه ومهده لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٢]، فاطمأنت قلوب الصحابة لما عاينوا من عجائب الرسول وشاهدوا من صدق التنزيل ببداهة العقول والشريعة غضة طرية متداولة بينهم في مواسمهم ومجالسهم يعرفون التوحيد مشاهدة بالوحي والسماع ويتكلمون في أدلة الوحدانية بالطباع مستغنين عن تحرير أدلتها وتقويم حجتها وعللها، كما أنهم كانوا يعرفون تفسير القرءان ومعاني الشعر والبيان وترتيب النحو والعروض وفتاوى النوافل والفروض من غير تحرير العلة ولا تقويم الأدلة. ثم لما انقرضت أيامهم وتغيرت طباع مَن بعدهم وكلامهم وخالطهم من غير جنسهم وطال بالسلف الصالح والعرب العرباء عهدهم أشكل عليهم تفسير القرءان ومَرَن[٣] عليهم غلط اللسان وكثر المخالفون في الأصول والفروع واضطروا إلى جمع العروض والنحو وتمييز المراسيل من المسانيد والآحاد من التواتر وصنفوا

(١) تبيين كذب المفتري (ص/ ٣٥٤ – ٣٥٥).
(٢) سورة النحل/ ءاية ٤٤.
(٣) في القاموس المحيط: مَرَنَ على الشىء مرونًا ومرانة: تعوَّده (ص/ ١٥٩٢).

التفسير والتعليق وبينوا التدقيق والتحقيق، ولم يقل قائل إن هذه كلها بدع ظهرت أو أنها محالات جمعت ودونت بل هو الشرع الصحيح والرأي الصريح، وكذلك هذه الطائفة كثّر الله عدَدهم وقوى عُدَدهم، بل هذه العلوم أولى بجمعها لحرمة معلومها فإن مراتب العلوم تترتب على حسب معلوماتها والصنائع تكرم على قدر مصنوعاتها، فهي من فرائض الأعيان وغيرها إما من فرائض الكفايات أو كالمندوب والمستحب، فإن من جهل صفة من صفات معلومه لم يعرف المعلوم على ما هو به، ومن لم يعرف البارىء سبحانه على ما هو به لم يستحق اسم الإيمان ولا الخروج يوم القيامة من النيران» اهـ.

## حكم تعلم علم الكلام

قال الشيخ ابن حجر الهيتمي في كتابه «الفتاوى الحديثية» ما نصه[1]: «الذي صرّح به أئمتنا أنه يجب على كل أحد وجوبا عينيًا أن يعرف صحيح الاعتقاد من فاسده، ولا يشترط فيه علمه بقوانين أهل الكلام لأن المدار على الاعتقاد الجازم ولو بالتقليد على الأصح. وأما تعليم الحجج الكلامية والقيام بها للرد على المخالفين فهو فرض كفاية، اللهم إلا إن وقعت حادثة وتوقف دفع المخالف فيها على تعلم ما يتعلق بها من علم الكلام أو ءالاته فيجب عينا على من تأهل لذلك تعلمه للرد على المخالفين» اهـ.

وقال الحافظ اللغوي السيد محمد مرتضى الزبيدي الحنفي في شرح الإحياء ممزوجا بالمتن ما نصه[2]: «[ولم يكن شئ منه -أي علم الكلام- مألوفا في العصر الأول] عند الصحابة والتابعين [فكان الخوض فيه بالكلية من البدع] والمنكرات [ولكن تغير الآن حكمه] باختلاف الأزمنة [إذ حدثت البدع] من المبتدعة [الصارفة عن مقتضى نص القرءان والسنة] ومقتضى النص ما لا يدل اللفظ عليه

(١) الفتاوى الحديثية (ص/ ٢٧).
(٢) إتحاف السادة المتقين (١/ ١٧٥).

ولا يكون ملفوظا لكن يكون من ضرورة اللفظ [ونبغت] أي ظهرت [جماعة لفقوا] أي جمعوا [لها] لتلك البدع [شبها] وإيرادات [ورتبوا فيها كلاما مؤلفا يقرؤه الناس [فصار ذلك المحذور] أي الممنوع منه [بحكم الضرورة] والاحتياج [مأذونا] بالتكلم [فيه] تعلما وتعليما [بل صار] القدر المحتاج إليه [من فروض الكفايات] وقال السبكي ولا شك أن السكوت عنه ما لم تدع إليه الحاجة أولى والكلام فيه عند فقد الحاجة بدعة وحيث دعت إليه الحاجة فلا بأس به [وهو القدر الذي يقابل به المبتدع إذا قصد الدعوة] أي دعاء الناس [إلى البدعة وحملهم عليها» اهـ.

وقال الشيخ شمس الدين الرملي الشافعي في «شرح الزبد» ما نصه[1]: «التوغل في علم الكلام بحيث يتمكن من إقامة الأدلة وإزالة الشبه فرض كفاية على جميع المكلفين الذين يمكن كلاً منهم فعله، فكل منهم مخاطب بفعله لكن إذا فعله البعض سقط الحرج عن الباقين، فإن امتنع جميعهم من فعله أثم كل من لا عذر له ممن علم ذلك وأمكنه القيام به» اهـ.

وقال النووي في «شرح صحيح مسلم» ما نصه[2]: «قال العلماء: البدعة خمسة أقسام واجبة ومندوبة ومحرمة ومكروهة ومباحة، فمن الواجبة نظم أدلة المتكلمين للرد على الملاحدة والمبتدعين وشبه ذلك» اهـ.

وقال الحافظ اللغوي السيد محمد مرتضى الزبيدي في شرح الإحياء ممزوجا بالمتن ما نصه[3] «[فإن قلت: مهما اعترفت بالحاجة إليه في دفع المبتدع] ورد شبهة [والآن فقد ثارت البدع] وهاجت [وعمت البلوى] الناس [وأرهقت الحاجة] أي دنت وقرب وقوعها [فلا بد أن يصير القيام بهذا العلم] والتصدي له [من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الأموال] وحفظها من النهاب [وسائر

---

(١) غاية البيان (ص/ ٢٠).

(٢) شرح صحيح مسلم (٦/ ١٥٤ - ١٥٥).

(٣) إتحاف السادة المتقين (٢/ ٦٢ - ٦٣).

الحقوق] كذلك [وكالقضاء والولاية وغيرهما] من المناصب العامة والخاصة [وما لم يشتغل العلماء بنشر ذلك] وتعليمه [والتدريس فيه والبحث عنه] والتحقيق فيه [لا يدوم ولو ترك] الاشتغال به [لاندرس] بالمرة وانمحى أثره، ولقائل أن يقول لا يحتاج إلى نشره وتعليمه بل يكتفي منه في رد شبه المبتدعة بما ركز في الجبلة والطباع فأجاب بقوله [وليس في مجرد الطباع] ولو كانت سليمة [كفاية] تامة [لحل شبه المبتدعة ما لم يتعلم] ويدأب فيه لأن أكثر هذا العلم أمور دقيقة نظرية [فينبغي أن يكون التدريس فيه والبحث عنه أيضًا من فروض الكفايات] وهذا [بخلاف زمان الصحابة] رضوان الله تعالى عليهم [فإن الحاجة ما كانت ماسة إليه] إما لعدم ظهور البدع في زمانهم أو لاكتفائهم بما أشرق الله من أنوار المشاهدة في صدورهم فكانت الأمور الخفية بالنسبة إلينا جلية عندهم [فاعلم أن الحق] الذي لا محيد عنه [أنه لا بد في كل بلد] من بلاد الإسلام [من قائم بهذا العلم] أي بإزائه [مستقل بدفع شبه المبتدعة الذين ثاروا في تلك البلدة] ونبغوا [وذلك يدوم بالتعليم] ويحفظ بالنشر والإفادة [ولكن ليس من الصواب تدريسه على العموم] أي على عامة الناس [كتدريس الفقه والتفسير] ولوازمهما [فإن هذا] أي علم الكلام [مثل الدواء] الذي لا يحتاج إليه في كل وقت وينتفع به ءاحاد الناس ويستضرُّ بِهِ الآخرون [والفقه مثل الغذاء] للأبدان الذي لا يستغنى عنه بحال في إقامة ناموس البدن [وضرر الغذاء لا يحذر وضرر الدواء محذور لما ذكرنا فيه من أنواع الضرر] التي لا تحصى [فالعالم به ينبغي أن يخصص بتعليم هذا العلم من] وجدت [فيه ثلاث خصال إحداها التجرد للعلم] والاستعداد لطلب المعرفة [والحرص عليه] بالإنكباب على درسه وتعلمه [فإن المحترف] أي المشتغل بالحرفة والصناعة [يمنعه الشغل] الذي هو فيه [عن الاستتمام وإزالة الشكوك إذا عرضت] لعدم استعداده لذلك [والثانية الذكاء] وهو سرعة الإدراك وحدَّة الفهم وقيل هو سرعة اقتراح النتائج [والفطنة] وهي سرعة هجوم على حقائق معان مما توردها الحواس عليها [والفصاحة] وهي ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود

[فإن البليد] المتحير في أمره الذي لا يوصف بذكاء ولا فطنة [لا ينتفع بفهمه] بل هو دائمًا حيران في أمره [والفَدْم] وهو البطيء الفهم [لا ينتفع بحجاجه] أي بمحاجته [فيخاف عليه من ضرر الكلام ولا يرجى فيه نفعه والثالثة أن يكون في طبعه الصلاح] وهو ضد الفساد ويختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال وقوبل في القرءان تارة بالفساد وأخرى بالسيئة [والديانة] وهي التمسك بأمور الدين [والتقوى] وهي تجنب القبيح خوفا من الله تعالى [ولا تكون الشهوات] النفسية [غالبة عليه] وفي معنى الشهوات التعصبات للمذاهب والمباهاة بالمعارف [فإن الفاسق بأدنى شبهة] إذا عرضت [ينخلع عن] ربقة [الدين فإن ذلك يحل عنه الحجز] أي الستر الحاجز [ويرفع الستر بينه وبين الملاذ] الشهوانية [فلا يحرص على إزالة الشبهة] ودفعها [بل يغتنمها ليتخلص من أعباء التكليف] ومشقاته [فيكون ما يفسده مثل هذا المتعلم أكثر مما يصلحه]» اهـ.

قال الشيخ الفقيه تقي الدين السبكي: «أكثر العلوم التي نحن نبحث ونداب فيها الليل والنهار حاصلة عندهم -أي عند الصحابة- بأصل الخلقة من اللغة والنحو والتصريف وأصول الفقه وما عندهم من العقول الراجحة وما أفاض الله عليها من نور النبوة العاصم من الخطأ في الفكر يغني عن المنطق وغيره من العلوم العقلية، وما ألّف الله بين قلوبهم حتى صاروا بنعمته إخوانا يغني عن الاستعداد للمناظرة والمجادلة فلم يكن يحتاجون في علمهم إلا إلى ما يسمعونه من النبي ﷺ من الكتاب والسنة فيفهمونه أحسن فهم ويحملونه على أحسن مَحْمِل ويُنزلونه منزلته، وليس بينهم من يماري فيه ولا يجادل ولا بدعة ولا ضلالة، ثم التابعون على منوالهم قريبا منهم ثم أتباعهم وهم القرون الثلاثة التي شهد النبي ﷺ بأنها خير القرون بعده، ثم نشأ بعدهم وكان قليلًا في أثناء الثاني والثالث أصحاب بدع وضلالات فاحتاج العلماء من أهل السنة إلى مقاومتهم ومجادلتهم ومناظرتهم حتى لا يَلْبِسوا على الضعفاء أمر دينهم ولا يُدخلوا في الدين ما ليس منه، ودخل في كلام أهل البدع من كلام المنطقيين وغيرهم من أهل الإلحاد شيء

كثير ورتبوا عليه شبها كثيرة، فإن تركناهم وما يصنعون استولوا على كثير من الضعفاء وعوام المسلمين والقاصرين من فقهائهم وعلمائهم فأضلوهم وغيروا ما عندهم من الاعتقادات الصحيحة وانتشرت البدع والحوادث ولم يُمْكِنْ كلَّ واحد أن يقاومهم وقد لا يفهم كلامهم لعدم اشتغاله به، وإنما يرد على الكلام من يفهمه ومتى لم يرد عليه تعلو كلمته ويعتقد الجهلاء والأمراء والملوك المستولون على الرعية صحة كلام ذلك المبتدع كما اتفق في كثير من الأعصار وقَصُرت همم الناس عما كان عليه المتقدمون، فكان الواجب أن يكون في الناس من يحفظُ الله به عقائدَ عباده الصالحين ويدفع به شبه الملحدين وأجره أعظم من أجر المجاهد بكثير وبه يحفظ أمر بقية الناس عبادات المتعبدين واشتغال الفقهاء والمحدثين والمفسرين والمقرئين وانقطاع الزاهدين:

**لا يعرفُ الشوقَ إلا من يُكابِدُه... ولا الصبابةَ إلا من يُعانِيها».**

انتهى كلام السبكي الذي نقلناه من شرح الإحياء[1] للحافظ اللغوي السيد محمد مرتضى الزبيدي.

## بيان علم الكلام الممدوح وعلم الكلام المذموم

اعلم أن العاقل يعرف الحق ثم ينظر في نفس القول ويعرضه على الكتاب والسُّنة، فإن كان الكلام معقولا في نفسه مؤيدا بالبرهان ولم يكن على مخالفة الكتاب والسنة فلِمَ ينبغي أن يهجر ويترك وإن لم يتكلم به الصحابة والتابعون، وإن كان الكلام باطلًا يُرد ولا يلتفت إليه، لذلك قال الإمام الحافظ ابن عساكر في كتابه الذي ألّفه في الدفاع عن الإمام الأشعري وبيَّن فيه كذب من افترى عليه ما نصّه[2]: «والكلامُ المذموم كلام أصحاب الأهوية وما يزخرفه أرباب البدع المُرْدية، فأما الكلام الموافق للكتاب والسنّة الموضح لحقائق الأصول عند ظهور

---

(١) إتحاف السادة المتقين (١/ ١٧٧). طبقات الشافعية الكبرى (٦/ ٢٥٥).

(٢) تبيين كذب المفتري (ص/ ٣٣٩).

الفتنة فهو محمود عند العلماء ومن يعلمه، وقد كان الشافعي يحسنه ويفهمه، وقد تكلم مع غير واحد ممن ابتدع، وأقام الحجة عليه حتى انقطع» اهـ.

وقال الحافظ البيهقي في شعب الإيمان[1] في باب القول في إيمان المقلّد والمرتاب ما نصه: «أخبرنا أبو طاهر الفقيه، أنبأنا أبو بكر محمد ابن الحسين القطان، أنبأنا أحمد بن يوسف السلمي، حدثنا محمد بن يوسف الفريابي، حدثنا سفيان، عن جعفر بن برقان، عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه سأله رجل عن شيء من الأهواء فقال: «عليك بدين الأعرابي الغلام في الكُتَّاب وَالْهُ عمن سوَاه».

قال الإمام البيهقي رحمه الله: «وهذا الذي قاله عمر بن عبد العزيز قاله غيره من السلف فإنما هو لأنهم رأوا أنه لا يحتاج إليه لتبيين صحَّة الدين في أصله، إذ كان رسول الله ﷺ إنما بُعِثَ مؤيدا بالحُجج فكانت مشاهدتُها للذين شاهَدُوها، وبلاغُها المستفِيضُ ومن بَلغَه كافيا في إثبات التوحيد والنُّبوَّة معا عن غيرها، ولم يأمَنُوا أن يوسع الناس في علم الكلام، وأن يكون فيهم مَن لا يكملُ عقلهُ ويضعُفُ رأيُه فيرتبك في بعض ضلالة الضالين وشُبَه الملحدين، ولا يستطيع منها مَخْرجا كالرجل الضعيف غير الماهر بالسباحة إذا وَقع في ماءٍ غامرٍ قويّ لم يُؤمَنْ أن يَغرق فيه ولا يقدر على التخلّص منه، ولم ينْهَوا عن علم الكلام لأنَّ عينه مذموم أو غير مفيد، وكيف يكون العلم الذي يُتوصل به إلى معرفة الله عزَّ وجلَّ وعلم صفاته ومعرفة رسله والفرق بين النبيّ الصادق وبين المُتَنَبّيء الكاذب عليه مذموما أو مرغوبا عنه؟ ولكنهم لإشفاقهم على الضُّعفاء لئلا يبلغوا ما يريدون منه فيضِلُّوا نَهَوْا عن الاشتغال به. ثم بسط الحليمي رحمه الله تعالى الكلام في التحريض على تعلُّمه إعدادا لأعداء الله عزّ وجل.

وقال غيره في نهيهم عن ذلك إنما هو لأن السَّلف من أهل السُّنَّة والجماعة كانوا يكتفون بمعجزات الرسل صلوات الله عليهم على الوجه الذي بيَّنا، وإنما يشتغِلُ في زمانهم بعلم الكلام أهلُ الأهواء، فكانوا يَنْهَون عن الاشتغال بكلام أهل

---

(١) شعب الإيمان (١/ ٩٥ - ٩٦).

الأهواء. ثم إنَّ أهل الأهواء كانوا يَدَّعون على أهل السُّنَّة أنَّ مذاهبهم في الأصول تخالف المعقول، فقيَّض الله تعالى جماعة منهم للاشتغال بالنظر والاستدلال حتى تَبحروا فيه، وبينوا بالدلائل النيرة والحجج الباهرة أن مذاهب أهل السنَّة توافق المعقول كما هي موافقة لظاهر الكتاب والسنّة، إلا أنَّ الإيجاب يكون بالكتاب والسنّة فيما يجوز في العقل أن يكون غير واجب دون العقل، وقد كان من السلف من يشرع في علم الكلام ويَرُدّ به على أهل الأهواء» انتهى كلام الحافظ البيهقي.

وقال الشيخ محمد زاهد الكوثري الحنفي في تعليقه على «بيان زغل العلم» ما نصه[1]: «والحق أن عقيدة السنة في الإسلام واحدة سلفا وخلفا لا تتغير ولا تتبدل بل الذي يتجدد هو طريق الدفاع عنها بالنظر لخصومها المتجددة، وذم علم الكلام ممن كان في موضع الإمامة من السلف محمول حتما على كلام أهل البدع وخوض العامي فيه، قال الأستاذ أبو القاسم القشيري وأجاد: لا يجحد علم الكلام إلا أحد رجلين جاهل رَكَنَ إلى التقليد وشقَّ عليه سلوك طرق أهل التحصيل وخلا عن طرق أهل النظر والناس أعداء ما جهلوا فلما انتهى عن التحقق بهذا العلم نهى الناس ليضل كما ضل، أو رجل يعتقد مذاهب فاسدة فينطوي على بدع خفية يلبس على الناس عوار مذهبه ويعمى عليهم فضائح عقيدته ويعلم أن أهل التحصيل من أهل النظر هم الذين يهتكون الستر عن بدعه ويظهرون للناس قبح مقالاته، والقلاب لا يحب من يميز النقود والخلل فيما في يده من النقود الفاسدة كالصراف ذي التمييز والبصيرة وقد قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2]» اهـ.

---

(١) بيان زغل العلم والطلب (ص/ ٢٢).

(٢) سورة الزمر/ ءاية ٩.

# بيان أن من السلف مَن اشتغل بعلم الكلام

اشتغل عدد من علماء السلف بعلم الكلام إلى جانب اشتغالهم بالقرءان والسنة، والذي ألجأهم إلى ذلك الحاجة للرد على أهل البدع والدفاع عن عقيدة أهل الحق وحراستها من تشويشات وشُبَه هؤلاء المنحرفين.

ومن أبرز علماء السلف المشتغلين بهذا العلم الإمام المجتهد محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه، فقد قال الحافظ البيهقي في كتابه «مناقب الشافعي» ما نصه[1]: «وقرأت في كتاب أبي نعيم الأصبهاني حكاية عن الصاحب بن عباد أنه ذكر في كتابه بإسناده عن إسحاق أنه قال: قال لي أبي: كلَّم الشافعي يوما بعض الفقهاء فدقق عليه وحقق، وطالب وضيق، فقلت له: يا أبا عبد الله: هذا لأهل الكلام لا لأهل الحلال والحرام، فقال: أحكمنا ذاك قبل هذا» اهـ.

وقال الربيع بن سليمان: «حضرت الشافعي وحدَّثني أبو شعيب إلا أني أعلم أنه حضر عبد الله بن عبد الحكم ويوسف بن عمرو بن يزيد وحفص الفرد وكان الشافعي يسميه المنفرد، فسأل حفص عبد الله بن عبد الحكم فقال: ما تقول في القرءان، فأبى أن يجيبه فسأل يوسف بن عمرو، فلم يجبه وكلاهما أشار إلى الشافعي، فسأل الشافعي فاحتجَّ عليه الشافعي، فطالت فيه المناظرة فقام الشافعي بالحجة عليه بأن القرءان كلام الله غير مخلوق، وكفَّر حفصا الفرد، قال الربيع: فلقيت حفصا الفرد في المسجد بعدُ فقال: أراد الشافعي قتلي»[2] اهـ.

وللإمام أبي حنيفة رضي الله عنه: [الفقه الأكبر] و[الرسالة] و[الفقه الأبسط] و[العالم والمتعلّم] و[الوصية]، واختلف في نسبتها إلى الإمام كثيرا، فمنهم من ينكر نسبتها للإمام مطلقا ويزعم أنها ليست من عمله، ومنهم من ينسبها إلى محمد بن يوسف البخاري المكنى بابي حنيفة وهذا قول المعتزلة لما فيها

(١) مناقب الشافعي (١/ ٤٥٧).
(٢) الأسماء والصفات (ص/ ٢٥٢)، تبيين كذب المفتري (ص/ ٣٣٩ - ٣٤٠).

من إبطال نصوصهم الزائغة وادعائهم كون الإمام منهم -أي في المعتقد- كما في المناقب الكردرية. والإمام أبو حنيفة وصاحباه أول من تكلم في أصول الدين بالتوسُّع وأتقنها بقواطع البراهين على رأس المائة الأولى، وقد ذكر الأستاذ عبد القاهر البغدادي أن أول متكلمي أهل السنّة من الفقهاء أبو حنيفة والشافعي، ألّف فيه الفقه الأكبر والرسالة في نصرة أهل السنّة إلى مقاتل بن سليمان صاحب التفسير وكان مجسّما، وقد ناظر فرقة الخوارج والقدرية والدهرية وكانت دعاتهم بالبصرة فسافر إليها نيفا وعشرين مرةً، وفضّهم بالأدلة الباهرة، وبلغ في الكلام -أي علم التوحيد- إلى أنه كان المشار إليه بين الأنام، واقتدى به تلامذته الأعلام.

وفي مناقب الكردري عن خالد بن زيد العمري أنه كان أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد وزفر وحماد بن أبي حنيفة قد خَصَمُوا بالكلام الناس أي ألزموا المخالفين وهم أئمة العلم. وعن الإمام أبي عبد الله الصيمري أن الإمام أبا حنيفة كان متكلم هذه الأمة في زمانه، وفقيههم في الحلال والحرام.

هذه الكتب الخمسة ليست من جمع الإمام أبي حنيفة، بل الصحيح أن هذه المسائل المذكورة في هذه الكتب من أمالي الإمام التي أملاها على أصحابه كحماد وأبي يوسف وأبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي وأبي مقاتل حفص بن سلم السمرقندي، فهم الذين قاموا بجمعها، وتلقاها عنهم جماعة من الأئمة كإسماعيل بن حمّاد ومحمد بن مقاتل الرازي ومحمّد بن سماعة ونصير بن يحيى البلخي وشداد بن الحكم وغيرهم، إلى أن وصلت بالإسناد الصحيح إلى الإمام أبي منصور الماتريدي، فمن عزاهن إلى الإمام صح لكون تلك المسائل من إملائه، ومن عزاهن إلى أبي مطيع البلخي أو غيره ممن هو في طبقته أو ممن هو بعدهم صح لكونها من جمعه، ذكر ذلك الفقيه المحدّث اللغوي محمد مرتضى الزبيدي[1].

وقال العلامة الأصولي الزركشي في تشنيف المسامع: «إن الأئمة انتدبوا للرد على أهل البدع والضلال، وقد صنّف الشافعيّ كتاب [القياسِ] ردّاً فيه على من

(١) إتحاف السادة المتقين (٢/ ١٣ - ١٤).

قال بقدم العالم من الملحدين، وكتاب [الرد على البراهمة] وغير ذلك، وأبو حنيفة كتاب [الفقه الأكبر] وكتاب [العالم والمتعلّم] رد فيه على المخالفين، وكذلك مالك سئل عن مسائل هذا العلم فأجاب عنها بالطريق القويم، وكذلك الإمام أحمد» اهـ.

وقد صنّف سيد المحدّثين في زمانه محمّد بن إسماعيل البخاري -المتوفى سنة ٢٥٦هـ- كتاب [خلق أفعال العباد]، وصنَّف المحدث نعيم بن حماد الخزاعي وهو من أقران الإمام -المتوفى في حبس الواثق سنة ٢٢٨هـ- كتابا في الردّ على الجهمية وغيرهم، وصنَّف المحدّث محمّد بن أسلم الطوسي -المتوفى سنة ٢٤٢هـ- وهو من أقران الإمام أحمد أيضًا في الردّ على الجهمية، وقد ردّ على المعتزلة فأجاد بالتأليف ثلاثة من علماء السنّة من أقران الإمام أحمد بن حنبل: الحارث المحاسبي، والحسين الكرابيسي، وعبد الله ابن سعيد بن كُلاّب -المتوفى بعد الأربعين ومائتين بقليل- ويمتاز الأول بإمامته أيضًا في التصوف.

وقد صنَّف إماما أهل السنّة والجماعة في عصرهما وبعده إلى يومنا هذا أبو الحسن الأشعري وأبو منصور الماتريدي المصنفات العظيمة في الردّ على طوائف المبتدعة والمخالفين للإسلام مملوءة بحجج المنقول والمعقول، وامتاز الأول بمناظراته العديدة للمعتزلة بالبصرة التي فلّ بها حَدَّهم وقلل عددهم. وكانت وفاة الأشعري في سنة أربع وعشرين وثلاثمائة للهجرة، وتوفي الشيخ أبو منصور بعد وفاة الأشعري بقليل.

وصنَّف أتباعهما من بعدهما المئات من المجلدات في الردّ على المبتدعة والمخالفين للإسلام بالحجج الدامغة الكثيرة والمناظرات العديدة قطعوا بها المعتزلة الذين هم أفحل طوائف المبتدعة، كما قطعوا غيرهم من المبتدعة والدهريين والفلاسفة والمنجّمين، ورفعوا لواء مذهب الأشعري في الخافِقَيْن[1] وأبرزهم في نشره ثلاثة: الأستاذ أبو بكر بن فُورَك، وأبو إسحاق الإسفراييني، والقاضي

---

(١) المشرق والمغرب.

الإمام أبو بكر الباقلاني، فالأولان نشراه في المشرق، والقاضي نشره في المشرق والمغرب، فما جاءت المائة الخامسة إلا والأمة الإسلامية أشعرية وماتريدية لم يشذّ عنها سوى نذر من المعتزلة وشرذمة من المشبّهة وطائفة من الخوارج، فلا تجد عالما محقّقا أو فقيها مدققا إلا وهو أشعري أو ماتريدي.

**فائدة مهمة:** قال الشيخ الفقيه الأصولي الزركشي في كتابه تشنيف المسامع[1] ما نصه: «قال الإمام أبو بكر الإسماعيلي[2] أعاد الله هذا الدين بعدما ذهب يعني أكثره بأحمد ابن حنبل وأبي الحسن الأشعري وأبي نعيم الإستراباذي، وقال أبو إسحاق المَرْوَزي: سمعت المحاملي يقول في أبي الحسن الأشعري: لو أتى الله بقُراب الأرض ذنوبا رجوت أن يغفر الله له لدفعه عن دينه، وقال ابن العربي: كانت المعتزلة قد رفعوا رءوسهم حتى أظهر الله الأشعري فحجزهم في أقماع السماسم» اهـ.

ومثل هذا يقال في أبي منصور الماتريدي لأنه مثله قام بتقرير عقيدة السلف بالأدلة النقلية والعقلية بإيضاح واسع، فقد جمع هذان الإمامان الإثبات مع التنزيه فليسا على التشبيه ولا التعطيل ولعن الله من يسمي الأشعري أو الماتريدي معطلًا، فهل خالفا التنزيه الذي ذكره الله بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[3]، فإنهما نفيا عن الله الجسمية وما ينبني عليها، وهذا ذنبهما عند المشبهة كالوهابية ومن سبقهم من المشبهة، فإن المشبهة قاست الخالق بالمخلوق فنفت موجودا ليس جسما، والإمامان ومن تبعهما وهم الأمة المحمدية قالوا إن الله لو كان جسما لكان له أمثال لا تحصى.

وهذا هو دين الله الذي كان عليه السلف الصالح وتلقاه عنهم الخلف

---

(١) تشنيف المسامع (ص/ ٣٩٥)، مخطوط.

(٢) أبو بكر الإسماعيلي الذي مر ذكره أحد أكابر حفاظ الحديث له مستخرج على البخاري، وأصحاب المستخرجات متبحرون في حفظ الحديث.

(٣) سورة الشورى/ ءاية ١١.

الصالح، وطريقة الأشعري والماتريدي في أصول العقائد متحدة. فالمذهب الحق الذي كان عليه السلف الصالح هو ما عليه الأشعرية والماتريدية وهم مئات الملايين من المسلمين، فكيف يكون هؤلاء السوادُ الأعظم على ضلال وتكون شرذمة هي نحو ثلاثة ملايين على الحق؟!، والصواب أن الرسول عليه السلام أخبر بأن جمهور أمته لا يضلون وذلك من خصائص هذه الأمة، ويدل على ذلك ما رواه الترمذي وابن ماجه وغيرهما[١]: «إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة» وعند ابن ماجه زيادة: «فإذا رأيتم اختلافا فعليكم بالسواد الأعظم»[٢]، ويقوي هذا الحديث الحديث الموقوف[٣] على أبي مسعود البدري: «وعليكم بالجماعة فإن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة» قال الحافظ ابن حجر[٤] «وإسناده حسن»، والحديث الموقوف[٥] على عبد الله بن مسعود وهو أيضًا ثابت عنه: [ما رءاه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن، وما رءاه المسلمون قبيحا فهو عند الله قبيح»، قال الحافظ ابن حجر[٦]: «هذا موقوف حسن» ولا ينافي ما قررناه من أن الجمهور معصومون من الضلالة ما صح مرفوعا إليه ﷺ من قوله[٧]: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة»، فإن هذا أريد به طائفة متمسكة من

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الفتن: باب ما جاء في لزوم الجماعة، وابن ماجه في سننه: كتاب الفتن: باب السواد الأعظم، والحاكم في المستدرك (١/ ١١٥ و١١٦)، وأحمد في مسنده (٦/ ٣٩٦).

(٢) قال المناوي (أمتي) أي أمة الإجابة «لن» وفي لفظ «لا» (تجتمع على ضلالة) ومن ثم إجماعهم حجة (فإذا رأيتم اختلافًا) في أمر الدين كالعقائد والدنيا كالتنازع في شأن الإمامة العظمى أو نحو ذلك (فعليكم بالسواد الأعظم) من أهل الإسلام أي الزموا متابعة جماهير المسلمين فهو الحق الواجب والفرض الثابت الذي لا يجوز خلافه فمن خالف مات ميتة جاهلية فيض القدير (٢/ ٥٤٦).

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (ص/ ٤٢).

(٤) موافقة الخبر الخبر (١/ ١١٥).

(٥) مسند أحمد (١/ ٣٧٩)، وانظر كشف الأستار (١/ ٨١).

(٦) موافقة الخبر الخبر (١/ ١١٥).

(٧) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٤٤٩).

بينهم بالدين على الكمال ولا شك أن المتمسكين بالدين على الكمال هم أقل الأمة، وليس معنى ذلك أن أكثر المنتسبين إلى الإسلام يكونون ضالين من حيث العقيدة خارجين عن الإسلام كما صرحت بذلك الوهابية ووافقهم أبو الأعلى المودودي، فعندهم جمهور المنتسبين للإسلام ليسوا على الهدى بل على الشرك، وقد صح[1] أن أهل الجنة مائة وعشرون صفا ثمانون من هذه الأمة، فلا يمكن أن يكون هؤلاء الثمانون هذه الشرذمة الوهابية، وهل كانت الوهابية قبل قرنين، فإن معتقدها منبثق من محمد بن عبد الوهاب المتوفى سنة مائتين وألف وست للهجرة وبعض معتقداتها مأخوذ من أحمد بن تيمية المتوفى سنة سبعمائة وثمان وعشرين للهجرة وهو شذ عما كان عليه من قبله من أهل الحق بقوله: إن جنس العالم ليس حادثا إنما الحادث الأفراد أي الأشخاص المعينة فكل شخص وفرد عنده حادث ولكن إلى ما لا نهاية له ولا ابتداء، فجعل العرش أزليًا بنوعه وجنسه بمعنى أن العرش لم يزل مع الله ولكن عينه ليس دائما بل يتجدد كل ءان بعد عدم، وقد نقل ذلك عنه الإمام جلال الدين الدَّواني وهو من ثقات العلماء كما وثقه الحافظ السخاوي في «البدر اللامع في تراجم أهل القرن التاسع»، ونسب إلى ابن تيمية ذلك الحافظان الجليلان المعاصران له وهما الحافظ المجتهد تقي الدين السبكي والحافظ أبو سعيد العلائي.

وفيما ذهب إليه ابن تيمية تكذيب لقول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ[2]﴾[3]، لأن مراد الله تعالى بأوليته الأولية المطلقة ليست الأولية المقيدة النسبية، لأن ذلك ليس لله تعالى فيه خصوصية، إذ الماء والعرش لهما تلك الأولية النسبية لأنهما أول ما خلق الله لم يخلق الله قبلهما شيئا كما نطق بذلك الحديث الصحيح[4]: «كان الله ولم

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب صفة الجنة: باب ما جاء في وصف أهل الجنة.

(٢) قال البغوي في تفسيره هو الأول قبل كل شيء بلا ابتداء كان هو ولم يكن شيء موجودًا (٨/ ٢٩).

(٣) سورة الحديد/ ءاية ٣.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق: باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [سورة الروم].

يكن شيء غيره»، فثبت أن ابن تيمية كذَّب هذا الحديث الصحيح كما كذَّب الآية المذكورة وكذَّب الإجماع لأنه لم يقل قبله أحد من المسلمين إن نوع العالم لم يزل مع الله أزليًا، وإنما قال بذلك متأخرو الفلاسفة الذين هم على خلاف رأي إرسطو. ولم يخش ابن تيمية من الله حيث افترى على أئمة أهل السنة والحديث بنسبته ذلك إليهم ولا يعرف واحد منهم قال ذلك، لكن ابن تيمية يربأ بنفسه عن أن يُنسب إلى موافقة رأي المحْدَثين من الفلاسفة الذين وافقهم برأيهم القائلين بمثل مقالته، وليست هذه المسألة من المسائل التي يدخلها الاجتهاد بل من أخطأ فيها كفر بالإجماع، قال السبكي في شرح عقيدة ابن الحاجب: «اعلم أن حكم الجواهر والأعراض كلها الحدوث فإذا العالم كله حادث، وعلى هذا إجماع المسلمين بل كل الملل ومن خالف في ذلك فهو كافر لمخالفة الإجماع القطعي» اهـ، ذكر ذلك المحدث الحافظ اللغوي مرتضى الزبيدي في شرح إحياء علوم الدين[1].

وكذلك كان ابن هرمز من العارفين بعلم الكلام، فقد قال الحافظ البيهقي في «شعب الإيمان» ما نصه[2]: «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني أحمد بن سهل، ثنا إبراهيم بن معقل، ثنا حَرملة، ثنا ابن وهب، ثنا مالك أنه دخل يوما على عبد الله بن يزيد بن هرمز فذكر قصة، ثم قال: وكان -يعني ابن هرمز- بصيرا بالكلام، وكان يردُّ على أهل الأهواء، وكان من أعلم الناس بما اختلفوا فيه من هذه الأهواء» اهـ.

وابن هرمز توفي سنة ١٤٨هـ، قال فيه الذهبي في «السير»[3]: «فقيه المدينة، عداده في التابعين وقلّما روى، كان يتعبد ويتزهد، وجالسه مالك كثيرا وأخذ عنه. قال مالك: «كنت أحب أن أقتدي به، وكان قليل الفتيا شديد التحفظ، كثيرا ما يفتي الرجل ثم يبعث من يرده ثم يخبره بغير ما أفتاه، وكان بصيرا بالكلام يرد على أهل الأهواء، كان من أعلم الناس بذلك، بيَّن مسئلة لابن عجلان فلما فهمها قام

---

(١) إتحاف السادة المتقين (٢/ ٩٤).
(٢) شعب الإيمان (١/ ٩٦).
(٣) سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٧٩ - ٣٨٠).

إليه ابن عجلان فقبَّل رأسه»، ثم قال الذهبي: «قال مالك: جلست إلى ابن هرمز ثلاث عشرة سنة واستحلفني أن لا أذكر اسمه في الحديث» اهـ.

فمن هنا يُعلم أن ما يُروى عن مالك أنه ذم علم الكلام محمول على كلام المبتدعة وأهل الأهواء وليس علم الكلام الممدوح الذي كان ابن هرمز شيخ الإمام مالك بصيرا به كما روى ذلك عنه مالك نفسه من غير إنكار، فالمذموم من هذا العلم ما خالف القرءان أو الحديث أو الإجماع.

وكذلك قطع قاضي البصرة إياس بن معاوية القدرية، وكان يضرب به المثل في الذكاء والدَّهاء والسؤْددِ والعقل، روى الحافظ أبو نُعَيْم في «الحلية»[1] عن حبيب بن الشهيد قال: «سمعت إياس بن معاوية يقول: ما كلمت أحدا من أصحاب الأهواء بعقلي كله إلا القدرية، فإني قلت لهم: ما الظلم فيكم؟ قالوا: أن يأخذ الإنسان ما ليس له، فقلتُ لهم: فإن لله عز وجل كل شيء» اهـ.

ومن الذين اشتغلوا بعلم الكلام للرد على أهل البدع الشيخ الحارث بن أسد المحاسبي شيخ الجنيد رحمهما الله تعالى.

والكلام بالرد على أهل البدع بدأ في عصر الصحابة، فأول متكلمي أهل السنة من الصحابة علي بن أبي طالب لمناظرته الخوارج في مسائل الوعد والوعيد ومناظرته القدرية في القدر والقضاء والمشيئة والاستطاعة، ثم عبد الله بن عمر في كلامه على القدرية وبراءته منهم ومن زعيمهم المعروف بمعبد الجهني. وادَّعت القدرية أن عليّا كان منهم. وزعموا أن زعيمهم واصل بن عطاء الغزّال أخذ مذهبه من محمد وعبد الله ابني علي رضي الله عنه وهذا من بهتهم وكذبهم، ومن العجائب أن يكون ابنا علي قد علّما واصلًا رَدَّ شهادة علي وطلحة والشكَّ في عدالة علي، أَفتَرَاهما علّماه إبطال شفاعة علي وشفاعة صهر المصطفى.

وأول متكلمي أهل السنة من التابعين عمر بن عبد العزيز وله رسالة بليغة

---

(١) حلية الأولياء (٣/ ١٢٤).

في الرد على القدرية، ثم زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وله كتاب في الرد على القدرية، ثم الحسن البصري وقد ادَّعَتْه القدرية فكيف يصح لها هذه الدعوى مع رسالته إلى عمر بن عبد العزيز في ذم القدرية ومع طرده واصلًا عن مجلسه عند إظهاره بدعَتَهُ، ثم الشعبي وكان أشد الناس على القدرية، ثم الزهري وهو الذي أفتى عبدَ الملك بن مروان بدماء القدرية، ومن بعد هذه الطبقة جعفر ابن محمد الصادق وله كتاب في الرد على القدرية وكتاب في الرد على الخوارج، وهو الذي قال: «أرادت المعتزلة أن تُوَحّد ربَّها فَأَلحَدَتْ وأرادت التعديل فنسبت البخل إلى ربها».

وأول متكلميهم من الفقهاء وأرباب المذاهب أبو حنيفة والشافعي فإن أبا حنيفة له كتاب في الرد على القدرية سماه كتاب الفقه الأكبر، وقال صاحبه أبو يوسف في المعتزلة: إنهم زنادقة، وللشافعي كتابان في الكلام أحدهما في تصحيح النبوة والرد على البراهمة والثاني في الرد على أهل الأهواء، وذكر طرفا من هذا النوع في كتاب «القياس» وأشار فيه إلى رجوعه عن قبول شهادة المعتزلة وأهل الأهواء.

ثم من بعد الشافعي تلامذته الجامعون بين علم الفقه والكلام كالحارث بن أسد المحاسبي وأبي علي الكرابيسي وحرملة البُوَيْطي وداود الأصبهاني، وعلى كتاب الكرابيسي في المقالات مُعَوَّلُ المتكلمين في معرفة مذاهب الخوارج وسائر أهل الأهواء، وعلى كتبه في الشروط وفي علل الحديث والجرح والتعديل مُعَوَّلُ الفقهاء وحفاظ الحديث، وعلى كتب الحارث بن أسد في الكلام والفقه والحديث مُعَوَّلُ متكلمي أصحابنا وفقهائهم وصوفيتهم، وكان أبو العباس بن سُرَيج أنزع الجماعة في هذه العلوم.

ومن متكلمي أهل السنة في أيام المأمون عبد الله بن سعيد التميمي الذي دَمَّر على المعتزلة في مجلس المأمون وفضحهم ببيانه وءاثار بيانه في كتبه وهو أخو يحيى ابن سعيد القطان وارث علم الحديث وصاحب الجرح والتعديل، ومن تلامذة عبد الله بن سعيد عبد العزيز المكي الكتاني الذي فضح المعتزلة في مجلس المأمون،

وتلميذه الحسين بن الفضل البجلي صاحب الكلام والأصول وصاحب التفسير والتأويل وعلى نكته في القرءان مُعَوَّلُ المفسرين وهو الذي استصحبه عبد الله بن طاهر والي خراسان إلى خراسان فقال الناس: إنه قد أخرج علم العراق كله إلى خراسان، ومن تلامذة عبد الله بن سعيد أيضًا الجنيد شيخ الصوفية وإمام الموحدين وله في التوحيد رسالة على شرط المتكلمين وعبارة الصوفية، ثم بعدهم شيخ النظر وإمام الآفاق في الجدل والتحقيق أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري الذي صار شجا في حلوق القدرية والنجارية والجهمية والجسمية والخوارج وقد ملأ الدنيا كتبه وما رُزِقَ أحد من المتكلمين من التَّبَع ما قد رُزِقَ لأن جميع أهل الحديث وكل من لم يتمعزل من أهل الرأي على مذهبه، ومن تلامذته المشهورين أبو الحسن الباهلي وأبو عبد الله بن مجاهد وهما اللذان أَثْمَرا تلامذة هم إلى اليوم شموس الزمان وأئمة العصر كأبي بكر محمد بن الطيب قاضي قضاة العراق والجزيرة وفارس وكرمان وسائر حدود هذه النواحي، وأبي بكر محمد بن الحسين بن فورك، وأبي إسحاق إبراهيم بن محمد المهراني، وقبلهم أبو الحسن علي بن مهدي الطبري صاحب الفقه والكلام والأصول والأدب والنحو والحديث، ومن ءاثاره تلميذ مثل أبي عبد الله الحسين بن محمد البزازي صاحب الجدل والتصانيف في كل باب من الكلام، وقبل هذه الطبقة شيخ العلوم على الخصوص والعموم أبو علي الثقفي، وفي زمانه كان إمام أهل السنة أبو العباس القلانسي الذي زادت تصانيفه في الكلام على مائة وخمسين كتابا، وتصانيف الثقفي ونقوضه على أهل الأهواء زائدةٌ على مائة كتاب.

قال أبو منصور البغدادي: وقد أدركنا منهم في عصرنا أبا عبد الله بن مجاهد ومحمد بن الطيب قاضي القضاة ومحمد بن الحسين بن فورك إبراهيم بن محمد المهراني والحسين بن محمد البزازي، وعلى منوال هؤلاء الذين أدركناهم شيخنا وهو لإحياء الحق كل وعلى أعدائه غلٌّ.

ذكرنا ذلك كله من كتاب «أصول الدين» للبغدادي[1].

---

(١) أصول الدين (ص/ ٣٠٧).

# بيان منهج علماء الكلام في تقرير العقيدة

اعلم أن أصول التوحيد وسائر أمور العقيدة الحقة قامت على حقيتها حجج الكتاب والسنة الواضحة وإجماع الأمة الهادية، وبراهين العقول المستقيمة التي هي شاهدة للشرع وذلك مما اختص به الإسلام من بين الأديان لأنه لم يأت بشيء إلا والعقل شاهد له، أما سائر الأديان فعلى خلاف ذلك، لذا كانت مصنفات أهل الحق في ترتيب الأدلة للرد على المبتدعة والملحدين والمنحرفين مبنية على ما ذكرنا، وتفصيل ذلك ما يلي:

١- **القرءان**: وهو أصل الحجج وبه تثبت الرسالة وقامت الحجة على دحض الضلال، وهو المهيمن على الكتب السماوية، وبه يميّز الحق من الباطل، وقد أمر الله برد المتنازع فيه إليه وإلى رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[1]، والرد إلى الله هو الرد إلى القرءان، والرد إلى الرسول هو الرد إلى الأحاديث الصحاح الثابتة عن رسول الله ﷺ.

٢- **السُّنة**: اعلم أن الاحتجاج بالحديث في أمور الاعتقاديات يشترط فيه أن يكون الراوي متفقًا على ثقته أي أن يرد الحديث بإسناد غير مختلف فيه كما ذهب إلى ذلك أهل التنزيه من المحدِّثين والفقهاء، فلا يكفي الاحتجاج بالحديث الذي ورد من طريق ضعيف لو اعتضد كما قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في «شرح صحيح البخاري»، ونص عبارته[2]: «لفظ الصوت مما يتوقف في إطلاق نسبته إلى الرب ويحتاج إلى تأويل، فلا يكفي فيه مجيء الحديث من طريق مختلف فيها ولو اعتضدت» اهـ أي لا يكفي ذلك في مسائل الاعتقاد.

وذكر الحافظ الفقيه الخطيب البغدادي في كتابه «الفقيه والمتفقّه» ما نصه: «والثانية: لا تثبت الصفة لله بقول صحابي أو تابعي إلا بما صح من الأحاديث

---

(١) سورة النساء/ ءاية ٥٩.

(٢) فتح الباري (١/ ١٧٤).

النبوية المرفوعة المتفق على توثيق رواتها، فلا يحتج بالضعيف ولا بالمختلف في توثيق رواته حتى لو ورد إسنادٌ فيه مُخْتَلَف فيه وجاء حديث ءاخر يَعْضِدُه فلا يُحتَجُّ به» اهـ.

وقد نقل البيهقي في «الأسماء والصفات»[1] عن أبي سليمان الخطابي أنه لا تثبت لله صفة إلا بكتاب ناطق أو خبر مقطوع بصحته.

وكذلك يحتج بالحديث المتواتر وهو أعلى درجات الحديث الصحيح، والمتواتر هو ما أخبر به جمع كثير عن مشاهدة وإحساس واستمرت هذه الكثرة في الطبقة الأولى وهي التي شاهدت المخْبِرَ به والثانية والثالثة، فهذا الخبر لا يحتمل الكذب.

وأمّا ما نزل عن التواتر فهو مستفيض ويقال له المشهور، ومنه ما هو دون ذلك، فالمستفيض الذي هو المشهور حجة في الاعتقاديات لإفادته العلم كالمتواتر، والمشهور هو ما رواه ثلاثة عن ثلاثة فأكثر، وقد اشترط أبو حنيفة وأتباعه من الماتريدية أن يكون الحديث في درجة المشهور للاحتجاج به في أمور العقيدة، واحتج في رسائله التي ألفها في الاعتقاد بنحو أربعين حديثا من قبيل المشهور جمعها كمال الدين البياضي.

وأما ما نزل عن ذلك فلا يحتج به لإثبات الصفات.

٣- **الإجماع**: وهو إجماع أهل الحق في مسئلة دينية، فالأصل الذي يبنى عليه إثبات قدم صفات الله تعالى هو الإجماع القطعي، قال السبكي في شرح عقيدة ابن الحاجب: «اعلم أن حكم الجواهر والأعراض كلها الحدوث فإذا العالم كله حادث، وعلى هذا إجماع المسلمين بل كل الملل ومن خالف في هذا فهو كافر لمخالفته الإجماع القطعي» اهـ انظر «إتحاف السادة المتقين»[2].

٤- **العقل**: اعلم أن الله تبارك وتعالى حث عباده في القرءان على النظر

---

(١) الأسماء والصفات (ص/ ٣٣٥).

(٢) إتحاف السادة المتقين (٢/ ٩٤).

في ملكوته لمعرفة جبروته فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[2]. وعلماء التوحيد لا يتكلمون في حق الله وفي حق الملائكة وغير ذلك اعتمادا على مجرد النظر بالعقل، بل يتكلمون في ذلك من باب الاستشهاد بالعقل على صحة ما جاء عن رسول الله ﷺ، فالعقل عند علماء التوحيد شاهد للشرع ليس أصلا للدين، على أن النظر العقلي السليم لا يخرج عما جاء به الشرع ولا يتناقض معه.

واعلم أيضًا أن علماء الحديث ذكروا أن الحديث إذا خالف النص القرءاني أو الحديث المتواتر أو صريح العقل ولم يَقبل تأويلًا فهو باطل، وذكر ذلك الفقهاء والأصوليون في كتب أصول الفقه كتاج الدين السبكي في جمع الجوامع وغيره.

وقال الحافظ الفقيه الخطيب البغدادي في كتابه «الفقيه والمتفقه» ما نصه[3]: «وإذا روى الثقة المأمون خبرا متصل الإسناد رُد بأمور: أحدها: أن يخالف موجبات العقول فيعلم بطلانه لأن الشرع إنما يَرِد بمجوَّزات العقول وأما بخلاف العقول فلا» اهـ.

وليُعلم أن العقل مفيد للعلم خلافا للسُّمَنية في جميع النظريات وبعض الفلاسفة في الإلهيات. فإن قيل: لو كان هذا يفيد العلم القطعي لتحقق في كل من نظر فيه والواقع خلاف ذلك فإن كثيرا من الناظرين فيه لا يتحقق لهم ذلك العلم القطعي، فالجواب أن يقال: إنما لم يحصل لهم العلم به لفساد نظرهم، وأما النظر الصحيح وهو الذي استوفى شرط النظر فهو في حد ذاته مفيد للعلم القطعي.

تنبيه: قال الشيخ شرف الدين التلمساني في شرح لمع الأدلة[4] ما نصه: «إن

---

(١) سورة الأعراف/ ءاية ١٨٥.

(٢) سورة فصلت/ ءاية ٥٣.

(٣) الفقيه والمتفقه (ص/ ١٣٢).

(٤) شرح لمع الأدلة (ص/ ٧٦)، مخطوط.

الشرع إنما ثبت بالعقل فلا يتصور وروده بما يكذب العقل فإنه شاهده فلو أتى بذلك لبطل الشرع والعقل، فإذا تقرّر هذا فنقول: كل لفظ يرد من الشرع في الذات والأسماء والصفات مما يوهم خلاف العقل فلا يخلو إما أن يكون متواترا أو ءاحادا، فإن كان ءاحادا وهو نص لا يحتمل التأويل قطعنا بتكذيب ناقله أو سهوه أو غلطه، وإن كان ظاهرا فالظاهر منه غير مراد، وإن كان متواترا فلا يتصور أن يكون نصّا لا يحتمل التأويل فلا بُد أن يكون ظاهرا أو مُحْتَمِلًا فحينئذ نقول: الاحتمال الذي دل العقل على خلافه ليس بمراد منه، فإن بقي بعد إزالته احتمال واحد تعين أنه المراد بحكم الحال، وإن بقي احتمالان فصاعدا فلا يخلو إما أن يدل قاطع على تعيين واحد منها أو لا، فإن دَلَّ حُمل عليه، وإن لم يدل قاطع على التعيين فهل يعين بالظن والاجتهاد؟ اختلف فيه فمذهب السلف عدم التعيين خشية الإلحاد» اهـ.

وقول ابن التلمساني إن مذهب السلف عدم التعيين لعله يريد بذلك عدم كثرة ذلك بالنسبة للخلف وإلا فقد ثبت عن السلف كما ثبت عن الخلف، فمن نفى التأويل عن السلف غالط لثبوت ذلك عن أحمد بالإسناد الصحيح، وكذلك ثبت عن الإمام البخاري وغيرهما.

# فائدة

مما يبطل قول ابن تيمية بقيام كلام حادث الأفراد أزلي النوع وإرادة حادثة الأفراد قديمة النوع في ذات الله، ما قاله أبو الفضل التميمي في كتابه اعتقاد الإمام أحمد[1]: «وذهب أحمد بن حنبل رضي الله عنه إلى أن الله عزّ وجلّ يغضب ويرضى وأن له غضبًا ورضًا، وقرأ أحمد قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِيۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾[2] وأضاف الغضب إلى نفسه وقال عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾[3] الآية، قال ابن عباس: يعني أغضبونا. وقوله أيضًا: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾[4] الآية، ومثل ذلك في القرءان كثير، والغضب والرضا صفتان له من صفات نفسه لم يزل الله غاضبًا على ما سبق في علمه أنه يكون مما يغضبه ولم يزل راضيًا على ما سبق في العلم أنه يكون مما يرضيه، وأنكر أصحابه على من يقول إن الرضا والغضب مخلوقان، قالوا فمن قال ذلك لزمه أن غضب الله عزّ وجلّ على الكافرين يفنى وكذلك رضاه على الأنبياء والمؤمنين حتى لا يكون راضيًا على أوليائه ولا ساخطًا على أعدائه، ويُسَمَّى ما كان عن الصفة باسم الصفة مجازًا في بعض الأشياء، ويُسَمَّى عذاب الله تعالى وعقابه غضبًا وسخطًا لأنهما عن الغضب كانا، وقد أجمع المسلمون لا يتناكرون أنهم إذا رأوا الزلازل والأمطار العظيمة أنهم يقولون هذه قدرة الله تعالى، والمعنى أنها عن قدرةٍ كانت، وقد يقول الإنسان في دعائه: اللهم اغفر لنا عِلْمَكَ فينا وإنما يريد معلومك الذي علمته، فسموا المعلوم باسم العلم، وكذلك سموا المرتضى باسم الرضا وسموا المغضوب باسم الغضب» اهـ.

---

(١) اعتقاد الإمام أحمد (ص/ ٦ - ٧) مخطوط.

(٢) سورة طه/ ءاية ٨١.

(٣) سورة الزخرف/ ءاية ٥٥.

(٤) سورة النساء/ ءاية ٩٣.

فما أعظم هذه الفائدة ففيها ردّ لما يحتج به أتباع ابن تيمية لحدوث صفات الله تعالى بحديث الشفاعة المشهور أن ءادم وغيره يقول: «إن الله غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله»، فزعم هؤلاء المشبهة أن الله يحدث له في ذلك الوقت صفة حادثة في ذاته. وهذه الفائدة تبين فساد فهم هؤلاء الذين ينتسبون إلى مذهب أحمد وهم على خلافه في الحقيقة.

**٢-يقول المجسم ابن أبي العز الحنفي يقول ابن عبد البر[١]: «وَحُلُولُ الْحَوَادِثِ بِالرَّبِّ تَعَالَى، الْمَنْفِيُّ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ الْمَذْمُومِ، لَمْ يَرِدْ نَفْيُهُ وَلَا إِثْبَاتُهُ فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ». وقال[٢]: «وَأَهْلُ الْكَلَامِ الْمَذْمُومِ يُطْلِقُونَ نَفْيَ حُلُولِ الْحَوَادِثِ، فَيُسَلِّمُ السُّنِّيُّ لِلْمُتَكَلِّمِ ذَلِكَ، عَلَى ظَنِّ أَنَّهُ نَفَى عَنْهُ - سُبْحَانَهُ - مَا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ» اهـ.**

**ومثله قال المجسم صالح آل الشيخ في شرحه على الطحاوية[٣]، والمجسم ابن جبرين في شرحه على الطحاوية[٤]، والمجسم سفر الحوالي في شرحه على الطحاوية[٥]، والمجسم خالد المصلح في شرحه على الطحاوية[٦].**

**الرد:** قول ابن أبي العز وزبانيته وحاشيته وابن عبد البر معهم هذا إنما هو تكذيب صريح لقول الله عزّ وجلّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ولقوله سبحانه: ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾[٧] ومن تحل فيه الحوادث له أمثال لا تحصى وبهذا قد جعلوا الله تعالى مماثلًا لخلقه وإنما قالوا بعدم تنزيه الله عن حلول الحوادث فيه

---

(١) (ص/ ١٢٤).
(٢) (ص/ ١٢٥).
(٣) (ص/ ٧).
(٤) الشرح على الطحاوية (ج١/ ص١٥٠ و١٩٥ و٤٤٣ و٤٤٤ و٤٤٨ و٤٥٠ و٤٥١ و٤٥٧ و٤٥٨) و(ج٣/ ص٥٨).
(٥) الشرح على الطحاوية (ص/ ١٠٢).
(٦) الشرح على الطحاوية (٢/ ٥).
(٧) قال القرطبي في تفسيره أي الأمثال التي توجب الأشباه والنقائص أي لا تضربوا لله مثلاً يقتضي نقصًا وتشبيهًا بالخلق (١٠/ ١١٩) وقال في موضع ءاخر أي لا تشبهوا به هذه الجمادات لأنه واحد قادر لا مثل له (١٠/ ١٤٦).

لينصروا قول إمامهم الحراني بقيام الحوادث بذات الله تعالى وجعله سبحانه يتغير ويتطور لأنهم يعتقدون ويقولون بأنه يتكلم إذا شاء ويسكت إذا شاء وتحدث له إرادة حادثة وكلام حادث وهذا إلحاد وإشراك فلم يعجبهم قول أهل السنة والجماعة بتنزيه الله تعالى عن حلول الحوادث فيه لأن ابن أبي العز وشيخه الحراني ومن يدورون في فلكهم كمجسمة هذا العصر يخالفون عقيدة القرءان والأنبياء والملائكة وكل المسلمين ونبدأ الآن برد هذه المقالة الشنيعة التي استقاها ابن عبد العز المجسم من شيخه وإمامه في التجسيم وهي من جملة مقالات ابن تيمية وردنا عليه هو رد على من قبله وعلى من بعده من أهل الزيغ والضلال.

وهي من جملة افتراءات ابن تيمية على أئمة الحديث وأهل السنة فزعم كاذبًا أنه ينقل عنهم أن الله متكلم بصوت نوعه قديم أي يحدث في ذات الله شيئًا بعد شيء قال في كتابه رسالة في صفة الكلام[1] ما نصه: وحينئذ فكلامه قديم مع أنه يتكلم بمشيئته وقدرته وإن قيل إنه ينادي ويتكلم بصوت ولا يلزم من ذلك قدم صوت معين، وإذا كان قد تكلم بالتوراة والقرءان والإنجيل بمشيئته وقدرته لم يمتنع أن يتكلم بالباء قبل السين، وإن كان نوع الباء والسين قديمًا لم يستلزم أن يكون الباء المعينة والسين المعينة قديمة لما علم من الفرق بين النوع والعين اهـ.

وقال في موضع[2] ءاخر منه: وقال الشيخ الإمام أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرخي الشافعي في كتابه الذي سماه الفصول سمعت الإمام أبا منصور محمد بن أحمد يقول: سمعت الإمام أبا بكر عبد الله بن أحمد يقول: سمعت الشيخ أبا حامد الإسفراييني يقول: مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الأمصار أن القرءان كلام الله غير مخلوق ومن قال إنه مخلوق فهو كافر والقرءان حمله جبريل عليه السلام مسموعًا من الله والنبي ﷺ سمعه من جبريل والصحابة سمعوه من رسول الله ﷺ وهو الذي نتلوه نحن مقروء بألسنتنا وفيما بين الدفتين

(١) انظر الكتاب (ص/ ٥١).
(٢) انظر الكتاب (ص/ ٥٤).

وما في صدورنا مسموعًا ومكتوبًا ومحفوظًا ومقروءًا وكل حرف منه كالباء والتاء كله كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين اهـ.

وقال في المنهاج[1]: «وسابعها قول من يقول إنه لم يزل متكلماً إذا شاء بكلام يقوم به وهو متكلم بصوت يسمع وإن نوع الكلام قديم وإن لم يجعل نفس الصوت المعين قديمًا وهذا هو المأثور عن أئمة الحديث والسنة وبالجملة أهل السنة والجماعة أهل الحديث» اهـ.

أقول: فلا يغتر مطالع كتبه بنسبة هذا الرأي الفاسد إلى أئمة أهل السنة وذلك دأبه أن ينسب رأيه الذي يراه ويهواه إلى أئمة أهل السنة وليعلم الناظر في مؤلفاته أن هذا تلبيس وتمويه محض يريد أن يروجه على ضعفاء العقول الذين لا يوفقون بين العقل والنقل وقد قال الموفقون من أهل الحديث وغيرهم إن ما يحيله العقل فلا يصح أن يكون هو شرع الله كما قال ذلك الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي وقال: إن الشرع لا يأتي إلا بمجوزات العقول، وبهذا يردّ الخبر الصحيح الإسناد أي إذا لم يقبل التأويل كما قاله علماء المصطلح في بيان ما يعلم به كون الحديث موضوعًا، وأيدوا ذلك بأن العقل شاهد الشرع فكيف يرد الشرع بما يكذبه شاهده.

قال الحافظ ابن حجر[2]: قال البيهقي: اختلف الحفاظ في الاحتجاج بروايات ابن عقيل لسوء حفظه، ولم يثبت لفظ الصوت في حديث صحيح عن النبي غير حديثه، فإن كان ثابتًا فإنه يرجع إلى غيره في حديث ابن مسعود[3] وفي حديث

---

(١) انظر المنهاج (١/ ٢٢١).

(٢) انظر فتح الباري (١٣/ ٤٥٨).

(٣) يعني به قوله: «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات شيئًا، فإذا فزّع عن قلوبهم وسكن الصوت عرفوا أنه الحق، ونادوا ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق» -رواه البخاري- وفي حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، قال علي وقال غيره صفوان ينفذهم لك، فإذا فزّع عن قلوبهم=

أبي هريرة أن الملائكة يسمعون عند حصول الوحي صوتًا، فيحتمل أن يكون الصوت للسماء أو للملك الآتي بالوحي أو لأجنحة الملائكة، وإذا احتمل ذلك لم يكن نصًا في المسألة، وأشار -يعني البيهقي- في موضع ءاخر إلى أن الراوي أراد فينادي نداء فعبر عنه بصوت. انتهى.

قال الكوثري في مقالاته[1] ما نصه: ولم يصح في نسبة الصوت إلى الله حديث.

أقول: وكذا قال البيهقي في الأسماء والصفات، فليس فيها ما يصح الاحتجاج به لإثبات الصفات لأن حديث الصفات لا يقبل إلا أن يكون رواته كلهم متفق على توثيقهم، وهذه الروايات المذكورة في فتح الباري في كتاب التوحيد ليست على هذا الشرط الذي لا بد من حصوله لأحاديث الصفات كما ذكره صاحب الفتح في كتاب العلم. لكنه خالف في موضعه بما أورده في كتاب التوحيد من قوله: بعد صحة الأحاديث يتعين القول بإثبات الصوت لله ويؤول على أنه صوت لا يستلزم المخارج.

ثم قال وقد أفاض الحافظ أبو الحسن المقدسي شيخ المنذري في رسالة خاصة في تبيين بطلان الروايات في ذلك زيادة على ما يوجبه الدليل العقلي القاضي بتنزيه الله عن حلول الحوادث فيه سبحانه، وإن أجاز ذلك الشيخ الحراني[2] تبعًا لابن ملكا اليهودي الفيلسوف المتمسلم، حتى اجترأ على أن يزعم أن اللفظ حادث شخصًا قديم نوعًا، يعني أن اللفظ صادر منه تعالى بالحرف والصوت فيكون حادثًا حتمًا، لكن ما من لفظ إلا وقبله لفظ صدر منه إلى ما لا أول له فيكون قديمًا بالنوع، ويكون قدمه بهذا الاعتبار في نظر هذا المخرف، تعالى الله عن إفك الأفاكين، ولم يدر المسكين بطلان القول بحلول الحوادث في الله جل شأنه وأن القول بحوادث لا أوّل لها هذيان، لأن الحركة انتقال من حالة إلى حالة، فهي

---

= قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير» رواه البخاري.

(١) انظر المقالات (ص/ ٣٢).

(٢) يعني ابن تيمية، نسبة إلى حران.

تقتضي بحسب ماهيتها كونها مسبوقة بالغير، والأزل ينافي كونه مسبوقًا بالغير، فوجب أن يكون الجمع بينهما محالًا، ولأنه لا وجود للنوع إلا في ضمن أفراده، فادعاء قدم النوع مع الاعتراف بحدوث الأفراد يكون ظاهر البطلان. وقد أجاد الرد عليه العلامة قاسم في كلامه على المسايرة اهـ.

فلا يصح حملُ ما ورد في النص من النداء المضاف إلى الله تعالى في حديث: «**يحشر الله العباد فيناديهم بصوت..**». على الصوت على معنى خروجه من الله، فتمسُّكُ المشبهة بالظاهر لاعتقاد ذلك تمويه لا يروج إلا عند سخفاء العقول الذين حُرموا منفعة العقل الذي جعل الشرع له اعتبارًا، وهل عُرِفت المعجزة أنها دليل على صحة نبوة من أتى بها من الأنبياء إلا بالعقل؟

وقال -أي الكوثري- في تعليقه على السيف الصقيل ما نصه[1]: وحديث جابر المعلق في صحيح البخاري مع ضعفه في سياق ما بعده من حديث أبي سعيد ما يدل على أن المنادي غير الله حيث يقول [... فينادي بصوت إن الله يأمرك...] فيكون الإسناد مجازيًا، على أن الناظم -يعني ابن زفيل وهو ابن قيم الجوزية- ساق في [حادي الأرواح] بطريق الدارقطني حديثًا فيه: «**يبعث الله يوم القيامة مناديًا بصوت..**». وهذا نص من النبي ﷺ على أن الإسناد في الحديث السابق مجازي، وهكذا يخرب الناظم بيته بيده وبأيدي المسلمين، وللحافظ أبي الحسن المقدسي جزء في تبيين وجوه الضعف في أحاديث الصوت فليراجع ثمة اهـ.

فإذا قال قائل إن بعض اللغويين قال: النداء الصوت، قلنا ليس مراد من قال ذلك أن النداء لا يكون في لغة العرب في جميع الموارد إلا بالصوت، وإنما المراد أنه في غالب الاستعمال يكون بالصوت، وقد قال ءاخرون من اللغويين: النداء طلب الإقبال، فليعلم المغفلون الآن ما جهلوه من أن قول السلف عند ذكر تلك الآيات وتلك الأحاديث بلا كيف معناه ليس على ما يفهمه الناس من صفات المخلوقين،

---

(١) انظر الكتاب (ص/ ٥٢).

ولو كان يصح أن يكون قول الله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ[1] ﴾[2] المجيء المعهود من الخلق ما قال الإمام أحمد في هذه الآية: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾: إنما جاءت قدرته.

**فائدة:**

ناقض ابن تيمية نفسه في فتاويه حيث إنه يذكر في موضع أن التأويل حصل من بعض السلف، وفي موضع ينفي نفيًا باتًا، وهو محجوج في ذلك بثبوته عن الإمام سفيان الثوري أحد أجلاء السلف ومن أساطين أهل الحديث قال في تفسيره سورة القصص ما نصه: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[3] قال: ما أريد به وجهه اهـ.فهذا تأويل صريح لوجه الله بأنه ما يتقرب به إليه من العبادات. وفي البخاري تفسير سورة القصص: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ إلا ملكه، ويقال ما أريد به وجهه اهـ.وسبق سفيان والبخاري في تاويل الوجه مجاهد بن جبر راوي عبد الله بن عباس وغيره، وتبع الثلاثة الإمام أحمد بن حنبل فقد ثبت عنه تأويل المجيء المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾[4].

وقال البيهقي في مناقب أحمد: أنبأنا الحاكم قال حدثنا أبو عمرو بن السماك قال: حدثنا حنبل بن إسحاق قال: سمعت عمي أبا عبد الله يعني أحمد يقول: احتجوا عليّ يومئذ -يعني يوم نوظر في دار أمير المؤمنين- فقالوا تجيء سورة البقرة يوم القيامة وتجيء سورة تبارك فقلت لهم: إنما هو الثواب. قال الله تعالى:

---

(١) قال البغوي في تفسيره قال الحسن جاء أمره وقضاؤه (٨/ ٤٢٢) قال القرطبي: «وليس مجيئه تعالى حركة وانتقالًا ولا زوالًا لأن ذلك إنما يكون إذا كان الجائي جسمًا أو جوهرًا والذي عليه جمهور أئمة أهل السنة انهم يقولون يجيء وينزلُ يأتي ولا يكيفون لأنه «ليس كمثله شيء» (٧/ ١٤٥).

(٢) سورة الفجر/ ءاية ٢٢.

(٣) سورة القصص/ ءاية ٨٨.

(٤) سورة الفجر/ ءاية ٢٢.

﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾[1] إنما يأتي قدرته، وإنما القرءان أمثال ومواعظ. قال البيهقي وفيه دليل على أنه كان لا يعتقد في المجيء الذي ورد به الكتاب والنزول الذي وردت به السنة انتقالًا من مكان إلى مكان كمجيء ذوات الأجسام ونزولها، وإنما هو عبارة عن ظهور ءايات قدرته فإنهم لما زعموا أن القرءان لو كان كلام الله وصفة من صفات ذاته لم يجز عليه المجيء والإتيان، فأجابهم أبو عبد الله بأنه إنما يجيء ثواب قراءته التي يريد إظهارها يومئذ فعبر عن إظهاره إياها بمجيئه اهـ.

ونقل ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير عن الإمام أحمد أنه فسر: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ بمجيء أمره مستدلًا بقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾[2] والقرءان يفسر بعضه بعضًا.

وقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[3] فيه دليل على صحة رواية النسائي: «إن الله يمهلُ حتى يمضي شطرُ الليل الأول فيأمر مناديًا..». فكما أن الله تعالى نسب نداءَ الملك لآدم وحواء إلى نفسه لكونه بأمره، فكذلك صح إسناد نزول الملك إلى السماء الدنيا ليبلغ عن الله: «هل من داع فيستجيب الله له وهل من سائل فيعطى وهل من مستغفر فيغفر له» إلى الله. وفي الآية أيضًا دليل على أن نداء الملك لبعض خلق الله بأمر الله يُسند إلى الله من غير أن يكون هناك صوتٌ يخرج من الله، فمن هنا يؤخذ ردُّ اعتراض بعض المجسمة رواية النسائي لحديث النزول حيث إنه قال إن هذه الرواية تستلزم حصول قول من الملك: هل من مستغفر فأغفر له وهل من داع فأستجيب له. فنقول كما أن الله جعل نداء الملك لآدم وحواء بأن الله يقول لكما: ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[4]

---

(١) سورة الفجر/ ءاية ٢٢.

(٢) سورة النحل/ ءاية ٣٣.

(٣) سورة الأعراف/ ءاية ٢٢.

(٤) سورة الأعراف/ ءاية ٢٢.

كذلك يُحمل حديث النزول على الرواية المشهورة على أن الله يأمر الملك بالنزول إلى السماء الدنيا ويبلغ عن الله بأن يقول: إن الله يقول لعباده الداعين والسائلين: من يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه إلى ءاخر ما ورد فيه، وليس المعنى أن الملك يقول عن نفسه من يستغفرني فأغفر له ومن يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه. ونظيرُ هذا ما جاء في القرءان من قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾[1]، فقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾[2] معناه فإذا قرأه جبريل عليك بأمرنا، ومعلوم أنه ليس المعنى أن الله يقرأ القرءان على رسول الله كما يقرأ المعلم على التلميذ، فبهذا ينحلّ الإشكال الذي يخطر لبعض الناس.

ويلزم من التمسك بظاهر رواية البخاري ومالك وغيرهما لحديث النزول المشهور أن يكون الله فيما بين النصف الثاني من الليل والفجر مستمرًا في النزول والصعود إن حملوا النزول بالنسبة لكل أرض، وذلك أن الليل يختلف باختلاف البلاد فنصف الليل في بلد هو أول النهار في بلد ءاخر وقد يكون في أرض أول الليل أو أقل أو أكثر، وإن حملوا النزول على أرض واحدة فيما بين انتصاف ليلها وفجرها فبأي حجة خصصوا النزول بأرض واحدة، والحديث ليس فيه بأرض كذا.

قال بدر الدين بن جماعة في كتابه إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل ما نصه[3]: اعلم أن النزول الذي هو الانتقال من علو إلى سفل لا يجوز حمل الحديث عليه، لوجوه:

الأول: النزول من صفات الأجسام والمحدثات ويحتاج إلى ثلاثة: منتقل، ومنتقل عنه، ومنتقل إليه، وذلك على الله تعالى محال.

---

(١) سورة القيامة/ ءاية ١٦-١٧-١٨.

(٢) سورة القيامة/ ءاية ١٨.

(٣) انظر الكتاب (ص/ ١٦٤).

الثاني: لو كان النزول لذاته حقيقة لتجددت له في كل يوم وليلة حركات عديدة تستوعب الليل كله، وتنقلات كثيرة، لأن ثلث الليل يتجدد على أهل الأرض مع اللحظات شيئًا فشيئًا، فيلزم انتقاله في السماء الدنيا ليلًا ونهارًا، من قوم إلى قوم، وعوده إلى العرش في كل لحظة على قولهم، ونزوله فيها إلى سماء الدنيا، ولا يقول ذلك ذو لب وتحصيل.

الثالث: أن القائل بأنه فوق العرش، وأنه ملأه كيف تسعه سماء الدنيا، وهي بالنسبة إلى العرش كحلقة في فلاة، فيلزم عليه أحد أمرين، إما اتساع الدنيا كل ساعة حتى تسعه، أو تضاؤل الذات المقدس عن ذلك حتى تسعه، ونحن نقطع بانتفاء الأمرين اهـ.

وقال البيهقي في السنن الكبرى[1] ما نصه: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: سمعت أبا محمد أحمد بن عبد الله المزني يقول: حديث النزول قد ثبت عن رسول الله ﷺ من وجوه صحيحة وورد في التنزيل ما يصدقه وهو قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[2] والنزول والمجيء صفتان منفيتان عن الله تعالى من طريق الحركة والانتقال من حال إلى حال بل هما صفتان من صفات الله تعالى بلا تشبيه جلّ الله تعالى عما تقول المعطلة لصفاته والمشبهة بها علوًا كبيرًا. قلت: وكان أبو سليمان الخطابي رحمه الله يقول: إنما ينكر هذا وما أشبهه من الحديث من يقيس الأمور في ذلك بما يشاهده من النزول الذي هو تدلي من أعلى إلى أسفل وانتقال من فوق إلى تحت وهذه صفة الاجسام والأشباح فأما نزول من لا تستولي عليه صفات الأجسام فإن هذه المعاني غير متوهمة فيه وإنما هو خبر عن قدرته ورأفته بعباده وعطفه عليهم واستجابة دعاءهم ومغفرته لهم يفعل ما يشاء لا يتوجه على صفاته كيفية ولا على أفعاله كمية سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير اهـ.

---

(١) انظر السنن الكبرى (٣/ ٣).

(٢) سورة الفجر/ ءاية ٢٢.

فليعلم الجاهل الذي لا تمييز له أنه حاد عن الحق الذي اتفق عليه السلف والخلف، فإن من أوّل من السلف والخلف تأويلًا إجماليًا قال في حديث النزول وحديث الجارية وشبههما، وفي ءاية الاستواء على العرش والمجيء المذكور في قول الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾[1] وشبههما من الآيات «بلا كيف»، ومرادهم إن ذلك على غير صفة من صفات الخلق أي ليس كالنزول الحسي ولا الاستواء بمعنى الجلوس والاستقرار، ولا المجيء بالانتقال والحركة وما هو من صفات المخلوق، فمعنى قولهم بلا كيف أن لهذه النصوص معان ليس فيها تشبيه لصفات الله بصفات الخلق.

وأما الذين أوّلوا التأويل التفصيلي كالذين أوّلوا المجيء بمجيء القدرة أي ءاثار قدرة الله، والنزول بنزول الملك أو نزول الرحمة وما أشبه ذلك كتأويل الإمام سفيان الثوري والإمام البخاري وجهَ الله المذكور في قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[2] بما أريد به وجه الله وبمُلك الله، فلم يصفوا الله تعالى بصفات المخلوقين، فكِلا الفريقين لم يتمسك بظواهر تلك الآيات وتلك الأحاديث، فكل متفقون على تنزيه الله عن صفات المخلوقين وعلى أن تلك الآيات والأحاديث ليس معانيها المعاني المعهودة من الخلق، فلا أحد من الفريقين يعتقد في حديث النزول أن الله تعالى ينزل نزولًا حسيًا كنزول الملائكة والبشر، ولا أحد منهم يعتقد أن معنى الاستواء الجلوس والاستقرار على العرش أو الكون في جهة العلو من غير مماسة، وذلك تمسك منهم بمعنى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾[3] الذي هو تنزيه كليّ، فتردّ تلك الآيات والأحاديث إلى هذه الآية لأنها محكمة. فنفاة التأويل الإجمالي والتفصيلي لا مهرب لهم من الوقوع في المحال فيصيرون ضُحكة عند أهل التمييز والفهم الذين يوفّقون بين النقل والعقل.

---

(١) سورة الفجر/ ءاية ٢٢.

(٢) سورة القصص/ ءاية ٨٨.

(٣) سورة الشورى/ ءاية ١١.

ومن المناسب في هذا المقام أن نرد أيضًا على جهلة المتصوفة الذين يقولون بعقيدة الحلول والإتحاد فمع كون ابن تيمية وابن أبي العز المجسم والوهابية يعيبون على الصوفية بالعموم، والحق أن من يعاب عليه هم المجسمة الذين وافقوا جهلة المتصوفة في عقيدة الحلول، فالمجسمة قالوا الله تقوم فيه الحوادث وجهلة المتصوفة يقولون الله حالّ فينا وكلا القولين كفر صراح بواح، وأما الصوفية الذين يعملون بالكتاب والسنة فهم على حق حتى إن ابن تيمية المتناقض قال في الجنيد البغدادي «إمام هدى». فبعد أن رددنا على المجسمة الذين يقولون بقيام الحوادث في ذات الله نرد الآن على إخوانهم حلولية المتصوفة.

## بيان أن عقيدة الحلول والاتحاد عقيدة كفرية مخالفة للإسلام

تساهل بعض الناس واستحلوا النطق بكلمات الكفر في غير محله وادّعوا أن لها تأويلًا، ومن أمثلة ذلك ما ادعاه بعض جهلة المتصوفة أن هذا البيت الذي ينشده بعض أدعياء الشاذلية وغيرهم في حضرة الذكر وهو قولهم:

فما في الوجود سوى واحد ولكن تكثر لما صفا

فقال بعض هؤلاء: إن تأويله أن الله تكثّر بصفاته.

قلنا: هذا تأويل بعيد وفيه زيادة في الكفر لأن هذا البيت فيه نسبة التغير إلى الله تعالى وهذا كفر، ونسبة حدوث الصفاء في ذاته تعالى كفر، ونسبة التكثر إلى الله تعالى كفر، والله تعالى مستحيل عليه التغير فهو تعالى ذاته أزلي وصفاته أزلية بأزلية الذات، ولا يوصف الله بالصفاء ولا بالكدر لأن هذه أوصاف الخلق.

وعلى كل تقدير لا يجوز إثبات صفة لله لم ترد في الكتاب والسنة حتى بقول صحابي لا تثبت كما قال الفقيه الحافظ أبو بكر الخطيب في كتابه «الفقيه والمتفقه»، فكيف تثبت بغيره.

وهذا البيت موجود في بعض الكتب وفي الديوان المنسوب للشيخ

عبد الغني النابلسي رضي الله عنه ولا نراه صحيحًا عنه بل نرى أنه مدسوس عليه ومفترى كما دُس على الشيخ محي الدين بن عربي رضي الله عنه كما قال صاحب «المعروضات المزبورة» احد الفقهاء الحنفية المشهورين: «قد تيقنّا أن اليهود دسوا عليه في فصوص الحكم» وهذا الظن هو اللائق به وبأمثاله ا هـ.

قلت: وهذا الكلام المنسوب للشيخ محي الدين ليس من دين الله وهو مناف للتوحيد الذي هو أصل الدين وأصل التصوف الإسلامي، فما هذا الكلام إلا زندقةٌ وهو كفر صريح لا تأويل له، وهو دس على الشيخ محي الدين بن عربي رضي الله عنه فهو لا يتفوه بمثل هذا الكلام المنافي للتوحيد ولعقيدة المسلمين.

وقد وقع الشطح والغلو من كثير من المنتسبين للطرق الصوفية لا سيما في عصرنا هذا فاعتقدوا اعتقادات كفرية وتلفظوا بأقوال شنيعة وهم يظنون أنهم يتكلمون بالأسرار التي تخفى على مخالفيهم وأنهم على مرتبة ومقام عال والواقع أنهم ينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾[1].

والعجب كيف ينتسبون إلى التصوف الإسلامي وهم ضد الصوفية لأن التصوف الإسلامي ما ذهب إليه الجنيد وأمثاله وهو موافق للنصوص القرءانية كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾﴾[3]، فإن هذا صريح في أن الله ليس أصلًا لغيره ولا فرعًا عن غيره، فكفرهم أسمج الكفر وأشنعه.

وهؤلاء الأدعياء مخالفون أيضًا لسيد الطائفة الصوفية الإمام الجنيد بن محمد البغدادي رضي الله عنه فقد قال: «التوحيد إفراد القديم من المحدَث»، فقول الإمام الجنيد في واد وهؤلاء الجهلة الذين يقولون مرة بعبارات الوحدة ومرة

---

(١) سورة الكهف/ ءاية ١٠٣-١٠٤.

(٢) سورة الشورى/ ءاية ١١.

(٣) سورة الإخلاص/ ءاية ١-٢-٣.

بعبارات الحلول اي حلول الله في خلقه في واد ءاخر، فما أبعد ما بين الواديين.

وقد تجرأ بعضهم فقال: «وقد ألف السادة الصوفية نفعنا الله بهم الكتب والرسائل في إثبات وحدة الوجود وأقاموا الأدلة النقلية والعقلية على إثباتها» اهـ.

الجواب: هذا الكلام مردود لأن الصوفية الذين على نهج الإمام الجنيد البغدادي رضي الله عنه ردوا هذه العقيدة الفاسدة قال السيد أبو العلمين الإمام أحمد الرفاعي رضي الله عنه: «إياكَ والقولَ بالوحدة فإنه من الأباطيل»، وقال أيضًا ما نصه: «لفظتان ثُلمتان في الدين: القول بالوحدة، والشطح المجاوزُ حدَّ التحدث بالنعمة»، وذم الشيخ محي الدين بن عربي رضي الله عنه في كتابه «الفتوحات» عقيدة وحدة الوجود وعقيدة الحلول وقال قولا شديدًا في ذم هاتين العقيدتين ونصه: «من قال بالحلول فدينه معلول، وما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد»، فكيف بعد هذا يقول هذا المؤلف إن هذا قول السادة الصوفية، وكيف يتجرأ أن ينسب إليهم ما هو ضد التوحيد.

ولتأييد ما ذكرناه نورد ما ذكره الحافظ السيوطي الذي جمع بين علم الشريعة والتصوف في رسالته «تنزيه الإعتقاد عن الحلول والإتحاد»[1] ونصّ عبارته: «وما زالت العلماء ومحققو الصوفية يبينون بطلان القول بالحلول والإتحاد وينبهون على فساده ويحذرون من ضلاله» اهـ ثم ساق السيوطي جملة من أقوال الأئمة في ذلك نورد بعضها:

«قال الإمام فخر الدين الرازي في كتاب «المحصل في أصول الدين»: مسألة: الباريء تعالى لا يتحد بغيره لأنه حال الإتحاد -يعني على زعمهم- إن بقيا موجودين فهما اثنين لا واحد».

«وقال الإمام أبو الحسن الماوردي صاحب الحاوي الكبير في مناظرة ناظرها لبعض الحلوليين: لا ينفع التنزيه مع القول بالإتحاد والحلول فإن دعوى التنزيه

---

(١) الحاوي للفتاوي (٢/ ١٣٠ - ١٣٧)

مع ذلك إلحاد، وكيف يصح توحيد مع اعتقاد أنه سبحانه حل في البشر».

«وقال القاضي عياض المالكي في الشفا ما معناه: أجمع المسلمون على كفر أصحاب الحلول ومن ادعى حلول الباريء سبحانه في أحد الأشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية». «وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في قواعده الكبرى: ومن زعم أن الإلـه يحل في شيء من أجساد الناس أو غيرهم فهو كافر».

«وقال صاحب كتاب»نهج الرشاد في الرد على أهل الوحدة والحلول والاتحاد»: حدثني الشيخ كمال الدين المراغي قال: اجتمعت بالشيخ أبي العباس المرسي تلميذ الشيخ الكبير أبي الحسن الشاذلي وفاوضته في هؤلاء الاتحادية فوجدته شديد الإنكار عليهم والنهي عن طريقهم وقال: أتكون الصنعة هي الصانع».

ثم قال صاحب نهج الرشاد: «وما زال عباد الله الصالحون من أهل العلم والإيمان ينكرون حال هؤلاء الاتحادية، قال الشيخ سعد الدين التفتازاني في شرح المقاصد: ومنهم بعض المتصوفة القائلون بأن السالك إذا أمعن في السلوك وخاض معظم لجة الوصول فربما يحل الله فيه تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا كالنار في الجمر بحيث لا تمايز أو يتحد به بحيث لا أثنية ولا تغير وصح- على زعمهم- أن يقول: هو أنا وأنا هو، قال التفتازاني: وفساد الرأيين غني عن البيان». وذكر الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في أول كتابه حلية الأولياء أنه جمع فيه أسامي جماعة من أعلام المحققين من الصوفية وأئمتهم من قرن الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم وذلك لما انتشر في الأمصار في كل قطر المتسبون إليه من الفسقة الفجار والمباحية والحلولية الكفار.

وقال الحافظ السيوطي في كتابه الحاوي للفتاوي: «**أصل الإتحاد باطل محال مردود شرعا وعقلا وعرفا بإجماع الأنبياء والأولياء ومشايخ الصوفية وسائر العلماء والمسلمين وليس هذا مذهب الصوفية وإنما قاله طائفة غلاة لقلة علمهم**

**وسوء حظهم من الله تعالى فشابهوا بهذا قول النصارى»[1].**

وليحذر العاقل من هؤلاء المتصوفة الذين لا يراعون الشريعة، ومن عادتهم أنهم إذا عارضهم معارض فيما يخالفون فيه الشرع يقولون: «أنتم أهل الظاهر ونحن أهل الباطن لا نتفق» فيقال لهؤلاء الجهلة: الله تعالى ما جعل شريعتين شريعة للمتصوفة وشريعة للمتمسكين بشرعه بل لا يصل متصوف إلا بكمال التمسك بالشريعة، ولا يصل متصوف إلى الولاية إلا بالتمسك بشرع الله ثم بعد الولاية يزداد تمسكا بالشريعة فعندئذ يستحق العلم اللدني، أما من لم يتمسك بالشريعة على التمام فحرام عليه العلم اللدني.

**٣- يقول المجسم ابن أبي العز الحنفي[2]: «فَإِنَّ التَّوْحِيدَ يَتَضَمَّنُ ثَلَاثَةَ أَنْوَاعٍ: أَحَدُهَا: الْكَلَامُ فِي الصِّفَاتِ. وَالثَّانِي: تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَبَيَانُ أَنَّ اللهَ وَحْدَهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ. وَالثَّالِثُ: تَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ، وَهُوَ اسْتِحْقَاقُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ» اهـ.**

**ومثله قال المجسم صالح آل الشيخ في شرحه على الطحاوية[3]، والمجسم صالح الفوزان في شرحه على الطحاوية[4]، والمجسم عبد العزيز الراجحي في شرحه على الطحاوية[5]، والمجسم ابن جبرين[6]، والمجسم سفر الحوالي[7]، والمجسم عبد الرحمٰن البراك[8]، والمجسم ابن باز في تعليقاته[9].**

---

(١) دار الكتاب العربي الجزء الثاني (ص/ ٣١٠).

(٢) المصدر السابق، (ص/ ٨٥).

(٣) المصدر السابق، (ص/ ٨).

(٤) المصدر السابق، (ص/ ٣).

(٥) المصدر السابق، (ص/ ٧).

(٦) (ج١/ ص٨-٦٠).

(٧) المصدر السابق، (ص/ ٩٧٣-٩٧٤).

(٨) دار التدمرية، الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، (ص/ ٢٦).

(٩) طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد-المملكة العربية السعودية ١٤٠٩هـ، (ص/ ٢-٣).

الرد: قول ابن أبي العز هذا لم يسبقه إليه إلا إمامه في التجسيم والتشبيه ابن تيمية الحراني ومن تلاه كابن قيم الجوزية وجاء ابن أبي العز متابعًا لهما في عقيدتهما البدعية ثم درج على منواهم المشبهة والمجسمة إلى وهابية عصرنا الذين يسمون أنفسهم كذبًا بالسلفية تمويها على الناس ليتوصلوا بذلك لتكفير المتوسلين والمستغيثين بالأنبياء والأولياء والصالحين والمتبركين بآثارهم وقولهم هذا لم يقله عالم قط لا من المتقدمين ولا من المتأخرين ممن يعول عليهم من أهل السنة والجماعة كالحسن البصري وأبي حنيفة والأوزاعي ومالك والشافعي وأحمد والسفيانين واسحق بن راهويه والبيهقي والإمام الأشعري والإمام الماتريدي وابن فورك فالمشبهة ابتدعوا هذه العقيدة ومع هذا ينسبون أهل السنة والجماعة الأشاعرة والماتريدية إلى البدعة والحقيقة أنهم هم البدعة الأصلية فنتحدى المشبهة المجسمة تحديًا علميًا أن يثبتوا بزعمهم هذا التقسيم الذي جاؤوا به من كيسهم وأخرجوه من جيوبهم عن أحد ممن ذكرنا من أهل السنة والجماعة أنه قال بهذا التقسيم فثبت لذي عينين أن ابن تيمية ومن تبعه إلى يومنا هذا هم مبتدعة في العقيدة استحدثوا ما يهلك ولم يتبعوا أهل الحق فيما ينجي.

وتقسيمهم التوحيد إلى ثلاث توحيدات بدعة باطلة منكرة لم يرِد ذلك في القرءان ولا في الحديث ولا على لسان واحد من السلف الصالح أو أحد العلماء المعتبرين إنما هي فكرة تفرّدت بها طائفة التشبيه والتجسيم رغم زعمهم أنهم يحاربون البدعة والدليل على فساد تقسيمهم هذا أن الرسول ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلـٰه إلا الله وأني رسول الله» ولم يقل الرسول حتى يوحدّوا ثلاثة توحيدات وهذا الحديث متواتر رواه عن رسول الله ﷺ جمعٌ من الصحابة منهم العشرة المبشرون بالجنة، وقد أورده البخاري في صحيحه، ومراد المشبهة من هذه الفرية أن يكفّروا المسلم الذي يوحّد الله إذا توسل بالرسول أو بوليّ من الأولياء فهم يزعمون أنه لا يكون وحد الله توحيد الألوهية ويريدون بذلك أيضًا أن يكفروا من أوّل الآيات المتشابهة لصرفها عن المعنى الظاهر الذي

يتبادر منه معنى لا يليق بالله، فثبت من هذا الحديث المتواتر أن تقسيمهم التوحيد إلى ثلاثة باطل وأنهم هم المبتدعة ولو زعموا أنهم يحاربون البدعة.

فقد أدخلوا في دين الله بدعة جديدة لم يقلها المسلمون وهي قولهم توحيد الألوهية وحده لا يكفي للإيمان بل لا بد من توحيد الربوبية وهذا ضد قول رسول الله ﷺ: **أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلـٰه إلا الله وأني رسول الله فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها»**. جعل الرسول اعتراف العبد بتفريد الله بالألوهية وبوصف رسول الله بالرسالة كافيا. وكان رسول الله ﷺ إذا نطق الكافر بهذا يحكم بإسلامه وإيمانه ثم يأمره بالصلاة قبل غيرها من أمور الدين للحديث الذي رواه البيهقي في كتابه الاعتقاد وهؤلاء عملوا دينا جديدا وهو عدم الاكتفاء بالأمرين المذكورين وهذا من غباوتهم فإن توحيد الألوهية هو توحيد الربوبية بدليل أنه جاء في سؤال القبر حديثان حديث بلفظ الشهادة وحديث بلفظ: الله ربي، وهذا دليل على أن شهادة أن لا إلـٰه إلا الله شهادة بربوبية الله. وما أعظم مصيبة المسلمين بهذه الفرقة. اهـ

- وفي كتاب مصباح الأنام.. الفصل الثاني لعلوي بن أحمد الحداد: توحيد الألوهية داخل في عموم توحيد الربوبية بدليل أن الله تعالى لما أخذ الميثاق على ذرية آدم خاطبهم تعالى بقوله (ألستُ بربكم) ولم يقل بإلهكم فاكتفى منهم بتوحيد الربوبية ومن المعلوم أن من أقرَّ له بالربوبية فقد أقرَّ له بالألوهية إذ ليس الربُّ غير الإلـٰه بل هو الإلـٰه بعينه وأيضًا ورد في الحديث أن الملكين يسألان العبد في قبره فيقولان من ربُّكَ ولم يقولا من إلهك، فدلَّ على أن توحيد الربوبية شامل له، ومن العجب العجاب قول المدعي الكذَّاب لمن شَهِدَ أن لا إلـٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله من أهل القبلة أنت لم تعرف التوحيد، التوحيد نوعان توحيد الربوبية الذي أقرَّت به المشركون والكفَّار وتوحيد الألوهية الذي أقرَّت به الحنفاء وهذا هو الذي يُدخِلُكَ في دين الإسلام وأما توحيد الربوبية فلا، فيا عجبا، هل للكافرِ توحيد صحيح! فإنه لو كان توحيده صحيحًا لأخرجه من النار إذ لا يبقى فيها

موحد كما صرحت به الأحاديث فهل سمعتم أيها المسلمون في الأحاديث والسير أن رسول الله ﷺ إذا قَدِمَت عليه أجلاف العرب ليسلموا على يده يفصِّل لهم توحيد الربوبية والألوهية..فما هذا الافتراء والزور على الله ورسوله! فإن من وَحَّدَ الرب فقد وَحَّدَ الإلـٰه ومن أشرك بالرب أشرك بالإله، فليس للمسلمين إلـٰه غير الرب فإذا قالوا لا إلـٰه إلا الله يعتقدون أنه هو ربهم فينفون الألوهية عن غيره كما ينفون الربوبية عن غيره أيضًا ويثبتون له الوحدانية في ذاته وصفاته وأفعاله. اهـ

- وقول هذه الفرقة المبتدعة: «إن الرسل لم يُبعَثوا إلا لتوحيد الألوهية وهو إفراد الله بالعبادة، وأما توحيد الربوبية وهو اعتقاد أن الله رب العالمين المتصرف في أمورهم فلم يخالف فيه أحد من المشركين والمسلمين بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾» اهـ

فكلامهم هذا مردود عليهم باطل فيما ادعوه من تسوية بين المشركين والمسلمين في توحيد الربوبية، وأما إقرار المشركين بخلق الله للسموات والأرض فهو إقرار بألسنتهم، ولايعني ذلك أنهم موحدون لرب العالمين، وما كان رسول الله ﷺ يقول لأحد حين دخوله الإسلام إن هناك توحيدين وعليك كي تكون مسلما أن توحد توحيد الألوهية ولا يكفيك أن توحد الرب فقط. ودليل ءاخر على دحض عقيدتهم قول الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام لصاحبي السجن حين دعاهما إلى التوحيد ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ فيوسف عليه السلام دعاهم إلى توحيد الرب المستحق للعبادة الذي هو الله تعالى.

- ومن مجلة نور الإسلام - تصدرها مشيخة الأزهر الشريف - ربيع الثاني سنة ١٣٥٢هـ نقد تقسيم التوحيد إلى ألوهية وربوبية لفضيلة العلامة يوسف الدجوي الأزهري المتوفى سنة ١٣٦٥هـ: قولهم: (إن التوحيد ينقسم إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية) تقسيم غير معروف لأحد قبل ابن تيمية، وغير معقول أيضًا كما ستعرفه، وما كان رسول الله ﷺ يقول لأحد دخل في الإسلام: إن هناك توحيدين وإنك لا تكون مسلما حتى توحد توحيد الألوهية، ولا أشار إلى ذلك

بكلمة واحدة، ولا سُمِع ذلك عن أحد من السلف الذين يتبجحون باتباعهم في كل شيء، ولا معنى لهذا التقسيم..... وأما قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾، فهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم إجابة لحكم الوقت مضطرين لذلك بالحجج القاطعات والآيات البينات، ولعلهم نطقوا بها لا يكاد يستقر في قلوبهم أو يصل إلى نفوسهم، بدليل أنهم يقرنون ذلك القول بما يدل على كذبهم، وأنهم ينسبون الضر والنفع إلى غيره، وبدليل أنهم يجهلون الله تمام الجهل ويقدمون غيره عليه حتى في صغائر الأمور، وإن شئت فانظر إلى قولهم لهود عليه الصلاة والسلام: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ فكيف يقول ابن تيمية: إنهم معتقدون أن الأصنام لا تضر ولا تنفع إلى ءاخر ما يقول؟!. ثم انظر بعد ذلك إلى قولهم في زرعهم وأنعامهم: ﴿هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ﴾، فقدموا شركاءهم على الله تعالى في أصغر الأمور وأحقرها. وقال تعالى في بيان اعتقادهم في الأصنام: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟﴾، فذكر أنهم يعتقدون أنهم شركاء فيهم، ومن ذلك قول أبي سفيان يوم أحد: (أعل هبل)، فأجابه ﷺ بقوله: «الله أعلى وأجل»، فانظر إلى هذا ثم قل لي ماذا ترى في ذلك من التوحيد الذي ينسبه إليهم ابن تيمية ويقول: إنهم فيه مثل المسلمين سواء بسواء وإنما افترقوا بتوحيد الألوهية؟!. اهـ كلام مشيخة الأزهر ملخصا.

٤- يقول المجسم ابن أبي العز الحنفي[(١)] عن المشركين: «وَلَمْ يَكُونُوا يَعْتَقِدُونَ فِي الْأَصْنَامِ أَنَّهَا مُشَارِكَةٌ للهِ فِي خَلْقِ الْعَالَمِ، بَلْ كَانَ حَالُهُمْ فِيهَا كَحَالِ أَمْثَالِهِمْ مِنْ مُشْرِكِي الْأُمَمِ مِنَ الْهِنْدِ وَالتُّرْكِ وَالْبَرْبَرِ وَغَيْرِهِمْ، تَارَةً يَعْتَقِدُونَ أَنَّ هَذِهِ تَمَاثِيلُ قَوْمٍ صَالِحِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَيَتَّخِذُونَهُمْ شُفَعَاءَ، وَيَتَوَسَّلُونَ بِهِمْ إِلَى اللهِ، وَهَذَا كَانَ أَصْلَ شِرْكِ الْعَرَبِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَغَيْرِهِ مِنَ السَّلَفِ، أَنَّ هَذِهِ أَسْمَاءُ قَوْمٍ صَالِحِينَ فِي قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا مَاتُوا عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِمْ، ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ،

(١) المصدر السابق، (ص/ ٨٩).

ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَعَبَدُوهُمْ، وَأَنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ بِعَيْنِهَا صَارَتْ إِلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ «أَمَرَنِي أَنْ لَا أَدَعَ قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتُهُ، وَلَا تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتُهُ». وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ: «لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»، يُحَذِّرُ مَا فَعَلُوا، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأُبْرِزَ قَبْرُهُ، وَلَكِنْ كُرِهَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا ومثله قال المجسم ابن جبرين(١)، والمجسم سفر الحوالي(٢).

الرد: وما نقله ابن أبي العز ها هنا من آياتٍ وأحاديثَ وردت ونزلت في التحذير من فعل المشركين عباد الأوثان الذين كانوا يعبدونها من دون الله ويزعمون أنها تقربهم من الله فحملها على المسلمين المؤمنين المنزهين الموحدين الذين يتوسلون بالأنبياء والأولياء والصالحين ويعتقدون أنهم لا يضرون ولا ينفعون إلا بإذن الله وأن الله سبحانه هو خالق الأسباب والمسببات كما قال في القرءان الكريم: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ وقال سبحانه: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ فكفرهم وبهذا أباح دمائهم إنما وافق في وضع الآيات والأحاديث في غير محلها ما هو ديدنُ وفعل الخوارج كما ثبت عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال في الخوارج: «انطلقوا إلى آيات نزلت في المشركين فحملوها على المسلمين» فالمشبهة المجسمة قسموا التوحيد إلى ثلاثة أقسام ليصلوا إلى هذه النقطة فيكفروا المتوسلين والمستغيثين والمتبركين من المسلمين ولم يفهموا معنى التوسل في لغة العرب فهم جاهلون بالعقيدة والفقه واللغة فما أجرأهم على تكفير المسلمين واستباحة دمائهم وأموالهم وأعراضهم وإليكم الآن شيئًا من أدلة أهل السنة والجماعة في معنى التوسل والاستغاثة والاستعانة وأدلة جواز ذلك.

---

(١) (ج/١ ص٢٧-٢٨-٣٤) و(ج/٣ ص٤١٨).

(٢) (ص/١٠١١-١٠١٢-١٠١٣-١٠١٦-١٠١٧-١٠٣٣-١٠٣٤-١٠٤٣).

# بيان معنى العبادة وأنّ مجرد التوسّل والاستغاثة والنداء وطلب ما لم تجر به العادة ليس شركًا، وكذلك التبرّك بآثار النبي ﷺ

اعلم أنه لا دليل حقيقي يدلّ على عدم جواز التوسّل بالأنبياء والأولياء في حال الغيبة أو بعد وفاتهم بدعوى أن ذلك عبادة لغير الله، لأنه ليس عبادة لغير الله مجرد النداء لحيّ أو ميت، ولا مجرد الاستغاثة بغير الله، ولا مجرد قصد قبر وليّ للتبرّك، ولا مجرد طلب ما لم تجرِ به العادة بين الناس، ولا مجرد صيغة الاستعانة بغير الله تعالى، أي ليس ذلك شركًا، لأنه لا ينطبق عليه تعريف العبادة عند اللغويين، لأن العبادة عندهم الطاعة مع الخضوع، قال اللغوي[1] الزجاج وهو من أشهرهم: «قوله عز وجل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ معنى العبادة في اللغة الطاعة مع الخضوع، ويقال: هذا طريق معبّد إذا كان مُذللًا بكثرة الوطء، ومُعبّدٌ إذا كان مطليًا بالقطران، فمعنى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: نطيع الطاعة التي يخضع معها» اهـ.

ونقل هذا عنه اللغوي الأزهري[2] وهو من كبارهم، وقال مثلهما الفرّاء، وقال بعضهم: «العبادة أقصى غاية الخشوع والخضوع»، وقال بعض: «نهاية التذلّل» كما يفهم ذلك من كلام شارح القاموس محمد مرتضى الزبيدي خاتمة اللغويين، وهذا الذي يستقيم لغةً وعرفًا.

وليس مجرد التذلّل عبادة لغير الله وإلا لكفر كلّ مَن يتذلّل للملوك والعظماء، وقد ثبت أن معاذ بن جبل لما قَدِمَ من الشام سجد لرسول الله ﷺ، فقال الرسول: «ما هذا؟» فقال: يا رسول الله إني رأيت أهل الشام يسجدون لبطارقتهم وأساقفتهم، وأنت أولى بذلك، فقال: «لو كنت ءامرًا أحدًا أن يسجد لأحدٍ

---

(١) تفسير القرءان للزجاج.

(٢) تهذيب اللغة (ص/ ٢) لأبي منصور الأزهري، دار المعرفة بيروت - لبنان.

**لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»**[1]، ولم يقل له رسول الله ﷺ كفرت، ولا قال له أشركت مع أن سجوده للنبيّ مظهر كبير من مظاهر التذلّل. وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان في نفر من المهاجرين والأنصار فجاء بعير فسجد له فقال أصحابه: يا رسول الله سجد لك البهائم والشجر فنحن أحق أن نسجد لك فقال: «**اعبدوا ربكم وأكرموا أخاكم**» رواه أحمد[2] وإسناده جيد. فهؤلاء الذين يكفّرون الشخص لأنه قصد قبر الرسول أو غيره من الأولياء للتبرّك جهلوا معنى العبادة وخالفوا ما عليه المسلمون، لأن المسلمين سلفًا وخلفًا لم يزالوا يزورون قبر النبيّ، وليس معنى الزيارة للتبرّك أن الرسول يخلق لهم البركة، بل المعنى أنهم يرجون أن يخلق الله لهم البركة بزيارتهم لقبره. والدليل على جواز ما قدمنا ما أخرجه البزار[3] من حديث عبد الله بن عبّاس عن رسول الله ﷺ قال: «**إن لله ملائكة سيّاحين في الأرض سوى الحَفَظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر فإذا أصاب أحدكم عرجة بأرض فلاة فليناد: أعينوا عباد الله**». قال الحافظ الهيثمي[4] رواه الطبراني ورجاله ثقات»، وحسّنه الحافظ ابن حجر في أماليه مرفوعًا أي أنه من قول الرسول وأخرجه الحافظ البيهقي موقوفًا[5] على ابن عباس بلفظ: «**إن لله عزّ وجلّ ملائكة سوى الحَفَظَة يكتبون ما سقط من ورق الشجر فإذا أصاب أحدكم عرجة بأرض فلاة فليناد: أعينوا عباد الله يرحمكم الله تعالى**». والرواية الأولى تقوي ما ورد بمعناها من بعض الروايات التي في إسنادها ضعف، وقد

---

(١) أخرجه البيهقي في سننه (٧/ ٢٩١، ٢٩٢) دار المعرفة - بيروت وأخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب النكاح: باب حق الزوج على المرأة (ص/ ٥٩٥)، الجزء الأول/ المكتبة العلمية، مصباح الزجاجة (١/ ٤٣٢) للبوصيري، دار الجنان. قال البوصيري: رواه ابن حبان في صحيحه. وقال السندي: كأنه يريد أنه صحيح الإسناد. اهـ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٦/ ١٨٦ - ١٨٧) دار الكتب العلمية.

(٢) مسند أحمد (٦/ ٧٦) دار صادر.

(٣) كشف الأستار عن زوائد البزار (٤/ ٣٤) مؤسسة الرسالة.

(٤) مجمع الزوائد (١٠/ ١٣٢) دار الكتب العلمية.

(٥) شعب الإيمان (١/ ١٨٣) دار الكتب العلمية.

تقرر عند علماء الحديث أن الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال والدعوات والتفسير، كما ذكر الحافظ البيهقي في المدخل.

وروى البيهقي[1] أيضًا بإسناد صحيح عن مالك الدار - وكان خازن عمر - قال: «أصاب الناس قحط في زمان عمر فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استسقِ لأمّتك فإنهم قد هلكوا، فأتاه رسول الله ﷺ في المنام فقال: إيت عمر فأقرئه مني السلام وأخبره أنهم يسقون وقل له: عليك بالكيس الكيس[2]، فأتى الرجل فأخبر عمر فقال: «يا ربّ ما ءالوا إلا ما عجزت» اهـ.

وهذا الرجل هو بلال بن الحارث المزني الصحابي، فهذا الصحابيُّ قد قصد قبر الرّسول للتبرّك فلم ينكر عليه عمر ولا غيره.

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ما نصّه: «وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الدار قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأُتي الرجل في المنام فقيل له: ائتِ عمر... الحديث. وقد روى سيف في الفتوح أن الذي رأى المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة» اهـ.

وقال ابن كثير[3] ما نصّه: «وقد روينا أن عمر عسَّ المدينة ذات ليلة عام الرمادة فلم يجد أحدًا يضحكُ، ولا يتحدثُ الناسُ في منازلهم على العادة، ولم يرَ سائلًا يسأل، فسأل عن سبب ذلك فقيل له: يا أمير المؤمنين إنّ السّؤال سألوا فلم يعطوا فقطعوا السؤال، والنّاس في همّ وضيق فهم لا يتحدّثون ولا يضحكون. فكتب عمر إلى أبي موسى بالبصرة أن يا غوثاه لأمّة محمّد، وكتب إلى عمرو بن العاص بمصر أن يا غوثاه لأمّة محمّد، فبعث إليه كل واحد منهما بقافلة عظيمة

---

(١) انظر البداية والنهاية (٧/ ٩١ - ٩٢).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢/ ٤٩٥ - ٤٩٦)، ابن حجر العسقلاني/ دار المعرفة بيروت - لبنان.

(٣) البداية والنهاية (٧/ ٩٠).

تحمل البر وسائر الأطعمات، ووصلت ميرة عمرو في البحر إلى جدّة ومن جدّة إلى مكة. وهذا الأثر جيّد الإِسناد». وهذا فيه الردُّ على ابن تيمية لقوله إنه لا يجوز التوسّل إلا بالحيّ الحاضر، فهذا عمر ابن الخطّاب استغاث بأبي موسى وعمرو ابن العاص وهما غائبان. ثمَّ يقولُ في الصحيفة التي تليها: «وقال سيفُ بن عمر، عن سهل بن يوسف السلمي، عن عبد الرَّحمن بن كعب بن مالك قال: كان عام الرمادة في ءاخر سنة سبع عشرة وأوّل سنة ثماني عشرة أصاب أهل المدينة وما حولها جوع فهلك كثير من النّاس حتى جعلت الوحش تأوي إلى الإنس، فكان النّاس بذلك وعمرُ كالمحصور عن أهل الأمصار حتى أقبل بلال بن الحارث المزني فاستأذن على عمر فقال: أنا رسولُ رسول الله إليك، يقول لك رسول الله ﷺ: «**لقد عهدتك كيّسًا، وما زلتَ على ذلك فما شأنك**». قال: متى رأيت هذا؟ قال: البارحة، فخرج فنادى في النّاس الصلاة جامعة، فصلى بهم ركعتين ثمّ قامَ فقالَ: أيُّها النّاس أنشدكم الله هل تعلمون منّي أمرًا غيره خير منه فقالوا: اللّهمّ لا، فقال: إنّ بلال بن الحارث يزعم ذَيْتَ وَذَيْتَ[1]. قالوا: صدق بلال فاستغث بالله ثمَّ بالمسلمين، فبعث إليهم وكان عمرُ عن ذلك محصورًا، فقال عمر: الله أكبر، بلغ البلاءُ مدَّتَه فانكشف، ما أذن لقوم في الطلب إلا وقد رفع عنهم الأذى والبلاء. وكتبَ إلى أمراء الأمصار أن أغيثوا أهلَ المدينةِ ومَن حَولها، فإنه قد بلغ جهدهم، وأخرج النّاس إلى الاستسقاء، فخرج وخرج معه العباس بن عبد المطّلب ماشيًا، فخطب وأوجز وصلى ثم جثا لركبتيه وقال: اللّهمّ إيّاك نعبُدُ وإيّاك نستعين، اللّهمّ اغفر لنا وارحمنا وارضَ عنّا، ثم انصرف، فما بلغوا المنازل راجعين حتّى خاضوا الغدران[2] ثمَّ روى سيفٌ عن مبشر بن الفضيل، عن جبير بن صخر، عن عاصم ابن عمر بن الخطّاب أن رجلًا من مزينة عام الرمادة سأله أهلُه أن يذبح لهم شاةً فقال: ليس فيهنّ شيء، فألحّوا عليه فذبح شاةً فإذا عظامها حمْرٌ فقال: يا محمّداه.

---

(١) معناه كيت وكيت.

(٢) الغُدران جمع الغدير وهو النهر المصباح المنير، (ص/ ١٦٨).

فلما أمسى أُرِيَ في المنام أنَّ رسولَ الله ﷺ يقولُ له: «**أبشر بالحياة، ائت عمر فأقرئه منّي السلام وقل له: إنّ عهدي بك وفيّ العهدِ شديدَ العقدِ فالكيس الكيس يا عمر**»، فجاء حتى أتى بابَ عمر فقال لغلامه: استأذن لرسول رسول الله ﷺ، فأتى عمر فأخبرَهُ، ففزع ثمّ صعدَ عمر المنبر فقال للناس: أنشدكم الله الذي هداكم للإسلام هل رأيتم منّي شيئًا تكرهونه؟ فقالوا: اللّهمّ لا، وعَمَّ ذاك؟ فأخبرهم بقول المزني - وهو بلال ابن الحارث - ففطنوا ولم يفطن، فقالوا: إنما استبطأك في الاستسقاءِ فاستسقِ بنا، فنادى في الناس فخطب فأوجز ثمَّ صلى ركعتين فأوجز ثمَّ قال: اللّهمّ عَجزَتْ عنّا أنصارُنا وعجز عنّا حولنا وقوتنا وعجزت عنّا أنفسنا، ولا حول ولا قوة إلا بك، اللّهمّ اسقنا وأحيِ العبادَ والبلادَ.

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو نصر بن قتادة وأبو بكر الفارسي قالا: حدّثنا أبو عمرو بن مطر، حدّثنا إبراهيم بن علي الذهلي، حدّثنا يحيى بن يحيى، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح عن مالك الدار قال: أصابَ الناسَ قحط في زمن عمر بن الخطاب فجاء رجل إلى قبر النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله استسق الله لأمّتك فإنهم قد هلكوا، فأتاهُ رسول الله ﷺ في المنام فقال: «**ائت عمر فأقرئهُ منّي السلام وأخبره أنهم مُسقون وقل له: عليك بالكيس الكيس**»، فأتى الرجل فأخبر عمر فقال: «يا رب ما ءالوا إلا ما عجزت عنه» هذا إسناد صحيح». انتهى كلام ابن كثير. وهذا إقرار منه بصحة هذا الحديث.

قال الحافظ ولي الدين العراقي[1] في شرح حديث: أن موسى قال: رب أدنني من الأرض المقدسة رمية بحجر وأن النبي ﷺ قال: «**والله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جنب الطريق عند الكثيب الأحمر**» ما نصه: «وفيه استحباب معرفة قبور الصالحين لزيارتها والقيام بحقها، وقد ذكر النبي ﷺ لقبر السيد موسى عليه السلام علامة هي موجودة في قبر مشهور عند الناس الآن بأنه قبره، والظاهر أن الموضع المذكور هو الذي أشار إليه النبي عليه الصلاة والسلام، وقد دلّ على

---

(١) طرح التثريب (٣/ ٢٩٨ - ٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٣)، مؤسسة التاريخ العربي.

ذلك حكايات ومنامات، وقال الحافظ الضياء: حدثني الشيخ سالم التل قال:ما رأيت استجابة الدعاء أسرع منها عند هذا القبر، وحدثني الشيخ عبد الله بن يونس المعروف بالأرمني أنه زار هذا القبر وأنه نام فرأى في منامه قبة عنده وفيها شخص أسمر[1] فسلم عليه وقال له: أنت موسى كليم الله، أو قال: نبي الله، فقال: نعم، فقلت: قل لي شيئًا، فأومأ إلي بأربع أصابع ووصف طولهن، فانتبهت فلم أدر ما قال، فأخبرت الشيخ ذيالا بذلك فقال: يولد لك أربعة أولاد، فقلت: أنا قد تزوجت امرأة فلم أقربها، فقال: تكون غير هذه، فتزوجت أخرى فولدت لي أربعة أولاد» انتهى.

وابن تيمية هو أوّل من منع التوسّل بالنبي عليه السلام كما ذكر ذلك الفقيه اللغوي المحدث علي بن عبد الكافي السبكي في كتابه شفاء السَّقام[2] ونص عبارته: «اعلم أنه يجوز ويحسن التوسل والاستعانة والتشفّع بالنبي ﷺ إلى ربّه سبحانه وتعالى، وجوازُ ذلك وحُسْنُهُ من الأمور المعلومة لكل ذي دين، المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين وسير السلف الصالحين والعلماء والعوام من المسلمين، ولم ينكر أحد ذلك من أهل الأديان ولا سمع به في زمن من الأزمان حتى جاء ابن تيمية فتكلّم في ذلك بكلام يلبس فيه على الضعفاء الأغمار، وابتدع ما لم يسبق إليه في سائر الأعصار..» اهـ.

قال بعض أهل العصر في كلام له في الرد على ابن تيمية: «فسَعْيُهُ -يعني ابن تيمية - في منع الناس من زيارته ﷺ يدل على ضغينةٍ كامنةٍ فيه نحو الرسول، وكيف يتصور الإِشراك بسبب الزيارة والتوسل في المسلمين الذين يعتقدون في حقّه عليه السلام أنه عبده ورسوله وينطقون بذلك في صلواتهم نحو عشرين مرة في كل يوم على أقلّ تقدير إدامةً لذكرى ذلك، ولم يزل أهل العلم ينهون العوام عن البدع في كل شؤونهم ويرشدونهم إلى السنة في الزيارة وغيرها إذا صدرت

---

(١) كما يقال في العامية حنطي اللون.

(٢) شفاء السقام (ص/ ١٦٠).

منهم بدعة في شيء، ولم يعدّوهم في يوم من الأيام مشركين بسبب الزيارة أو التوسّل، وكيف وقد أنقذهم الله من الشرك وأدخل في قلوبهم الإيمان، وأول من رماهم بالإشراك بتلك الوسيلة هو ابن تيمية وجرى خلفه من أراد استباحة أموال المسلمين ودمائهم لحاجة في النفس، ولم يخف ابن تيمية من الله في رواية عدّ السفر لزيارة النبي ﷺ سفر معصية لا تقصر فيه الصلاة عن الإمام أبي الوفاء بن عقيل الحنبلي، وحاشاه عن ذلك -راجع كتاب التذكرة له تجد فيه مبلغ عنايته لزيارة المصطفى ﷺ والتوسّل به كما هو مذهب الحنابلة - وإنما قوله بذلك في السفر إلى المشاهد المعروفة بالعراق لما قارن ذلك من البدع في عهده وفي نظره، وإليك نص عبارته في التذكرة المحفوظة بظاهرية دمشق: فصل: ويستحب له قدوم مدينة الرسول صلوات الله عليه فيأتي مسجده فيقول عند دخوله: بسم الله اللّهمّ صلّ على محمّد وعلى ءال محمّد، وافتح لي أبواب رحمتك، وكف عني أبواب عذابك، الحمد لله الذي بلغ بنا هذا المشهد وجعلنا لذلك أهلًا، الحمد لله رب العالمين، إلى أن قال: واجعل القبر تلقاء وجهك وقم مما يلي المنبر وقل: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، اللّهمّ صلّ على محمّد وعلى ءال محمّد إلى ءاخر ما تقوله في التشهد الأخير، ثم تقول: اللّهمّ أعط محمّدًا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود الذي وعدته، اللّهمّ صلّ على روحه في الأرواح وجسده في الأجساد كما بلّغ رسالاتك وتلا ءاياتك وصدع بأمرك حتى أتاه اليقين، اللّهمّ إنك قلت في كتابك لنبيّك ﷺ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[1] (وإني قد أتيت نبيّك تائبًا مستغفرًا فأسألك أن توجب لي المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حياته، اللّهمّ إني أتوجه إليك بنبيّك ﷺ نبيّ الرحمة، يا رسول الله إني أتوجه بك إلى ربي ليغفر لي ذنوبي، اللّهمّ إني أسألك بحقه أن تغفر لي ذنوبي، اللّهمّ اجعل محمدًا أوّل الشافعين وأنجح السائلين وأكرم الأولين والآخرين، اللّهمّ كما ءامنا به ولم

(١) سورة النساء/ ءاية ٦٤.

نره وصدقناه ولم نلقه فأدخلنا مدخله واحشرنا في زمرته وأوردنا حوضه واسقنا بكأسه مشربًا صافيًا رويًّا سائغًا هنيًا لا نظمأ بعده أبدًا، غير خزايا ولا ناكثين ولا مارقين ولا مغضوبًا علينا ولا ضالّين، واجعلنا من أهل شفاعته. ثم تقدم عن يمينك فقل: السلام عليك يا أبا بكر الصدّيق، السلام عليك يا عمر الفاروق، اللّهمّ اجزهما عن نبيهما وعن الإسلام خيرًا، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[1] الآية.

وتصلي بين القبر والمنبر في الروضة، وإن أحببت تمسّح بالمنبر وبالحنانة وهو الجذع الذي كان يخطب عليه ﷺ فلما اعتزل عنه حنّ إليه كحنين الناقة. وتأتي مسجد قباء فتصلي لأن النبي ﷺ كان يقصده فيصلي فيه، وإن أمكنك فأتِ قبور الشهداء وزرهم وأكْثر من الدعاء في تلك المشاهد حتى كأنك إلى مواقفهم، واصنع عند الخروج ما صنعت عند الدخول» اهـ.

وابن عقيل هذا من أساطين الحنابلة قال ابن تيمية عن كتابه عمدة الأدلة له إنه من الكتب المعتمدة في المذهب، ويقال عن كتابه المسمى بالفنون إنه في ثمانمائة مجلد. ومن الدليل أيضًا على جواز التوسل بالأنبياء والصالحين حديث أبي سعيد الخدري الذي حسّنه الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار[2] وغيرُه، قال: «قال رسول الله ﷺ: «**إذا خرج الرجل من بيته إلى الصلاة فقال: اللّهمّ إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا، فإني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا رياءً ولا سمعة، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، أسألك أن تنقذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، وكّل الله به سبعين ألف ملك يستغفرون له، وأقبل الله عليه بوجهه[3] حتى يقضي صلاته**».

---

(١) سورة الحشر/ ءاية ١٠.

(٢) نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار. (مخطوط) غير موجود في المكتبة.

(٣) الرضى وليس الجارحة فالله منزه عن كل الجوارح.

قال الحافظ الخطيب البغدادي[1] وهو الذي قيل فيه: إن المؤلفين في كتب الحديث دراية عيال على كتبه، ما نصه: «أخبرنا القاضي أبو محمّد الحسن بن الحسين ابن محمّد بن رامين الأستراباذي، قال: أنبأنا أحمد ابن جعفر بن حمدان القطيعي قال: سمعت الحسن بن إبراهيم أبا علي الخلال يقول: ما همّني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسلت به إلا سهل الله تعالى لي ما أحبّ. أخبرنا إسماعيل ابن أحمد الحِيري قال: أنبأنا محمد بن الحسين السُّلَمي قال: سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول: سمعت أبا علي الصفار يقول: سمعت إبراهيم الحربي يقول: قبر معروف الترياق المجرّب. أخبرني أبو إسحق إبراهيم بن عمر البرمكي قال: نبأنا أبو الفضل عبيد الله بن عبد الرحمـٰن بن محمّد الزهري قال: سمعت أبي يقول: قبر معروف الكرخي مجرّب لقضاء الحوائج، ويقال: إنه من قرأ عنده مائة مرة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[2] وسأل الله تعالى ما يريد قضى الله له حاجته.

حدّثنا أبو عبد الله محمّد بن علي بن عبد الله الصوري قال: سمعت أبا الحسين محمّد بن أحمد بن جميع يقول: سمعت أبا عبد الله بن المحاملي يقول: أعرف قبر معروف الكرخي منذ سبعين سنة، ما قصده مهموم إلا فرّج الله همّه.

أخبرنا القاضي أبو عبد الله الحسين بن علي بن محمّد الصيمري قال: أنبأنا عمر ابن إبراهيم المقري قال: نبأنا مكرم بن أحمد قال: نبأنا عمر بن إسحق بن إبراهيم قال: نبأنا علي بن ميمون قال: سمعت الشافعي يقول: إني لأتبرّك بابي حنيفة وأجيء إلى قبره في كل يوم -يعني زائرًا- فإذا عرضت لي حاجة صلّيت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده، فما تبعد عني حتى تقضى.

ومقبرة باب البردان فيها أيضًا جماعة من أهل الفضل، وعند المصلى المرسوم بصلاة العيد كان قبر يعرف بقبر النذور ويقال: إن المدفون فيه رجل من ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه يتبرّك الناس بزيارته، ويقصده ذو الحاجة منهم لقضاء حاجته.

---

(١) تاريخ بغداد (١/ ١٢٢ - ١٢٥).

(٢) سورة الإخلاص/ ءاية ١.

حدّثني القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قال: حدّثني أبي قال: كنت جالسًا بحضرة عضد الدولة ونحن مخيمون بالقرب من مصلى الأعياد في الجانب الشرقي من مدينة السلام نريد الخروج معه إلى همذان في أوّل يوم نزل المعسكر، فوقع طرفه على البناء الذي على قبر النذور فقال لي: ما هذا البناء؟

فقلت: هذا مشهد النذور، ولم أقل قبر لعلمي بطيرته من دون هذا، واستحسن اللفظة وقال: قد علمت أنه قبر النذور، وإنما أردت شرح أمره، فقلت: هذا يقال إنه قبر عبيد الله بن محمّد بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ويقال: إنه قبر عبيد الله بن محمّد بن عمر بن علي بن أبي طالب، وإن بعض الخلفاء أراد قتله خفيًا، فجعلت له هناك زُبْيَةً وسار عليها وهو لا يعلم، فوقع فيها وأهيل عليه التراب حيًا، وإنما شهر بقبر النذور لأنه ما يكاد ينذر له نذر[1] إلا صح وبلغ الناذر ما يريد ولزمه الوفاء بالنذر، وأنا أحد من نذر له مرارًا لا أحصيها كثرة نذورًا على أمور متعذرة، فبلغتها ولزمني النذر فوفيت به، فلم يتقبّل هذا القول وتكلّم بما دلّ أن هذا إنما يقع منه اليسير اتفاقًا، فيتسوق العوام بأضعافه، ويسيرون الأحاديث الباطلة فيه، فأمسكت، فلما كان بعد أيام يسيرة ونحن معسكرون في موضعنا استدعاني في غدوة يوم وقال: اركب معي إلى مشهد النذور، فركبت وركب في نفر من حاشيته إلى أن جئت به إلى الموضع، فدخله وزار القبر وصلى عنده ركعتين سجد بعدهما سجدة أطال فيها المناجاة بما لم يسمعه أحد، ثم ركبنا معه إلى خيمته وأقمنا أيامًا، ثم رحل ورحلنا معه يريد همذان، فبلغناها وأقمنا فيها معه شهورًا، فلما كان بعد ذلك استدعاني وقال لي: ألست تذكر ما حدثتني به في أمر مشهد النذور ببغداد فقلت: بلى، فقال: إني خاطبتك في معناه بدون ما كان في نفسي اعتمادًا لإِحسان عشرتك، والذي كان في نفسي في الحقيقة أن جميع ما يقال فيه كذب، فلما كان بعد ذلك بمديدة طرقني أمر خشيت أن يقع ويتم، وأعملت فكري في الاحتيال لزواله ولو بجميع ما في بيوت أموالي وسائر عساكري، فلم

---

(١) معنى النذر هنا أنه ينذر التصدق لوجه الله عن صاحب القبر لا أنه ينذر للقبر أو لصاحبه.

أجد لذلك فيه مذهبًا، فذكرت ما أخبرتني به في النذر لقبر النذور، فقلت: لم لا أجرّب ذلك، فنذرت إن كفاني الله تعالى ذلك الأمر أن أحمل إلى صندوق هذا المشهد عشرة ءالاف درهم صحاحًا، فلما كان اليوم جاءتني الأخبار بكفايتي ذلك الأمر، فتقدمت إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف -يعني كاتبه- أن يكتب إلى أبي الريان وكان خليفته ببغداد يحملها إلى المشهد، ثم التفت إلى عبد العزيز وكان حاضرًا، فقال له عبد العزيز: قد كتبت بذلك ونفذ الكتاب» اهـ.

قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر[1] «حدثني الشيخ الصالح الأصيل أبو عبد الله محمد بن محمد بن عمر [بن] الصفار الأسفرايني أن قبر أبي عوانة بأسفراين[2] مَزارُ العالِمِ ومتبرَّك الخلق» اهـ.

وفي هذا مع ما حصل من بلال بن الحارث من قصد قبر الرسول للتبرّك والاستعانة به بيان لما كان عليه السلف والخلف من قصد قبور الأنبياء والصالحين للتبرّك، وأنهم كانوا يرون ذلك عملًا حسنًا، وفي ذلك نقض زعم ابن تيمية وابن قيّم الجوزية أن زيارة القبر للتبرّك شرك، وفي ذلك أيضًا بيان واضح أن هذا كان عمل المسلمين بلا نكير، إنما التشويش على المتبرّكين جاء من ابن تيمية وأتباعه، ولو تتبعنا شواهد ذلك من كتب المحدّثين وغيرهم لطال الكلام جدًّا، وهذا الحافظ ابن عساكر كان شيخ المحدّثين في عصره في برّ الشام كلّه.

وقد قال الإمامُ مالك للخليفة المنصور لما حجّ وزار قبر النبيّ ﷺ وسأل مالكًا قائلًا: «يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ قال: ولِمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك ءادم عليه السلام إلى الله تعالى؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله». ذكره القاضي عياض في الشفا[3]

(١) وفيات الأعيان (٦/ ٣٩٤) دار الثقافة بيروت - لبنان.

(٢) بُليدة حصينة من نواحي نيسابور، معجم البلدان (١/ ١٧٧) للإمام شهاب الدين الحموي/ دار الفكر.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٩٢ - ٩٣)، المواهب اللدنية (٤/ ٥٨٩ - ٥٩٠).

وساقه بإسناد صحيح، والسيد السمهودي في خلاصة الوفا، والقسطلاني في المواهب اللدنية، وابن حجر الهيتمي في الجوهر المنظم، وغيرهم.

وقد روى البيهقي في دلائل النبوّة[1]: عن عمر رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: **«لما اقترف ءادم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحقّ محمد إلا ما غفرت لي، فقال الله عزّ وجلّ: يا ءادم كيف عرفت محمدًا ولم أخلقه، قال: لأنك يا ربّ لما خلقتني بيدك[2] ونفخت فيّ من روحك[3] رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبًا: لا إلـٰه إلا الله محمّد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحبّ الخلق إليك»** الحديث، ورواهُ الحاكم[4] وصحّحه، ووصفه السبكي بأنه جيد[5]، وأخرجه الطبرانيّ في الأوسط[6] والصغير[7]. وروى البخاري في كتاب الأدب المفرد[8] عن عبد الرحمـٰن بن سعد قال: «خدرت رجل ابن عمر فقال له رجل: اذكر أحبّ الناس إليك فقال: يا محمدُ، فذهب خدر رجله» اهـ.

وفي كتاب الحكايات المنثورة للحافظ الضياء المقدسي الحنبلي، أنه سمع الحافظ عبد الغني المقدسي الحنبلي يقول: إنه خرج في عضده شىء يشبه الدُّمَّل فأعيته مداواته، ثم مسح به قبر أحمد بن حنبل فبرئ ولم يعد إليه، وهذا الكتاب بخط الحافظ المذكور محفوظ بظاهرية دمشق.

وأخرج أحمد في المسند[9] بإسناد حسن كما قال الحافظ ابن حجر[10] أن

---

(١) دلائل النبوة (٥/ ٤٨٩) البيهقي/ دار الكتب العلمية.
(٢) أي بعنايتك.
(٣) أي الروح المشرفة عندك والله منزه عن حقيقة النفخ.
(٤) مستدرك الحاكم، كتاب التاريخ (٢/ ٦١٥)/ دار المعرفة.
(٥) انظر شفاء السقام (ص/ ١٦٢ - ١٦٣).
(٦) عزاه له الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٥٣) وقال: وفيه من لم أعرفهم.
(٧) المعجم الصغير (ص/ ٣٥٥) للطبراني / مؤسسة الكتب.
(٨) الأدب المفرد (ص/ ٣٣٥) البخاري، دار البشائر الإسلامية.
(٩) مسند أحمد (٣/ ٤٨١ - ٤٨٢) دار صادر.
(١٠) فتح الباري (٨/ ٥٧٩) ابن حجر العسقلاني/ دار المعرفة - بيروت لبنان.

الحارثَ بن حسان البكري قال لرسول الله ﷺ: **«أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد»**.

ولفظ الحديث كما في مسند أحمد: حدّثنا عبد الله حدثني أبي ثنا زيد بن الحباب قال حدثني أبو المنذر سلام بن سليمان النحوي قال ثنا عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن الحارث بن يزيد البكري[1] قال: خرجت أشكو العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله ﷺ، فمررت بالربذة[2] فإذا عجوز من بني تميم مُنْقَطَع بها، فقالت لي: يا عبد الله إن لي إلى رسول الله ﷺ حاجة فهل أنت مبلغي إليه، قال: فحملتها فأتيت المدينة فإذا المسجد غاص بأهله، وإذا راية سوداء تخفق وبلال متقلّد السيف بين يدي رسول الله ﷺ، فقلت: ما شأن الناس، قالوا: يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجهًا، قال: فجلست، قال: فدخل منزله أو قال: رحله، فاستأذنت عليه فأذن لي فدخلت فسلّمت، فقال: هل كان بينكم وبين بني تميم شيء، قال: فقلت: نعم، قال: وكانت لنا الدبرة[3] عليهم، ومررت بعجوز من بني تميم منقطع بها فسألتني أن أحملها إليك، وها هي بالباب، فأذن لها فدخلت، فقلت: يا رسول الله إن رأيت أن تجعل بيننا وبين بني تميم حاجزًا فاجعل الدهناء[4]، فحميت العجوز واستوفزت[5] قالت: يا رسول الله فإلى أين تضطر مضرك[6]؟ قال: قلت إنما مثلي ما قال الأول: معزاء حملت حتفها، حملت هذه ولا أشعر أنها كانت لي خصما، أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد، قال: «هيه وما وافد عاد»؟ – وهو أعلم

---

(١) الحارث بن حسّان البكري ويسمى الحرث بن يزيد البكري كما في الإصابة للحافظ ابن حجر العسقلاني الإصابة (١/ ٢٧٧).

(٢) هي قرية كانت عامرة في صدر الإسلام وبها قبر أبي ذر الغفاري وجماعة من الصحابة. وهي عن المدينة في جهة الشرق، معجم البلدان (٣/ ٢٤).

(٣) أي الغلبة.

(٤) أرض في جزيرة العرب، معجم البلدان (٢/ ٤٩٣).

(٥) أي جلست جلوس المستوفز كالذي يجلس على أصابع قدميه وركبتيه بشكل يكون قريبًا من القيام.

(٦) معناه إلى من تَلْجأ مضرك أي أبناء قبيلتك التي أنت منها، تستعطفه.

بالحديث منه ولكن يستطعمه[1]- قلت: إن عادًا قحطوا[2] فبعثوا وافدًا لهم يقال له قيل، فمرّ بمعاوية بن بكر فأقام عنده شهرًا يسقيه الخمر وتغنيه جاريتان يقال لهما الجرادتان، فلما مضى الشهر خرج إلى جبال تهامة فنادى: اللّهمّ إنك تعلم أني لم أجئ إلى مريض فأداويه ولا إلى أسير فأفاديه، اللّهمّ اسق عادًا ما كنت تسقيه، فمرت به سحابات سود فنودي منها اختر، فأومأ إلى سحابة منها سوداء فنودي منها: خذها رمادًا رمددًا[3] لا تبقي من عاد أحدًا، قال: فما بلغني أنه بعث عليهم من الريح إلا قدر ما يجري في خاتمي هذا حتى هلكوا. قال أبو وائل: وصدق، قال: فكانت المرأة والرجل إذا بعثوا وافدًا لهم قالوا: لا تكن كوافد عاد» اهـ.

فماذا يقول هؤلاء الجاعلون التوسّل بالنبيّ شركًا في إيراد أحمد بن حنبل لهذا الحديث أيجعلونه مقررًا للشرك أم ماذا يقولون؟

قال ابن الحاج المالكي المعروف بإنكاره للبدع في كتابه المدخل[4] ما نصّه: «فالتوسّل به عليه الصلاة والسلام هو محل حط أحمال الأوزار وأثقال الذنوب والخطايا لأن بركة شفاعته عليه الصلاة والسلام وعظمها عند ربه لا يتعاظمها ذنب، إذ إنها أعظم من الجميع، فليستبشر من زاره ويلجأ إلى الله تعالى بشفاعة نبيّه عليه الصلاة والسلام مَنْ لم يزره، اللّهمّ لا تحرمنا من شفاعته بحرمته عندك.

ءامين يا رب العالمين.

ومن اعتقد خلاف هذا فهو المحروم، ألم يسمع قول الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[5] (فمن جاءه ووقف ببابه وتوسّل به وجد الله توابًا

(١) أي يريده أن يظهر معرفته.
(٢) أي انقطع عنهم المطر.
(٣) معناه هذه السحابة لا رحمة لكم فيها لا تحمل مطرًا بل تحمل هلاككم.
(٤) المدخل (١/ ٢٥٩ - ٢٦٠).
(٥) سورة النساء/ ءاية.

رحيما لأن الله عزّ وجلّ منزّه عن خُلْف الميعاد وقد وعد سبحانه وتعالى بالتوبة لمن جاءه ووقف ببابه وسأله واستغفر ربه، فهذا لا يشك فيه ولا يرتاب إلا جاحد للدين معاند لله ولرسوله ﷺ، نعوذ بالله من الحرمان.» انتهى كلام ابن الحاج.

وأخرج الطبراني في معجميه الكبير[1] والصغير[2] عن عثمان بن حُنَيف أن رجلًا كان يختلف إلى عثمان بن عفّان في حاجة له فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي عثمان بن حُنَيف فشكى ذلك إليه فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل: «اللّهمّ إني أسألكَ وأتوجَّهُ إليكَ بنبيِّنا محمدٍ نبيّ الرحمةِ، يا محمّدُ إني أتوجهُ بكَ إلى ربي عز وجل لتقضى لي حاجتي» وتذكر حاجتك ورح إليّ حتى أروحَ معكَ فانطلق الرجل فصنع ما قال عثمان له ثم أتى عثمان بن عفان، فجاء البوّابُ حتى أخذه بيده فأدخله على عثمان ابن عفّان فأجلسه معه على الطنفسة وقال: ما حاجتك؟ فذكر حاجته فقضاها له ثم قال له: ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة وقال له: ما كان لك حاجة فأتنا، ثم إن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حُنَيف فقال له: جزاك الله خيرًا ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إليّ حتى كلّمتَه فيّ، فقال عثمان بن حُنَيف: والله ما كلّمته ولكن شهدت رسول الله ﷺ وأتاه ضرير فشكا إليه ذهاب بصره فقال له النبي ﷺ: «**أو تصبر**» فقال: يا رسول الله إنه ليس لي قائد وقد شق عليّ، فقال له النبي: «**ائتِ الميضأة فتوضأ ثم صلّ ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات**»، قال عثمان بن حنيف: فوالله ما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرٌّ قط. قال الطبراني: «والحديث صحيح».

ففيه دليل على أن الأعمى توسّل بالنبي ﷺ في غير حضرته، بل ذهب إلى الميضأة فتوضأ وصلى ودعا باللفظ الذي علّمه رسول الله، ثم دخل على النبي ﷺ والنبي لم يفارق مجلسه لقول راوي الحديث عثمان بن حُنَيْف: فوالله ما تفرقنا ولا

---

(١) المعجم الكبير (٩/ ٣١) للحافظ أبي القاسم الطبراني، دار إحياء التراث العربي.
(٢) المعجم الصغير (ص/ ٢٠١ – ٢٠٢) للحافظ الطبراني، مؤسسة الكتب الثقافية.

طال بنا المجلس حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرٌّ قط[1].

فإن قيل: إن الطبراني لم يصحح بقوله: «والحديث صحيح» إلا الأصل وهو ما حصل بين النبيّ والأعمى ويسمى مرفوعًا، وأمّا ما حصل بين عثمان بن حُنَيْف وذلك الرجل فلا يسمى حديثًا لأنه حصل بعد النبيّ ﷺ وإنما يسمى موقوفًا.

فالجواب: أن علماء الحديث يطلقون الحديث على المرفوع والموقوف، وقد نصَّ على ذلك غير واحد منهم كابن حجر العسقلاني[2] وابن الصلاح[3]، ففي كتاب فتاوى الرملي[4] ما نصه: «سئل عن تعريف الأثر فأجاب: إن تعريف الأثر عند المحدّثين هو الحديث سواء أكان مرفوعًا أو موقوفًا وإن قصره بعض الفقهاء على الموقوف» اهـ.فدعوى الألباني وبعض تلامذته وحملهم قول الطبراني: «والحديث صحيح» على ما حصل للأعمى مع رسول الله دون ما حصل للرجل مع عثمان بن حُنَيْف دعوى باطلة مخالفة لقواعد الاصطلاح. قال المناوي[5] في حديث: «**اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيّك محمَّد نبي الرحمة**» ما نصه: «قال ابن عبد السّلام: ينبغي كونه مقصورًا على النبي ﷺ وأن لا يقسم على الله بغيره من الأنبياء والملائكة والأولياء لأنهم ليسوا في درجته، وأن يكون مما خصّ به، قال السبكي: يحسن التوسل والاستعانة والتشفع بالنبي إلى ربّه، ولم ينكر ذلك أحد من السلف ولا الخلف حتى جاء ابن تيمية فأنكر ذلك وعدل عن الصراط المستقيم وابتدع ما لم يقله عالم قبله وصار بين أهل الإسلام مُثْلَةً» اهـ.

---

(١) المعجم الكبير للطبراني (٩/ ٣١)، دار إحياء التراث العربي، والمعجم الصغير (ص/ ٢٠١ - ٢٠٢) مؤسسة الكتب الثقافية. قال الطبراني: والحديث صحيح.

(٢) تدريب الراوي للإمام السيوطي (١/ ٤٢) دار الفكر.

(٣) مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث فيه تعريف للمرفوع والموقوف، (ص/ ٥١١ - ٥١٢) دار الراية.

(٤) فتاوى الرملي بهامش الفتاوى الكبرى لابن حجر الهيتمي (٤/ ٣٧١) مؤسسة التاريخ العربي.

(٥) فيض القدير (٢/ ١٣٤) دار الفكر.

وبما يدل على جواز التوسّل أيضًا ما رواه البخاريّ[1] ومسلم[2] عن أبي عبد الرحمـٰن عبد الله بن عمر بن الخطّاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى أواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدّت عليهم الغار فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، قال رجل منهم: اللّهمّ كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلًا ولا مالًا، فنأى بي طلب الشجر يومًا فلم أُرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما[3] فوجدتهما نائمين فكرهت أن أوقظهما وأن أَغبق قبلهما أهلًا أو مالا، فلبثت والقدح على يديّ أَنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون[4] عند قدمي، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللّهمّ إن كنتُ فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرّج عنّا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئًا لا يستطيعون الخروج منه»، الحديث. فإذا كان التوسّل بالعمل الصالح جائزًا فكيف لا يصحّ بالذوات الفاضلة كذوات الأنبياء، فهذا يكفي دليلًا لو لم يكن دليل سواه للتوسّل بالأنبياء والأولياء.

وذكر المرداوي الحنبلي أيضًا في كتاب الإنصاف[5] تحت عنوان فوائد ما نصّه: «ومنها -أي ومن الفوائد - يجوز التوسل بالرجل الصالح على الصحيح من المذهب وقيل يستحب» اهـ.

فماذا يقول هؤلاء عن المذهب الحنبلي الذي قرّر أن التوسّل بالنبي بعد موته سنةٌ على رأي، وجائز فقط على رأي فهل يكفرون الحنابلة؟ وما معنى اعتزاز هؤلاء بأحمد مع أن أحمد في وادٍ وهم في وادٍ ءاخر؟

---

(١) صحيح البخاري: كتاب البيوع: باب إذا اشترى شيئًا لغيره بغير إذنه فرضي (٣/ ٧٠).

(٢) صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار: باب قصة أصحاب الغار الثلاثة، والتوسل بصالح الأعمال (٤/ ٢٠٩٩)/ دار الفكر - بيروت.

(٣) الغَبوق: الطعام الذي يكون في النصف الأخير من النهار كالذي يؤكل العصر.

(٤) يتباكون لسان العرب (١٤/ ٤٨٥).

(٥) الإنصاف (٢/ ٤٥٦) المرداوي/ دار إحياء التراث العربي - بيروت.

وقد قال الإمام أحمد للمروالرُّوذي[1]: «يتوسل -أي الداعي عند القحط وقلّة المطر أو انقطاعه- بالنبي ﷺ في دعائه» اهـ.

وفي كتاب إتحاف السادة المتّقين[2] شرح إحياء علوم الدين ما نصّه: «وكان صفوان بن سُليم المدني أبو عبد الله، وقيل أبو الحرث القرشي الزهري الفقيه العابد وأبوه سُليم مولى حميد بن عبد الرَّحمن بن عوف قال أحمد: هو يُسْتَسْقَى بحديثه وينزل القطر من السماء بذكره، وقال مرة: هو ثقة من خيار عباد الله الصالحين، قال الواقدي وغيره مات سنة مائة واثنتين وثلاثين عن اثنتين وسبعين سنة» اهـ.

أي أنه توفي قبل أن يولد الإمام أحمد. فهذا أحمد لم يقل يستسقى بدعائه كما يقول ابن تيمية إن التوسل بدعاء الشخص لا بذاته ولا بذكره، بل جعل أحمد ذكره سببًا لنزول المطر، فمن أين تحريم ابن تيمية للتوسّل بالذوات الفاضلة؟

وفي فتاوى شمس الدين الرملي[3] ما نصّه: «سئل عما يقع من العامّة من قولهم عند الشدائد: يا شيخ فلان، يا رسول الله، ونحو ذلك من الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والعلماء والصالحين فهل ذلك جائز أم لا؟ وهل للرّسل والأنبياء والأولياء والصالحين والمشايخ إغاثةٌ بعد موتهم؟ وماذا يرجّح ذلك؟

فأجاب: بأن الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والعلماء والصالحين جائزة، وللرّسل والأنبياء والأولياء والصالحين إغاثة بعد موتهم، لأن معجزة الأنبياء وكرامات الأولياء لا تنقطع بموتهم، أما الأنبياء فلأنهم أحياء في قبورهم يصلّون ويحجّون كما وردت به الأخبار، وتكون الإغاثة منهم معجزة لهم، وأمّا الأولياء فهي كرامة لهم فإن أهل الحق على أنه يقع من الأولياء بقصد وبغير قصد أمور خارقة للعادة يجريها الله تعالى بسببهم» اهـ أما قوله: «ويحجون» فإنه لم يثبت في السنة.

---

(١) الإنصاف (٢/ ٤٥٦)، المرداوي/ دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٢) إتحاف السادة المتقين (١٠/ ١٣٠)، مرتضى الزبيدي/ دار الفكر.

(٣) إفادة النصيح بالتعريف بسند الجامع الصحيح (ص/ ٩٢ - ٩٣)، الدار التونسية للنشر.

قال نور الدين ملا علي القاري في شرح المشكاة ما نصّه: «قال شيخ مشايخنا علامة العلماء المتبحرين شمس الدين بن الجزري في مقدمة شرحه للمصابيح المسمى بتصحيح المصابيح: إني زرت قبره بنيسابور -يعني مسلم بن الحجاج القشيري - وقرأت بعض صحيحه على سبيل التيمّن والتبرّك عند قبره ورأيت ءاثار البركة ورجاء الإجابة في تربته» اهـ.

وقال المحدّث ابن رشيْد الفِهْري في كتابه إفادة النصيح في ترجمة المحدث أبي محمد الحَجْري[1] ما نصه: «قال الحافظ أبو عبد الله القضاعي في تكملته: «قال شيخنا أبو الربيع بن سالم وقرأته عليه: صادف وقت وفاته -أي الحجري - وأخبرني الناقد أبو بكر محمد بن حسن اللخمي الحبيشي قال: أخبرني أبو بكر ابن مُحرز الزّهري قال: لما جيء بابن عبيد الله الحجري ليدفن استسقى الناس على قبره وكانوا قد قحطوا قال: فما تم السابع حتى خضنا الوحل الشديد. وأخبرني أبو بكر قال: أخبرني أبو بكر قال: شاهدت من كرامات شيخنا أبي محمد الحجري عند دفنه امرأة لاذت بنعشه وكانت تستحاض فقالت: أسألك اللهم بحرمة هذا الرجل أن ترفع عني هذا الأمر حتى أصلي في المسجد مع الناس قال: فحُكي لي بعد ذلك أنها شُفيت. قلت: وحكاية المرأة المستحاضة مشهورة نقلها غير واحد من الثقات».

فإن قيل: أليس في حديث: «**إذا مات الإِنسان انقطع عمله إلا من ثلاث**» دلالة على أن الميت لا ينفع غيره.

فالجواب: أنه ليس في الحديث الذي رواه ابن حبّان[2]: «**إذا مات الإِنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفعُ به أو ولد صالح يدعو له**» دلالة على أن الميت لا ينفع غيره، إذ إن في الحديث نفي استمرار العمل التكليفي

(١) فتاوى الرملي بهامش الفتاوى الكبرى لابن حجر الهيتمي (٤/ ٣٨٢)، مؤسسة التاريخ العربي.

(٢) صحيح ابن حبان، فصل في الموت وما يتعلق به من راحة المؤمن وبشراه وروحه وعمله والثناء عليه، انظر الإحسان (٥/ ٩) دار الكتب العلمية.

الذي يتجدّد به للميت ثواب، أما أن ينفع غيره فغير ممنوع بدليل أن سيّدنا موسى ﷺ قال لمحمّد عليه الصلاة والسلام في حديث المعراج: «**ارجع فسَلْ ربك التخفيف**»[(١)]، وهذا نفع كبير لأمّة محمّد كان بعد موت موسى بسنين عديدة. فإن قيل: أليس في توسّل عمر بالعبّاس[(٢)] بعد موت النبيّ ما يدلّ على أنه لا يتوسّل بالنبيّ بعد موته.

فالجواب: أن توسل عمر بالعبّاس بعد موت النبيّ ليس لأن الرسول قد مات بل كان لأجل رعاية حق قرابته من النبي ﷺ، بدليل قول العبّاس حين قدّمه عمر: «اللّهمّ إن القوم توجّهوا بي إليك لمكاني من نبيّك»، روى هذا الأثر الزبير ابن بكّار.

وروى الحاكم[(٣)] أيضًا أن عمر رضي الله عنه خطب الناس فقال: «أيهُّا الناس إنَّ رسول الله ﷺ كان يرى للعباس ما يرى الولد لوالده، يعظّمه ويفخّمه ويبرّ قسمه، فاقتدوا أيّها الناس برسول الله ﷺ في عمّه العباس واتخذوه وسيلة إلى الله في ما نزل بكم»، وهذا يوضّح سبب توسّل عمر بالعبّاس.

وأيضًا فإن ترك الشيء لا يدل على منعه كما هو مقرّر في كتب الأصول، فترك عمر للتوسّل بالنبي ﷺ لا دلالة فيه أصلًا على منع التوسّل إلا بالحيّ الحاضر، وقد ترك النبيُّ ﷺ كثيرًا من المباحات فهل دلّ تركه لها على حرمتها؟

وقد أراد سيّدنا عمر بفعله ذلك أن يبين جواز التوسّل بغير النبي ﷺ من

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان (١/ ١٤٦): باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات.

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة (٥/ ١٧): باب ذكر العباس بن عبد المطّلب.

(٣) مستدرك الحاكم، كتاب معرفة الصحابة (٣/ ٤٣٣)، دار المعرفة من حديث داود بن عطاء المدني عن زيد بن أسلم عن ابن عمر. قال الذهبي في التلخيص: هو في جزء البانياسي بعلو، وصح نحوه من حديث أنس، فأما داود فمتروك. قلت: تابعه عليه هشام بن سعد أخرجه البلاذري من طريقه عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر، انظر الفتح (٢/ ٤٩٧).

أهل الصلاح ممّن ترجى بركته، ولذا قال الحافظ في الفتح[1] عقب هذه القصة ما نصّه: «ويستفاد من قصة العبّاس استحباب الاستشفاع بأهل الخير والصلاح وأهل بيت النبوّة» اهـ.

فإن قيل: أليس في حديث ابن عبّاس الذي رواه الترمذي[2] «إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله» ما يدلّ على عدم جواز التوسّل بغير الله؟

فالجواب: أن هذا ليس فيه معارضة ما ذكرنا إذ إن المتوسّل يسأل الله، والحديث ليس معناه لا تسأل غير الله ولا تستعن بغير الله، إنما معناه أن الأولى بأن يُسأل ويُستعان به هو الله تعالى، ونظير ذلك قوله ﷺ: «**لا تصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقيّ**» رواه ابن حبّان[3]، فكما لا يفهم من هذا الحديث عدم جواز صحبة غير المؤمن وعدم جواز إطعام غير التقيّ وإنما يفهم منه أن الأولى بالصحبة المؤمن وبالإطعام التقي، كذلك حديث ابن عباس لا يفهم منه إلا الأولوية، كما أن رسول الله ﷺ لم يقل لا تسأل غير الله ولا تستعن بغير الله، أليس هناك فرق بين أن يُقال: لا تسأل غير الله وبين أن يُقال: إذا سألت فاسأل الله؟

قال الحافظ ابن حجر في قصائده المسماة النيرات السبع:

يَا سَيِّدَ الرسْلِ الّذي مِنْهاجُه ... حَاوٍ كمالَ الفَضْلِ والتهذيب

إلى أن قال:

فَاشْفَعْ لمادِحِكَ الذي بكَ يتّقي ... أهـوال يوم الدين والتعذيب

فـلأحـمـدَ بـنِ عـليّ الأثـريّ في ... مأهولِ مدحِكَ نظمُ كلِّ غريبِ

---

(١) فتح الباري (٢/ ٤٩٧)، للحافظ ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة.

(٢) جامع الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع: باب (٥٩). وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح (٤/ ٥٧٦) دار الكتب العلمية.

(٣) صحيح ابن حبان: كتاب البر والإحسان: باب الصحبة والمجالسة، راجع الإحسان (١/ ٣٨٣ و٣٨٥)، دار الكتب العلمية - ترتيب الأمير علاء الدين الفارسي.

قدْ صحَّ أنّ ضَناهُ زادَ وذنبَهُ		أصلُ السَّقَامِ وأنت خيرُ طبيبِ

وقال في قصيدة أخرى:

يا سيّدي يا رسولَ الله قدْ شَرفتْ		قصائدي بمديحٍ فيكَ قدْ رُصِفَا

إلى أن قال:

بباب جودِكَ عبدٌ مذنبٌ كَلِفٌ		يا أحْسَنَ الناسِ وجهًا مشرقا وَقَفا

بِكُمْ توسَّلَ يرجُو العفوَ عنْ زَلَلٍ		مِنْ خوفهِ جَفْنُه الهامي لقدْ ذَرَفَا

وإنْ يكُنْ نسبةً يُعزَى إلى حَجَرٍ		فَطَالما فاضَ عذْبًا طيّبًا وَصَفَا

ثم قال في قصيدة أخرى:

اصْدَحْ بمدحِ المصطفى واصدَعْ بهِ		قَلْبَ الحسودِ ولا تخفْ تَفنِيدا

واقصِدْ لَهُ واسألْ بِهِ تُعْطَ المُنَى		وتعيشُ مهما عِشْتَ فيه سعيدا

خيرُ الأنــام ومـنْ لجا لجنَابِهِ		لا بِدْعَ أن أضْحَى به مَسْعودا

ثم قال في قصيدة أخرى:

فما تبلُغُ الأشعارُ فيه ومدحُهُ		به نَاطقٌ نَصُّ الكتابِ وناقِلُ

إلى أن قال:

ولي إنْ توسَّلْتُ الهناءُ بمدحِهِ		لأَني مُسْتَجْدٍ هناكَ وسَائِلُ

ثم قال في قصيدة أخرى:

فإنْ أحْـزَنْ فمدحُكَ لي سروري		وإنْ أَقْنَـطْ فَحَمْـدُكَ لي رَجائـي

ثم قال في قصيدة أخرى:

نبيٌّ بَــراه الله أشرفَ خَلْقِهِ		وأسْماهُ إذ سمّاه في الذّكر أحْمَدا

فَرج نَداه إنَّه الغيثُ في النَّدى ... وخَفْ مِنْ سَطاه إنّه الليثُ في العِدا

ثم قال في قصيدة أخرى:

وإنْ قَنطَتْ مِنَ العصيانِ نفسٌ ... فبابُ محمَّدٍ بـــابُ الـرجـاءِ.

وذكر الحافظ السخاوي[1] أن الشمس محمد بن علي القوصي الشافعي أرسل معه رسالة ليقرأها السخاوي لسيد المرسلين لكن لم يتفق للسخاوي تبليغها إلا بعد موته جاء فيها:

عسى تبلُغُ الآمـالُ منهُ بنظرةٍ ... إليَّ فـإن يفعل بـفـوزٍ ألاقِـه

## فائدة في بيان جواز نداء النبي بعد وفاته

تقدم أن البخاري ذكر في كتابه الأدب المفرد جواز نداء النبي بعد موته بـ«يا محمّد» وذلك خلاف معتقد الوهابية فإنه عندهم شرك، وأورد الحديث أيضًا ابن السنيّ في كتابه عمل اليوم والليلة[2]، ونص البخاري في كتابه المذكور: باب ما يقول الرجل إذا خدرت رجله: حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا سفيان، عن أبي إسحق، عن عبد الرحمـٰن بن سعد قال: خدرت رجل ابن عمر فقال له رجل: اذكر أحب الناس إليك؟ فقال: «يا محمد» اهـ.

وأورده ابن تيمية في كتابه المشهور الكلم الطيّب[3] ونص عبارته:

«فصل في الرّجلِ إذا خدرتِ رجلُه[4]:

عن الهيثم بن حنش قال: كنا عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فخدرت

---

(١) وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام (٢/ ٧٧٧)، السخاوي / مؤسسة الرسالة.

(٢) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (ص/ ١٤١ - ١٤٢). دار القبلة للثقافة الإسلامية- جدة، مؤسسة علوم القرءان - بيروت.

(٣) الكلم الطيب (ص/ ٧٣).

(٤) الخدر مرض مثل الشلل وليس التنميل.

رجله فقال له رجل: اذكر أحب الناس إليك، فقال: يا محمّد فكأنما نشط من عقال» اهـ.

وذكره الحافظ شيخ القرّاء ابن الجزري في كتابيه: الحصن الحصين وعدة الحصن الحصين، وذكره الشوكاني أيضًا في كتابه «تحفة الذاكرين»[1] وهو غير مطعون به عندهم، ورواه أيضًا ابن الجعد[2].

وهذا الذي حصل من عبد الله بن عمر استغاثة برسول الله بلفظ يا محمّد، وذلك عند الوهابية كفر أي الاستغاثة به ﷺ بعد موته، فماذا تفعل الوهابية أيرجعون عن رأيهم من تكفير من ينادي يا محمّد أم يتبرءون من ابن تيمية في هذه القضية وهو الملقب عندهم شيخ الإسلام، فيا لها من فضيحة عليهم وهو إمامهم الذي أخذ منه ابن عبد الوهّاب بعض أفكاره التي خالف بها المسلمين، وهم في هذه المسئلة على موجب عقيدتهم يكونون كفّروا ابن تيمية لأنه استحسن ما هو شرك عندهم.

ولو قال أحدهم: ابن تيمية رواه من طريق راوٍ مختلف فيه، يقال لهم: مجرد إيراده لهذا في هذا الكتاب دليل على أنه استحسنه إن فُرِضَ أنه يراه صحيحًا وإن فُرِضَ أنه يراه غير ذلك، لأن الذي يورد الباطل في كتابه ولا يحذّر منه فهو داعٍ إلى ذلك الشيء، ومحاولة الألباني لتضعيف هذا الأثر لا عبرة بها، لأن الألباني محروم من الحفظ الذي هو شرط التصحيح والتضعيف عند أهل الحديث وقد اعترف في بعض المجالس بأنه ليس محدّثَ حفظٍ بل قال: أنا محدّث كتاب، وذلك بعد أن سأله محام سوري: يا أستاذ أنت محدث، فقال: نعم، فقال له: أتسرد لي عشرة أحاديث بأسانيدها، فأجابه الألباني: لا، أنا محدث كتاب، فأجابه المحامي: إذن أنا أستطيع أن أفعل ذلك. فخجّله. فليعلم هو ومقلدوه أن تصحيحهم وتضعيفهم لغو في قانون أهل الحديث ولا اعتبار له، فليتوبوا إلى الله.

---

(١) تحفة الذاكرين (ص/ ٢٠٦)، دار الكتاب العربي.

(٢) مسند ابن الجعد (ص/ ٣٦٩)، مؤسسة نادر.

تنبيه: قال بعض نفاة التوسّل: قد كفانا أبو حنيفة رضي الله عنه المؤنة في إبطال التوسّل حيث قال: أكره أن يقال: أسألك بحقّ فلان.

فالجواب: أن أهل المذهب الحنفي قالوا في تعليل ذلك إن مراد الإمام أن هذا اللفظ يوهم أن على الله حقًّا لغيره لازمًا له كما ذكر ذلك ابن عابدين في رد المحتار[1]، فيقال إنه كره هذا اللفظ فقط، ولم يقل إني أكره التوسّل بالأنبياء والأولياء إلى الله حتى يحتجّ بابي حنيفة في منع التوسّل على الإطلاق إن كان بهذا اللفظ وإن كان بغيره كأسألك بجاه فلان أو بحرمة فلان، فلو كان مراد أبي حنيفة تحريم التوسّل على الإطلاق بجميع صوره لكان أهل مذهبه يفهمون ذلك وتجنّبوا التوسّل على الإطلاق، بل هم يتوسلون كغيرهم لا يختلف في ذلك علماؤهم وعوامّهم.

ويقال على فرض ثبوت ذلك عن أبي حنيفة ليس فيه حجة على منع قول المتوسّل: أسألك يا الله بحق رسول الله، أو نحو ذلك لثبوت هذا اللفظ في حديث ابن ماجه وأحمد وغيرهما[2]: «مَن قال إذا خرج إلى المسجد: اللّهمّ إني أسألك بحق السائلين عليك وبحقّ ممشاي هذا»... الحديث، فإن الحديث حسّنه الحافظ ابن حجر في أماليه[3] كما تقدم، وكذا الحافظ الدمياطي[4]، والحافظ أبو الحسن المقدسي شيخ الحافظ المنذري[5]، والحافظ العراقي[6]. وأما ما يروى عن أبي يوسف أنه قال: «لا يدعى الله بغيره».

فالجواب: أنه لا حجّة في ذلك لأنه مصادم للنص الثابت كحديث الثلاثة

---

(١) ردّ المحتار على الدّرّ المختار (٥/ ٢٧٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب المساجد والجماعات: باب المشي إلى الصلاة عن أبي سعيد الخدري (١/ ٢٥٦) المكتبة العلمية، وأحمد في مسنده (٣/ ٢١) عنه، والطبراني في الدعاء (٢/ ٩٩٠)، دار البشائر الإسلامية، والبيهقي في الدعوات (١/ ٤٧)، كتاب الدعوات الكبير، القسم الأول (ص/ ٤٧)، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق.

(٣) نتائج الأفكار (١/ ٢٧٢)، ابن حجر العسقلاني، منشورات مكتبة المثنى ببغداد.

(٤) المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح (ص/ ٦٤١)، الحافظ الدمياطي، دار خضر - بيروت.

(٥) الترغيب والترهيب (٢/ ٤٥٩)، الإمام الحافظ المنذري، دار الآخاء.

(٦) المغني عن حمل الأسفار (١/ ٢٨٩).

الذين آووا إلى الغار، فنزلت صخرة من الجبل فسدّت فم الغار، فدعا كلٌّ من الثلاثة بصالح عمله، فانفرجت الصخرة عنهم فخرجوا من الغار، وقد تقدم؛ رواه البخاري في صحيحه وغيره[1].

مسئلة: إن احتجّ مانعو التوسّل بالأموات بقولهم: إنهم لا يسمعون وكذلك الحيّ الغائب، فلا معنى للتوسل بهم بأن يقال: يا رسول الله أغثني، أو: أتوجه بك إلى الله ليقضي لي حاجتي، لأنه لا يسمع، وأمّا الحي الحاضر فيسمع.

فيجاب بأنه لا مانع شرعًا ولا عقلًا من أن يسمع النبي أو الولي كلام من يتوسّل به وهو في القبر، أمّا النبي فلأنه حي أحياه الله بعد موته كما ثبت من حديث أنس عن رسول الله أنه قال: **«الأنبياء أحياء في قبورهم يصلّون»** صحّحه البيهقي في جزء حياة الأنبياء[2]، وأورده الحافظ ابن حجر على أنه ثابت في فتح الباري[3] وذلك لما التزمه أن ما يذكره من الأحاديث شرحًا أو تتمة لحديث في متن البخاري فهو صحيح أو حسن، ذكر ذلك في مقدمة الفتح[4].

ولأنه ثبت حديث: **«ما من رجل مسلم يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه، إلا عرفه وردّ عليه السلام»**. صحّحه الحافظ عبد الحقّ الإِشبيلي[5].

وأما الغائب الحي فإنه يدل على صحة سماعه خطاب من يناديه من بعيد قصة عمر رضي الله عنه في ندائه جيشه الذي بأرض العجم بقوله: يا سارية الجبل الجبل فسمعه سارية بن زُنَيم، وكان سارية قائد الجيش فانحاز بجيشه إلى الجبل فانتصروا، صححها الحافظ الدّمياطي في جزء ألّفه لهذه القصة، ووافقه الحافظ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) حياة الأنبياء بعد وفاتهم (ص/ ٢٧)، الإمام البيهقي، مؤسسة نادر.

(٣) فتح الباري (٦/ ٤٨٧)، ابن حجر العسقلاني - دار المعرفة.

(٤) مقدمة فتح الباري (ص/ ٤)، ابن حجر العسقلاني - دار المعرفة.

(٥) العاقبة (ص/ ٨١١)، للإمام الإشبيلي، دار الكتب العلمية، إتحاف السادة المتقين (١٠/ ٣٦٥)، للعلامة الزبيدي، دار الفكر، فيض القدير (٥/ ٤٨٧)، للعلامة المناوي - دار الفكر.

السيوطي على ذلك وحسنها الحافظ ابن حجر في الإصابة[1] وأوردها الحافظ الزبيدي في شرح القاموس[2] وقد أفرد القطب الحلبي لطرقه جزءًا ووثّق رجال هذا الطريق[3].

ومن الدليل على صحة سماع الغائب النداء من بعيد ما رواه الفاكهي أن ابن عباس قال: «قام إبراهيم على الحجر فقال: يا أيها الناس كتب عليكم الحج فأسمع من في أصلاب الآباء وأرحام النساء فأجابه من ءامن ومن كان سبق في علم الله أنه يحج إلى يوم القيامة: لبيك اللهم لبيك»، صحّحه الحافظ ابن حجر[4].

وهذا الذي ثبت عن ابن عباس مما لا يقال بالرأي إلا بالتوقيف وهو مما عرف وانتشر عند المفسرين لمعنى قول الله تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ ﴾[5]، فما أبعد عن الحق من يقول من هؤلاء نفاة التوسل عن الأنبياء والأولياء بعد موتهم إنهم كالجماد وقد بلغ بعضهم في الوقاحة إلى أن قال: النبي لا ينفع بعد موته، ومنهم من يقول لقاصد زيارة الرسول ما تفعل بالعظم الرميم، حمانا الله تعالى من صنيع هؤلاء الذين ضلّ سعيُهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، يزعمون أنهم بهذا يكونون أقوى من غيرهم في توحيد الله، وكفاهم خزيًا اعتقادهم في الرسول أنه عظم رميم لم يبق له إحساس ولا شعور.

وفي الألفاظ الواردة في السلام على أهل القبور دلالة على سماع أهل القبور لسلام الزائرين، وذلك في نحو قول الزائر: «**السلامُ عليكُم يا أهلَ القبورِ، يغفرُ**

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٣)، الحافظ العسقلاني، ابن حجر، دار الفكر، وانظر أسد الغابة (٢/ ١٥٤)، للإمام الجزري - دار الفكر.

(٢) تاج العروس في شرح القاموس فصل السين من باب الواو والياء (١٠/ ١٧٤). الإمام الزبيدي.

(٣) كشف الخفا (٢/ ٥١٤)، المحدث العجلوني الجراحي، مؤسسة الرسالة.

(٤) فتح الباري (٣/ ٤٠٩)، ابن حجر العسقلاني - دار المعرفة.

(٥) سورة الحج/ ءاية ٢٧.

**الله لنا ولكم، أنتم سَلَفُنا ونحن بالأثر**»[١] أخرجه الترمذي وحسّنه، وما ورد في صحيح مسلم بلفظ: «**السلام عليكم دارَ قومٍ مؤمنين**»[٢] إلى ءاخره، فلولا صحة سماع الميت لم يكن لهذا الخطاب معنى ولا حجة في استدلال نفاة التوسّل بقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾[٣] (فإنه مؤول لا يحمل على الظاهر توفيقًا بينه وبين ما ورد من الأحاديث التي ذكرناها، والمراد به تشبيه الكفار بمن في القبور في عدم انتفاعهم بكلامه وهم أحياء[٤].

ومما يؤيد صحة سماع الموتى ما رواه البخاري[٥] أن رسول الله ﷺ قام على القليب - قليب بدر - وفيه قتلى المشركين، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء ءابائهم: «يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان»، قال: «فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا»[٦]. قال: فقال عمر: يا رسول الله ما تُكلمُ من أجساد لا أرواح بها، فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**».

وروى البخاري أيضًا عن أنس عن النبي[٧] ﷺ: «**إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم**».

فيقال للنفاة: النبيّ هو أفهم منكم ومن سائر الخلق بمعاني كتاب الله، فبعد هذا فقد انتسف تمويه ابن تيمية بقوله: لا يجوز التوسّل إلا بالحيّ الحاضر.

---

(١) جامع الترمذي: كتاب الجنائز (٣/ ٣٦٩): باب ما يقول الرجل إذا دخل المقابر - دار الكتب العلمية.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الجنائز (٢/ ٦٦٩): باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها - دار الفكر.

(٣) سورة فاطر/ ءاية ٢٢.

(٤) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرءان (١٤/ ٣٤٠). قال البغوي في تفسيره أراد به الكفار الذين هم صم عن الهدى لا تقدر أنت على هدايتهم (١٣/ ٣٨٤).

(٥) صحيح البخاري: كتاب المغازي (٥/ ٦٥): باب قتل أبي جهل.

(٦) هم لم يجيبوه وإنما سألهم ليزدادوا خزيًا.

(٧) صحيح البخاري: كتاب الجنائز (٢/ ٨٦): باب ما جاء في عذاب القبر.

وروى الترمذي[1] في سننه أن رجلاً ضرب خباءه[2] ليلًا على قبر فسمع من القبر قراءة تبارك الذي بيده الملك إلى ءاخرها، فلما أصبح ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «هي المانعة هي المنجية». حسّنه السيوطي[3].

فإذا كان من على وجه الأرض عند القبر يسمع قراءة صاحب القبر، فأي مانع من أن يسمع صاحب القبر كلام من على وجه الأرض ولو كان في مسافة بعيدة مِن صاحب القبر بالنسبة لعباد الله الذين منحهم الله الكرامات.

وبعد ما تقدم من نقول علماء أهل السنة والجماعة من السلف والخلف ومن أدلة الكتاب والسنة واجماع الأمة على جواز واستحباب التوسل بالانبياء والاولياء والصالحين في حياتهم وبعد مماتهم وانه ليس شركا ولا معصية وان ابن تيمية وابن قيم الجوزية وابن أبي العز المجسم ومن تبعهم من المشبهة والمجسمة ومعهم وهابية عصرنا خالفوا الاجماع وجاؤا بمذهب جديد ابتدعوه ومن جملة تمويهاتهم ما اورده ابن أبي العز المجسم في كتابه المسمى شرح العقيدة الطحاوية وهو يستحق ان يسمى تحريف وتكذيب العقيدة الطحاوية.

**٥- يقول المجسم ابن أبي العز الحنفي: «وَأَمَّا الِاسْتِشْفَاعُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَغَيْرِهِ فِي الدُّنْيَا إِلَى الله تَعَالَى فِي الدُّعَاءِ، فَفِيهِ تَفْصِيلٌ: فَإِنَّ الدَّاعِيَ تَارَةً يَقُولُ: بِحَقِّ نَبِيِّكَ أَوْ بِحَقِّ فُلَانٍ، يُقْسِمُ عَلَى الله بِأَحَدٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، فَهَذَا مَحْذُورٌ مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ أَقْسَمَ بِغَيْرِ اللهِ. وَالثَّانِي: اعْتِقَادُهُ أَنَّ لِأَحَدٍ عَلَى الله حَقًّا... وَلَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَى الله حَقٌّ إِلَّا مَا أَحَقَّهُ عَلَى نَفْسِهِ». وَهَذَا وَنَحْوُهُ مِنَ الْأَدْعِيَةِ الْمُبْتَدَعَةِ، وَلَمْ يُنْقَلْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا عَنِ الصَّحَابَةِ، وَلَا عَنِ التَّابِعِينَ، وَلَا عَنْ أَحَدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ.**

---

(١) جامع الترمذي: كتاب فضائل القرءان (٥/ ١٥١): باب ما جاء في فضل سورة الملك، دار الكتب العلمية.

(٢) ما يعمل من وبر أو صوف وقد يكون من شعر والجمع أخبيةٌ ويكون على عمودين أو ثلاثة وما فوق ذلك فهو بيت، المصباح المنير (ص/ ٦٢).

(٣) الجامع الصغير (٢/ ٥٦) بنحوه، الإمام السيوطي، دار الفكر.

وَتَارَةً يَقُولُ: بِجَاهِ فُلَانٍ عِنْدَكَ، يَقُولُ: نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِأَنْبِيَائِكَ وَرُسُلِكَ وَأَوْلِيَائِكَ. وَمُرَادُهُ أَنَّ فُلَانًا عِنْدَكَ ذُو وَجَاهَةٍ وَشَرَفٍ وَمَنْزِلَةٍ فَأَجِبْ دُعَاءَنَا. وَهَذَا أَيْضًا مَحْذُورٌ، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ هَذَا هُوَ التَّوَسُّلُ الَّذِي كَانَ الصَّحَابَةُ يَفْعَلُونَهُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَفَعَلُوهُ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَإِنَّمَا كَانُوا يَتَوَسَّلُونَ فِي حَيَاتِهِ بِدُعَائِهِ، يَطْلُبُونَ مِنْهُ أَنْ يَدْعُوَ لَهُمْ، وَهُمْ يُؤَمِّنُونَ عَلَى دُعَائِهِ، كَمَا فِي الِاسْتِسْقَاءِ وَغَيْرِهِ. فَلَمَّا مَاتَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – لَمَّا خَرَجُوا يَسْتَسْقُونَ –: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا إِذَا أَجْدَبْنَا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا». مَعْنَاهُ بِدُعَائِهِ هُوَ رَبَّهُ وَشَفَاعَتِهِ وَسُؤَالِهِ، لَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّا نُقْسِمُ عَلَيْكَ بِهِ، أَوْ نَسْأَلُكَ بِجَاهِهِ عِنْدَكَ، إِذْ لَوْ كَانَ ذَلِكَ مُرَادًا لَكَانَ جَاهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْظَمَ وَأَعْظَمَ مِنْ جَاهِ الْعَبَّاسِ.

ومثله قال المجسم ابن جبرين.

الرد: قد رددنا بالاجمال على هذه الأوهام والتخيلات ردا مطولا ولأهمية البحث والموضوع نذكر بعد كلامه الذي قدمناه الآن ردا ليكون سلاحا علميا في يد أهل الحق لدفع ضلالات أهل البدع والزيغ والزيف والتحريف.

## التوسل نوع من أنواع التبرك

قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «حَياتي خَيرٌ لكُم ومَماتي خَيرٌ لكُم تُحْدِثُونَ ويُحْدَثُ لكُم، وَوفَاتي خَيرٌ لكُم تُعْرَضُ عَلَيَّ أعمالُكُم فَما رَأيتُ مِنْ خَيرٍ حَمِدْتُ الله علَيهِ، وما رأيتُ مِنْ شَرّ استَغْفَرْتُ لكُم»، رَواهُ البَزَّارُ، ورِجالُهُ رجالُ الصَّحيحِ. وإننا نقولُ الآتي:

أ- هذا الحديثُ يدلُّ على أن النَّبيَّ ينفعُ بعدَ موتِهِ خلافًا لنفاة التوسلِ القائلينَ إنهُ لا أحدَ ينفع بعد موتِهِ، فإنهُ عليه الصلاةُ والسلامُ لما قال: «ومماتي خيرٌ لكم» مرتين أفهَمَنَا أنه يَنفعنَا بعد موتِهِ أيضًا بإذنِ الله عزَّ وجلَّ.

وأما قولُهُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «تُحدِثُونَ ويُحدَثُ لكُم» فمعناهُ: يحصلُ منكم أمورٌ، ثم يأتي الحكمُ بطريقِ الوحي إلى رسولِ الله.

ثم يؤكّدُ النبيُّ عليه الصلاةُ والسّلامُ نفعهُ لأمَّتِهِ بعد وفاتِهِ بقولِهِ: «ووفاتي خيرٌ لكم؛ تُعرَضُ عليَّ أعمالُكُم، فما رأيتُ من خيرٍ حمدتُ الله عليهِ، وما رأيتُ من شَرّ استغفرتُ لكُم».

ب- ويؤيد ذلك نَفْعُ موسى عليه السلام لأمة محمد ﷺ ليلة المعراج، لما سألَ النَّبيَّ عليهِ الصَّلاةُ والسّلامُ: «ماذا فرَضَ الله على أمتِكَ»؟، فقال له: «خمسينَ صلاةً»، قال: «ارجع وَسَل التَّخفيفَ؛ فإنّي جَرَّبتُ بني إسرائيلَ، فُرِضَ عليهم صلاتانِ فلم يقوموا بهما»، فَرجعَ فطلَبَ التَّخفيفَ مرَّةً بعد مرَّةٍ، وفي كلّ مرَّةٍ كانَ موسى عليهِ السلامُ يقولُ لهُ: «ارجع فَسَل التّخفيفَ»، إلى أن صارت خمس صلواتٍ بأجرِ خمسينَ.

فهل يشكُّ عاقلٌ بنفعِ موسى عليه السَّلام لهذهِ الأمَّةِ هذا النّفعَ العظيمَ، وهو الذي قد توفيَ قبلَ ليلة المعراج بأكثر من ألف سنةٍ؟! فهذا عملٌ بعد الموتِ انتفعت به الأمة المحمدية كلها بلا شك ولا مواربة.

ج- ويدل على ذلك أيضًا ما رواهُ مسلمٌ في حديثِ المعراجِ، أن كلا من الأنبياءِ الذين لقيَهُم في السماءِ دعا للرسولِ بخيرٍ وهم ثمانية: ءادم في الأولى، وعيسى

ويحيى في الثانيةِ، ويوسف في الثالثةِ، وإدريس في الرابعةِ، وهارون في الخامسةِ، وموسى في السادسةِ، وإبراهيم في السابعةِ، وكل ذلك نفعٌ بعد الموت.

فبطل تعلق نفاة التوسل بالاستدلال بحديثِ البخاري: «**إذا مات ابن ءادم انقطع عمله إلا من ثلاث**» فإنه بزعمِهم يمنع الانتفاع بزيارة قبور الأنبياء والأولياء والتوسل بهم.

يقال لهم: المرادُ بقولهِ عليه السلام «**انقطع عمله**» أي العمل التكليفي، وليس فيه تعرض لما سوى ذلك من نحو نفع التوسل بهم، بل فيه ما يدل على خلافِ دعواهم، حيث إن فيه أن دعوةَ الولدِ الصالحِ تنفعُ أباه، وليس مراد الرسول بذلك أنه لا ينفع الميت دعاء غير ولده الصالح، وإلّا فما معنى صلاة الجنازة؟؟ وما معنى الدفن في البقيع؟؟

* وأمَّا تَوسُّلُ عُمرَ بالعَبَّاسِ بعدَ مَوتِ النَّبي ﷺ فليسَ لأَنَّ الرّسُولَ قَدْ مَاتَ، بَلْ كانَ لأَجْلِ رِعَايةِ حَقّ قَرابَتِه مِنَ النَّبي ﷺ. ويدل على ذلك أمورٌ منها:

أ ـ قَولِ العبّاسِ حِينَ قَدَّمَهُ عُمَرُ: «اللّهُمَّ إنّ القَوْمَ تَوجَّهُوا بِي إلَيْكَ لِمَكَانِي مِنْ نَبيّكَ»، فَتبيَّنَ بُطْلانُ رأيِ ابنِ تَيْمِيةَ ومَنْ تَبعَهُ مِنْ مُنْكِرِي التَّوسُلِ. رَوى هذا الأَثَرَ الزُّبَيرُ بنُ بكَّار كما قالَ الحافظُ ابن حجر.

ب ـ ويُسْتَأنسُ لَهُ أيضًا بِما رَواهُ الحاكِمُ في المستَدْرَكِ أنَّ عُمرَ رَضِيَ الله عَنْهُ خَطَبَ النَّاسَ، فقالَ: «أيُّها النَّاسُ، إنَّ رسُولَ الله ﷺ كانَ يَرى للعَبّاسِ مَا يَرى الولَدُ لِوَالِدِه، يُعَظّمُهُ ويُفَخّمُهُ ويَبرُّ قَسَمَهُ، فاقْتَدُوا أيُّها النّاسُ برسولِ الله ﷺ في عَمّهِ العبَّاسِ، واتّخِذُوه وسِيلةً إلى الله فِيما نَزَلَ بكُم»، فَهذا يُوضِحُ سَببَ تَوسُّلِ عُمَرَ بالعَبّاسِ.

فتركُ عمر التوسل بالنّبي في ذلكَ الموضِعِ ليسَ فيه دلالةٌ على منعِ التَّوسُّلِ بغيرِ الحيّ الحاضِرِ، فقد تَركَ النّبيُّ ﷺ كثيرًا من المباحَاتِ، فهل دلّ تركُهُ لَها على حرمتِها؟ وقد ذَكَرَ العلماءُ في كتبِ الأصولِ أن تركَ الشَّيءِ لا يَدُلُّ على منعِهِ.

وقد أرادَ سيدنا عمرُ بفعلِهِ ذلكَ، أن يبيّنَ جوازَ التَّوسُّلِ بغيرِ النبيِّ ﷺ من أهلِ الصَّلاحِ ممَّن تُرجَى بركتُهُ، ولذا قالَ الحافظُ ابن حجرٍ في فتحِ الباري عَقِبَ هذه القصَّة ما نصُّه: «يستفادُ من قصةِ العبّاسِ استحبابُ الاستشفاعِ بأهلِ الخيرِ والصَّلاحِ، وأهلِ بيتِ النُّبوَّةِ»(١).

* فَلا التِفَاتَ بَعْدَ هَذا إلى:

أ- دَعْوَى بَعْضِ هَؤلاءِ المشَوّشِينَ أنَّ الحدِيثَ المذْكُورَ في إسنَادِهِ أبو جَعْفَرٍ وهوَ رَجُلٌ مجْهُولٌ ولَيْسَ كَما زَعَمُوا، بل أبو جَعْفرٍ هَذا هُوَ أبو جَعْفَرٍ الخَطْمِيُّ، وهو ثِقَةٌ.

ب- ودَعْوَى بعضهم أنَّ مُرادَ الطَّبَرَانيِّ في حديث الأعمى المعروف بقَولِه: «والحدِيثُ صَحِيحٌ» القَدْرُ الأَصْلِيُّ، وهوَ مَا فَعلَهُ الرَّجُلُ الأَعْمَى في حَياةِ رسُولِ الله فَقَط، وَلَيْسَ مُرادُه ما فَعلَهُ الرَّجُلُ أيَّامَ عُثمانَ بنِ عفَّانَ بَعْدَ وفاةِ الرسولِ. وهذا مردودٌ، لأنَّ عُلَماءَ المصْطَلحِ قَالُوا: الحَدِيثُ يُطلَقُ علَى المَرْفُوعِ إلى النَّبيِّ والمَوقُوفِ على الصَّحابَةِ، أي أنَّ كَلامَ الرسولِ يُسَمَّى حَدِيثًا وقَولَ الصَّحابِيِّ يُسَمَّى حَدِيثًا، ولَيسَ لَفظُ الحَدِيثِ مَقصُورًا على كلامِ النَّبيِّ فَقط في اصطِلاحِهِمْ.

وقد نص على ذلك غير واحد من علماء الحديث، منهم الحافظ ابن حجر العسقلاني، كما نقل عنه السيوطي في تدريب الراوي، وابن الصلاح في مقدمته في علوم الحديث. واعلم أن كلامَ هَذا المُموِّهِ لا يُوافِقُ المُقرَّرَ في عِلْم المُصْطَلَح، فَلْيَنْظُرْ مَنْ شَاءَ في كِتَابِ تَدْرِيْبِ الرَّاوِي، والإفْصَاحِ، وغيرِهما مِن كُتُبِ المُصْطَلَحِ.

فإنَّ هذا القائل لم يجرهُ إلى هذهِ الدَّعوى إلا شِدة تعصبهِ لهواهُ، وعَدم مبالاتِهِ

---

(١) قال الشيخ محمد الحامد في ردوده القسم الثاني (ص/ ٢٨) ما نصه: «هذا إلى أن الإجابة منوط وقتها بعلم الله عز وجل، فقد تتأخر فيضطرب ضعفاء القلوب إن كان التوسل بالنبي عليه وءاله الصلاة والسلام في ذلك المقام وقد لا يحصل هذا الاضطراب إذا كان بالعباس رضي الله عنه».

بمخالفةِ العلماءِ، فهو كَسَلَفِهِ ابن تيمية.

ج ـ استدلالهم بما ورد في حدِيث ابنِ عَبّاسٍ - الذي رواهُ التّرمذيُّ - أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ لهُ: «**إذَا سَأَلْتَ فاسْأَلِ الله وإذَا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِن بالله**» علَى مَنْعِ التَّوسُّلِ بالأَنبياءِ والأَوْلياءِ. وتلك شبهة باطلة:

١ـ لأنَّ الحديثَ معناهُ: أن الأَوْلى بأن يُسأَلَ ويُسْتَعانَ بِهِ الله تَعالى، وليسَ مَعناهُ لا تَسْأَلْ غيرَ الله ولا تَسْتَعِنْ بغَيْرِ الله. نَظِيرُ ذَلِكَ قولُه ﷺ: «**لا تُصَاحِبْ إلا مُؤْمِنًا ولا يأكُلْ طَعامَكَ إلا تَقِيٌّ**» فكَما لا يُفهَمُ مِنْ هَذا الحَديثِ عَدَمُ جوازِ صُحْبَةِ غَيرِ المؤمنِ وإطْعامِ غَيرِ التَّقِيّ، وإنَّما يُفْهَمُ مِنهُ أنَّ الأَوْلَى في الصُّحبَةِ المؤمنُ وأنَّ الأَوْلَى بالإطْعامِ هُوَ التَّقيُّ، كذلكَ حَديثُ ابنِ عبَّاسٍ لا يُفهَمُ مِنهُ إلا الأَوْلَوِيّةُ، وأمّا التَّحريمُ الذي يدَّعونه فلَيسَ في هذا الحَدِيثِ، ولا في غيره.

٢ـ ولأن المتوسلَ القائلَ: «اللهم إني أسألكَ بنبيكَ، أو بابي بكرٍ، أو بأويسٍ القَرَني»، أو نحوِ ذلك فقد سألَ الله، ولم يسأل غيرهُ، فأينَ الحديث وأين دعواهُم[1]؟!

ثم إن الحديثَ ليس فيه أدَاة نهي، لم يَقُل الرسولُ لابنِ عبّاسٍ: لا تسأل غيرَ الله ولا تَستَعِن بغيرِ الله، ولو وَرَدَ بلفظِ النهي فليسَ كل أداة نهي للتحريم، كحديثِ الترمذي وابنِ حبانَ: «**لا تُصَاحِب إلا مؤمنًا ولا يَأكُل طعامَكَ إلا[2] تقيٌّ**»، فهذا الحديثُ - مع وجودِ أداةِ النهي فيه - ليسَ دليلاً على تحريمِ أن يطعمَ الرجلُ غير تقي، وإنما المعنَى أن الأولى أن تطعمَ طعامَكَ التقيَّ. فكيفَ تَجرأ نفاة التوسل على الاستدلالِ بهذا الحديثِ لمنعِ التوسلِ بالأنبياءِ

---

(١) روى أبو داود في سننه أنّ الفِراسيَّ قال لرسول الله ﷺ أسألُ يا رسول الله فقال النبيُّ ﷺ «**لا وإنْ كنتَ سائلًا لا بُدَّ فاسألِ الصالحين**».

(٢) قال الخطابي في معالم السنن هذا إنما جاء في طعام الدعوة دون طعام الحاجة وذلك أنّ الله سبحانه قال ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ ومعلوم أن أسراهم كانوا كفارًا غير مؤمنين ولا أتقياء.

والأولياءِ؟! ما أجرأَهُم على التحريمِ والتكفيرِ بغيرِ سببٍ!!

ومن عَرَفَ حقيقتَهُم فإنه لا يَجعل لكلامِهِم وزنًا. وكيفَ يُجعَل لهذهِ الفرقة وَزنٌ وهم يكفرونَ المؤمنَ الذي يأتي ليُسَلمَ على الرسولِ، ثم يَدعو الله متوجهًا إلى القبرِ الشريفِ، فإنهم يَرونَ هذا شركًا ولا سيما إذا وَضَعَ يدهُ على شباك الحجرة المبارك، فإنهم يجعلونَ هذا الشرك الأكبر الذي يستوجِبُ فاعله الخلودَ في النارِ، كما هو معروفٌ من تَصَرُّفهم مع الزائرينَ.

* ولعمري، فماذا يقولونَ فيما ثَبَتَ عن أبي أيوب الأنصاري من أنه جَاءَ إلى قبرِ الرسولِ، فَوَضَعَ وجهَهُ عليهِ للتبركِ؟! وهذا لا شَك عندهُم من أكبرِ الكفرِ والشركِ، وحاشا الله أن يكون أبو أيوب أشركَ بالله لذلكَ، ولا يَخطُرُ هذا ببالِ مسلمٍ، فلم ينكر عليهِ أحدٌ من الصحابَةِ ولا أحدٌ من أهلِ العلمِ من السلفِ بل ولا الخلفِ.

فإذا كانَ وضع الوجهِ على قبرِ الرسولِ للتبركِ لا يُعَدُّ شركًا، فكيفَ وضعُ الكَف على الشبيكةِ التي هي بينَ القبرِ وبينَ الزائرِ؟! فإنا لله وإنا إليه راجعونَ.

فالحاصل أنَّ معنى الحديثِ: الأولَى بأن تسأل الله، وتستعين بالله.

أما قول ابن تيمية: «ليس التوسل الوارد في الحديث توسلًا بذات النبي بل بدعائه» فهو دعوى باطلة لوجوه، منها:

أ ـ أنَّ التوسل نوع من أنواع التبرك.

فالرسول ذاته مباركة، وءاثاره: أي شعره، وقُلامة ظفره، والماء الذي توضأ به، ونُخَامته، وريقه، كُلٌّ مبارك؛ لأن الصحابة كانوا يتبركون بذلك كما ورد في الصحيح. فكأن قول ابن تيمية هذا ينادي بأن الصحابة ما كانوا يعرفون الحقيقة بل كانوا جاهلين.

ب ـ وما قاله مخالف للأصول؛ فإن علماء الأصول لا يسوغون التأويل إلا لدليل عقلي قاطع أو سمعي ثابت.

ج - ولأن مقتضى كلامه أنه يجب تقدير محذوف؛ فالحديث عنده يقدّر فيه محذوف، فيكون التقدير على موجب دعواه:

١ - «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بدعاء نبينا».

٢ - وكذلك «يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي»، يلزم منه التقدير «إني أتوجه بدعائك إلى ربي».

والأصل في النصوص عدم التقدير والتقدير لا يصار إليه إلا لدليل، وهذا المعروف عند علماء الأصول[١] واللغة.

وأما تمسكُ بعضِ نفاة التوسل لِدعوى الحراني هذه بروايةِ حديثِ الترمذيِ الذي فيه: «اللهمَّ شَفعْهُ فيَّ وشَفعني في نفسِي»، فلا يفيدُ أنه لا يُتبركُ بذاتِ النبي:

لأنّ التبركُ بذاتِ النَّبيّ إجماعٌ لم يخالفْه إلا الحراني.

---

(١) هذا، وتقدير محذوف في العبارة هو نوع من أنواع المجاز، يقال له مجاز الحذف، ومعلوم أن الحراني وفرقته الشاذة يمنعون القول بالمجاز أصلا، فهو عندهم ذريعة ووسيلة إلى تحريف النصوص، لكنهم - كعادتهم - يتذبذبون ويتناقضون، ويتحكمون، فيثبتون لأنفسهم ما يمنعونه عن غيرهم، فيؤولون ويقولون بالمجاز إذا وافق أهواءهم؛ فذلك دأب أهل الباطل.

## مشروعية التوسل بالأنبياء والأولياء، وأنه ليس شركًا

اعْلَم أنّه لا دَليلَ حَقِيقيٌّ على عَدَمِ جَوازِ التَّوسُّلِ بالأَنْبِياءِ والأَوْلِياءِ في حَالِ الغَيْبةِ، أو بَعْدَ وفَاتِهم بدَعْوى أنَّ ذَلكَ عِبادةٌ لغَيْرِ الله.

لأنَّهُ لَيْسَ عِبادَةً لغَيْرِ الله:

أ ـ مُجَرَّدُ النّداءِ لحَيّ أو مَيّتٍ.

ب ـ ولا مُجَرَّدُ التَّعظِيمِ.

ج ـ ولا مُجَرَّدُ الاسْتِغَاثَةِ بغَيْرِ الله.

د ـ ولا مُجَرَّدُ قَصْدِ قَبْرِ وَليّ للتّبرّكِ.

هـ ـ ولا مُجَرَّدُ طلَبِ مَا لَمْ تَجْرِ بِهِ العَادَةُ بينَ النَّاسِ.

و ـ ولا مُجَرَّدُ صِيغَةِ الاسْتِعَانَةِ بغَيرِ الله تَعالى.

أي لَيْسَ ذلكَ شِرْكًا؛ لأنَّهُ لا يَنْطبِقُ علَيْهِ تَعْرِيفُ العِبادَةِ في اللغة العربية؛ لأنَّ العِبادَةَ لغَةً الطَّاعةُ معَ الخُضوع وهذه أقوال كبار اللغويين مستفيضةٌ ببيان ذلك:

١ - فقد قالَ الأَزْهَرِيُّ الذي هُوَ أحَدُ كِبارِ اللُّغَوِيّينَ في كتَابِ تَهذِيبِ اللُّغَةِ نَقْلًا عَن الزَّجّاجِ الذي هوَ مِنْ أشْهَرِهِم:

«العِبادَةُ في لُغَةِ العَربِ الطَّاعَةُ مَعَ الخُضُوعِ».

٢ - وقَالَ مثلَهُ الفَرّاءُ، كما في لسانِ العَرَبِ لابنِ منظور.

٣ - وقَالَ بَعْضُهُم: «أقْصَى غَايَةِ الخُشُوعِ والخُضُوعِ».

٤ - وقالَ بَعْضٌ: «نِهَايَةُ التَّذلُّلِ»، كَما بَيَّنَ شَارحُ القَامُوسِ مُرتَضى الزَّبيدِيّ خَاتِمَةُ اللّغوِيّين، وهَذا الذي يَسْتَقِيمُ لُغَةً وعُرْفًا.

هذا، ولَيْسَ مُجَرَّدُ التَّذَللِ عِبادَةً لِغَيرِ الله، وإلا لَكَفَر كُلُّ مَن يتَذَلَّلُ لِلْمُلُوكِ والعُظَماءِ؛ وإليك هذا الدليل الساطع كشمس رابعة النهار:

ثبَتَ أنَّ مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ لَمّا قَدِمَ مِنَ الشَّامِ سَجد لِرَسُولِ الله، فَقالَ الرَّسُولُ: «مَا

هَذَا»؟ فَقالَ: «يا رَسُولَ الله إنّي رَأيتُ أهْلَ الشّام يَسْجُدُونَ لبَطارِقَتِهم وأسَاقِفتهم، وأنتَ أوْلَى بذَلِكَ»، فقالَ: «**لا تَفعَلْ، لَو كُنْتُ ءامرُ أحدًا أن يَسْجُدَ لأحَدٍ لأمَرتُ المَرأةَ أنْ تسْجُدَ لِزَوْجِها**»، رَواهُ ابنُ حِبّانَ وابنُ مَاجَهْ وغَيْرُهُما.

ولَمَ يَقُلْ لهُ رَسُولُ الله ﷺ كفَرْتَ، ولا قالَ لهُ أشْرَكْتَ، مَع أنَّ سجُودَهُ للنَّبي مَظْهَرٌ كَبيرٌ مِنْ مَظاهِرِ التَّذَلُّلِ.

## مشروعية التوسل بالحيّ الحاضر وبغير الحيّ الحاضر

معنى التّوسلُ اصطلاحًا: هو طَلَبُ حصولِ منفعةٍ، أو اندفاعِ مضرَّةٍ من الله بِذِكرِ اسم نبيّ أو وليّ إكرامًا للمتوسَّلِ به. ويستفاد من ذلك بيان ما يأتي:

إنَّ الله تعالى جَعَلَ أمورَ الدنيا على الأسبابِ والمسبّباتِ، مع أنه قادرٌ على أن يُعطيَنا الثَّوابَ من غير أن نقومَ بالأعمالِ؛ قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[1] وقال: ﴿وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ[2]﴾[3]. أي كلّ شيءٍ يُقربكم إليه اطلبوهُ، يعني هذه الأسباب، أي: اعملوا الأسباب فنحققُ لكم المسبَّبات، نحققُ لكم مطالبكم بهذهِ الأسبابِ. وهو - سبحانه - قادرٌ على تحقيقِها بدونِ هذه الأسبابِ.

وقد جَعَلَ الله سبحانه وتعالى من الأسبابِ المعينةِ لنا لتحقيقِ مطالب لنا، التَّوسلَ بالأنبياءِ والأولياءِ في حالِ حياتِهم وبعدَ مماتِهم، فنحنُ نسألُ الله بهم رجاءَ تحقيقِ مطالِبنَا، فيقولُ المسلمُ: اللهمَّ إني أسألُكَ بجاهِ رسولِ الله، أو بحرمَةِ رسولِ الله أن تقضيَ حاجَتي وتفرّجَ كَربي، أو يقول: اللهم بجاهِ عبدِ القادرِ الجيلانيّ ونحو ذلكَ، فإن ذلكَ جائزٌ، وإنما ابتدع تحريمه تلك الفرقة الضالة، فشذُّوا بذلكَ عن أهلِ السنَّةِ والجماعة.

---

(١) سورة البقرة/ ءاية ٤٥.

(٢) قال ابن علان في دليل الفالحين (٦/ ٣٧٢) أصلها ما يُتوسل به ويتقرب.

(٣) سورة المائدة/ ءاية ٣٥.

فإذن ليسَ معنى العبادة مجرد نداءِ حيّ أو ميّتٍ في حالِ غيبتِهِ، بل لم يُنقَل ذلكَ عن أحدٍ من علماءِ اللغةِ في تفسيرِهم لمعنى العبادةِ. بل قالَ الإمامُ الفرّاءُ: «العبادةُ الطّاعَةُ مع الخضوعِ». وبهذا فسّروا قوله تعالى: إياكَ نعبد، أي نطيعُكَ الطّاعَةَ التي مَعَها الخضوعُ، والخضوعُ معناهُ التّذَلُّلُ(١).

## الدليل على جواز التوسل بغير الحي الحاضر

أخرجَ الطّبرانيُّ في مُعْجَمَيهِ الكَبيرِ والصَّغيرِ عَن عُثمانَ بنِ حُنَيفٍ أنَّ رَجُلًا كانَ يَختلِفُ -أي يتَردَّدُ- إلى عثمانَ بنِ عفّانَ، فكَانَ عُثْمانُ لا يَلْتَفِتُ إلَيْهِ ولا يَنْظُرُ في حَاجَتِه، فلَقِي عُثْمانَ بنَ حُنَيْفٍ، فشَكَى إلَيْهِ ذلكَ، فقَالَ: ائتِ المِيْضأَةَ، فَتوضَّأ، ثُمّ صَلّ رَكْعتينِ، ثمَّ قُلْ: اللّهُمَّ إنّي أسْألُكَ وأتوَجَّهُ إلَيكَ بنَبِيّنا محمّدٍ نَبيّ الرَّحْمَةِ، يَا مُحَمَّدُ، إنِّي أتوجَّهُ بكَ إلى رَبي في حَاجَتِي، لتُقْضَى لي، ثمَّ رُحْ حتَّى

---

(١) وفي براءة الأشعريين (٢/ ٢٢٩ - ٢٣٠): «قال الشوكاني المتذبذب - وهو عندهم معتبر - «وبهذا تعلم أن ما يورده المانعون للتوسل إلى الله تعالى بالأنبياء والصالحين من نحو قوله تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ۝٣﴾ (سورة الزمر) ونحو قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ (سورة الجن) ونحو قوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ ۝١٤﴾ (سورة الرعد) ليس بوارد بل هو من الاستدلال على محل النزاع بما هو أجنبي عنه.

فإن قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ۝٣﴾ مصرح بأنهم عبدوهم لذلك والمتوسل بالعالم مثلا لم يعبده بل علم أن له مزية عند الله بحمله العلم فتوسل به لذلك.

- إلى أن قال - فإذا عرفت هذا لم يخف عليك دفع ما يورده المانعون للتوسل من الأدلة الخارجة عن محل النزاع، - ثم قال بعد كلام - وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ۝١٢٨﴾ (سورة ءال عمران) ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۝١٨٨﴾ (سورة الأعراف) فإن هاتين الآيتين مصرحتان بأنه ليس لرسول الله ﷺ من أمر الله شيء وأنه لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا فكيف يملك لغيره؟ وليس فيهما منع التوسل به أو بغيره من الأنبياء والأولياء والعلماء.

- إلى أن قال - وهذا معلوم لكل مسلم وليس فيه ألا يتوسل إلى الله تعالى، فإن ذلك هو طلب الأمر ممن له الأمر، وإنما أراد الطالب أن يقدم بين يدي طلبه ما يكون سببًا للإجابة ممن هو منفرد بالعطاء والمنع».

أرُوحَ مَعَكَ. فانْطلَق الرجلُ، ففعَلَ ما قَالَ، ثُمّ أتَى بَابَ عُثْمانَ، فَجاءَ البَوَّابُ، فأخذَ بِيَدِه، فأدْخلَهُ على عُثْمانَ بن عَفّانَ، فأجْلسَهُ عَلَى طِنْفِسَتِه - أي سَجّادته - فَقالَ: مَا حَاجَتُكَ؟ فذَكَرَ لَهُ حَاجَتَهُ، فقَضى لَهُ حاجَتَهُ، وقَالَ: مَا ذَكَرْتُ حَاجَتَكَ حتّى كانَت هذِه السَّاعَةُ، ثُمّ خَرجَ مِنْ عِنْده، فلَقِيَ عثمانَ بنَ حُنَيْفٍ، فقالَ: جَزاكَ الله خَيْرًا، مَا كانَ يَنْظُر في حَاجَتِي ولا يَلْتَفِتُ إلَيَّ حَتَّى كلَّمْتَهُ فِيَّ، فقالَ عُثْمانُ بنُ حُنَيفٍ: والله ما كَلَّمْتُهُ، ولكِنْ شَهِدْتُ رسولَ الله ﷺ وقَدْ أتاهُ ضَرِيرٌ فشَكَى إلَيهِ ذَهَابَ بَصَرِه، فَقالَ: **إن شِئْتَ صَبَرْتَ وإنْ شِئْتَ دَعَوْتُ لكَ**، قالَ: يَا رَسُولَ الله، إنّه شَقَّ عَلَيَّ ذهابُ بَصَري، وإنَّهُ لَيْسَ لي قَائِدٌ، فقال له: **ائتِ المِيْضَأةَ، فتوضَّأ وصَلِّ ركعتينِ، ثمّ قلْ هؤلاءِ الكَلماتِ**، ففعلَ الرجُلُ ما قَال، فوَالله مَا تَفَرَّقْنا ولا طالَ بِنا المجْلِسُ، حَتّى دخَلَ علَيْنا الرّجُلُ وقَد أبْصَرَ، كأنّهُ لَم يكنْ بِهِ ضُرٌّ قَطُّ.

قالَ الطَّبَرَانِيُّ في كل من «مُعْجَمَيْهِ»: والحَدِيْثُ صَحِيْحٌ، والطَّبَرَانيُّ مِنْ عَادَتِهِ أنَّهُ لا يُصَحِّحُ حَديثًا معَ اتّساع كِتابِه المعجَم الكَبير، فما قالَ عن حدِيثٍ أوْردَهُ ولو كَانَ صَحِيحًا: الحَدِيثُ صَحِيحٌ، إلا عن هَذا الحَدِيْثِ! وكذلكَ أخرجه في الصغيرِ وصححهُ.

هذا الحديثُ فيه دلالةٌ واضحةٌ على جوازِ التوسل بالنبيّ في حياته وبعد مماته، في حضرته أو في غير حضرته ففيه:

أ - أنَّ الأعْمَى تَوسَّلَ بالنَّبي في **غَيْرِ حَضْرَتِه**، بدَليلِ قَوْلِ عُثمانَ بنِ حُنَيفٍ: «**حَتَّى دَخَلَ علَيْنا الرَّجُلُ**».

ب - الدليلُ على جَوازِ التوسُّلِ برسولِ الله بعد وفَاتِه، فإنَّ فيهِ أن الصحابي عثمان بن حنيف علَّمَ رجلًا هذا الدعَاء الذي فيه توسُّلٌ برسولِ الله، لأنه كان له حاجَة عند سيدِنا عثمانَ بنِ عفانَ في **خِلَافتِهِ**، وما كان يتيسَّر له الاجتماع به حتى قرأَ هذا الدعاء، فتيسَّرَ أمره بسرعةٍ، وقضى له سيدُنا عثمانُ بنُ عفانَ حاجتَهُ.

ج - أنَّ التَّوسُّلَ بالنَّبي جَائِزٌ في حَالَةِ حَيَاتِه وبعْدَ مماتِه في حضرته وفي غيبته، فبَطَلَ قَوْلُ ابنِ تَيْميةَ: لا يَجُوزُ التَّوسلُ إلا بالحَيّ الحَاضِرِ، وكلُّ شَرْطٍ لَيْسَ في كِتابِ الله فهُوَ بَاطِلٌ وإنْ كَانَ مِائَةَ شرطٍ.

**من الأدلة على جواز الاستغاثة بغيرِ الله:**

أخرج الحافــظ ابن حجر في الأمــالي عن ابن عباس رضي الله عنهــا أن النبي ﷺ قالَ: «**إنَّ لله مَلائِكةً سِوَى الحَفظَةِ يَكتُبونَ مَا يَسْقُطُ مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ فَإذَا أَصَابَ أحدَكُم عَرْجَةٌ في فَلاةٍ فلْيُنَادِ يا عِبادَ الله أعِينُوا**»، رَواهُ الطَّبَرانيُّ، وقَالَ الحَافِظُ الهَيْثَميُّ: رجَالُهُ ثِقَاتٌ.

الله تعالى يُسمِعُ هَؤلاءِ المَلائِكَةَ الذين وُكلوا بأن يكتبوا ما يَسقُطُ من ورقِ الشجرِ في البريَّةِ نداءَ هذا الشَّخص ولو كانَ على مسافةٍ بعيدةٍ منهم. فالمَلِكُ الحيُّ الحاضِرُ إذا استغيثَ بهِ: يا مَلِكَنَا ظَلَمَني فلانٌ، أنقذني، يا مَلِكَنَا: أصابني مجاعةٌ، فأنقذني، هذا المَلِكُ لا يُغيثُ إلا بإذنِ الله. كذلكَ هؤلاءِ المَلائِكَة لا يُغيثونَ إلا بإذنِ الله. كذلكَ الأولياءُ والأنبياءُ إذا استغاثَ بهم إنسانٌ بعد وفاتِهم فإنه يغيثونَهُ بإذنِ الله. فإذًا هؤلاءِ سببٌ، وكِلا الأمرينِ جائزٌ. وقصة وامعتصماه مشهورة معروفة.

وهذا الحديثُ فيه دلالَةٌ واضِحَةٌ على جوازِ الاستغاثَةِ بغيرِ الله؛ لأن فيهِ أنَّ النَّبيَّ ﷺ علَّمَنَا أن نقولَ إذا أصابَ أحدنا مشكلة في فلاةٍ من الأرضِ أي برّيّةٍ: «**يا عبادَ الله أعينوا**»، فإنَّ هذا ينفعهُ. وهذا الحديث حسَّنَهُ الحافظُ ابن حجر.

أما المعاند فيقولُ: قولُ أغثني يا رسولَ الله شركٌ إن كانَ في غيابِهِ أو بعد وفاتِهِ، فعندهُ لا يجوزُ التّوسلُ إلا بالحيّ الحاضِرِ. يقول إمام التكفيريين وأتباعه: لِمَ تستغيثُ بغيرِ الله تعالى؟ الله تعالى لا يحتَاجُ إلى واسِطَةٍ.

فيقالُ في الرَّدّ عليهم مباشرةً:

كذلكَ المَلِكُ، الله تعالى لا يحتاجُ إليه ليغيثَكَ، وكذلكَ الملائِكَةُ، الله لا يحتاجُ إليهم ليغيثوكَ. فما أبعد نفاة التوسل عن الحقّ؛ حيثُ إنهم وَضَعوا شروطًا لصِحَّةِ الاستغاثَةِ والاستعانة بغيرِ الله ليست في كتابِ الله ولا في سنّةِ رسولِ الله، وكلُّ شرطٍ ليسَ في كتابِ الله فهو باطِلٌ وإن كانَ مائَة شرطٍ. هذا والعجبُ من ابن

تيمية؛ إذ ثَبَتَ عنه أمرانِ متناقضانِ:

قوله المشهورُ عنه المذكور في أكثرِ كتبِهِ تحريم الاستغاثَةِ بغيرِ الحيّ الحاضِرِ.

لكنَّه صرَّحَ في كتابِهِ الكلم الطَّيب باستحسانِ أن يقولَ من أصابَهُ خَدَرٌ في رجلِهِ «يا محمدُ»[1]. وهذا الكتاب - الكلم الطيب - ثابِتٌ أنه من تأليفِهِ، فما أثبَتَهُ في هذا الكتابِ هو موافِقٌ لِعَمَلِ المسلمينَ السلفِ والخلفِ. وأما مشبّهةُ العَصرِ - الذين هم أتباعُ إمام الفرقة الضالة - مجمعونَ على أن قول يا محمد شركٌ وكُفرٌ. وهذا الكتابُ الذي عقدَ فيه الحراني فصلًا لاستحبابِ أن يقولَ من أصابَه الخدر يا محمد ثابتٌ عنه، وتوجدُ منه نسخٌ خطيةٌ ونسخٌ مطبوعةٌ. وقد اعترفَ بصحةِ نسبة هذا الكتابِ لابن تيميةَ ناصر الدين الألباني، وهذا مذكورٌ في مقدمةِ النسخةِ التي طبَعها تلميذ الألباني زهير الشاويش.

فوقعوا في حيرة لما أُوردَ عليهم هذا السؤال: «هذا ابن تيمية قال في كتابِهِ هذا فصل في الرّجلِ إذا خدرت، وأوردَ أن عبدَ الله بنَ عمرَ خدرت رِجله، فقيل له اذكُر أحب الناسِ إليك، فقال: يا محمد، فاستقامت رجلُه كأنه نَشِط من عقال».

---

(١) وقد ثبت أن أصحاب رسول الله ﷺ -الذين قاتلوا مسيلمة الكذاب -كان شعارهم في الحرب: «يا محمداه». (انظر تاريخ الطبري (٢/ ٢٨١)، الكامل في التاريخ لابن الأثير (٢/ ٣٦٤)، البداية والنهاية لابن كثير (٦/ ٢٤٣) بل قال ابن كثير بعد أن أورده: «وهذا إسناد جيد» أي صحيح وذكر ذلك غيره، وفي تاريخ الطبري (٣/ ٣٣٦) ما نصه: «قال أبو مخنف حدثني أبو زهير العبسي عن مرة بن قيس التميمي قال: نظرت إلى تلك النسوة، ولما مررت بحسين وأهله وولده صحن ولطمن وجوههن، إلى أن قال: فما نسيتُ من الأشياء لا أنسى قول زينب ابنة فاطمة حين مرت بأخيها الحسين صريعًا وهي تقول: يا محمداه يا محمداه صلى عليك ملائكة السماء، هذا الحسين بالعراء مرمَّلٌ بالدماء مقطعُ الأعضاء، يا محمداه وبناتك سبايا وذريتك مقتّلة تسفي عليها الصَّبا، قال: فأبكت والله كل عدو وصديق».

وفي صحيفة ٦٤٨ منه ما نصه: «وذكر ضمرة بن ربيعة عن أبي شوذب أن عمال الحجاج كتبوا إليه: إن الخراج قد انكسر وإن أهل الذمة قد أسلموا ولحقوا بالأمصار فكتب إلى البصرة وغيرها أن من كان له أصل في قرية فليخرج، فخرج الناس فعسكروا فجعلوا يبكون وينادون: «يا محمداه يا محمداه»، وجعلوا لا يدرون أين يذهبون، فجعل قراء أهل البصرة يخرجون إليهم متقنعين، فيبكون لما يسمعون منهم ويرون».

قيل لهم: «هذا فيه استحبابُ الكفرِ والشركِ عندكم، وقائل هذا زعيمكم الذي أخذتم منه أكثر عقائدِكم، فماذا تقولون: كَفَرَ لهذا أم لم يكفر؟

١ـ فإن قلتم: كَفَرَ لهذا، وأنتم تسمونَه شيخَ الإسلامِ، فهذا تناقضٌ، تكفرونه وتسمونه شيخَ الإسلام؟!

٢ـ وإن قلتم: لم يكفر، فقد نقضتُّم عقيدتَكُم، وتكونون قد قلتم: قول يا رسول الله استغاثة جائزةٌ به بعد وفاته.

٣ـ وإن لم تكفروه جِهارًا، فإنكم معتقدون أن قولَه هذا شركٌ، فلماذا لا تتبرؤون منه إن كنتم على ما كنتم عليه؟!!

والآن قد وضَح لكم الأمر، لكنكم لا تزالون تخالفونه فيما وافقَ فيه الحق، وتتبعونه فيما ضلَّ وزاغَ فيه.

وهل لكم مستندٌ لتحريمِ التوسلِ بغيرِ الحي الحاضرِ سوى ما أخذتم من كتبِهِ، وزعمتم أن ذلك حجة؟! وهو أمرٌ انفرد به إمام الفرقة الضالة الحراني من بين الناس، لم يسبقه أحدٌ في تحريمِ التوسلِ بالنبي والولي بعد الوفاة أو في غير حضرته في الحياةِ، وظهرَ وثبتَ أنكم لستم مع السلفِ ولا مع الخلفِ.

إنَّ السلف تشهدُ كتبهُم بأنهم كانوا يتبركونَ بالأنبياءِ والأولياءِ، وبالتوسلِ بهم، وبزيارةِ قبورهم، فهم الذين ذكروا في مؤلفاتهم هذا الأثرَ من قولِ عبدِ الله ابنِ عمرَ لما خدرت رجله: يا محمد. فقد كان مقررًا عند أكابرهم كإبراهيم الحربي صاحب أحمد بن حنبل، إذْ ذكره في كتابه غريبِ الحديثِ. والبخاري كذلك في كتابه الأدب المفرد، وهذا الأثر له أكثر من إسنادَين أحدهما فيه راوٍ ضعيف. ولو فرض أنه ليس له إسنادٌ صحيحٌ، لكن هؤلاء أوردوه في كتبِهِم مستحسنين ليعمل الناس به، فماذا تحكمون عليهم؟ هل تحكمون عليهم بالشركِ والكفرِ لأنهم تركوا للناس ما فيه شرك في تآليفهم؟! وكذلك علماء الخلف من حفاظِ الحديثِ[1]

---

(١) وممن روى هذا الحديث: الحافظ النووي في الأذكار، وابن الجزري في الحصن الحصين وفي عدة الحصن الحصين، وابن السني في عمل اليوم والليلة، والمنذري في الترغيب والترهيب، والمزي =

ذكروا هذا في مؤلفاتِهِم، فأنتم تكونون قد كفَّرتم السلفَ والخلفَ، فَمَن المسلم على زعمِكم إن كان السلف والخلف كفارًا على مُوجَب كلامكم؟! بل نقول لكم السلف والخلف أصحاب العقيدة الحقة هم المسلمون وأنتم المبتدعة الضلال وهذا واضح وضوح الشمس رابعة النهار.

وهذا الإمام أحمدُ بنُ حنبل الذي تعتزُّون به أجازَ تقبيلَ قبرِ النبيّ ومَسَّهُ للتبركِ»[1]. نعم: [من الوافر]

ومـن يك ذا فـمٍ مُـرٍّ مريضٍ يجـدْ مُـرًّا به المـاءَ الـزُّلالا!!

= في تهذيب الكمال، بل تمدح بروايته عاليا، وابن الجعد في مسنده، والشوكاني في تحفة الذاكرين، وغيرهم كثير.

(١) العلل ومعرفة الرجال (٢/ ٤٩٢).

# مشروعية التبرك بالأولياء والصالحين وآثارهم مِنْ نُصوصِ العلماء ونُقُولهم

لم يقتصر عمل المسلمين على التبرك بقبر النبي ﷺ وءاثاره بعد موته، بل كان ديدنهم هو التبرك بقبور الأنبياء والصحابة والتابعين وصلحاء الأمة وءاثارهم، والاستشفاء والاستسقاء بها أيضًا، ومن ذلك:

ما قاله الحافظ ولي الدين العراقي[1] في حديث أبي هريرة أن موسى عليه السلام قال: «رب أدنني من الأرض المقدسة رمية بحجر»، فلما جاء أجله قرّبه الله إلى الأرض المقدسة رمية بحجر، وجعل وفاته بمكان قريب من الأرض المقدسة، والأرض المقدسة تبدأ من الجبال التي بعد أريحا إلى بيت المقدس، وقبر موسى عليه السلام قبل جبل القدس، يوجد هناك بأريحا مقام كبير له أربعة أبواب، باب شرقي وباب غربي وباب شمالي وباب جنوبي بناه المسلمون يأوي إليه الزوار. وأن النبي ﷺ قال: **«والله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر» فيه استحباب معرفة قبور الصالحين لزيارتها والقيام بحقها»**.

وقال الحافظ الضياء: حدثني سالم التل، قال: «ما رأيت استجابة الدعاء أسرع منها عند هذا القبر» اهـ.

وروى الحاكم في المستدرك[2]: عن علي بن الحسين عن أبيه أن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وءاله وسلم، كانت تزور قبر عمها حمزة كل جمعة، فتصلي وتبكي عنده. هذا الحديث رواته عن ءاخرهم ثقات.

وقال الإمام المفسر أبو عبد الله القرطبي في تفسيره[3]: «وخامسها أمره ﷺ أن يستقوا من بئر الناقة دليل على التبرك بآثار الأنبياء والصالحين، وإن تقادمت

---

(١) طرح التثريب (٣/ ٣٠٣).

(٢) المستدرك (١/ ٣٧٧).

(٣) تفسير القرطبي (١٠/ ٤٧).

الأعصار وخفيت ءاثارهم».

وقال العلامة ابن جزي الكلبي المالكي في القوانين الفقهية[1]: «ومن المواضع التي ينبغي قصدها تبركًا قبر إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر، وهما في الحجر، وقبر ءادم عليه السلام في أبي قبيس، والغار المذكور في القرءان وهو في جبل ثور، والغار الذي في جبل حراء حيث ابتداء نزول الوحي على رسول الله ﷺ، وزيارة قبور من بمكة والمدينة من الصحابة والتابعين والأئمة».

قال الحافظ النووي: «ويستسقى بالخيار من أقرباء رسول الله ﷺ، لأن عمر استسقى بالعباس، وقال: اللهم إنّا كنّا إذا قحطنا توسلنا إليك بنبيّنا فتسقينا، وإنّا نتوسل بعم نبيّنا فاسقنا، فيسقون.

ويستسقى بأهل الصلاح؛ لما رُوي أن معاوية استسقى بيزيد بن الأسود فقال[2]: «اللهم إنّا نستسقي بخيرنا وأفضلنا، اللهم إنّا نستسقي بيزيد بن الأسود. يا يزيد، ارفع يديك إلى الله تعالى»، فرفع يديه ورفع الناس أيديهم، فثارت سحابة من المغرب كأنها ترس، وهبّ لها ريح، فسقوا حتى كاد الناس أن لا يبلغوا منازلهم».

ولقد استدل الحافظ ابن حجر العسقلاني بحادثة استسقاء عمر بالعباس، على جواز التبرك والاستشفاع ببعض الأخيار فقال: «ويستفاد من قصة العباس استحباب الاستشفاع بأهل الخير والصلاح وأهل بيت النبوة[3]».

وقال الحافظ في موضع ءاخر من الفتح: «وفيه التبرك بالمواضع التي صلى

---

(١) القوانين الفقهية (١/ ٩٦).

(٢) المجموع شرح المهذب للإمام النووي (٥/ ٦٨) كتاب الصلاة، باب صلاة الاستسقاء، وقال ابن حجر: أخرجه أبو زرعة الدمشقي في تاريخه بسند صحيح، ورواه أبو القاسم اللالكائي في السنة في كرامات الأولياء.

(٣) فتح الباري (٢/ ٣٩٩) وكذلك ابن حبان فهم هذا فقال (٤/ ٢٢٨): ذكر ما يستحب للإمام إذا أراد الاستسقاء أن يستسقي الله بالصالحين رجاء استجابة الدعاء لذلك، وكذلك البغوي في شرح السنة (٢/ ٦٥٤).

فيها النبي أو وطئها، ويستفاد منه أنّ من دعا من الصالحين ليتبرك به أنه يجيب إذا أَمِنَ الفتنة».

وفي لفظ ابن الأثير: ولما سقى الناس طفقوا يتمسحون بالعباس ويقولون: «هنيئًا لك ساقي الحرمين»، وكان الصحابة يعرفون للعباس فضله ويقدمونه ويشاورونه.

قال السمهودي[1]: «حكى البرهان بن فرحون، عن الإمام العالم أبي محمد عبد السلام بن إبراهيم بن مصال الحاحاني قال: نقلت من كتاب الشيخ العالم أبي محمد صالح الهرمزي قال: قال صالح بن عبد الحليم: سمعت عبد السلام بن يزيد الصنهاجي يقول: سألت ابن بكون عن تراب المقابر الذي كان الناس يحملونه للتبرك، هل يجوز أو يمنع؟ فقال: هو جائز، وما زال الناس يتبركون بقبور العلماء والشهداء والصالحين، وكان الناس يحملون تراب قبر سيدنا حمزة بن عبد المطلب في القديم من الزمان».

قال الحافظ اللغوي مرتضى الزبيدي في إتحاف السادة المتقين[2]، والنووي في روضة الطالبين[3] ما نصه: «وكان صفوان بن سليم المدني أبو عبد الله، وقيل الحارث القرشي الزهري الفقيه العابد، وأبوه سليم مولى حميد بن عبد الرحمن بن عوف، قال أحمد: هو يستسقى بحديثه وينزل القطر من السماء بذكره، وقال مرة: هو ثقة من خيار عباد الله الصالحين».

ونقل ذلك أيضًا السيوطي في طبقات الحفاظ[4] فقال: «وذكر -أي صفوان ابن سليم - عند أحمد فقال: هذا رجل يستسقى بحديثه وينزل القطر من السماء بذكره».

---

(١) وفاء الوفا (١/ ٦٩).

(٢) انظر إتحاف السادة المتقين (١٠/ ١٣٠).

(٣) روضة الطالبين (١/ ٢٤٧).

(٤) طبقات الحفاظ (ص/ ٦١).

وروى[1] عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه أحمد بن حنبل قال: «قال ابن عيينة: رجلان صالحان يستسقى بهما ابن عجلان ويزيد بن يزيد بن جابر».

قال الإمام شمس الدين محمد بن محمد الجزري في عدة الحصن الحصين[2]، عند ذكره أماكن إجابة الدعاء: «وعند الحجرات الثلاث، وعند قبور الأنبياء، وجُرِّبت استجابة الدعاء عند قبور الصالحين».

وروي عن المحب الطبري في عمدة القاري[3]: «ويمكن أن يستنبط من تقبيل الحجر واستلام الأركان، جواز تقبيل ما في تقبيله تعظيم الله تعالى، فإنه إن لم يرد فيه خبر بالندب لم يرد بالكراهة، قال: وقد رأيت في بعض تعاليق جدي محمد ابن أبي بكر عن الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي الصيف، أن بعضهم كان إذا رأى المصاحف قبَّلها، وإذا رأى أجزاء الحديث قبَّلها، وإذا رأى قبور الصالحين قبَّلها. قال: ولا يبعد هذا، والله أعلم، في كل ما فيه تعظيم لله تعالى».

قال النووي[4]: «ولا بأس بتقبيل وجه الميت الصالح للتبرك».

وقال ابن الأثير في شرح عدة الحصن الحصين[5] عند ذكر أماكن الإجابة: «وورد مجربًا في داخل البيت وعند قبور الأنبياء عليهم السلام، ولا يصح قبر نبي بعينه سوى قبر نبينا ﷺ بالإجماع فقط، وقبر إبراهيم عليه السلام داخل السور من غير تعيين، وجرب استجابة الدعاء عند قبور الصالحين بشروط معروفة».

وفي الإعلام بفوائد عمدة الأحكام[6] لابن الملقن ما نصه: «أما الدعاء عند قبره فلم يزل السلف والخلف يفعلونه، ويتوسلون إلى الله بالدعاء هناك وبه ﷺ عند قبره وغيره من البقاع من غير منع» اهـ.

---

(١) العلل ومعرفة الرجال (١/ ٨١). وكلاهما ماتا قبل ولادة الإمام أحمد بن حنبل.

(٢) عدة الحصن الحصين (ص/ ٢٠).

(٣) عمدة القاري (٩/ ١٤١).

(٤) الأذكار (٢٣٦).

(٥) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للصنعاني ممزوجًا (٤٥).

(٦) الإعلام بفوائد عمدة الأحكام (٤/ ٥١٥ - ٥١٦).

وقال الذهبي[1]: «قلت والدعاء مستجاب عند قبور الأنبياء والأولياء وفي سائر البقاع، لكن سبب الإجابة حضور الداعي وخشوعه وابتهاله، وبلا ريب في البقعة المباركة، وفي المسجد، وفي السحر، ونحو ذلك يتحصل ذلك للداعي كثيرًا، وكل مضطر فدعاؤه مجاب».

ذكر العيني[2] عن شيخه زين الدين العراقي شيخ الحفاظ ومقدمهم في عصره أنه قال: «وأما تقبيل الأماكن الشريفة على قصد التبرك وكذلك تقبيل أيدي الصالحين...، فهو حسن محمود باعتبار القصد والنية». وذكره الشيخ مرعي بن يوسف الحنبلي في دليل الطالب لنيل المطالب[3].

قال الغزالي[4]: «زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار، وزيارة قبور الصالحين مستحبة لأجل التبرك مع الاعتبار، وقد كان رسول الله ﷺ نهى عن زيارة القبور ثم أذن في ذلك بعد».

ذكر الزهاوي في كتابه الفجر الصادق: قال الغزالي: «من يُستمد منه في حياته يُستمد منه بعد مماته».

وفي كتاب المعيار المعرب[5] والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب، لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي المالكي ما نصه: «وسئل عمن نذر زيارة قبر رجل صالح أو حي فأجاب: يلزمه ما نذر وإن أعمل فيه المطي. وقال ابن عبد البر: كل عبادة أو زيارة أو رباط أو غير ذلك من الطاعة غير الصلاة فيلزمه الإتيان إليه، وحديث: «لا تُعمل المطي» مخصوص بالصلاة، وأما زيارة الأحياء من الإخوان والمشيخة، ونذر ذلك، والرباط ونحوه فلا

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٧٧).

(٢) عمدة القاري (٩/ ٢٤١).

(٣) دليل الطالب لنيل المطالب (٢٤١).

(٤) إحياء علوم الدين (٤/ ٥٢١).

(٥) مرقاة المفاتيح (٢/ ٨١).

خلاف في ذلك، والسنة تهدي إليه من زيارة الأخ في الله، والرباط في الأماكن التي يرابط بها، وتوقف بعض الناس في زيارة القبور وءاثار الصالحين، ولا يتوقف في ذلك لأنه من العبادات غير الصلاة، ولأنه من باب الزيارة والتذكير لقوله ﷺ «**زوروا القبور فإنها تذكركم الموت**»، وكان ﷺ يأتي حراء وهو بمكة ويأتي قباء وهو بالمدينة، والخير في اتباعه ﷺ واقتفاء ءاثاره قولا وفعلًا لا سيما في ما ظهرت الطاعة فيه».

وفي المدخل[1] لابن الحاج المالكي: «وما زال الناس من العلماء والأكابر كابرًا عن كابر مشرقًا ومغربًا يتبركون بزيارة قبورهم -أي الصالحين- ويجدون بركة ذلك حسًا ومعنى».

وفي فتح العلام[2] للجرداني: «وبالجملة فزيارة الوالدين ينبغي شد الرحال إليها، وكذا زيارة الأنبياء والشهداء والأولياء، فتبين الرحلة لذلك، ثم قال: قال صاحب المشارق: ولا مرية حينئذ أن تقبيل القبر الشريف لم يكن إلا للتبرك فهو أولى من جواز ذلك لقبور الأولياء عند قصد التبرك، لا سيما وأن قبره الشريف روضة من رياض الجنة» اهـ.

وقال السيوطي في الديباج[3] بشرح مسلم بن الحجاج عند حديث «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة»: قال القاضي معناه أن الإيمان أولا وءاخرًا بهذه الصفة لأنه في أول الإسلام كان كل من خلص إيمانه وصح إسلامه في المدينة أتى مهاجرًا متوطنًا وإما متشوقًا إلى رؤية رسول الله ﷺ ومتعلمًا منه ومتقربًا ثم بعد هذا في زمن الخلفاء كذلك ولأخذ سيرة العدل منهم والاقتداء بجمهور الصحابة ثم من بعدهم من العلماء الذين كانوا سرج الوقت وأئمة المدى لأخذ السنن المنتشرة بها عنهم وكان كل منهم ثابت الإيمان منشرح الصدر به يرحل إليها ثم بعد ذلك

---

(١) انظر المدخل (١/ ٢٥٥).

(٢) انظر فتح العلام بشرح مرشد الأنام (٢/ ٩٠٣ - ٩٠٤).

(٣) الديباج (١/ ١٦٦).

في كل وقت وإلى زماننا لزيارة قبره الشريف، والتبرك بآثاره، ومشاهده، وءاثار الصحابة» اهـ.

قال الشيخ مرعي بن يوسف الحنبلي[1] ما نصه: «ولا بأس بلمس قبر بيد لا سيما من تُرجى بركته».

وقال أبو العباس الناصري[2]: «قلت مسألة زيارة قبور الأنبياء والأولياء مشهورة في كتب الأئمة، وهي من القرب المرغوب فيها عند الجمهور، ومنعها قوم من الحنابلة، وشدد تقي الدين بن تيمية منهم فيها محتجًا بقوله عليه الصلاة والسلام: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى**» وهو عند الجمهور مؤول بأن المعنى لا تشد الرحال لصلاة في مسجد إلا إلى ثلاثة مساجد، وقد بسط القول في هذا صاحب المواهب اللدنية، والقول الفصل أن التبرك بآثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والأولياء رضي الله عنهم وزيارة مشاهدهم، من الأمر المعروف عند أمة محمد ﷺ المجمع عليه خلفًا وسلفًا لا يسع إنكاره، غير أن للزيارة ءادابًا تجب المحافظة عليها وشروطًا لا بد من مراعاتها والوقوف لديها».

وفي كتاب التبرك بالصالحين وءاثارهم[3]: «التبرك بالماء: النوع الآخر من أنواع التبرك وهو التوسل بما يتساقط من ماء وضوء الصالحين، أو بما يغسلون به بعض أطرافهم، أو بما يرقون ويكتبون عليه من سائل، أو بما ينفثون عليه من مشروب أو ممسوح تأسيًا منهم في ذلك بما كان يفعله الصحابة مع رسول الله ﷺ».

وفي كتاب حسن التوسل في ءاداب زيارة أفضل الرسل للشيخ عبد القادر الفاكهي: «وينبغي أيضًا زيارة الشهداء والصالحين بوادي بدر وغيره مع الدعاء

---

(١) غاية المنتهى (١/ ٢٥٩ - ٢٦٠).

(٢) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (٣/ ١٢٢ - ١٢٣).

(٣) التبرك بالصالحين وءاثارهم (ص/ ٦٠).

لهم والتوسل بهم لتعود بركاتهم عليه في سفره، فيأمن وعثاءه، وينال بغية وطره».

وقال الحافظ ولي الدين العراقي في فتاويه[1] مخطوط: «مسألة: سئلت عمن يزور الصالحين من الموتى فيقول عند قبر الواحد منهم: يا سيدي فلان أنا مستجير أو متوسل بك أن يحصل لي كذا وكذا (....)، أو يقول: يا رب أسألك بمنزلة هذا الرجل أو بسره أو بعمله أن يفعل لي كذا وكذا، هل هذه العبارات حسنة أو غير حسنة أو بعضها قبيح؟ وما كانت السلف تقول عند زيارة قبور الصالحين؟ وهل إذا قال الشخص عند قبر الصالح: يا سيدي متى حصل لي كذا وكذا أجئ إليك بكذا وكذا، هل يلزم الوفاء به أو لا؟

فأجبت: زيارة الرجال للقبور مندوب إليها، فقبور الصالحين ءاكد في الاستحباب وينبغي الدعاء عندها لأن لتلك البقع فضلًا وشرفًا بوجود ذلك الصالح فيها، والدعاء في البقاع الشريفة أقرب إلى الإجابة، وقد اشتهر عند أهل بغداد إجابة الدعاء عند قبر معروف الكرخي وأنه الترياق المجرب، واشتهر ذلك في قبور كثير من الصالحين، وأيضًا فإن الداعي عقب عبادة وهو زيارته ذلك القبر، وعقب قراءة إن كان قد قرأ شيئًا من القرءان كما هو الغالب وذلك أقرب إلى الإجابة، ولا امتناع في التوسل بالصالحين، فإنه ورد التوسل بالنبي ﷺ، ولصلحاء أمته حظ مما لم يعد من خصائصه[2] أمته لمن شاء منهم، وهي بركة نمت عليهم، وقد توسل عمر بالعباس رضي الله عنهما، ولا يمنع من ذلك موت ذلك الصالح لأن الموت إنما طرأ على الجسد وأما الروح فحية، وقد ورد ما يدل على اتصالها به في بعض الأحيان كيف يشاؤه الله.

إلى أن قال: وقوله: متى حصل لي كذا أجئ إليك بكذا إن لم يقترن به لفظ التزام ولا نذر لم يلزم به شىء، وإن اقترن بذلك فإن أراد التصدق على الفقراء

---

(١) (ق/ ١٠٥).

(٢) سقط من المخطوطة.

المجاورين من[1] أو عمارة مشهد حيث احتيج لذلك لزم الوفاء به، وإن أراد تمليكه لنفس الميت فهو لاغ لا يجب له شيء والله أعلم».

وفي فتاوى شمس الدين الرملي بهامش الفتاوى الكبرى لابن حجر الهيتمي[2]: «سئل عما يقع من العامة من قولهم عند الشدائد: يا شيخ فلان، يا رسول الله، ونحو ذلك من الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والعلماء والصالحين فهل ذلك جائز أم لا؟ وهل للرسل والأولياء والصالحين والمشايخ إغاثة بعد موتهم؟ وماذا يرجح ذلك؟

فأجاب: الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والعلماء والصالحين جائزة، وللرسل والأنبياء والأولياء والصالحين إغاثة بعد موتهم، لأن معجزة الأنبياء وكرامات الأولياء لا تنقطع بموتهم، أما الأنبياء فلأنهم أحياء في قبورهم يصلون ويحجون[3] كما وردت به الأخبار، وتكون الإغاثة منهم معجزة لهم، وأما الأولياء فهي كرامة لهم فإن أهل الحق على أنه يقع من الأولياء بقصد وبغير قصد أمور خارقة للعادة يجريها الله تعالى بسببهم».

فيعلم مما مرّ أن مصيبة هؤلاء المكفرين للمتوسلين والمستغيثين بالأنبياء والأولياء، بعد موتهم وفي حياتهم وفي غير حضورهم، سوء فهمهم للآيات والأحاديث التي يستدلون بها على ذلك، ظنوا أن معنى العبادة هو النداء والاستعانة والخوف والرجاء والاستغاثة، فهذه في ظنهم هي العبادة التي من صرفها لغير الله يكون مشركًا، وكذلك ظنوا أن من طلب من غير الله ما لم تجر به العادة صار مشركًا.

كيف ساغ لهم ذلك وقد ثبت أن الحارث بن حسان البكري رضي الله عنه قال: «**أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد**» الحديث المشهور الذي رواه

---

(١) سقط من المخطوطة.

(٢) الفتاوى الكبرى (٤/ ٣٨٢).

(٣) قوله ويحجون لم يثبت في السنة.

الإمام أحمد في مسنده[1] وحسنه الحافظ ابن حجر، والدليل فيه أن الرسول لم يقل للحارث أشركت لقولك «ورسوله» حيث استعذت بي، وقد جمع الحارث الاستعاذة بالرسول مع الاستعاذة بالله وذلك لأن الله هو المستعاذ الحقيقي وأما الرسول فمستعاذ به على معنى أنه سبب.

وثبت أيضًا[2] أن ابن عباس روى عن النبي أنه قال: «**إنّ لله ملائكة سوى الحفظة سياحين يكتبون ما يسقط من ورق الشجر، فإذا أصاب أحدكم عرجة بأرض فلاة فليناد: أعينوا عباد الله**»، حسّنه الحافظ ابن حجر في الأمالي مرفوعًا، وقال الحافظ الهيثمي: ورجاله ثقات، وأخرجه البيهقي في الشعب موقوفًا.

وروى البيهقي أيضًا في الشعب[3] أن الإمام أحمد قال: «حججت خمس حجج اثنتين راكبًا وثلاثًا ماشيًا، أو ثلاثًا راكبًا واثنتين ماشيًا، فضللت الطريق في حجة وكنت ماشيًا فجعلت أقول: يا عباد الله دلوني على الطريق، قال: فلم أزل أقول ذلك حتى وقفت على الطريق، فهل يقول منصف ذو لُبّ أن فعل الإمام أحمد هذا ظاهرة شركية لأنه طلب من غير الله تعالى.

فلما ساء فهمهم جعلوا هذه الأشياء عبادة لغير الله لمجرد ألفاظها، فكفّروا المسلمين من أجل أمر اتفق السلف والخلف على جوازه، وذلك دليل على أنهم لم يفهموا معنى العبادة الواردة في القرءان على حسب مفهوم اللغة العربية، وقد بيَّنها علماء اللغة بيانًا لا يبقى معه لَبس، وقد مرّ تعريفهم للعبادة بأنها غاية التذلّل، وكيف حكموا بأن ما لم تجر به العادة شرك، وجعلوا ذلك قاعدة، وقد طلب بعض الصحابة وهو ربيعة بن كعب الأسلمي من رسول الله أن يكون رفيقه في الجنة، فلم ينكر عليه بل قال له من باب التواضع: «**أو غير ذلك**»، فقال الصحابي:

---

(١) مسند أحمد (٣/ ٤٨٢).

(٢) كشف الأستار (٤/ ٣٤)، شعب الإيمان (١/ ٤٤٥)، مجمع الزوائد (١٠/ ١٣٢).

(٣) شعب الإيمان (٦/ ١٢٨).

هو ذاك، فقال له: «**فأعنّي على نفسك بكثرة السجود**»، رواه مسلم[1].

وقد صحح ابن حبان والحاكم والحافظ الهيثمي[2] أن امرأة من بني إسرائيل سألت موسى أن يعطيها حكمها فقال: ما حكمك؟ قالت: أن أكون معك في الجنة، فأوحى الله إليه أن أعطها حكمها.

ولفظ الحديث كما في المطالب العالية[3] عن أبي موسى قال: «أتى النبي ﷺ أعرابي، فأكرمه فقال له: «**ائتنا**»، فأتاه فقال: «**سل حاجتك**»، فقال: ناقة نركبها وأعنز يحلبها أهلي، فقال رسول الله ﷺ: «**أعجزتم أن تكونوا مثل عجوز بني إسرائيل؟ فسألوه فقال: «إن موسى لما سار ببني إسرائيل من مصر ضلّوا الطريق، فقال: ما هذا؟ فقال علماؤهم: إن يوسف لما حضره الموت أخذ علينا موثقًا من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا، قال: فمن يعلم موضع قبره؟ قالوا: عجوز من بني إسرائيل، فبعث إليها، فأتته، فقال: دُلّوني على قبر يوسف، قالت: حتى تعطيني حكمي، قال: ما حكمك؟ قالت: أن أكون معك في الجنة، فكره أن يعطيها ذلك، فأوحى الله إليه أن أعطها حكمها، فانطلقت بهم إلى بحيرة موضع مستنقع ماء، فقالت: أنضِبوا هذا الماء، فأنضبوه قالت: احتفروا، فحفروا واستخرجوا عظام يوسف، فلما أقلّوها إلى الأرض إذا الطريق مثل ضوء النهار**[4]».

ولا ينافي هذا حياة الأنبياء في قبورهم، لأن هذا من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل وهو من أنواع المجاز المشهورة، يعرف بـ: المجاز المرسل، كما قال ابن قيس

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة: باب فضل السجود والحث عليه.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه انظر الإحسان (٢/ ٥٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٧١ ـ ٥٧٢)، وذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٧٠ ـ ١٧١) وقال: «رواه الطبراني، ورواه أبو يعلى ورجال أبي يعلى رجال الصحيح».

(٣) انظر المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر العسقلاني (٣/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤).

(٤) أخرجه أبو يعلى في مسنده (١٣/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧). قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٤٠): ورجال أبي يعلى رجال الصحيح وهذا الذي حملني على سياقها.

الرقيات في طلحة الطَّلَحات قال:[1] [من الخفيف]

رحــم الله أعــظــمًا دفنوها بسجستان طلحةَ الطلحاتِ

ومعلوم أن ابن قيس الرقيات لا يقصد أنهم دفنوا الأعظم المتجرد عن الجلد واللحم، ومن الشائع المشهور عند العرب قولهم وجه فلان وجه خير وهم يقصدون بالوجه ذاته، فتبين أن ذكر العظام في قصة يوسف المراد به جملة الجسد فلا ينافي معناه حديث: «**الأنبياء أحياء في قبورهم**».

قال بعضهم: ومن الآيات القرءانية الدالة على الطلب من المخلوق ما لم تجر به العادة إذا كان في مقام الكرامة للأولياء، قوله تعالى عن نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾[2] فطلب من الملأ وهم الجن والإنس

---

(1) في شرح القاموس (٢/ ١٩٢) ما نصه: «طَلْحَةُ الطَّلَحاتِ في بعض حواشي نسخ الصحاح بخط من يوثق به الصواب طلحة بن عبد الله، قال ابن بري ذكر ابن الأعرابي في طلحة الطلحات لأن أمه صفية بنت الحارث بن طلحة بن أبي طلحة، زاد الأزهري: ابن عبد مناف، قال: وأخوها أيضًا طلحة بن الحارث فقد تكنفه هؤلاء الطلحات كما ترى، ومثله في شرح أبيات الإيضاح. وفي تاريخ ولاة خراسان لأبي الحسين علي بن أحمد السلامي سمي به لأن أمه طلحة بنت أبي طلحة، وفي الرياض النضرة أن أمه صفية بنت عبد الله بن عباد بن مالك ابن ربيعة الحضرمي أخت العلاء بن الحضرمي، أسلمت، وقال ابن الأثير: قيل إنه جمع بين مائة عربي وعربية بالمهر والعطاء الواسعين فولد لكل منهم ولد فسمي طلحة فأضيف إليهم. وفي شواهد الرضي لأنه فاق في الجود خمسة أجواد اسم كل واحد منهم طلحة وهم طلحة الفياض، وطلحة الجود، وطلحة الدراهم، وطلحة الندى، وقيل كان في أجداده جماعة اسم كلّ طلحة كذا في شرح المفصل لابن الحاجب، وفي كتاب الغرر لإبراهيم الوطواط الطلحات خمسة وهم طلحة بن عبيد الله التيمي وهو طلحة الفياض، وطلحة بن عمر بن عبد الله بن معمر التيمي وهو طلحة الجود، وطلحة بن عبد الله بن عوف الزهري ابن أخي عبد الرحمٰن ابن عوف وهو طلحة الندى، وطلحة بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهو طلحة الخير، وطلحة بن عبد الرحمٰن بن أبي بكر ويسمى طلحة الدراهم، وطلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي وهو سادسهم المشهور بطلحة الطلحات، ومثله كلام ابن بري وقبر طلحة الندى بالمدينة وقبر طلحة الطلحات بسجستان».

(2) سورة النمل/ ءاية ٣٨.

وفيهم مردة الشياطين، فأتى به الذي عنده علم من الكتاب ولم يتخلخل، وقد أجمع أهل العلم أن هذا نوع من الكرامة، والله تعالى ذكره في كتابه العزيز في مقام أظهر فيه فضل ذلك الرجل الصالح، ولم يعتب على سليمان ولم يقل له لِمَ دعوت غيري وأنا أقرب إليك من حبل الوريد[1]، وذلك لأن النبي سليمان عليه الصلاة والسلام يعلم أن ذلك من التماس الأسباب، وهو من المشروع الذي أمر الله تعالى به، وكذلك الطلب من الرسول ﷺ أو من شهداء وصلحاء أمته إنما هو نوع من الكرامة والمسبب والفاعل الحقيقي في ذلك هو الله تعالى، وكرامات الأولياء داخلة في معجزات الأنبياء وذلك بسبب متابعتهم للأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وإنما يكون شركًا طلب ما انفرد به الله تعالى، كطلب خلق شيء أي إحداثه من العدم، وطلب مغفرة الذنوب، قال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾[2] وقال: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[3]. وقد قال جبريل لمريم: ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا﴾[4] فواهب الغلام الذي هو عيسى لمريم في الحقيقة هو الله، ولكن الله جعل جبريل سببًا، فأضاف جبريل هذه الهبة إلى نفسه. وقصة جبريل هذه يعلم منها عظم شطط هؤلاء في تكفير المتوسلين والمستغيثين لمجرد قول أحدهم: يا رسول الله ضاقت حيلتي أغثني يا رسول الله، وما شابه ذلك من العبارات التي يطلقونها ولا يعنون بها أن رسول الله يخلق أو أنه يستحق العبادة التي هي غاية التذلّل، بل يعنون أنه سبب لنيل المقصود والبركة من الله، ولا يفهمون من الواسطة إلا معنى السببيّة، وإن أطلق بعضهم في ذلك لفظ الواسطة فهذا ما يعنونه. وقد أجرى الله العادة بربط المسبَّبات بالأسباب، فالله تبارك وتعالى كان قادرًا على أن يعطي مريم ذلك الغلام الزكيّ من دون أن يكون لجبريل سببيّة في ذلك.

---

(١) أي أن الله عالم بحال نبي الله سليمان عليه السلام.

(٢) سورة فاطر/ ءاية.

(٣) سورة ءال عمران/ ءاية ١٣٥.

(٤) سورة مريم/ ءاية ١٩.

فكيف يسوغ تكفير المسلم لمجرد أنه قال: إن النبي والولي واسطة بمعنى السبب، إنما الشرك هو إثبات الواسطة بمعنى أن شيئًا يعين الله أو أن الله سبحانه لا يستطيع أن يحصّل ذاك الشيء استقلالا إلا بواسطة النبي أو الولي، فهذا هو الشرك لو كانوا يفهمون.

## ومن التبرك بالصالحين الدفن في المواضع الفاضلة

قال ابن قدامة الحنبلي في المغني والكافي[1]: «ويستحب الدفن في المقبرة التي يكثر فيها الصالحون والشهداء لتناله بركتهم وكذلك في البقاع الشريفة، وقد روى البخاري ومسلم بإسنادهما أن موسى عليه السلام لما حضره الموت سأل الله تعالى أن يدنيه إلى الأرض المقدسة رمية بحجر قال النبي ﷺ: «**فلو كنت ثَمّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر**».

قال العلامة ابن حجر[2]: «يجوز نقل الميت إلى أحد الأمكنة الثلاثة: مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس الشريف، نص عليه الشافعي».

وقال المحب الطبري: «نَقلُهُ إلى قرية بها صلحاء مندوب، ودفنه فيها خير من دفنه عند أقاربه، فلا يحرم ولا يكره، بل يندب لفضلها، ومحله حيث لم يخش تغيره. ولا يجوز النقل إلا بعد غسله وتكفينه والصلاة عليه، لأن الفرائض لا تسقط عن أهل محل موته».

## ذكر الأخبار في تبرك الأُمةِ سَلفًا وخلفًا بآثار الصالحين

**أولًا: من قبور الصحابة رضوان الله عليهم:**

١ـ قال الحافظ السخاوي في التحفة اللطيفة[3] في ترجمة سيدنا حمزة بن عبد

---

(١) المغني (٢/ ١٩٣) والكافي (١/ ٢٦٨).

(٢) تحفة المحتاج لابن حجر بحاشية الشرواني (٣/ ٢٠٣).

(٣) التحفة اللطيفة (١/ ٣٠٧).

المطلب رضي الله تعالى عنه: «وجعل على قبره قبة فهو يزار ويتبرك به وبمحله رضي الله عنه».

٢ـ وقال ابن جبير في رحلته[١] في ترجمة بلال بن رباح: «مؤذن رسول الله ﷺ، قبره بدمشق، وفي رأس القبر المبارك تاريخ باسمه رضي الله عنه، والدعاء في هذا الموضع المبارك مستجاب، وقد جرّب ذلك كثير من الأولياء وأهل الخير المتبركين بزيارتهم».

٣ـ وقال الحاكم في المستدرك[٢] وابن الجوزي[٣] في ترجمة أبي أيوب الأنصاري: «وقبره بأصل حصن القسطنطينية بأرض الروم، فيما ذكر يتعاهدون قبره ويزورونه ويستسقون به إذا قحطوا».

٤ـ قال الخازن في تفسيره[٤]: «فمات أبو أيوب في ءاخر غزوة غزاها بأرض قسطنطينية، ودفن في أصل سورها فهم يتبركون بقبره، ويستشفعون به. وهو أبو أيوب الأنصاري الصحابي الجليل».

٥ـ وفي أسد الغابة[٥]: في كلامه عن الحسين بن علي قال: «قتل يوم الجمعة... وهو يوم عاشوراء من سنة إحدى وستين بكربلاء من أرض العراق، وقبره مشهور يزار».

٦ـ وفي[٦] أسد الغابة أيضًا: عند كلامه عن قبر سعد بن عبادة «أن قبره بالمليحة، قرية في غوطة دمشق، وهو مشهور يزار إلى اليوم».

٧ـ وفي ديوان الإسلام[٧] عن قبر سعد بن عبادة الصحابي، قال النووي:

---

(١) رحلة ابن جبير (ص/ ٢٥١).
(٢) مستدرك الحاكم (٣/ ٥١٨).
(٣) صفة الصفوة (١/ ٤٠٧).
(٤) تفسير الخازن (٣/ ٣١٩).
(٥) أسد الغابة (١/ ٢٦٥).
(٦) أسد الغابة (١/ ٤٣٥).
(٧) (في حرف السين في الأسماء).

«وأجمعوا على أنه توفي بحوران وقبره معروف يزار، وهذا الضريح الذي في المليحة قال النووي لعله نقل من حوران».

٨ـ وفي كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة[١] يقول: «قبر عقبة بن عامر بالقرافة يزار، ولأهل مصر فيه اعتقاد عظيم». وقال أيضًا: «فإنه زاره الخلف عن السلف»، وكذا في السيرة الحلبية[٢].

٩ـ وفي براءة الأشعريين[٣] ينقل عن الإصابة في ترجمة الصحابي الشهير عبد الرحمـٰن بن ربيعة الباهلي - الملقب بذي النور رضي الله تعالى عنه - أنه استشهد ببلنجر من أرض الترك ناحية باب الأبواب، ودفن هناك، فهم يستسقون به إلى الآن.

وفي نفس الصحيفة ينقل عن الاستيعاب للحافظ ابن عبد البر، في ترجمة الصحابي الشهير بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه عن ولده عبد الله قال: «مات والدي بمرو وقبره بالحصين، وهو قائد أهل المشرق ونورهم، لأن النبي ﷺ قال: «**أيما رجل مات من أصحابي ببلده فهو قائدهم ونورهم يوم القيامة**».

١٠ـ وإلى القراء نبذة من كتاب الروح لابن القيم المتناقض؛ فقد قال[٤]: «وقد تواترت الرؤيا من أصناف بني ءادم على فعل الأرواح بعد موتها، ما لا تقدر على مثله حال اتصالها بالبدن، من هزيمة الجيوش الكثيرة بالواحد والاثنين والعدد القليل ونحو ذلك، وكم قد رؤي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر في النوم، قد هزمت أرواحهم عساكر الكفر والظلم، فإذا بجيوشهم مغلوبة مكسورة مع كثرة عَدَدِهم وعُدَدِهم، وضعف المؤمنين

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (١/ ٥٢).

(٢) السيرة الحلبية (٥/ ٢٨٣).

(٣) براءة الأشعريين (١/ ٢٤٨).

(٤) طبعة حيدر ءاباد الثالثة (ص/ ١٢٧).

وقلتهم، ومن العجب أن أرواح المؤمنين المتحابين المتعارفين تتلاقى وبينها أعظم مسافة وأبعدها، فتتسالم وتتعارف، فيعرف بعضها بعضًا كأنه جليسه وعشيره، فإذا رءاه طابق ذلك ما كان عرفته روحه قبل رؤيته».

١١ـوفي براءة الأشعريين[١] بعد أن ذكر دمشق قال: «ذكر من مات بها من الصحابة: بلال بن رباح، ودفن بمقبرة باب الصغير، وقيل غير ذلك، وهذا أصح، سهل بن عبيد وهو ابن الحنظلية. عبادة بن الصامت، قيل: مات بدمشق، وقيل بالرملة. النمر بن السعدي، عويمر أبو الدرداء، فضالة بن عبيد.

فيستحب لمن زار مقبرة دمشق أن يقصد زيارة هؤلاء، ويسلم عليهم».

١٢ـوفي كتاب مشاهير علماء الأمصار[٢]: «أبو الدرداء عويمر بن عامر بن زيد الأنصاري، مات سنة اثنتين وثلاثين وقبره بباب الصغير بدمشق، مشهور يزار، قد زرته غير مرة».

قال الذهبي في تذكرة الحفاظ[٣] في ترجمة سيدنا عمر بن عبد العزيز: «قبره بدير سمعان يزار».



ولو رحت أتتبع قبور الصحابة من مظانها لاجتمع لدينا الكثير الكثير لكن فيما ذكرنا كفاية لذوي الألباب.

## ثانيًا: في التبرك بقبور أهل الصلاح مِنَ السلف ومن بعدهم:

١ـ في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي[٤]: قال الربيع بن سليمان: «إنّ الشافعي رضي الله عنه خرج إلى مصر، فقال لي: يا ربيع خذ كتابي هذا فامض به وسلّمه إلى أبي عبد الله، وائتني بالجواب، قال الربيع: فدخلت بغداد ومعي الكتاب،

(١) (ص/ ٦٩٥).

(٢) مشاهير علماء الأمصار (١/ ٥٠).

(٣) تذكرة الحفاظ (١/ ١٢١).

(٤) طبقات الشافعية (٢/ ٣٦).

فصادفت أحمد بن حنبل في صلاة الصبح، فلما انتقل من المحراب سلّمت إليه الكتاب وقلت: هذا كتاب أخيك الشافعي من مصر، فقال لي أحمد: نظرتَ فيه؟ فقلت: لا، فكسر الختم وقرأ، وتغرغرت عيناه، فقلت له: أيش فيه يا أبا عبد الله؟ فقال: يذكر فيه أنه رأى رسول الله ﷺ في النوم فقال له: اكتب إلى أبي عبد الله فاقرأ عليه السلام وقل له: إنك ستمتحن... فلا تجيبهم فيرفع الله لك علمًا إلى يوم القيامة. قال الربيع: فقلت له: البشارة يا أبا عبد الله، فخلع أحد قميصيه الذي يلي جلده فأعطانيه، فأخذت الجواب وخرجت إلى مصر، وسلمته إلى الشافعي رضي الله عنه فقال: أيش الذي أعطاك؟ فقلت: قميصه، فقال: ليس نفجعك به، ولكن بُلّهُ وادفع إليّ الماء لأتبرك به».

٢ـ وذكر ابن الجوزي في مناقب[1] الإمام أحمد بن حنبل أنّ فاطمة بنت الإمام أحمد ابن حنبل رضي الله عنهما قالت: «وقع الحريق في بيت أخي صالح، وكان قد تزوج إلى قوم مياسير، فحملوا إليه جهازًا شبيهًا بأربعة ءالاف دينار، فأكلته النار، فجعل صالح يقول: ما غمني ما ذهب مني إلا ثوب لأبي كان يصلي فيه، أتبرك به وأصلي فيه. قالت فطفئ الحريق ودخلوا فوجدوا الثوب على سرير قد أكلت النار ما حواليه والثوب سليم».

٣ـ وفي نفس الكتاب[2]: «عن علي بن أحمد قال: دخلت يومًا على أبي عبد الله وهو يملي عليَّ وأنا أكتب، فاندقَّ قلمي فأخذ قلمًا فأعطانيه، فجئت بالقلم إلى أبي علي الجعفري فقلت: هذا قلم أبي عبد الله أعطانيه، فقال لغلامه: خذ القلم فضعه في النخلة عسى تحمل، فوضعه في النخلة فحملت النخلة».

٤ـ وقال الراهوني في حاشيته على شرح الزرقاني لمختصر خليل: «ما زال الناس يتبركون بقبور العلماء الصلحاء أي العاملين بعلمهم والشهداء الصالحين».

---

(١) مناقب الإمام أحمد (ص/ ٢٩٧).
(٢) مناقب الإمام أحمد (ص/ ٢٩٦).

٥ـ وفي وفيات الأعيان[١] لابن خلكان في ترجمة الإمام أحمد: «وقبر أحمد بن حنبل مشهور بها يزار».

٦ـ ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء[٢]: «بلغنا أنّ يحيى أوصى بثياب بدنه لأحمد ابن حنبل، فلما قَدِمَتْ على أحمد، أخذ منها ثوبًا واحدًا للبركة وردَّ الباقي، وقال: إنه ليس تفصيل ثيابه من زيّ بلدنا».

٧ـ وقال الذهبي في تاريخ الإسلام في «الطبقة الثالثة والستون»[٣] في ترجمة بهاء الدين أبي محمد المقدسي الحنبلي ما نصه: «في كلامه عن ابن شاتيل، وكان له ابن شيخ إذا جلسنا تبيّن كأنه الأب، وعمي على كبر، وبقي سبعين يومًا أعمى، ثم برئ وعاد بصره - يعني الابن - فسألنا الشيخ عن السبب فذكر لنا: أنه ذهب به إلى قبر الإمام أحمد، وأنه دعا وابتهل، وقلت: يا إمام أحمد، أسألك إلا شفعت فيه إلى ربك، يا رب شفعه في ولدي، وولدي يؤمّن، ثم مضينا. فلما كان الليل استيقظ وقد أبصر».

٨ـ وقال الإمام العجلي في كتابه معرفة الثقات[٤]: «عمرو بن قيس الملائي، كوفي ثقة من كبار الكوفيين، متعبد وكان سفيان يأتيه يسلم عليه يتبرك به».

٩ـ وقال الحافظ ابن الجوزي الحنبلي في صفة الصفوة[٥] في ترجمة إبراهيم الحربي: «وتوفي ببغداد سنة خمس وثمانين ومائتين، وقبره ظاهر يتبرك الناس به رحمه الله».

١٠ـ وروى السبكي في طبقات الشافعية الكبرى[٦]: «قال أبو علي الغسّاني الحافظ: أخبرنا أبو الفتح نصر بن الحسن السَّكنيّ السمرقندي، قدم علينا بَلَنْسِية عام

(١) وفيات الأعيان (١/ ٦٤).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥١٥).
(٣) تاريخ الإسلام (١٧٥).
(٤) معرفة الثقات (٢/ ١٨٢).
(٥) صفوة الصفوة (٢/ ٤١٠).
(٦) طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٢٣٤).

أربعة وستين وأربعمائة، قال: قُحِط المطرُ عندنا بسمرقند في بعض الأعوام، فاستسقى الناس مرارًا فلم يُسقوا، فأتى رجل صالح معروف بالصلاح إلى قاضي سمرقند، فقال له: إني قد رأيت رأيًا أعرضه عليك. قال: وما هو؟ قال: أرى أن تخرج ويخرج الناس معك إلى قبر الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، ونستسقي عنده، فعسى الله أن يسقينا، فقال القاضي: نِعْم ما رأيت. فخرج القاضي، والناس معه، واستسقى القاضي بالناس، وبكى الناس عند القبر، وتشفّعوا بصاحبه، فأرسل الله تعالى السماء بماء عظيم غزير، فقام الناس من أجله بخَرْتَنْك سبعة أيام أو نحوها، لا يستطيع أحد الوصول إلى سمرقند، من كثرة المطر وغزارته، وبين سمرقند وخَرْتَنْك نحو ثلاثة أميال. قلت: وأما «الجامع الصغير» وكونه ملجأً للمعضلات ومجرّبًا لقضاء الحوائج فأمر مشهور».

١١ـوروى ملا علي القاري في كتابه مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح[١]: قال شمس الدين محمد الجزري في مقدمة شرحه على كتابه المسمى بتصحيح المصابيح: «إني زرت قبر الإمام مسلم بنيسابور، وقرأت بعض صحيحه على سبيل التيمن والتبرك عند قبره، ورأيت ءاثار البركة ورجاء الإجابة في تربته».

١٢ـفي تهذيب التهذيب[٢] لابن حجر: «وقال الحاكم سمعت أبا علي النيسابوري يقول: كنت في غمّ شديد، فرأيت النبي ﷺ في المنام كأنه يقول لي سر إلى قبر يحيى بن يحيى، واستغفر وسل تقضَ حاجتك، فأصبحت ففعلت ذلك فقضيت حاجتي».

١٣ـقال ابن خلكان في «وفيات الأعيان»[٣] في ترجمة أبي عوانة الحافظ: «قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر حدثني الشيخ الصالح الأصيل أبو عبد الله

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ١٧).

(٢) تهذيب التهذيب (١١/ ٢٦١).

(٣) وفيات الأعيان (٦/ ٣٩٤).

محمد بن محمد بن عمر بن الصفار الأسفرايني قال: قبر أبي عوانة بأسفرايين مزار العالم ومتبرك الخلق، وبجنب قبره قبر الراوية عنه أبي نعيم عبد الملك بن الحسن الأزهري الأسفرايني في مشهد واحد داخل المدينة على يسار الداخل من باب نيسابور من أسفرايين، وقريب من مشهده مشهد الإمام الأستاذ أبي إسحاق الأسفرايني على يمين الداخل من باب نيسابور، وبجنب قبره قبر الأستاذ أبي منصور البغدادي الإمام الفقيه المتكلم صاحبه الصاحب بالجنب حيًا وميتًا المتظاهرين لنصرة الدين بالحجج والبراهين».

١٤ـ قال الحافظ ابن الملقن في كتابه «طبقات الأولياء»[١] عند ذكر السيدة الشريفة نفيسة بنت الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن بن علي رضي الله عنهم: «قبرها معروف لإجابة الدعاء».

قال المؤرخ القاضي ابن خلكان في «وفيات الأعيان»[٢]: «وهو مجرَّب».

١٥ـ وفي سير أعلام النبلاء[٣] في حديثه عن السيدة نفيسة: «وكان أخوها القاسم رجلًا صالحًا زاهدًا خيّرًا، سكن بنيسابور، وله بها عقب، منهم السيد العلوي الذي يروي عنه الحافظ البيهقي، وقيل كانت من الصالحات العوابد، والدعاء مستجاب عند قبرها بل وعند قبور الأنبياء والصالحين، وفي المساجد وعرفة ومزدلفة وفي السفر المباح».

١٦ـ وفي تاريخ بغداد[٤]: باب ما ذكر في مقابر بغداد المخصوصة بالعلماء والزهّاد، بالجانب الغربي في أعلى المدينة مقابر قريش عن أحمد القطيعي قال: «سمعت الحسن بن إبراهيم أبا علي الخلال يقول: ما همني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسلت به إلا سهَّل الله تعالى لي ما أحب».

---

(١) طبقات الأولياء (ص/ ٤٠٨).
(٢) وفيات الأعيان (٥/ ٤٢٤).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٠٧).
(٤) تاريخ بغداد (١/ ١٢٠).

ومثله ذكر ابن الجوزي في كتاب المنتظم بإسناده عن الحسن بن الحسين الاستراباذي عن أحمد القطيعي.

١٧ـوروى الرواس في (طي السجل) عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال: «قبر موسى الكاظم ترياق مجرب».

١٨ـوفي كتاب الثقات[1] لابن حبان عند الحديث عن علي بن موسى الرضا رضي الله عنه ما نصه: «وقبره بسناباذ خارج النوقان مشهور يزار بجنب قبر الرشيد، قد زرته مرارًا كثيرة، وما حلّت بي شدة في وقت مقامي بطوس، فزرت قبر علي بن موسى الرضا صلوات الله على جده وعليه، ودعوت الله إزالتها عني إلا استجيب لي وزالت عني تلك الشدة، وهذا شيء جرَّبته مرارًا فوجدته كذلك، أماتنا الله على محبته وأهل بيته ﷺ أجمعين».

١٩ـوذكر الحافظ البغدادي في تاريخ بغداد عن أبي عبد الله المحاملي أنه قال: «أعرف قبر معروف الكرخي منذ سبعين سنة، ما قصده مهموم إلا فرَّج الله همه».

٢٠ـوقال الحافظ ابن الملقن: «ذهبت إلى قبر معروف الكرخي وقفت ودعوت الله عدة مرات، فالأمر الذي كان يصعب عليّ ينقضي حين أدعو الله هناك عند قبره».

٢١ـوقال الإمام السلمي في «طبقات الصوفية»[2] في ترجمة معروف الكرخي: «وقبره ببغداد ظاهر يستسقى به ويتبرك بزيارته».

٢٢ـوذكر الحافظ ابن الجوزي في مناقب معروف الكرخي وأخباره[3]: «أن إبراهيم بن الحربي كان يقول: «قبر معروف الترياق المجرّب» ثم ذكر أقوالا كثيرة في ذلك.

---

(١) الثقات (٨/ ٤٥٧).

(٢) طبقات الصوفية (ص/ ٨١).

(٣) مناقب معروف الكرخي وأخباره (٢/ ٣٢٤).

٢٣ـوأن أحمد بن العباس قال: «خرجت من بغداد أريد الحج، فاستقبلني رجل عليه أثر العبادة، فقال لي: من أين خرجت؟ قلت: من بغداد هربت منها لما رأيت فيها من الفساد، خفت أن يخسف بأهلها، فقال: ارجع، ولا تخف. فإنّ فيها أربعة من أولياء الله عزَّ وجلَّ، وهم حِصْن لهم من جميع البلايا، قلت: من هم؟ قال: ثَمَّ أحمد بن حنبل، ومعروف الكرخي، وبشر بن الحارث، ومنصور بن عمار، فرجعت وزرت تلك القبور، ولم أحج تلك السنة» ذكره الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد[١].

٢٤ـوفي الرسالة القشيرية للقشيري[٢] ما نصه: «ومنهم أبو محفوظ معروف ابن فيروز الكرخي، وكان من المشايخ الكبار مجاب الدعوة يستشفى بقبره. يقول البغداديون قبر معروف ترياق مجرَّب».

٢٥ـروى الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد[٣]: «سمعت أبي يقول: قبر معروف الكرخي مجرّب لقضاء الحوائج. ويقال: إنه من قرأ عنده مائة مرة «قل هو الله أحد» وسأل الله تعالى ما يريد قضى الله له حاجته».

٢٦ـوقال العلامة السبكي في طبقات الشافعية في ترجمة ابن الصلاح[٤]: «فدفنوه بطرف مقابر الصوفية، وقبره على الطريق في طرفها الغربي ظاهر يزار، ويتبرك به، قيل والدعاء عند قبره مستجاب».

٢٧ـوقال القضاعي في كتاب التكملة[٥] في ترجمة علي بن حسين بن محمد الزاهد النجار: من أهل جزيرة شقر وسكن بلنسية يعرف بابن سعدوك... ودفن بباب الحنش من خارج بلنسية، وقبره هناك معروف يزار ويتبرك به».

---

(١) تاريخ بغداد (١/ ١٢١).

(٢) الرسالة القشيرية (ص/ ٣٧٦ – ٤٦٥).

(٣) تاريخ بغداد (١/ ١٢٣).

(٤) طبقات الشافعية الكبرى (٨/ ٣٢٨).

(٥) التكملة (٣/ ٢١٤).

٢٨ـوقال ابن الأثير في الكامل[١]: «وفيها توفي ابن أبي الهيش الزاهد المقيم بالكوفة، وهو من أرباب الطبقات العالية في الزهد، وقبره يزار إلى الآن وقد زرته».

٢٩ـوقال ابن الجوزي في ترجمة رابعة: «دفنت بظاهر القدس على رأس جبل وقبرها يزار».

٣٠ـوقال العاصمي في سمط النجوم العوالي[٢]: «وكذلك مولانا السيد أسعد البلخي، والشيخ أحمد الشناوي، توفي بطيبة المنورة ودفن بالبقيع، وقبره ظاهر يزار رحمه الله رحمة الأبرار».

٣١ـوقال ابن العماد في شذرات الذهب[٣] في ترجمة برهان الدين الكركي الأصل القاهري: «وتوفي بقسطنطينية، ودفن عند مسجده، وقبره يزار ويتبرك به».

٣٢ـوقال الجبرتي في عجائب الآثار في ترجمة إسماعيل بن سودكين الجبرتي تلميذ الشيخ ابن العربي: «وقبره ظاهر مكشوف يزار، وللناس فيه اعتقاد عظيم».

٣٣ـوقال اليافعي في مرءاة الجنان[٤] في ترجمة الإمام الكبير الأستاذ الشهير محمد بن الحسن بن فورك: «ومشهده ظاهر هنالك يزار ويستسقى به لنزول الأمطار، وتجاب الدعوة عنده رحمة الله عليه ورضوانه».

٣٤ـوفي كتاب الأنس الجليل[٥] في ترجمة أبي ثور: «دفن بها وقبره موصوف يزار ويتبركون به» اهـ.

٣٥ـوورد في كتاب المنتخب من كتاب السياق[٦] في ترجمة أبي محمد الهومثي:

---

(١) الكامل في التاريخ (٨/ ١٨٥).
(٢) انظر الكتاب (٤/ ٤٠٢).
(٣) انظر الكتاب (٨/ ١٠٧).
(٤) انظر الكتاب (٣/ ١٨).
(٥) انظر الكتاب (٢/ ٦٠).
(٦) انظر الكتاب (١/ ٣٩٦).

وكان يزار من البلد ويتبرك به».

٣٦ـوفي كتاب النجوم الزاهرة[١] للسيوطي في ترجمة عدي بن مسافر: «ودفن بزاويته، وقبره بها ظاهر يزار».

٣٧ـوفي بغية الطلب[٢] في تاريخ حلب في ترجمة روزبهان الديلمي: «وقبره ظاهر يزار ويتبرك به بجانب بئر الحاجب».

٣٨ـوفي تاريخ جرجان[٣] في ترجمة أبي جعفر الملقب بالديباج: «وقبره بجرجان، ومشهده يزار، معروف ومشهور بقبر الداعي».

٣٩ـوفي طبقات صلحاء اليمن[٤] في ترجمة القاضي جمال الدين: «وقبر بالمشهد بجنب ولده القاضي صفي الدين ملاصقًا له، وقبره معروف هناك، يزار ويتبرك به، رحمه الله ونفع به».

٤٠ـوفي نفح الطيب[٥] في ترجمة الشاطبي: «وقبره بالقرافة يزار وترجى استجابة الدعاء عنده، وقد زرته مرارًا ودعوت الله بما أرجو قبوله».

٤١ـوفي الأنساب للسمعاني[٦] في ترجمة الأوزاعي: «وقبره ببيروت مشهور يزار».

٤٢ـوقال في ترجمة الذيالي[٧]: «ومشهده معروف يزار، ويتبرك به، زرته غير مرة».

٤٣ـوفي البدر الطالع[٨] في ترجمة إبراهيم الكينعي: «وقبره برأس الميدان غربي مدينة صعدة، وعمّر عليه مشهد، وهو مشهور يزار في تلك الديار».

---

(١) انظر الكتاب (٥/ ٣٦١).
(٢) انظر الكتاب (ص/ ٣٧٢٢).
(٣) انظر الكتاب (ص/ ٣٦٠).
(٤) انظر الكتاب (١/ ١٠٠).
(٥) انظر الكتاب (٢/ ٢٤).
(٦) انظر الكتاب (١/ ٢٢٧).
(٧) انظر الكتاب (٣/ ٢٠).
(٨) انظر الكتاب (١/ ٦).

٤٤ـوفي الضوء اللامع[١] في ترجمة عبد الملك بن عبد الحق بن هاشم الحربي المغربي: «وهو مما يزار ويتبرك به».

٤٥ـوفي النور السافر[٢] ما نصه: «وفي ثامن عشر جمادى الأولى سنة أربع وسبعين، توفي الولي الصالح المجذوب عبد الله بن الفقيه محمد بن عبد الرحمن الأسقع أبو علوي بمكة، وكان يوم موته مشهودًا، وقبره بالشبيكة معروف يزار، وكان من الأولياء العارفين، والأئمة المقربين، السالكين المجذوبين، أولي الكرامات الخارقة، والأنفاس الصادقة، والمقامات العلية، والأحوال السنية».

٤٦ـوفي خلاصة الأثر في ترجمة الشيخ أبي بكر بن حسين بن محمد بن أحمد بن حسين ابن الشيخ عبد الله العيدروس الضرير اليمني: «وقبره معروف يزار».

٤٧ـوفي طبقات الحنفية في ترجمة مسعود بن شيبة بن الحسين بن السندي عماد الدين الملقب شيخ الإسلام: «ودفن بالقرافة، وقبره مشهور، يزار ويتبرك به، ويقال إن الدعاء عند قبره مستجاب».

٤٨ـوفي معجم السفر[٣] للسلفي ما نصه: «كان الشيخ أبو بكر من أهل الولاية والكرامة، وعلم بذلك كل من بالخابور، وقبره الآن بظاهر الحصين يزار ويتبرك به، ودلني هاشم وغيره عليه فزرته».

٤٩ـوفي وفيات الأعيان[٤] في ترجمة الشيخ الخضر بن عقيل الإربلي: «ودفن بها في مدرسته التي بالربض في قبة مفردة، وقبره يزار، وزرته كثيرًا رحمه الله تعالى».

٥٠ـوقال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد[٥] ما نصه: «ما ذكر في مقابر بغداد

---

(١) انظر الكتاب (٥/ ٨٤).
(٢) انظر الكتاب (١/ ٢٥٨).
(٣) انظر الكتاب (١/ ٤٢٤).
(٤) انظر الكتاب (٢/ ٢٣٨).
(٥) تاريخ بغداد (١/ ١٢٠ - ١٢٣).

المخصوصة بالعلماء والزهاد بالجانب الغربي في أعلى المدينة مقابر قريش، دفن بها موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وجماعة من الأفاضل معه».

ثم ساق بسنده إلى أبي طاهر بن أبي بكر قال: حكى لي والدي عن رجل كان يختلف إلى أبي بكر بن مالك أنه قيل له: أين تحب أن تدفن إذا مت؟ فقال: بالقطيعة، وأن عبد الله بن أحمد بن حنبل مدفون بالقطيعة، وقيل له يعني لعبد الله في ذلك، قال: وأظنه كان أوصى بأن يدفن هناك، وقال: قد صح عندي أن بالقطيعة نبيًا مدفونًا، ولأن أكون في جوار نبي أحب إلي من أكون في جوار أبي، ومقبرة باب حرب خارج المدينة وراء الخندق مما يلي طريق قطربل معروفة بأهل الصلاح والخير، وفيها قبر أحمد بن محمد بن حنبل وبشر بن الحارث».

ثم ساق بسنده إلى أبي يوسف بن بختان وكان من خيار المسلمين قال: لما مات أحمد بن حنبل رأى رجل في منامه كأنَّ على كل قبر قنديلًا، فقال: ما هذا؟ فقيل له: أما علمت أنه نور لأهل القبور - نورت - قبورهم بنزول هذا الرجل بين أظهرهم؟! قد كان فيهم من يعذب فرحم».

وبسنده إلى أحمد بن الدورقي يقول: مات جار لي، فرأيته في الليل وعليه حلتين، قد كسي، فقلت إيش قصتك؟ ما هذا؟ قال: دفن في مقبرتنا بشر بن الحارث، فكسي أهل المقبرة حلتين حلتين».

٥١ـ وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمة[1] الأردستاني: «قال شيرويه: كان ثقة يُحسن هذا الشأن، سمعت عدة يقولون: ما من رجل له حاجة من أمر الدنيا والآخرة يزور قبره ويدعو - الله عنده - إلا استجاب الله له. قال: وجرَّبت أنا ذلك».

٥٢ـ وذكر ابن أبي يعلى الحنبلي في طبقات الحنابلة[2] في ترجمة علي بن محمد بن بشار

(١) السير (١٧/ ٤٢٩).

(٢) طبقات الحنابلة (٢/ ٦٣).

أبي الحسن الزاهد: «ودفن بالعقبة قريبًا من النجمي، وقبره الآن ظاهر يتبرك الناس بزيارته».

٥٣ـوقال في ترجمة الشريف أبي جعفر[١]: «وحفر له بجنب قبر إمامنا أحمد، فدفن فيه وأخذ الناس من تراب قبره الكثير تبركًا به، ولزم الناس قبره ليلًا ونهارًا مدة طويلة، ويقرأون ختمات ويكثرون الدعاء، ولقد بلغني أنه ختم على قبره في مدة شهور ألوف ختمات».

٥٤ـوقال ابن كثير في البداية والنهاية[٢] في ترجمة أبي عبد الله اليونيني الحنبلي: «ولا يقبل من الأمراء ولا من الوزراء شيئًا إلا أن يكون هدية مأكول ونحوه، ويرسل إليهم من ذلك، فيقبلونه على سبيل التبرك والاستشفاء».

٥٥ـوقال الحافظ ابن ماكولا في الإكمال[٣]: «فهو أبو علي بن بيان الزاهد من أهل دير العقول، له كرامات، وقبره في ظاهرها يتبرك به، وقد زرته».

٥٦ـوقال الحافظ ابن نقطة الحنبلي في كتابه التقييد[٤] في ترجمة عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور بن رافع أبو محمد المقدسي الحافظ: «وقبره بالقرافة يتبرك به».

٥٧ـوقال في تكملة الإكمال[٥]: «ومحمد بن ناصر، وحدث، وكان شيخًا صالحا، وأبوه يتبرك بقبره، مشهور بالزهد، توفي في شهر رمضان من سنة ثلاث وستمائة».

٥٨ـوقال الإمام الرافعي شيخ المذهب الشافعي في التدوين في أخبار قزوين[٦] عند

(١) طبقات الحنابلة (٢/ ٢٤٠).
(٢) البداية والنهاية (١٣/ ٢٢٨).
(٣) الإكمال (١/ ٣٦٧).
(٤) كتاب التقييد (١/ ٣٧٠).
(٥) تكملة الإكمال (٢/ ٣٣١).
(٦) التدوين (١/ ٥٦).

ذكر مقابرها ومزاراتها: «وعند باب المشبك الجم الغفير من العلماء والأحبار والشهداء والأخيار، من مقابرها مقبرة طريق الجوسق، وتعرف بمقبرة علك لأن الشيخ علك القزويني مدفون فيها، وفيها قبور جمع كثير من أهل العلم والصلاح. وبقعة تدعى قبور الشهداء يستجاب عندها الدعاء، منها مقبرة طريق دستجرد وتدعى كوهك، وفيها مسجد على رأس تل يتبرك به، ويصلى فيه لغرض الحاجات واستنجاح الطلبات»، إلى أن قال: «وفي الرستاق مواضع يتبرك بها. منها مسجد بالجرندق فيه قبر بعض الصحابة كما يقال، وقبور عظيمة عند دربند أشنستان، ذكر غير واحد ممن زارها أن الدعاء عندها مستجاب، وأن الزائر إذا أتاها أخذته هيبة عظيمة عندها، وبطزرك من ناحية الرامند مشهد مشهور يتبرك به، وبشنستان مسجد عزيز، ومزار» اهـ.

٥٩ـ وفي السلوك لمعرفة دول الملوك[1] (عمن توفي سنة ٦٦٩) عن العارف داود الأعزب يقول: «وقبره مشهور يتبرك الناس بزيارته، ومناقبه وكراماته شهيرة قد جمعت في مجلد».

وعن العارف تقي الدين أبي المكارم عبد السلام بن سلطان: «وقبره يزار بقليب ويتبرك به» (وذكر أنه أخذ الطريق عن الشيخ أحمد بن أبي الحسن الرفاعي).

وتجد ذلك كثيرًا في كتب التاريخ والسير والتراجم ومنها:

١) أسد الغابة.
٢) الكامل في التاريخ.
٣) المنتظم.
٤) فتوح الشام.
٥) عجائب الآثار.
٦) عيون الأخبار.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك (١/ ١٩٩).

٧) مروج الذهب.

٨) الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة.

٩) مرءاة الجنان وعبرة اليقظان.

١٠) المختصر في أخبار البشر.

١١) أعيان العصر وأعوان الزمان.

١٢) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة.

١٣) بغية الطلب في تاريخ حلب.

١٤) الطبقات الكبرى.

١٥) ديوان الإسلام.

١٦) ذيل مرءاة الزمان.

١٧) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان.

١٨) التدوين في أخبار قزوين.

١٩) تاريخ بغداد.

٢٠) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر.

٢١) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام.

٢٢) تاريخ جرجان.

٢٣) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار.

٢٤) بدائع الزهور في وقائع الدهور.

٢٥) السيرة لابن حبان.

٢٦) تحفة المدنيين.

٢٧) رحلة ابن بطوطة.

٢٨) معجم البلدان.

٢٩) تاريخ الإسلام للذهبي.

٣٠) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى.

٣١) تاريخ ابن خلدون.

٣٢) البداية والنهاية.

٣٣) حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور.

٣٤) فوات الوفيات.

٣٥) أخبار الدولة العباسية.

٣٦) المنمق في أخبار قريش.

٣٧) تاريخ المساجد الشهيرة.

٣٨) عجائب الآثار في التراجم والأخبار.

وغيرها الكثير الكثير مما لو أردنا حصره وعده لتجاوز عدد حروف هذا الكتاب، ولا أبالِغ!!! ومن ذا الذي يحصي نجوم السماء؟!!

وإنما ذَكَرْنا من ذَكَرْنا شواهدَ فيها الخبر اليقين على صدق ما بَيَّنا، وكذب من يدّعي خلاف ما عليه الأمة، ومع ذلك فإن تلك القبور والمشاهد والمقامات والمزارات لا تعبد من دون الله، وإنما تزار طلبًا للبركة، أي لحصول الخير وإجابة الدعاء عندها، وكم فُرّجت بسببها كربات، وحصلت بسرها خيرات وكرامات والحمد لله.

وقد استقصيت في الحث على زيارة القبور تحريًا للمشاركة في الترغيب، وليعلم الشحيح بذنبه أنها سنة مسنونة، وصلى الله على محمد وءاله أجمعين.

# إجماع الأمة على جواز التبرك بالأنبياء والأولياء وآثارهم

اعلم أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتبرّكون بآثار النبي ﷺ في حياته وبعد مماته، ولا زال المسلمون بعدهم إلى يومنا هذا على ذلك، وجواز هذا الأمر يعرف من فعل النبي ﷺ وذلك أنه ﷺ قسّم شعره حين حلق في حجة الوداع وأظفاره.

أما اقتسام الشعر فأخرجه البخاري[1] ومسلم[2] من حديث أنس وأحمد[3] من حديث عبد الله بن زيد، ففي لفظ مسلم عنه قال: لما رمى ﷺ الجمرة ونحر نسكه وحلق، ناول الحالق شقّه الأيمن فحلق، ثم دعا أبا طلحة الأنصاري فأعطاه، ثم ناوله الشقّ الأيسر فقال: **«احلق»**، فحلق فأعطاه أبا طلحة فقال: **«اقسمه بين الناس»**.

وفي رواية لمسلم: فبدأ بالشقّ الأيمن فوزّعه الشعرة والشعرتين بين الناس ثم قال بالأيسر -أي فَعَلَ- فصنع مثل ذلك، ثم قال: **«ههنا أبو طلحة»**، فدفعه إلى أبي طلحة.

وفي رواية لمسلم أيضًا أنه عليه الصلاة والسلام قال للحلاّق: **«ها»** وأشار بيده إلى الجانب الأيمن هكذا فقسم شعره بين من يليه، ثم أشار إلى الحلاق إلى الجانب الأيسر فحلقه فأعطاه أم سليم اهـ.

فمعنى الحديث أنه وزّع بنفسه بعضًا بين الناس الذين يلونه، وأعطى

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٣٨): كتاب الوضوء: باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢/ ٩٤٨): كتاب الحج: باب بيان أن السُّنَّة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر ثم يحلق والابتداء في الحلق بالجانب الأيمن من رأس المحلوق دار الفكر.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٤٢) دار صادر، وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ١٩).

بعضًا لأبي طلحة ليوزعه في سائرهم، وأعطى بعضًا أم سليم ففيه التبرّك بآثار رسول الله ﷺ لأن الشعر لا يؤكل إنما يستعمل في غير الأكل، فأرشد الرسول أمّته إلى التبرّك بآثاره كلها حتى بُصاقه، وكان أحدهم أخذ شعرة والآخر أخذ شعرتين، وما قسمه إلا ليتبرّكوا به فكانوا يتبرّكون به في حياته وبعد وفاته، حتى إنهم كانوا يغمسونه في الماء فيسقون هذا الماء بعض المرضى تبرّكًا بأثر رسول الله ﷺ، وهذا الحديث في البخاري[١] ومسلم[٢] وأبي داود[٣].

وقد صحّ أنه ﷺ بصق في في الطفل المعتوه، وكان يعتريه الشيطان كل يوم مرتين وقال: «**اخرج عدو الله أنا رسول الله**» رواه الحاكم[٤].

فقسّم ﷺ شعره ليتبرّكوا به وليستشفعوا إلى الله بما هو منه ويتقرّبوا بذلك إليه وليكون بركة باقية بينهم وتذكرة لهم، ثم تبع الصحابة في خطتهم في التبرّك بآثاره ﷺ مَن أسعده الله، وتوارد ذلك الخلف عن السلف. فلو كان التبرّك به في حال الحياة فقط لبيّن ذلك.

وخالد بن الوليد رضي الله عنه كانت له قلنسوة وضع في طيّها شعرًا من ناصية رسول الله أي مقدّم رأسه لما حلق في عمرة الجِعرانة، وهي أرض بعد مكة إلى جهة الطائف، فكان يلبسها يتبرّك بها في غزواته. روى ذلك الحافظ ابن حجر في المطالب العالية[٥] عن خالد بن الوليد أنه قال: «اعتمرنا مع رسول الله ﷺ في

---

(١) دار الكتب العلمية: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) صحيح مسلم (٢/ ٩٤٨): كتاب الحج: باب بيان أن السُّنّة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر ثم يحلق، والابتداء في الحلق في الجانب الأيمن من رأس المحلوق / دار الفكر.

(٣) سنن أبي داود (١/ ٦٠٧)، كتاب المناسك: باب الحلق والتقصير، دار الجنان.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦١٨): كتاب التاريخ: باب اجتماع الشجرتين بأمر رسول الله ﷺ / دار المعرفة. وصححه وأقرّه الذهبي في تلخيصه.

(٥) انظر المطالب العالية (٤/ ٩٠) ابن حجر العسقلاني / دار المعرفة، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٤/ ١٠٤) (دار إحياء التراث العربي، والحاكم في المستدرك (٣/ ٣٣٨)، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (١٦/ ٢٤٦) / دار الفكر. قال الشيخ المحدّث حبيب الرحمٰن الأعظمي في المطالب في تعليقه على الحديث: «كذا في الأصلين، وفي الإتحاف: فما وجهته في وجه إلا فتح=

عمرة اعتمرها فحلق شعره، فسبقت إلى الناصية، فاتخذت قلنسوة فجعلتها في مقدمة القلنسوة، فما وجهت في وجه إلا فتح لي» اهـ.وعزاه الحافظ لأبي يعلى.

وقال ابن كثير في البداية والنهاية عند ذكره محنة الإمام أحمد ما نصه[1]: قال أحمد: «فعند ذلك قال -يعني المعتصم- لي: لعنك الله، طمعت فيك أن تجيبني فلم تجبني، ثم قال: خذوه واخلعوه واسحبوه. قال أحمد: فأخذت وسحبت وخلعت وجيء بالعاقبين[2] والسياط وأنا أنظر، وكان معي شعرات من شعر النبي ﷺ مصرورة في ثوبي، فجردوني منه وصرت بين العقابين. اهـ.

وأمّا الأظفار فأخرج الإمام أحمد في مسنده[3] أن النبي ﷺ قلّم أظفاره وقسمها بين الناس.

أما جبّته ﷺ فقد أخرج مسلم في الصحيح[4] عن عبد الله بن كيسان مولى أسماء بنت أبي بكر قال: «أخرجت إلينا جبّة طَيَالِسَةٍ كسرَوَانية لها لبنةُ ديباجٍ وفرجيها مكفوفين بالديباج[5]، فقالت: هذه كانت عند عائشة حتى قُبضت، فلما قبضت قبضتها، وكان النبي ﷺ يلبسها، فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها». وفي رواية «نغسلها للمريض منّا يستشفي بها».

---

= له، وفي الزوائد: فلم أشهد قتالا وهي معي إلا رزقت النصرة. قال البوصيري (١٣/ ١٣٩): «رواه أبو يعلى بسند صحيح»، وقال الهيثمي: «رواه الطبراني وأبو يعلى» (دار الثقافة العربية بنحوه ورجالها رجال الصحيح) وبقية كلام الهيثمي (٩/ ٣٤٩): «وجعفر سمع من جماعة من الصحابة فلا أدري سمع من خالد أم لا»، دار الكتب العلمية.

(١) انظر البداية والنهاية (١٠/ ٢٨٠)، الحافظ ابن كثير الدمشقي، دار الكتب العلمية.

(٢) هما اللذان يتوليان التعذيب.

(٣) خرجه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ٤٢) (من حديث عبد الله بن زيد بن عبد ربه صاحب الأذان، عن النبي ﷺ دار صادر، وقال الحافظ الهيثمي في المجمع) (٢/ ٧٠) (بعد عزوه لأحمد: «ورجاله رجال الصحيح» دار الكتب العلمية.

(٤) صحيح مسلم (ص/ ١٦٤١): كتاب اللباس والزينة: باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء وخاتم الذهب والحرير على الرجال، وإباحته للنساء، وإباحة العلم ونحوه للرجل ما لم يزد على أربع أصابع الجزء الثالث، دار الفكر.

(٥) كذا وقع في جميع النسخ «وفرجيها مكفوفين».

وعن حنظلة بن حِذَيم قال: وفدت مع جدّي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن لي بنين ذوي لحى وغيرهم هذا أصغرهم، فأدناني رسول الله ﷺ ومسح رأسي وقال: «بارك الله فيك»، قال الذّيال: فلقد رأيت حنظلة يؤتى بالرجل الوارم وجهه أو الشاة الوارم ضرعها فيقول: «بسم الله على موضع كفّ رسول الله ﷺ فيمسحه فيذهب الورم». رواه الطبراني في الأوسط والكبير وأحمد في المسند[(١)]، وقال الحافظ الهيثمي[(٢)]: «ورجال أحمد ثقات».

وعن ثابت قال: كنت إذا أتيت أنسًا يخبر بمكاني فأدخل عليه فآخذ بيديه فأقبّلهما وأقول: بأبي هاتان اليدان اللتان مسّتا رسول الله ﷺ، وأقبّل عينيه وأقول: بأبي هاتان العينان اللتان رأتا رسول الله ﷺ. رواه أبو يعلى[(٣)].

وهذا سيّدنا أبو أيّوب الأنصاري رضي الله عنه الذي هو أحد مشاهير الصحابة والذي هو أول من نزل الرسول عنده لما هاجر من مكّة إلى المدينة، جاء ذات يوم إلى قبر رسول الله ﷺ فوضع وجهه على قبر النبيّ تبرّكًا وشوقًا، روى ذلك الإمام أحمد عن داود بن أبي صالح قال: أقبل مروان يومًا فوجد رجلًا واضعًا وجهه على القبر فقال: أتدري ما تصنع؟ فأقبل عليه فإذا هو أبو أيّوب فقال: نعم جئت رسول الله ﷺ ولم ءات الحجر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله**». رواه أحمد[(٤)]

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير دار إحياء التراث العربي) ٤/ ١٤ (بنحوه، وأحمد في مسنده) ٥/ ٦٧ - ٦٨ (في حديث طويل. دار صادر.

(٢) مجمع الزوائد (٩/ ٤٠٨) للحافظ أبي بكر الهيثمي، دار الكتب العلمية.

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٦/ ٢١١) دار المأمون للتراث. وقال الحافظ الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٣٥): «رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد»، غير عبد الله بن أبي بكر المقدمي وهو ثقة» دار الكتب العلمية.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٤٢٢) دار صادر.

والطبراني في الكبير[1] والأوسط[2].

وعن حكيمة بنت أميمة، عن أمها قالت: «كان للنبي ﷺ قدح من عَيْدان يبول فيه ويضعه تحت سريره، فقام فطلبه فلم يجده فسأل: «**أين القدح**»؟ قالوا: شربته برة خادم أم سلمة التي قدمت معها من أرض الحبشة، فقال النبي ﷺ: «**فقد احتظرت من النار بحظار**[3][4]» رواه الطبراني[5] ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد بن حنبل وحكيمة وهما ثقتان.

وأخرج البخاري[6] من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: جاءت امرأة ببردة، قال: أتدرون ما البردة؟ فقيل له: نعم هي الشملة منسوج في حاشيتها قالت: يا رسول الله إني نسجت هذه بيدي أكسوكها، فأخذها النبي ﷺ محتاجًا إليها فخرج إلينا وإنها إزارُه فقال رجل من القوم: يا رسول الله أُكْسُنيها، فقال: «**نعم**»، فجلس النبي ﷺ في المجلس ثم رجع فطواها ثم أرسل بها إليه، فقال له القوم: ما أحسنت، سألتها إياه لقد علمت أنه لا يرد سائلًا، فقال الرجل: والله ما سألته إلا لتكون كفني يوم أموت، قال سهل: فكانت كفنه.

وأخرج[7] أيضًا في صحيحه عن عون بن أبي جحيفة، عن أبيه قال: أتيت النبي ﷺ وهو في قبة حمراء من أدم ورأيت بلالا أخذ وضوء النبي ﷺ والناس يتدرون الوضوء فمن أصاب منه شيئًا تمسح به ومن لم يصب منه شيئًا أخذ من بلل يد صاحبه.

---

(١) المعجم الكبير (٤/ ١٨٩)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥١٥). وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) مجمع الزوائد (٥/ ٢٤٥) للحافظ أبي بكر الهيثمي، دار الكتب العلمية.

(٣) قال النووي أي امتنعت بمانع وثيق شرح مسلم (٨/ ٤٧٧) قال السيوطي في شرح النسائي (٤/ ٢٦) أي احتميت منها بحمى عظيم يقيك حرها ويؤمنك دخولها.

(٤) كل ما حال بينك وبين شيء فهو حِظارٌ وحَظار ومعناه سيحول بينها وبين النار حجاب.

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٤/ ٢٠٥ - ٢٠٦) دار إحياء التراث العربي.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ٥٣): كتاب البيوع: باب ذكر النساج.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ١٣٣): كتاب اللباس: باب القبة الحمراء من أدم / مكتبة الرياض الحديثة، مكتبة النهضة الحديثة.

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه[1] عن أبي مودودة قال: حدّثني يزيد بن عبد الملك ابن قسيط قال: «رأيت نفرًا من أصحاب النبي ﷺ إذا خلا لهم المسجد قاموا إلى رمّانة المنبر القرعاء فمسحوها ودعوا، قال: ورأيت يزيد يفعل ذلك» اهـ.

وفي كتاب سؤالات عبد الله بن أحمد بن حنبل لأحمد[2] قال: «سألت أبي عن مسّ الرجل رمّانة المنبر يقصد التبرّك، وكذلك عن مسّ القبر»، فقال: «لا بأس بذلك» اهـ.

وفي كتاب «العلل ومعرفة الرجال» ما نصّه[3]: «سألته عن الرجل يمسّ منبر النبي ﷺ ويتبرّك بمسّه ويقبّله ويفعل بالقبر مثل ذلك أو نحو هذا يريد بذلك التقرّب إلى الله جلّ وعزّ فقال: لا بأس بذلك» اهـ.

وفي كتاب «غاية المنتهى» للشيخ مرعي الحنبلي ما نصه[4]: «ولا بأس بلمس قبر بيد لا سيما من تُرجى بركته، وسُن فعل ما يخفف عن الميت ولو بجعل جَريدة رطبة في القبر وذكر وقراءة عنده. وتستحب قراءة بمقبرة وكل قربة فعلها مسلم وجعل بالنية فلا اعتبار باللفظ ثوابها أو بعضه لمسلم حي أو ميت جاز ونفعه ذلك بحصول الثواب له ولو لرسول الله ﷺ من تطوع وواجب تدخله نيابة كحج أو لا كصلاة ودعاء واستغفار وصدقة وأضحية وأداء دَيْن وصوم وكذا قراءة وغيرها» اهـ.

وروى ابن الجوزي في مناقب أحمد[5] بالإسناد المتصل إلى عبد الله بن أحمد ابن حنبل قال: «رأيت أبي -يعني أحمد بن حنبل - يأخذ شعرة من شعر النبي ﷺ فيضعها على فيه ويقبّلها، وأحسب أني رأيته يضعها على عينيه، ويغمسها في الماء

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٤/ ١٢١)، باب مسّ قبر النبي.
(٢) انظر كشاف القناع (٢/ ١٥٠) دار الفكر.
(٣) العلل لأحمد بن حنبل (٢/ ٤٩٢) المكتب الإسلامي، دار الخاني.
(٤) غاية المنتهى (١/ ٢٥٩ - ٢٦٠).
(٥) مناقب الإمام أحمد بن حنبل (ص/ ١٨٦ - ١٨٧) دار الآفاق الجديدة.

ثم يشربه يستشفي به، ورأيته قد أخذ قصعة النبي ﷺ فغسلها في جبّ الماء ثم شرب فيها...» اهـ.

وروى ابن حبان في صحيحه[1] تحت باب: «ذكر إباحة التبرّك بوضوء الصالحين من أهل العلم إذا كانوا متّبعين لسنن المصطفى ﷺ عن ابن أبي جُحَيْفَةَ، عن أبيه قال: رأيت رسول الله ﷺ في قبّة حمراء ورأيت بلالا أخرج وَضوءه فرأيت الناس يبتدرون وضوءه يتمسّحون» اهـ.

وفيه[2] عن جابر بن عبد الله أنه قال: «جاءني النبي ﷺ يعودني وأنا مريض لا أعقل، فتوضأ وصب من وضوئه عليّ فعقلت» اهـ.

وروى ابن حبان وغيره[3] عن نافع قال: «كان ابن عمر يتتبع ءاثار رسول الله ﷺ وكل منزل نزله رسول الله ﷺ ينزل فيه، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة فكان ابن عمر يجيء بالماء فيصبه في أصل الشجرة كي لا تيبس».

ولا يُعارض هذا بما جاء عن أبيه أنه أمر بقطع شجرة بيعة الرضوان وذلك لمعنى قصده عمر رضي الله عنه وهو خوف أن يعبدها بعض الناس بمرور الزمان، وفعل ابنه هذا فيه إثبات التبرك بآثار رسول الله وهو أمر حسن لذلك لم يعترض عليه أحد من الصحابة وغيرهم، فلا تعارض بين الأثرين أثر عمر وأثر ابنه رضي الله عنهما، وإن خالف في ذلك الوهابية لمعنى في أنفسهم وهو ترك تعظيم الرسول، فإنهم يرون تعظيم الرسول بالتبرك بآثاره شعبة من شعب الشرك، وما أبعد هذا الظن عما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم.

---

(١) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٢/ ٢٨٢)، دار الكتب العلمية، ورواه البخاري في صحيحه (١/ ٤١): كتاب الوضوء: باب استعمال فضل وضوء الناس، مكتبة الرياض الحديثة، مكتبة النهضة الحديثة.

(٢) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٢/ ٢٨١)، دار الكتب العلمية.

(٣) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٩/ ١٠٤)، مسند الحميدي (٢/ ٢٩٣). وانظر مفصلاً المواضع التي كان يتتبعها ابن عمر رضي الله عنه: صحيح البخاري (١/ ٨٧): كتاب الصلاة: باب المساجد التي على طرف المدينة. مكتبة الرياض الحديثة، مكتبة النهضة الحديثة.

قال النووي في شرح مسلم ما نصه[1]: «قوله: «اتخذ رسول الله ﷺ خاتمًا من ورِق فكان في يده ثم كان في يد أبي بكر ثم كان في يد عمر ثم كان في يد عثمان حتى وقع منه في بئر أريس نقشه محمد رسول الله» فيه التبرك بآثار الصالحين ولبس لباسهم وجواز لبس الخاتم وأن النبي ﷺ لم يورث إذ لو ورث لدفع الخاتم إلى ورثته بل كان الخاتم والقدح والسلاح ونحوها من ءاثاره الضرورية صدقة للمسلمين يصرفها والي الأمر حيث رأى من المصالح، فجعل القدح عند أنس إكرامًا له لخدمته ومن أراد التبرك به لم يمنعه وجعل باقي الأثاث عند ناس معروفين» اهـ.

**فائدة مهمة:** أقول وعلى الله الاعتماد:

ليس للوهابية جواب عما جاء في حديث الأعمى الذي جاء رسولَ الله فطلب منه أن يدعو له بأن يرد الله بصره، من قوله عليه الصلاة والسلام له: «إيت الميضأة فتوضأ ثم صلِ ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيّك محمّد نبي الرحمة، يا محمّد إني أتوجه بك إلى ربي» إلى ءاخره، فإن الحديث يفيد ضد عقيدتهم يفيد أن الرسول علَّمَ الأعمى التوسّل به بلفظ فيه يا محمّد في غير حضرته ﷺ، لأنه عليه السلام لا يجوز نداؤه مشافهة يا محمد، للنهي الذي ورد في القرءان عن ذلك، وقد نص راوي الحديث الذي حضر النبيّ ﷺ حين علّم الأعمى أن توسل الأعمى باللفظ الذي علّمه الرسول كان في غير حضرة الرسول لأن فيه قوله: فوالله ما تفرّقنا ولا طال بنا المجلس حتى دخل علينا الرجل وقد أبصر، وهذا النداء معروف عند الوهابية أنه شرك وكفر، هذه عقيدتهم تكفير من ينادي الرسول بهذا اللفظ ومن ينادي غيره من نبي أو وليّ كقول: يا عبد القادر.

ولا يظنّ ظانّ أن الأعمى قرأ هذا التوسّل في وجه رسول الله لما عُلم من ثبوت النهي عن ذلك، وهذا دليل على ضيق دائرة اطلاعهم وأن تسميتهم لأنفسهم سلفيين خلاف الواقع والحقيقة.

---

(١) شرح صحيح مسلم (١٤/ ٦٧) دار الفكر.

ثم من العجب العُجاب أنهم في هذا خالفوا زعيمهم الأول ابن تيمية الذي أخذ منه ابن عبد الوهّاب بمطالعة كتبه، فإنه ذكر في كتابه الكلم الطيّب قول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لما خدرت رجله: «**يا محمّد**» مستحسنًا لذلك، فهم من غير أن يشعروا يكونون كفّروا ابن تيمية، لأن مستحسن الشرك مشرك، فابن تيمية استحسن هذا أي قول: يا محمّد، لمن خدرت رجله اقتداءً بالبخاري وغيره من المحدثين من المتقدمين والمتأخرين، لأن هذا الأثر كما تقدم أورده من المتأخرين الحافظ ابن الجزري في كتابيه اللذين ألّفهما في الأذكار: الحصنِ الحصين من كلام سيد المرسلين، ومختصره عُدّةِ الحصن الحصين، ثم الشوكاني الذي كان في قرن محمّد بن عبد الوهّاب القرن الثاني عشر وافق ابن الجزري واتبعه في استحسانه لذلك في شرحه لعدة الحصن الحصين. فإن محمّد بن عبد الوهّاب توفي في أوائل القرن الثالث عشر، وهذا الكتاب الكلم الطيّب من تآليف ابن تيمية المشهورة، توجد منه نسخ خطية ومطبوعة.

أقول: والعجب أيضًا من ابن تيمية الذي ذكر حديث ابن عمر الذي هو توسل واستغاثة بالرسول بعد موته ﷺ، أنه قال في كتابه التوسل والوسيلة[(١)]: «لا يجوز التوسّل إلا بالحي الحاضر» فسبحان مصرّف القلوب يصرفها كيف يشاء. قلت: ويرده حديث الشفاعة الذي رواه البخاري عن ابن عمر بلفظ[(٢)]: «**إن الشمس تدنو يومَ القيامةِ حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد فيشفع ليقضى بين الخلق**» الحديث، فإذا كانت الاستغاثة جائزة في الآخرة فما المانع أن تكون جائزة في الدنيا.

وتبين أن انتسابكم أيها الوهابية إلى السلف دعوى كاذبة وكذلك تسميتكم محمّد بن عبد الوهّاب شيخ الإسلام كتسميتكم ابن تيمية شيخ الإسلام، وهذا

---

(١) انظر الكتاب (ص/ ١٥٤).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٠٥): كتاب الزكاة: باب من سأل الناس تكثرًا، مكتبة الرياض الحديثة، مكتبة النهضة الحديثة.

تناقض منكم، والحقيقة أن تسميتكم لكل منهما شيخ الإسلام وضع للكلمة في غير محلها، كيف يصح أن يكون قول: «يا محمّد» شركًا مع قول ءاخر إنه شيء حسن، ولا يخفى على ذي عقل أن إيراد ابن تيمية قول من خدرت رجله: «يا محمّد» مستحسنًا لذلك يكون على مقتضى عقيدتكم دعوة للشرك مع أنه هو قدوتكم في تجسيم البارئ أي إثبات الحدّ لله تعالى وإثبات الأعضاء والحركة والسكون، وكل ذلك عند العقلاء المنزهين تشبيه للخالق بالمخلوق.

طريق سهل لكسر الوهابية يقال لهم: أنتم دينكم جديد أنشأه محمد بن عبد الوهاب بدليل أن المسلمين ما كان أحد منهم يحرّم قول: «يا محمد» قبل ابن عبد الوهاب، حتى الذي محمد بن عبد الوهاب يسميه شيخ الإسلام وهو ابن تيمية يُقِرُّ قول «يا محمد» عند الضيق لمن أصابه في رجله خدر، فهو يقول مطلوب أن يقول الذي أصابه خَدَرٌ في رجله -أي مرض في رجله تتعطل حركتها وليس هذا المسمى بالتنميل - «**يا محمد**» ويستدل بعبد الله بن عمر رضي الله عنه فإنه كان أصابه خدر في رجله فقيل له: اذكر أحب الناس إليك فقال: «**يا محمد**» فتعافى.

ويقال للوهابية: ابن تيمية الذي تسمونه شيخ الإسلام أجاز هذا وأنتم تسمونه كفرًا؟ حتى ابن تيمية بريئ منكم في هذه المسئلة، فكيف تدّعون أنكم على دين الإسلام ولستم على دين الإسلام، وأنتم كفَّرتم الأمة، والأمة لم يكن فيهم خلاف في جواز قول «يا محمد» فأنتم أول من حرَّم هذا، ومن كفر الأمة فهو الكافر لأن الأمة لا تزال على الإسلام فقد روى البخاري[1] أن النبي ﷺ قال: «**لن يزال أمر هذه الأمة مستقيما حتى تقوم الساعة أو حتى يأتي أمر الله**».

فإن قالوا: ابن تيمية ما قال هذا، يقال لهم: يَشهَدُ عليكم كتابه «الكلم الطيب،» والعلماء الذين ترجموا لابن تيمية ذكروا هذا الكتاب في أسماء كتبه ومنهم صلاح

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ٨٢): كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: باب قول النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق**» وهم أهل العلم، مكتبة الرياض الحديثة، مكتبة النهضة الحديثة.

الدين الصفدي وكان معاصرًا لابن تيمية ويتردد عليه فقد ذكر أن هذا الكتاب من تأليف ابن تيمية.

ثم زعيمكم الأخير الألباني اعترف وقال: هذا الكتاب ثابت لابن تيمية وعمل عليه تعليقًا لكنه قال: إن إسناد قول ابن عمر «يا محمد» لمّا خَدِرَت رجله ضعيف، وهذا لا يعكر علينا لأنه ثبت أن ابن تيمية أورده وقال: «فصل في الرِجلِ إذا خدرت» وسمى الكتاب «الكلم الطيب»[1]، ولو فُرض أن إسناده ضعيف لكن ثبت أن ابن تيمية أجاز هذا، فمن الذي يَكفُرُ أهوَ الذي تسمونه شيخ الإسلام أم أنتم؟! لأنكم كفرتموه حُكمًا وإن لم تشعروا، هنا لا يتجرأون أن يقولوا ابن تيمية كافر ولا يقولون عن أنفسهم نحن كفار، نقول: إذن أنتم دينكم جديد، كفَّرتم المسلمين من أيام الرسول ﷺ إلى أيامنا، ومن حيث المعنى كفَّرتم زعيمكم ابن تيمية لأنه استحسن قول «يا محمد» عند خدر الرّجل ومن استحسن الكفر فهو كافر، فهل لكم من جواب؟ هذه تكسر ظهورهم.

على أن قول الألباني ليس حجة لأنه ليس أهلًا للتضعيف والتصحيح لأنه محروم من الحفظ فهو ليس حافظًا باعترافه فلا يحفظ عشرة أحاديث بأسانيدها، فإنه قال عن نفسه: «أنا محدّث كتاب لستُ محدّث حفظ».

ولو قال أحدهم: ابن تيمية رواه من طريق راو مختلف فيه.

يقال لهم: مجرد إيراده لهذا في هذا الكتاب دليل على أنه استحسنه إن فُرِض أنه يراه صحيحًا وإن فُرِض أنه يراه غير صحيح، لأن الذي يورد الباطل في كتابه ولا يُحذِّرُ منه فهو داع إلى ذلك الشيء.

وهذه القصة رواها الحافظ ابن السُّني والبخاري في كتاب «الأدب المفرد»[2] بإسناد ءاخر غير إسناد ابن السني، ورواها الحافظ الكبير إبراهيم الحربي- الذي

---

(١) الكلم الطيب (ص/ ١٢٠).

(٢) عمل اليوم والليلة (ص/ ١٤١ - ١٤٢)، ابن السني، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علوم القرءان، الأدب المفرد (ص/ ٣٣٥)، البخاري / دار البشائر الإسلامية.

كان يُشبَّه بالإمام أحمد بن حنبل في العلم والورع- في كتابه «غريب الحديث[1]» بغير إسناد ابن السني أيضًا، ورواها الحافظ النووي[2]، والحافظ ابن الجزري في كتابه «الحصن الحصين» وكتابه «عِدة الحصن الحصين»[3]، ورواها الشوكاني[4] الذي هو يوافقكم في بعض الأشياء وهو غير مطعون فيه عندكم، فيا وهابية أين المفر، ويا لها من فضيحة عليكم وابن تيمية هو إمامكم الذي أخذ ابن عبد الوهاب بعض أفكاره التي خالف فيها المسلمين من كتبه.

فإن قلتم: نحن على صواب وابن تيمية استحل الشرك والكفر، قلنا: قد كفَّرتم ركنكم في عقيدة التشبيه وفي غيرِها من ضلالاته، وتكونون اعترفتم بأنكم متبعون لرجل كافر تحتجون بكلامه في كثير من عقائدكم، فقد اتبعتموه في قوله الذي كَفَرَ بسببه وهو قوله: إن كلام الله ومشيئته حادث الأفراد قديم النوع أي الجنس، وقوله: إن جنس العالم أزلي مع الله ليس مخلوقًا، في هذا الكفر هو ركنكم فقد تبعتموه وجعلتموه قدوة لكم فيما خالف فيه الحق وخالفتموه فيما وافق فيه الصواب وهو جواز الاستغاثة بالرسول عند الضيق بقول: «**يا محمد**».

ثم إنكم كاذبون في دعوى السلفية، أيّ سلفي أنكر قول «**يا محمد**» عند الضيق؟ فتسميتكم أنفسكم بهذا الاسم حرام لأنها توهم أنكم على عقيدة السلف وأنتم لستم على عقيدة السلف ولا الخلف، أنتم تدينون دينًا جديدًا، لأن قول «**يامحمد**» للاستغاثة جائز عند السلف والخلف في حياة الرسول وبعده بالاتفاق، وإنما حُرّم نداؤه ﷺ «**يا محمد**» في وجهه في حياته بعد نزول الآية ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾[5]، وكان سبب تحريم ذلك أن قومًا جُفاة نادَوه من وراء حُجُراته: «يا محمد اخرج إلينا» فحرَّم الله تعالى ذلك في وجهه تشريفًا له.

---

(١) غريب الحديث (٢/ ٦٧٣ - ٦٧٤).
(٢) الأذكار (ص/ ٣٢١) النووي، مؤسسة الكتب الثقافية.
(٣) عدة الحصن الحصين (ص/ ١٠٥).
(٤) تحفة الذاكرين (ص/ ٢٠٦)، دار الكتاب العربي.
(٥) سورة النور/ ءاية ٢٤.

وكان توسل الأعمى الذي طلب من الرسول أن يدعو له بالشفاء فعلَّمه الرسول أن يقول: «**اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي عزَّ وجلَّ في حاجتي**» خارجَ حضرة الرسول لأنه قال له: «ائت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات»[1] فذهب الرجل فتوضأ وصلى ركعتين ودعا بهذا التوسل ثم رجع إلى الرسول ﷺ وقد أبصر، وهذا دعاء في غير حضرة الرسول في حياته عليه السلام، وأنتم قد تبعتم ابن تيمية فيما قاله في كتابه «التوسل والوسيلة» إنه لا يجوز التوسل إلا بالحي الحاضر، لكن بهذه الاستغاثة التي استحسنها ابن تيمية والتي هي استغاثة به ﷺ بعد وفاته خالفتموه وجعلتم ذلك شركًا وكفرًا فما أتوَهَكم عن الحق.

ويقال أيضًا في الرد عليهم في قولهم بإثبات التحيّز لله في العرش: الرَّجُل إذا كان قائمًا المسافة من رأسه إلى العرش أقرب أم لو كان ساجدًا؟ فيقولون: أقرب إذا كان قائمًا فيقال لهم: أنتم جعلتم العرش حيزًا لله وحديث الرسول ﷺ يَنقُضُ عليكم ما زعمتموه فقد روى مسلم أن النبي ﷺ قال[2]: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء**» وأنتم تقولون: «التأويل تعطيل» أي نفي لوجود الله وصفاته فعلى قولكم مِن مَنع التأويل انتقض عليكم معتقدكم، أما نحن أهل السنة نؤول قولَ الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[3] (ونؤول كل ءاية أو حديث ظاهره أن الله متحيز في الجهة والمكان أو أن له أعضاء أو حدًّا أو حركة وانتقالا أو أيّ صفة من صفات الخلق تأويلًا إجماليًّا أو تأويلًا تفصيليًّا كما ثبت ذلك عن السلف وتبعهم الخلف، ونقول: ليس المراد ظواهرها بل المراد بها معان تليق بالله تعالى كما قال السلف والخلف: «بلا كيف ولا تشبيه». ويعني أهل السنة بقولهم: «بلا كيف» أن هذه الآيات والأحاديث ليس المراد بها الجسمية

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٣١) دار إحياء التراث العربي، والمعجم الصغير (ص/ ٢٠١ - ٢٠٢) مؤسسة الكتب الثقافية. وقال: «والحديث صحيح».

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة: باب ما يقال في الركوع والسجود.

(٣) سورة طه/ ءاية ٥.

ولوازمها، هذا مراد السلف والخلف من أهل السنة بقولهم: «بلا كيف» ليس مرادهم كما تموّهون على الناس فتقولون لفظًا «بلا كيف» وتعتقدون الكَيْف.

وأما التأويل التفصيلي فقد ثبت عن السلف وإن كانوا لم يكثروا منه فقد ثبت عن الإمام أحمد بن حنبل تأويلُ المجيء الذي ذُكر في هذه الآية ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾[1] أنه قال[2]: «جاء ثوابه»، وروي عنه أنه قال: «جاء أمره» وأنتم قلتم: إن مجيء الله بالنزول الحسي بالانتقال من العرش إلى الأرض كما أن الملائكة ينزلون نزولا حسيًّا بالانتقال من أماكنهم العلوية إلى الأرض يوم القيامة، ولو كان الإمام أحمد يعتقد اعتقادكم ما أوّل الآية بل أقرها على الظاهر كما أنتم تفسرون. وهذا التأويل من الإمام أحمد ثابت صححه البيهقي في كتابه مناقب الإمام أحمد.

وكذلك ثبت عن السلف تفسير الساق المذكور في ءاية ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾[3] بأن الساق هي الشدة الشديدة[4]، وأنتم جعلتم الساق عضوًا كما أن للإنسان عضو الساق، فأين أنتم من تنزيه الله عن مشابهة الخلق، فظهر أن انتسابكم إلى الإمام أحمد انتساب كاذب.

والبخاري ذكر في جامعه تأويلين لآيتين، أوّل ءاية ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾[5] أوّل الوجه بالملك[6]، وكذلك ذكر سفيان الثوري في تفسيره[7]، والموضع الثاني الذي أوّل البخاري فيه ءاية ﴿ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ ﴾[8] أوّلها بالمُلك

---

(١) سورة الفجر/ ءاية ٢٢.

(٢) البداية والنهاية (١٠/ ٣٢٧)، قال البيهقي: «هذا إسناد لا غبار عليه».

(٣) سورة القلم/ ءاية ٤٢.

(٤) البداية والنهاية (١٠/ ٣٢٧)، قال البيهقي: «هذا إسناد لا غبار عليه».

(٥) سورة القصص/ ءاية ٨٨.

(٦) فتح الباري (١٣/ ٣٨٨) لابن حجر العسقلاني / دار المعرفة، الأسماء والصفات (١/ ٣٤٥)، دار الكتاب العربي (ص/ ٢٥) ودار الكتاب العربي (٢/ ٤٠٨).

(٧) صحيح البخاري (٦/ ٩٣): التفسير: أول باب تفسير سورة القصص، مكتبة الرياض الحديثة، مكتبة النهضة الحديثة.

(٨) سورة هود/ ءاية ٥٦.

والسلطان[1]، ما أوَّل كما أنتم تعتقدون بمعنى المس، وظاهر الآية أن الله يقبض بناصية كل دابة وهذا تشبيه لأنه لا يجوز على الله أن يَمَسَّ أو يُمَسَّ لأن المس من صفات الخلق.

أما حديث مسلم هذا فنؤوله ونقول: القُرب في هذا الحديث لا يراد به القُرب المسافي، وكذلك في كل حديث وءاية ظاهِرُهُ أن الله متحيز في جهة فوق يؤول ولا يُحمل على الظاهر، فأين أنتم من قولكم: «التأويل تعطيل»، ومن قولكم: «التأويل إلحاد».

ويقال لهم: حديث مسلم هذا إن لم تحملوه على الظاهر بل أوَّلتموه فقد ناقضتم أنفسكم فإنكم تقولون: «التأويل تعطيل» ثم تفعلونه فتؤولون.

فالحمد لله الذي وفق أهل السنة والجماعة الأشاعرة والماتريدية لقبول الحق وفهمه وخذل المشبهة المجسمة الذين خالفوا القرءان والحديث والإجماع.

## صحة سماع الأحياء لكلام الأموات

ثم مما يؤيد صحة سماع الموتى ما رواه الترمذي أن رجلًا ضرب خِباءه ليلًا على قبر فسمع من القبر قراءة ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾[2] إلى ءاخرها، فلما أصبح ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**هي المانعة هي المنجية**» حسنه السيوطي[3].

فإذا كان من على وجه الأرض عند القبر يسمع قراءة صاحب القبر، فأي مانع من أن يسمع صاحب القبر كلام من على وجه الأرض ولو كان في مسافة بعيدة من صاحب القبر بالنسبة لعباد الله الذين منحهم الله الكرامات كما سمع الجيش الذي كان مع سارية في نهاوند صوت عمر وهو على المنبر في المدينة.

---

(١) تفسير القرءان الكريم (ص/ ١٩٤).

(٢) سورة الملك/ ءاية ١.

(٣) الجامع الصغير، السيوطي (٢/ ٥٦)، دار الفكر.

وروى البخاري[1] ومسلم[2] والترمذي[3] وأبو داود[4] والنسائي[5] عن ابن عباس مرّ رسول الله ﷺ على قبرين فقال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير إثم. قال: بلى أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من البول،**» ثم دعا بعسيب رطب فشقه اثنين فغرس على هذا واحدًا وعلى هذا واحدًا ثم قال: «**لعله يخفف عنهما**».

وروى الإمام ابن أبي الدنيا في كتابه «من عاش بعد الموت» عن أنس بن مالك قال: لما مات زيد بن خارجة تنافست الأنصار في غسله، حتى كاد يكون بينهم شر، ثم استقام رأيهم على أن يغسله الغَسَلةُ الغسلتين الأوليتين، ثم يدخل من كل فخذ سيدها، فيصب عليه الماء صبة في الغسلة الثالثة، وأدخلت أنا فيمن دخل فلما ذهبنا نصب عليه تكلم، فقال: مضت اثنتان وغبر أربع، فأكل غنيّهم فقيرهم، فانفضوا، فلا نظام لهم، أبو بكر لين رحيم بالمؤمنين، شديد على الكفار لا يخاف في الله لومة لائم، وعمر لين رحيم شديد على الكفار لا يخاف في الله لومة لائم، وعثمان لين رحيم بالمؤمنين، وأنتم على منهاج عثمان، فاسمعوا وأطيعوا، ثم خَفِتَ فإذا اللسان يتحرك، وإذا الجسد مَيِّتٌ.

وذكر الإمام موفق الدين بن عثمان المتوفى سنة ٦١٥هـ في كتابه «مرشد الزوار إلى قبور الأبرار»[6]. قال إبراهيم بن الصِّمة المهلبي: حدثني الذين كانوا يمرون بجنبات قبر ثابت البناني بالأسحار، أنهم كانوا يسمعون منه قراءة القرءان وقال

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٤٤)، كتاب الوضوء باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله، مكتبة الرياض الحديثة، مكتبة النهضة الحديثة.
(٢) صحيح مسلم (١/ ٢٤٠)، كتاب الطهارة باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه، دار الفكر.
(٣) لم أجده في سنن الترمذي.
(٤) سنن أبي داود (١/ ٥٢)، كتاب الطهارة، باب الاستبراء من البول، دار الجنان.
(٥) السنن الكبرى (١/ ٦٩)، النسائي، كتاب الطهارة، باب التنزه من البول، دار الكتب العلمية.
(٦) مرشد الزوار إلى قبور الأبرار (١/ ٩٨ - ٩٩)، موفق الدين بن عثمان، الدار المصرية اللبنانية.

معاذ بن رفاعة: مر يحيى بن زكريا بقبر دانيال النبي ﷺ فسمع صوتًا من القبر «سبحان من تعزّز بالقدرة وقهر العباد بالموت».

وقال يحيى بن معين: قال لي حفار أعجب ما رأيت في هذه المقابر أنني سمعت من قبر أنينًا كأنين المريض... وسمعت من قبر والمؤذن يؤذن وهو يجيبه من القبر.

وحدث إدريس الحفار شيخا قال: لما وضع الشيخ العارف أبو الحسن الدّينوري المعروف بابن الصائغ في قبره سمعته يقول: «رب أنزلني منزلًا مباركًا وأنت خير المنزلين.

## صحة سماع الحي الغائب لمن يناديه من بعيد

وأما الحي الغائب فإنه يدل على صحة سماعه خطاب من يناديه من بعيد قصة عمر رضي الله عنه في ندائه جيشه الذي كان بأرض العجم بقوله: «يا سارية الجبل الجبل» فسمعه سارية بن زنيم وكان سارية قائد الجيش، فانحاز بجيشه إلى الجبل فانتصروا، صححه الحافظ الدمياطي في جزء ألّفه لهذه القصة، ووافقه الحافظ السيوطي على ذلك. وأوردها الحافظ الزبيدي فقال في شرح القاموس[1] في فصل السين من باب الواو والياء ما نصه: وسارية بن زنيم بن عمرو بن عبد الله بن جابر بن محمية بن عبد بن عدي بن الديل الخلجي الكناني الذي ناداه عمر رضي الله عنه على المنبر وسارية بنهاوند فقال: يا سارية الجبل الجبل فسمع صوته وكان يقاتل العدو فانحاز بهم إلى الجبل، فسلم من مكيدتهم، وهذه الكرامة ذكرها غير واحد من أصحاب السير وقد ذكره ابن سعد وأبو موسى ولم يذكرا ما يدل له على صحبته لكنه أدرك، وذكره ابن حبان في ثقات التابعين.

ومن الدليل على صحة سماع الغائب النداء من بعيد ما ثبت أن ابن عباس قال: قام إبراهيم على الحجر فقال: يا أيها الناس كتب عليكم الحج، فأسمع من في أصلاب الآباء وأرحام النساء فأجابه من ءامن ومن كان سبق في علم الله أنه يحج إلى يوم القيامة: لبيك اللهم لبيك. صححه الحافظ ابن حجر اهـ.

---

(١) تاج العروس (١٠/ ١٧٣ - ١٧٤).

# تحقيق في التوسل وأن منه الاستغاثة

التوسل والتوجه والاستغاثة بمعنى واحد، كذلك قال الحافظ الفقيه النَّحويُّ اللغوي[1] تقي الدين السبكي، ويدل لذلك ما جاء في حديث الشفاعة في بعض ألفاظه: «أنه تدنو الشمس من رءوس الناس يوم القيامة، فبينما هم كذلك إذ استغاثوا بآدم وقالوا: يا ءادم أنت أبو البشر اشفع لنا إلى ربنا»[2]. ففي ذلك إثبات أن استشفاعهم أي طلبهم من ءادم أن يشفع لهم إلى الله تعالى استغاثة.

ثم إن أدلة التوسل بالنبي وغيره وردت بها الآثار التي تبين أن التوسل به في حياته وبعد مماته جائز، ومن ذلك ما رواه الحافظ أبو بكر البيهقي[3] فقال ما نصه: «أخبرنا أبو نصر بن قتادة وأبو بكر الفارسي قالا: حدثنا أبو عمرو بن مطر حدثنا إبراهيم بن علي الذهلي، حدثنا يحيى بن يحيى، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح عن مالك الدَّارِ قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر بن الخطاب فجاء رجل إلى قبر النبي فقال: يا رسول الله استسق الله لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتاه رسول الله ﷺ في المنام فقال: ائت عمر فأقرئه مني السلام وأخبره أنهم مسقون وقل له: عليك بالكيس الكيس، فأتى الرجل فأخبر عمر فقال: يا رب ما ءالو إلا ما عجزت عنه» اهـ.

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب المطر وفي كتاب مجابي الدعوة[4]: «أخبرنا الحسين، حدثنا عبد الله، حدثنا أبو بكر النيسابوري، ثنا عطاء بن مسلم، عن العمري، عن خوّات بن جبير قال: أصاب الناس قحط شديد على عهد عمر، فخرج عمر بالناس فصلى بهم ركعتين وخالف بين طرفي ردائه فجعل اليمين على اليسار واليسار على اليمين ثم بسط يده فقال: «اللهم إنا نستغفرك ونستسقيك»

(١) كما وصفه بذلك الحافظ السيوطي في «ذيل تذكرة الحفاظ» (ص/ ٣٥٢): «الإمام الفقيه المحدث الحافظ المفسر الأصولي المتكلم النحوي اللغوي الأديب المجتهد...» اهـ.

(٢) باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها. صحيح البخاري (ص/ ١٠٥): باب الزكاة.

(٣) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٧/ ٤٧).

(٤) كتاب مجابي الدعوة (ص/ ٥٣ - ٥٤).

فما برح مكانه حتى مُطروا، فبينا هم كذلك إذا أعراب قد قدموا فأتوا عمر فقالوا: يا أمير المؤمنين بينما نحن في وادينا في يوم كذا في ساعة كذا إذ أظلّنا غمام، فسمعنا بها صوتًا أتاك الغوث أبا حفص أتاك الغوث أبا حفص» اهـ.

وقال ابن أبي الدنيا: ثنا إسحق بن إسماعيل، ثنا سفيان، عن مُطرّف بن طريف، عن الشعبي قال: خرج عمر يستسقي بالناس فما زاد على الاستغفار حتى رجع فقالوا: يا أمير المؤمنين ما نراك استسقيت فقال: لقد طلبت المطر مجاديح[1] السماء التي يستنزل بها المطر، ثم قرأ: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾[2]، ثم قرأ: ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ﴾[3].

ثم قال عقب الحديث ما نصه: لم يروه عن روح بن القاسم إلا شبيب بن سعيد أبو سعيد المكي وهو ثقة، وهو الذي يحدث عنه ابنه أحمد بن شبيب عن أبيه، عن يونس ابن يزيد الأيلي، وقد روى هذا الحديث شعبة عن أبي جعفر الخطمي واسمه عُمَر بن يزيد وهو ثقة، تفرد به عثمان بن عمر بن فارس، عن شعبة، والحديث صحيح.

وروى هذا الحديث عون بن عمارة، عن روح ابن القاسم، عن محمد بن المنكدر، عن جابر، وهِمَ فيه عون بن عمارة والصواب حديث شبيب بن سعيد».

وعزا الحافظ المنذري[4] حديث عثمان بن حنيف لكن بدون ذكر القصة التي حصلت في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه للترمذي والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة والحاكم[5]، ثم قال بعد ذلك: «ورواه الطبراني وذكر في أوله قصة»،

---

(١) مجاديح السماء أنواؤها «القاموس المحيط».

(٢) سورة نوح/ ءاية ١٠.

(٣) سورة هود/ ءاية ٥٢.

(٤) الترغيب والترهيب (١/ ٤٧٣، ٤٧٤).

(٥) أخرجه الترمذي في سننه (ص/ ٤١٧ - ٤١٨): كتاب الدعوات: باب (١١٩)، والنسائي في عمل اليوم والليلة، من ثلاث طرق، وابن ماجه في سننه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها: باب ما جاء في صلاة الحاجة، والحاكم في المستدرك (١/ ٣١٣).

ثم ساق حديث الطبراني بطوله ثم قال عقبه: «قال الطبراني بعد ذكر طرقه: «والحديث صحيح» انتهى.

فمن أين لناصر الدين الألباني زعيم الوهابية أن يضعف هذه القصة بعد تصحيح الحافظ الطبراني لها وموافقة الحافظ المنذري في تصحيح الحديث، وكيف راج عنده ذلك مع أن الطبراني بدأ بذكر القصة أولًا ثم أورد المرفوع وهو توسل الأعمى، وهذا من الألباني خروج على أهل الحديث كعادته، أو لم يعلم أن أهل المصطلح قالوا: التصحيح والتضعيف من وظيفة الحافظ، وهو قد اعترف أنه ليس بحافظ، فليرجع أتباعه إلى كلام المحدثين في كتب المصطلح فيرتدعوا عن اتباعه في التجرؤ على التصحيح والتضعيف من قبل أنفسهم، مع أنهم يعرِفُون أنهم بعيدون من مرتبة الحفظ بعد الأرض من السماء.

قال الحافظ السيوطي في ألفية المصطلح:

وخُذهُ حيث حافظٌ عليه نَص ... أَوْ من مُصَنفٍ بجمعه يُخَص

أي أن الحديث الصحيح يعرف بنص إمام حافظ على صحته، وبوجوده في كتاب التزم مصنفه الحافظ أنه مقتصر فيه على الصحيح.

والألباني كأنه يرى أن الحديث لا يطلق إلا على المرفوع دون الموقوف وهو خلاف المقرّر عند المحدثين، فليرجع إلى كتب المصطلح، وقد وقع ذلك للإمام أحمد فإنه سمى أثرًا لعمر حديثًا وذلك في الجبن الذي يعمله المجوس من إنفحة الميتة.

وروى الحافظ البيهقي في كتاب الآداب[1] ما نصه: «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس هو الأصم، ثنا عبد الملك بن عبد الحميد، ثنا روح، ثنا أسامة بن زيد، عن أَبان بن صالح، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: «**إن لله ملائكة في الأرض يكتبون ما يقع في الأرض من ورق الشجر، فمن أصابت أحدًا منكم**

---

(١) أخرجه البيهقي في الآداب (ص/ ٤٣٦)، وأخرجه في الشعب (١/ ٤٤٥ - ٤٤٦)، بإسناد ءاخر، وفي كتاب حياة الأنبياء بعد وفاتهم (ص/ ٤٤) من حديث عبد الله بن مسعود.

**عرجة أو احتاج إلى عون بفلاة من الأرض فليقل: أعينوا عباد الله رحمكم الله، فإنه يعان إن شاء الله»**. هذا موقوف على ابن عباس مستعمل عند الصالحين من أهل العلم لوجود صدقه عندهم في ما جربوا وبالله التوفيق» اهـ.

وثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا إلى النبي ﷺ أن رسول الله قال: «**فإذا أصابَ أحدكم عرجةٌ بأرض فلاة فليناد: أعينوا عباد الله**». رواه البزار وحسّنه الحافظ ابن حجر في الأمالي مرفوعًا[1]، وروي أيضًا موقوفًا كما تقدم، وإذا روي الحديث موقوفًا ومرفوعًا كان الحكم للرفع.

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه[2] في كتاب الدعاء: ما يقول الرجل إذا ندّت به دابتُه أو بعيره في سفر، حدثنا يزيد بن هرون قال: أخبرنا محمد بن إسحق، عن أبان بن صالح أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا نفرت دابة أحدكم أو بعيره بفلاة من الأرض لا يرى بها أحدًا فليقل: أعينوني عباد الله فإنه سَيُعان**».

وفي كتاب الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف[3] على مذهب الإمام المبجل أحمد ابن حنبل للشيخ علاء الدين المرداوي ما نصه: «قال الإمام أحمد للمرُّوذِي: يتوسَّل بالنبي ﷺ في دعائه، وجزم به في المستوعب وغيره» اهـ.

## حديث مالك الدار وفيه يا رسول الله استسق لأمتك

قال ابن كثير في تاريخه[4] «وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو نصر بن قتادة، وأبو بكر الفارسي قالا: حدثنا أبو عمر بن مطر، حدثنا إبراهيم بن علي الذهلي، حدثنا يحيى بن يحيى، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن مالك قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر بن الخطاب، فجاء رجل إلى قبر

---

(١) قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٣٢) ورجاله ثقات»، وانظر كشف الأستار. (٤/ ٣٤).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ١٠٣).

(٣) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٢/ ٤٥٦).

(٤) انظر الكتاب (٧/ ٥٠١).

النبي ﷺ. فقال: يا رسول الله استسق الله لأمتك فإنهم قد هلكوا. فأتاه رسول الله ﷺ في المنام فقال: إيت عمر، فأقرئه مني السلام، وأخبرهم أنهم مسقون، وقل له عليك بالكيس الكيس. فأتى الرجل فأخبر عمر، فقال: يا رب ما ءالوا إلا ما عجزت عنه. وهذا إسناد صحيح» اهـ.

وهذا إقرار من ابن كثير بصحة هذا الحديث. وأخرجه التقي السبكي في «شفاء السقام «وغيره، من حديث مالك الدار في استسقاء بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه في عهد عمر رضي الله عنه بالنبي ﷺ.

وأما مالك الدار بالإضافة فهو كما قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة»[1]، بقية حرف الميم. القسم الثالث من كان في عهد النبي ﷺ ويمكنه أن يسمع منه ولم ينقل أنه سمع منه سواء كان رجلا أو مراهقًا أو مميزًا. الميم بعدها الألف: «مالك ابن عياض مولى عمر هو الذي يقال له مالك الدار، له إدراك، وسمع من أبي بكر الصديق» اهـ.

قال ابن كثير في تاريخه[2]: انه في يوم اليمامة قاتلت بنو حنيفة أصحاب مسيلمة قتالا لم يعهد مثله، واستشهد عدد من الصحابة حتى نادى خالد بن الوليد بشعار المسلمين، قال ابن كثير: وكان شعارهم يومئذ: يا محمّداه، إلى أن قال: فكان جملة من قتلوا في الحديقة وفي المعركة -أي من العدو - قريبًا من عشرة ءالاف مقاتل، وقيل: أحد وعشرون ألفًا، وقتل من المسلمين ستمائة، وقيل: خمسمائة» اهـ.

وقال ابن كثير الدمشقي في «البداية والنهاية»[3] وقد روينا: أن عمر عس المدينة ذات ليلة عام الرمادة فلم يجد أحدًا يضحك، ولا يتحدث الناس في منازلهم على العادة، ولم ير سائلا يسأل فسأل عن سبب ذلك فقيل له: يا أمير المؤمنين إن السّؤال سألوا فلم يعطوا فقطعوا السؤال، والناس في همّ وضيق، فهم

(١) الإصابة (٦/ ٢٨٦).
(٢) انظر الكتاب (٦/ ٧٥٣).
(٣) البداية والنهاية (٧/ ٤٠١).

لا يتحدثون ولا يضحكون.

فكتب عمر إلى أبي موسى بالبصرة: أن يا غوثاه لأمة محمد. وكتب إلى عمرو ابن العاص بمصر: أن يا غوثاه لأمة محمد. فبعث إليه كل واحد منهما بقافلة عظيمة تحمل البر وسائر الأطعمات، ووصلت ميرة عمرو في البحر إلى جدة، ومن جدة إلى مكة، وهذا الأثر جيد الإسناد» اهـ.

ثم قال ابن كثير: روى سيف، عن مبشر بن الفضيل، عن جبير بن صخر، عن عاصم بن عمر بن الخطاب: أن رجلا من مزينة عام الرمادة سأله أهله أن يذبح لهم شاة فقال: ليس فيهن شيء. فألحوا عليه فذبح شاة فإذا عظامها حمر فقال: يا محمداه. فلما أمسى أري في المنام أن رسول الله ﷺ يقول له: أبشر بالحياة» اهـ.

وقال ابن كثير في تاريخه[1] فلما مروا - أهل الحسين ونساؤه - بمكان المعركة ورأوا الحسين وأصحابه مطرحين هنالك بكته النساء، وصرخن، وندبت زينب أخاها الحسين وأهلها. فقالت وهي تبكي: يا محمداه، يا محمداه، صلى عليك الله، وملك السماء، هذا حسين بالعراء، مرمل بالدماء، مقطع الأعضاء يا محمداه وبناتك سبايا، وذريتك مقتلة، تسفي عليها الصبا. قال: فأبكت والله كل عدو وصديق» اهـ.

(١) انظر الكتاب (٨/ ١٢٠).

# استحباب زيارة قبور الأولياء للتبرك والدعاء والتوسل بهم

ويستدل على ذلك بآيات قرءانية صريحة وأحاديث نبوية صحيحة فمن ذلك:

- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[1].
- وقال الله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[2].
- وقال الله تعالى: ﴿سبحن الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا الذي باركنا حوله﴾ سورة الإسراء.
- وقال الله تعالى إخبارًا عن عيسى عليه السلام: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾[3].
- قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾[4].
- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾[5].
- وتقبيله ﷺ للحجر الأسود.
- وتعظيم القرءان لشأن عصا موسى.
- وقميص يوسف عليه السلام كما قال تعالى إخبارًا عن يوسف: ﴿ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا﴾. إلى قوله ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾[6].

---

(١) سورة ءال عمران/ ءاية ٩٦.
(٢) سورة البقرة/ ءاية ١٢٥.
(٣) سورة المائدة/ ءاية ١١٤ – ١١٥.
(٤) سورة طه/ ءاية ١٢.
(٥) سورة البقرة/ ءاية ١٥٨.
(٦) سورة يوسف/ ءاية ٩٣ – ٩٦.

- وتعظيم النبي ﷺ لقدر ماء زمزم وغار حراء وغار ثور.

وأشياء كثيرة من الجهادات، كشعره عليه الصلاة والسلام وثيابه وأظفاره وغير ذلك وقد أطبقت وأجمعت الأمة على جواز التبرك بها، والدعاء عندها للتبرك بها كما في منى ومزدلفة وعند المشعر الحرام وفي عرفات فكيف بالأولياء الصالحين أحباب الله لا يتبرك بهم ولا يدعى عند قبورهم؟، وقد زار رسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج قبر ماشطة بنت فرعون رضي الله عنها، وكما كان يزور ﷺ أهل بقيع الغرقد ويمضي وقتًا من الليل عندهم كما في صحيح مسلم[1] وكذلك زار عليه الصلاة والسلام قبر أمه الطاهرة السيدة ءامنة بنت وهب كما قال هو إنه استأذن ربه فأذن له بزيارتها كما في صحيح مسلم[2] أيضًا، وكما روي أن السيدة فاطمة رضي الله عنها كانت تزور قبر عمها حمزة رضي الله عنه وتبكي عنده رواه البيهقي[3]، وكما كانت تزور السيدة عائشة رضي الله عنها قبر أخيها عبد الرحمـٰن ابن أبي بكر الصديق رواه البيهقي[4].

- وقد قال ابن مفلح الحنبلي في الفروع[5] ما نصه ويجوز التوسل بالصالح وقيل يستحب، وقال البهوتي الحنبلي في كتاب كشاف القناع[6] ما نصه: وقال السامري وصاحب التلخيص لا بأس بالتوسل للاستسقاء بالشيوخ والعلماء المتقين، وقال في المذهب: يجوز أن يستشفع إلى الله بالرجل الصالح وقيل يستحب. وقال أحمد في منسكه الذي كتبه للمروذي: إنه يتوسل بالنبي في دعائه) يعني أن المستقي يسن له في استسقائه أن يتوسل بالنبي(وجزم به في المستوعب وغيره، ثم قال قال إبراهيم الحربي: الدعاء عند قبر معروف

---

(١) صحيح مسلم (ص/ ٦٦٩ - ٦٧٠ - ٦٧١)، كتاب الجنائز.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الجنائز: باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه.

(٣) السنن الكبرى (٤/ ٧٨).

(٤) السنن الكبرى (٤/ ٧٨).

(٥) الفروع (١/ ٥٩٥).

(٦) كشاف القناع (٢/ ٦٩).

الكرخي الترياق المجرب اهـ.

وإبراهيم الحربي من معاصري أحمد بن حنبل توفي بعده بنحو أربعين سنة. وكان من جلة المحدثين الثقات بل ومن المجتهدين، وقد ذكر في ترجمته أنه كان يشبه بأحمد بن حنبل.

وقال الشيخ علاء الدين علي المرداوي الحنبلي وهو من مشاهير علماء الحنابلة في كتابه الإنصاف[1] ما نصه: ومنها يجوز التوسل بالرجل الصالح على الصحيح من المذهب، وقيل يستحب، قال الإمام أحمد للمروذي: يتوسل بالنبي ﷺ في دعائه، وجزم به في المستوعب وغيره.

وقال الإمام أحمد عن صفوان بن سليم المدني: هو يستسقى بحديثه وينزل القطر من السماء بِذِكْرِهِ، وقال مرة: هو ثقة من خيار عباد الله الصالحين، رواه الحافظ اللغوي مرتضى الزبيدي في شرح الإحياء[2]. وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل[3] عن أبيه أحمد ابن حنبل قال: قال ابن عيينة: رجلان صالحان يستسقى بهما ابن عجلان ويزيد بن يزيد بن جابر، وذكر الحافظ ابن حجر في الإصابة[4] في ترجمة الصحابي عبد الرحمـٰن بن أبي ربيعة الباهلي إنه استشهد ببلنجر من أرض الترك ودفن هناك فهم يستسقون به إلى الآن.

وسنية زيارة قبور الأولياء معلومة من الدين بالضرورة فمن أنكرها كفر فكيف بالذي يكفّر من يزور الأولياء إذا كانت زيارة قبور عوام المسلمين مستحبة وفيها ثواب فكيف بزيارة قبور أولياء الله فهي سنة من سنن المسلمين المجمع على استحبابها فيا فضيحة ابن تيمية وأتباعه ابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب وابن باز وجماعتهم الوهابية الذين يكفّرون الزائرين والمتبركين والمتوسلين وبذلك حكموا

---

(١) الإنصاف (٢/ ٤٥٦).

(٢) إتحاف السادة المتقين (١٠/ ١٣٠).

(٣) العلل ومعرفة الرجال (١/ ١٦٣ - ١٦٤).

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٣٩٨).

على أنفسهم بأنهم خصوم أحمد بن حنبل والأمة الإسلامية، وهم الذين شذُّوا وانحرفوا، وليس أهل السنة والجماعة.

وقد قال رسول الله ﷺ: «من شذّ شذّ إلى النار» رواه الترمذي[1]. ومما يؤكد على استجابة الدعاء في الأماكن الفاضلة ما قاله الإمام الحسن البصري رحمه الله في رسالته المشهورة إلى أهل مكة: إن الدعاء يستجاب هناك في خمسة عشر موضعًا: في الطواف وعند الملتزم، وتحت الميزاب، وفي البيت، وعند زمزم وعلى الصفا والمروة وفي السعي وخلف المقام وفي عرفة وفي المزدلفة وفي منى عند الجمرات الثلاث.

وقد قال الإمام شمس الدين محمد بن محمد الجزري في كتابه عدة الحصن الحصين: أماكن إجابة الدعاء: عند رؤية الكعبة وفي المساجد الثلاثة وفي الطواف وعند الملتزم وفي داخل البيت وعند زمزم وعلى الصفا والمروة وفي المسعى وخلف المقام وفي عرفات والمزدلفة ومنى وعند الجمرات الثلاث وعند قبور الأنبياء وجُرِّبت استجابة الدعاء عند قبور الصالحين.

وقد قال الشيخ ابن حجر الهيتمي المكي الشافعي في حاشيته على الإيضاح[2]: ويستحب أن يخرج كل يوم إلى البقيع وخصوصًا يوم الجمعة ويكون ذلك بعد السلام على رسول الله ﷺ فإذا انتهى إليه قال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد اللهم اغفر لنا ولهم ويزور القبور الظاهرة فيه كقبر إبراهيم بن رسول الله محمد وعثمان والعباس والحسن بن علي وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وغيرهم ويختم بقبر صفية رضي الله عنها عمة رسول الله ﷺ وقد ثبت في الصحيح في فضل قبور البقيع وزيارتها أحاديث كثيرة.

---

(١) سنن الترمذي (٤/ ٤٠٥)، رقم الحديث (٢١٦٧).

(٢) حاشية العلامة ابن حجر الهيتمي على شرح الإيضاح في مناسك الحج (ص/ ٥٠٣)، محمد صالح أحمد منصور الباز صاحب المكتبة السلفية بمكة.

قال صاحب غاية المنتهى الشيخ مرعي بن يوسف الحنبلي ما نصه: «ولا بأس بلمس قبر بيد لا سيما من ترجى بركته» اهـ.

وقال المرداوي الحنبلي في الإنصاف ما نصه[1]: «يجوز لمس القبر من غير كراهة، قدمه في الرعايتين والفروع، وعنه يكره وأطلقهما في الحاويين والفائق وابن تميم، وعنه يستحب قال أبو الحسين في تمامه: وهي أصح» اهـ.

فبهذا تبين أن ابن تيمية شذ عن الإمام أحمد الذي كان ينتسب إليه وأهل مذهبه الذين قبله كما شذ عن سائر أئمة المسلمين. وقال السمهودي في وفاء الوفاء[2] ما نصه لما قدم بلال رضي الله عنه من الشام لزيارة النبي ﷺ أتى القبر فجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه». وإسناده جيد كما سبق.

وفي تحفة ابن عساكر من طريق طاهر بن يحيى الحسيني قال: حدثني أبي عن جدي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي رضي الله عنه قال: لما رُمِسَ[3] رسول الله ﷺ جاءت فاطمة رضي الله عنها فوقفت على قبره ﷺ وأخذت قبضة من تراب القبر ووضعت على عينها وبكت، وأنشأت تقول:

ماذا على من شم تربة أحمد ... أن لا يشم مدى الزمان غواليا

صبّت علي مصائب لو أنها ... صبت على الأيام عدن لياليا

ذكر الخطيب ابن حملة أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يضع يده اليمنى على القبر الشريف، وأن بلالًا رضي الله عنه وضع خديه عليه أيضًا، ثم قال، ورأيت في كتاب السؤالات لعبد الله بن الإمام أحمد وذكر ما تقدم عن ابن جماعة نقله عنه، ثم قال ولا شك أن الاستغراق في المحبة يحمل على الإذن في ذلك.

(١) الإنصاف، المرداوي (٢/ ٥٦٢ - ٥٦٣)، كتاب الجنائز، باب لمس القبر من غير كراهة - دار إحياء التراث العربي.

(٢) وفاء الوفا (٤/ ١٣٥٦)، السمهودي، دار الكتب العلمية.

(٣) يقال رمست الميت رمسا: دفنته «المصباح المنير» (ص/ ٩١).

وفي عمدة القاري بشرح صحيح البخاري للعيني، وقد روينا عن الإمام أحمد أنه غسل قميصًا للشافعي وشرب الماء الذي غسله به وإذا كان هذا تعظيمه لأهل العلم فكيف بمقادير الصحابة وكيف بآثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وقال المحب الطبري: ويمكن أن يستنبط من تقبيل الحجر واستلام الأركان جواز تقبيل ما في تقبيله تعظيم الله تعالى فإنه إن لم يرد فيه خبر بالندب لم يرد بالكراهة، قال، وقد رأيت في بعض تعاليق جدي محمد بن أبي بكر عن الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي الصيف أن بعضهم كان إذا رأى المصاحف قبّلها وإذا رأى أجزاء الحديث قبّلها وإذا رأى قبور الصالحين قبّلها، قال ولا يبعد هذا والله أعلم في كل ما فيه تعظيم لله تعالى اهـ.

وفي مصنف ابن أبي شيبة حدثنا أبو بكر -يعني ابن أبي شيبة - قال حدثنا زيد ابن الحباب قال: حدثني أبو مودودة قال: حدثني يزيد بن عبد الملك بن قسيط قال: رأيت نفرًا من أصحاب النبي ﷺ إذا خلا لهم المسجد قاموا إلى رمّانة المنبر القرعاء فمسحوها ودعوا قال ورأيت يزيدًا يفعل ذلك اهـ.

وفي كتاب سؤالات عبد الله بن أحمد بن حنبل لأحمد قال: سألت أبي عن مسّ الرجل رمانة المنبر يقصد التبرك، وكذلك عن مسّ القبر فقال: لا بأس بذلك.

وفي كتاب العلل ومعرفة الرجال ما نصه: سألته عن الرجل يمس منبر النبي ﷺ ويتبرك بمسه ويقبله ويفعل بالقبر مثل ذلك أو نحو هذا يريد بذلك التقرب إلى الله جلَّ وعزَّ فقال: لا بأس بذلك.

قال ابن تيمية في كتابه المسمى «اقتضاء الصراط المستقيم»: فقد رخص أحمد وغيره في التمسح بالمنبر والرمانة التي هي موضع مقعد النبي ﷺ ويده. اهـ فماذا تقول الوهابية بعد هذا هل توافق زعيمها الأول أم لا تتبعه فيا لها من فضيحة عليهم.

وابن كثير صرح في تفسيره باستحسان التوسل بالنبي بعد موته والاستغاثة به، كما ذكر ذلك في تاريخه البداية والنهاية في ترجمة عمر بن الخطاب.

ومن ذلك ما أورده الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي وهو الذي قيل فيه إن المؤلفين في كتب الحديث دراية عيال على كتبه، قال ما نصه: أخبرنا القاضي أبو محمد الحسن بن الحسين بن محمد بن رامين الإسترابادي، قال: أنبأنا أحمد بن جعفر ابن حمدان القطيعي قال: سمعت الحسن بن إبراهيم أبا علي الخلال يقول: ما همني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسلت به إلا سهل الله تعالى لي ما أحب.

قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله الصوري قال سمعت أبا الحسين محمد بن أحمد بن جميع يقول: سمعت أبا عبد الله بن المحاملي يقول: أعرف قبر معروف الكرخي منذ سبعين سنة ما قصده مهموم إلا فرّج الله همه.

أخبرنا القاضي أبو عبد الله الحسين بن علي بن محمد الصيمري قال: أنبأنا عمر بن ابراهيم المقري قال: أنبأنا مكرم بن أحمد قال: أنبأنا عمر بن إسحاق بن إبراهيم قال: أنبأنا علي بن مأمون قال: سمعت الشافعي يقول إني لأتبرك بابي حنيفة وأجيء إلى قبره في كل يوم يعني زائرًا فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده فما تبعد عني حتى تُقضى» ومقبرة باب البردان فيها أيضًا جماعة من أهل الفضل وعند المصلى المرسوم بصلاة العيد كان قبر يعرف بقبر النذور ويقال إن المدفون فيه رجل من ولد علي ابن أبي طالب رضي الله عنه يتبرك الناس بزيارته ويقصده ذو الحاجة منهم لقضاء حاجته اهـ.

قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» عن قول إبراهيم الحربي قبر معروف الترياق المجرب: يريد الحربي إجابة دعاء المضطر عنده لأن البقاع المباركة يستجاب عندها الدعاء.

وقال الحافظ ابن الملقن عن السيدة نفيسة بنت الحسن الأنور: إن قبرها معروف بإجابة الدعاء.

وقال شيخ الحفاظ العراقي: وقد روينا عن الإمام أحمد أنه غسل قميصًا للشافعي وشرب الماء الذي غسله به وإذا كان هذا تعظيمه لأهل العلم فكيف

بمقادير الصحابة، وكيف بآثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وروى البغدادي عن شيخ الحنابلة أبي علي الخلال أنه قال: «ما همني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسلت به إلا سهَّل الله لي ما أحب».

وفي فتاوى شمس الدين الرملي ما نصه: سئل عما يقع من العامة من قولهم عند الشدائد: يا شيخ فلان، يا رسول الله ونحو ذلك من الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والعلماء والصالحين فهل ذلك جائز أم لا؟ وهل للرسل والأنبياء والأولياء والصالحين والمشايخ إغاثة بعد موتهم؟ وماذا يرجح ذلك؟

فأجاب: بأن الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والعلماء والصالحين جائزة، وللرسل والأنبياء والأولياء والصالحين إغاثة بعد موتهم لأن معجزة الأنبياء وكرامات الأولياء لا تنقطع بموتهم، أما الأنبياء فلأنهم أحياء في قبورهم يصلون ويحجون كما وردت به الأخبار، وتكون الإغاثة منهم معجزة لهم، وأما الأولياء فهي كرامة لهم فإن أهل الحق على أنه يقع من الأولياء بقصد وبغير قصد أمور خارقة للعادة يجريها الله تعالى بسببهم. اهـ. قوله (ويحجون) لم يثبت في السنة[1].

وروى ابن عساكر في تاريخه أن قبر أبي عوانه بأسفراين مزار العالم ومتبرك الخلق يروي ذلك عن عمر الصفار الأسفراييني.

فيعلم مما مر أن مصيبة هؤلاء المكفِّرين للمتوسلين والمستغيثين بالأنبياء والأولياء بعد موتهم وفي حياتهم في غير حضورهم، سوء فهمهم للآيات والأحاديث التي يستدلون بها على ذلك، ظنوا أن معنى العبادة هو النداء والاستعانة والخوف والرجاء والاستغاثة، فهذه في ظنهم هي العبادة التي من صرفها لغير الله يكون مشركًا، وكذلك ظنوا أن من طلب من غير الله ما لم تجر به العادة صار مشركًا.

---

(١) فتاوى الرملي بهامش الفتاوى الكبرى (٤/ ٣٨٢) لابن حجر الهيتمي. نقلا عن صريح البيان للمحدث الهرري.

وروى الحافظ السيوطي في طبقات الحفاظ أن الحافظ الكبير الخطيب البغدادي كان يشرب ماء زمزم على نية أن يدفن عند بشر الحافي الرجل الصالح.

**٦- يقول المجسم ابن أبي العز الحنفي[1]: «فَإِنَّ أَكْمَلَ النَّاسِ تَوْحِيدًا الْأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِمْ، وَالْمُرْسَلُونَ مِنْهُمْ أَكْمَلُ فِي ذَلِكَ، وَأُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ أَكْمَلُهُمْ تَوْحِيدًا، وَهُمْ: نُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وَمُحَمَّدٌ. وَأَكْمَلُهُمْ تَوْحِيدًا الْخَلِيلَانِ: مُحَمَّدٌ وَإِبْرَاهِيمُ» اهـ.**

**ومثله قال المجسم ابن جبرين[2]، والمجسم سفر الحوالي[3].**

**الرد:** وبعد أن قرر ابن أبي العز عقيدة شيخه المباشر ابن قيم الجوزية وشيخ شيخه ابن تيمية في قضية تقسيم التوحيد المبتدعة والمستحدثة والتي جعلوها دينًا يبنون عليه تكفير المسلمين المتوسلين والمستغيثين والمتبركين ها هو يبتدع ألفاظًا جديدة في قوله «فإن أكمل الناس توحيدًا الأنبياء» ثم لطخ أوراق كتابه بكلمات لا طائل تحتها وقد مرَّ معنا في المقالة السابقة الرد على تقسيم توحيدهم المزعوم والمعروف في كتب الحديث والفقهاء والعلماء استعمال «أكمل الناس إيمانًا» أو «أكمل المؤمنين إيمانًا» لكن من أشرب في قلبه حب المخالفة والزيغ والانحراف يأتي إلى الناس بما يلقيه إليه شيطانه وقوله هذا «أكمل الناس توحيدًا الأنبياء» يريد به أن من دون الأنبياء غير المشبهة أسياده وأسلافه لا يعرفون التوحيد وأنهم هم وحدهم الذين يعرفون التوحيد وهذا حكم ءاخر على أمة محمد ﷺ بالجهل بخالقهم والعياذ بالله تعالى من هذا الزيغ العريض والفساد الكبير وليذكر لنا أتباعه عمنْ مِنْ المجتهدين المعتبرين نقل هذه الكلمات ولتأكيد ما قلناه وبيناه نورد هذه الأحاديث لزيادة الإيضاح وتأكيده.

روى أبو داود في سننه كتاب الجهاد باب في ثواب الجهاد: «حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ

---

(١) المصدر السابق، (ص/ ١٠١).

(٢) انظر الكتاب (١/ ٩٨).

(٣) انظر الكتاب (ص/ ١١٣٣).

الطَّيَالِسِيُّ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ كَثِيرٍ حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ سُئِلَ أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْمَلُ إِيمَانًا قَالَ رَجُلٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ الله بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ وَرَجُلٌ يَعْبُدُ الله فِي شِعْبٍ مِنْ الشِّعَابِ قَدْ كُفِيَ النَّاسُ شَرَّهُ».

وروى البيهقي في السنن الكبرى كتاب الشهادات باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها: «وَأَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ يُوسُفَ أَنْبَأَنَا أَبُو سَعِيدِ بْنُ الأَعْرَابِيِّ أَنْبَأَنَا أَبُو يَعْقُوبَ إِسْحَاقُ ابْنُ جَابِرٍ الْقَطَّانُ قِرَاءَةً عَلَيْهِ حَدَّثَكُمْ سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ حَدَّثَنَا يَحْيَى هُوَ ابْنُ أَيُّوبَ حَدَّثَنِي ابْنُ عَجْلاَنَ أَنَّ الْقَعْقَاعَ بْنَ حَكِيمٍ أَخْبَرَهُ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله -ﷺ- قَالَ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا».

وروى الترمذي في سننه كتاب الرضاع باب ما جاء في الحق المرأة على زوجها: «وَأَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ يُوسُفَ أَنْبَأَنَا أَبُو سَعِيدِ بْنُ الأَعْرَابِيِّ أَنْبَأَنَا أَبُو يَعْقُوبَ إِسْحَاقُ ابْنُ جَابِرٍ الْقَطَّانُ قِرَاءَةً عَلَيْهِ حَدَّثَكُمْ سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ حَدَّثَنَا يَحْيَى هُوَ ابْنُ أَيُّوبَ حَدَّثَنِي ابْنُ عَجْلاَنَ أَنَّ الْقَعْقَاعَ بْنَ حَكِيمٍ أَخْبَرَهُ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله -ﷺ- قَالَ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا».

٧- يقول المجسم ابن أبي العز الحنفي(١): «وَلِهَذَا يَأْتِي الإِثْبَاتُ لِلصِّفَاتِ فِي كِتَابِ الله مُفَصَّلًا، وَالنَّفْيُ مُجْمَلًا، عَكْسَ طَرِيقَةِ أَهْلِ الْكَلَامِ الْمَذْمُوم: فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ بِالنَّفْيِ الْمُفَصَّلِ وَالإِثْبَاتِ الْمُجْمَلِ، يَقُولُونَ: لَيْسَ بِجِسْمٍ، وَلَا شَبَحٍ، وَلَا جُثَّةٍ، وَلَا صُورَةٍ، وَلَا دَمٍ، وَلَا لَحْمٍ، وَلَا شَخْصٍ، وَلَا جَوْهَرٍ، وَلَا عَرَضٍ، وَلَا لَوْنٍ، وَلَا رَائِحَةٍ، وَلَا طَعْمٍ، وَلَا بِجَسَّةٍ، وَلَا بِذِي حَرَارَةٍ، وَلَا بُرُودَةٍ، وَلَا رُطُوبَةٍ، وَلَا يُبُوسَةٍ، وَلَا طُولٍ، وَلَا عَرْضٍ، وَلَا عُمْقٍ، وَلَا اجْتِمَاعٍ، وَلَا افْتِرَاقٍ، وَلَا يَتَحَرَّكُ، وَلَا يَسْكُنُ، وَلَا يَتَبَعَّضُ، وَلَيْسَ بِذِي أَبْعَاضٍ وَأَجْزَاءٍ وَجَوَارِحَ وَأَعْضَاءٍ، وَلَيْسَ بِذِي جِهَاتٍ، وَلَا بِذِي يَمِينٍ وَلَا شِمَالٍ وَأَمَامٍ وَخَلْفٍ وَفَوْقٍ وَتَحْتٍ، وَلَا يُحِيطُ بِهِ مَكَانٌ وَلَا يَجْرِي

(١) المصدر السابق، (ص/ ١٠٩-١١٠).

عَلَيْهِ زَمَانٌ، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ المُمَاسَّةُ وَلَا الْعُزْلَةُ وَلَا الْحُلُولُ فِي الْأَمَاكِنِ، وَلَا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ الْخَلْقِ الدَّالَّةِ عَلَى حُدُوثِهِمْ، وَلَا يُوصَفُ بِأَنَّهُ مُتَنَاهٍ، وَلَا يُوصَفُ بِمِسَاحَةٍ، وَلَا ذَهَابٍ فِي الْجِهَاتِ، وَلَيْسَ بِمَحْدُودٍ، وَلَا وَالِدٍ وَلَا مَوْلُودٍ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ الْأَقْدَارُ، وَلَا تَحْجُبُهُ الْأَسْتَارُ إِلَى آخِرِ مَا نَقَلَهُ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ - رَحِمَهُ الله - عَنِ الْمُعْتَزِلَةِ» اهـ.

ومثله قال المجسم ابن جبرين[1]، والمجسم سفر الحوالي[2].

الرد: وفي هذا الكلام وقع ابن أبي العز المجسم مرة أخرى على رأسه في وحل التشبيه والتجسيم حيث أنه ينزعج من التنزيه والتوحيد ويفتري على الإمام الأشعري بأنه ينقل عبارات التنزيه التي تغيظ المشبهة عن المعتزلة وفي واقع الحال وحقيقة الأمر أنّ هذه عبارات أهل السنة وإن رددها بعض المعتزلة فلا نتخلى عن الحق المبين الموافق والمأخوذ من القرءان العظيم لكون بعض أهل الباطل قال به أو وافقنا فيه فإن المعتزلة وفرق الضلال والزيغ والكفر والإلحاد ممن يتسترون بالإسلام يقولون لا إلـٰه إلا الله لفظًا ويقرأون القرءان بألسنتهم فهل نترك ذلك لأجلهم؟! ومقالة ابن أبي العز البشعة الشنيعة هذه ما هي إلا لأنهم أي المشبهة لا يحبون كلمات التنزيه والتوحيد أن تروج بين الناس وممن وافقه في هذا الكلام وزاد عليه وتمادى في غيه المتمحدث المتمسلف الألباني هذا الذي عاصرنا وهو من أعاجيب الزمان في التناقضات والوقاحات وفي هذه المقالة سيكون كلامنا مسبوكًا في الرد على الألباني ومضمونه ومعناه ردٌّ على أئمته السابقين ومنهم ابن أبي العز وأشياعه المجسمة اللاحقين.

---

(١) انظر الكتاب (١/ ١٤٠).

(٢) انظر الكتاب (ص/ ١٤٩).

# جواهر المعاني
# في كشف ضلالات الألباني

وقد نبغ في عصرنا هذا أحد المشبهة ويدعى محمد ناصر الدين الألباني، الذي منع من التدريس بأمر من مفتي الديار الشامية أبي اليسر عابدين رحمه الله تعالى لما انتشرت فتنته وعمّت بلوته، وهذا الألباني من الشاذين المتمحدثين، وليس من المحدثين وإن زعم ذلك، فقوله ليس بحجة، وتصحيحه وتضعيفه ليس بعمدة، ولا وزن له ولا يُعتد به، لأنه ليس أهلًا للتضعيف والتصحيح، لأنه محروم من الحفظ، فهو ليس حافظًا باعترافه، فلا يحفظ عشرة أحاديث بأسانيدها، فإنه قال عن نفسه: «أنا محدث كتاب لست محدث حفظٍ»، وهذا من جملة حيله وتمويهاته، فهو من الدعاة إلى أبواب جهنم من أطاعهم قذفوه فيها، وأتباعه من الهمج الرعاع الذين يتبعون كل ناعقٍ ويميلون مع كل ريح، وكتبه محشوة بالسموم، من اعتقدها سال به السيل وهو لا يدري، من ذلك ما وجدناه في كتابه المسمى: «شرح العقيدة الطحاوية» في صحيفة ست وأربعين وسبع وأربعين، حيث يُدافع عن عقيدة التشبيه، ويقدح في عقيدة التنزيه، ويطعن في أهل السنة والجماعة، ويوهم بأن القرءان يؤيّد ما افتراه، فعملًا بقوله ﷺ: «**إلى متى ترعون**[1] **عن ذكر الفاجر**[2] **أذكروه بما فيه حتى يحذره الناس**» رواه الطبراني والبيهقي وغيرهما، رأينا أن نرد عليه، لبيان عِوَرِ دينه، وضعف فهمه، ووهن حجته، وزيغ كلامه، حتى يحذره الناس، ونسأل الله تعالى أن ينفع بهذه الرسالة أمة محمد عليه الصلاة والسلام، وأن يسلم أمة محمد ويكفيها شرَّ كلّ متربص مفترٍ متسترٍ باسم الدين، على الله توكلنا، هو نعم المولى ونعم النصير.

**يقول الألباني: «يأتي الإثبات للصفات في كتاب الله مفصلًا والنفي مجملًا».**

---

(١) أي تمتنعون

(٢) أي الفاسق الذي يجب التحذير منه أو الكافر

**قلنا:** هذه الفرقة، فرقة التشبيه، تقول: «نثبت لله ما أثبت لنفسه»، ويريدون بكلامهم هذا أنهم يثبتون لله مشابهة الخلق لأن عندهم إثبات التشبيه هو إثبات الصفات، لذلك قال هذا المشبه: «يأتي الإثبات للصفات في كتاب الله مفصلًا»، مراده يأتي التشبيه للصفات في كتاب الله مفصلًا، كما سيتبين لك لاحقًا من كلامه.

أما التنزيه، فالمشبهة لا يعتقدونه، بل يحاربونه، لذلك لا يسمونه تنزيهًا بل يسمونه نفيًا وتعطيلًا، لأجل هذا زعم أن التنزيه في القرءان جاء مجملًا فقال: «والنفي مجملًا». فزعم أن التنزيه جاء: «مجملًا» في القرءان ليوهم أن تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه ليس له شأن في القرءان. فالوهابية يعلمون علم اليقين أنه إن فُتح باب التنزيه أُقفل عليهم باب التشبيه، وإن أُقفل باب التنزيه فتحوا عليهم باب التشبيه، من هنا تبين سبب محاربتهم للتنزيه، لذلك تارة يسمونه نفيًا، وتارة يسمونه تعطيلًا.

أما إيهامه بأن التنزيه ليس له شأن في القرءان فهذا لا يقوله إلا من كان من أجهل الجاهلين بكتاب الله تعالى، فإنه لا يكاد يخلو أحد من المسلمين، سواء علمائهم أو عوامهم، صغارهم أو كبارهم، إلا ويحفظ سورة الإخلاص التي ورد فيها معاني عظيمة في التنزيه سواء كان تفصيليًا أو إجماليًا، وما هذا إلا على سبيل المثال لا الحصر.

**قال الألباني: «عكس طريقة أهل الكلام المذموم، فإنهم يأتون بالنفي المفصل والإثبات المجمل».**

**قلنا:** البيّنة على من ادعى، فأين دليلك على ما ادعيت، وحجتك على ما افتريت. فأولًا زعمت أن القرءان يأتي بالنفي المجمل، ثم زعمت أن القرءان عكس طريقة أهل السنة الذين رميتهم زورًا وبهتانًا بأهل الكلام المذموم، وكل ذلك بلا دليل ولا سند، والإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء.

أما تسميته لأهل السنة بأهل الكلام المذموم فليس بقائم على حجة، بل قائم على الهوى، فهؤلاء الوهابية، المشبهة، من سخافة عقولهم لا يفرقون بين

الكلام الممدوح وبين الكلام المذموم، لأن العقل ليس له إعتبار عندهم، لأنهم لو أخذوا به لانتقض عليهم مذهبهم، أما أهل السنة والجماعة فيعتبرون الأدلة التفصيلية معرفتها ليست من فروض العين بل هي من فروض الكفاية، فإذا وُجد في المسلمين من يعرف التنزيه وبقية الصفات الثلاثة عشرة وما يتبع ذلك من أصول الاعتقاد بالدليل العقلي التفصيلي فقد أسقط الحرج عن غيره من المسلمين، وذلك لأنه يُحتاج إلى ذلك لرد شبه الملاحدة والمبتدعة في الاعتقاد. فلو جاء الملحد وقال للمسلمين: أعطوني دليلا عقليًا على وجود الله تعالى، فلا بد من رفع شبهه وتشكيكاته بإيراد أدلة تفصيليّة من البراهين العقليّة، لأن هذا الملحد إذا قيل له قال الله تعالى ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ وقال تعالى ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وقال ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وقال ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ وقال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ونحو ذلك، قال الملحد: أنا لا أُؤمن بكتابكم أنا لا أريد أن تذكر لي من كتابكم شيئًا. فكيف تُدفع شُبهه وتشكيكاته؟ مثال لذلك لو قال عابد الشمس: إن معبودي محسوس ظاهر نافع للإنسان ولسائر الحيوان والنبات والماء والهواء، كيف لا يكون ديني هذا حقًا، ونحن وأنتم نعلم أن هذا موجود وهي محسوسة بحاسة البصر، فكيف تقولون إن ديني هذا باطل. فإن هذا إن قيل له قال تعالى كذا يقول أنا لا أؤمن بكتابكم أُريد منكم دليلًا، إن وجدتم ذلك وأقمتم لي فأنا أُسلّم لكم، وإلا فكيف تطلبون مني أن أُؤمن بدينكم. فكيف تقام على هذا الحجة؟ فهؤلاء الذين يظنون أن علم التوحيد لا يشتمل على بيان البراهين العقلية والبراهين النقلية مع الحاجة الشديدة إلى ذلك لا يستطيعون أن يُفحموا هذا الكافرَ، وإنما يستطيع إفحامه السنيُ الذي يُنَزه الله عن الكيف والحد والتحيُّز بالمكان والجهة، فيقول له: معبودك هذا له حدٌّ وشكلٌ فيحتاج إلى من جعله على هذا الحد والشكل، والمعبود الحق هو الموجود الذي ليس له حد ولا شكل فلا يحتاج إلى غيره، أما معبودك الذي هو الشمس فلا يصح في العقل أن يكون هو أوجد نفسه على هذا الحد وهذا الشكل إنما الذي يستحق أن يُعبَدَ هو معبودنا الذي هو موجود لا كالموجودات،

فهنا ينقطع عابد الشمس. والقرءان أرشد إلى الاستدلال العقلي بعدة آيات كقوله تعالى: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ أي أن في أنفسكم دليلًا على وجود الله. وذكر لذلك بعض علماء العقيدة مثالًا وهو أن يُقال: أنا كنت بعد أن لم أكن وما كان بعد أن لم يكن فلا بد له من مكونٍ فأنا لا بد لي من مكون. ويُسْتَنْتَجُ من هذا القول أن ذلك المكَون لا يكون شبيهًا لي ولا لشئ من هذه الحادثات التي هي مشاركة لي في الحدوث وهذا المكون هو المسمى الله.

لذلك أهل السنة والجماعة يعطون هذا العلم اهتمامًا بالغًا، لأن هذا الفن أولى العلوم بالاحتياط في العبارات، لأنه أشرف العلوم، لأنه يتعلق بأصل الدين، ولذلك سماه أبو حنيفة «الفقه الأكبر»، وهو يعرفُ بعلم التوحيد وعلم الكلام، هذا الذي يسمِيَهُ أهل السنة علم الكلام هو الكلام الممدوح، وأما الكلام المذموم فهو كلام أهل الأهواء، أي أهل البدع الاعتقادية كالمعتزلة فهو الذي ذمّه السلف، قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: «لأن يلقى الله العبدُ بكل ذنب ما عدا الشرك أهون من أن يلقاه بكلام أهل الأهواء». فالفرق بين هذا وهذا أن علم الكلام الذي هو لأهل السنة، الذي فيه ألّفوا تآليفهم أنه تقرير عقيدة السلف بالبراهين النقلية والعقلية مقرونًا برد شبه الملاحدة والمبتدعة وتشكيكاتهم. ولأهل الحق عناية عظيمة به، فقد كان أبو حنيفة يسافر من بغداد إلى البصرة لإبطال شُبههم وتمويهاتهم، سافر لذلك أكثر من عشرين مرة، وبين بغداد والبصرة مسافة طويلة، فكان يقطعهم بالمناظرة، بكشف فساد شُبههم وتمويهاتهم، وهذا العلم لا يعيبه إلا جاهل بالحقيقة من المشبهة ونحوهم، فإن المشبهة التي تحمل الآيات المتشابهة والأحاديث المتشابهة الواردة في الصفات على ظواهرها أعداء هذا العلم، وفي هؤلاء قال قائل وقد صدق فيما قال:

عاب الكلام أُناسٌ لا عُقُولَ لهم ... وما عليه إذا عابوهُ من ضررِ
ماضرَّ شمسَ الضُحى في الأُفُقِ طالعةً ... أنْ ليس يبصرها من ليس ذا بصرِ

أما ما يُروى أن الشافعي قال: «لأن يلقى الله العبد بكلّ ذنب ما عدا الشرك خير له من أن يلقاه بعلم الكلام» فلم يثبت عنه.

فتبيّن أن تسمية الألباني لأهل السنة بأهل الكلام المذموم ليس قائمًا على حجة، بل قائم على الهوى، وعلى تحامله على أهل السنة والجماعة، فالمشبهة سلاحهم في حربهم على أهل السنة أمران: القتل والشتم، فالشتم شيمتهم لأن سفيه الكلام سلاح اللّئام، أما القتل فشأنهم في ذلك شأن زعيمهم ابن عبد الوهاب، «فإنه كان إذا باينه أحد وردّ عليه ولم يقدر على قتله مجاهرة يرسل إليه من يغتاله في فراشه أو في السوق ليلًا لقوله بتكفير من خالفه واستحلاله قتله»، ذكر ذلك الشيخ محمد بن عبد الله بن حُميد النجديُّ الحنبلي في كتابه «السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة»[1].

أما قوله إن طريقة أهل السنة هي النفي المفصّل فإن عنى بذلك التنزيه المفصّل فهذا مدح لهم، لأن أشرف العلوم علم الدين، وأولاه وأفضله علم العقيدة، لأن من فقد علم العقيدة فقد الإسلام، وأهم علم العقيدة الإيمان بالله، أي معرفته كما يجب، ثم الإيمان برسوله، ولا يصح الإيمان بالله إلا مع تنزيهه عن مشابهة الخلق.

أما تشكيكه في إثبات أهل السنة والجماعة لصفات الله عزّ وجلّ بقوله: «إنهم يأتون بالإثبات المجمل» فمناقض للحقيقة والواقع، ألم يسمع بقول الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه الذي هو من أئمة أهل السنة وأئمة أهل الكلام الممدوح، فقد قال في كتابه الفقه الأبسط: «فصفاته غير مخلوقة ولا محدثة، والتغيُّر والاختلاف في الأحوال يحدث في المخلوقين، ومن قال إنها محدثة أي مخلوقة أو توقف فيها أو شك فيها فهو كافر»، بعد هذا كيف يسوغ لعاقل أن يُشكّك في إثبات أهل السنة لصفات الله عزّ وجلّ.

ثم إنه ينبغي أن يُعلم أنّ طعن الوهابية في إثبات أهل السنة للصفات قائم على خلل في عقيدة الوهابية، وذلك لأنّ الإثبات الذي يَعنيه الوهابية خلاف

---

(١) انظر الكتاب (ص/ ٢٧٦).

الإثبات الذي يعنيه أهل السنة، فالوهابية يُثبتون لفظ الصفة مع التشبيه، بخلاف أهل السنة الذين يُثبتون لفظ الصفة مع التنزيه، فإذا ما نفى السنيُّ معنى التشبيه عن الصفة إعتبر الوهابي ذلك نفيًا للصفة، واعتبر أن ذلك تعطيل وإلحاد وكفر، فإنَّ الوهابية عندهم نفي التشبيه تعطيل أما إثبات التشبيه توحيد، لذلك الوهابية عندهم المنزه معطّل والمشبّه موحّد، فجعلوا المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، فينبغي لطالب الحق أن يَعي ذلك جيدًا.

لذلك قد يلتبس على بعض الناس إذا سمعوا الوهابية يقولون عن أهل السنة: هؤلاء معطلة ينفون صفات الله عزّ وجلّ والحقيقة عكس ما يُوهم الوهابية، فأهل السنة هم من يُثبتون صفات الله تعالى لفظًا ومعنىً، أما الوهابية فيثبتونها لفظًا لا معنىً، لأنّ أهل السنة يُثبتون صفات الله عزّ وجلّ على الوجه الذي يليق به تعالى، أما الوهابية فلا يُثبتون صفات الله عزّ وجلّ على الوجه الذي يليق به تعالى، فالسنيُّ يقول: لله يد لا كأيدينا وهو يعتقد جزمًا ويقينًا بأنّ الكيفيّة عن الله منفيّة، فيكون بذلك أثبت الصفة لفظًا ومعنىً، أما الوهابي فيقول لله يد لا كأيدينا وهو يعتقد الكيفية، لذلك يقول لا نعرف كيف هي، فيكون بذلك أثبت الصفة لفظًا لكنه نفاها معنىً.

لذلك أهل السنة والجماعة يُؤولون كل ءاية أو حديث ظاهره أن الله متحيز في الجهة والمكان أو أنّ له أعضاء أو حدًا أو حركة وانتقالًا أو أي صفةٍ من صفات الخلق تأويلًا إجماليًا أو تأويلًا تفصيليًا، كما ثبت ذلك عن السلف وتبعهم الخلف. ويقولون: ليس المراد ظواهرها بل المراد بها معانٍ تليق بالله تعالى[1]، كما قال بعضهم: «بلا كيف ولا تشبيه». ويعني أهل السنة: «بلا كيف» أنّ هذه الآيات والأحاديث ليس المراد بها الجسمية ولوازمها، هذا مراد السلف والخلف من أهل السنة بقولهم: «بلا كيف»، ليس مرادهم كما تُمَوّه الوهابية على الناس فيقولون لفظًا

---

(١) فإذا كان للكلمة أكثر من معنى صحيح نقول يجوز أن يكون هذا المعنى هو المعنى المراد، ولا نقول إن هذا المعنى هو المراد لا غيره، أما إذا كان للكلمة معنى فاسدا ومعنى واحدا صحيحا فحينئذ نجزم بأن المعنى المراد هو هذا الصحيح.

«بلا كيف» وهم يعتقدون الكيف. وأما التأويل التفصيليّ فقد ثبت عن السلف وإن كانوا لم يُكثروا منه، فقد ثبت عن الإمام أحمد بن حنبل تأويل المجيء الذي ذُكر في هذه الآية: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[1] أنه قال[2]: «جاء ثوابه»، ورُوي عنه أنه قال: «جاء أمره». وأنتم يا وهابية قلتم: إنَّ مجيء الله بالنزول الحسيّ بالانتقال من العرش إلى الأرض كما أنّ الملائكة ينزلون نزولًا حسيًا بالانتقال من أماكنهم العلويّة إلى الأرض يوم القيامة. ولو كان الإمام أحمد يعتقد اعتقادهم ما أوَّل الآية بل أقرَّها على الظاهر كما أنتم تفسرون.

وهذا التأويل من الإمام أحمد ثابت صححه البيهقيُّ في كتابه مناقب الإمام أحمد. وكذلك ثبت عن السلف تفسير الساق المذكور في ءاية ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[3] بأن الساق هي الشدة الشديدة[4]، وأنتم يا وهابية جعلتم الساق عضوا كما أن للإنسان عضو الساق، فأين أنتم من تنزيه الله عن مشابهة الخلق، فظهر أنّ إنتسابكم إلى الإمام أحمد إنتساب كاذب.

والبُخاري ذكر في جامعه تأويلين لآيتين، أول ءاية ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[5] أوَّل الوجه بالملك[6]، وكذلك ذكر سفيان الثوري في تفسيره[7]، والموضع الثاني الذي أوَّل البخاري فيه ءاية: ﴿ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾[8] أوَّلها بالملك والسلطان[9]، ما أوَّل كما أنتم تعتقدون بمعنى اللمس، وظاهر الآية أنّ الله يقبض

---

(١) سورة الفجر/ ءاية ٢٢.

(٢) البداية والنهاية (١٠/ ٣٢٧)، قال البيهقي: «هذا إسنادٌ لا غبار عليه».

(٣) سورة القلم/ ءاية ٤٢.

(٤) فتح الباري (١٣/ ٤٢٨)، الأسماء والصفات (ص/ ٣٤٥).

(٥) سورة القصص/ ءاية ٨٨.

(٦) صحيح البخاري: التفسير: أول باب تفسير سورة القصص.

(٧) تفسير القرءان الكريم (ص/ ١٩٤).

(٨) سورة هود/ ءاية ٥٦.

(٩) صحيح البخاري: كتاب التفسير: سورة هود: باب قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [سورة هود].

بناصية كلّ دابة، وهذا تشبيه لأنه لا يجوز على الله أن يمسَّ أو يُمسَّ، لأن المسَّ من صفات الخلق.

بعد هذا كيف يسوغ لعاقل أن يتجرأ على قذف أهل السنة بالتعطيل أي نفي صفات الله عزّ وجلّ؟! بل الوهابية هم المعطلة لأنهم نفوا صفات الله تعالى على المعنى اللائق به وأثبتوا لله تعالى المعنى الذي نفاه عن نفسه تعالى، أثبتوا لله تعالى المعنى الذي لا يليق به سبحانه وتعالى، فهم الذين ما ءامنوا بالصفات على وجهها الصحيح، وما عرفوا الله تعالى، وما عبدوه، بل عبدوا شيئًا تخيَّلوه في مخيلتهم وتصوروه في تصوراتهم، تصوروه جسمًا ضخمًا بقدر العرش أو أوسع منه، وله أعضاء، مركزه فوق العرش، ينزل بذاته كل ليلةٍ إلى السماء الدنيا، ويتكلم بحرفٍ وصوتٍ، والعياذ بالله تعالى، من كفرهم وجهلهم بخالقهم، والحقيقة أنه لا يوجد فوق العرشِ شيء حيٌّ قاعد عليه، وأنّ الله تعالى موجودٌ لا كالموجوداتِ، موجود بلا جهة ولا مكان، وأنه متكلم بلا حرف ولا صوتٍ ولا لغةٍ.

**ثم قال الألباني: «يقولون (أي أهل السنة عن الله تعالى): ليس بجسم ولا شبح ولا جهة ولا صورة ولا لحم ولا دم ولا شخص ولا جوهر ولا عَرَضٍ..) إلخ..».. قلنا:** كل ذلك منفيّ عن الله تعالى على لسان السلف، فهذا الإمام علي رضي الله عنه قال: «سيرجع قوم من هذه الأمة عند اقتراب الساعة كفارا، قال رجل: يا أمير المؤمنين كفرهم بماذا، أبالإحداث[1] أم بالإنكار؟ فقال: بل بالإنكار، يُنكرون خالقهم فيصفونه بالجسم والأعضاء».

أليس في قول الإمام علي هذا تنزيه لله تعالى عن الجسم والأعضاء بل وتكفير لمن يصفه تعالى بشيء منها. وقول الإمام علي رضي الله عنه ذكره الشيخ ابن المعلّم القرشيّ في كتابه «نجم المهتدي ورجم المعتدي»[2].

وقد ثبت أيضًا عن الإمام علي رضي الله عنه أنه قال: «من زعم أن إلهنا محدودٌ

---

(١) أي هل كفرهم بسبب أنهم يُحدثون في الدين عقائد كفريّة جديدة.
(٢) انظر الكتاب (ص/ ٥٨٨).

فقد جهل الخالق المعبودَ» فدخل تحت المحدود كل ما له حجم سواء كان من الأجسام الكثيفة التي تُضبط باليد أو الأجسام اللطيفة التي لا تُضبط باليد، وفي قوله إثبات بأنّ من وصفه تعالى بشىءٍ من هذا فهو جاهل بخالقه ما عرفه.

وقال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه في كتابه الفقه الأبسط: «ويتكلّم لا ككلامنا، نحن نتكلّم بالآلات من المخارج والحروف، والله متكلم بلا ءالة ولا حرف» فدخل تحت قوله بلا ءالةٍ اللسان والحنجرة وغيرهما من الجوارح والأدوات.

وقال الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه: «والكيف غير معقولٍ» أي أنّ الله تعالى منزّه عن الكيف، وثبت أنه تأوّل حديث النّزول وقال: «معناه تنزل رحمته وأمره وملائكته، كما يقال فعل السلطان كذا إذا فعله أتباعه بأمره»، وفي هذا دلالة واضحة على تنزيه الإمام مالكٍ لله تعالى عن الحركة والسكون، أي عن الأعراض وهي صفات الأجسام. وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه: «وهذا منتظم من كفر مجمع عليه ومن كفرناه من أهل القبلة [1] كالقائلين بخلق القرءان وبأنه لا يعلم المعلومات قبل وجودها، ومن لا يؤمن بالقدر، وكذا من يعتقد أن الله جالس على العرش»، أليس في قول الشافعي هذا تنزيه لله تعالى عن الجلوس، بل وتكفير لمن نسب الجلوس إلى الله تعالى، وقول الإمام الشافعي رضي الله عنه حكاه القاضي حسين عنه وذكره الشيخ ابن المعلم القرشي في كتابه «نجم المهتدي ورجم المعتدي»[2] ومثل ذلك ذكر في كتاب كفاية النبيه بشرح كتاب التنبيه.

كذلك الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه كفَّر من قال بتجسيم الله عزَّ وجلَّ، فقد روى الزركشيُّ في كتابه تشنيف المسامع عن صاحب الخصال أنه قال: قال أحمد: «من قال إنّ الله جسمٌ لا كالأجسام كفر»، وقال أيضًا: «مهما تصورت ببالك فالله بخلاف ذلك»، وفي هذا تصريح بنفي الصور والأشكال والأوهام

---

(١) معناه المنتسبون للإسلام.

(٢) انظر الكتاب (ص/ ٥٥١).

عن الله تعالى. وهؤلاء العلماء الذين نزهوا الله التنزيه التفصيلي هم غيض من فيض، ولا يسعنا في هذه الرسالة أن نذكر كل أقوالهم في التنزيه، فاكتفينا بذكر بعض أعلام السلف ممن كانوا قبل الإمام أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه.

**ثم قال الألباني: «إلى ءاخر ما نقله أبو الحسن الأشعريُّ رحمه الله عن المعتزلة».**

**قلنا:** أيزعم أن الإمام عليًا رضي الله عنه كان معتزليًّا أو نقل عنهم؟! ولم يكن معتزلة في زمانه. أم يزعم أن الأئمة الأربعة: أبا حنيفة ومالكًا والشافعي وأحمد بن حنبل رضي الله عنهم كانوا من المعتزلة أو نقلوا عنهم؟! لأن ما ادّعاه أنّ الإمام أبا الحسن نقله عن المعتزلة منسوب لأئمة الصحابة وللأئمة الأربعة.

ثم هؤلاء الأئمة رضوان الله عليهم كلهم كانوا قبل الإمام أبي الحسن الأشعري، وهذا يدل على أن الإمام أبا الحسن الأشعري لم يأت بعقيدةٍ جديدةٍ، بل اقتدى بأئمة السلف وأعلامهم، واقتفى ءاثارهم، ومشى على طريقتهم، ولخص عقيدتهم.

وهنا لا بد من بيان أمر مهم، ألا وهو كشف شبهة الوهابية في طعنهم بإمام أهل السنة والجماعة، فقد يقول قائلهم لأهل السنة والجماعة: كيف تعتبرون أبا الحسن الأشعري إمامًا لكم وقد كان معتزليًا؟

فالجواب: أنّ هذا لا يضره، أغلب الصحابة قبل أن يُسلموا كانوا عُبَّاد الأوثان، سيدنا عمر رضي الله عنه الذي جعله الله تعالى أفضل أولياء البشر بعد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، كان بلغه قبل أن يُسلم أن أبا جهل التزم مائة ناقةٍ لمن يقتل محمدًا ﷺ فهمَّ بذلك، ذهب إليه وقال له: يا أبا الحكم الضمان صحيحٌ؟ قال: نعم، فأخذ خنجرًا ليقتل الرسول ﷺ، ثم غيّر، صرف الله قلبه عن ذلك، إلى أن أدخله الله في الإسلام.

أبو الحسن تعلّم عقيدة المعتزلة، سنين كان لازمهم، وتعلّم منهم، ثم صار إمامًا لأهل السنة، هذا لا يضره العبرة بآخر حال الشخص، كم من أولياء كانوا قطاع الطريق، ثم صاروا من خواص عباد الله بعد التوبة، رجلان أحدهما عاش

يؤدي الصلوات الخمس ويعمل بالفرائض الأخرى من أول بلوغه لآخر حياته، ورجل ءاخر كان مضيّعًا للصلوات، يرتكب الفواحش، ثم تاب بعد أن بلغ ثلاثين أو أربعين، تاب توبة صادقة، وجدّ في التقوى حتى صار أتقى من ذاك، فهذا عند الله أفضل من ذاك، لأن هذا في ءاخر حاله صار فوق ذاك، العبرة بالخواتيم، لذلك قال الإمام الطحاوي في عقيدته: «والأعمال بالخواتيم»، أي أن الجزاء يكون على ما يُختم به للعبد من العمل، فمن خُتم له بعمل أهل السعادة فهو سعيد، ومن خُتم له بعمل أهل الشقاوة فهو شقي، وليس بما يجري على الإنسان قبل ذلك، فمن عاش كافرًا ثم أسلم ومات على عمل أهلِ الجنة فهو يُجازى بما خُتم له به، ومن كان على عكس ذلك فيجازى بحسب ما خُتم له به، لا يُقال هذا الرجل كان كذا كان كذا بعد أن صلح حاله، لا يجوز الطعن فيه بما كان سبق له بعد توبته، كثيرٌ من الناس يذكرون سوابق هذا الإنسان، يطعنون فيه لأنه كان في الماضي بتلك الصفة، فيا ويلهم، قد يكون هذا صار وليًا، وهذا يطعن فيه لأجل ما سبق له.

ابن تيمية وابن أبي العز والوهابية لما لم يجدوا حجةً على الإمام أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه عدلوا إلى هذا، ينطبق عليهم قول الإمام علي رضي الله عنه: «الجاهلون لأهل العلم أعداء»، لذلك المشبهة يعادون الأشعرية والماتريديّة قديمًا وحديثًا، لأن مشربهم بعيدٌ عن مشرب الأشعرية، الأشعرية ينزهون الله عن مشابهة الخلق بأي وجه من الوجوه، أما المشبهة فأُشربوا حُب التشبيه، الأشعرية والماتريدية هم أهل السنة والجماعة، هاتان الفرقتان لا يتجاوزان الحق في المعتقدات، لأنَّ هذين الإمامين إعتنيا بتلخيص ما كان عليه الرسول والصحابة من المعتقد.

**ثم قال الألباني موافقًا ابن أبي العز وباقي المجسمة: وفي هذه الجملة (أي في القول عن الله: ليس بجسم ولا شبحٍ ولا جهة ولا صورة ولا لحم ولا دم ولا شخص ولا جوهر ولا عرض...) حقٌّ وباطل ويظهر ذلك لمن يعرف الكتاب والسنة».**

قلنا: إذًا على قولك يكون قول الإمام علي وأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل والطحاوي رضي الله عنهم وغيرهم من أئمة السلف أهل الحق في تنزيه الله عن الحد والجسم والآلة والجلوس والكيف والصور والأشكال فيه حق وباطل، فإن أقوالهم صريحة في نفي هذه الأشياء عن الله تعالى، بل وتكفير من يصفه تعالى بشئ منها، وأجمعت الأمة على صحة عقيدة هؤلاء الأئمة الكرام، ولما ثبت أن الأمة لا تجتمع على ضلالة لقوله ﷺ: «**لا تجتمع أمتي على ضلالة**» ثبت أنهم على حق وأنك يا ابن أبي العز ويا ألباني على ضلال، لأن «**من قال قولا يَتوصّل به إلى تضليل الأمة فهو مقطوع بكفره**» قاله القاضي عياض المالكي والنووي الشافعي وابن حجر الهيتمي الشافعي وابن دقيق العيد الشافعي والحافظ السيوطي وهي قاعدة مجمع عليها.

**ثم قال الألباني موافقًا ابن أبي العز المجسم عن التنزيه: «وهذا النفي المجرد مع كونه لا مدح فيه، فيه إساءة أدب، فإنك لو قلت للسلطان: أنت لست بزبال لأدّبك على هذا الوصف وإن كنت صادقًا وإنما تكون مادحًا إذا جمّلت النفي فقلت: أنت لست مثل أحد من رعيتك».**

قلنا: لقد تماديت في غيّك، واستحوذ عليك الشيطان، وزيّن لك سوء عملك، فجعلت التنزيه إساءة أدب مع الله تعالى، وجعلت شتم الله أدبًا مع الله تعالى، ووضعت أمثلةً في غير محلها لتُثبت ما افتريت، وتُسوّغ ما ادّعيت، ولتُموه على العوام، وتطعن في الأئمة الأعلام، فنعوذ بالله من تلبيس إبليس، وتدليس الفجار، ونعوذ بالله من حال أهل النار.

ثم إن هذا المشبه ادّعى ما ادّعاه بلا دليلٍ ولا سلطان، أما نحن فسنقيم عليه الحجّة بالدليل والبرهان. فقد قال الإمام الرازيُّ رحمه الله: «الألفاظ الدالة على التنزيه أربعة: ليس ولم وما ولا، وهذه الأربعة مذكورة في كتاب الله لبيان التنزيه، قال تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ وقال تعالى ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾، وقال تعالى ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾، وقال تعالى ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾

وقوله تعالى في سبعةٍ وثلاثين موضعًا من القرءان: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾» اهـ ذكره في كتابه «التفسير الكبير»[1]. فماذا يقول في تنزيه الله تعالى التفصيلي الذي جاء عن الله تعالى وعلى لسان نبيه ﷺ؟!

ومن ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[2].

٢- وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾[3].

٣- وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[4].

٤- وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾[5].

٥- وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[6].

٦- وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[7].

٧- وقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[8].

٨- وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾[9].

٩- وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾[10].

١٠- وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾[11].

---

(١) انظر الكتاب (٢٦/ ٢٦٨).

(٢) سورة البقرة/ ءاية ٢٥٥.

(٣) سورة الشمس/ ءاية ١٥.

(٤) سورة الإخلاص/ ءاية ٣.

(٥) سورة الأنعام/ ءاية ١٠١.

(٦) سورة مريم/ ءاية ٦٤.

(٧) سورة ق/ ءاية ٣٨.

(٨) سورة البقرة/ ءاية ٧٤.

(٩) سورة الأنعام/ ءاية ١٤.

(١٠) سورة المؤمنون/ ءاية ٨٨.

(١١) سورة الفرقان/ ءاية ٥٨.

١١- وقوله تعالى إخبارًا عن موسى عليه الصلاة والسلم أنه قال لفرعون: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾[١].

١٢- وقوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ﴾[٢].

١٣- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَا﴾[٣].

١٤- وقوله تعالى: ﴿وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ﴾[٤].

١٥- وقوله تعالى: ﴿لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗا﴾[٥].

١٦- وقوله ﷺ: «وإنّ ربكم ليس بأعور» رواه البخاري ومسلم.

١٧- وقوله ﷺ: «إنّكم لا تدعونَ أصمّ ولا غائبًا» رواه البخاري ومسلم.

١٨- وقوله ﷺ: «إنك تقضي ولا يقضى عليك» رواه أبو داود في سننه.

ففي هذه الآيات وهذه الأحاديث لم يأت النفي بالإجمال كما أراد ابن أبي العز المجسم وتابعه الألباني بل وزعما أن النفي الإجمالي هو طريقة القرءان، إنما جاء النفيُّ تفصيليًا، وهو ما انتقده ابن أبي العز والألباني واعتبراه طريقة أهل الكلام المذموم، بل اعتبرا أن فيه إساءة أدب وزعما أنه عكس القرءان. فهل يعتبر ابن أبي العز والألباني ما ورد في هذه الآيات والأحاديث أنه من النفي التفصيلي المجرد مع كونه لا مدح فيه، فيه إساءة أدب؟ أم هل يعتبران أن الله تعالى أساء الأدب مع نفسه في هذه الآيات لما نفى عن نفسه النعاس والنوم والتعب والنسيان والولد والصاحبة والموت والعجز وغير ذلك من النقائص في حقه؟ أم هل يعتبران قول موسى عليه السلام لفرعون ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ فيه إساءة أدبٍ من

---

(١) سورة طه/ ءاية ٥٢.

(٢) سورة التوبة/ ءاية ٢.

(٣) سورة البقرة/ ءاية ٢٦.

(٤) سورة الأحقاف/ ءاية ٣٣.

(٥) سورة طه/ ءاية ١٣٢.

رسول الله موسى عليه السلام مع ربه عزَّ وجلَّ؟ أم هل يعتبران تنزيه الرسول ﷺ لله تعالى عن العورِ والصممِ فيه إساءة أدب من الرسول ﷺ مع ربه عزَّ وجلَّ؟ أم هل يزعم أنَّ الرسول ﷺ كان بالأولى أن ينفي عن الله تعالى نفيًا إجماليًا وليس تفصيليًا كما ورد عنه في هذين الحديثين لأنَّ ما قاله عن ربه فيه إساءة أدب مع الله بزعمه؟ فكفاه ذلك خزيًا.

**ثم قال الألباني: «والتعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية النبوية الإلهية هو سبيل السنّة والجماعة».**

**قلنا:** فيما بيناه دلالة واضحة على أنَّ أهل السنة والجماعة لم يحيدوا عن الأدلة الشرعية، بل أنت من حاد وزاغ وضلّ بجعلك الحق باطلًا والباطل حقًا.

**ثم قال الألبانيُّ عن أهل السنة والجماعة: «والمعطلة يُعرضون عما قاله الشرع من الأسماء والصفات ولا يتدبرون معانيها..»..**

**قلنا:** هذا تكفير صريح لأهل السنة والجماعة حيث رماهم بالتعطيل، وما قال ذلك إلا لأن الوهابية تقول: «التأويل تعطيل». والرد عليهم سهلٌ، يُقال لهم: أليس رأس العبد أقرب إلى العرش وهو قائم أم وهو ساجدٌ؟ فيقولون: أقرب إذا كان قائمًا، فيقال لهم: أنتم جعلتم العرش حيزًا لله وحديث الرسول ﷺ إن حملتموه على ظاهره ومنعتم تأويله ينتقض عليكم ما زعمتموه، فقد روى مسلم أنّ النبي ﷺ قال[1]: **«أقربُ ما يكون العبد من ربِه وهو ساجدٌ فأكثروا فيه من الدعاء»** وأنتم تقولون: «التأويل تعطيلٌ» أين النفي لوجود الله وصفاته؟!، فعلى قولكم بمنع التأويل أنتقض عليكم معتقدكم.

أما حديث مسلم فنحن نؤوله ونقول: القرب في هذا الحديث لا يراد به القرب المسافي، وكذلك كل حديث أو ءاية ظاهرهما أنّ الله متحيزٌ في جهة فوقٍ يؤوّل ولا يُحمل على الظاهر، فأين أنتم من قولكم: «التأويل تعطيلٌ»؟ ومن قولكم:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة: باب ما يقال في الركوع والسجود.

«التأويل إلحادٌ»؟ ويُقال لهم: حديث مسلم إن لم تحملوه على الظاهر بل أولتموه فقد ناقضتم أنفسكم، لأنكم تقولون: «التأويل تعطيلٌ» ثم تفعلونه فتُؤوّلون. أما إن منعتم تأويله وحملتموه على الظاهر فقد ناقضتم أنفسكم أيضًا، لأنكم تزعمون أن الله تعالى متحيّز فوق العرش وفي نفس الوقت في الأرض بقرب الساجد. فما هذا التناقض! وأين المفر؟ هذه تكسر ظهوركم.

وفي صحيح مسلم أنَّ الرسول ﷺ قال: قال الله تعالى: يا ابن ءادم مرضتُ ولم تعدني، قال كيف أعودك وأنت ربُّ العالمين: مرِضَ عبدي فلانٌ فلم تعده» ففي هذا الحديث ذكر جملةٍ ثم ذكر تأويلها وفي ذلك دلالة على جواز التأويل من الحديث نفسه، فمن جعل التأويل تعطيلًا مطلقًا يكون نسب ذلك إلى الله والرسول.

وقد ثبت في الحديث الذي رواه البخاري وغيره أنّ الرسول ﷺ دعا لابن عباس: «اللهم علّمه الحكمة والتأويل» فلو كان التأويل مذمومًا على الإطلاق لكان الرسول بذلك داعيًا على ابن عباس لا له، ويستحيل على الرسول ﷺ أن يدعو على مسلم بلا حق.

الحاصل أن أهل السنة لما نفوا صفات الجسمية عن الله تعالى الوهابية اعتبروا هذا نفيًا لصفات الله عزّ وجلّ، لذلك قال هذا المشبه عن أهل السنة: «ولا يتدبرون معانيها»، فعندهم التدبُّر في معاني الصفات يكون بتصوُّر الله، والعياذ بالله تعالى، بزعمهم من لم يتصوَّره تعالى لم يتدبَّر معاني الصفات، وبزعمهم من لم يصف الله بالحد والمكان ما ءامن به، وبزعمهم من اعتقد أنه تعالى موجود لكن لا داخل العالم ولا خارجه فقد نفى الله عزَّ وجلَّ، وبزعمهم من اعتقد أنه تعالى حيٌّ لكن لا متحرك ولا ساكن فقد نفى عنه الحياة، لأن عند الوهابية شرط الوجود المكان وشرط الحياة الحركة، فضلُّوا عن سواء السبيل.

ما دام الوهابية يتصوَّرون الله حجمًا يستحيل أن يعتقدوا وجوده بلا مكان ولا جهة، وهذه مصيبة الوهابية أنهم لا يرضون أن يعتقدوا بوجود الله دون أن

يتصوَّروه، والحقيقة أنّ الإيمان بالله يكون باعتقاد وجوده مع تنزيهه عن الكيف والمكان والجهة دون تصوُّر لأن التصوُّر لا ينصرف إلا للمخلوق، قال الله تعالى: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ[١] ﴾ أي لا تصل إليه تصورات العباد، وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ قال أبيٌّ بن كعب -وكان أقرأ الصحابة- في تفسيرها: «إليه تنتهي أفكار العباد فلا تصل إليه»، وقال الرسول ﷺ: «**لا فكرة في الرب**»[٢]، وقال عليه السلام: «**تفكروا في كلِّ شيء ولا تفكروا في ذات الله**» رواه البيهقي.

**ثم قال الألباني موافقًا شيخه ابن أبي العز المجسم عن عقيدة أهل السنة والجماعة: «والمقصود أن غالِبَ عقائدهم السُّلوب، ليس كذا، ليس كذا».**

قلنا: اتَّهمتَ أهل السنة أولًا بأنهم أهل الكلام المذموم، ثم تماديت فكفَّرتهم واتهمتهم بالتعطيل، والآن تسمي عقيدتهم بعقيدة السُّلوب، فماذا تقول في قوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾[٥]، وقال الإمام ذو النون المصري: «مهما تصورت ببالك فالله بخلاف ذلك (أي لا يشبه ذلك)»[٦]؟ فهذه الآيات غيضٌ من فيضٍ ورد فيها: ليس ولم ولا لإفادة التنزيه، فهل ستتجرأ أيضًا على انتقاد كلام الله تعالى وتسميه بعقيدة السُّلوب؟!

**ثم قال الألباني موافقًا المجسم ابن أبي العز عن عقيدة أهل السنة والجماعة:**

---

(١) قال القرطبي في تفسيره (٧/ ٥٤) قوله تعالى ﴿ لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ بيّنَ سبحانه أنه منزه عن سمات الحدوث ومنها الإدراك بمعنى الإحاطة والتحديد كما تدرك سائر المخلوقات، والرؤية ثابتة. قال الزجاج أي لا يبلغ كنه حقيقته، وقيل المعنى لا تدركه أبصار القلوب أي لا تدركه العقول فتتوهمه اهـ.

(٢) رواه الحافظ أبو القاسم الأنصاري.

(٣) سورة الشورى/ ءاية ١١.

(٤) سورة الإخلاص/ ءاية ٤.

(٥) سورة النحل/ ءاية ٧٤.

(٦) رواه الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق وكذا قاله مالك والشافعي وأحمد والرفاعي ومن لا يحصى من أئمة المسلمين.

**«وأما الإثبات فهو قليلٌ وهي: وأنه عالمٌ قادرٌ حيٌّ..»..**

**قلنا:** الله تعالى يقول ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾[1] فنحن ليس لنا أن نسمي الله تعالى وأن نصفه بأي صفة من تلقاء أنفسنا بلا حجةٍ ولا برهان، وإلا وقعنا فيما وقع فيه الذين الحدوا في أسمائه تعالى فضلُّوا وأضلُّوا، كالذين وصفوه بالروح والعقل المدبر والريشة البدعة والكنز المخفي والعلة والسبب والمصدر والمنبع والريشة الإلٰهية واللوحة الإلٰهية والقوة الخالقة والقدرة الخالقة والقوة الخفية ومهندس الكون الأعظم والجسم وغير ذلك من الكفر والعياذ بالله تعالى. فهذا المشبه الألباني وابن أبي العز ماذا يريدان من قولهما: «وأما الإثبات فهو قليلٌ..»؟ أيريدان أن يفتحا باب التشبيه والتجسيم على مصراعيه لكل جاهل بالدين ليصف رب العالمين بكل ما يخطر بباله من صفات المخلوقين، فيصفه بما لا يليق به من جلوس وتمكُّنٍ، وصعود ونزول حسيٍّ، وحركة وسكون، وجهة ومكان، كما يفعلان هما وجماعتهما، فهم يصفون الله بالجهة والمكان والأعضاء والجوارح، ويعتقدون في الله القبائح؟!

**ثم قال الألباني موافقًا أشياخه المجسمة عن عقيدة أهل السنة والجماعة: «وأكثر النفي المذكور ليس متلقى عن الكتاب والسنة ولا عن طريق العقلية التي سلكها غيرهم من مثبتةِ الصفات فإن الله تعالى قال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ اهـ.**

**قلنا:** أعطونا قولًا واحدًا من أقوال أهل السنة والجماعة في تنزيه الله ليس من الكتاب أو السنة أو الإجماع. ثم نسبة الجهة والمكان والتمكن في العرش والأعضاء والجوارح والحركة والانتقال إلى الله تعالى من قِبلكم وقِبلِ أسلافكم من المشبهة فعلى زعمكم من أي نصٍّ أخذتموه؟! من القرءان أو السنة أو كلام أئمة الهدى؟! بل كل هذا التشبيه الذي حشوتم به كتبكم معارض للقرءان والسنة وكلام أئمة الهدى ومعارض للأدلة العقلية والقطعية، فظهر بوضوح أنكم تخالفون القرءان

(١) سورة الأعراف/ ءاية ١٨٠.

والسنة والعقلَ ثم تحاولون يائسين أن تنسبوا ذلك إلى أهل السنة، والحقيقة أنكم يا مشبهة كذّبتم القرءان والسنة وخالفتم الأدلة العقلية القاطعة وشبّهتم خالقكم بخَلقِهِ فإن أردتم النجاة في الآخرة فارجعوا عن التشبيه إلى التنزيه وعن وصف الله بما لا يليق به قبل فوات الأوان.

ثم هذه الآية التي أوردتها شاهد عليك لا لك، لأن فيها التنزيه الكلي، هذه الآية لفظها وجيز ومعناه واسع، لأنها أبلغ من قول: الله ليس مثله البشر، ومن قول: الله ليس مثله الملائكة، ومن قول: الله ليس مثله ضوء، لأن كلمة شيء تشمل كل ما سوى الله من الأجسام اللطيفة كالنور، والأجسام الكثيفة كالإنسان والشمس والنجم، وتشمل الحركة، والسكون، واللون، والانفعال، والتغيُّر، والحجم، وكل الأعراض، أي صفات الحجم. فهي أعظم ءاية في التنزيه، لكن القلوب مختلفة، الله تعالى هو مقلّب القلوب، فقلوبٌ تفهم من هذه الآية هذه المعاني، وقلوب لا تفهم، تقرؤها ألسنتها ولا تفهم ما تحويه من التنزيه، وأنتم يا مشبهة قرأتموها ولم تفهموها، وأوردتموها لفظًا وكذبتموها معنىً واعتقادًا واستشهدتم بها وهي شاهدة عليكم. ينطبق عليكم قوله ﷺ: «**أناس من جلدتنا يتكلمون بألسنتنا تعرِف منهم وتُنكر دعاة على أبواب جهنم من أطاعهم قذفوه فيها**»، وينطبق عليكم ما قاله القُشيري[1] رحمه الله تعالى في أمثالكم: «وقد نبغت نابغة من الرّعاعِ، لو لا استنزالهم للعوامّ بما يقرب من أفهامهم، ويُتَصور في أوهامهم، لأجللتُ هذا المكتوب عن تلطيخه بذكرهم، يقولون: نحن نأخذ بالظاهر ونُجري الآيات الموهمة تشبيهًا والأخبار المقتضية حدًّا وعضوًا على الظاهر ولا يجوز أن نطرُقَ التأويل إلى شيء من ذلك، ويتمسكون بقول الله تعالى: ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾، هؤلاء والذي أرواحنا بيده أضر على الإسلام من اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان، لأن ضلالات الكفار ظاهرةٌ يتجنبُّها

---

(١) رواه الحافظ اللغوي مرتضى الزبيدي في كتابه اتحاف السادة المتقين (٢/ ١٠٨ - ١٠٩)، عن الشيخ أبي نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم المعروف بابن القُشيري المتوفى سنة ٥١٤هـ.

المسلمون، وهؤلاء أتوْا الدين والعوام من طريقٍ يغترُّ به المستضعفون، فأوحوا إلى أوليائهم بهذه البدع، وأحلوا في قلوبهم وصف المعبود سبحانه بالأعضاء والجوارح والركوب والنزول والاتكاء والاستلقاء والاستواء بالذات والتردد في الجهات، فمن أصغى إلى ظاهرهم يبادر بوهمه إلى تخيُّل المحسوسات فاعتقد الفضائح فسال به السيل وهو لا يدري»[1] اهـ.وعليكم ينطبق ما قيل: «ربَّ تالٍ للقرءان والقرءان يلعنه».

وقد رددنا في هذه المقالة على الألباني وابن أبي العز معًا ولكننا تعمدنا أن نُظهر أمر الألباني لأنه مشهور بين مشبهة ومجسمة هذا العصر الذي نحن فيه وردّنا في هذا على الألباني هو ردٌّ على المتقدمين والمتأخرين ممن يعلكون هذا الكلام الممجوج المنبوذ.

**٨- يقول المجسم ابن أبي العز: «وَقَدْ أَدْخَلَ الْمُتَكَلِّمُونَ فِي أَسْمَاءِ الله تَعَالَى (الْقَدِيمَ)، وَلَيْسَ هُوَ مِنْ أَسْمَاءِ الله تعالى الْحُسْنَى، فَإِنَّ (الْقَدِيمَ) فِي لُغَةِ الْعَرَبِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرءانُ: هُوَ الْمُتَقَدِّمُ عَلَى غَيْرِهِ، فَيُقَالُ: هَذَا قَدِيمٌ، لِلْعَتِيقِ، وَهَذَا حَدِيثٌ، لِلْجَدِيدِ. وَلَمْ يُسْتَعْمَلْ هَذَا الِاسْمَ إِلَّا فِي الْمُتَقَدِّمِ عَلَى غَيْرِهِ». وقال[2]: «وَأَمَّا إِدْخَالُ (الْقَدِيمِ) فِي أَسْمَاءِ الله تَعَالَى فَهُوَ مَشْهُورٌ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْكَلَامِ. وَقَدْ أَنْكَرَ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، مِنْهُمُ ابْنُ حَزْمٍ» اهـ.**

**ومثله قال المجسم خالد المصلح[3]، والمجسم صالح آل الشيخ[4]، والمجسم صالح الفوزان[5]، والمجسم عبد العزيز الراجحي[6]، والمجسم ابن جبرين[7]،**

---

(١) اتحاف السادة المتقين (٢/ ١١٣).
(٢) المصدر السابق من مؤلف ابن أبي العزّ، (ص/ ١١٤).
(٣) المصدر السابق، (٢/ ٨).
(٤) المصدر السابق، (ص/ ٣١، ٣٥، ٤٣).
(٥) المصدر السابق، (ص/ ٨).
(٦) المصدر السابق، (ص/ ١٨ - ٩٤).
(٧) المصدر السابق، (ص/ ٩-١٥٤-١٥٥-١٥٦-١٥٧-١٨٥).

والمجسم سفر الحوالي[١]، والمجسم عبد الرحمن البراك[٢]، والمجسم ابن باز[٣]، والمجسم الألباني في كتابه «تعليق على الطحاوية»[٤].

الرد: وقول ابن أبي العز المجسم هذا دليل عريض على جهله وجهل أتباعه وأسياده في هذا لما أجمعت عليه الأمة فإن جهلوا ما هو مجمع عليه وما أثبت معناه القرءان والحديث فكيف يؤخذ منهم بعد ذلك العلم وقد قال الحافظ النووي لا يستفتى غير الثقة العارف وهؤلاء ليسوا ثقاتًا وليسوا عارفين بأمور الدين والعقيدة والإجماع واللغة العربية ومعلومٌ بما لا خفاء فيه أن الإجماع مصدرٌ من مصادر التشريع الإسلامي والإجماع يقوم مقام النص القرءاني أو الحديثي فتبيّن في هذا أن ابن أبي العز ليس سلفيًا عقيدةً كما انه ليس سلفيًا زمانًا بما لا شك فيه وأنه يتستر بالمذهب الحنفي ليروج بضاعته الكاسدة ويكفيه فضيحةً أن خاتمة اللغويين والحفاظ الفقيه الحنفي محمد مرتضى الزبيدي نقل الإجماع على جواز إطلاق القديم على الله فكيف يكون ابن أبي العز حنفيًا بعد هذا فيا لفضيحته فالرجل ليس سلفيًا وليس حنفيًا ونذكر الآن ما قاله شيخ الإسلام والمسلمين الإمام علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري إمام أهل السنة والجماعة رضي الله عنه وأرضاه (فأما وصفه بأنه قديمٌ فهو أيضًا إجماع الأمة) ثم قال بعد كلامٍ وهو معنى الوصف له بأنه أزلي وذلك أيضًا مما لا خلاف فيه بين الأمة وإنْ لم يرد بلفظه نص كتابٍ ولا سنة. نقله عنه تلميذ تلميذه الحافظ أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك في كتابه «مجرّد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري»[٥].

وقال الإمام الحافظ المجدد المجتهد الشيخ عبد الله بن محمد الهرري المعروف

---

(١) المصدر السابق، (ص/ ١٣٣-١٧٣-١٧٦-١٨٢-١٨٣-١٨٤-١٨٥-٢٠٥-٢١١).

(٢) المصدر السابق، (ص/ ٤٠).

(٣) المصدر السابق، (ص/ ٤).

(٤) تعليق على الطحاوية (١/ ٣٣).

(٥) مجرّد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري (ص/ ٤٢)، طبعة دار المشرق.

بالحبشي في كتابه «بغية الطالب بمعرفة العلم الديني الواجب الجزء الأول»[1].

ومعنى «الأول» الذي لا ابتداء لوجوده فهو وحده الأوّل بهذا المعنى، وكل ما سوى الله كان معدوما ثم صار موجودا، وبمعناه القديم إذا أُطلق على الله لأنّ قِدم الله ذاتي وليس زمنيًا، وقد ورد في تعداد أسماء الله الحسنى القديم وإن لم يثبت إسناده لكن أجمعت الأمة على جواز إطلاق القديم على الله. ذكره الحافظ الزبيدي في شرح إحياء علوم الدين[2]. ويدل على ذلك أيضًا ما ورد من أنه ﷺ كان يقول إذا أراد دخول المسجد: «أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم» رواه أبو داود والحديث إسناده حسن. فإذا ثبت جواز إطلاق القديم على سلطان الله تعالى جاز إطلاقه على الذات اهـ.وقال الإمام الحافظ الفقيه البيهقي في «كتاب الإعتقاد»[3] القديم هو الموجود لم يزل.

## فائدة مهمة في الموضوع

يجب لله تعالى القِدم بمعنى الأزلية لا بمعنى تقادم العهد والزمن لأن لفظ القديم والأزلي إذا أطلقا على الله كان المعنى أنه لا بداية لوجوده، فيقال الله أزلي؛ الله قديم، وإذا أطلقا على المخلوق كانا بمعنى تقادم العهد والزمن قال الله تعالى في القمر ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾[4]. وقال صاحب القاموس[5] «الهرمان بناءان أزليان بمصر».

وأما الدليل النقلي على أن الله قديم أي أزلي فآيات منها قوله تعالى: ﴿هُوَ

(١) بغية الطالب بمعرفة العلم الديني الواجب (١/ ٣٧)، طبعة دار المشاريع الطبعة الثامنة.

(٢) ذكره في شرح «قديم لا أول له» في المجلد الثاني من إتحاف السادة المتقين (ص/ ٢١).

(٣) كتاب الاعتقاد (ص/ ٣٩).

(٤) سورة يس/ ءاية ٣٩.

(٥) القاموس المحيط (ص/ ١٥٠٩).

﴿ٱلْأَوَّلُ﴾[1]، وأما قوله تعالى في القمر ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ فالعرجون[2] هو عزق النخل وهو شيء في أعلى النخل إذا مضى عليه زمان ييبس فيتقوَّس، فالقمر في آخره يصير بهيئة ذلك فهنا القديم جاء بمعنى الشيء الذي مضى عليه زمان طويل.

أما برهان قدمه تعالى فهو أنه لو لم يكن قديما لزم حدوثه فيفتقر إلى محدث فيلزم الدور أو التسلسل وكل منهما محالٌ لكن حدوثه تعالى محال قطعا فثبت قدمه تعالى.

**٩- يقول المجسم ابن أبي العز الحنفي[3]: «والله تَعَالَى لاَ يَعْلَمُ كَيْفَ هُوَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى» اهـ.**

**ومثله قال المجسم ابن جبرين[4]، والمجسم سفر الحوالي[5].**

**الرد:** بقول ابن أبي العز عن الله لا يعلم كيف هو إلا هو ومن سبقه من أئمة التجسيم ومن لحقه من جماعة التشبيه تكذيب لقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، فلو كان كيفًا لكان كاذبًا في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وحاشاه سبحانه فهو الذي قال: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾[6] وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾[7] وقال جلَّ جلاله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾[8] فالله أصدق الصادقين وأصدق القائلين، وفي نسبة ابن أبي العز الكيفية لله نسبة الجهل إلى الله لأنه سبحانه نزه نفسه عن ذلك وهم يصفونه بما نزه نفسه عنه ونسبة الجهل للأنبياء

---

(١) سورة الحديد/ ءاية ٣.

(٢) القاموس المحيط (ص/ ١٥٦٨).

(٣) مؤلف ابن أبي العز (ص/ ١١٧).

(٤) المصدر السابق، (ص/ ١٧١).

(٥) المصدر السابق، (ص/ ١٨٦).

(٦) سورة آل عمران/ ءاية ٩٥.

(٧) سورة النساء/ ءاية ٨٧.

(٨) سورة النساء/ ءاية ١٢٢.

ولكل علماء المسلمين المعتبرين حيث لم يثبت عن إمام معتبر نسبة الكيفية إلى الله بل إجماعهم على نفي ذلك كما سنذكر لك وتراه بعينك بدءًا من الصحابة وأئمة السلف ومن بعدهم من أئمة وعلماء الخلف فكن على حذر مما تنسبه المجسمة قديمًا وحديثًا من الكيفية إلى الله سبحانه تقدس وتنزه عن ذلك.

ويكفي ابن تيمية مناقضة أنه يذكر في غير موضع أننا لا نصف الله تعالى إلا بما وصف به نفسه، ويقول في الموافقة: «وأين في القرءان امتناع حوادث لا أول لها» اهـ.

نقول: فأين في الكتاب والسنة ذكر جواز حوادث لا أول لها، وهذه عقيدة فاسدة مصادمة لعقيدة الإسلام يبرأ منها المسلمون.

قال الحافظ اللغوي محمد مرتضى الزبيدي في شرح الإحياء ممزوجًا بالمتن ما نصه[1]: «(وافتقر محدثهم إلى محدث ويتسلسل ذلك إلى غير نهاية وما تسلسل) لا إلى نهاية (لم يتحصل) أي إن تسلسل هكذا لزم عدم حصول حادث منها أصلًا لما سبق أن المحال وهو وجود حوادث لا أول لها يستلزم استحالة وجود الحادث الحاضر، وأيضًا فإن التسلسل يؤدي إلى فراغ ما لا نهاية له وذلك لا يعقل، وإن كان الأمر ينتهي إلى عدد متناهي فيلزم الدور وهو محال أيضًا لأنه يلزم منه تقدم الشئ على نفسه وتأخره عنها، فإذا كان الحدوث يؤدي إلى الدور أو التسلسل المحالين لزم أن يكون محالًا» اهـ.

وقال ملا علي القاري في شرح الفقه الأكبر ما نصه[2]: «ثم اعلم أن المراد بأهل القبلة الذين اتفقوا على ما هو من ضروريات الدين، كحدوث العالم وحشر الأجساد وعلم الله بالكليات والجزئيات وما أشبه ذلك من المسائل، فمن واظب طول عمره على الطاعات والعبادات مع اعتقاد قدم العالم، أو نفي الشر، أو نفي علمه سبحانه بالجزئيات لا يكون من أهل القبلة» اهـ.

---

(١) إتحاف السادة المتقين (٢/ ٩٦)

(٢) شرح الفقه الأكبر (ص/ ١٥٤ - ١٥٥).

فائدة: فإذا تقرر هذا فتفهمون يرحمكم الله بتوفيقه ما يأتي من البرهان العقلي على حدوث العالم وهو ما سوى الله، وتقريره أن يقال: إن الجسم لا يخلو من الحركة والسكون وهما حادثان لأنه بحدوث أحدهما ينعدم الآخر، فما لا يخلو من الحادث حادث، فالأجسام حادثة، وفي هذا البرهان ثلاث قضايا:

الأولى: أن الأجسام لا تخلو من الحركة والسكون وهي ظاهرة مدركة بالبديهة فلا تحتاج إلى تأمل، فإن من عقل جسمًا لا ساكنًا ولا متحركًا كان عن نهج العقل ناكبًا وللواقع مكابرًا.

الثانية: قولنا: «إنهما حادثان» يدل على ذلك تعاقبهما وذلك مشاهد في جميع الأجسام وما لم يشاهَد، فما من ساكن إلا والعقل قاض بجواز حركته، وما من متحرك إلا والعقل قاضٍ بجواز سكونه، فالطارئ منهما حادث بطريانه، والسابق حادث لعدمه لأنه لو ثبت قِدَمُهُ لاستحال عدمه.

الثالثة: قولنا: «ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث» لأنه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا أول لها، وما لا أول له من الحوادث لا تنتهي النوبة إلى وجود الحادث الحاضر في الحال، وانقضاء ما لا نهاية له محال لأنك إذا لاحظت الحادث الحاضر ثم انتقلت إلى ما قبله وهلمَّ جرًّا على الترتيب لم تفض إلى نهاية، ودخول ما لا نهاية له من الحوادث في الوجود محال، وإن لم يمكن عدم إفضائك إلى نهاية لكان لتلك الحوادث أوّل وهو خلاف المفروض.

وعندنا دليل عقلي بعبارة أخرى فنقول: لو كان أفراد العالم التي دخلت في الوجود لا نهاية لها لكان لا يخلو عددها عن أن يكون زوجًا وفردًا معًا، أو لا زوجًا ولا فردًا، ومحال أن يكون زوجًا وفردًا جميعًا ولا زوجًا ولا فردًا فإن في ذلك جمعًا بين النفي والإثبات وهما ضدان، إذ في إثبات أحدهما نفي للآخر، وفي نفي أحدهما إثبات للآخر، ومحال أن يكون زوجًا فقط لأن الزوج يكون فردًا بزيادة واحد يُعْوِزُ ما لا نهاية له واحدٌ، ومحال أن يكون فردًا فقط لأن الفرد يكون زوجًا بزيادة واحد عليه فكيف يُعْوِزُ واحدٌ ما لا نهاية له، فحصل من هذا أن العالم لا

يخلو من الحوادث فهو إذًا حادث، وإلا لزم استحالة وجود الحادث الحاضر لأنه لازم وجود حوادث لا أول لها، لكن الحادث الحاضر ثابت فانتفى ملزومه وهو وجود حوادث لا أول لها، فلانتفاء وجود حوادث لا أول لها انتفى ملزومه وهو كون ما لا يخلو من الحوادث قديمًا، فثبت نقيضه وهو: «ما لا يخلو من الحوادث حادث»، فتبيّن وجوب انتهاء الحوادث التي دخلت في الوجود إلى أول.

وبهذا الدليل يبطل قول بعض الملحدين بتسلسل الوالدية والولدية في جانب الماضي إلى غير نهاية، ويقال في البذر والزرع ونحو ذلك مثل ذلك، ويقال في إبطال قولهم: «ما من نطفة إلا من إنسان وما من إنسان إلا من نطفة وهكذا إلى غير بداية»، وقولهم: «ما من زرع إلا من بذر وما من بذر إلا من زرع وهكذا إلى غير بداية في جانب الماضي» يلزم منه ذلك المحال وما أدى إلى المحال محال.

وبيان القضية الثالثة بوجه ءاخر أن نقول: لو وجدت حوادث لا أول لها للزم أن يوجد عددان متغايران وليس أحدهما من الآخر ولا مساويًا له، لأنا لو نظرنا عدد الحوادث من الطوفان مثلًا إلى الأزل مع عددها من الآن مثلًا إلى الأزل لكانا عددين متغايرين قطعًا، ويستحيل بينهما المساواة لتحقق الزيادة في أحدهما، والشىء دون زيادة لا يكون مساويًا لنفسه بزيادة، ويستحيل أن يكون أحدهما أكثر من الآخر لعدم تناهي أفراد كل واحد منهما فلا يفرغ أحدهما قبل الآخر بالعدّ، وحقيقة الأقل ما يصير عند العد فانيًا قبل الآخر والأكثر ما يقابله. ونحن لو فرضنا الآن شخصين يَعُدُّ أحدهما الحوادث من الطُّوفان إلى الأزل والآخر يعدها من الآن إلى الأزل لاستحال على مذهب الفلاسفة ارسطو وابن سينا أن يفنى أحد العددين بالعد قبل الآخر، فيمتنع أن يكون أحدهما أكثر من الآخر، فقد اتضح لك انه يلزم على وجود حوادث لا أول لها أن يوجد عددان ليس بينهما مساواة ولا مفاضلة وذلك بطريق التطبيق وهو جعل الشىء على شىء، فالمطَّبق في هذا المثال ما فُرِضَ من عدد الحوادث من الآن إلى الأزل وهو في الحقيقة عين المطبَّق لكن بعد زيادة ما من الطوفان إلى الآن.

وهناك دليل ءاخر وهو أن نقول: لو وجدت حوادث لا أول لها للزم إما أسبقية الأزلي على الأزلي، أو صيرورة ما يتناهى لا يتناهى بزيادة واحد، لكن صيرورة ما يتناهى لا يتناهى باطل، فبطل وجود حوادث لا أول لها» اهـ.

وقال الشيخ العلامة الهرري في كتابه الدليل القويم على الصراط المستقيم ما نصه: «اعلم أن القول بإستناد وجود حادث إلى وجود حادث قبله إلى غير نهاية أي ما من حادث إلا وقبله حادث إلى غير نهاية يؤدي إلى المحالِ وهو فراغُ ما لا نهاية له وذلك لا يقبله العقل ويسمى بالتسلسل فوجب استناد وجود المُحْدَثات جميعها إلى موجدٍ أوَّلٍ قديم وكما استحال تسلسل المحدثات إلى غير نهاية لما بَيَّنَّا استحال استناد حدوثها إلى توقُّف وجود حادث على وجود حادث يتوقف وجوده عليه لأنه يلزم عليه تقدم الشيء على نفسه وتأخره عنها فإذا كان حدوث المُحدث يؤدي إلى الدّور أو التسلسل المحالين لزم أن يكون محالًا فمن هنا تلخَّص لنا برهانٌ شكله هكذا: تتابع المحدثات إلى غير نهاية إلى جهة الماضي يؤدي إلى عدم وجود حادثٍ ما لكن وجود الحوادث ثابت ضرورة أي قطعًا بالحِسِّ والعقل فيجب أن ينتهي حصولها في الوجود إلى موجدٍ واحِدٍ لا أول له وذلك المُسمّى الله. فإن قيل سلّمنا وجود محدثٍ للعالم قديمٍ أزلي لكن من أين لكم العلم بأنه يسمى الله فالجواب أن الأنبياء أفادونا ذلك، والبرهان العقلي يُحتّم تصديقهم حيث انهم أتوا بما هو خارق للعادة لا يستطيع المعارضون لهم الاتيان بمثله وقد ثبت ذلك بطريق التواتر لا كالأخبار الخرافية كما سيأتي بيان ذلك في بحث المعجزة عند ذكر إثبات النبوة. وإن شئت قلت: العالم يتغير من حال إلى حال والتَّغَيُّرُ لا يكون إلا بِمُغَيِّرٍ لا يتغيَّر فدل تغيره على وجود مُغيِّرٍ له غالبٍ والتغيُّرُ مشاهد في الإنسان وسائر الحيوانات والمعادن والنبات والأرض فإن حالها في الصيف غير حالها في الشتاء بحرارة الملمس وبرودته واليبوسة والرطوبة ولنوضح ذلك بشكلٍ تقريره هكذا: كل موجود من العالم كانت حقيقته قابلة للتغير والعدم باعتبار ذاته فإنه يكون نسبة حقيقته إلى الوجود والى العدم على السواء وكل ما كان كذلك لم يكن وجوده راجِحًا على عدمه

إلاّ بِمُرجِّحٍ وهو لا بُدَّ أن يكون موجودًا واجب الوجود أي أزليًا أبديًا لأنه لو كان ممكنًا يقبل العدم والوجود لزم الدور أو التسلسل المحالان الباطلان فثبت وتعيَّن الانتهاء إلى مرَجِّحٍ واجبٍ غالبٍ لذاتِهِ ولنا أن نقرر هذا الدليل هكذا: لاشكَّ في تغيُّرِ العالم وحدوث أحواله وكلُّ حادثٍ ممكنٌ وإلاّ لم يصح وجوده وعدمه فله مُؤَثِّرٌ وذلك المؤثِّرُ يكونُ لا محالةَ واجبًا غالبًا لا غير لاستحالة الدور والتسلسل. ولنزد هذا الموضوع الذي هو من اهمّ المواضيع في علم التوحيد وضوحًا بتقرير موجز مأخوذ من كلام الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه بأن نقول: لا يَصلح عقلًا وجود العالم بدون موجدٍ مُكَوِّنٍ كما يُحِيل العقل وجود سفينة مشحونةٍ بالأحمال احتوشتها في لُجة البحر أمواجٌ مُتلاطِمةٌ ورياحٌ مُختلِفةٌ تجري مستوية بطبعها بغيرِ مُدبِّرٍ ذي اقتدار يُجريها مستوِيَةً فمن باب الأولى استحالةُ وجود هذا العالم على اختلاف أجناسه وأنواعه لطيفِهِ وكثيفِهِ بانتظامٍ مُحكمٍ مُتقَنٍ من غير صانع مُكَوِّنٍ له حافظ له عن الاختلال وذلك لأن أمر السفينة يسيرٌ بالنسبة لجملة العالم بما فيه من الجماد الفاني وغير الفاني والأجسام الحيّة من ذوي العقل والعلم والبهائم وأنواع الحشرات فيقطع العقل بأن وجود العالم بانتظام لا يكون من تأثير طبع أو علّة كما زعم الطبيعيون أن الطبائع هي العلل المؤثِّرة متمسكين بأنه يكون من اجتماع الماء والأرض والنبات ولا بُدَّ فيه من هواء يتخلل بين أجزائه ومن حرارة طابخة قلنا لِم لا يجوز أن يكون وجود النبات عند ذلك لا به وكذلك قولهم بتولد الدود من الماء المُتعفن أي أن التعفن خلق الدودَ يُقال ما المانع من أن يكون وجود الدود بخلق الله عند وجود التعفن لا به.

قال الجويني ما نصه[1]: «والذي يحقق ذلك أوجه أقربها ما ذكره شيخنا رضي الله عنه وذلك أنه قال: من نفى الأولية عن الحوادث وزعم أنها لم تزل متعاقبة آحادا ثم تقدر الفراغ منها وتحقق تصرمها فقد جحد الضرورة وبديهة

---

(١) الشامل في أصول الدين (ص/ ٢١٥-٢١٩). الجويني هو إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله ابن يوسف.

العقل وذلك أن ما لا نهاية له لا عدد يحصره ولا مبلغ يضبطه، ويستحيل بضرورة العقل قطعا أن تمضي الآحاد على أثر الآحاد تواليًا وتعاقبًا ثم يفضي ذلك إلى انقضاء ما لا نهاية له فهذا معلوم بطلانه مدرَك فساده بديهةً. وأقرب الأمور فيه أن الجمع بين نفي النهاية والمصير إلى التناهي تناقض لا ينكره لبيب. فإذا وضح ذلك قلنا للدهرية: من قضية أصلكم أنه انقضى قبل الدورة التي في وقتنا هذا دورات لا نهاية لها فإذا انقضت فقد انتهت، وكيف ينتهي ما لا يتناهى واحدا واحدا. وهذا ما لا يستريب فيه منصف.

وربما عبّر شيخنا عن ذلك فقال: شرط كل حادث على أصول الدهرية أن ينقضي قبله آحاد ما لا نهاية له. ومآلُ ذلك في التحقيق يرجع إلى أنه لا يحدث حادث إلا بعد أن ينقضي ما لا ينقضي. ومن ذلك قال أهل الحق: إن في تقدير حوادث لا نهاية لها نفيا لجملة الحوادث، فإنها لو ثبتت لكان كل واحدٍ مشروطا بمحالٍ وهو إنقضاء ما لا ينقضي قبله، وكل ما عُلق ثبوته بمحال كان محالا وهذه الطريقة مغنية في إثبات ما نرومه.

ثم سلك أئمتنا طرقا في الحجاج منها أن قالوا: من أثبت الحوادث ونفى الأولية فيقسم عليه القول، ويقال له: نفي الأولية لا يخلو إما أن يرجع إلى موجود واحدٍ، وإما أن يرجع إلى موجوداتٍ، فإن رجع ذلك إلى موجودٍ واحدٍ أثبتوه في الأزل ونفوا أوليته فقد أثبتوا قديما لا أول له، وأثبتوا حوادث متناهية لها أول واستبان أن الذي نُفي عنه الأولية ليس من الحوادث بل هو متصف بالقدم في نفسه، وما هو من الحوادث فالنهاية والبداية لازمتان له. وإن زعم الخصم أن نفي الأولية يرجع إلى موجودات ولا يتخصص بموجودٍ واحدٍ كان ذلك واضح البطلان فإن كل حادثٍ له أول. فينبغي أن يُصرَف نفي الأولية إلى ذات أزلي، وإثبات حادث أزلي تناقض لا خفاء به.

ومما تمسك به الأئمة أن قالوا: حقيقة الحادث الموجود الذي له أول. فإذا كان هذا حقيقة الحادث الواحد، فحقيقة الحوادث هي التي لها أول إذ الحقائق لا

تختلف بانضمام آحاد إلى أفراد. والذي يقرر ذلك أن الجوهر الواحد إذا كان من حقيقته التحيز فالجواهر متحيزة إذًا ثبت كون الجوهر الواحد متحيّزا.

وقد التزم بعض الأغبياء على ذلك سؤالا فقال: قد يثبت لحالة الاجتماع من الحكم ما لا يثبت في الإنفراد، فإن الواحد لو أخبر عما شاهده لم يقتض إخبارُهُ العلم بالمخبَر، ولو أخبر عدد التواتر عما شاهدوه تضمن إخبارهم العلم بالمخبر فرقًا بين الأفراد والإجتماع، وهذا خلف من الكلام مرذول، وذلك أن الذي تمسّكنا به مرتبط بالحقائق، والذي ألزمه السائل ليس من قبيل الحقائق، وذلك أن إخبار أهل التواتر ليس يوجب العلم بحقيقته [ولا هو][1] راجع إلى أجناس المخبرين أو إلى أجناس أخبارهم، ولكنه منوط بإطراد العادة، ويجوز في المعقول تقدير انخراق العادة في إخبار أهل التواتر حتى لا يُعلم المخبَر، وإذا سبق المنقضي الإنقضاء وجب متأخر عنه، وإذا تأخر عنه كان له أول منه ابتدأ، والمنقضي الذي سبقه له أول أيضًا لأنه قبل الإنقضاء والانقضاء يعقُبه، وإذا تقدّم الإنقضاءَ منقضٍ وجب أن يكون لهما أولان، وهذا موجب تناهيهما، فوِزانه وزان الحركة، فإنها أبدًا مسبوقة بأنها تفريغ جهة وإشغال أخرى، والتفريغ لا بد أن يُسبق بإشغال، فهي أبدا مسبوقة، وهي أبدا لها أول، كذلك ها هنا في الإنقضاء المسبوق بمنقض عند إخبارهم، وكذلك يجوز تقدير اطراد العادة في أن نعلم صدق المخبِر الواحد إذا كان صادقا، فاستبان خروج ما ألزمه السائل عن غرضنا، بل الذي أردناه إيضاح حقيقة، والحقائق لا تختلف بالانفراد والاجتماع.

ومن أوضح ما نتمسك به أن نقول: إذا فرضنا الكلام في وقتنا هذا فقد انقضى قبله ما لا نهاية له، ولو فرضنا قولنا في الوقت المتقدم على وقتنا بأحقاب ودهور لقال الخصم فيه إنه انقضى قبله ما لا يتناهى، ولا يزال يقدم الوهم ويقدر الإنقضاء قبله، ويجرنا هذا الكلام إلى أحد أمرين كلاهما ينقضان أصول الدهرية أحدهما أن نقول ينتهي الوهم إلى وقت يقال فيه الآن ينصرم ما لا يتناهى حتى لا

(١) سقطت من الأصل واستدركناها ليستقيم المعنى

يتحقق هذا القول قبل ذلك الوقت، فإن ارتضى الخصم ذلك، كان باطلا بضرورة العقل، فإنا نعلم أن تقدير وقت قبيل ذلك الوقت المعين الذي فرضنا الكلام فيه كتقدير ذلك الوقت، وليس أحدهما أولى من الثاني، ثم كذلك القول في وقت قبله إلى غير أول، والذي يوضح ذلك أنا لو خصصنا ذلك بوقت معيّنٍ لزِم منه إذا نُفي قبل هذا الوقت حادث واحد فالذي قبله متناه وما كان متناهيا لا يصير بواحدٍ غير متناه وهذا معلوم ضرورة وبديهة. فاستبان بما قلناه بطلان قول من يقول: إنما نتنهي في تقديمنا أوهامنا إلى وقت يقال فيه: انقضى قبله ما لا يتناهى، ولا يسوغ تقديم الوهم على ذلك الوقت، فقد وضح بطلان ذلك.

وإن زعم الخصم أن لا نتنهي في الحكم بانقضاء الحوادث إلى أول لا يُتعدى ولا يتجاوز وأن حكم الانقضاء تحقق أزلًا من غير أول فإن قال ذلك اتضح تناقض قوله، فإن الذي يتحقق من غير أولية لا يُتصور أن يقع قبله شئ حتى يكون مسبوقًا به ويكون المتقدم عليه سابقًا له إذ ما لا أول له لا يُسبق، فكيف يُتحقق قبل الانقضاء المحكوم به في الأزل حوادث ثم انقضت، ولا تناقض يزيد على الحكم بإثبات حادث قبل الحكم فيه بانقضاء الأزلي، وهذا تصريح بتقديم الحادث على الأزلي وهذا باطل بضرورة العقل.

قال عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني: هذه الطريقة التي طردناها مقتضية متجلية مما أشار إليه المشايخ رضي الله عنهم فما تركوا مما مهدوه من قواعد العقائد مضطربًا للمتأخرين، ولكني لم أر هذه الدلالة على هذه الصيغة للمتقدمين، وهي مما ألهمني الله تعالى لتحريرها، ولو لم يكن في كتابنا هذا سواها لكان بالحري أن يُغتبط، فإن جملة المذاهب الدهرية تستند إلى إثبات حوادث لا أول لها، وفي إيضاح ذلك إفساد ذلك وتصريح بمنع عقائدهم بالنقض والرفض.

ولم نذكر هذه الكلمات متمدحين بل أوردناها لنميز بين هذه الطريقة وبين ما عداها ولا تجري جميع الأدلة مجرى واحدًا في الوضوح والخفاء. وقد ذكر الأئمة جملًا من الأمثلة في تحقق هذا الأصل نحو قول بعضهم إن المعلّق حدوثُه بتقدم

حدوث ما لا يتناهى عليه يستحيل ويفضي إلى منع تصور الحدوث وضربوا لذلك مثالًا فقالوا: إذا قال القائل لمن يخاطبه لا أعطيك درهمًا إلا أعطيك قبله دينارًا ولا أعطيك دينارًا إلا أعطيك قبله درهمًا فلا يصح منه إعطاء درهم ولا دينار على قصد شرطه. وهذا ونحوه يندرج تحت ما قدمناه من الطرق، فلم نستحب الإطناب في إيراد الأمثلة فإن شرطنا في كتابنا هذا التعرض للمقاصد من غير إخلال بها والإضراب عن التطويل بتكثير الأمثلة والعبارات، والله ولي التوفيق.

فإن قال من الملحدة قائل: إذا لم يبعد إثبات حوادث لا ءاخر لها لم يبعد إثبات حوادث لا أول لها. وهذا الذي ذكروه ساقط من أوجه أقربها أنه ادعاء مجرد، والكلام في حكم النظر لا يخلو إما أن يكون دليلًا وإما أن يكون قدحًا واعتراضًا، والذي ذكروه خارج من القسمين فإن ما قدمناه من الأدلة لا يقدح في شىء منها ما ذكروه والذي أبدوه لا يصلح أن يكون دليلًا، فإنه اقتصار على دعوى مجردة، ومعارضة لفظية من غير رعاية المعنى. وهذا القدر كاف في الانفصال، ولكنا نتعداه فنقول: حقيقة الحادث ما له أول، ففي نفي الأولية نفي حقيقة الحدوث، وليس حقيقة الحادث ما له ءاخر، فانفصل أحد الكلامين عن الآخر ووضح الفرق بينهما» اهـ.

## فائدة جليلة في إيضاح المثال السابق

قال أهل الحق في إبطال القول بحوادث لا أول لها وإثبات صحة حوادث متسلسلة إلى ما لا نهاية له في المستقبل عقلًا ما كفى وشفى، فمثلوا الأول بملتزم قال لا أعطي فلانًا في اليوم الفلاني درهمًا حتى أعطيه درهمًا قبله ولا أعطيه درهمًا قبله حتى أعطيه درهمًا قبله وهكذا لا إلى أول، فمن المعلوم ضرورة أن إعطاء الدرهم الموعود به في اليوم الفلاني محال لتوقفه على محال وهو فراغ ما لا نهاية له بالإعطاء شيئًا بعد شىء. ولا ريب أن ما ادَّعوه من حوادث لا أول لها مطابق لهذا المثال، فإن إعطاء الفاعل للفلك مثلًا الحركة في زماننا هذا وفي غيره من الأزمان

الماضية متوقف على إعطائه قبله من الحركات شيئًا بعد شيء مما لا نهاية له، فالحركة للفلك في الزمان المعين نظير الدرهم الموعود به في الزمن المخصوص والحركات التي لا تتناهى قبلها نظير الدراهم التي لا تتناهى قبل ذلك الدرهم فيكون وجود الحركة للفلك في هذا الزمان مثلًا مستحيلًا كما استحال وجود الدرهم الموعود به في الزمان المعين للشخص.

ومثال ما ادعيناه في نعيم الجنة كما قال الملتزم لا أعطي فلانًا درهمًا في زمن إلا وأعطيه درهمًا بعده وهكذا لا إلى ءاخر فهذا لا ريب لعاقل في جوازه عقلًا إذ حاصله التزام الملتزم عدم قطع العطاء بعد ابتدائه، فهذا المثال لا تخفى مطابقته لما ادعيناه في نعيم الجنة للمؤمنين ولما ندعيه في عذاب جهنم للفلاسفة القائلين بقِدم العالم وأضرابهم من الطبائعيين وسائر الكافرين فإن هذا لا يلزم منه محذور فإن المستقبل يسع ذلك بأن توجد فيه الحوادث شيئًا بعد شيء أبدًا فذلك معقول.

وبما قررنا ثبت قطعًا صحة قولنا في الاستدلال على حدوث الأعيان، فالأعيان ملازمة للأعراض الحادثة وكل ملازم للحادث فهو حادث، وثبت احتياجها إلى محدِث أخرجها من العدم إلى الوجود وهو الله تبارك وتعالى» اهـ.

**١٢ - يقول المجسم ابن أبي العز[١]: «وَقَدْ ذَكَرُوا فُرُوقًا بَيْنَ النَّبِيِّ وَالرَّسُولِ، وَأَحْسَنُهَا. أَنَّ مَنْ نَبَّأَهُ الله بِخَبَرِ السَّمَاءِ، إِنْ أَمَرَهُ أَنْ يُبَلِّغَ غَيْرَهُ، فَهُوَ نَبِيٌّ رَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ يَأْمُرْهُ أَنْ يُبَلِّغَ غَيْرَهُ، فَهُوَ نَبِيٌّ وَلَيْسَ بِرَسُولٍ» اهـ.**

**ومثله قال المجسم ابن جبرين[٢].**

**الرد:** وفي هذه المسألة خلط ابن أبي العز وخبط خبط عشواء فجانب الصواب وخالف الحق فكيف يكون النبي ليس مأمورًا بالتبليغ هل نبئ على زعم ابن أبي العز لنفسه أو ليقعد في البيت أم نبئ ليبلغ الناس ما أمره الله تعالى أن يبلغه وسنذكر في هذه المسألة قول المحققين من علماء أهل السنة والجماعة فينبغي

---

(١) المصدر السابق من مؤلف ابن أبي العز (ص/ ١٥٥).

(٢) المصدر السابق، (١/ ٣٠٢).

لمريد الحق وطالب الآخرة أن يتمسك بالقول الصحيح المعتمد الموافق للنصوص والإجماع وأن لا يلتفت إلى ما خالف ذلك ولو كان من ألف شخص فالحق أحق أن يتبع.

ليعلم أنّ العلماء اختلفوا في الفرق بين النبيّ والرسول إلا أنهم قد اتفقوا جميعًا على أنّ كلًّا من النبيّ والرسول قد أمر بتبليغ ما يوحي إليه ربّه، قال الله تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ ﴾[1] الآية، فالله تعالى قال ﴿ أَرۡسَلۡنَا ﴾، ثم جمع بين النبي والرسول في الآية ﴿ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ فأطلق الإرسال على النبي والرسول ويكفي هذا دليلًا على أن النبي مأمور بالتبليغ وعلى بطلان قول من يقول إن النبي ليس مأمورًا بالتبليغ. ثم لا معنى للإرسال بدون الأمر بالتبليغ، فالرسول والنبي كلاهما مأمور بالتبليغ إنما الفرق بينهما بما سوى ذلك كالذي ذكره الإمام عبد القاهر بن طاهر التميمي الذي قال فيه ابن حجر الهيتمي: «الإمام الكبير إمام أصحابنا»، وهذا الذي كان عليه المتقدمون فلا عبرة بالرأي الذي ذكره بعض المتأخرين المخالف للنص ولما قاله المتقدمون.

ومما يدل أيضًا على ذلك قولُ الله تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ ﴾[2] الآية، أليس هذا الإرسال المذكور في هذه الآية هو إرسال تبليغ ودعوة إلى عبادة الله سبحانه وتعالى، وكيف يوفق بين هذه الآية وبين قولهم: «إن النبي أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه»؟ (لا توفيق بينهما) والله تعالى قال ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾[3]، وقال تعالى ﴿ وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ ۞٦ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۞٧ ﴾[4].

قال المفسر ناصر الدين البيضاوي في تفسيره[5] ما نصه: «الرسول من بعثه الله

(١) سورة الحج/ ءاية ٥٢.
(٢) سورة الأعراف/ ءاية ٩٤.
(٣) سورة سبإ/ ءاية ٣٤.
(٤) سورة الزخرف/ ءاية ٦ - ٧.
(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ٥٧).

بشريعة مجدّدَة يدعو الناس إليها، والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم السلام» اهـ.

وقال العلامة كمال الدين البياضي الحنفي في «إشارات المرام»[1] ما نصه: «فالنبي إنسان بعثه الله لتبليغ ما أوحي إليه، وكذا الرسول، فهو المراد هنا، ولذا اقتصر على الأنبياء» اهـ، وقال في موضع ءاخر من كتابه المذكور[2]: «الثالثة: أن الرسول من جاء بشرع مبتدإٍ، والنبي من لم يأت به وإن أمر بالإبلاغ كما في شرح التأويلات الماتريدية»، إلى أن قال: «واختاره المحققون وصرّح به البيضاوي في سورة الحج» اهـ.

وقال الحافظ أحمد الغماري[3] ما نصه: «الفرق بين النبي والرسول دقيق وقد خفي على كثير من الناس، والمشهور في كتب المتكلمين في الفرق بينهما أن الرسول إنسان أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، والنبي إنسان أوحي إليه بشرع فلم يؤمر بتبليغه، وهذا كلام جاهل بالسنة والأخبار بل وبصريح القرءان، فإن قول الله تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾[4] صريح في إرسالهما حقًا، وكذلك قول النبي ﷺ: «**وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة**»[5]، والأخبار والأحاديث التي فيها فأوحى الله إلى نبي من أنبيائه أن قل لفلان العابد أو للملك الفلاني أو للقرية الفلانية لا تكاد تنحصر وهذا هو الإرسال، والذي عندنا أن الرسول يفارق النبي في ثلاثة أمور». ثم قال: «الثالثة: أن الرسول يبعث بشريعة مستقلة والنبي يبعث بتقرير شريعة من قبله» اهـ.

---

(١) إشارات المرام من عبارات الإمام (ص/ ٣١١).
(٢) المرجع السابق (ص/ ٣٣٣).
(٣) جؤنة العطار (ص/ ٤٠ - ٤١).
(٤) سورة الحج/ ءاية ٥٢.
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الصلاة: باب قول النبي ﷺ: «**جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**».

قال المناوي في مقدمة فيض القدير[1] ما نصه: «والرسول والنبي طال فيما بينهما من النسبة الكلام، والمحققون كما قال ابن الهمام كالعضد والتفتازاني والشريف الجرجاني على ترادفهما لا فارق إلا الكتاب»، ثم قال: «وقال في المقاصد: النبي إنسان بعثه الله لتبليغ ما أوحي إليه، قال وكذا الرسول، قال الكمال بن أبي شريف: هذا ينبئ عن اختياره للقول بترادفهما.

وفي شرح العقائد للنسفي بعد ما ذكر أنه لا يقتصر على عدد في تسمية الأنبياء ما نصه: وكلهم كانوا مبلغين عن الله تعالى لأن هذا معنى النبوة والرسالة، قال الكمال بن أبي شريف: هذا مبني على أن الرسول والنبي بمعنى واحد. وقال الإمام الرازي في تفسيره: ولا معنى للنبوة والرسالة إلا أن يشهد على الله أنه شرع هذا الحكم، وفي المواقف وشرحه في السمعيات: النبي من قال له الله تعالى أرسلتك إلى قوم كذا أو إلى الناس جميعًا أو بلغهم عني أو نحوه، ولا يشترط في الإرسال شرط.

وفيه في شرح الديباجة: الرسول نبي معه كتاب، والنبي غير الرسول من لا كتاب معه بل أمر بمتابعة شرع من قبله كيوشع. قال المولى خسرو: تبع -يعني الشريف- صاحب الكشاف في تفسير الرسول، واعتراضه بأنه لا يوافق المنقول في عدد الرسل والكتب إذ الكتب نحو مائة والرسل أكثر من ثلاثمائة مدفوع بأن مراده بمن معه كتاب أن يكون مأمورًا بالدعوة إلى شريعة كتاب سواء أنزل على نفسه أو على نبي ءاخر. قال: والأقرب أن الرسول من أنزل عليه كتاب أو أمر بحكم لم يكن قبله وإن لم ينزل عليه كتاب، والنبي أعم لما في ذلك من النقص عما أورد على الأول من أنه يلزم عليه أن يكون من بعث بدون كتاب ولا متابعة من قبله خارجًا عن النبي والرسول معًا، اللهم إلا أن يقال إنه لا وجود لمثله. انتهى.

وقال الشيباني في شرح الفقه الأكبر: «الرسول من بعث بشرع مجدد، والنبي يعمه ومن بعث بتقرير شرع سابق كأنبياء بني إسرائيل الذين بين موسى وعيسى، ومن ثم شبَّه النبي ﷺ علماء أمته بهم». ثم قال: «وقال الصفوي: اختار بعض

---

(١) فيض القدير (١/ ١٥ - ١٦).

المحققين أن الرسول نبي أتاه المَلَك وقيل جبريل بوحي لا نوم ولا إلهام، والنبي أعم، واعترض بعدم شموله لما لم يكن بواسطة كما هو ظاهر المنقول في موسى قبل نزول الملك عليه ورفعه بأنه يصدق عليه أنه أتاه في وقت لا ينجع إذ يلزم أن يكون النبي قبل البعثة رسولا حقيقة ولا قائل به.

وقد أفاد ما قرره المحققان التفتازاني والجرجاني أن مجرد الإيحاء لا يقتضي النبوة، إنما المقتضي لها إيحاء بشرع وتكليف خاص، فخرج من بعث لتكميل نفسه كزيد بن نفيل، ومن ثم قيل ونعم ما قيل: يعتقد كثير أن النبوة مجرد الوحي وهو باطل وإلا لزم نبوة نحو مريم وءاسية، والتزامه شاذ.

وما أورد على التفتازاني من أن قوله: النبي من بعث لتبليغ ما أوحي إليه أنه لا يشمل المبعوث إليه لتبليغ ما أوحي لغيره كما في بني إسرائيل. أجيب بأنه مأمور بتبليغ ذلك وهو مما أوحي إليه، أو أن شرع غيره المشير إليه فيما أوحى إليه في الجملة.

ومن هذه النقول اللامعة والمباحث الجامعة عرف صحة عزو العلامة ابن الهمام القول بالترادف إلى المحققين وأن الإمام الشهاب ابن حجر قد انحرف هنا عن صوب الصواب حيث حكم على من زعم الاتحاد بالغلط، ونسب الكمال بن الهمام إلى الاسترواح في نقله والسقط، ثم قال: إن الذي في كلام أئمة الأصوليين خلاف الاتحاد، قال: رأي المحققين خلاف هؤلاء، فإن أراد أن محققي أئمة الأصوليين خلاف العضد والتفتازاني والجرجاني وأن هؤلاء ليسوا بمحقّقين فهذا شىء لا يقوله محصّل، وإن أرادهم فهذه نصوصهم قد تليت عليك، ولسنا ننازعه في أن المشهور بين الفقهاء ما ذكره الحليمي من التغاير وأن الفارق الأمر بالتبليغ إنما الملام في إقدامه على تغليط ذلك المحقق ونسبته إلى الغفول عن كلام المحققين من رأس القلم». انتهى كلام المناوي.

وقال الإمام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي في «أصول

الدين»[1] ما نصه: «والفرق بينهما -أي النبي والرسول- أن النبي من أتاه الوحي من الله عز وجل ونزل عليه الملك بالوحي، والرسول من يأتي بشرع على الابتداء أو ينسخ بعض أحكام شريعة قبله» اهـ.

وقال القونوي النسفي في القلائد شرح العقيدة الطحاوية[2] ما نصه: «والفرق بين النبي والرسول أن الرسول من بعثه الله تعالى إلى قوم وأنزل عليه كتابًا أو لم ينزل لكن أمره بحكم لم يكن ذلك الحكم في دين الرسول الذي كان قبله، والنبي من لم ينزل عليه كتابًا ولم يأمره بحكم جديد بل أمره بأن يدعو الناس إلى دين الرسول الذي كان قبله» اهـ.

قال الإمام أبو اليسر محمد البزودي المتوفى سنة ٤٩٣هـ في كتابه «أصول الدين»[3] «والنبي: من لم يرسل الله تعالى إليه جبريل وليس له شريعة ولكن الله تعالى ألهمه أن يدعو الناس إلى الإسلام، ويريه في المنام ذلك أو أخبره على لسان رسول أنه نبي يجب عليه دعوة الناس إلى الإسلام».

وقال الشيخ قاضي الجماعة محمد بن أبي الفضل السبكي الكوفي التونسي المتوفى سنة ٩١٦هـ في كتابه «تحرير المطالب[4] لما تضمنته عقيدة ابن الحاجب قال سعد الدين «النبوة هي كون الإنسان مبعوثًا من الحق إلى الخلق والنبي إنسان بعثه الله لتبليغ ما أوحى به إليه» ثم قال «وحاصل هذه الطريقة وهي طريقة المتأخرين من المشارقة أعني الأعجام أن النبي والرسول كلاهما مبعوث لتبليغ الوحي والرسول قد يخص بما ذكر لا بالأمر بتبليغ الوحي فإن ذلك مشترك بينه وبين النبي وهذه الطريقة يقويها قوله عز وجل ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[5].

---

(١) أصول الدين (ص/ ١٥٤).

(٢) القلائد شرح العقائد (ص/ ٨٣).

(٣) أصول الدين (ص/ ٢٢٩)، نشر المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة.

(٤) تحرير المطالب (ص/ ٢٠٣).

(٥) سورة البقرة/ ءاية ٢١٣.

ثم إن الأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر واجبٌ على كل من استطاع من أفراد المكلفين وذلك في حقّ الأنبياء أوْكد، فكيف يقال بعدَ هذا إن النبي لم يؤمر بتبليغ ما أنزل عليه.

فإذا علم جميع ذلك ظهر بطلان قول ابن أبي العز المتقدّم ولا يغترنّ أحد بوجوده في تفسير الجلالين ونسبته للسيوطي فإنّ الحق أحق أن يتبع وقد انجلى لذي عينين.

**١٣- يقول المجسم ابن أبي العز[(١)]: «وَتَاسِعُهَا: أَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا إِذَا شَاءَ وَمَتَى شَاءَ وَكَيْفَ شَاءَ، وَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِهِ بِصَوْتٍ يُسْمَعُ، وَأَنَّ نَوْعَ الْكَلَامِ قَدِيمٌ وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الصَّوْتُ الْمُعَيَّنُ قَدِيمًا، وَهَذَا الْمَأْثُورُ عَنْ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ». وقال[(٢)]: «وَإِلَى هَذَا أَشَارَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ الله بِقَوْلِهِ: (مِنْهُ بَدَا بِلاَ كَيْفِيَّةٍ قَوْلاً)، أَيْ: ظَهَرَ مِنْهُ وَلَا يُدْرى كَيْفِيَّةَ تَكَلُّمِهِ بِهِ» وقال[(٣)]: «وَقَدْ طَرَّدَ ذَلِكَ الِاتِّحَادِيَّةُ، فَقَالَ ابْنُ عَرَبِيٍّ: وَكُلُّ كَلَامٍ فِي الْوُجُودِ كَلَامُهُ... سَوَاءٌ عَلَيْنَا نَثْرُهُ وَنِظَامُهُ!». ثم قال[(٤)]: «لَكِنْ بَعْدَ ذَلِكَ تَنَازَعَ الْمُتَأَخِّرُونَ فِي أَنَّ كَلَامَ الله هَلْ هُوَ مَعْنًى وَاحِدٌ قَائِمٌ بِالذَّاتِ، أَوْ أَنَّهُ حُرُوفٌ وَأَصْوَاتٌ تَكَلَّمَ الله بِهَا بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مُتَكَلِّمًا، أَوْ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا إِذَا شَاءَ وَمَتَى شَاءَ وَكَيْفَ شَاءَ وَأَنَّ نَوْعَ الْكَلَامِ قَدِيمٌ». وقال: «الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ كَلَامُ الطَّحَاوِيِّ رَحِمَهُ الله: أَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا إِذَا شَاءَ كَيْفَ شَاءَ، وَأَنَّ نَوْعَ كَلَامِهِ قَدِيمٌ». وقال[(٥)]: «وَبِالْجُمْلَةِ: فَكُلُّ مَا تَحْتَجُّ بِهِ الْمُعْتَزِلَةُ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَلَامٌ مُتَعَلِّقٌ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ إِذَا شَاءَ، وَأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ، فَهُوَ حَقٌّ يَجِبُ قَبُولُهُ.**

---

(١) انظر الكتاب (ص/ ١٦٥).
(٢) المصدر السابق، (ص/ ١٦٧).
(٣) المصدر السابق، (ص/ ١٦٨-١٦٩).
(٤) المصدر السابق، (ص/ ١٧٢).
(٥) المصدر السابق، (ص/ ١٧٢-١٧٣).

فَإِذَا قَالُوا لَنَا: فَهَذَا يَلْزَمُ أَنْ تَكُونَ الْحَوَادِثُ قَامَتْ بِهِ. قُلْنَا: هَذَا الْقَوْلُ مُجْمَلٌ، وَمَنْ أَنْكَرَ قَبْلَكُمْ قِيَامَ الْحَوَادِثِ بِهَذَا الْمَعْنَى بِهِ تَعَالَى مِنَ الْأَئِمَّةِ؟ وَنُصُوصُ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ تَتَضَمَّنُ ذَلِكَ، وَنُصُوصُ الْأَئِمَّةِ أَيْضًا، مَعَ صَرِيحِ الْعَقْلِ.

وَالْحَقُّ: أَنَّ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ وَالْقُرْآنَ مِنْ كَلَامِ اللهِ حَقِيقَةً وقال[1]: «فَإِنَّ الطَّحَاوِيَّ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ: كَلَامُ اللهِ مِنْهُ بَدَا. وَكَذَلِكَ قَالَ غَيْرُهُ مِنَ السَّلَفِ، وَيَقُولُونَ: مِنْهُ بَدَا، وَإِلَيْهِ يَعُودُ». وقال[2]: «وَقَوْلُهُ(بلاَ كَيْفِيَّةٍ) أَيْ: لاَ تُعْرَفُ كَيْفِيَّةُ تَكَلُّمِهِ بِهِ قَوْلًا لَيْسَ بِالْمَجَازِ». وقال[3]: «وَلاَ شَكَّ أَنَّ مَنْ قَالَ: إِنَّ كَلَامَ اللهِ مَعْنًى وَاحِدٌ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ تَعَالَى وَإِنَّ الْمَتْلُوَّ الْمَحْفُوظَ الْمَكْتُوبَ الْمَسْمُوعَ مِنَ الْقَارِئِ حِكَايَةُ كَلَامِ اللهِ وَهُوَ مَخْلُوقٌ، فَقَدْ قَالَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ فِي الْمَعْنَى وَهُوَ لَا يَشْعُرُ». وقال[4]: «فَإِنْ قَالُوا: إِنَّمَا أَشَارَ إِلَى حِكَايَةِ مَا فِي نَفْسِهِ وَعِبَارَتِهِ وَهُوَ الْمَتْلُوُّ الْمَكْتُوبُ الْمَسْمُوعُ، فَأَمَّا أَنْ يُشِيرَ إِلَى ذَاتِهِ فَلَا - فَهَذَا صَرِيحُ الْقَوْلِ بِأَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ، بَلْ هُمْ فِي ذَلِكَ أَكْفَرُ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ». وقال[5]: «لِأَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِهِ بِهَذِهِ اللُّغَةِ، وَالْإِعْجَازُ حَصَلَ بِنَظْمِهِ وَمَعْنَاهُ». وقال[6]: «وَقَوْلُهُ: (وَلاَ يُشْبِهُ قَوْلَ الْبَشَرِ) يَعْنِي أَنَّهُ أَشْرَفُ وَأَفْصَحُ وَأَصْدَقُ». وقال[7]: «فَنَفْيُ الْمُشَابَهَةِ مِنْ حَيْثُ التَّكَلُّمُ، وَمِنْ حَيْثُ النَّظْمُ وَالْمَعْنَى، لَا مِنْ حَيْثُ الْكَلِمَاتُ وَالْحُرُوفُ» اهـ.

ومثله قال المجسم ابن جبرين[8]، والمجسم سفر الحوالي[9]، والمجسم

---

(١) المصدر السابق، (ص/ ١٧٦-١٧٧).

(٢) المصدر السابق، (ص/ ١٧٧).

(٣) المصدر السابق، (ص/ ١٨١).

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق، (ص/ ١٨٢).

(٦) المصدر السابق.

(٧) المصدر السابق.

(٨) انظر الكتاب (١/ ٣٣٣).

(٩) انظر الكتاب (ص/ ٥٧٥-٦٦٢-٦٧٣-٧١١-٧٢٧-٧٢٩-٧٤٣-٧٤٨-٧٥١).

**الألباني[1]، والمجسم عبد العزيز الراجحي[2].**

**الرد:** وهنا يظهر ويصرح ابن أبي العز عمّا في نفسه من التشبيه الذي استقاه من أشياخه الثلاثة فيقول إن الله يتكلم إذا شاء ويسكت إذا شاء ويتكلم بحرف وصوت ولغة وينسب ذلك كذبًا وزورًا إلى السلف وأئمة الحديث على طريقة شيخه الحراني ولن يستطيع أن يثبت ذلك عن إمام من أئمة السلف كأبي حنيفة والأوزاعي ومالك والشافعي وأحمد وأمثالهم رضي الله عنهم ثم يزيد غلظةً وجفاءً ووقاحةً فينسب ذلك إلى الطحاوي الذي نقل عبارته في نفس السطر وقال بلا كيف وابن أبي العز يقول: «لَا تُعْرَفُ كَيْفِيَّةُ تَكَلُّمِهِ بِهِ قَوْلًا لَيْسَ بِالْمَجَازِ» وهذا تناقض واضح وتكذيب للسلف والخلف والكيفية هي الهيئات والأشكال والحروف والأصوات واللغات وتعالى الله عن ذلك وتقدس وتنزه فكن أيها العاقل حذرًا من عبارات المشبهة المجسمة الذين يدسون السم في الدسم ويبثون التشبيه والتجسيم في مؤلفاتهم متسترين تارة باسم السلفية وتارة باسم الحنفية وتارة باسم الحنابلة وتارة باسم أهل الحديث وتارة باسم الطحاوية ويكفيهم خزيًا هاهنا أنهم تستروا بالعقيدة الطحاوية وهم يكذبونها لفظًا ومعنًا وسيكون ردنا في هذه المسألة على ابن تيمية الحراني لأن ابن أبي العز نقل كلامه من غير أن يعزوه إليه وقد اتفقت عباراتهم على تشبيه الله بخلقه وردنا على الواحد منهم هو ردٌ على جميعهم وسنبيّن في مقدمة ردنا عليهم في هذه المسألة عقيدة أهل السنة والجماعة في شرح صفة الكلام لله تعالى وبيان الاعتقاد الصحيح في ذلك ويتبعه ذكر شئ من أقوال ابن تيمية لفضحهم في ذلك.

## وجوب الكلام لله تعالى

ومعنى الكلام أن له صفة هو بها متكلم ءامرٌ ناهٍ واعِدٌ متوعدٌ ليس ككلام

(١) انظر الكتاب (ص/ ٤١).
(٢) انظر الكتاب (ص/ ١٠٠).

غيره بل أزلي بأزلية الذات لا يشبه كلام الخلق وليس بصوت يحدث من انسلال الهواء أو اصطكاك الأجرام ولا بحرف ينقطع بإطباق شفة أو تحريك لسان، ونعتقد أن موسى سمِع كلام الله الأزلي بغير حرف ولا صوت كما يرى المؤمنون ذات الله في الآخرة من غير أن يكون جوهرًا ولا عَرَضًا لأن العقل لا يُحيل سماع ما ليس بحرف ولا صوت. وكلامه تعالى الذاتي ليس حروفًا متعاقبة ككلامنا. وإذا قرأ القارئ منا كلام الله فقراءته حرف وصوت ليست أزلية، لأن ما يقوم بالمخلوق لا يُعقل أن يكون أزليًا وأما مقروؤه فليس بحروف ولا صوت.

قال الشيخ أبو منصور البغدادي في «تفسير الأسماء والصفات»[1] ما نصه «وأما أصحابنا فأجمعوا على أن كلام الله عزَّ وجلَّ أزلي وأنه لم يزل متكلمًا، واختلفوا في وصفه بالصدق هل هو من صفاته الأزلية أم من صفاته الفعلية التي استحقها عند وجود بعض أفعاله لاختلافهم في جواز خطاب المعدوم، فمن أجازه وبه قال أبو الحسن الأشعري قال: إن الله عزَّ وجلَّ لم يزل مخبرًا صادقًا، ومن لم يجز منهم خطاب المعدوم قال: إن كلامه لم يزل موجودًا ولم يزل هو متكلمًا به إلا أن ذلك الكلام لم يكن في الأزل أمرًا ولا نهيًا ولا خبرًا وإنما صار أمرًا ونهيًا وخبرًا عند وجود المخاطبين وإسماعهم الخطاب وبه قال أبو العباس القلانسي، وليس يجوز على هذا المذهب أن يقال إن خبره حادث ولا إن صدقه حادث لأن صدقه وخبره كلامه وكلامه أزلي، ولكن يقال إن كلامه صار خبرًا وصدقًا عند وقوع الإسماع وصار هذا كما نقول إن الله عز وجل صار خالقًا عند وجود الخلق ولا نقول إن الخالق حادث، وهذان الفريقان من أصحابنا متفقان على استحالة الكذب على الله عزَّ وجلَّ، إلا أنهما اختلفا في طريق استحالته فذهب القلانسي إلى التقبيح والتحسين من جهة العقل وقال: الكذب نقص من جهة العقول والنقائص مستحيلة على الله عز وجل، كما أن الجهل نقص والعلم مدح والعجز نقص والقدرة مدح فاستحال وصفه بالجهل والعجز ووجب وصفه بضدهما وهما العلم والقدرة، وكذلك لما

(١) تفسير الأسماء والصفات (ص/ ١٦٤ - ١٦٥) مخطوط.

كان الصدق كمالًا والكذب ذمًّا وجب وصفه بالصدق واستحال وصفه بالكذب، وقال أبو الحسن الأشعري: إن الكذب إنما استحال عليه من جهة أن الصدق من صفاته الأزلية وكل صفة أزلية استحال وصفه بأضدادها التي هي الجهل والعجز والموت، وقال أيضًا: إن وصف البارئ عزَّ وجلَّ بالقدرة على كذب يصير به كاذبًا محال وإن كان هو الذي يخلق كذب الكاذبين، كما أن وصفه بالقدرة على موت أو عجز أو حركة يصير هو به ميتًا أو عاجزًا أو متحركًا محال وإن كان هو الذي يخلق موت الأموات وعجز العجزة وحركات المتحركات. والعلة في ذلك كله أن كل صفة أزلية يستحيل وصفه بضدها وبالقدرة على أن يخلق لنفسه ضدها وإن قدر على خلق ضدها لغيره، وكل ما استحال وصفه بالقدرة عليه استحال وصفه بالعجز عنه لأن ما يستحيل كونه مقدورًا له استحال كونه معجوزًا عنه، فهذا قول أصحابنا في وجوب صدق البارئ عزَّ وجلَّ في خبره وفي إحالة الكذب عليه» اهـ

وكُتُبُ الله المنزَّلة من القرءان والتوراة والإنجيل والزبور وغير ذلك مما أنزله على رسله عباراتٌ عن كلامه الذاتي الأزلي الأبدي. والعبارة غير المعبَّر عنه، ولذلك اختلفت باختلاف الألسنة. فإذا عُبِّر عن الكلام الذاتي بحروف القرءان التي هي عربية فقرءان، وبالعبرانية فتوراة، وبالسريانية فإنجيل وزبور. فالاختلاف في العبارات دون المعبَّر عنه. فحروف القرءان حادثة، والمعبَّر عنه بها هو الكلام الذاتي القائم بذات الله أزليٌّ.

فتبين أن القراءة والتلاوة والكتابة حادثة، والمتلُوَّ والمقروء والمكتوب أي ما دلت عليه الكتابة والقراءة والتلاوة من كلامه الذاتي قديم أزلي، كما أنه إذا ذُكِرَ الله بألسنةٍ متعددةٍ ولغات مختلفة فإنَّ الذكر حادث والمذكور وهو رب العباد قديم أزلي.

فوضح أن القرءان له إطلاقان:

أحدهما إطلاقه على كلامه الذاتي الأزلي الأبدي الذي لا يتجزأ ولا يتبعَّض الذي هو ليس عربيًّا ولا سريانيًّا ولا غيرهما من اللغات فالقرءان بهذا المعنى قديم قطعًا.

والإطلاق الثاني اللفظ المنزَّل على سيدنا محمد لإعجاز المعارضين بأقصر سورة منه. ويسمى هذا اللفظ كلام الله أيضًا لأنه دالّ على الكلام الذاتي وعبارة عنه.

وكلا الإطلاقين حقيقة، أما تسمية الأول كلام الله فظاهر لا يحتاج إلى تأويل. وأما تسمية اللفظ المنزل كلام الله فلأنه يدل على الكلام الذاتي أي لأنه عبارة عن الكلام الذاتي، ولأنه ليس من تأليف جبريل ولا من تأليف محمد. فالكلام الأزلي لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال إلى قلوب العباد والأوراق ولا التقديم ولا التأخير ولا اللحن ولا الإعراب ولا سائر التغييرات فتفهموا ذلك رحمكم الله.

## تنبيه

نعلم حسًّا وضرورة بأن الكاف قبل النون ولا يجتمعان في زمن واحد فيلزم الحشوية القائلين بأنه يتكلم بحرف وصوت قائم بذاته التجسيم والتشبيه. وهم قسمان:

قسم قائلون بحلول الحوادث بذات الله تعالى.

وشرذمة يقولون الحروف والأصوات قديمة. وهؤلاء لا يفهمون ما يقولون لأنا نعلم ضرورة وحسًّا بأن الكاف في «كن» قبل النون ولا يجتمعان في زمن واحد. ثم يلزمهم ما لزم النصارى في اعتقادهم أن الصفة من صفات الله القديمة وجدت بالمسيح إما كلامه وإما علمه فأثبتوا قدمه وكفّرهم جميع المسلمين وتبرؤوا منهم وبينوا أن الصفة الواحدة يستحيل أن تكون موجودة في موصوفَين كما لا يصح أن يوجد جوهر واحد في مكانين.

## فائدةٌ مهمةٌ

إن مما استدلَّ به أهل الحقّ على أنَّ كلامَ الله تعالى ليس حرفًا ولا صوتًا ءايات

منها قوله تعالى ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴾[1] وقالوا لو كانَ الله تعالى يتكلمُ بحرفٍ وصوتٍ كخلقه لجازَ عليه كلّ صفات الخلق من الحركةِ والسكونِ وغيرِ ذلك وهذا محالٌ، فلذلك وَجَبَ أن يكونَ كلام الله غير حرف وصوت، ويدلُّ على ذلك قوله تعالى ﴿ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴾ وذلك لأن الله يكلمُ كل إنسانٍ يوم القيامة فيُسمعهُ كلامه ويحاسِبُ من يحاسبه منهم به فيَفهمُ العبد من كلام الله السؤال عن أفعالِهِ وأقوالِهِ واعتقاداته، وينتهي الله عزَّ وجلَّ من حسابهم في ساعة أي وقت قصير من موقفٍ من مواقِفِ القيامةِ، ويومُ القيامة كُلُّه خمسونَ ألفَ سنة.

فلو كانَ حسابُ الله لخلقِهِ من إنسٍ وجِنّ بالحرفِ والصوتِ ما كان ينتهي من حسابهم في مائةِ ألفِ سنة لأن الخلقَ كثيرٌ ويأجوج ومأجوج وحدهم يوم القيامة البشر كلهم بالنسبة لهم كواحدٍ من مائة، وفي روايةٍ كواحدٍ من ألفٍ، وبعضُ الجن يعيشون ءالافًا من السنين، فلو كان حسابُ الخلق بالحرفِ والصوتِ لكان إبليسُ وحده يأخذُ حسابه وقتًا كثيرًا لأن إبليسَ يجوز أن يكون عاشَ مائة ألف سنة ولا يموتُ إلا يوم النفخة، وحسابُ العبادِ ليس على القولِ فقط بل على القولِ والفعلِ والاعتقادِ. وكذلك الإنسُ منهم من عاشَ ألفي سنة ومنهم من عاشَ ألفًا وزيادة ومنهم من عاشَ مئات من السنين فلو كان حسابُهُم بالحرفِ والصوتِ لاستغرقَ حسابُهُم زمانًا طويلًا جدًّا ولم يكن الله أسرع الحاسبين بل لكان أبطأ الحاسبين، والله تعالى يقول ﴿ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴾، ثم الحروفُ تتعاقَبُ، مهما كانت سريعةً تأخُذُ شيئًا من الوقت. أما الله تعالى فكلامُهُ أزليٌّ أبديٌّ ليس حرفًا ولا صوتًا ولا يُبتدأُ ولا يُختَتَمُ ولا يزيدُ ولا ينقُصُ، فمعنى قولِنا القرءانُ كلامُ الله ليس بمعنى أن الله نطقَ به كما نحنُ نقرؤه، إنما معناهُ أنه يدلُّ على كلامِ الله الذي ليس حرفًا ولا صوتًا، على هذا المعنى نقولُ القرءانُ كلام الله.

الله تعالى خلقَ صوتًا بحروفِ القرءانِ فأسمعَ جبريلَ ذلك الصوت وجبريلُ

(١) سورة الأنعام/ ءاية ٦٢.

تلقفه ونَزَلَ به على سيدنا محمد ﷺ بأمر الله[1]، فعلَّمه ﷺ لأمته وكذلك وَجَدَ جبريلُ حروف القرءان مكتوبة في اللوحِ المحفوظِ.

فَيُفهَمُ من هذا أن جبريلَ لم يسمع القرءانَ الذي هو كلام الله الأزلي وإنما سمع صوت القرءان أي اللفظ المنزل الذي خلقه الله له فتلقفه.

أما الدليلُ على أن العبادَ يسمعونَ كلامَ الله الأزليّ يومَ القيامة فمأخوذٌ من حديثِ رسول الله ﷺ «**ما منكم من أحدٍ إلا سيكلمه ربُّه يومَ القيامة ليس بينه وبينه تَرجمانٌ ولا حَاجِبٌ يحجبهُ**» رواه البخاري[2].

فإن قالوا أي المشبهة: دليلُنا على أن كلامَ الله بالحرفِ والصوتِ قولُه تعالى ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[3] فالجوابُ: لو كان الأمرُ كما تدَّعونَ لتناقَضَت هذه الآيةُ مع غيرِها من الآياتِ والقرءانُ يتعاضَدُ ولا يتناقَضُ.

وإنما معنى هذه الآية أن الله يخلق العالم بقوله أي بحكمه الأزلي بوجوده أي أن الله حكم في الأزل بوجود العالم فوجد بذلك الحكم والحكم قول وليس المعنى أن الله ينطق بالكاف والنون. ثم «كن» لغةٌ عربيةٌ والله تعالى كانَ قبلَ اللغاتِ كلها وقبلَ أصنافِ المخلوقاتِ فعلى قولِ المشبهةِ يلزمُ أن يكونَ الله ساكتًا قبلُ ثم صار متكلمًا وهذا محالٌ لأن هذا شأن البشرِ وغيرِهم، وقد قالَ أهل السنة: لو كانَ يجوزُ على الله أن يتكلمَ بالحرفِ والصوتِ لجازَ عليه كل الأعراضِ من الحركةِ والسكونِ والبرودةِ واليبوسةِ والألوانِ والروائحِ والطعومِ وغيرِ ذلك وهذا محالٌ.

وقال بعض أهل السنة إن قول الله تعالى ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ

---

(١) الإتقان في علوم القرءان (١/ ٢٦٤)، الفواكه الدواني شرح رسالة القيرواني (١/ ٥٩)، حاشية العلوي على شرح كفاية الطالب (١/ ٥٦).

(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ سورة القيامة.

(٣) سورة يس/ ءاية ٨٢.

لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[1] هو عبارة عن إيجاد الشيء في الوقت الذي شاء وجوده فيه من غير تأخير ولا ممانعة من أحد وقد تقدم كل ذلك فالتفسيران اللذان ذهب إليهما أهل السنة موافقان للعقل والنقل.

أما ما ذهبت إليه المجسمة من أن الله ينطق بالكاف والنون عند خلق كل فرد من أفراد المخلوقات هو سَفَهٌ لا يقول به عاقل لأنهم إن قالوا قبل إيجاد المخلوق ينطق الله بهذه الكلمة المركبة من كاف ونون فيكون خطابًا للمعدوم، وإن قالوا إنه يقول ذلك بعد إيجاد الشيء فلا معنى لإيجاد الموجود.

ويقال لهم الكاف والنون مخلوقان ما كانا موجودين في الأزل ولا يتصف بكلام حادث ولا بقدرة حادثة لأنه لو كان يتصف بصفة حادثة لكان مثل خلقه لأن الخلق يتصفون بصفة حادثة. فالإنسان أول ما يخرج من بطن أمه لا يتكلم ولا يعلم شيئًا ثم يحدث له علم وكلام. المشبهة بسخافة عقولهم جعلوا الله مثل خلقه لأن كل حادث مخلوق والخالق لا يجوز أن يكون حادثًا ولا يجوز أن يتصف بصفة حادثة.

ثم إنه يلزم على قول المجسمة بشاعة كبيرة وهي أن الله تبارك وتعالى لا يتفرغ من النطق بكلمة كن وليس له فعل إلا ذلك، لأنه في كل لحظة يخلق ما لا يدخل تحت الحصر. فكيف يصح في العقل أن يخاطب الله كل فرد من أفراد المخلوقات بهذا الحرف؟ كيف يُعقل أن ينطق الله تعالى بالكاف والنون بعدد كل مخلوق يخلقه؟ فإن هذا ظاهر الفساد لأنه يلزم عليه أن يكون الله ليس له كلام إلا الكاف والنون. فما أبشع هذا الاعتقاد المؤدّي إلى هذه البشاعة.

فالتفسيران الأوّلان أحدهما وهو الأول قال به الأشاعرة كالبيهقي والثاني قال به الإمام أبو منصور الماتريدي.

ثم إن الله ما وصف نفسه بالنطق إنما وصف نفسه بالكلام أي بأنه متكلم فلو كان كلام الله نطقًا لجاءت بذلك ءاية من القرءان. والموجود في القرءان الكلامُ

---

(١) سورة يس/ ءاية ٨٢.

والقولُ وهما عبارة عن معنًى قائم بذات الله أي ثابتٍ له معناه الذكر والإخبار وليس نطقًا بالحروف والصوت. وقد ألّف الحافظ أبو الحسن علي بن أبي المكارم المقدسي جزءًا في تضعيف أحاديث الصوت على وجه التحقيق[1]، وصرَّح البيهقي رحمه الله بأنه لا يصح حديث في نسبة الصوت إلى الله تعالى[2].

## الدليل على أنّ كلام الله الذاتي الذي هو صفة ذاته قديمٌ أزلي كعلمه وقدرته

اعلم أنه لما كان الأزلي لا يتصف إلا بالصفات الأزلية، وجب عقلًا وشرعًا كون كلامه ليس حرفًا لأن الحرف محدث بالحس، وقد ثبت كون الذات المقدس قديمًا أزليًّا لم يسبقه عدم فوجب كون كلامه الذاتي كذلك لأن حدوث الصفة يوجب حدوث الذات، وما أدى إلى المحال محال. فثبت المطلوب وهو أن الكلام الذاتي ليس صوتًا، ولا معنى لقول بعضهم إن كلامه صوت قديم غير حادث فإنه مكابرة ظاهرة.

إثبات أن السلف كانوا على أنّ كلامه الذاتي ليس حرفًا وصوتًا ردًّا على أدعياء السلفية:

قال الإمام أبو حنيفة الذي هو من رؤوس السلف فإنه توفي سنة مائة وخمسين في «الفقه الأبسط»[3]: «ويتكلم لا ككلامنا، نحن نتكلم بالآلات من المخارج والحروف والله متكلم بِلا ءالة ولا حرف» اهـ.

وقال في «الفقه الأكبر»[4]: «وصفاته في الأزل غير محدثة ولا مخلوقة فمن قال إنها مخلوقة أو محدثة أو توقف فيها أو شك فيها فهو كافر بالله تعالى» اهـ.

---

(١) نجم المهتدي ورجم المعتدي (ص/ ٢٤٧)، مخطوط.

(٢) الأسماء والصفات (ص/ ٢٧٣): باب قول الله عز وجل: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ [سورة الأنعام/ ١٩].

(٣) إشارات المرام (ص/ ١٣٨).

(٤) شرح الفقه الأكبر (ص/ ٤٧).

وقال في «الوصيّة»[1]: «والقرءان كلام الله غير مخلوق، ووحيه وتنزيله على رسول الله. وهو صفته على التحقيق. مكتوب في المصاحف مقروء بالألسنة محفوظ في الصدور غير حالّ فيها. والحبر والكاغَد والكتابة والقراءة مخلوقة لأنها أفعال العباد. فمن قال بأن كلام الله مخلوق فهو كافر بالله العظيم» اهـ.يعني إذا قال ذلك بقصد اتصاف الله تعالى به ولا يعني ما إذا قصد اللفظ المنزّل.

قال الشيخ كمال الدين المعروف بابن أبي شريف المقدسي الشافعي المتوفى سنة تسعمائة وخمس من الهجرة ما نصه[2]: «وقد عقد حجة الإسلام الأصل السادس في كونه تعالى متكلمًا والسابع في كون كلامه قديمًا. ومما يدل على المدَّعى وهو كونه تعالى متكلمًا إجماع الرسل عليهم الصلاة والسلام فإنه قد تواتر عنهم أنهم كانوا ينسبون له الكلام فيقولون إنه تعالى أمر بكذا ونهى عن كذا وأخبر بكذا وكل ذلك من أقسام الكلام فثبت المدَّعى. فإن قيل إنَّ صدق الرسل موقوف على تصديق الله إياهم إذ لا طريق إلى معرفته سواه وتصديقه تعالى إياهم إخبار عن كونهم صادقين والإخبار كلام خاص به تعالى فقد توقف صدقهم في إثبات كلامه على كلامه تعالى وذلك دَور، قلنا لا دَور لأن تصديقه تعالى إياهم بإظهار المعجزة على وَفق دعواهم فإنه يدل على صدقهم ثبت الكلام بأن كانت المعجزة من جنسه كالقرءان الذي نعلم أوّلًا أنه معجز خارج عن طوق البشر ثم نعلم به صدق الدعوى أم لم يثبت كما إذا كانت المعجزة شيئًا ءاخر. وإثبات صفة الكلام له تعالى هو على ما يليق به سبحانه كسائر الصفات فهو متكلم بكلام (ليس بحرف ولا صوت هو) تعالى (به) أي بذلك الكلام (طالب) لفعل أو ترك (مخبر) لعباده بما كان وبما يكون بالنسبة إلى وقت وجودهم. (أما أنه) يعني الكلام الذي هو صفة له تعالى (قديم فلأنه) يمتنع قيام الحوادث بذاته تعالى. وقوله هو به طالب مخبر إشارة إلى أن الكلام متنوع في الأزل إلى أمر ونهي وخبر واستخبار ونداء والأولان

(١) إشارات المرام (ض/ ١٦٧ - ١٧٦).
(٢) المسامرة شرح المسابرة (ص/ ٧٨ - ٨٢).

والرابع والخامس أنواع للطلبِ، وتنوعه هذا لا ينافي كونه واحدًا لأنها ليست أنواعًا حقيقيةً إنما هي أنواع اعتبارية تحصل له بحسب تعلقه بالأشياء فذلك الكلام الواحد باعتبار تعلقه بشىء على وجه مخصوص يكون خبرًا وباعتبار تعلقه بشىء ءاخر أو على وجه ءاخر يكون أمرًا وكذا الحال في البواقي.

واعلم أن كلامه النفسي لا يوصف بأنه متبعض ولا متجزئ ولا يوصف بأنه عبري ولا سرياني ولا عربي إنما العبري والسرياني والعربي هو اللفظ الدال عليه. ثم المخالف في صفة الكلام فِرَقٌ منهم مبتدعة الحنابلة قالوا كلامه تعالى حروف وأصوات تقوم بذاته وهو قديم وبالغوا حتى قال بعضهم جهلًا الجلد والغلاف قديمان فضلًا عن المصحف وهذا قول باطل بالضرورة، ومنهم الكرامية فإنهم وافقوا الحنابلة في أن كلامه تعالى حروف وأصوات لكنهم سَمَّوْا ذلك قولا له وسَلَّمُوا أنه حادث وقالوا قائم بذاته لتجويزهم قيام الحوادث به تعالى عما يقولون، وزعموا أن كلامه هو قدرته على التكلم وهم يثبتون قدم القدرة، ومنهم المعتزلة قالوا كلامه تعالى أصوات وحروف يخلقها في غيره كاللوح المحفوظ أو جبريل أو الرسول وهو حادث عندهم خلافًا للحنابلة وهذا الذي قالته المعتزلة لا ننكره نحن بل نقول به ونسميه كلامًا لفظيًّا ولكنا نثبت أمرًا وراء ذلك وهو المعنى القائم بالنفس ونقول هو الكلام حقيقة فهو قديم بذاته وهو غير العبارات كما قدمناه إذ قد تختلف العبارات بالأزمنة والأمكنة والأقوام ولا يختلف ذلك المعنى النفسي وغير العلم إذ قد يخبر الرجل بما لا يعلمه بل يعلم خلافه أو يشك فيه» اهـ.

تنبيه: إذا قالت المشبهة الصوتية قد ورد قرءانًا ﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ النداء صوت، يقال لهم: المراد نداء الملك له بأمر الله كقوله تعالى في حق ءادم وحواء ﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ ﴾ وكذلك ﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ فليس المراد بذلك أن الله تعالى أسمعهما صوتًا قائمًا به.

وكذلك يقال للمشبهة في تعلقهم لإثبات الصوت من الله بحديث النزول وهو حديث[1]: «**ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا فينادي هل من داع فيستجاب له**» الحديث، يقال معنى الحديث أن الله يأمر مناديًا من الملائكة فيبلغ الملكُ عن الله بذلك يبلغ عن الله هل من داع فيستجاب له بدليل رواية النسائي[2]: «**إن الله يمهل حتى إذا انتصف الليل أمر مناديًا**» وقد تقدم.

وبهذا يجاب عن قول مشبه وهابي حيث قال إن هذا قول من الله بالصوت لأنه لا يجوز أن يقول الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له وإنما هو لفظ من الله، يقال له إنما يقول الملَك ذلك تبليغًا عن الله وقد ورد ما يدل على ما قلنا من أن هذا اللفظ نداء من الملك بأمر الله فقد ورد عند البخاري[3] في حديث فرض الصلوات على النبي ﷺ ليلة المعراج: «**فلما جاوزت نادى مناد قضيتُ فريضتي وخففتُ عن عبادي**» لأن هذا صريح في أن المنادي بهذه العبارة الملك مبلغًا عن الله بأمره تعالى. وبهذا انهدم بناء المشبهة الصوتية ولله الحمد.

**تنبيه**: من أوضح دليل على أن القرءان بمعنى اللفظ المنزّل غير كلام الله الذاتي قوله تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾[4] فإن الكلام هنا هو اللفظي لأنهم لا يقصدون تبديل كلام الله الذي هو صفة ذاته، فإن صفة ذاته لا تتغير. فوضح أن كلام الله له إطلاقان أحدهما اللفظ المنزل والثاني كلامه الذاتي الذي ليس حرفًا ولا صوتًا بل أزلي أبدي لا هو عين ذاته ولا هو غيره.

قال أبو حنيفة رضي الله عنه[5]: «وما ذكره الله تعالى عن موسى عليه السلام وفرعون وإبليس لعنهما الله فإن ذلك كلام الله تعالى إخبارًا عنهم وإن كلام موسى

---

(١) تفسير القرطبي (٤/ ٣٩)

(٢) تفسير القرطبي (٤/ ٣٩).

(٣) رواه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب: باب المعراج.

(٤) سورة الفتح/ ءاية ١٥.

(٥) إشارات المرام (ص/ ١٧٧ - ١٧٩).

وغيره من المخلوقين مخلوق. وكلام الله تعالى قائم بذاته» ثم قال رضي الله عنه[1]: «وقد كان الله تعالى متكلمًا ولم يكن موسى» وسمع موسى كلام الله كما في قوله تعالى ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[2] كلم موسى بكلامه الذي هو له صفة في الأزل. وقال في كتاب «العالم والمتعلم»[3]: «وخصَّه بكلامه إياه حيث لم يجعل بينه وبين موسى رسولا».

## فائدة مهمة

من الدليل على أن اللفظ المنزل المتألف من الحروف لا يجوز أن يكون كلام الله الأزلي القائم بذاته ما سبق وقدمناه من أنه ثبت أن الله تعالى يكلم كل فرد من أفراد العباد يوم القيامة، فلو كان الله تبارك وتعالى يكلمهم بصوت وحرف لم يكن حسابه لعباده سريعًا، والله تبارك وتعالى وصف نفسه بأنه سريع الحساب فلو كان كلام الله تعالى بحرف وأصوات لكان أبطأ الحاسبين، وهذا ضد الآية التي فيها إن الله أسرع الحاسبين قال الله تعالى ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾[4] فلا يتحقق معنى أسرع الحاسبين إلا على مذهب أهل السنة أن الله متكلم بكلام أزلي بغير حرف ولا صوت وذلك لأن عدد الجن والإنس كثير لا يحصيهم إلا الله، ومن الجن من يعيش ءالافًا من السنين، ومن الإنس من عاش ألفي سنة فأكثر فقد عاش ذو القرنين في ملكه ألفي عام كما قال الشاعر العربي: [الكامل]

والصَّعبُ ذو القرنين أمسى ملكُه ... ألفين عامًا ثم صار رميما

---

(١) نجم المهتدي ورجم المعتدي (ص/ ٥٥٩)، مخطوط.

(٢) سورة النساء/ ءاية ١٦٤.

(٣) قال البيهقي: «ولم يثبت صفة الصوت في كلام الله ولا في حديث صحيح» اهـ الأسماء والصفات (ص/ ٢٧٣).

(٤) سورة الأنعام/ ءاية ٦٢.

ومن الإنس أيضًا يأجوج ومأجوج كما ورد في الحديث[1] أنهم من ولد ءادم، وورد أنهم أكثر أهل النار كما روى البخاري[2]، وورد أنه لا يموت أحدهم حتى يلد ألفًا لصلبه كما رواه ابن حبان والنسائي[3]، وهؤلاء يحاسبهم الله على أقوالهم مع كثرتهم الكثيرة ويكلم كلَّ فرد منهم تكليمًا بلا ترجمان، ويحاسبهم على عقائدهم ونواياهم وأفعالهم، فلا بد أن يأخذ حسابهم على موجب قول المشبهة الذين يقولون كلام الله حرف وصوت يتكلم من وقت إلى وقت ثم من وقت إلى وقت مدة واسعة جدًّا، فعلى موجب كلامهم يستغرق ذلك جملة مدة القيامة التي هي خمسون ألف سنة، وعلى قولهم هذا لم يكن الله أسرع الحاسبين وهو وصف نفسه بأنه أسرع الحاسبين كما تقدم، فقول المشبهة يؤدي إلى اختلاف القرءان وتناقضه وذلك محال، وما أدى إلى المحال محال.

وأما أهل السنة فيقولون إن كلام الله ليس متجزئًا فيفهم الناس من كلامه الذي ليس بحرف وصوت وغيرُ متجزئ في ساعة واحدة ما يشاء[4]، فيتحقق على ذلك أنه أسرع الحاسبين.

**فائدة أخرى:** قال الشيخ الإمام المتكلم ابن المعلم القرشي في كتابه «نجم المهتدي»[5] ما نصه: «قال الشيخ الإمام أبو علي الحسن بن عطاء في أثناء جواب عن سؤال وجه إليه سنة إحدى وثمانين وأربعمائة: الحروف مسبوق بعضها ببعض، والمسبوق لا يتقرر في العقول أنه قديم، فإن القديم لا ابتداء لوجوده وما

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾ [سورة سبأ].

(٢) الفقيه والمتفقه (١/ ١٣٢ - ١٣٣).

(٣) هو الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي، صاحب التصانيف، ولد سنة ٣٩٢هـ. وله رحلات عديدة، ومؤلفات كثيرة، توفي سنة ٤٦٣هـ.

(٤) تدريب الراوي (١/ ٢٧٦).

(٥) التبصير في الدين (ص/ ١٦٧).

من حرف وصوت إلا وله ابتداء، وصفات البارئ جلَّ جلاله قديمة لا ابتداء لوجودها، ومن تكلم بالحروف يترتب كلامه ومن ترتب كلامه يشغله كلام عن كلام، والله تبارك وتعالى لا يشغله كلام عن كلام، وهو سبحانه يحاسب الخلق يوم القيامة في ساعة واحدة، فدفعة واحدة يسمع كل واحد من كلامه خطابه إياه، ولو كان كلامه بحرف ما لم يتفرغ عن يا إبراهيم لا يقدر أن يقول يا محمد فيكون الخلق محبوسين ينتظرون فراغه من واحد إلى واحد وهذا محال» اهـ.

فالحاصل أنه ليس في إثبات الصوت لله تعالى حديث مع الصحة المعتبرة في أحاديث الصفات[1]، لأن أمر الصفات يُحتاط فيه ما لا يحتاط في غيره، ويدل على ذلك إيراد البخاري القدر الذي ليس فيه ذكر الصوت من حديث جابر هذا بصيغة الجزم[2]، وإيراده للقدر الذي فيه ذكر الصوت بصيغة التمريض[3]، فتحصّلَ أن في أحاديث الصفات مذهبين:

أحدهما: اشتراط أن يكون في درجة المشهور، وهو ما رواه ثلاثة عن ثلاثة فأكثر، وهو ما عليه أبو حنيفة وأتباعه من الماتريدية، وقد احتج أبو حنيفة رضي الله عنه في رسائله التي ألفها في الاعتقاد بنحو أربعين حديثًا من قبيل المشهور.
والثاني: ما ذهب إليه أهل التنزيه من المحدثين وهو اشتراط أن يكون الراوي متفقًا على ثقته.

فهذان المذهبان لا بأس بكليهما.

وأما الثالث وهو ما نزل عن ذلك فلا يحتج به لإِثبات الصفات.

وهناك قاعدةٌ تناسب هذا المطْلَب وهي ما ذكرها الحافظ الخطيب أبو بكر البغدادي قال: «يُرَدُّ الحديث الصحيح الإِسناد لأمور: أن يخالف القرءان، أو

---

(١) شرح الفقه الأكبر (ص/ ٢٩ - ٣٠).
(٢) الاعتقاد والهداية (ص/ ٣٣).
(٣) روى ذلك الحافظ البيهقي في مناقب الشافعي (١/ ٤٥٥ - ٤٥٦)، ومعرفة السنن والآثار (١/ ١١١).

السنة المتواترة، أو العقل» قال: «لأن الشرع لا يأتي إلا بمُجَوَّزات العقول»[1]، والخطيب البغدادي[2] أحد حفاظ الحديث السبعة الذين نوه علماء الحديث في كتب المصطلح بهم ومنهم البيهقي وهم غير أصحاب الكتب الخمسة وكلامه مذكور في كتابه الفقيه والمتفقه ونقله عنه الحافظ السيوطي في كتاب تدريب الراوي[3] من كتب مصطلح الحديث وأقره وكذا غيره. وللذهبي عبارة موافقة للمذهب الثاني من المذاهب الثلاثة وإن كان يتساهل بإيرادِ أحاديثَ غير ثابتة وءاثارٍ من كلام التابعينَ ونحوهم لا يحتج بمثلها ومن غير تَبيينٍ لحالها من حيث الإِسناد والمتن في بعض ما يذكره وذلك في كتابه «العلو للعلي الغفار» فليحذر فإن ضرره على مطالعه عظيم.

قال الإمام الإسفراييني ذاكرًا عقيدة أهل السنة والجماعة ما نصه[4]: «وأن تعلم أن كلام الله تعالى ليس بحرف ولا صوت لأن الحرف والصوت يتضمنان جواز التقدم والتأخر وذلك مستحيل على القديم سبحانه» اهـ.

وقال ملا علي القاري في شرح الفقه الأكبر ما نصه[5]: «ومبتدعة الحنابلة قالوا كلامه حروف وأصوات تقوم بذاته وهو قديم، وبالغ بعضهم جهلًا حتى قال الجلد والقرطاس قديمان فضلًا عن الصحف، وهذا قول باطل بالضرورة ومكابرة للحس للإحساس بتقدم الباء على السين في بسم الله ونحوه» اهـ.

---

(١) ءاداب الشافعي ومناقبه (ص/ ١٩٤ - ١٩٥).

(٢) الجوهر المحصل في مناقب الإمام أحمد بن حنبل (ص/ ٥٩).

(٣) الذيل على طبقات الحنابلة (٣/ ٣٠٩).

(٤) مناقب الإمام أحمد (ص/ ١٥٥).

(٥) الأسماء والصفات (ص/ ٢٦٥ - ٢٦٦).

# فائدة ترجع إلى مسئلة الكلام

قال البيهقي[1] في ردّ قول من يقول إن الله متكلم بمعنى خالق الكلام في غيره كالشجرة التي كان موسى عندها: «ولا يجوز أن يكون كلام المتكلم قائمًا بغيره ثم يكون هو به متكلمًا مكلمًا دون ذلك الغير. كما لا يجوز ذلك في العلم والسمع والبصر وقال ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾[2] فلو كان كلام الله لا يوجد إلا مخلوقًا في شيءٍ مخلوق لم يكن لاشتراط هذه الوجوه معنًى لاستواء جميع الخلق في سماعه من غير الله ووجودهم ذلك عند الجهمية مخلوقًا في غير الله وهذا يوجب إسقاط مرتبة النبيين صلوات الله عليهم أجمعين، ويجب عليهم إذ زعموا أن كلام الله لموسى خلقه في شجرة أن يكون من سمع كلام الله من ملكٍ أو من نبيّ أتاه به من عند الله أفضلَ مرتبة في سماع الكلام من موسى لأنهم سمعوه من نبي ولم يسمعه موسى عليه السلام من الله وإنما سمعه من شجرةٍ، وأن يزعموا أن اليهود إذ سمعت كلام الله من موسى نبي الله أفضل مرتبةً في هذا المعنى من موسى بن عمران صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم لأن اليهود سمعته من نبي من الأنبياء وموسى صلوات الله عليه وعلى نبينا وسلم سمعه مخلوقًا في شجرة، ولو كان مخلوقًا في شجرة لم يكن الله عزَّ وجلَّ مكلمًا لموسى من وراء حجاب ولأن كلام الله عزَّ وجلَّ لموسى عليه السلام لو كان مخلوقًا في شجرة كما زعموا للزمهم أن تكون الشجرة بذلك الكلام متكلمةً ووجب عليهم أنّ مخلوقًا من المخلوقين كلَّم موسى وقال له ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾[3] وهذا ظاهر الفساد» اهـ.

والحاصل أنه يجب اعتقاد أن اللفظ المنزّل حادث مخلوقٌ لله لكنه ليس من تأليف جبريل ولا سيدنا محمد إنّما هو شيء تلقَّفَه جبريل من اللوح المحفوظ

---

(١) خلق أفعال العباد (ص/ ٤٣).

(٢) سورة الشورى/ ءاية ٥١.

(٣) سورة طه/ ءاية ١٤.

فتلاه على النبي، لكن لا يجوز أن يقال عن هذا اللفظ إنه مخلوق إلا في مقام التعليم فيجوز حذرًا من اعتقاد الحادث قديمًا قائمًا بذات الله، وعلى هذا التفصيل يحمل كلام الشافعي أي قوله لحفص لما ناظره في هذه المسئلة فقطعه بالحجّة وأصرّ حفص على معتقده وقوله القرءان مخلوق: «لقد كفرتَ بالله العظيم». ويعني الشافعي بهذه العبارة أن ذلك كفر من حفصٍ حقيقيٌّ ولا يعني الشافعي بذلك كفرانَ النِّعمة كما زعَم بعضُ الشّافعيّة ودلَّ على ذلك قولُ حفصٍ لما قام من مجلس الشّافعي للرّبيع المُرادي: «أراد الشافعي قتلي»[1]. ويدُلّ لذلك أيضًا روايةُ الحافظ عبد الرحمٰن بن أبي حاتم عن الرَّبيع أنَّ الشّافعيَّ كفّرَهُ[2].

قال ابن أبي بكر السعدي الحنبلي في كتابه «الجوهر المحصل»[3]: «وصح عن الإمام أحمد أنه كان يبدّع من يقول بأن اللفظ بالقرءان غير مخلوق. قال العلامة ابن رجب في الطبقات[4]: «والصحيح الصريح عن أحمد أنه كان يبدّع قائل ذلك» اهـ.

وقد روى ابن الجوزي[5] عن الإمام أحمد رضي الله عنه أنه غضب غضبًا شديدًا على من نسب إليه رضي الله عنه أنه قال: لفظي بالقرءان غير مخلوق وأمره بأن يمحوه أشدَّ المحو. ومثله نقل الإمام البيهقي في الأسماء والصفات[6] أن الإمام أحمد كان ينكر هذه العبارة، وقال البخاري في كتابه خلق أفعال العباد[7]:

---

(١) أي المعتزلة.

(٢) إتحاف السادة المتقين (٢/ ١٣٥).

(٣) شرح العقائد (ص/ ٩٤).

(٤) شُهِرَ ذلك عند الماتريدية ووافقهم بعض الأشاعرة بأن الكلام الذاتي لا يُسمع وإنما يسمع دليله لامتناع سماع ما ليس بصوت، ولكن المعتمد أنه يصح أن يُسمع إذا أزال الله من العبد المانع فإنه يسمع ولا يلزم حدوثه لحدوث السامع فالكلام الأزلي الذي ليس حروفًا متعاقبةً العبدُ يسمعه ويسمَعُهُ الله، كما أنه يرى الذات المقدس المنزه عن الاقتران بالزمان والمكان والشكل والهيئة، وذلك الذات المقدس ربنا تبارك وتعالى يجوز عقلًا أن يُرى للعباد.

(٥) انظر الكتاب (ص/ ٥١).

(٦) انظر المنهاج (١/ ٢٢١).

(٧) انظر الموافقة (٢/ ١٤٣).

«المعروف عن أحمد وأهل العلم أن كلام الله غير مخلوق وما سواه مخلوق، وأنهم كرهوا البحث والتنقيب عن الأشياء الغامضة، وتجنبوا أهل الكلام والخوضَ والتنازع إلا فيما جاء فيه العلم وبيّنه رسول الله ﷺ».

تنبيه: يتلخص مما ذُكر أن الذين قالوا القرءان مخلوق من غير أن يعتقدوا أنه ليس لله كلامٌ إلا ما يَخلقُه في غيره كالمأمون وأخيه وابن أخيه الواثق فإنهم لم يساعدوا المعتزلة إلا على هذه العبارة «القرءان مخلوق» ولم يعتقدوا أنه ليس لله كلام إلا ما يخلقه في غيره كما هو معتقدُ المعتزلة، فلا يتناول هؤلاء الخلفاء حكم الأئمة بالتكفير على من قال هذه العبارة، فبطل ما زعمه بعض الناس من الاحتجاج لترك تكفير المعتزلة بما حصل للخليفة المأمون ومن تبعه من الخلفاء العبّاسيين من موافقة المعتزلة على هذه العبارة، فتبين أن قول الأئمة منصَبٌّ على المعتزلة القائلين بأنه ليس لله كلامٌ إلا ما يَخلقُه في غيرِه وإطلاقُهم القولَ بأن القرءان مخلوق على هذا الوجه.

والمعتزلي الذي يقول هذه المقالة والذي يقول بأن العباد يَخلقون أفعالهم الاختيارية مستقلين بإيجادها وإن الله كان قادرًا على أن يَخلقَ أفعال العباد قبل أن يعطيهم القدرة عليها وبعد أن أعطاهم القدرة عليها صار عاجزًا عن خلقها كفّارٌ قطعًا، لكن لا يُكفَّر الواحد من المعتزلة لمجرد انتسابه إليهم إلا أن تثبت عليه قضية معيَّنَةٌ يكفر معتقدُها لأن منهم من ينتسب إليهم انتسابًا ولا يوافقهم إلا في بعض مقالاتهم التي هي غيرُ كفر.

وأما إطلاق القول بأن المعتزلة ضلال غير كفار فبعيدٌ من الصواب، فكيف يتردد في تكفير من يقول إن الله لا يقدر أن يَخلق مقدورات العباد بعد أن أعطاهم القدْرةَ عليها، هكذا حقّقَ القولَ في أمر المعتزلة الحافظ الفقيه شيخ الإسلام سراجُ الدّين عُمَرُ بن رَسلان البُلقينيّ، وقال الحافظ اللغوي الفقيه الحنفي محمد مرتضى الزبيدي[1] في شرح إحياء علوم الدين ما نصه: «ولذلك لم يتوقف علماء ما وراء

(١) انظر الموافقة (٤/ ١٠٧).

النهر في تكفير المعتزلة حيث جعلوا التأثير للإنسان» اهـ أي التأثير الحقيقي الذي هو إخراج المعدوم من العدم إلى الوجود.

وللمعتزلة مقالات أخرى فاسدة منها قولهم إن لم يفعل الله غاية مقدوره يكون بخيلًا فيقولون ترك الأصلح بخل وسفه وكلامهم هذا في غاية السخافة.

تنبيه: ذكر التفتازاني[1] في شرحه على العقيدة النسفية أن قولنا لموسى كليمُ الله ليس لأنه سمع الكلام الذاتي إنما معناه سمع صوتًا دالا على كلام الله تعالى بغير واسطة ملك أو غيره لذلك سمي كليم الله، وهذا غير مستحسن. وذكر أنه لا يجوز أن يُسمع ما ليس بصوت وينقل هذا عن الماتريدي وينسُبه إليه[2]، لكن الماتريدي لا يقول إن الكلام الذاتي الذي هو غير صوت لا يصح أن يُسمع أما فيما يتعلق بموسى فيحتمل أنه وُجِد ذلك في بعض عبارات الماتريدي فشهروا عنه هذا القول، ونحن نقول سماع ما ليس بحرف ولا صوت جائز ممكن فكما أنه يصح أن يُسمع الحرف والصوت كذلك يصح سماع الكلام الذي ليس بحرف ولا صوت إذا أزال الله المانع من العبد.

ابن تيمية يزعم أن الله يتكلم بحرف وصوت وأنه يتكلم إذا شاء ويسكت إذا شاء ومن جملة افتراءات ابن تيمية على أئمة الحديث وأهل السُّنّة والجماعة نسبته إليهم أن الله متكلم بصوت نوعه قديم أي يحدث في ذات الله شيئًا بعد شيء قال في كتابه رسالة في صفة الكلام[3] ما نصه: «وحينئذٍ فكلامه قديم مع أنه يتكلم بمشيئته وقدرته وإن قيل إنه ينادي ويتكلم بصوت ولا يلزم من ذلك قدم صوت معين، وإذا كان قد تكلم بالتوراة والقرءان والإنجيل بمشيئته وقدرته لم يمتنع أن يتكلم بالباء قبل السين، وإن كان نوع الباء والسين قديمًا لم يستلزم أن يكون الباء المعينة والسين المعينة قديمة لما علم من الفرق بين النوع والعين» اهـ.

---

(١) مجموع فتاوى (٦/ ١٦٠).
(٢) المصدر السابق، (٦/ ٢٣٤).
(٣) المصدر السابق، (٥/ ٥٥٦ - ٥٥٧).

وقال في «المنهاج»[1]: «وسابعها قول من يقول إنه لم يزل متكلماً إذا شاء بكلام يقوم به وهو متكلم بصوت يسمع وإن نوع الكلام قديم وإن لم يجعل نفس الصوت المعين قديمًا وهذا هو المأثور عن أئمة الحديث والسُّنّة وبالجملة أهل السُّنّة والجماعة أهل الحديث» اهـ.

وقال في «الموافقة» ما نصه[2]: «وإذا قال السلف والأئمة إن الله لم يزل متكلماً إذا شاء فقد أثبتوا أنه لم يتجدد له كونه متكلمًا، بل نفس تكلمه بمشيئته قديم وإن كان يتكلم شيئًا بعد شيء، فتعاقب الكلام لا يقتضي حدوث نوعه إلا إذا وجب تناهي المقدورات المرادات» اهـ.

ثم قال فيه ما نصه[3]: «فلما رجع موسى إلى قومه قالوا له صف لنا كلام ربك فقال: سبحان الله وهل أستطيع أن أصفه لكم، قالوا: فشبهه، قال: هل سمعتم أصوات الصواعق التي تقبل في أحلى حلاوة سمعتموها فكأنه مثله» اهـ.

وقال في «الموافقة» ما نصه[4]: «وحينئذ فيكون الحق هو القول الآخر وهو أنه لم يزل متكلمًا بحروف متعاقبة لا مجتمعة» اهـ.

وقال في فتاويه ما نصه[5]: «فعلم أن قدمه عنده أنه لم يزل إذا شاء تكلم وإذا شاء سكت، لم يتجدد له وصف القدرة على الكلام التي هي صفة كمال، كما لم يتجدد له وصف القدرة على المغفرة، وإن كان الكمال هو أن يتكلم إذا شاء ويسكت إذا شاء» اهـ.

وقال فيه أيضًا ما نصه[6]: «وفي الصحيح: «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات كجر السلسلة على الصفوان»، فقوله: «إذا تكلم الله بالوحي سمع»

---

(١) مجموعة تفسير ست سور (ص/ ٣١١).
(٢) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، ابن تيمية (٢/ ١٤٣).
(٣) انظر الموافقة(٢/ ١٥١).
(٤) انظر الموافقة (٤/ ١٠٧).
(٥) مجموعة فتاوى ابن تيمية (٦/ ١٦٠).
(٦) مجموعة فتاوى ابن تيمية (٦/ ٢٣٤).

يدل على أنه يتكلم به حين يسمعونه وذلك ينفي كونه أزليًا، وأيضًا فما يكون كجر السلسلة على الصفا يكون شيئًا بعد شيء والمسبوق بغيره لا يكون أزليًّا» اهـ.
وقال أيضًا ما نصه[1]: «وجمهور المسلمين يقولون: إن القرءان العربي كلام الله وقد تكلم الله به بحرف وصوت، فقالوا: إن الحروف والأصوات قديمة الأعيان، أو الحروف بلا أصوات، وإن الباء والسين والميم مع تعاقبها في ذاتها فهي أزلية الأعيان لم تزل ولا تزال كما بسطت الكلام على أقوال الناس في القرءان في موضع ءاخر» اهـ.

وقال في مجموعة تفسير ما نصه[2]: «وقولهم «إن المحدَث يفتقر إلى إحداث وهلم جرّا» هذا يستلزم التسلسل في الآثار مثل كونه متكلمًا بكلام بعد كلام، وكلمات الله لا نهاية لها، وأن الله لم يزل متكلمًا إذا شاء، وهذا قول أئمة السنة، وهو الحق الذي يدل عليه النقل والعقل» اهـ.

أقول: فلا يغترَّ مطالع كتبه بنسبة هذا الرأي الفاسد إلى أئمة أهل السنة وذلك دأبه أن ينسُب رأيه الذي يراه ويهواه إلى أئمة أهل السُّنّة، وليعلم الناظر في مؤلفاته أن هذا تلبيس وتمويه محض يريد أن يروجه على ضعفاء العقول الذين لا يوفقون بين العقل والنقل، وقد قال الموفقون من أهل الحديث وغيرهم إن ما يحيله العقل فلا يصح أن يكون هو شرع الله كما قال ذلك الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي في كتابه «الفقيه والمتفقه»: إن الشرع لا يأتي إلا بمجوّزات العقول، وبهذا يردّ الخبر الصحيح الإسناد أي إذا لم يقبل التأويل ومثل هذا قال في بعض كتب مصطلح الحديث علماء المصطلح[3] في بيان ما يعلم به كون الحديث موضوعًا، وأيّدوا ذلك بأن العقل شاهد الشرع فكيف يرد الشرع بما يكذبه شاهده.

فمن قال: إن الله يتكلم بصوت وقال: إنه صوت أزلي أبدي أي صفة أزلية

---

(١) مجموعة فتاوى (٥/ ٥٥٦ - ٥٥٧).

(٢) مجموعة تفسير ست سور: ابن تيمية (ص/ ٣١١).

(٣) انظر فتح الباري (١٣/ ٤٥٦ - ٤٥٨).

أبدية ليس فيه تعاقب الحروف فلا يُكَفَّر إن كان نيته كما يقول، وإلا فهو كافر كسائر المشبهة وكلامه غير صحيح». وأما أحاديث الصوت فليس فيها ما يحتج به في العقائد، وقد ورد حديث مختلف في بعض رواته وهو عبد الله بن محمد ابن عقيل(١)، روى حديثه البخاري(٢) بصيغة التمريض، قال: «ويُذكر»، وفيه: «فينادى بصوت فيسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قَرُبَ، أنا الملك أنا الديَّان»، وإنما ذكره البخاري بصيغة التمريض من أجل راويه هذا، قال الحافظ ابن حجر(٣): «ونظر البخاري أدق من أن يعترض عليه بمثل هذا فإنه حيث ذكر الارتحال فقط جزم به لأن الإسناد حسن وقد اعتضد، وحيث ذكر طرفًا من المتن لم يجزم به لأن لفظ الصوت مما يُتوقف في إطلاق نسبته إلى الرب ويحتاج إلى تأويل، فلا يكفي فيه مجيء الحديث من طريق مختلف فيها ولو اعتضدت» اهـ أي لا يكفي ذلك في مسائل الاعتقاد وإن كان البخاري ذكر أوله في كتاب العلم(٤) بصيغة الجزم لأنه ليس فيه ذكر الصوت، إنما فيه ذكر رحيل جابر بن عبد الله إلى عبد الله بن أُنَيس من المدينة إلى مصر.

وجاء حديث ءاخر(٥) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**يقول الله يوم القيامة: يا ءادم، فيقول: لبَّيك وسعديك، فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تُخرج من ذريتك بعثًا إلى النار**»، هذا اللفظ رواه رواة البخاري على

---

(١) يعني به قوله: «**إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات شيئًا، فإذا فُزّع عن قلوبهم وسكن الصوت عرفوا أنه الحقّ، ونادوا ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق**» رواه البخاري، وفي حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كأنه سلسلة على صفوان**، قال علي: وقال غيره «صفوان» ينفذهم ذلك، **فإذا فزّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير**» رواه البخاري.

(٢) انظر المقالات (ص/ ١٠١).

(٣) فتح الباري (١/ ١٧٤).

(٤) صحيح البخاري: كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾ [سورة سبإ].

(٥) فتح الباري (١٣/ ٤٦٠).

وجهين، بعضهم رواه بكسر الدال وبعضهم رواه بفتح الدال، قال الحافظ ابن حجر[1]: «ووقع فينادي مضبوطًا للأكثر بكسر الدال، وفي رواية أبي ذر بفتحها على البناء للمجهول، ولا محذور في رواية الجمهور، فإن قرينة قوله: «إن الله يأمرك» تدل ظاهرًا على أن المنادي ملك يأمره الله بأن ينادي بذلك» اهـ.وهذا الحديث رواه البخاري موصولًا مسندًا، لكنه ليس صريحًا في إثبات الصوت صفة لله فلا حجة فيه لذلك للصوتية.

قال الحافظ ابن حجر[2]: «قال البيهقي: اختلف الحفاظ في الاحتجاج بروايات ابن عقيل لسوء حفظه، ولم يثبت لفظ الصوت في حديث صحيح عن النبي غير حديثه، فإن كان ثابتًا فإنه يرجع إلى غيره في حديث ابن مسعود[3] وفي حديث أبي هريرة أن الملائكة يسمعون عند حصول الوحي صوتًا، فيحتمل أن يكون الصوت للسماء أو للملك الآتي بالوحي أو لأجنحة الملائكة، وإذا احتمل ذلك لم يكن نصًّا في المسألة، وأشار -يعني البيهقي - في موضع ءاخر إلى أن الراوي أراد فينادي نداء فعبر عنه بصوت» اهـ.

قال الكوثري في مقالاته[4] ما نصه: «ولم يصح في نسبة الصوت إلى الله حديث» اهـ.

أقول: وكذا قال البيهقي في «الأسماء والصفات»[5]، فليس فيها ما يصح الاحتجاج به لإثبات الصفات لأن حديث الصفات لا يقبل إلا أن يكون رواته كلهم متفقًا على توثيقهم، وهذه الروايات المذكورة في فتح الباري في كتاب التوحيد ليست على هذا الشرط الذي لا بدّ من حصوله لأحاديث الصفات كما ذكره صاحب الفتح في كتاب العلم. لكنه خالف في موضع بما أورده في كتاب

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٤٦٠).
(٢) فتح الباري (١٣/ ٤٥٨).
(٣) مقالات الكوثري (ص/ ٥٩).
(٤) مقالات الكوثري (ص/ ٣٢).
(٥) الأسماء والصفات (ص/ ٢٧٣).

التوحيد من قوله: «إذ الصوت قد يكون من غير مخارج، وإذا ثبت ذكر الصوت بهذه الأحاديث الصحيحة وجب الإيمان به ثم إما التفويض وإما التأويل». ويرد كلامه بأن القول بأن من الصوت ما هو قديم ومنه ما هو حادث جمع بين متناقضين فهو كالقول بأن الله جسم لا كالأجسام وقد كفَّر الإمام أحمد بن حنبل قائل ذلك كما ذكر ذلك صاحب الخصال من الحنابلة[1].

ثم قال الكوثري: «وقد أفاض الحافظ أبو الحسن المقدسي شيخ المنذري في رسالة خاصة في تبيين بطلان الروايات في ذلك زيادة على ما يوجبه الدليل العقلي القاضي بتنزيه الله عن حلول الحوادث فيه سبحانه، وإن أجاز ذلك الشيخ الحراني[2] تبعًا لابن ملكا اليهودي الفيلسوف المتمسلم، حتى اجترأ على أن يزعم أن اللفظ حادث شخصًا قديم نوعًا، يعني أن اللفظ صادر منه تعالى بالحرف والصوت فيكون حادثًا حتمًا، لكن ما من لفظ إلا وقبله لفظ صدر منه إلى ما لا أول له فيكون قديمًا بالنوع، ويكون قدمه بهذا الاعتبار في نظر هذا المخرف، تعالى الله عن إفك الأفاكين، ولم يدر المسكين بطلان القول بحلول الحوادث في الله جل شأنه وأن القول بحوادث لا أوّل لها هذيان، لأن الحركة انتقال من حالة إلى حالة، فهي تقتضي بحسب ماهيتها كونها مسبوقة بالغير، والأزل ينافي كونه مسبوقًا بالغير، فوجب أن يكون الجمع بينهما محالًا، ولأنه لا وجود للنوع إلا في ضمن أفراده، فادعاء قدم النوع مع الاعتراف بحدوث الأفراد يكون ظاهر البطلان. وقد أجاد الرد عليه العلاّمة قاسم[3] في كلامه على المسايرة» اهـ.

قلت: وقد ذكر الفقيه المتكلم ابن المعلم القرشي في كتابه نجم المهتدي ورجم المعتدي أثناء ترجمة الحافظ ناصر السنة أبي الحسن علي بن أبي المكارم المقدسي المالكي ما نصه[4]: «كان صحيح الاعتقاد مخالفًا للطائفة التي تزعم أنها

---

(١) نجم المهتدي ورجم المعتدي (ص/ ٢٤٩)، مخطوط.

(٢) يعني ابن تيمية، نسبة إلى حرّان.

(٣) هو العلامة قاسم بن قُطلوبُغا الحنفي.

(٤) نجم المهتدي ورجم المعتدي (ص/ ٢٤٩)، مخطوط.

أثرية، صنف كتابه المعروف بكتاب الأصوات أظهر فيه تضعيف رواة أحاديث الأصوات وأوهامهم، وحكى الشيخ تقي الدين شرف الحفاظ عن والده مجد الدين قال بأنه بلغ رتبة المجتهدين» اهـ.

فلا يصحُّ حملُ ما ورد في النصّ من النداء المضافِ إلى الله تعالى في حديث[1]: «يَحشر الله العباد فيناديهم بصوت..». على الصوتِ على معنى خروجه من الله، فتمسُّكُ المشبهة بالظاهر لاعتقاد ذلك تمويه لا يروج إلا عند سُخفاء العقول الذين حُرموا منفعة العقل الذي جعل الشرع له اعتبارًا، وهل عُرِفت المعجزة أنها دليل على صحة نبوة من أتى بها من الأنبياء إلا بالعقل؟!

وقال ـ أي الكوثري ـ في تعليقه على السيف الصقيل ما نصه[2]: «وحديث جابر المعلق في صحيح البخاري مع ضعفه في سياق ما بعده من حديث أبي سعيد ما يدل على أن المنادي غير الله حيث يقول»...فينادى بصوت إن الله يأمرك..». فيكون الإسناد مجازيًا، على أن الناظم -يعني ابن زفيل وهو ابن قيم الجوزية - ساق في «حادي الأرواح» بطريق الدارقطني حديثًا فيه: «**يبعث الله يوم القيامة مناديًا بصوت..**». وهذا نص من النبي ﷺ على أن الإسناد في الحديث السابق مجازي، وهكذا يخرب الناظم بيته بيده وبأيدي المسلمين، وللحافظ أبي الحسن المقدسي جزء في تبيين وجوه الضعف في أحاديث الصوت فليراجع ثمة» اهـ.

وهناك حديث ءاخر[3]: «**إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات شيئًا**»، ورواه أبو داود[4] بلفظ: «**سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفوان**»، وهذا قد يحتج به المشبهة وليس لهم فيه حجة لأن الصوت خارجٌ

---

(١) صحيح البخاري: كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة سبإ].

(٢) انظر الكتاب (ص/ ٥٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ الآية.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب السنة: باب في القرءان.

من السماء، فالحديث فسر الحديث بأن الصوت للسماء، فتبين أن قول الحافظ ابن حجر في موضع من الشرح: إن إسناد الصوت إلى الله ثبت بهذه الأحاديث الصحيحة فيه نظر فليُتأمَّل.

قال الشيباني في شرح الطحاوية[1] ما نصه: «والحرف والصوت مخلوق، خَلْقُ الله تعالى ليحصل به التفاهم والتخاطب لحاجة العباد إلى ذلك -أي الحروف والأصوات -، والبارئ سبحانه وتعالى وكلامه مستغن عن ذلك -أي عن الحروف والأصوات -، وهو معنى قوله -أي الطحاوي - ومن وصف الله تعالى بمعنى من معاني البشر فقد كفر» اهـ.

فنقول أجمع أهل السنة على أن كلام الله الذاتي الذي ليس بحرف وصوت وهو أزلي أبدي لا يتجزأ ولا يتبعض كحياته فهو كلام واحد لأن ما يتجزأ ويتبعض حادث والله لا يتصف بصفة حادثة فكما أن حياته حياة واحدة أزلية أبدية لا تتجزأ كذلك صفة الكلام والقدرة والإرادة والسمع والبصر والعلم كل صفة من هؤلاء صفة واحدة. أما القرءان بمعنى اللفظ المنزل الذي قرأه جبريل على النبي فهو مخلوق لله تعالى لأن الحرف والصوت مخلوقان ومع هذا لا يقال القرءان مخلوق على هذا المعنى أدبًا لكن يُذكر في مقام التعليم أن القرءان بمعنى اللفظ المنـزل مخلوق لله.

قال القونوي الحنفي في كتاب القلائد شرح العقيدة الطحاوية[2]: «فصل في إثبات الكلام. واعلم أن هـهنا ثلاثة ألفاظ قراءة ومقروء وقرءان فالقراءة فعل العبد وكسبه وإنه مخلوق ومحدَث قائم بالعبد يسمى به قارئًا. والمقروء كلام الله تعالى[3] وصفته وإنه غير مخلوق أزلي قائم بذاته يسمى به متكلماً. والقرءان لفظ

(١) شرح الطحاوية (ص/ ١٤)، مخطوط.
(٢) القلائد شرح العقائد (ق/ ٤٧ - ٤٩)، مخطوط.
(٣) قوله «المقروء كلام الله» أي كلام الله المعبر عنه بالحروف القرءانية.

مشترك تارة يطلق على القراءة المخلوقة قال الله تعالى ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ﴾[١] أي القراءة في صلاة الفجر، وتارة يطلق على المصحف دون القراءة قال النبي ﷺ[٢]: «**لا تسافروا بالقرءان إلى أرض العدو**» وأراد النهي عن المسافرة بالمصحف صيانة عن الاستخفاف به ولم يرد به النهي عن القراءة، وتارة يطلق على المقروء خاصة وهو كلامه القديم قال الله تعالى ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾[٣] أي كلام الله تعالى فإذا ذكر لفظ القرءان مع قرينة تدل على الحدوث والحلول نحو أن يقال قرأت جزءًا من القرءان أو نصف القرءان أو ثلثه أو ربعه أو يحرم القرءان على الجنب أو النهي عن المسافرة بالقرءان يحمل على القراءة والمصحف وإذا ذكر مطلقًا يحمل على الصفة الأزلية القائمة بذات الله تعالى فلا جَرَمَ لا يجوز أن يقال القرءان مخلوق على الإطلاق وهذا كما إذا قال الرجل «اللهَ» مطلقًا عن القيد يفهم من إطلاقه ذات القديم جلَّ جلاله وإذا قرنه بقرينة تدل على الحدوث نحو أن يقول كتبت الله أو تلفظت الله يحمل على هذه الحروف المنقوشة والأصوات المقطعة فكذلك لفظة القرءان. إذا عرف هذا فنقول صانع العالم جلَّ جلاله متكلم بكلام واحد أزلي قائم بذاته ليس من جنس الحروف والأصوات غير متجزئ مناف للسكوت وهو به ءامر ناه مخبر، فإن قيل كيف يتحقق كونه ءامرًا ناهيًا مخبِرًا بكلام واحد وبينها منافاة؟ قلنا: لا يبعد ذلك لأن مرجع الجميع إلى الإخبار وهذا لأن الأمر عبارة عن تعريف العبد أنه لو فعله لصار مستحقًا للمدح ولو تركه لصار مستحقًّا للذم والنهي بالعكس أو الأمر هو الخبر عن طلب الامتثال والنهي هو الخبر عن الانتهاء وقد جاز في الشاهد[٤] أن يكون الشيء الواحد أمرًا ونهيًا وخبرًا

---

(١) سورة الإسراء/ ءاية ٧٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه بلفظ: «**لا تسافروا بالقرءان فإني لا ءامن أن يناله العدو**» انظر صحيح مسلم: كتاب الإمارة: باب النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار إذا خيف وقوعه بأيديهم، وأخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (٢/ ٣٦٩) باللفظ الذي ذكره المؤلّف.

(٣) سورة النحل/ ءاية ٩٨.

(٤) أي الإنسان وغيره.

واستخبارًا فلم لا يجوز في صفة الباري فإن من اصطلح مع غلمانه أني إذا قلت زيد كان أمرًا بالصوم لِبشر بالنهار وأمرًا بالفطر له بالليل ونهيًا له عن الخروج من الدار وإخبارًا بدخول الأمير البلدة واستخبارًا من مبارك عن ولادة الجارية ثم قال هذا الرجل زيد فُهِمَ منه هذه الأشياء فكان أمرًا ونهيًا وخبرًا واستخبارًا ولم يكن ذلك مستحيلًا فكذا هذا فهو في الحقيقة كلام واحد على ما قررنا إلا أنه لما لم يكن في ذوي العقول الوقوف على تفاصيل الخير والشر تفضل الشرع بتفصيل ذلك على حسب حاجة الخلق إلى ذلك وخص كل فرد منه بدلالة تدل عليه فيكون التعدد والتكثر والتجزؤ والتبعض الحاصل في الدلالات لا في المدلول وهذه العبارات مخلوقة لأنها أصوات وهي أعراض وسميت كلام الله تعالى لدلالتها عليه وتأديه بها فإن عبر بالعربية فهو قرءان وإن عبر بالعبرية فهو توراة فاختلفت العبارات لا الكلام كما يسمى الله بعبارات مختلفة مع أن ذاته واحد. فإن قيل إطلاق اسم كلام الله تعالى على هذه العبارات إن كان باعتبار الدلالة على كلام الله تعالى القائم بذاته كان مجازًا وما كان مجازًا يصح نفيه وهذا لا يصح نفيه قلنا: هذا وإن كان مجازًا لكن ورد الشرع بجواز إطلاقه والمجاز الذي ورد الشرع بجواز إطلاقه فيما يجب اعتقاده لا يصح نفيه ولا يقال إن قوله تعالى ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾[1] صريح في إثبات الكلمات لأنا نقول إن أهل السنة حملوا الكلمات على متعلقات علم الله تعالى. فإن قيل الآية إذا قرئت بقراءتين فالله تعالى قال بهما جميعًا أو بإحداهما قيل له: هذا على وجهين إن كان لكل قراءة معنى غير معنى الأخرى فإن الله تعالى قال بهما جميعًا وصارت القراءتان بمنزلة الآيتين وإن كانت القراءتان معناهما واحد فالله تعالى قال بإحداهما ولكنه رخص بأن يُقرأ بهما جميعًا كذا في تفسير أبي الليث السمرقندي[2]» اهـ.

(١) سورة الكهف/ ءاية ١٠٩.
(٢) انظر تفسيره بحر العلوم (١/ ٤١٩).

وقال في موضع[١] ءاخر منه: «وقال الشيخ الإمام أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرخي الشافعي في كتابه الذي سمّاه الفصول في الأصول: سمعت الإمام أبا منصور محمد بن أحمد يقول: سمعت الإمام أبا بكر عبد الله بن أحمد يقول: سمعت الشيخ أبا حامد الأسفرايني يقول: مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الأمصار أن القرءان كلام الله غير مخلوق ومن قال إنه مخلوق فهو كافر، والقرءان حمله جبريل عليه السلام مسموعًا من الله والنبي ﷺ سمعه من جبريل والصحابة سمعوه من رسول الله ﷺ وهو الذي نتلوه نحن مقروء بألسنتنا وفيما بين الدفتين وما في صدورنا مسموعًا ومكتوبًا ومحفوظًا ومقروءًا» اهـ.

فإذا قال قائل إن بعض اللغويين قال: النداء الصوت، قلنا ليس مراد من قال ذلك أن النداء لا يكون في لغة العرب في جميع الموارد إلا بالصوت، وإنما المراد أنه في غالب الاستعمال يكون بالصوت، وقد قال ءاخرون من اللغويين: النداء طلب الإقبال، فليعلم المغفلون الآن ما جهلوه من أن قول السلف عند ذكر تلك الآيات وتلك الأحاديث بلا كيف معناه ليس على ما يفهمه الناس من صفات المخلوقين، ولو كان يصح أن يكون قول الله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾[٢] المجيء المعهود من الخلق ما قال الإمام أحمد في هذه الآية: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾: إنما جاءت قدرته.

قال القرطبي في التذكرة ما نصه[٣]: فصل: قوله في الحديث: «فيناديهم بصوت» استدل به من قال بالحرف والصوت وأن الله يتكلم بذلك، تعالى عما يقول المجسمون والجاحدون علوًّا كبيرًا، وإنما يحمل النداء المضاف إلى الله تعالى على نداء بعض الملائكة المقربين بإذن الله تعالى وأمره، ومثل ذلك سائغ في الكلام غير مستنكر أن يقول القائل: نادى الأمير، وبلغني نداء الأمير، كما قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ ﴾[٤] وإنما المراد نادى المنادي عن أمره، وأصدر نداءه

---

(١) انظر الكتاب (ص/ ٥٤).
(٢) سورة الفجر/ ءاية ٢٢.
(٣) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (ص/ ٣٢٨ - ٣٢٩).
(٤) سورة الزخرف/ ءاية ٥١.

عن إذنه، وهو كقولهم أيضًا: قتل الأمير فلانًا، وضرب فلانًا، وليس المراد توليهُ لهذه الأفعال وتصديهُ لهذه الأعمال، ولكن المقصود صدورها عن أمره. وقد ورد في صحيح الأحاديث أن الملائكة ينادون على رؤوس الأشهاد فيخاطبون أهل التقى والرشاد: ألا إن فلان بن فلان كما تقدم.

ومثله ما جاء في حديث النزول مفسرًا فيما أخرجه النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه وأبي سعيد قالا: قال رسول الله: «**إن الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناديًا يقول: هل من داع يستجاب له، هل من مستغفر يغفر له، هل من سائل يعطى**» صححه أبو محمد عبد الحق، وكل حديث اشتمل على ذكر الصوت أو النداء فهذا التأويل فيه، وأن ذلك من باب حذف المضاف، والدليل على ذلك ما ثبت من قِدَم كلام الله تعالى على ما هو مذكور في كتب الديانات.

فإن قال بعض الأغبياء: لا وجه لحمل الحديث على ما ذكرتموه فإن فيه: «أنا الديّان»، وليس يصدر هذا الكلام حقًّا وصدقًا إلا من رب العالمين؟ قيل له: إن الملَكَ إذا كان يقول عن الله تعالى ويُنبِئ عنه فالحكم يرجع إلى الله رب العالمين، والدليل عليه أن الواحد منا إذا تلا قول الله تعالى: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ ﴾[1] فليس يرجع إلى القارئ وإنما القارئ ذاكر لكلام الله تعالى ودالٌّ عليه بأصواته وهذا بَيِّنٌ» اهـ.

قلت: وهذا له أيضًا دليل قوي في الصحيح[2] في حديث المعراج الذي ذكر فيه تخفيف الخمسين صلاة إلى خمس قوله ﷺ: «**فلما جاوزت ناداني منادٍ: أمضيتُ فريضتي وخففت عن عبادي**»، فما أراد رسول الله ﷺ بقوله: «**ناداني**» إلا الملَك. فإذا ثبت هذا النداء من الملَك مبلغًا عن الله فلا يمتنع أن ينادي الملَك بتلك الجمل الثلاث: «هل من داع يستجاب له، هل من مستغفر يغفر له، هل من سائل يعطى»، فبطل استنكار أن يكون هذا اللفظ من الملَك في حديث النزول، فأين تذهب المشبهة.

---

(١) سورة طه/ ءاية ١٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج.

قال الشيخ شرف الدين بن التلمساني في شرح لمع الأدلة للجويني ما نصه[1]: «وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إني زورت في نفسي كلامًا.

الطرف الثالث: إذا أطلق الكلام على المعنى القائم بالنفس وعلى الألفاظ الدالة عليه فهل هو حقيقة فيهما معًا أو حقيقة في اللفظ مجاز في القائم بالنفس أو بالعكس اختلفوا في ذلك، فنقل عن الشيخ أبي الحسن قولان أحدهما: إنه حقيقة في المعنى القائم بالنفس مجاز في العبارات من مجاز إطلاق الدليل على المدلول، والقول الثاني: إنه حقيقة فيهما لاستعماله فيهما جميعًا. والأصل في الإطلاق الحقيقة وصار غيره إلى أنه حقيقة في العبارات لتبادرها إلى الفهم عند الإطلاق وعدم القرائن، ومجاز في المعنى القائم بالنفس لخفائه ولا يبعد أن يكون حقيقة لغوية في المعنى القائم بالنفس، ومجازًا في الألفاظ» اهـ.

ثم قال أيضًا ما نصه[2]: «الفرقة الثانية: وهم الكرامية زعموا أن البارئ تعالى تقوم به الأقوال المركبة من الحروف والأصوات، قالوا: ولا يكون قابلًا بها وإنما هو قابل للقابلية، وفسروا القابلية بالقدرة على القول، وكذلك أثبتوا له مشيئة قديمةً وإراداتٍ حادثة تقوم به، قالوا: وإذا أراد الله تعالى إحداث محدَثٍ في الوجود خلق بذاته كافًا ونونًا وإرادة يوجبُ بها ما هو خارج عن ذاته أخذًا من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[3]، وما ذكروه من قيام الحوادث بذاته يلزم منه حدوثه، فإن كل ما قبل الحوادث لا يخلو عنها وما لا يخلو عن الحوادث حادث، وأما الآية فهي إشارة إلى سرعة وقوع المراد فعبر عن القصد إلى الإيقاع بالأمر، وعن الوقوع بصورة الامتثال» اهـ.

وتبع ابن تيمية الكرامية في ذلك في قوله إن الله تقوم به كلمات تحدث في ذاته من وقت بعده وقت وهكذا على الاستمرار، يقول: فكلامه تعالى قديم النوع

---

(1) شرح لمع الأدلة (ص/ ٧١)، مخطوط.

(2) شرح لمع الأدلة (ص/ ٦٤ - ٦٥)، مخطوط.

(3) سورة يس/ ءاية ٨٢.

حادث الأفراد كما قالت الكرامية، وينسب هذا المذهب الرديء الذي أخذه من الكرامية إلى أئمة أهل الحديث، وأئمة أهل الحديث على خلاف ما يدعيه وما يقول، فإن معتقدهم أن ذات الله تعالى لا تحدث فيه صفة تتجدد من وقت إلى وقت، تتجدد في مرور الأوقات، ويكفي في ذلك ما ذكره الحافظ الطحاوي الشهير ناسبًا ذلك إلى معتقد أبي حنيفة وصاحبيه ومن كان في تلك العصور من الأئمة، لأنه ألف عقيدته هذه المشهورة لبيان ما عليه أهل السنة وليس لبيان ما هو معتقده الخاص.

وأما ما احتج به ابن تيمية موهمًا أن أئمة الحديث على ذلك فإنما هو قول بعض المشبهة من الحنابلة وغيرهم، وليس هؤلاء الذين يعتمد عليهم في تلك المنزلة في الحديث لأنه يعتمد على مثل أبي إسماعيل الهروي السجزي وعثمان بن سعيد الدارمي، وأما ما يذكره عن ابن المبارك فهو غير ثابت إسنادًا، وقد نص أبو حنيفة رضي الله عنه على أن الله تعالى متكلم بكلام ليس حرفًا ولا صوتًا، وكل الحفاظ المنتسبين إلى مذهبه على هذا، وكذا الحفاظ المشاهير المنتسبون إلى الشافعي على هذا، وكذلك حفاظ المالكية ومتقدمو الحنابلة، فكيف يتجرأ ابن تيمية على نسبة هذا إلى أئمة الحديث موهمًا أن هذا مما أجمعوا عليه، وكثيرًا ما ينقل اتفاق العلماء على أشياء انفرد هو بها.

ويكفي أهل السنة دليلًا على أن الله تعالى لا يتكلم بالحرف والصوت ما أنزله الله في القرءان وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾[1] يعني أن القرءان الذي هو اللفظ المنزل مقروء جبريل ليس مقروء الله، وإلى هذا أشار الطحاوي في عقيدته بقوله: «وأن القرءانَ كلامُ الله منه بدا بلا كيفية قولا»، والمراد بقوله: «بلا كيفية قولا» نفي أن يكون الله تعالى يتكلم بالحرف والصوت كما يتكلم العباد لأنه هو الذي نفاه بقوله «بلا كيفية»، وإلا فلو كان الله قرأ القرءان على جبريل بالحرف والصوت لم يقل «بلا كيفية» لأن الحروف كيفيات، سبحان الله الذي يقفل قلوب

---

(١) سورة التكوير/ ءاية ١٩.

من شاء من عباده عن فهم الحق.

وأما قول الطحاوي: «منه بدا»، فليس معناه أن الله أحدثه في ذاته بعد أن لم يكن يتكلم به، إنما معناه منزلٌ من عنده، أي نزل به جبريل بأمر الله.

وأما قول الله تعالى: ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾[1] فالجمع ليس لأن كلام الله حروف متعاقبة، إنما ذكر بالجمع في الآية للتعظيم أي لتعظيم كلامه كما قال البيهقي في «الأسماء والصفات»[2] مع كونه في الحقيقة واحدًا لا تعدد فيه، شامل لكل متعلقاته من الواجب والجائز والمستحيل، لأن الكلام معناه الإخبار والذِّكر، ولا يُقاس صفة من صفات الله بصفات غيره، فمن قاس كلام الله الأزلي الشامل للواجب العقلي والجائز العقلي والمستحيل العقلي على كلام العباد فقد شبهه بخلقه. ومنشأ ضلالة المشبهة أنهم قاسوا ذاته الذي ليس حجمًا وجسمًا بذوات الخلق فأثبتوا له الحيز والشكل، وقاسوا صفاته بصفات خلقه فجعلوها حادثة وهذا يشهد عليهم بأنهم لم يفهموا قول الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

وقال أيضًا ما نصه[3]: «وقد ذكر المشايخ رحمهم الله تعالى أنه يقال: القرءان كلام الله غير مخلوق، ولا يقال القرءان غير مخلوق لئلا يسبق إلى الفهم أن المؤلَّف من الأصوات والحروف قديم كما ذهب إليه بعض جهلة الحنابلة» اهـ. وقولهم غير معتمدٍ ولا يُؤخذُ به.

أما قول المجسم ابن أبي العز: «وَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِهِ بِصَوْتٍ يُسْمَعُ، وَأَنَّ نَوْعَ الْكَلَامِ قَدِيمٌ» انظروا إلى تمويهه بهذه العبارة يقول وهو يتكلم به بصوتٍ ثم يقول وأنَّ نوع الكلام قديم وهذا خلطٌ عجيب فإنه قد جعل الأزلي حادثًا والحادث أزليًا وهل يكون الصوت إلّا حادثًا فكيف ساغ له وكيف قبل عقله أن يكون الصوت قديمًا؟ وهذه مكابرة وخروج عن مقتضى النقل والعقل.

---

(١) سورة لقمان/ ءاية ٢٧.

(٢) الأسماء والصفات (ص/ ٣١٣).

(٣) شرح الفقه الأكبر (ص/ ٤١).

وأما قوله: «وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الصَّوْتُ المُعَيَّنُ قَدِيمًا، وَهَذَا المَأْثُورُ عَنْ أَئِمَّةِ الحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ» وهذا تمويه ءاخر ينسب هذا الضلال إلى أئمة الحديث والسنة ليستر عوره وشذوذه ولم يستطع أن يثبت ذلك عنهم ولا يستطيع أتباعه بعده ذلك فمن من أئمة الحديث والسنة الذين يعوّل عليهم من المعتبرين قال بذلك؟!.

وأما قوله: وَإِلَى هَذَا أَشَارَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ الله بِقَوْلِهِ: (**مِنْهُ بَدَا بِلَا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا**)».

وهنا يكذب ابن أبي العز على الإمام الطحاوي رضي الله عنه حيث حرّف كلامه وألصق به ما هو بريء منه وهذه صفاقة عجيبة فالطحاوي يقول بلا كيفية وهذا هو الإجماع وابن أبي العز يقول بحرف وصوت ولغة ويتكلم إذا شاء ويسكت إذا شاء وكل هذه كيفيات وصفات المخلوقين والله منزه عنها ومع هذا يلصق هذا الفساد بالطحاوي والطحاوي ألّف رسالته لتنزيه الله عن ذلك فلماذا يكذب ابن أبي العز على العقلاء وبين الأذكياء وبذلك ينادي بالجهل والكذب على نفسه.

وأما قوله: «**أَيْ: ظَهَرَ مِنْهُ وَلَا يُدْرَى كَيْفِيَّةَ تَكَلُّمِهِ بِهِ**».

وهنا يشبه ابن أبي العز كلام الله بكلام خلقه ويجعله كيفيةً ومبتدأً ومختتمًا ويحرف كلام الطحاوي «منه بدا» وقد قال الإمام الحجة العمدة الهرري شارح الطحاوية في كتابه إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية ما نصه: «وقول المؤلف أي الطحاوي: «**منه بدا بلا كيفيةٍ قولا**»، يُحتاجُ لفهمه على الوجه الصحيح إلى معرفة الفرق بين الوجهين أي ليس حرفًا ولا صوتًا ولا حادثًا ككلام المخلوقين يسبق بعضه بعضًا ويتأخر بعضه عن بعض، هذا مراد المؤلف بقوله بلا كيفية وليس معنى قوله على الحقيقة أنه كلامٌ بحرف وصوت يسبق بعضه بعضًا كما توهمت المشبهة الذين يمرون على هذه العبارة، فظنّوا أنّ المؤلف على عقيدتهم. فقوله: «منه بدا» أفهم إثبات اللفظ المنزل أي أنه أنزله، ليس بمعنى أنه ظهر منه كما يظهر من أحدنا إذا تكلم بكلامه الذي يَحْدُثُ ثم ينقضي، وقوله: «بلا كيفية قولا»، إثباتٌ للكلام الذاتي الذي تنزه عن الكيفية أي عن الصوتِ والحرف والاقتران بالزمن بأن يُبتَدَأ في وقت ثم ينقضي في وقت، فعبارة المؤلف دقيقة جدًّا لا يفهمها

على وجهها إلا من فتح الله تعالى قلبه لفهم الحق على ما هو عليه، فكثير من الناس يقرءون في هذه العقيدة ولا يفهمون هذا المعنى، بل اعتقادهم أن الله تبارك وتعالى يتكلم بكلام يبدأ به ثم ينتهي وينقضي، ثم يتكلم بكلام ثم ينتهي وينقضي وهكذا على ما هو المعهود بين العباد، ولا يفهمون من كلام الطحاوي غير هذا الفهم الفاسد. فَلْيُتَنَبَّه لذلك، فيجب الحذر من شرح له شرحه بعض الحنفية الذين هم ممن قبل أربعة قرون شحنه مؤلفه بآراء ابن تيمية كقوله بأزلية العالم بنوعه، وقد تبعه في كل شيء حتى في قوله: إن العالم لا ابتداء له فيما مضى، كما أنه لا انتهاء له في المستقبل، ويقول: نوع كلام الله أزلي أما أفراده فحادثة، وكذلك يقول في إرادة الله أي أن ذات الله يحدث فيه كلام بعد كلام وإرادة بعد إرادة من الأزل إلى الأبد اللانهائي، فهذا قول لا تقبله العقول السليمة، لأن النوع لا يتحقق إلا في ضمن الأفراد، فإذا كانت الأفراد حادثة فلا يعقل أن يكون نوع تلك الأفراد أزليًّا».

وقال: «**وَقَدْ طَرَّدَ ذَلِكَ الِاتِّحَادِيَّةُ، فَقَالَ ابْنُ عَرَبِيٍّ: وَكُلُّ كَلَامٍ فِي الْوُجُودِ كَلَامُهُ... سَوَاءٌ عَلَيْنَا نَثْرُهُ وَنِظَامُهُ!**» وهنا يكذب ابن أبي العز على الشيخ الإمام محي الدين بن عربي رحمه الله بعدما كذب على الطحاوي وابن عربي من أهل السنة والجماعة ليس حلوليًا وليس إتحاديًا فهو الذي قال: «من قال بالحلول فدينه معلول وما قال بالإتحاد إلا أهل الإلحاد» نقله عنه الفقيه الشافعي الشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتابه اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، وابن عربي حاشاه أن يجعل كل الكلام الذي في الكون الحسن والقبيح والصالح والطالح كلام الله فهذا من زنادقة الحلولية الذين كذبوا عليه وحرفوا كتبه كما أكد الفقيه الشعراني عن الشيخ أبي طاهر المكي أنه اطّلع على كتب الشيخ ابن عربي في مدينة قونيا التركية فوجدها خالية من التحريف والدس وأكد الشيخ الشعراني أن كتب الشيخ حرفت وأنه بريء مما دس عليه وابن أبي العز ليس محققًا وليس مدققًا فيفتري على ابن عربي وينسب إليه ما هو بريء منه بل وكان ابن عربي يحذر من هذه الأقوال الفاسدة الكاسدة قبل أن يعرف ابن أبي العز الاستنجاء ونكتفي هنا

بهذا القدر لأننا قد رددنا على الحلولية والإتحادية وأخيهم ابن أبي العز فيما مضى في هذا الكتاب بتوسع فليراجعه من شاء في موضعه.

**ثم قال[١]: «لَكِنْ بَعْدَ ذَلِكَ تَنَازَعَ الْمُتَأَخِّرُونَ فِي أَنَّ كَلاَمَ اللهِ هَلْ هُوَ مَعْنًى وَاحِدٌ قَائِمٌ بِالذَّاتِ، أَوْ أَنَّهُ حُرُوفٌ وَأَصْوَاتٌ تَكَلَّمَ اللهُ بِهَا بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مُتَكَلِّمًا، أَوْ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا إِذَا شَاءَ وَمَتَى شَاءَ وَكَيْفَ شَاءَ وَأَنَّ نَوْعَ الْكَلَامِ قَدِيمٌ».**

ويحاول هنا ابن أبي العز أن يشوش على عقائد أهل السنة حيث زعم أن المتأخرين ويعني بهم أهل السنة منهم من قال إن كلام الله حروف وأصوات وأنه يتكلم إذا شاء ويسكت إذا شاء كيف شاء وهذا تدليس وخبث عجيب لأن أهل السنة والجماعة متفقون ومجمعون على أن الله تعالى كلامه كلام واحد كما نقل الإجماع على ذلك الإمام السكوني في كتابه التمييز حيث قال: «مسألة: وكلام الله واحد بإجماع الأمة» وأما المشبهة المجسمة فهم الذين قالوا يتكلم بحروف وأصوات كيف شاء إذا شاء ويسكت إذا شاء وهذا لم يقله واحد من أئمة أهل السنة إلا إن بعض المتأخرين من الحنابلة قالوا: «بصوت أزلي» ولم يقولوا بحروف ولا لغات ولا قالوا يتكلم إذا شاء ويسكت إذا شاء ومع هذا فقولهم هذا مردود غير مقبولٍ لأنه لا يقوم عليه إجماع ومجسمة الحنابلة قالوا بما قال به ابن أبي العز ومع هذا ينسبون قولهم إلى أهل السنة والجماعة كذبًا وزورًا وقد مرّت هذه المسائل بتوسع.

**وقال[٢]: «الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ كَلاَمُ الطَّحَاوِيِّ رَحِمَهُ اللهُ: أَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا إِذَا شَاءَ كَيْفَ شَاءَ، وَأَنَّ نَوْعَ كَلاَمِهِ قَدِيمٌ»** وهذا افتراء على الطحاوي أفيظن ابن أبي العز أن العقيدة الطحاوية انقرضت من بين المسلمين أو أن الأرض خلت منها ليدخل ما يريده من تشبيه للتمويه على الناس ثم يقول وهذا معنى قول الطحاوي فأين قال الطحاوي أيها المزيف أنه لم يزل متكلمًا إذا شاء كيف شاء.

---

(١) المصدر السابق، (ص/ ١٧٢).

(٢) المصدر السابق.

وقال[1]: «وَبِالجُمْلَةِ: فَكُلُّ مَا تَحْتَجُّ بِهِ المُعْتَزِلَةُ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَلامٌ مُتَعَلِّقٌ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ إِذَا شَاءَ، وَأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ، فَهُوَ حَقٌّ يَجِبُ قَبُولُهُ» وانظروا إلى قول ابن أبي العز كيف أنه هو الموافق للمعتزلة في قولهم وأنه يتكلم إذا شاء وأنه يتكلم شيئًا بعد شيء فهو حق يجب قبوله وهل أصرح من هذه الصراحة في أن الله تعالى -في رأي هذا المجسم- متغيّر حادث يحدث له كلام بعد كلام ومشيئة بعد مشيئة وتنزه الله وتعالى عن ذلك فهو الأزلي الأبدي وصفاته كذلك.

وقال: «فَإِذَا قَالُوا لَنَا: فَهَذَا يَلْزَمُ أَنْ تَكُونَ الحَوَادِثُ قَامَتْ بِهِ. قُلْنَا: هَذَا القَوْلُ مُجْمَلٌ، وَمَنْ أَنْكَرَ قَبْلَكُمْ قِيَامَ الحَوَادِثِ بِهَذَا المَعْنَى بِهِ تَعَالَى مِنَ الأَئِمَّةِ؟ وَنُصُوصُ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ تَتَضَمَّنُ ذَلِكَ، وَنُصُوصُ الأَئِمَّةِ أَيْضًا، مَعَ صَرِيحِ العَقْلِ».

وانظروا هنا إلى وقاحة ابن أبي العز كيف يقلب الحقائق ويزعم أن لا أحد من أئمة أهل السنة قال بنفي قيام الحوادث في ذات الله ويجعل هذا القول الكفري الشركي هو قول أهل السنة كافة وأن نصوص القرءان والسنة تتضمن ذلك وأن صريح العقل يشهد لذلك وهل هذا الكلام إلّا تكذيبًا للقرءان والسنة الثابتة وإجماع الأمة فأين هو من قول الله عزّ وجلّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ومن قول الله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ فأي جرأة هذه على الله وعلى كتابه وعلى نبيه وبهذا الكلام يكون ابن أبي العز قائلًا بقدم المخلوقات لأنه يعتبر أن الله تعالى تحله الحوادث وهذا معناه أن الحوادث أزلية غير مخلوقة ويكفي لبيان كفر من يقول بذلك بالإجماع ما نقله الحافظ العلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى المتوفى سنة ١٢٠٥هـ في كتابه «اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين»[2]: «وقال السبكي في شرح عقيدة ابن الحاجب: اعلم أن حكم الجواهر والأعراض كلها الحدوث فإذًا العالم كله حادث وعلى هذا إجماع المسلمين بل كل الملل، ومن خالف في ذلك فهو كافر لمخالفة الإجماع القطعي».

---

(١) المصدر السابق، (ص/ ١٧٢-١٧٣).

(٢) اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين (٢/ ١٥٣)، الطبعة الأولى دار الكتب العلمية.

وقال ابن أبي العز: «**وَالْحَقُّ: أَنَّ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ وَالْقُرْآنَ مِنْ كَلَامِ اللهِ حَقِيقَةً**». وهذه سخافة ظاهرة تقشعر منها جلود الذين آمنوا فكيف تكون هذه الكتب هي كلام الله حقيقة وقد حرف الكفار بعضها فهل بزعم ابن أبي العز أن الكفار يستطيعون أن يغيروا في صفات الله الأزلية الأبدية؟! أولم يسمع ابن أبي العز من أطفال المسلمين أن حدوث الصفة يستلزم حدوث الذات؟! وبهذا القول يكون ابن أبي العز تبع شيخه ابن تيمية الحراني الذي قال: إن ألفاظ التوراة والإنجيل اليوم هي كما أنزلها الله لم تحرف ولم تبدل، وما هذا إلا لحبهم وتعلقهم بالتشبيه والتجسيم لأن هذه الكتب المحرفة اليوم طافحة بالتشبيه والتجسيم وبتحقير الله وبالاستخفاف به وبأنبيائه أهذا الذي يريده ابن تيمية وابن أبي العز؟! الحراني يقول: إن التوراة والإنجيل الموجودين اليوم ألفاظهما ما زالت كما أنزلها الله ولم تحرَف. وهذا في كتابه المسمى بيان تلبيس الجهمية، وقد أثبته عنه أيضًا شمس الدين بن طولون في كتابه «ذخائر القصر»[1].

وقال[2] ابن أبي العز: «**فَإِنْ قَالُوا: إِنَّمَا أَشَارَ إِلَى حِكَايَةِ مَا فِي نَفْسِهِ وَعِبَارَتِهِ وَهُوَ الْمَتْلُوُّ الْمَكْتُوبُ الْمَسْمُوعُ، فَأَمَّا أَنْ يُشِيرَ إِلَى ذَاتِهِ فَلَا - فَهَذَا صَرِيحُ الْقَوْلِ بِأَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ، بَلْ هُمْ فِي ذَلِكَ أَكْفَرُ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ**».

وهنا يكفر ابن أبي العز المجسم أهل السنة والجماعة ويسميهم كذبًا وزورًا بالجهمية وقد اتفقت الأمة وأجمعت على كفر من كفر أمة محمد ﷺ.

**١٤ - يقول المجسم ابن أبي العز[3]: «وَمَنْ أَرَادَ الْوُقُوفَ عَلَيْهَا فَلْيُوَاظِبْ سَمَاعَ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ، فَإِنَّ فِيهَا مَعَ إِثْبَاتِ الرُّؤْيَةِ أَنَّهُ يُكَلِّمُ مَنْ شَاءَ إِذَا شَاءَ، وَأَنَّهُ يَأْتِي لِفَصْلِ الْقَضَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّهُ فَوْقَ الْعَالَمِ، وَأَنَّهُ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ، وَأَنَّهُ يَتَجَلَّى لِعِبَادِهِ، وَأَنَّهُ يَضْحَكُ» اهـ.**

---

(١) ذخائر القصر (ص/ ٦٩).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق، (ص/ ١٨٩).

ومثله قال المجسم سفر الحوالي[1]، بل ومن تناقض المجسمة اعتراض سفر الحوالي على المعلق شعيب الأرنؤوط، فقال[2]: «كلام الله يكون بصوت خلافًا لتعليق الأرنؤوط قَالَ: [وأنه يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب]. لكن في طبعة الشيخ الأرنؤوط بعد أن ذكر الروايات قَالَ: «ولم تثبت صفة الصوت في كلام الله عز وجل أو في حديث صحيح عن النبي ﷺ غير هذا الحديث الذي رواه البُخَارِيّ تعليقًا بصيغة التمريض. وليس بنا ضرورة إِلَى إثباته». (وفي هذا صدق المتناقض الأرنؤوط حيث قال إن البخاري أورده بصيغة التمريض أي أنه لا يصح ولا يثبت في مثل هذا حديث كما أنه لا يحتج بالحديث الضعيف في العقائد وفي هذا وافق أهل الحق لكنه خالفهم في أشياء أخرى ولم يرض سفر الحوالي بقول الأرنؤوط هذا ومع هذا فإننا نحذر من قول الأرنؤوط في هذا الموضوع حيث أورد عبارة ولم تثبت صفة الصوت فالصوت ليس صفة من صفات الله بل الصوت والحرف واللغة صفات حادثة وجدت عندما وجد من يتكلم بها)» اهـ.

الرد: وكلام ابن أبي العز هذا حشوٌ وإعادة من شدة حبه للتشبيه يحاول أن يعيده وأن يكرره ليرسخه في أذهان الجهلة ممن يتبعونهم على التشبيه والتجسيم فقوله: «أَنَّهُ يُكَلِّمُ مَنْ شَاءَ إِذَا شَاءَ» معناه أن الله تعالى يتغيّر ويتطور ويتبدل وأنه تتجدد له صفةٌ لم تكن في الأزل وأنه تحله الحوادث وأن مشيئته مخلوقة وأنه تحدث له مشيئة ثم مشيئة وهذا كله تكذيب لقول الله عزّ وجلّ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾[3] أي أن الله تعالى لا شبيه له بوجه من الوجوه وابن أبي العز ومن يدور في فلكه جعلوا الله تعالى مشابهًا لخلقه في كثير من الوجوه وإذا جوّزوا عليه مشابهة شئ من مخلوقاته فقد جوّزوا عليه ما يجوز على المخلوقات من الحدوث

(١) انظر الكتاب (ص/ ١٧٥٠-١٧٥٣).
(٢) انظر الكتاب (ص/ ١٧٥٣).
(٣) سورة مريم/ ءاية ٦٥.

والعجز والجهل والألم والاحتياج والضعف والزوال والفناء وقد قال ربنا في القرءان الكريم: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[1] ونكتفي في هذه المسألة بهذا القدر لأننا قد رددنا عليها مطولًا فيما سبق.

وأما قوله: «**وَأَنَّهُ يَأْتِي لِفَصْلِ الْقَضَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّهُ فَوْقَ الْعَالَمِ، وَأَنَّهُ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ، وَأَنَّهُ يَتَجَلَّى لِعِبَادِهِ، وَأَنَّهُ يَضْحَكُ**» وهذا عند ابن أبي العز وأشياعه وأتباعه وأسلافه من المشبهة المجسمة على ظاهره لأنهم يقولون بلا تأويل وهذا معناه أن الله سبحانه وتعالى ينتقل من أعلى إلى أسفل وأنه فوق العالم ثم يصير مخالطًا للناس في أرض وموقف يوم القيامة وأنه يضحك وهم يريدون حقيقة الضحك وهذا خروج عن القرءان وعقيدة الأنبياء والمسلمين سلفًا وخلفًا لأنه على زعمهم يتغير وينتقل من حال إلى حال ويفرغ مكانًا ويملأ ءاخر وأنه يحتاج إلى من يغيّره والاحتياجية تنافي الألوهية وبعقيدتهم هذه جعلوا الله مجعولًا لجاعل ومخلوقًا لخالق والمخلوق لا يخلق وأما الضحك الوارد في الحديث فليس على ظاهره كما تعتقد المشبهة المجسمة بل أوّله الحافظان البيهقي وابن حجر في الأسماء والصفات وفتح الباري في بعض المواضع بالرحمة وفي بعض المواضع بالرضى فيجب الحذر والتحذير من مؤلفات الوهابية وأسلافهم المجسمة وإن تستروا كذبًا وزورًا باسم السلفية والسلف منهم براء، ونسبة الصوت إلى الله تعالى لا تثبت في حديث صحيح كما نصّ على ذلك الحافظ المقدسي في كتابه الأصوات ونسبة ابن تيمية وابن قيم وابن أبي العز ومن بعدهم من المجسمة إلى يومنا هذا الصوت إلى الله تعالى إنما يرده قول الطحاوية «بلا كيفية» والصوت كيفية من الكيفيات ولم يثبت في القرءان ولا في الحديث الصحيح ولا في إجماع الأمة نسبة الصوت إلى الله ونسبتهم الصوت إلى الله دليل ءاخر على أنهم مبتدعة ابتدعوا عقيدة جديدة ولا نطيل هنا أكثر من هذا لأننا قد توسعنا في بيان تنزيه كلام الله عن الحرف والصوت واللغة في هذا الكتاب، ونذكر هنا

---

(١) سورة النحل/ ءاية ٦٠.

شؤم وخبث عقيدة التجسيم وما ينتج عنها من قبائح وفضائح وويلات وبلايا فليتأمل وليتنبه وليحذر أتباع ابن تيمية وابن قيم الجوزية وابن أبي العز المجسم الذي ينتسب كذبًا وزورًا للمذهب الحنفي كما ينتسب كذبًا وزورًا مجسمة اليوم للإمام أحمد رحمه الله من عقيدتهم ولينظروا إلى نتائجها.

## من نتائج عقيدة المجسمة

١ - من نتائج عقيدة المجسمة إنكار وجود الله، لأن الله قال في القرءان الكريم ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ففي هذه الآية أثبت وجود نفسه وأنه خالق للعالمين وربهم ومالكهم، والجسم من العالمين وأما على مقتضى عقيدة المجسمة، صار الله جسما، والجسم مخلوق وليس خالقا، وبهذا أنكروا وجود الله، وجعلوا هذا الجسم الذي تخيلوه هو خالقا للعالم، فعلى مقتضى قولهم ومن نتائج عقيدتهم أن الله تعالى مخلوق لغيره لأنهم اعتقدوه جسما وأن العالم غير موجود، لأن الجسم لا يستطيع أن يخلق جسما، فكيف يخلق هذا العالم بأسره وبما أن العالم موجود، فموجده لا يشبهه بوجه من الوجوه فلا يكون جسما.

٢ - من نتائج عقيدة المجسمة تكذيب القرءان الكريم لأن الله تعالى قال ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ وهم يقولون: الله جسم سواءً قالوا «جسم كالأجسام» أم قالوا: «جسم لا كالأجسام» ففي كلا الحالين كذّبوا هذه الآية الكريمة.

٣ - من نتائج عقيدة المجسمة أنهم يعبدون جسما تخيلوه قاعدا فوق العرش لا وجود له فهم في الحقيقة إنما يعبدون جسما تخيلوه وهذا الجسم ليس الله لأن الله ليس جسما بالمرة ولا يتخيل في البال، فيا لخيبتهم ويا لحسرتهم.

٤ - من نتائج عقيدة المجسمة أنهم جوّزوا عبادة الأجسام فهذا الجسم الذي تخيلوه اعتقدوا أنه الله وفي الحقيقة ليس هو الله إذ هم صاروا عابدين لهذا الجسم، وما الفرق بينهم وبين من يعبد الشمس أو القمر أو النار أو القرد

أو الحجر أو الصنم. فكل هؤلاء يعبدون أجساما لا فرق بين من يعبد جسما تخيله فوق العرش وبين من يعبد جسما تخيله في الطائرة في الجو أو من يعبد جسما وضعه في بطن الوادي، فعند هؤلاء المجسمة تجوز عبادة الأجسام وهذا تكذيب للإسلام.

٥ - من نتائج عقيدة المجسمة أن الجسم أزلي وأن الأزلي حادث، فعلى مقتضى عقيدتهم أن الخالق العظيم الذي لا شبيه له ولا مثيل، الأزلي الأبدي، حادث مخلوق له بداية لأنه جسم بزعمهم، وأن الجسم الذي اعتقدوا أنه الله أزلي أبدي، وهذا جمع بين كفريتين عجيبتين، وهو تكذيب لقول الله تعالى ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ﴾، قال الإمام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي رضي الله عنه في شرحه على عقيدة ابن الحاجب: «ان الذي يقول بأزلية الأجسام كافر بالإجماع لانه إنكار للإجماع القطعي»...

٦ - من نتائج عقيدة المجسمة أن الجسم الحادث المخلوق خالق للكون والعالم، لأنهم اعتقدوا الله جسما، وهذا تكذيب لقول الله عز وجل ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ ومعارض لقول الله تعالى ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾...

٧ - من نتائج عقيدة المجسمة أنهم لا يستطيعون إثبات حدوث العالم والأجسام، لأنهم قالوا: الله جسم، والجسم مخلوق، فعلى هذا لا يستطيعون أن يثبتوا أن الأجسام حادثة ومخلوقة، لأنهم بهذا يقولون الإلـٰه حادث ومخلوق، لأنهم يعتقدونه جسما، وهذا كفر صريح بإجماع أهل الإسلام قاطبة.

٨ - من نتائج عقيدة المجسمة الخبيثة التناقض والتضارب فقولهم: «الله جسم» أي مخلوق، لأنّ كل جسم مخلوق، ولا يوجد جسم غير مخلوق، وقولهم: «لا كالأجسام» أي ليس مخلوقا وهذا تناقض مع الأول، فيصير قولهم «الله مخلوق، الله ليس مخلوقا» ولا يقول هذا عاقل، وهذا كفر صريح كما نصّ عليه إمام السنة سيدنا أحمد بن حنبل رضي الله عنه فيما رواه عنه الحافظ بدر الدين الزركشي في كتابه تشنيف المسامع: «من قال الله جسم لا كالأجسام كفر».

٩ - من نتائج عقائد المشبهة والمجسمة أنه يجوز على مقتضى دينهم وعقيدتهم أن يقال: «الله عاجز لا كالعاجزين» و«الله ضعيف لا كالضعفاء» و«الله جائع لا كالجائعين» و«الله محتاج لا كالمحتاجين» لأنهم قالوا: «جسم» والجسم مخلوق، وهكذا العاجز والضعيف والجائع والمحتاج كلهم مخلوقون عاجزون ولا يجوز تشبيه الله بهم، ولو قالوا «جائع لا كالجائعين» لأنهم بعدما قالوا عنه جسم، جعلوه مخلوقا، فلا ينفعهم قولهم بعد ذلك «لا كالمخلوقين» عندما قالوا: «لا كالأجسام».

١٠ - ومن نتائج عقائد المشبهة والمجسمة أن الله تعالى كذب حيث قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ لأنهم قالوا «هو جسم لا كالأجسام» و«كيفية لا كالكيفيات» و«جالس لا كجلوسنا» فعلى هذا صارت الآية كذبا لأنهم شبهوه ببعض المخلوقات واعتقدوه مخلوقا، والآية تنفي كل ذلك عن الله ثم مع كل هذا يقولون: «جالس لا كجلوسنا» أو «جسم لا كالأجسام» وهذا شتم وتكذيب له، وتكذيب للإسلام، ولكل الأنبياء، فهل يرضوا أن يقال لأحدهم أنت «جدار لا كالجدران» أو أنت «تيس لا كالتيوس» أو أنت «بهيمة لا كالبهائم» فإنهم لا يرضون بذلك ولو قيل «لا كالبهائم» فكيف أجازوا لأنفسهم أن يكذبوا الله ويصفوه بصفات خلقه ويشبهوه بهم ثم بعد ذلك يقولون «لا كالأجسام لا كجلوسنا» وهذا تناقض مفضوح، فيا لتعاستهم من قوم، ناقضوا العقل، وكذّبوا القرءان وخرجوا بالكلية عن المعقول والمنقول.

١١ - من فضائح وقبائح نتائج عقيدة المجسمة والمشبهة أنهم أجازوا لأنفسهم أن يسموا الله بما لم يسم به نفسه ولا سماه به نبي من الأنبياء ولا كتاب من الكتب السماوية الصحيحة المنزلة على الأنبياء ولا أجمعت عليه الأمة، فقولهم: «الله جسم» من أين جاؤوا به؟! وما هو دليلهم على زعمهم؟! ومن هو سلفهم في هذا؟! فالباحث والمطلع يعرف أن التشبيه والتجسيم جاءا من اليهود

ومن الفرق الكافرة وكتب أصحاب الأديان الباطلة، وبتسميتهم لله جسما أجازوا أن يسمى جسدا وحجما وكمية وقمرا ولحما وجبلا وعسلا وخبزا وزيدا وبكرا وعمرا، وهذا دين جديد. وقد قال الإمام حجة الإسلام أبو جعفر الوراق الطحاوي في عقيدته المشهورة بين المسلمين سلفا وخلفا وشرقا وغربا وتلقوها بالقبول ما نصه: «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر» وهذا اجماع قطعي. وقال إمام أهل السنة والجماعة سيدنا الإمام أبو الحسن علي ابن اسماعيل الأشعري رضي الله عنه: «لا يجوز تسمية الله إلا بما سمى به نفسه أو ثبت في السنة الصحيحة أو أجمعت عليه الأمة». وقال أبو بكر الباقلاني: «ما أطلق الله على نفسه أطلقناه عليه وما لا فلا»، وقال الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي: «أسماء الله توقيفية». فلا تثبت صفة لله تعالى بقول صحابي أو تابعي، فمن أين جاء هؤلاء بتسمية الله جسما؟! إذا هؤلاء اخترعوا لغة جديدة وعقيدة محدثة. نسأل الله السلامة في ديننا ودنيانا.

١٢ - ومن نتائج عقائدهم الباطلة ان الله تعالى يجوز عليه التغير والتطور والتبدل فقولهم: «الله جالس على العرش» معناه قبل أن يخلق العرش لم يكن جالسا عليه ثم بعد ما خلقه جلس، وهذا تغير والتغير أكبر علامات الحدوث، وعلى هذا فيكون الله مخلوقا حادثا بزعمهم، وهذا من أصرح الصريح في الكفر، وخلق الله للخلق لم يغير في صفة الله شيئا، فهو أزلي أبدي والأزلي الأبدي لا يتغير لأن المتغير يحتاج لمن يغيره والاحتياجية تنافي الألوهية. وقد قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه في الوصية: «من قال بحدوث صفة من صفات الله أو شك أو توقف كفر».

١٣ - ومن نتائج عقائد المجسمة الخطيرة والخبيثة أنه لا فرق بين المسلم المؤمن المنزه الموحد وبين عابد الصنم والوثن وهذا تكذيب للدين والقرءان، لأن

الله تعالى قال: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾[1].

ومن نتائج عقائدهم أن من يعبد صنما يعبد جسما ومن يعبد جسما تخيله فوق العرش يعبد جسما فالنتيجة واحدة وهذا دين الكفار وليس دين المسلمين لأن دين الإسلام هو «الله ليس جسما بالمرة ولا يتصف بصفات الجسم» وهم ساووا بين الإسلام والكفر.

**١٥- يقول المجسم ابن أبي العز[2]: «وَإِلاَّ فَهَلْ تُعْقَلُ رُؤْيَةٌ بِلاَ مُقَابَلَةٍ؟ وَمَنْ قَالَ: يُرَى لَا فِي جِهَةٍ، فَلْيُرَاجِعْ عَقْلَهُ! ! فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مُكَابِرًا لِعَقْلِهِ أو فِي عَقْلِهِ شَيْءٌ، وَإِلَّا فَإِذَا قَالَ يُرَى لَا أَمَامَ الرَّائِي وَلَا خَلْفَهُ وَلَا عَنْ يَمِينِهِ وَلَا عَنْ يَسَارِهِ وَلَا فَوْقَهُ وَلَا تَحْتَهُ، رَدَّ عَلَيْهِ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ بِفِطْرَتِهِ السَّلِيمَةِ. وَلِهَذَا أَلْزَمَ الْمُعْتَزِلَةُ مَنْ نَفَى الْعُلُوَّ بِالذَّاتِ بِنَفْيِ الرُّؤْيَةِ، وَقَالُوا: كَيْفَ تُعْقَلُ رُؤْيَةٌ بِغَيْرِ جِهَةٍ» اهـ.**

**ومثله قال المجسم سفر الحوالي[3].**

**الرد:** وفي كلام ابن أبي العز المجسم في هذا الموضع سخافات وتناقضات واستهزاء واستخفاف بأهل السنة والجماعة سلفًا وخلفًا حيث اعتبر من يقول من أهل السنة والجماعة إن الله يرى بلا مكان ولا جهة ولا مقابلة ولا أمام ولا خلف ولا يمين ولا يسار مجنونًا ولفظه: «وَمَنْ قَالَ: يُرَى لَا فِي جِهَةٍ، فَلْيُرَاجِعْ عَقْلَهُ! ! فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مُكَابِرًا لِعَقْلِهِ أو فِي عَقْلِهِ شَيْءٌ» وهذه جرأةٌ على تضليل أهل السنة والجماعة لأنهم اتفقوا على أن الله يرى لا كما يرى المخلوق واعلم أنّ رؤية الله تعالى في الدنيا بالبصر لم تقع لأحد من خلقه وأما في الآخرة فواقعة باتفاق أهل الحق ولا يُحيل العقل ذلك فكما صح علمهم بوجوده بلا كيف ولا تشبيه ولا جهة جاز عقلًا رؤيتهم له كذلك بلا كيف ولا جهة.

---

(١) سورة القلم/ ءاية ٣٥.

(٢) انظر الكتاب (ص/ ١٩٠).

(٣) انظر الكتاب (ص/ ١٧٥٦).

قال الإمام أبو حنيفة في «الفقه الأكبر»[1] «والله تعالى يُرى في الآخرة ويراه المؤمنون وهم في الجنة بأعين رؤوسهم بلا تشبيه ولا كيفية ولا كمية ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة». وقال أيضًا[2] «ولقاء الله لأهل الجنة بلا جهة ولا تشبيه ولا كيفٍ حق».

وقال أبو منصور الماتريدي في كتاب التوحيد[3] بعد أن ذكر أن رؤية الله في الآخرة واجبةٌ سمعًا بلا كيف: «فإن قيل كيف يُرى؟ قيل بلا كيف إذ الكيفية تكون لذي صورة بل يُرى بلا وصف قيامٍ وقعودٍ واتكاءٍ وتعلقٍ واتصال وانفصال ومقابلة ومُدابرة وقصير وطويل ونور وظُلمة وساكن ومتحرك ومماس»، ثم قال: «ولا معنًى يأخذه الوهم أو يقدره العقل لتعاليه عن ذلك» انتهى كلام الماتريدي رحمه الله.

والمؤمنون يرون الله في الآخرة ولا يرونه في الدنيا. أما الكفار فمحرومون من رؤيته في الدنيا والآخرة لقوله تعالى ﴿ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[4]. قال أهل الحق: علة صحة الرؤية عقلًا الوجود فالباريء موجود فيصح عقلًا أن يُرى، وكذا يصح عقلًا أن يُرى سائر الموجودات من الأصوات والطعوم والروائح وغير ذلك، وإنما لا نرى الأصوات والطعوم والروائح ونحو ذلك بالأبصار لأن الله تعالى لم يُجْرِ عادته في خلقه بأن يروا ذلك ولو شاء لنا أن نراها لرأيناها كما نرى الأجسام.

والله تعالى يُرى بلا مسافة لأنه ليس من لازم الرؤية المسافة، وقالت المعتزلة: لا يُرى الشيء إلا مع مسافة ولا يُرى إلا في جهة والمرئي لا بد أن يكون في جهة، فقالوا «إن الله تعالى لا يرى» وذلك لاعتقادهم أن الله موجود بلا مكان وهو حق

---

(١) شرح الفقه الأكبر (ص/ ١٣٦ – ١٣٧).
(٢) حكاه ملاّ علي القاري في شرح الفقه الأكبر (ص/ ١٣٨).
(٣) التوحيد (ص/ ٨٥).
(٤) سورة المطففين/ ءاية ١٥.

لكن اعتقادهم أنه تعالى لا يُرى باطل، فإنهم قاسوا الخالق بالمخلوق كما فعلت المشبهة الذين قالوا: الموجود لا بد أن يكون في مكان إذن الله في مكان، ولا بد أن يكون في جهة فالله في جهة، ثم قالوا: المعهود المألوف في عقولنا أن يكون الشيء له حد، فالله له حد، وقد ضلَّ الفريقان.

وأما الدليل على الرؤية من حيث النقل والسمع أن موسى عليه السلام قد سأل الرؤية بقوله ﴿رَبِّ أَرِنِيَ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾[(١)] فلو كانت رؤيته تعالى مستحيلة عقلًا لكان طلب موسى لذلك جهلًا بما يجوز في حق الله وما لا يجوز أو سَفَهًا وعبثًا وطلبًا للمحال، والأنبياء منزهون عن ذلك، وأن الله تعالى قد علق الرؤية باستقرار الجبل وهو أمر ممكن في نفسه عقلًا، والمعلق بالممكن ممكن لأن معناه الإخبار بثبوت المعلق عند ثبوت المعلق به، والمحال لا يثبت على شيء من التقادير الممكنة.

وأوردت المعتزلة على ذلك شبهتين الأولى: قولهم سؤال موسى عليه السلام كان لأجل قومه حيث قالوا ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾[(٢)] فسأل ليعلموا امتناعَها كما علمها هو، والثانية: قالوا إنا لا نسلّم أن المعلّق عليه ممكن بل هو استقرار الجبل حال تحركه واجتماعُ الاستقرار والتحرك في ءان واحد مستحيل. وأجاب أهل الحق: بأن كلاً من ذلك خلاف الظاهر ولا ضرورة إلى ارتكابه على أن القوم إن كانوا مؤمنين لكفاهم أن يقول موسى إن الرؤية مستحيلة، وإن كانوا كفارًا لم يصدقوه في حكم الله تعالى بالامتناع أي عدم إمكانها، وأيًا ما كان فيكون السؤال عبثًا. قالوا: والاستقرار حالَ التحرك أيضًا ممكن بأن يقع السكون بدل الحركة وإنما المحال اجتماع الحركة والسكون.

فيلزم المعتزلة من نفيهم جوازَ رؤية الله تعالى أن يكون موسى إما جاهلًا بما يجوز على الله وإما أن يكون يعلم ذلك وإنما من بابِ السَّفَهِ طلب من الله، وكلا

---

(١) سورة الأعراف/ ءاية ١٤٣.

(٢) سورة البقرة/ ءاية ٥٥.

الأمرين مستحيل على من نبّأه الله تعالى وأكرمه بالنبوة، والأنبياء هم أولى بأن يعرفوا ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه تعالى فكيف لا يُثبت المعتزلة صحةَ الرؤية عقلًا وقد سأل موسى ذلك بنص القرءان.

وبعد هذه النقول عن سلف وخلف الأمة ألا يستحي ويخجل المشبهة المجسمة من ترهاتهم وجرأتهم على أهل السنة والجماعة؟؟ حسبنا الله ونعم الوكيل وإلى الله المرجع والمآل.

وأما قول المجسم ابن أبي العز: **«وَلِهَذَا أَلْزَمَ الْمُعْتَزِلَةُ مَنْ نَفَى الْعُلُوَّ بِالذَّاتِ بِنَفْيِ الرُّؤْيَةِ، وَقَالُوا: كَيْفَ تُعْقَلُ رُؤْيَةٌ بِغَيْرِ جِهَةٍ»** وهنا لم يميّز هذا المجسم بين ما عليه أهل السنة والجماعة من إثبات وجود الله بلا مكان ولا جهة وإثبات رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة كما تقدم معنا الآن وبين قول المعتزلة الذين أنكروا الرؤية لجهلهم وخبطهم لظنهم أن في إثبات الرؤية إثباتٌ لوجود المكان له وهذا ليس صحيحًا للأدلة التي مرَّ ذكرها آنفًا فمن أين لابن أبي العز المجسم أن يعتبر أهل السنة والجماعة السواد الأعظم جمهور الأمة المحمدية كالمعتزلة الذين هم وابن أبي العز والجبرية والجهمية والنجارية وباقي أهل الأهواء والبدع جاؤوا بمعتقدات جديدة لا دليل لهم عليها لا من كتاب الله ولا من سنة نبيه، وابن أبي العز أشبه بأهل الضلال والفرق المستحدثة وليس أهل السنة كالمعتزلة، وسيأتي الرد الموسّع على ابن أبي العز وجماعته الجهوية عند قول الطحاوي: «ولا تحيط به الجهات الست كسائر المبتدعات»

**١٦-يقول المجسم ابن أبي العز[1]: «يَتَذَبْذَبُ: يَضْطَرِبُ وَيَتَرَدَّدُ. وَهَذِهِ الْحَالَةُ الَّتِي وَصَفَهَا الشَّيْخُ -الطحاوي- رَحِمَهُ الله تعالى حَالُ كُلِّ مَنْ عَدَلَ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ إِلَى عِلْمِ الْكَلَامِ الْمَذْمُومِ، أَوْ أَرَادَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَعِنْدَ التَّعَارُضِ يَتَأَوَّلُ النَّصَّ وَيَرُدُّهُ إِلَى الرَّأْيِ وَالْآرَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ، فَيَؤُولُ أَمْرُهُ إِلَى الْحَيْرَةِ وَالضَّلَالِ وَالشَّكِّ».**

**الرد:** وهنا يحرّف ابن أبي العز المجسّم معنى كلام الطحاوي الذي هو من

---

(١) المصدر السابق، (ص/ ٢٠٢).

علماء العقيدة وعلم الكلام الممدوح ليطعنَ فيه وفي الأشاعرة والماتريدية ويذمّهم وكأنّه يظنّ أنه لا يوجد من يعرف معنى كلام الطحاوي وقد قال الحافظ الهرري شارح الطحاوية في كتابه إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية شارحًا وموضحا لمعنى ما قاله الطحاوي.

**قال رحمه الله: فَيَتَذَبْذَبُ بَيْنَ الكُفْرِ وَالإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ.**

**الشرح:** أنه يكون مضطربًا مؤمنًا (أي مُصَدّقًا) ببعض وكافرًا ببعض، والإيمان لا يكون مقبولا إلا بالإيمان التام الذي ليس فيه تجزئة من حيثِ التصديق، أما أن يصدّق ببعض ما جاء به الرسول ويكذب ببعض فلا يكون إيمانًا مقبولا، إنما ذلك إيمان جزئي من حيث اللغة.

**قال رحمه الله: وَالإِقْرارِ وَالإِنْكارِ.**

**الشرح:** أنه يتذبذب أيضًا بين الإقرار بالإيمان وبين إنكاره، وهذا بيان كونه مذبذبًا.

**قال رحمه الله: موسوِسًا تائهًا شاكًّا.**

**الشرح:** هذا تأكيد لما قبل، أي فيكون موسوسًا تائهًا عن طريق الحق شاكًّا زائغًا مائلًا عن الحق إلى الباطل.

**قال رحمه الله: لا مؤمنًا مصدقًا ولا جاحدًا مكذبًا.**

**الشرح:** هذا أيضًا تفسير لبعض ما مضى. انتهى كلام الحافظ الهرري. وقد رددنا في أوائل الكتاب على ابن أبي العز في ذمّه لعلم الكلام الممدوح الذي اشتغل به السلف والخلف من علماء أهل السنة والجماعة فجاء ردًا كافيًا شافيا وافيا فلينظره من أراد.

**وقال المجسم ابن أبي العز: «قَالَ أَبُو الْمَعَالِي الْجُوَيْنِيُّ: يَا أَصْحَابَنَا لَا تَشْتَغِلُوا بِالْكَلَامِ، فَلَوْ عَرَفْتُ أَنَّ الْكَلَامَ يَبْلُغُ بِي إِلَى مَا بَلَغَ مَا اشْتَغَلْتُ بِهِ. وَقَالَ عِنْدَ مَوْتِهِ: لَقَدْ خُضْتُ الْبَحْرَ الْخِضَمَّ، وَخَلَّيْتُ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَعُلُومَهُمْ، وَدَخَلْتُ فِي الَّذِي**

نَهَوْنِي عَنْهُ، وَالْآنَ فَإِنْ لَمْ يَتَدَارَكْنِي رَبِّي بِرَحْمَتِهِ فَالْوَيْلُ لِابْنِ الْجُوَيْنِيِّ، وَهَا أَنَا ذَا أَمُوتُ عَلَى عَقِيدَةِ أُمِّي، أَوْ قَالَ: عَلَى عَقِيدَةِ عَجَائِزِ نَيْسَابُورَ».

الرد:

## بيان كذب ما يروى عن إمام الحرمين من رجوعه عن علم الكلام

قال تاج الدين السبكي في طبقاته ما نصه[1]: «وذكر ابن السمعاني أيضًا أنه سمع أبا العلاء أحمد بن محمد بن الفضل الحافظ بأصبهان يذكر عن محمد بن طاهر المقدسي الحافظ قال: سمعت أبا الحسن القيرواني الأديب بنيسابور وكان ممن يختلف إلى درس إمام الحرمين أنه قال: سمعت أبا المعالي يقول: لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به.

قلت أنا: يشبه أن تكون هذه الحكاية مكذوبة، وابن طاهر عنده تحامل على إمام الحرمين، والقيرواني المشار إليه رجل مجهول، ثم هذا الإمام العظيم الذي ملأت تلامذته الأرض لا ينقل هذه الحكاية عنه غير رجل مجهول، ولا تعرف من غير طريق ابن طاهر، إن هذا لعجيب! وأغلب ظني أنها كذبة افتعلها من لا يستحي، وما الذي بلغ به رضي الله تعالى عنه علم الكلام؟ أليس قد أعزَّ الله به الحق وأظهر به السنة وأمات به البدعة؟، انتهى كلام السبكي.

وقال المجسم ابن أبي البر: «وَكَذَلِكَ قَالَ شَمْسُ الدِّينِ الْخُسْرَوْشَاهِيُّ، وَكَانَ مِنْ أَجَلِّ تَلَامِذَةِ فَخْرِ الدِّينِ الرَّازِيِّ، لِبَعْضِ الْفُضَلَاءِ، وَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ يَوْمًا، فَقَالَ: مَا تَعْتَقِدُ؟ قَالَ: مَا يَعْتَقِدُهُ الْمُسْلِمُونَ، فَقَالَ: وَأَنْتَ مُنْشَرِحُ الصَّدْرِ لِذَلِكَ مُسْتَيْقِنٌ بِهِ؟ أَوْ كَمَا قَالَ، فَقَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: أَشْكُرُ اللهَ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ، لَكِنِّي وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَعْتَقِدُ، وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَعْتَقِدُ، وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَعْتَقِدُ، وَبَكَى حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ».

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٥/ ١٨٦-١٨٧).

وما أورده ابن أبي العز المجسم من ترهاتٍ وافتراءات على الآمدي وإمام الحرمين والغزالي وغيرهم ليطعن في علم الكلام الذي يشتغل به أهل السنة ويفتري عليهم بأنهم رجعوا عن ذلك يرده ويفضحه ما سنبينه في الفصل التالي الآن من ردِّ شبهات وتمويهات الطاعنين في علم الكلام من أقوال ونصوص مشاهير علماء الأمة.

## بيان شبه المانعين من الاشتغال بعلم الكلام والإجابة عنها

ذهب بعض الناس إلى تحريم الاشتغال بعلم الكلام مستدلين بأن الصحابة لم يتعلموا ولا علَّموا هذا العلم، وأن جماعة من السلف ذموه إلى غير ذلك من الشبهات، وجوابا على ذلك نقول:

إن قولهم لم ينقل أنه ﷺ علّم أحدا من أصحابه هذا العلم، ولا عن أحد من أصحابه أنه تعلم أو علّم غيره، وإنما حدث هذا العلم بعد انقراضهم بزمان، فلو كان هذا العلم مهمّا في الدين لكان أولى به الصحابة والتابعون.

قلنا: إن عُني بهذا المقال أنهم لم يعلموا ذات الله وصفاته وتوحيده وتنزيهه وحقية رسوله وصحة معجزاته بدلالة العقل بل أقروا بذلك تقليدا فهو بعيد من القول شنيع من الكلام، وقد ردَّ الله عز وجلّ في كتابه على من قلَّد أباه في عبادة الأصنام بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[1]، أي أن أولئك اقتدوا بآبائهم في إشراكهم بغير دليل يقوم على صحة ذلك الدين، وهذا يفهم منه أن علم الدليل مطلوب، قال أبو حنيفة رضي الله عنه جوابا على القائلين: لِمَ تتكلمون بعلم الكلام والصحابة لم يتكلموا فيه: «إنما مثلهم كأناس ليس بحضرتهم من يقاتلهم فلم يحتاجوا إلى إبراز السلاح، ومثلنا كأناس بحضرتهم من يقاتلهم فاحتاجوا إلى إبراز السلاح» اهـ.

وإن أريد أن الصحابة لم يتلفظوا بهذه العبارات المصطلحة عند أهل هذه

---

(١) سورة الزخرف/ ءاية ٢٣.

الصناعة نحو: الجوهر والعرض، والجائز والمحال، والحدث والقِدم، فهذا مُسَلَّمٌ به، لكننا نعارض هذا بمثله في سائر العلوم، فإنه لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه التلفّظ بالناسخ والمنسوخ، والمجمل والمتشابه، وغيرها كما هو المستعمل عند أهل التفسير، ولا بالقياس والاستحسان، والمعارضة والمناقضة، والطرد والشرط، والسبب والعلة وغيرها كما هو المستعمل عند الفقهاء، ولا بالجرح والتعديل، والآحاد والمشهور والمتواتر والصحيح والغريب، وغير ذلك كما هو المستعمل عند أهل الحديث، فهل لقائل أن يقول يجب رفض هذه العلوم لهذه العلة، على أنه في عصر النبي ﷺ لم تظهر الأهواء والبدع فلم تمسّ الحاجة إلى الدخول في التفاصيل والاصطلاحات.

**فإن قيل**: روى البيهقي(١) بإسناد صحيح عن ابن عباس أنه قال: «تفكَّروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله-» فهو منهي عنه.

**فالجواب**: أن النهي ورد عن التفكر في الخالق مع الأمر بالتفكر في الخلق، فإنه يوجب النظر وإعمال الفكر والتأمل في ملكوت السماوات والأرض ليستدل بذلك على وجود الصانع، وعلى أنه لا يشبه شيئا من خلقه، ومن لم يعرف الخالق من المخلوق كيف يعمل بهذا الأثر الصحيح. وقد أمر القرءان بتعلّم الأدلة على العقائد الإسلامية على وجوده تعالى وعلى ثبوت العلم له والقدرة والمشيئة والوحدانية إلى غير ذلك، ولم يطعن إمام معتبر في هذا العلم الذي هو مقصد أهل السنّة والجماعة من السلف والخلف.

وما يروى عن الشافعي أنه قال: «لأن يلقى الله العبدُ بكل ذنب ما عدا الشرك خير له من أن يلقاه بعلم الكلام» بهذا اللفظ فهو غير ثابت عنه، واللفظ الثابت عنه هو: «لأن يلقى الله عز وجل العبدُ بكل ذنب ما خلا الشرك خير له من أن يلقاه بشيء من هذه الأهواء»(٢) والأهواء جمع هوى وهو ما مالت إليه نفوس

---

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (ص/ ٤٢٠).

(٢) أخرج طرقه ابن عساكر في تبيين كذب المفتري (ص/ ٣٣٧)

المبتدعة الخارجين عما كان عليه السلف، أي ما تعلق به البدعيون في الاعتقاد كالخوارج والمعتزلة والمرجئة والنجارية وغيرهم، وهم الاثنتان والسبعون فرقة كما ورد في الحديث المشهور: «وان هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة وهي الجماعة» رواه أبو داود[1] فليس كلام الشافعي على إطلاقه إنما هو في المبتدعة القدرية وغيرهم الذين جانبوا نصوص الشريعة كتابًا وسنّةً، وتعمقوا في الأهواء الفاسدة، وأما الكلام الموافق للكتاب والسنّة الموضح لحقائق الشريعة عند ظهور الفتنة فهو محمود عند العلماء قاطبة لم يذمّه الشافعي، وقد كان الشافعي رضي الله عنه يحسنه ويفهمه وقد ناظر بِشْرًا المريسي وحفصًا الفرد فقطعهما.

**فإن قيل:** قد ذمَّ علم الكلام جماعةٌ من السلف، فروي عن الشعبي أنه قال: من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب غريب الحديث كذب، وروي مثله عن الإمام مالك والقاضي أبي يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة.

**قلنا:** أجاب الحافظ أبو بكر البيهقي عنه بقوله[2]: «إنما يريد والله أعلم بالكلام كلام أهل البدع، فإن في عصرهم إنما كان يعرف بالكلام أهل البدع، فأما أهل السنّة فقلّما كانوا يخوضون في الكلام حتى اضطروا إليه بعد» اهـ، قال ابن عساكر[3]. «فهذا وجه في الجواب عن هذه الحكاية، وناهيك بقائله أبي بكر البيهقي فقد كان من أهل الرواية والدراية. وتحتمل وجهًا ءاخر وهو أن يكون المراد بها أن يقتصر على علم الكلام ويترك تعلم الفقه الذي يتوصل به إلى معرفة الحلال والحرام، ويرفض العمل بما أُمر بفعله من شرائع الإسلام، ولا يلتزم فعل ما أمر به الشارع وترك ما نهى عنه من الأحكام. وقد بلغني عن حاتم الأصم وكان من أفاضل الزهاد وأهل العلم أنه قال: الكلام أصل الدين، والفقه فرعه،

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الينة: باب شرح السنة.

(٢) تبيين كذب المفتري لابن عساكر (ص/ ٣٣٤).

(٣) تبيين كذب المفتري لابن عساكر (ص/ ٣٣٤).

والعمل ثمره، فمن اكتفى بالكلام دون الفقه والعمل تزندق، ومن اكتفى بالعمل دون الكلام والفقه ابتدع، ومن اكتفى بالفقه دون الكلام والعمل تفسَّق، ومن تفنَّن في الأبواب كلها تخلص» اهـ، وقد روي مثل كلام حاتم عن أبي بكر الورَّاق.

ويضاف جوابا عما تمسك به المانعون مما يذكرونه عن مالك بأن شيخه ابن هرمز أحد فقهاء المدينة المنورة كان بصيرا بعلم الكلام يرد على أهل الأهواء، وقد جالسه مالك كثيرا وأخذ عنه[1] كما تقدم، فبطل بذلك ما تمسك به هؤلاء.

**فإن قيل:** إن الإمام أحمد رضي الله عنه كان ينكر على مَن يتكلم في علم الكلام فلذلك أمر بهجر الحارث المحاسبي.

**فالجواب:** أن الإمام أحمد لم يحرم الاشتغال بعلم الكلام بدليل ثنائه على المحاسبي، فقد قال تاج الدين السبكي في طبقاته[2] ما نصه: «ذكر الحاكم أبو عبد الله أن أبا بكر أحمد بن إسحاق الصِّبْغِيَّ أخبره قال: سمعت إسماعيل بن إسحاق السرَّاج يقول: قال لي أحمد بن حنبل: بلغني أن الحارث هذا يُكثر الكون عندك، فلو أحضرته منزلك وأجلستني من حيث لا يراني فأسمع كلامه. فقصدت الحارث وسألته أن يحضرنا تلك الليلة وأن يحضر أصحابه، فقال: فيهم كثرة، فلا تَزِدْهم على الكُسْب[3] والتمر، فأتيت أبا عبد الله فأعلمته فحضر إلى غرفة واجتهد في وِرده وحضر الحارث وأصحابه فأكلوا ثم صلّوا العَتَمة ولم يصلّوا بعدها، وقعدوا بين يدي الحارث ينطقون إلى قريب نصف الليل، ثم ابتدأ رجل منهم فسأل عن مسئلة، فأخذ الحارث في الكلام وأصحابه يستمعون كأن على رؤوسهم الطير، فمنهم من يبكي ومنهم من يَحِنُّ، ومنهم من يزعق وهو في كلامه، فصعدت الغرفة لأتعرف حال أبي عبد الله فوجدته قد بكى حتى غُشي عليه، فانصرفت إليهم، ولم تزل تلك حالهم حتى اصبحوا وذهبوا، فصعدت

---

(١) سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٧٩ - ٣٨٠).

(٢) طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٢٧٩).

(٣) الكسب بالضم: عصارة الدهن.

إلى أبي عبد الله فقال: ما أعلم أني رأيت مثل هؤلاء القوم، ولا سمعت في علم الحقائق مثل كلام هذا الرجل، ومع هذا فلا أرى لك صحبتهم، ثم قام وخرج، وفي رواية أخرى أن أحمد قال: «لا أنكر من هذا شيئًا».

قلت: تأمل هذه الحكاية بعين البصيرة، واعلم أن أحمد بن حنبل إنما لم ير لهذا الرجل صحبتهم لقصوره عن مقامهم، فإنهم في مقام ضيّق لا يسلكه كل أحد فيُخاف على من سلكه، وإلا فأحمد قد بكى وشكر الحارث هذا الشكر، ولكلّ رأي واجتهاد حشرنا الله معهم أجمعين في زمرة سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى ءاله وأصحابه وسلّم» اهـ.

قال الحافظ أبو بكر البيهقي رحمه الله في «مناقب الشافعي»[1] ما نصه: «باب ما جاء عن الشافعي رحمه الله في مجانبة أهل الأهواء وبغضه إياهم وذمه كلامهم وإزرائه بهم ودقه عليهم ومناظرته إياهم.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد بن عبدان قال: سمعت أبا العباس محمد بن يعقوب الأصم يقول: سمعت الربيع بن سليمان يقول: سمعت الشافعي يقول: لأن يلقى الله العبدُ بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير من أن يلقاه بشىء من الهوى. وفي رواية بشىء من الأهواء.

زاد فيه غير الربيع: وذلك أنه رأى قوما يتجادلون في القدر بين يديه فقال الشافعي: في كتاب الله المشيئة له دون خلقه، والمشيئة إثبات إرادة الله يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[2]، فأعلم خلقه أن المشيئة له، وكان يثبت القدر.

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: أخبرنا عبد الله بن محمد القاضي، قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمٰن بن زياد، قال: حدثنا أبو يحيى الساجي -أو فيما أجاز لي مشافهة- قال: أخبرنا الربيع فذكره وقال: بشىء من هذه الأهواء.

---

(١) مناقب الشافعي (١/ ٤٥٢ - ٤٦٤).

(٢) سورة الإنسان/ ءاية ٣٠.

أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي، قال: حدثنا أبو الوليد يقول: سمعت إبراهيم بن محمود يقول:

ح وأخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ قال: حدثنا أبو الوليد الفقيه قال: حدثنا إبراهيم بن محمود قال: حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال: قلت لمحمد بن إدريس الشافعي: قال صاحبنا الليث بن سعد: لو رأيت صاحب هوى يمشي على الماء ما قبلته، فقال الشافعي: أما إنه قصَّر، لو رأيته يمشي في الهواء ما قبلته.

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: أخبرني أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد العمري قال: حدثنا أبو بكر محمد بن إسحاق قال: سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول: أتيت الشافعي بعدما كلم حفصا الفرد فقال: غبت عنا يا أبا موسى، لقد اطلعت من أهل الكلام على شيء والله ما توهمته قط، ولأن يُبْتَلى المرء بجميع ما نهى الله عنه ما خلا الشرك بالله خير من أن يبتليه الله بالكلام.

قلت: إنما أراد الشافعي رحمه الله بهذا الكلام حفصا وأمثاله من أهل البدع، وهذا مراده بكل ما حكي عنه في ذم الكلام وذم أهله، غير أن بعض الرواة أطلقه وبعضهم قيده، وفي تقييد من قيده دليل على مراده.

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن حيان، قال: حدثنا محمد ابن عبد الرحمن بن زياد، قال: سمعت أبا الوليد بن الجارود يقول: دخل حفص الفرد على الشافعي فكلمه، ثم خرج إلينا الشافعي فقال لنا: لأن يلقى الله العبدُ بذنوب مثل جبال تهامة خير له من أن يلقاه باعتقاد حرف مما عليه هذا الرجل وأصحابه، وكان يقول -أي حفص- بخلق القرءان، وهذه الروايات تدل على مراده بما أطلق عنه فيما تقدم وفيما لم يذكر ها هنا.

وكيف يكون كلام أهل السنة والجماعة مذموما عنده وقد تكلم فيه وناظر من ناظره فيه، وكشف عن تمويه من ألقى إلى سمع بعض أصحابه من أهل الأهواء شيئا مما هم فيه. أخبرنا بصحة ذلك أبو عبد الله الحافظ، قال: أخبرني أبو أحمد بن أبي الحسن، قال: حدثنا عبد الرحمن -يعني ابن محمد- قال: في كتابي عن الربيع

ابن سليمان قال: حضرت الشافعي أو حدثني أبو شعيب إلا أني أعلم أنه حضر عبد الله بن عبد الحكم ويوسف بن عمرو بن يزيد وحفص الفرد -وكان الشافعي يسميه المنفرد- فسأل حفص عبد الله بن عبد الحكم فقال: ما تقول في القرءان؟ فأبى أن يجيبه، فسأل يوسف بن عمرو فلم يجبه وكلاهما أشار إلى الشافعي، فسأل الشافعي فاحتج الشافعي وطالت المناظرة، وغلب الشافعيُّ بالحجة عليه بأن القرءان كلام الله تعالى غير مخلوق، وكفَّر حفصا الفرد. قال الربيع: فلقيت حفصًا الفرد فقال: أراد الشافعي قتلي.

وقرأت في كتاب أبي يحيى زكريا بن يحيى الساجي فيما رواه الشيخ أبو الفضل الجارودي الحافظ، عن أبي إسحاق القرّاب قال: حدثنا زكريا، قال: سمعت أبا شعيب المصري -شيخ من أصحاب الحديث- يقول: حضرت الشافعي محمد بن إدريس وعنده يوسف ابن عمرو بن يزيد وعبد الله بن عبد الحكم في منزله، فدخل عليهم حفص الفرد وكان متكلما مناظرا، فقال ليوسف: ما تقول في القرءان؟ فقال: كلام الله ليس عندي غير هذا، وجعلوا يحيلون على الشافعي فأقبل حفص الفرد على الشافعي فقال: إنهم يحيلون عليك، فقال له الشافعي: دع هذا عنك، فلم يزل به، فقال له الشافعي: ما تقول أنت في القرءان؟ قال: أقول: إنه مخلوق، قال: من أين قلت؟ قال: فلم يزل يحتج عليه حفص الفرد بأنه مخلوق ويحتج الشافعي رضي الله عنه بأنه كلام الله غير مخلوق حتى كفَّره الشافعي وقطعه، قال أبو شعيب: وحججهما عندي في كتاب. قال أبو شعيب: فلما كان من الغد لقيني حفص الفرد في سوق الزجاج فقال: أما رأيت ما صنع بي الشافعي؟ أحب أن يريهم أنه عالم، ثم أقبل عليَّ فقال: مع أنه ما تكلم أحد في هذا مثله ولا أقدر منه على هذا.

وقد ذكرنا قبل هذا مناظرته مع حفص في زيادة الإيمان ونقصانه، وذكر الحميدي أحسن ما يحتج به على أهل الإرجاء فذكر لابن هَرِم ما يحتج به على من أنكر الرؤية.

وقرأت في كتاب الساجي عن أحمد بن مدرك الرازي قال: سمعت عبد الله ابن صالح كاتب الليث يقول: كنا عند الشافعي في مجلسه فجعل يتكلم في تثبيت خبر الواحد عن النبي ﷺ، فكتبناه وذهبنا به إلى إبراهيم بن إسماعيل بن عُلَيَّة وكان من غلمان أبي بكر الأصم، وكان مجلسه بمصر عند باب الضوال، فلما قرأناه عليه جعل يحتج بإبطاله، فكتبنا ما قال ابن عليّة، وذهبنا به إلى الشافعي، فنقضه الشافعي وتكلم بإبطال ما قاله ابن عليَّة وقال: ابن علية ضال قد جلس عند باب الضَّوال يضل الناس. وبلغني عن يعقوب بن سفيان أنه حكى عن إبراهيم بن عُلَيَّة هذا أنه تكلم في القرءان بما لا أستجيز حكايته.

وقرأت في كتاب أبي نعيم الأصبهاني حكاية عن الصاحب بن عباد أنه ذكر في كتابه بإسناده عن إسحاق أنه قال: قال لي أبي. كلم الشافعي يومًا بعض الفقهاء، فدقَّق عليه وحقَّق وطالب وضيَّق، فقلت له: يا أبا عبد الله هذا لأهل الكلام لا لأهل الحلال والحرام، فقال: أحكمنا ذاك قبل هذا.

وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: أخبرني نصر بن محمد الصوفي قال: سمعت عبد الرحمـٰن ابن حفص الصوفي يقول: سمعت أبا علي الروذباري يقول: سمعت ابن بحر يقول: سمعت المزني يقول: دار بيني وبين رجل مناظرة فسألني عن كلام كاد أن يشككني في ديني، فجئت إلى الشافعي فقلت له: كان من الأمر كيت وكيت، قال: فقال لي: أين أنت؟ فقلت: أنا في المسجد، فقال لي: أنت في مثل تاران[1] تلطمك أمواجه، هذه مسئلة الملحدين والجواب فيها كيت وكيت، ولأن يبتلى العبد بكل ما خلق الله من مضاره خير له من أن يبتلى بالكلام.

قلت: تاران في بحر القلزم، يقال فيها غرق فرعون وقومه، فشبه الشافعي

---

(١) «تاران» جزيرة في بحر القلزم بين القلزم وأيلة وهو أخبث مكان في هذا البحر، فيه دوران ماء في سفح الجبل إذا وقع الريح على ذروته انقطع الريح قسمين فيلقى المركب بين شعبتين من هذا الجبل متقابلين فتخرج الريح من كليهما فيثور البحر على كل سفينة تقع في هذا الدوران. راجع معجم البلدان (٢/ ٣٥٢ - ٣٥٣).

المزني فيما أورد عليه بعض أهل الإلحاد ولم يكن عنده جواب بمن ركب البحر في الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون وقومه وأشرف على الهلاك، ثم علمه جواب ما أورد عليه حتى زالت عنه تلك الشبهة، وفي ذلك دلالة على حسن معرفته بذلك، وأنه يجب الكشف عن تمويهات أهل الإلحاد عند الحاجة إليه، وأراد بالكلام ما وقع فيه أهل الإلحاد من الإلحاد وأهل البدع من البدع. والله أعلم.

فأما استحبابه ترك الخوض فيه والإعراض عن المناظرة فيه عند الاستغناء عنها فقد كان رحمه الله يميل إليه مع معرفته به.

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: أخبرني أبو أحمد بن أبي الحسن قال: أخبرنا عبد الرحمن -يعني ابن محمد- أخبرنا الربيع قال: رأيت الشافعي وهو نازل من الدرجة وقوم في المجلس يتكلمون في شيء من الكلام فصاح وقال: إما أن تجاورونا بخير وإما أن تقوموا عنا.

وأخبرنا أبو عبد الله قال: سمعت أبا الفضل الحسن بن يعقوب العدل يقول: سمعت أبا أحمد محمد بن رَوْح يقول: سمعت المزني يقول: كنا على باب الشافعي نتناظر في الكلام، فخرج إلينا الشافعي وسمع بعض ما كنا فيه فرجع عنا فما خرج إلينا إلا بعد سبعة أيام، ثم خرج فقال: ما منعني من الخروج إليكم علة عرضت ولكن لما سمعتكم تتناظرون فيه أتظنون أني لا أحسنه؟ لقد دخلت فيه حتى بلغت منه مبلغا، وما تعاطيت شيئا إلا وبلغت فيه مبلغا حتى الرمي كنت أرمي بين الغرضين فأصيب من العشرة تسعة ولكن الكلام لا غاية له، تناظَرُوا في شيء إن أخطأتم فيه يقال لكم: أخطأتم، لا تناظروا في شيء إن أخطأتم فيه يقال لكم: كفرتم.

أخبرنا أبو عبد الله قال: أخبرني أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المؤذن، عن أبي العباس محمد بن عبد الرحمن يعني الدغولي قال: سمعت زكريا بن يحيى يقول: سمعت محمد بن عبد الله بن عبد الحكم يقول: قال الشافعي: يا محمد، إن سألك رجل عن شيء من الكلام فلا تجبه، فإنه إن سألك عن دية فقلت: درهمًا أو دانقًا قال لك: أخطأت، وإن سألك عن شيء من الكلام فزللت قال: كفرت.

وفي حكاية المزني عن الشافعي رحمه الله دلالة على أنه كان قد تعلم الكلام وبالغ فيه، ثم استحب ترك المناظرة فيه عند الاستغناء عنها.

وفي رواية زكريا بن يحيى الساجي عن الربيع في هذه الحكاية بعينها قال: انحدر علينا الشافعي من درجته يوما وهم يتجادلون في القدر فقال: إما أن تقوموا عنا أو تجاوروناا بخير، فلأن يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير من أن يلقاه بشيء من هذه الأهواء. فإنما أراد ذم مذهب القدرية، ألا تراه قال بشيء من هذه الأهواء واستحب ترك الجدال فيه.

وكأنه تبع فيه ما رويناه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إلا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم الحديث» وغير ذلك من الأخبار الواردة في معناه.

وعلى مثل هذا جرى أئمتنا في قديم الدهر عند الاستغناء عن الكلام فيه، فإذا احتاجوا إليه أجابوا بما في كتاب الله عز وجل ثم في سنة رسول الله ﷺ من الدلالة على إثبات القدر لله عز وجل، وأنه لا يجري في ملكوت السماوات والأرض شيء إلا بحكم الله وتقديره وإرادته، وكذلك في سائر مسائل الكلام اكتفوا بما فيها من الدلالة على صحة قولهم، حتى حدثت طائفة سمّوا ما في كتاب الله عز وجل من الحجة عليهم متشابها، وقالوا بترك القول بالأخبار أصلًا وزعموا أن الأخبار التي حملت إليهم لا تصح في عقولهم، فقام جماعة من أئمتنا رحمهم الله بهذا العلم وبيّنوا لمن وُفّق للصواب ورُزق الفهم أنَّ جميع ما ورد في تلك الأخبار صحيح في العقول، وما ادعوه في الكتاب من التَّشابه باطل في المعقول.

وحين أظهروا بدعهم وذكروا ما اغتر به أهل الضعف من شبههم أجابوهم وكشفوا عنها بما هو حجة عليهم عندهم، كما فعل الشافعي فيما حكينا عنه لوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما في ترك إنكار المنكر والسكوت عليه من الفساد والتعدي. وكانوا في القديم إنما يعرفون بالكلام أهل الأهواء، فأما أهل السنة والجماعة فمعولهم فيما يعتقدون الكتاب والسنة فكانوا لا يتسمون

بتسميتهم، ولهذا قال الشافعي ما أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي قال: حدثنا أبو نصر محمد بن علي بن طلحة المروروذي قال: حدثنا أبو سعيد أحمد بن علي الأصبهاني قال: حدثنا زكريا بن يحيى الساجي قال: حدثني محمد بن إسماعيل قال: سمعت أبا ثور وحسينا يقولان: سمعنا الشافعي يقول: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد، ويحملوا على الإبل، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، وينادى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام.

وأخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الدِّينوري قال: حدثنا الفضل ابن الفضل الكندي قال: حدثنا زكريا بن يحيى السَّاجي. وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: حدثنا أبو الطيب الفقيه قال: حدثنا أبو جعفر الأصبهاني قال: حدثنا أبو يحيى زكريا ابن يحيى قال: حدثنا أبو داود -يعني السِّجستاني- قال: حدثنا أبو ثور قال: سمعت الشافعي يقول: من ارتدى بالكلام لم يفلح. وإنما يعني -والله أعلم- كلام أهل الأهواء الذين تركوا الكتاب والسنة وجعلوا معوَّلهم عقولهم، وأخذوا في تسوية الكتاب عليها، وحين حُملت إليهم السنة بزيادة بيان لنقض أقاويلهم اتهموا رواتها وأعرضوا عنها. فأما أهل السنة فمذهبهم في الأصول مبني على الكتاب والسنة، وإنما أخذ من أخذ منهم في العقل إبطالا لمذهب من زعم أنه غير مستقيم على العقل، وبالله التوفيق.

ولاستحباب الشافعي ومن كان في عصره من أئمتنا ترك الخوض في الكلام وترك الاشتهار به عند الاستغناء عنه معنى ءاخر، وهو أن الشافعي حين قدم العراق في خلافة الرشيد كان قد دخل على المأمون باستدعائه دخوله عليه ورأى تقريبه بشرا المريسي وأمثاله من أهل البدع، وحين عاد إلى العراق في خلافة المأمون شاهد غلبة أهل الأهواء على مجلسه، وأحس ببعض ما رأى أهل السنة من غلبة أهل الأهواء في عصره، ثم بما أصابهم من المحنة في أيام المعتصم والواثق» انتهى كلام البيهقي.

ثم قال البيهقي[1]: «وفي كل ذلك دلالة على أن استحباب من استحب من أئمتنا ترك الخوض في الكلام إنما هو للمعنى الذي أشرنا إليه، وأن الكلام المذموم إنما هو كلام أهل البدع الذي يخالف الكتاب والسنة، فأما الكلام الذي يوافق الكتاب والسنة وبُيِّنَ بالعقل والعبرة فإنه محمود مرغوب فيه عند الحاجة، تكلم فيه الشافعي وغيره من أئمتنا رضي الله عنهم عند الحاجة كما سبق ذكرنا له» اهـ.

وقال العلامة البياضي الحنفي في «إشارات المرام» ما نصه[2]: «وما روي عن أبي يوسف أن الجهل بالكلام هو العلم، ولا يشمل الوصية للعلماء لأهل الكلام فهو في كلام المخالفين من أهل الأهواء كما في الكردرية وشرح المنهاج للسبكي وشرح جمع الجوامع، وما روي عنه أنه زندقة وأنه ألف الرسالة في المنع عنه ففي كلام أهل الأهواء المكفرة كما في التبصرة البغدادية، ومن حمله على إطلاقه فقد جهل أصولهم المقررة، وسيأتي تفصيله في الباب الثالث إن شاء الله تعالى، وما روي عنه وعن محمد من عدم تجويزهما الاقتداء بمن يناظر فيه وَرَدَ مفسرا بكراهته فيمن يناظر فيه للغلبة والإيراد دون إظهار الحق والإرشاد كما في الخانية والملتقط فإنهما كانا يناظران فيه كما مر، وفي الخانية ومجمع الفتاوى أن المنهي عنه هو كلام الفلاسفة وكلام الخصومة، فأما المناظرة فيه على وجه إظهار الحق فلا كراهة فيها بل هي المأمور بها في قوله تعالى: ﴿وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[3]، وكذا ما روي عن مالك أن أهل الكلام أهل البدعة محمول على كلام المخالفين كما تدل عليه التسمية، فإنه كان خاصًا بكلامهم في عصر السلف كما صرح به البيهقي، وكذا ما روي عن الشافعي أنه قال: لو علم الناس ما في الكلام من الأهواء لفروا منه كما يفرون من الأسد، ولأن يلقى الله تعالى العبدُ بكل ذنب سوى الإشراك خير له من أن يلقاه بشيء من الكلام، ورأى في أهله بأن يضربوا بالجريد وأن يطاف بهم

(١) مناقب الشافعي (١/ ٤٦٧).
(٢) إشارات المرام (ص/ ٣٦).
(٣) سورة النحل/ ءاية ١٢٥.

في العشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، فقد قال البيهقي: إنما أراد به كلام أهل الأهواء كحفص الفرد وأمثاله، فبعض الرواة أطلقه وبعضهم قيده، وفي تقييد من قيده دليل على مراده» اهـ.

ثم قال البياضي[1]: «وكذا ما روي عن أحمد بن حنبل أنه بدعة وأنه لا يفلح صاحب الكلام أبدا فإن المراد منه كلام أهل الأهواء» اهـ.

وأما تمسك البعض بما يروي عن ابن خويز منداد من ذمه لعلم الكلام فالجواب ما قاله الشيخ ابن حجر الهيتمي في كتابه «الفتاوى الحديثية» ونص عبارته[2]: «قلت: قال ابن برزة شارح إرشاد إمام الحرمين: هذا النقل عنه باطل، فإن صح عنه فالحق حجة عليه، وإذا تصفحت قواعد الأشعرية ومذاهبهم ومبادئهم وجدتها راجعة لعلم الكلام بل من أنكر علم التوحيد أنكر القرءان وذلك عين الكفران والخسران، وكيف يرجع لابن خويز منداد ويترك أقاويل أفاضل الأمة وعلماء الملة من الصحابة ومن بعدهم كالأشعري والباهلي والقلانسي والمحاسبي وابن فورك والإسفراييني والباقلاني وغيرهم من أهل السنة، وأنشدوا في تفضيله:

أيها المقتدي ليطلب علما ... كلّ علم عبد لعلم الكلامِ

وقيل للقاضي أبي الطيب: إن قوما يذمون علم الكلام فأنشد:

عاب الكلام أناس لا خلاق لهم ... وما عليه إذا عابوه من ضررِ

ما عاب شمس الضحى في الأفق طالعة ... أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصرِ» اهـ

وقال الحافظ ابن عساكر[3]: «أخبرنا الشيخ أبو عبد الله محمد بن الفضل الفراوي قال: قال لنا الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري: إن الأشعري لا يشرط في صحة الإيمان ما قالوه يعني من شنع عليه أن أغمار العوام

---

(١) المصدر السابق (ص/ ٣٧).
(٢) الفتاوى الحديثية (ص/ ٢٠٧ - ٢٠٨).
(٣) تبيين كذب المفتري (ص/ ٣٥٧ وما بعدها)، وطبقات الشافعية (٣/ ٤٢٠ وما بعدها).

عنده غير مؤمنين لأنهم خليون عن علم الكلام بل هو وجميع أهل التحصيل من أهل القبلة يقولون يجب على المكلف أن يعرف الصانع المعبود بدلائله التي نصبها على توحيده واستحقاقه نعوت الربوبية، وليس المقصود استعمال ألفاظ المتكلمين من لفظ الجوهر والعرض وإنما المقصود حصول النظر والاستدلال المؤدي إلى معرفة الله، وإنما استعمل المتكلمون هذه الألفاظ على سبيل التقريب والتسهيل على المتعلمين، والسلف الصالح وإن لم يستعملوا هذه الألفاظ فلم يكن في معارفهم خلل، والخلف الذين استعملوا هذه الألفاظ لم يكن ذلك منهم لطريق الحق مباينة ولا في الدين بدعة كما أن المتأخرين من الفقهاء عن زمان الصحابة والتابعين لم يستعملوا ألفاظ الفقهاء من لفظ العلة والمعلول والقياس وغيره، ثم لم يكن استعمالهم بذلك بدعة ولا خُلُو السلف عن ذلك كان لهم نقصا وكذلك شأن النحويين والتصريفيين ونقلة الأخبار في ألفاظ تختص بها كل فرقة منهم.

فإن قالوا: إن الاشتغال بعلم الكلام بدعة ومخالفة لطريقة السلف، لا يختص بهذا السؤال الأشعري دون غيره من متكلمي أهل القبلة، ثم الاسترواح إلى مثل هذا الكلام صفة الحشوية الذين لا تحصيل لهم، وكيف يظن بسلف الأمة أنهم لم يسلكوا سبيل النظر وأنهم اتصفوا بالتقليد، حاش لله أن يكون ذلك وصفهم ولقد كان السلف من الصحابة مستقلين بما عرفوا من الحق وسمعوا من رسول الله صلوات الله عليه من أوصاف المعبود وتأملوه من الأدلة المنصوبة في القرءان وإخبار الرسول عليه السلام في مسائل التوحيد، وكذلك التابعون وأتباع التابعين لقرب عهدهم من الرسول عليه السلام، فلما ظهر أهل الأهواء وكثر أهل البدع من الخوارج والجهمية والمعتزلة والقدرية وأوردوا الشبه انتدب أئمة أهل السنة لمخالفتهم والإيصاء للمسلمين بمباينة طريقتهم، فلما أشفقوا على القلوب أن يخامرها شبههم شرعوا في الرد عليهم وكشف شبههم وأجابوهم عن أسئلتهم وحاموا عن دين الله بإيضاح الحجج، ولم يقولوا في مسائل التوحيد إلا بما نبههم الله سبحانه عليه في محكم التنزيل، والعجب ممن يقول ليس في القرءان علم الكلام

والآيات التي هي في الأحكام الشرعية نجدها محصورة والآيات المنبهة على علم الأصول نجدها توفي على ذلك وتربي بكثير.

وفي الجملة لا يجحد علم الكلام إلا أحد رجلين: جاهل ركن إلى التقليد وشق عليه سلوك طرق أهل التحصيل وخلا عن طرق أهل النظر والناس أعداء ما جهلوا، فلما انتهى عن التحقق بهذا العلم نهى الناس ليضل كما ضل، أو رجل يعتقد مذاهب فاسدة فينطوي على بدع خفية يلبس على الناس عوار مذهبه ويعمي عليهم فضائح عقيدته ويعلم أن أهل التحصيل من أهل النظر هم الذين يهتكون الستر عن بدعهم ويظهرون للناس قبح مقالاتهم، والقَلاّب لا يحب من يميز النقود والخلل فيما في يده من النقود الفاسدة كالصراف ذي التمييز والبصيرة، وقد قال الله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]. فهذا ما حضرني من مدح الكلام والمتكلمين وذكر بعض من كان نعلمه من علماء المسلمين. فإن قال بعض الجهال من المبتدعة: لسنا نعرف غير المذاهب الأربعة فمن أين أتى هذا المذهب الخامس الذي اخترعتموه ولمَ رضيتم لأنفسكم بالانتساب إلى الأشعري الذي ابتعتموه، وهلا اقتنعتم بالانتساب إلى الإمام الألمعي أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي فإنه أولى بالانتساب إليه ممن سواه وأحق بالانتماء إلى مذهبه ممن عداه؟

**قلنا:** هذا قول عري عن الصدق وقائله بعيد عن الحق فمن ذا الذي حصر المذاهب بالعدد الذي حصرتم ومن يصحح لكم من قولكم ما ذكرتم، بل المذاهب أكثرها لا ينحصر بهذا العدد الذي عددتم ولو كانت منحصرة به لم يحصل لكم بذلك ما قصدتم، وكأنكم لم تسمعوا بمذهب الليث بن سعد المصري وعثمان بن سليمان البتي البصري وإسحاق بن راهويه الخراساني وداود بن علي الأصبهاني وغيرهم من علماء الإسلام الذين اختلفوا في الفتاوى والأحكام لا في أصول الدين المبنية على القطع واليقين، وليس انقراض أرباب هذه المذاهب التي سمينا

---

(١) سورة الزمر/ ءاية ٩.

يصحح لهذا الجاهل هذه المقالة التي عنه حكينا.

ولسنا نسلِّم أن أبا الحسن اخترع مذهبا خامسا وإنما أقام من مذاهب أهل السنة ما صار عند المبتدعة دارسا، وأوضح من أقوال من تقدمه من الأربعة وغيرهم ما غدا ملتبسا، وجدد من معالم الشريعة ما أصبح بتكذيب من اعتدى منطمسا، ولسنا ننتسب بمذهبنا في التوحيد إليه على معنى أنَّا نقلده فيه ونعتمد عليه ولكنا نوافقه على ما صار إليه من التوحيد لقيام الأدلة على صحته لا لمجرد التقليد، وإنما ينتسب منا من انتسب إلى مذهبه ليتميز عن المبتدعة الذين لا يقولون به من أصناف المعتزلة والجهمية المعطلة والمجسمة والكرامية والمشبهة السالمية وغيرهم من سائر طوائف المبتدعة وأصحاب المقالات الفاسدة المخترعة، لأن الأشعري هو الذي انتدب للرد عليهم حتى قمعهم وأظهر لمن لم يعرف البدع بدعهم، ولسنا نرى الأئمة الأربعة الذين عنيتم في أصول الدين مختلفين بل نراهم في القول بتوحيد الله وتنزيهه في ذاته مؤتلفين، وعلى نفي التشبيه عن القديم سبحانه وتعالى مجتمعين، والأشعري رحمه الله في الأصول على منهاجهم أجمعين، فما على من انتسب إليه على هذا الوجه جناح ولا يرجى لمن تبرأ من عقيدته الصحيحة فلاح، فإن عددتم القول بالتنزيه وترك التشبيه تمشعرا فالموحدون بأسرهم أشعرية، ولا يضر عصابة انتمت إلى موحد مجرد التشنيع عليها بما هي منه برية، وهذا كقول إمامنا الشافعي المطلبي ابن عم المصطفى النبي ﷺ فيما أخبرنا الشيخ أبو القاسم هبة الله بن عبد الله بن أحمد الواسطي ببغداد قال: أنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب قال: أنا أبو سعد إسماعيل بن علي بن الحسن بن بندار بن المثنى الأستراباذي ببيت المقدس قال: أخبرنا علي بن الحسن بن حيويه الدامغاني قال: أنا محمد بن محمد بن الأشعث، ثنا الربيع هو ابن سليمان، قال: أنشدنا الشافعي رحمه الله:

يا راكبا قف بالمحصب من منى    واهتف بقاطن خيفها والناهض

سحرا إذا فاض الحجيج إلى منى    فيضا كملتطم الفرات الفائضِ

إن كان رفضا حب ءال محمد فليشهد الثقلان إني رافضي

وأنشدت لبعضهم في المعنى المتقدم:

إن اعتقاد الأشعري مسددٌ لا يمتري في الحق إلا ممتري
وبه يقول العالمون بأسرهمْ من بين ذي قلم وصاحب منبرِ
والمدعون عليه غير مقالهِ ما فيهم إلا جهول مفتري
فذر التعامي واعتصم بمقالهِ واعلم يقينا أنه القول السري
وارفض ملامة من نهاك بجهلهِ عما يراه لأنه لم يشعرِ
وإذا لحاك العاذلون فقل لهمْ قول امرىء في دينه مستبصرِ
إن كان من ينفي النقائص كلها عن ربه ترمونه بتمشعرِ
وترونه ذا بدعة في عقلهِ فليشهد الثقلان أني أشعري

انتهى كلام الحافظ ابن عساكر.

**١٧- يقول المجسم ابن أبي العز[١]: «وَقَوْلُهُ: (أَوْ تَأَوَّلَهَا بِفَهْمٍ) أَيِ ادَّعَى أَنَّهُ فَهِمَ لَهَا تَأْوِيلًا يُخَالِفُ ظَاهِرَهَا، وَمَا يَفْهَمُهُ كُلُّ عَرَبِيٍّ مِنْ مَعْنَاهَا، فَإِنَّهُ قَدْ صَارَ اصْطِلَاحُ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي مَعْنَى التَّأْوِيلِ: أَنَّهُ صَرْفُ اللَّفْظِ عَنْ ظَاهِرِهِ». وقال[٢]: «إِنَّ حَقِيقَةَ قَوْلِهِمْ إِنَّ ظَاهِرَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ هُوَ الْكُفْرُ وَالضَّلَالُ، وَإِنَّهُ لَيْسَ فِيهِ بَيَانٌ لِمَا يَصْلُحُ مِنَ الِاعْتِقَادِ، وَلَا فِيهِ بَيَانُ التَّوْحِيدِ وَالتَّنْزِيهِ؟ هَذَا حَقِيقَةُ قَوْلِ الْمُتَأَوِّلِينَ» اهـ.**

**ومثله قال المجسم عبد العزيز الراجحي[٣]، والمجسم ابن جبرين[٤]، والمجسم**

---

(١) انظر الكتاب (ص/ ٢٠٦).
(٢) المصدر السابق، (ص/ ٢١٠).
(٣) انظر الكتاب (ص/ ٣٦١).
(٤) انظر الكتاب (١/ ٤٦٦-٤٦٨-٤٨٩) و(٣/ ٢٤٨).

سفر الحوالي[1]، والمجسم خالد المصلح[2]، والمجسم الألباني[3].

الرد: وبهذا الكلام الذي لا طائل تحته وهو هدمٌ لما عليه كثيرٌ من السلف ومعظم الخلف من التأويل التفصيلي وأما التأويل الإجمالي فعليه كل السلف وكل الخلف وقد اشتغل به من الصحابة ابن عباس وغيره ومن التابعين مجاهد بن جبر وغيره ومن لا يحصى من خلق الله، ثم إن سبب محاربة ابن تيمية وابن قيم وابن أبي العز ومن بعدهم من المجسمة المشبهة للتأويل الصحيح الموافق للغة والعقيدة هو أنهم يحبون تشبيه الله بخلقه، وبذلك ينطبق عليهم ما قاله الله في ذم اليهود: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[4] وكأنهم بكلامهم هذا يدعون ويزعمون أنهم أفهم من الصحابة والتابعين ومن جمهور الأمة المحمدية وهذا دليل واضح على أنهم جاؤوا بعقيدة جديدة مستحدثة ونحن بفضل الله وعونه نرد عليهم الآن في هذه القضية بنصوص السلف والخلف التي هي واضحة ظاهرة لذي عينين وضوح الشمس في رابعة النهار.

## أنوار التنزيل في إثبات التأويل
## وأن السلف والخلف اشتغلوا بالتأويل

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[5].

أخبرنا الله تعالى في هذه الآية أن القرءان فيه ءايات محكمات هن أمّ الكتاب

---

(١) انظر الكتاب (ص/ ٥٥-٨٩٧-٩٢٨-٩٣٥-٩٤٣).

(٢) انظر الكتاب (٢/ ٥-٧) و(٧/ ٧) و(٩/ ٥).

(٣) المصدر السابق، (ص/ ٤٥).

(٤) سورة البقرة/ ءاية ٨٥.

(٥) سورة ءال عمران/ ءاية ٧.

أي أصل الكتاب، وأن فيه ءايات متشابهات تردّ لفهمها إلى الآيات المحكمات.

والآيات المحكمة: هي ما لا يحتمل من التأويل بحسب وضع اللغة إلا وجهًا واحدًا، أو ما عُرف بوضوح المعنى المراد منه كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾[1] وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[2] وقولِهِ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾[3].

وأما المتشابه: فهو ما لم تتضح دلالته، أو يحتمل أوجهًا عديدة واحتيج إلى النظر لحمله على الوجه المطابق، كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾[5] يحتمل أن يكون ابتداءً، ويحتمل أن يكون معطوفًا على لفظ الجلالة، فعلى الأول المراد بالمتشابه ما استأثر الله بعلمه كوجبة القيامة وخروج الدجال ونحو ذلك، فإنه لا يعلم متى وقوع ذلك أحد إلا الله؛ وعلى الثاني: المراد بالمتشابه ما لم تتضح دلالته من الآيات أو يحتمل أوجهًا عديدة من حيث اللغة مع الحاجة إلى إعمال الفكر ليحمل على الوجه المطابق كآية: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[6]؛ فعلى هذا القول يكون الراسخون في العلم داخلين في الاستثناء، ويؤيد هذا ما رواه مجاهد عن ابن عباس أنه قال: «أنا ممن يعلم تأويله»[7].

قال القشيري في التذكرة الشرقية[8]: «وأما قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ

(١) سورة الشورى/ ءاية ١١.
(٢) سورة الإخلاص/ ءاية.
(٣) سورة مريم/ ءاية ٦٥.
(٤) سورة طه/ ءاية ٥.
(٥) سورة ءال عمران/ ءاية ٧.
(٦) سورة طه/ ءاية ٥.
(٧) الدر المنثور (٢/ ١٥٢)، زاد المسير (١/ ٣٥٤).
(٨) ذكر ذلك الحافظ اللغوي مرتضى الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٢/ ١١٠).

﴿تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1] إنما يريد به وقت قيام الساعة، فإن المشركين سألوا النبي ﷺ عن الساعة أيان مرساها ومتى وقوعها، فالمتشابه إشارة إلى علم الغيب، فليس يعلم عواقب الأمور إلا الله عزّ وجلّ ولهذا قال: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ﴾[2] أي هل ينظرون إلا قيام الساعة. وكيف يسوغ لقائل أن يقول في كتاب الله تعالى ما لا سبيل لمخلوق إلى معرفته ولا يعلم تأويله إلا الله، أليس هذا من أعظم القدح في النبوات وأن النبي ﷺ ما عرف تأويل ما ورد في صفات الله تعالى ودعا الخلق إلى علم ما لا يعلم، أليس الله يقول: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾[3] فإذًا على زعمهم يجب أن يقولوا كذب حيث قال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾ إذ لم يكن معلومًا عندهم، وإلا فأين هذا البيان؛ وإذا كان بلغة العرب فكيف يَدَّعِي أنه مما لا تعلمه العرب لما كان ذلك الشيء عربيًّا، فما قول في مقال مآله إلى تكذيب الرب سبحانه. ثم كان النبي ﷺ يدعو الناس إلى عبادة الله تعالى، فلو كان في كلامه وفيما يلقيه إلى أمته شيء لا يعلم تأويله إلا الله تعالى، لكان للقوم أن يقولوا بيّن لنا أولًا من تدعونا إليه وما الذي تقول، فإن الإيمان بما لا يعلم أصله غير متأت، ونسبة النبي ﷺ إلى أنه دعا إلى رب موصوف بصفات لا تعقل أمر عظيم لا يتخيله مسلم، فإن الجهل بالصفات يؤدي إلى الجهل بالموصوف، والغرض أن يستبين من معه مُسْكَةٌ من العقل[4] أن قول من يقول: «استواؤه صفة ذاتية لا يعقل معناها، واليد صفة ذاتية لا يعقل معناها، والقدَم صفة ذاتية لا يعقل معناها» تمويه ضمنه تكييف وتشبيه ودعاء إلى الجهل؛ وقد وضح الحق لذي عينين، وليت شعري هذا الذي ينكر التأويل يطرد هذا الإنكار في كل شيء وفي كل ءاية أم يقنع بترك التأويل في صفات الله تعالى.

فإن امتنع من التأويل أصلًا فقد أبطل الشريعة والعلوم، إذ ما من ءاية وخبر

---

(١) سورة ءال عمران/ ءاية ٧.

(٢) سورة الأعراف/ ءاية ٥٣.

(٣) سورة الشعراء/ ءاية ١٩٥.

(٤) أي شيء من العقل.

إلا ويحتاج إلى تأويل وتصرف في الكلام - إلا ما كان نحو قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(١) - لأن ثَمَّ أشياء لا بدّ من تأويلها(٢) لا خلاف بين العقلاء فيه إلا الملحدة الذين قصدهم التعطيل للشرائع، والاعتقاد لهذا يؤدي إلى إبطال ما هو عليه من التمسك بالشرع بزعمه.

وإن قال: يجوز التأويل على الجملة إلا فيما يتعلق بالله وبصفاته فلا تأويل فيه. فهذا مصير منه إلى أنّ ما يتعلق بغير الله تعالى يجب أن يعلم وما يتعلق بالصانع وصفاته يجب التقاصي عنه(٣)، وهذا لا يرضى به مسلم؛ وسّر الأمر أن هؤلاء الذين يمتنعون عن التأويل معتقدون حقيقة التشبيه غير أنهم يُدَلِّسون(٤) ويقولون: له يد لا كالأيدي وقدم لا كالأقدام واستواء بالذات لا كما نعقل فيما بيننا. فليقل المحقق هذا كلام لا بد من استبيان(٥)، قولكم نجري الأمر على الظاهر ولا يعقل معناه تناقض، إن أجريت على الظاهر فظاهر السياق في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾(٦)(٧) هو العضو المشتمل على الجلد واللحم والعظم والعصب والمخ، فإن أخذت بهذا الظاهر والتزمت بالإقرار بهذه الأعضاء فهو الكفر، وإن لم يمكنك الأخذ بها فأين الأخذ بالظاهر، ألست قد تركتَ الظاهر وعلمت تقدس الربّ تعالى عما يوهم الظاهر، فكيف يكون أخذًا بالظاهر؟ وإن قال الخصم: هذه الظواهر لا معنى لها أصلًا، فهو حكم بأنها ملغاة، وما كان في

---

(١) سورة الأنعام/ ءاية ١٠١.

(٢) كقوله تعالى عن الريح ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [سورة الأحقاف] فهذه الريح لم تدمر السموات والأرض والجنة وجهنم إنما دمّرت أشياء مخصوصة، انتهى مؤلفه.

(٣) أي البعد عنه.

(٤) أي يموّهون.

(٥) كذا في الأصل ووجه الكلام لا بد من استبيانه.

(٦) أي عن شدة شديدة وهول شديد.

(٧) سورة القلم/ ءاية ٤٢.

إبلاغها إلينا فائدة وهي هدَر[1] وهذا محال، وفي لغة العرب ما شئت من التجوز[2] والتوسع في الخطاب، وكانوا يعرفون موارد الكلام ويفهمون المقاصد، فمن تجافى عن التأويل فذلك لقلة فهمه بالعربية، ومن أحاط بطرق من العربية هان عليه مدرك الحقائق[3]، وقد قيل ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾[4]: فكأنه قال: والراسخون في العلم أيضًا يعلمونه ويقولون ءامنا به. فإن الإيمان بالشيء إنما يتصور بعد العلم، أما ما لا يعلم فالإيمان به غير متأت[5] ولهذا قال ابن عباس: «أنا من الراسخين في العلم»[6]. اهـ

فتبين أن قول من يقول إن التأويل غير جائز خبط وجهل، وهو محجوج بقوله ﷺ لابن عباس: «**اللهم علّمه الحكمة وتأويل الكتاب**»[7].

هذا وقد شدّد الحافظ ابن الجوزي الفقيه الحنبلي وهو حرب على حنابلة المجسمة وما أكثرهم في كتابه «المجالس» النكيرَ والتشنيع على من يمنع التأويل ووسّع القول في ذلك، فمما ورد فيه[8]: «وكيف يمكن أن يقال إن السلف ما استعملوا التأويل وقد ورد في الصحيح عن سيد الكونين ﷺ أنه قدّم له ابن عباس وضوءه فقال: «**من فعل هذا**» فقال: قلت: أنا يا رسول الله، فقال: «**اللهم فقّهه في الدين وعلّمه التأويل**» فلا يخلو إما أن يكون الرسول أراد أن يدعو له أو عليه، فلا بدّ أن تقول أراد الدعاء له لا دعاءً عليه، ولو كان التأويل محظورًا لكان هذا دعاءً عليه لا له. ثم أقول: لا يخلو إما أن تقول: إن دعاء الرسول ليس مستجابًا فليس بصحيح، وإن قلت: إنه مستجاب فقد تركت مذهبك، وقولك: إنهم ما

---

(١) أي لا قيمة لها ولا اعتبار.
(٢) أي ارتكاب المجاز في الخطاب.
(٣) أي هان عليه أن يعرف من أين تعرف الحقائق.
(٤) سورة ءال عمران/ ءاية ٧.
(٥) أي غير ممكن.
(٦) أي المتمكنين في العلم.
(٧) أخرجه ابن ماجه في سننه: المقدمة: فضل ابن عباس رضي الله عنهما.
(٨) كتاب المجالس لابن الجوزي (ص/ ١٣).

كانوا يقولون بالتأويل، وكيف والله يقول: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾[1] وقال: ﴿الٓمٓ﴾[2] أنا الله أعلم، و﴿كٓهيعٓصٓ﴾[3] الكاف من كافي، والهاء من هادي، والياء من حكيم، والعين من عليم، والصاد من صادق، إلى غير ذلك من المتشابه» اهـ.

توجيه: القراءتان في ءاية ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾[4] إلى قوله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ فبقراءة الوقف على لفظ الجلالة والابتداء بما بعده يكون المعنى: الغيب الذي لم يجعل الله سبيلًا للخلق إلى علمه كوجبة الساعة وما شابهها، وأما بقراءة الوقف على ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ يكون المعنى: أن الله يعلم تأويل الآيات المتشابهات والراسخون يعلمونه وذلك فيما ليس من نحو وجبة القيامة ونحوها، فهذا الذي يعلمه الله تعالى ويعلمه الراسخون في العلم، وعلى هذا التوجيه ينتظم المعنى ويزول الإشكال، وبهذا حجةٌ لصحة من ذهب إلى التأويل التفصيلي للآيات المتشابهات كتأويل العين المذكورة في قوله تعالى ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾[5] بالحفظ، وأمثاله، والله أعلم.

## ثبوت التأويل التفصيلي عن السلف

التأويل التفصيلي وإن كان عادة الخلف فقد ثبت أيضًا عن غير واحد من أئمة السلف وأكابرهم كابن عباس من الصحابة، ومجاهد تلميذ ابن عباس من التابعين، والإمام أحمد ممن جاء بعدهم، وكذلك البخاري وغيره.

أما ابن عباس فقد قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري[6]: «وأما الساق

---

(١) سورة ءال عمران/ ءاية ٧.

(٢) سورة البقرة/ ءاية ١.

(٣) سورة مريم/ ءاية ١.

(٤) سورة ءال عمران/ ءاية ٧.

(٥) سورة طه/ ءاية ٣٩.

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣/ ٤٢٨) و(٨/ ٦٦٤).

فجاء عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[1] قال: عن شدة من الأمر، والعرب تقول قامت الحرب على ساق إذا اشتدت، ومنه:

قد سَنّ أصحابك ضرب الأعناقْ      وقامت الحرب بنا على ساقْ

وجاء عن أبي موسى الأشعري في تفسيرها: عن نور عظيم، قال ابن فورك: معناه ما يتجدد للمؤمنين من الفوائد والألطاف، وقال المُهَلَّب: كشف الساق للمؤمنين رحمة ولغيرهم نقمة، وقال الخطابي[2]: تهيب كثير من الشيوخ الخوض في معنى الساق، ومعنى قول ابن عباس أن الله يكشف عن قدرته التي تظهر بها الشدة، وأسند البيهقي[3] الأثر المذكور عن ابن عباس بسندين كل منهما حسن وزاد: إذا خفي عليكم شيء من القرءان فابتغوه من الشعر، وذكر الرجز المشار إليه، وأنشد الخطابي في إطلاق الساق على الأمر الشديد:

في سَنَةٍ قَدْ كَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا» اهـ

وأما مجاهد فقد قال الحافظ البيهقي[4]: «وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر القاضي قالا: ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا الحسن بن علي بن عفان، ثنا أبو أسامة، عن النضر، عن مجاهد في قوله عزّ وجلّ: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[5] قال: قبلة الله، فأينما كنت في شرق أو غرب فلا توجهن إلا إليها» اهـ

وأما الإمام أحمد: فقد روى البيهقي في مناقب أحمد عن الحاكم، عن أبي عمرو ابن

(١) سورة القلم/ ءاية ٤٢.
(٢) الأسماء والصفات للبيهقي (ص/ ٣٤٥).
(٣) المرجع السابق.
(٤) الأسماء والصفات (ص/ ٣٠٩).
(٥) سورة البقرة/ ءاية ١١٥.

السماك، عن حنبل أن أحمد بن حنبل تأوّل قول الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾[1][2] أنه جاء ثوابه. ثم قال البيهقي: «وهذا إسناد لا غبار عليه»، نقل ذلك ابن كثير في تاريخه[3].

وفي رواية أخرجها البيهقي في كتاب مناقب أحمد تأويل: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ بمجيء ثوابه، ثم قال البيهقي: وهذا إسناد لا غبار عليه. قال البيهقي في مناقب أحمد[4]: «أنبأنا الحاكم، قال حدثنا أبو عمرو بن السماك، قال: حدثنا حنبل ابن إسحاق، قال: سمعت عمي أبا عبد الله -يعني أحمد- يقول: احتجوا عليّ يومئذ -يعني يوم نوظر في دار أمير المؤمنين- فقالوا تجيء سورة البقرة يوم القيامة وتجيء سورة تبارك فقلت لهم: إنما هو الثواب قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ إنما يأتي قدرته وإنما القرءان أمثال ومواعظ.

قال البيهقي: وفيه دليل على أنه كان لا يعتقد في المجيء الذي ورد به الكتاب والنزول الذي وردت به السنة انتقالًا من مكان إلى مكان كمجيء ذوات الأجسام ونزولها، وإنما هو عبارة عن ظهور ءايات قدرته، فإنهم لما زعموا أن القرءان لو كان كلام الله وصفة من صفات ذاته لم يجز عليه المجيء والإتيان، فأجابهم أبو عبد الله بأنه إنما يجيء ثواب قراءته التي يريد إظهارها يومئذ فعبر عن إظهاره إياها بمجيئه» اهـ.

وهذا دليل على أن الإمام أحمد رضي الله عنه ما كان يحمل ءايات الصفات

---

(١) صح التأويل التفصيلي عن الإمام أحمد فقد ثبت عنه أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ جاءت قدرته، صحح سنده الحافظ البيهقي، أي الأمور العظيمة التي خلقها الله تعالى ليوم القيامة هذه الأمور هي أثر القدرة وهي بقدرة الله تأتي حين يحضر الملك أي الملائكة صفوفًا لعظم ذلك اليوم حتى يحيطوا بالإنس والجن ولا أحد يستطيع أن يخرج من هذا المكان إلا بسلطان أي بإذن من الله وحجة فتظهر في ذلك اليوم أمور عظيمة، جهنم التي مسافتها بعيدة تحت الأرض السابعة سبعون ألفًا من الملائكة يجرونها أي يجرون جزءًا منها وكل ملك بيده سلسلة مربوطة بجهنم يجرونها ليراها الناس وهم في الموقف ثم تردُّ إلى مكانها، انتهى مؤلفه.

(٢) سورة الفجر/ ءاية ٢٢.

(٣) البداية والنهاية (١٠/ ٣٢٧).

(٤) انظر تعليق الزاهد الكوثري على السيف الصقيل للإمام السبكي (ص/ ١٢٠ - ١٢١).

وأحاديث الصفات التي توهم أن الله متحيّز في مكان أو أن له حركة وسكونًا وانتقالًا من علو إلى سفل على ظواهرها، كما يحملها ابن تيمية وأتباعه فيثبتون اعتقادًا التحيز لله في المكان والجسمية ويقولون لفظًا ما يموهون به على الناس ليظن بهم أنهم منزهون لله عن مشابهة المخلوق، فتارة يقولون بلا كيف كما قالت الأئمة وتارة يقولون على ما يليق بالله.

نقول: لو كان الإمام أحمد يعتقد في الله الحركة والسكون والانتقال لترك الآية على ظاهرها وحملها على المجيء بمعنى التنقل من علو إلى سفل كمجيء الملائكة وما فاه بهذا التأويل.

وقد روى البيهقي في الأسماء والصفات[1] عن أبي الحسن المقرئ قال: «أنا أبو عمرو الصفار، ثنا أبو عوانة، ثنا أبو الحسن الميموني قال: خرج إليّ يومًا أبو عبد الله أحمد بن حنبل فقال: ادخل، فدخلت منزله فقلت: أخبرني عما كنت فيه مع القوم وبأيّ شيء كانوا يحتجون عليك؟ قال: بأشياء من القرءان يتأولونها ويفسّرونها، هم احتجوا بقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾[2] قال: قلت: قد يحتمل أن يكون تنزيله إلينا هو المُحْدَثُ لا الذكر نفسه هو المُحْدَثُ. قلت -أي قال البيهقي-: والذي يدل على صحة تأويل أحمد بن حنبل رحمه الله ما حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك، أنا عبد الله بن جعفر، ثنا يونس بن حبيب، ثنا أبو داود، ثنا شعبة، عن عاصم، عن أبي وائل عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ رضي الله عنه قال: «أتيت رسول الله ﷺ فسلمت عليه فلم يرد عليّ فأخذني ما قَدُمَ وما حَدَث، فقلت: يا رسول الله أحدث فيَّ شيء، فقال رسول الله ﷺ: **«إن الله عزّ وجلّ يحدث لنبيه من أمره ما شاء، وإن مما أحدث ألا تكلموا في الصلاة»** اهـ.

وورد أيضًا التأويل عن الإمام مالك فقد نقل الزرقاني[3] عن أبي بكر ابن

---

(١) الأسماء والصفات (ص/ ٢٣٥).

(٢) سورة الأنبياء/ ءاية ٢.

(٣) شرح الزرقاني على الموطأ (٢/ ٣٥)، وانظر شرح الترمذي (٢/ ٢٣٦).

العربي أنه قال في حديث: «ينزل ربنا»: «النزول راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته، بل ذلك عبارة عن مَلَكِهِ الذي ينزل بأمره ونهيه. فالنزول حسيّ صفة الملك المبعوث بذلك، أو معنوي بمعنى لم يفعل ثم فعل، فسمى ذلك نزولًا عن مرتبة إلى مرتبة، فهي عربية صحيحة» اهـ.

قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري[1]: «وقال ابن العربي: حكي عن المبتدعة ردّ هذه الأحاديث، وعن السلف إمرارها، وعن قوم تأويلها وبه أقول. فأما قوله: ينزل فهو راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته، بل ذلك عبارة عن مَلَكِهِ الذي ينزل بأمره ونهيه، والنزول كما يكون في الأجسام يكون في المعاني، فإن حملته في الحديث على الحسي فتلك صفة الملَك المبعوث بذلك، وإن حملته على المعنوي بمعنى أنه لم يفعل ثم فعل فيسمى ذلك نزولًا عن مرتبة إلى مرتبة، فهي عربية صحيحة انتهى. والحاصل أنه تأوّله بوجهين: إما بأن المعنى ينزل أمره أو الملَك بأمره، وإما بأنه استعارة بمعنى التلطّف بالداعين والإجابة لهم ونحوه» اهـ كلام الحافظ، وكذا حكي عن مالك أنه أوّله بنزول رحمته وأمره أو ملائكته كما يقال فعل الملِك كذا أي أتباعه بأمره.

وروى الحافظ البيهقي أيضًا[2] عن أبي عبد الرحمـٰن محمد بن الحسين السلمي، قال: «أنا أبو الحسن محمد بن محمود المروزي الفقيه، ثنا أبو عبد الله محمد بن علي الحافظ، ثنا أبو موسى محمد بن المثنى، حدثني سعيد بن نوح، ثنا علي بن الحسن ابن شقيق، ثنا عبد الله بن موسى الضبي، ثنا معدان العابد قال: سألت سفيان الثوري عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾[3] قال: علمه» اهـ.

وفي صحيح البخاري[4] عند قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[5]

---

(١) فتح الباري (٣/ ٣٠).

(٢) الأسماء والصفات (ص/ ٤٣٠).

(٣) سورة الحديد/ ءاية ٤.

(٤) صحيح البخاري: كتاب التفسير: باب تفسير سورة القصص، في فاتحته.

(٥) سورة القصص/ ءاية ٨٨.

قال البخاري: «إلا ملكه. ويقال: إلا ما أُريد به وجهُ الله» اهـ.

وفيه[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رجلاً أتى النبي ﷺ فبعث إلى نسائه، فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله ﷺ: «من يضم» أو: «يضيف هذا»؟ فقال رجل من الأنصار: أنا. فانطلق به إلى امرأته فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني. فقال: هيئي طعامك وأصبحي سراجك ونوّمي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيأت طعامها وأصبحت سراجها ونوّمت صبيانها ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يُريانِه أنهما يأكلان فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال: «ضحك الله الليلة» أو: «عجب من فعالكما». فأنزل الله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ[2] وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[3]، قال ابن حجر[4]: «ونسبة الضحك والتعجب إلى الله مجازية والمراد بهما الرضا بصنيعهما» اهـ.

وأوّل البخاري الضحك الوارد في الحديث بالرحمة نقل ذلك عنه الخطابي[5] فقال: «وقد تأوّل البخاري الضحك في موضع ءاخر على معنى الرحمة وهو قريب وتأويله على معنى الرضا أقرب»[6] اهـ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب: باب قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الحشر/ ٩].

(٢) ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أي بأموالهم ومنازلهم ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أي فقر وحاجة فبيّن الله أن إيثارهم لم يكن عن غنًى، انتهى مؤلفه.

(٣) سورة الحشر/ ءاية ٩.

(٤) فتح الباري (٧/ ١٢٠).

(٥) الأسماء والصفات (ص/ ٤٧٠).

(٦) فتح الباري (٦/ ٤٠).

وأوّل البخاري[1] الآية ﴿ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ ﴾[2] بقوله: «أي في مُلكه وسُلطانه» اهـ.

## تفسير بعض الآيات والأحاديث المتشابهة

من الآيات المتشابهات قول الله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[3] فهذه الآية السلف لم يشتغلوا بتأويلها بتعيين معنى خاص، إنما قالوا استوى استواءً يليق به مع تنزيهه عن صفات الحوادث، ونفوا الكيفية عن الله تعالى؛ وما يروى عن الإمام مالك أنه قال حين سُئل عن الاستواء: «الاستواء معلوم والكيفية مجهولة» فلم يصح عنه، وإنما الصحيح الذي رواه البيهقي[4] في الأسماء والصفات من طريق عبد الله بن وهب ويحيى بن يحيى قال: «أخبرنا أبو عبد الله، أخبرني أحمد ابن محمّد بن إسمعيل بن مهران، ثنا أبي، حدثنا أبو الربيع ابن أخي رِشدِين بن سعد، قال: سمعت عبد الله بن وهب يقول: كنا عند مالك بن أنس فدخل رجل فقال: يا أبا عبد الله، الرحمٰن على العرش استوى كيف استواؤه؟ قال: فأطرق مالك وأخذته الرُّحَضَاءُ[5] ثم رفع رأسه فقال: الرحمٰن على العرش استوى كما وصف نفسه، ولا يقال كيف وكيف عنه مرفوع، وأنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجوه، قال: فأُخرج الرجل.

أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمّد بن الحارث الفقيه الأصفهاني، أنا أبو محمّد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بابي الشيخ،، ثنا أبو جعفر بن زيْرَك

---

(١) صحيح البخاري: كتاب التفسير: باب قوله: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ [سورة هود/ ٧]، فتح الباري (٨/ ٣٥٢).

(٢) سورة هود/ ءاية ٥٦.

(٣) سورة طه/ ءاية ٥.

(٤) الأسماء والصفات (ص/ ٤٠٨).

(٥) الرحضاء: هو عرق يغسل الجلد لكثرته، وكثيرًا ما يستعمل في عرق الحمى والمرض. النهاية (٢/ ٢٠٨).

البزي، قال: سمعت محمّد بن عمرو بن النضر النيسابوري يقول: سمعت يحيى بن يحيى يقول: كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال: يا أبا عبد الله، الرحمٰن على العرش استوى فكيف استوى؟ قال: فأطرق مالك رأسه حتى علاه الرُّحضاء، ثم قال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعًا». فأمر به أن يخرج. وروي ذلك أيضًا عن ربيعة بن أبي عبد الرحمٰن أستاذ مالك بن أنس رضي الله تعالى عنهما» اهـ. وأما تلك الرواية التي تنسب لمالك فليس لها إسناد صحيح، وإنما يلهج بها المشبهة لأنها وافقت هواهم الذي هو التشبيه، لأن اعتقادهم أن استواءه كيفٌ لكن لا نعلمه، وهذا إثبات للكيف لا تنزيه لله عن الكيف.

أما الخلف فقد اشتغلوا بتأويله وتعيين معنى للاستواء فقالوا: الاستواء معناه القهر والغلبة والاستيلاء. وتفسير الاستواء بالاستيلاء لا يقتضي المغالبة لأن المراد به القهر وقد وصف الله تبارك وتعالى نفسه بأنه القاهر فوق عباده قال: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾[1]، وقد أشار إلى ذلك الفقيه المحدث الحافظ اللغوي تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الذي قال فيه الذهبي:

لـيَـهْـنَ المنـبر الأمـوي لما ... عـلاه الحـاكـم الـبرُّ التقي
شيوخ العصر أحفظهم جميعًا ... وأخطبهم وأقـضـاهـم علي

قـال[2] ما نصه: «فالمقْدم على هذا التأويل -أي على تفسير الاستواء بالاستيلاء- لم يرتكب محذورًا ولا وصف الله بما لا يجوز عليه» اهـ.

وبذلك فسّرها القشيري أبو نصر فقال[3]: «ولو أشعر ما قلنا توهم غلبته لأشعر قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[4] بذلك أيضًا حتى

---

(١) سورة الأنعام/ ءاية ١٨.
(٢) إتحاف السادة المتّقين (٢/ ١٠٧).
(٣) إتحاف السادة المتقين (٢/ ١٠٨ - ١٠٩).
(٤) سورة الأنعام/ ءاية ١٨.

يقال كان مقهورًا قبل خلق العباد، هيهات إذ لم يكن للعباد وجود قبل خلقه إياهم، بل لو كان الأمر على ما توهمه الجهلة من أنه استواء بالذات لأشعر ذلك بالتغيير واعوجاج سابق على وقت الاستواء، فإن البارئ تعالى كان موجودًا قبل العرش، ومن أنصف علم أن قول من يقول العرش بالرب استوى[1] أمثل من قول من يقول: الرب بالعرش استوى ـ فالرب إذًا موصوف بالعلو وفوقية الرتبة والعظمة منزّه عن الكون في المكان وعن المحاذاة» اهـ.

ثم قال: «وقد نبغت[2] نابغة من الرعاع لولا استنزالهم للعوام بما يقرب من أفهامهم ويتصور في أوهامهم لأجللت هذا الكتاب عن تلطيخه بذكرهم، يقولون نحن نأخذ بالظاهر ونجري الآيات الموهمة تشبيهًا والأخبار المقتضية حدًّا وعضوًا على الظاهر ولا يجوز أن نطرق التأويل إلى شيء من ذلك، ويتمسكون بقول الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[3] وهؤلاء والذي أرواحنا بيده أضّر على الإسلام من اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان، لأن ضلالات الكفار ظاهرة يتجنبها المسلمون وهؤلاء أتوا الدين والعوام من طريق يغترّ به المستضعفون، فأوحوا إلى أوليائهم بهذه البدع وأحلّوا في قلوبهم وصف المعبود سبحانه بالأعضاء والجوارح والركوب والنزول والاتكاء والاستلقاء والاستواء بالذات والتردد في الجهات، فمن أصغى إلى ظاهرهم يبادر بوهمه إلى تخيّل المحسوسات فاعتقد الفضائح فسال به السيل وهو لا يدري» اهـ.

تنبيه: ليحذر من تمويه الوهابية وتلبيسهم بقولهم نحن نثبت لله ما أثبت لنفسه وهو أثبت لنفسه الاستواء على العرش، يريدون باستواء الله استواء الأجسام، يقال لهم: الاستواء الذي أثبته القرءان ليس الاستواء الذي أنتم تريدونه بل الله

---

(١) العرش بالرب استوى معناه العرش بإيجاد الله تعالى تمَّ أما استوى الله بالعرش لا يصح لأنه يُشعر بالنقص والنقص على الله مستحيل، انتهى مؤلفه.

(٢) نبغت أي ظهرت، والرعاع السفهاء.

(٣) سورة ءال عمران/ ءاية ٧.

أراد بالاستواء معنى لائقًا به، لأن كلمة استوى ليست مرادفةً لجلس، بل استوى له معان في لغة العرب عديدة بعض معانيه من صفات المخلوقين كالجلوس والاستقرار، ومنها ما هو لائق بالله تعالى كالاستيلاء والقهر، فمن اللغويين الذين فسروا الاستواء المذكور في الآية بالاستيلاء صاحب القاموس في كتابه بصائر ذَوِي التمييز[1]، والإمام المجتهد الفقيه الحافظ اللغوي تقي الدين السبكي[2]، والمحدّث الحافظ الفقيه خاتمة اللغويين محمد مرتضى الزبيدي[3] كما تقدم.

وأما الآيات والأحاديث التي يوهم ظاهرها أن الله في السماء أو هو فوق السماء بالمسافة فلا بدّ من تأويلها وإخراجها عن ظواهرها أيضًا، كآية: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[4] فيقال المراد بمن في السماء: الملائكة، وقد مال الحافظ العراقي إلى ذلك في تفسير حديث: «**ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»[5]؛ فقد روى بالإسناد إلى عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه قال: «**الراحمون يرحمهم الرحيم ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء**»[6][7] قال: «واستُدِلَّ بهذه الرواية: «أهل السماء» على أن المراد بقوله: «من في السماء: الملائكة» اهـ. لأن خير ما يفسر الوارد بالوارد كما نص على ذلك الحافظ العراقي في ألفيته قال: [رجز]

---

(١) بصائر ذوي التمييز (٢/ ١٠٧).

(٢) وقد وصفه بأنه لغوي تلميذه المؤرخ صلاح الدين الصفدي في تأليفه أعيان العصر (٣/ ٤١٩)، ونقله الزبيدي في الإتحاف (٢/ ١٠٧).

(٣) انظر البحث في إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين (٢/ ١٠٦ - ١١٢).

(٤) سورة الملك/ ءاية ١٦.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب البرّ والصلة: باب ما جاء في رحمة المسلمين.

(٦) **ارحموا من في الأرض** أي بإرشادهم إلى الخير بتعليمهم أمور الدين الضرورية التي هي سبب لإنقاذهم من النار وبإطعام جائعهم وكسوة عاريهم ونحو ذلك. وأما قوله: «**يرحمكم أهل السماء**» فأهل السماء هم الملائكة وهم يرحمون من في الأرض أي أن الله يأمرهم بأن يستغفروا للمؤمنين وبأن ينزلوا لهم المطر وينفحوهم بنفحات خير ويمدّوهم بمدد خير وبركة ويحفظوهم على حسب ما يأمرهم الله تعالى، انتهى مؤلفه.

(٧) انظر المجلس السادس والثمانين من أمالي العراقي (ص/ ٧٧).

فهذه الرواية لهذا الحديث تبين المراد بقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[1]، فمن في الآية واقعة على الملائكة لأن الملائكة قادرون على أن يخسفوا بأولئك المشركين الأرض، فلو أمروا لفعلوا، وقادرون على ما ذكر في الآية التالية لها وهو إرسال الحاصب أي الريح الشديدة بأمر الله تعالى.

وكذلك يقال في الحديث الذي رواه مسلم[2]: «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها» فيحمل أيضًا على الملائكة بدليل الرواية الثانية الصحيحة التي رواها ابن حبان وغيره[3]، والتي هي أشهر من هذه وهي: «**لعنتها الملائكة حتى تصبح**».

فإن قيل: قد ورد حديث[4] عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يقرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[5] إلى قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[6] ويضع أصبعيه قال ابن يونس أحد رواته: وضع أبو هريرة إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه.

فالجواب ما قال البيهقي: «قلت: والمراد بالإشارة المروية في هذا الخبر تحقيق الوصف لله عز وجل بالسمع والبصر، فأشار إلى محلي السمع والبصر منا لإثبات صفة السمع والبصر لله تعالى كما يقال قبض فلان على مال فلان ويشار باليد على

(١) سورة الملك/ ءاية ١٦.
(٢) انظر صحيح مسلم كتاب النكاح: باب تحريم امتناعها من فراش زوجها.
(٣) انظر صحيح مسلم كتاب النكاح: باب تحريم امتناعها من فراش زوجها. وترتيب صحيح ابن حبان (٦/ ١٨٧) كتاب النكاح: باب معاشرة الزوجين، ذكر لعن المرأة التي لم تجب زوجها إلى ما دعاها إليه.
(٤) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (ص/ ١٧٩).
(٥) سورة النساء/ ءاية ٥٨.
(٦) سورة النساء/ ءاية ٥٨.

معنى أنه حاز ماله، وأفاد هذا الخبر أنه سميع بصير له سمع وبصر لا على معنى أنه عليم، إذ لو كان بمعنى العلم لأشار في تحقيقه إلى القلب لأنه محل العلوم منا، وليس في الخبر إثبات الجارحة، تعالى الله عن شبه المخلوقين علوًا كبيرًا».

وأما حديث الطبراني[1]: «وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل واحد سبعين ألفًا وثلاث حَثَيَاتٍ من حثيات ربي عز وجل» فقد أعلّه الحافظ ابن حجر في الفتح بالاختلاف في سنده[2]، وكذا الحافظ البيهقي[3].

وأما ما ورد عن مجاهد في تفسير المقام المحمود بأنه إجلاس الله للنبي معه على عرشه فليس فيه حجة قال بعض الحفاظ: أما رفع ذلك إلى النبي ﷺ فباطل، وكذا ما ورد عن عائشة، قال الحافظ ابن الجوزي[4]: «قلت: هذا حديث مكذوب لا يصح عن رسول الله ﷺ» اهـ، وأما ما أخرجه ابن أبي حاتم عن سعيد بن أبي هلال أحد صغار التابعين أنه بلغه أن المقام المحمود أن رسول الله ﷺ يكون يوم القيامة بين الجبار وبين جبريل فيغبطه بذلك أهل الجمع فلا حجة فيه أيضًا فإنه مرسل[5]، وكذلك ما أخرجه الطبري عن عبد الله بن سلام أن محمدًا يوم القيامة على كرسي الرب بين يدي الرب.

قلنا: الجواب يكفي لعدم إثبات صورة لله بهذه المرويات أن الصفة عند العلماء لا تثبت بقول صحابي أو تابعي إنما تثبت الصفة لله بالكتاب والأحاديث المرفوعة الصحاح، فهذه القاعدة تريح من تكلف الجواب عن بعض ما يروى عن أفراد الصحابة والتابعين. وقال الحافظ البيهقي في كتاب الأسماء والصفات[6] ما نصه:

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨/ ١٢٩ - ١٣٠).
(٢) فتح الباري (١١/ ٣٤٦).
(٣) الأسماء والصفات (ص/ ٣٢٩ - ٣٣٠).
(٤) دفع شبه التشبيه: الحديث (٣٩).
(٥) فتح الباري (٨/ ٤٠٠).
(٦) كتاب الأسماء والصفات (ص/ ٥٠١).

«قال الشيخ رضي الله عنه: المحبة والبغض والكراهية عند بعض أصحابنا من صفات الفعل، فالمحبة عنده بمعنى المدح له بإكرام مكتسبه، والبغض والكراهية بمعنى الذم له بإهانة مكتسبه، فإن كان المدح والذم بالقول فقولُه كلامه وكلامه من صفات ذاته» اهـ.

وقال[1] ما نصه: «فمعنى قوله ﷺ: **«لا ينظر إليهم»** أي لا يرحمهم، والنظر من الله تعالى لعباده في هذا الموضع رحمته لهم ورأفته بهم وعائدته عليهم فمن ذلك قول القائل: انظر إليَّ نظر الله إليك أي ارحمني رحمك الله» اهـ.

وقال[2] ما نصه: «قال رسول الله ﷺ: **«لا يتوضأ أحدكم فيحسن وضوءه ويسبغه ثم يأتي المسجد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا تبشبش الله به كما يتبشبش أهل الغائب بطلعته»**[3]. قال أبو الحسن بن مهدي قوله: **«تبشبش الله»** بمعنى رضي الله، وللعرب استعارات في الكلام، ألا ترى إلى قوله: ﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾[4] بمعنى الاختبار وإن كان أصل الذوق بالفم، والعرب تقول ناظر فلانًا وذق ما عنده أي تعرّف واختبر، واركب الفرس وذقه، قال الشيخ: وقد مضى في حديث أبي الدرداء: «يستبشر»، وروي ذلك أيضًا في حديث أبي ذر ومعناه يرضى أفعالهم ويقبل نيتهم فيها والله أعلم» اهـ.

وقال[5] ما نصه: «قال أبو سليمان: فيها قوله: «للهُ أفرح» معناه أرضى بالتوبة وأقبل لها. والفرح الذي يتعارفه الناس من نعوت بني ءادم غير جائز على الله عز وجل إنما معناه الرضا» اهـ.

---

(١) كتاب الأسماء والصفات (ص/ ٤٨١).

(٢) كتاب الأسماء والصفات (ص/ ٤٧٨).

(٣) رواه أيضًا أبو داود الطيالسي في مسنده (ص/ ٣٠٧)، وابن حبان في صحيحه انظر الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٣/ ٦٧).

(٤) سورة النحل/ ءاية ١١٢.

(٥) كتاب الأسماء والصفات (ص/ ٤٧٧).

وقال[1] ما نصه: «قال أبو زكريا الفراء: العَجَبُ وإن أسند إلى الله تعالى فليس معناه من الله كمعناه من العباد، ألا ترى أنه قال: ﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ﴾[2] وليس السخري من الله كمعناه من العباد وكذلك قوله: ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾[3] ليس ذلك من الله كمعناه من العباد، وفي هذا بيان الكسر لقول شريح وإن كان جائزًا لأن المفسرين قالوا: بل عجبتَ يا محمد ويسخرون هم، فهذا وجه النصب. قال الشيخ: وتمام ما قال الفراء في قول غيره وهو أن قوله: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾[4] بالرفع أي جازيتهم على عجبهم لأن الله سبحانه أخبر عنهم في غير موضع بالتعجب من الحق فقال: ﴿ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ﴾[5] فأخبر عنهم أيضًا أنهم قالوا: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾[6] فقال تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ ﴾[7] أي بل جازيت على التعجب، وقد قيل إن قل مضمر فيه ومعناه قل يا محمد بل عجبتُ أنا من قدرة الله، والأول أصح.

وقد يكون العَجَبُ بمعنى الرضا في مثل ما مضى من قصة الإيثار وحديث الاستغفار، وقد يكون العَجَبُ بمعنى وقوع ذلك العمل عند الله عظيمًا» اهـ.

وقال البيهقي[8] في الكلام على حديث مما ضحكت يا رسول الله، قال: «من ضحك رب العالمين» ما نصه: «فأما المتقدمون من أصحابنا فإنهم فهموا من هذه الأحاديث ما وقع الترغيب فيه من هذه الأعمال وما وقع الخبر عنه من فضل الله سبحانه، ولم يشتغلوا بتفسير الضحك مع اعتقادهم أن الله ليس بذي

---

(١) كتاب الأسماء والصفات (ص/ ٤٧٥).

(٢) سورة التوبة/ ءاية ٧٩.

(٣) سورة البقرة/ ءاية.

(٤) سورة الصافات/ ءاية ١٢.

(٥) سورة ص/ ءاية ٤.

(٦) سورة ص/ ءاية ٥.

(٧) سورة الصافات/ ءاية ١٢.

(٨) كتاب الأسماء والصفات (ص/ ٤٧٤).

جوارح ومخارج، وأنه لا يجوز وصفه بكشر الأسنان وفغر الفم، تعالى الله عن شَبَهِ المخلوقين علوًّا كبيرًا» اهـ.

وقال[1] ما نصه: «قال أبو الحسن: فمعنى قول النبي ﷺ: «**يضحك الله**» أي يبيّن ويبدي من فضله ونعمه ما يكون جزاءً لعبده».

وقال ما نصه[2]: «وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال سمعت أبا محمد أحمدَ بن عبد الله المزني يقول: حديث النزول قد ثبت عن رسول الله ﷺ من وجوه صحيحة وورد في التنزيل ما يصدقه وهو قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[3] والمجيء والنزول صفتان منفيتان عن الله تعالى من طريق الحركة والانتقال من حال إلى حال بل هما صفتان من صفات الله تعالى بلا تشبيه» اهـ.

وقال[4] ما نصه: «والله تعالى لا يوصف بالحركة لأن الحركة والسكون يتعاقبان في محل واحد، وإنما يجوز أن يوصف بالحركة من يجوز أن يوصف بالسكون، وكلاهما من أعراض الحدث وأوصاف المخلوقين، والله تبارك وتعالى متعال عنهما ليس كمثله شىء» اهـ.

وقال[5] في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾[6] ما نصه: «قلت: فصح بهذا التفسير أن الغمام إنما هو مكان الملائكة ومركبهم وأن الله تعالى لا مكان له ولا مركب. وأما الإتيان والمجيء فعلى قول أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه: يحدث الله تعالى يوم القيامة فعلًا يسميه إتيانًا ومجيئًا لا بأن يتحرك أو ينتقل، فإن الحركة والسكون والاستقرار من صفات الأجسام، والله تعالى أحد صمد ليس كمثله شىء. وهذا كقوله عز وجل: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ

(١) كتاب الأسماء والصفات (ص/ ٤٧٣).
(٢) كتاب الأسماء والصفات (ص/ ٤٥٦).
(٣) سورة الفجر/ ءاية ٢٢.
(٤) كتاب الأسماء والصفات (ص/ ٤٥٤).
(٥) كتاب الأسماء والصفات (ص/ ٤٤٨).
(٦) سورة الفرقان/ ءاية ٢٥.

بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَـٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[1] ولم يرد به إتيانًا من حيث النقلة وإنما أراد إحداث الفعل الذي به خرب بنيانهم وخرَّ عليهم السقف من فوقهم، فسمَّى ذلك الفعل إتيانًا. وهكذا قال في أخبار النزول إن المراد به فعل يحدثه الله عز وجل في سماء الدنيا كل ليلة يسميه نزولا بلا حركة ولا نقلة، تعالى الله عن صفات المخلوقين» اهـ.

وقال[2] ما نصه: «قال أبو سليمان الخطابي رحمه الله: قوله: «فإن الله تعالى قِبَلَ وجهه» تأويله أن القبلة التي أمره الله تعالى بالتوجه إليها للصلاة قبل وجهه فليصنها عن النخامة» اهـ.

فإن قيل كيف يصح تأويل حديث: «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول هل من داع فأستجيب له وهل من مستغفر فأغفر له وهل من سائل فأعطيه» برواية أبي هريرة وأبي سعيد الخدري التي رواها النسائي وصححها عبد الحق ولفظها: «إن الله يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناديًا» إلى ءاخره مع أن في الرواية المشهورة: «أن الله يقول هل من داع فأستجيب له وهل من مستغفر فأغفر له وهل من سائل فأعطيه» فكيف ينسجم هذا مع القول بأن الملائكة هم الذين ينزلون بأمر الله؟ فالجواب: أن يحمل على أن الملك ينادي مبلغًا عن الله لا على أنه يقول عن نفسه تلك الكلمات، فيكون هذا كالذي ورد في الصحيحين في حديث المعراج وهو قوله ﷺ: «**فلما جاوزت نادى منادٍ أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي**» وكما أن هذا المنادي يقول هذا مبلغًا عن الله لأنه لا يجوز أن يقال عن الملك إنه يعبر عن نفسه بهذا الكلام؛ وكذلك الألفاظ التي وردت في حديث النزول على الرواية المشهورة لا يقوله الملك على معنى أنه هو الذي يجيب ويغفر ويعطي، فيكون المعنى في حديث النزول على الرواية المشهورة: إن ربكم يقول هل من داع فيستجاب له هل من مستغفر فيغفر له وهل من سائل

---

(١) سورة النحل/ ءاية ٢٦.

(٢) كتاب الأسماء والصفات (ص/ ٤٦٥).

فأعطيه؛ وحديث المعراج يكون معناه إن المنادي وهو الملك قال قال الله تعالى: أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي؛ ونقول: كما صح ذاك صح هذا. والشأن في تنزيل الألفاظ على المعاني التي جرت عليها أساليب العرب في لغتهم من المجاز والكناية، ولهذا شاهد في قوله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[1] فإن المعنى لا يستقيم إلا بالتأويل بأن يقدر «وقالوا» أي المشركون أو «يقولون» لأنهم كانوا يقولون ما يحصل من رخاء ونعمة فمن الله وما كان من جدب وقحط فمن شؤم محمد. لأن الحق الذي يجب اعتقاده أن الخير أي الرخاء والسيئة أي القحط والمصائب كلاهما بتقدير الله ومشيئته وخلقه كما قال قبل هذه الآية: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[2] فكما أنه لا بدّ من تقدير «يقولون» أو «قالوا» كذلك لا بد في حديث النزول من تأويل ينزل ربنا بنزول الملائكة بأمر الله وندائهم بأمر الله بما ذكر.

فإن قيل: كيف عاب على المنافقين والمشركين قولهم ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾[3] ورد عليهم ذلك بقوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[4] ثم قال بعد ذلك: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[5] أخبره بعين قولهم المردود عليهم.

قلنا: إن الثاني حكاية قولهم أيضًا، وفيه إضمار تقديره: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾[6] فيقولون ﴿مَّآ أَصَابَكَ﴾[7] الآية.

---

(١) سورة النساء/ ءاية ٧٩.
(٢) سورة النساء/ ءاية ٧٨.
(٣) سورة النساء/ ءاية ٧٨.
(٤) سورة النساء/ ءاية ٧٨.
(٥) سورة النساء/ ءاية ٧٩.
(٦) سورة النساء/ ءاية ٧٨.
(٧) سورة النساء/ ءاية ٧٩.

قال الحافظ[1] البيهقي ما نصه: «قلت: وهو كما روي في حديث ءاخر: «**سبحان الذي في السماء عرشه، سبحان الذي في الأرض موطئه**» وإنما أراد ءاثار قدرته، والله أعلم.

وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبدوس، قال: سمعت عثمان بن سعيد الدارمي يقول: سمعت علي بن المديني يقول في حديث خولة رضي الله عنها عن النبي ﷺ: «**إن ءاخر وطأة بوجٍّ**»[2] قال سفيان -يعني ابن عيينه- فسره فقال: إنما هو ءاخر خيل الله بوج، قال الدارمي: والوج مدينة الطائف. قلت الوج واد بالطائف كما قال ابن مهدي، وهو من حصنها قريب. وكانت مدينة الطائف أيضًا تسمى وجًّا كما قال الدارمي» اهـ.

ثم قال[3] ما نصه: «باب ما جاء في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾[4] أخبرنا أبو زكريا يحيى بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، أنا أبو الحسن أحمد بن محمد الطرائفي، ثنا عثمان بن سعيد، ثنا عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ يقول: يسمع ويرى» اهـ.

وقال[5] ما نصه: «باب ما جاء في إثبات الوجه صفة لا من حيث الصورة لورود خبر الصادق به» اهـ.

**فائدة: الأصل الذي يبنى عليه إثبات قدم صفات الله تعالى هو الإجماع القطعي**، قال السبكي في شرح عقيدة ابن الحاجب: «إعلم أن حكم الجواهر والأعراض كلها الحدوث فإذًا العالم كله حادث، وعلى هذا إجماع المسلمين

---

(١) كتاب الأسماء والصفات (ص/ ٤٦٢).

(٢) وفي لسان العرب (١/ ١٩٧) في الحديث: «**إنَّ ءاخر وطأةٍ وطئها الله بوجٍ**» أراد بالوطأة غزوة الطائف لأنها كانت ءاخر غزواته ﷺ.

(٣) كتاب الأسماء والصفات (ص/ ٤٣١).

(٤) سورة الفجر/ ءاية ١٤.

(٥) كتاب الأسماء والصفات (ص/ ٣٠١).

بل كل الملل ومن خالف في هذا فهو كافر لمخالفة الإجماع القطعي» اهـ انظر إتحاف السادة المتقين[1]، فلا مخلص من مخالفة هذا الإجماع إلا بالتأويل الإجمالي أو التفصيلي.

## قواعد نافعة

**أحدها:** ما ذكره الحافظ الفقيه البغدادي في كتابه الفقيه والمتفقّه ونصه: «والثانية: لا تثبت الصفة لله بقول صحابي أو تابعي إلا بما صح من الأحاديث النبوية المرفوعة المتفق على توثيق رواتها، فلا يحتج بالضعيف ولا بالمختلف في توثيق رواته حتى لو ورد إسنادٌ فيه مُختَلَف فيه وجاء حديث ءاخر يَعْضِدُه فلا يُحتَجُّ به» اهـ.

**الثانية:** قال فيه أيضًا[2] ما نصّه: «وإذا روى الثقة المأمون خبرًا متّصل الإسناد رُدّ بأمور: أحدها: أن يخالف موجبات العقول فيعلم بطلانه لأن الشرع إنما يَرِدُ بمجوَّزات العقول وأمّا بخلاف العقول فلا، والثاني: أن يخالف نص الكتاب أو السنة المتواترة فيعلم أنه لا أصل له أو منسوخ، والثالث: أن يخالف الإجماع فيستدل على أنه منسوخ أو لا أصل له، لأنه لا يجوز أن يكون صحيحًا غير منسوخ وتجمع الأمة على خلافه» انتهى.

**الثالثة:** ذكر علماء الحديث أن الحديث إذا خالف صريح العقل أو النّص القرءاني أو الحديث المتواتر ولم يَقبل تأويلًا فهو باطلٌ، وذكره الفقهاء والأصوليون في كتب أصول الفقه كتاج الدين السبكي في جمع الجوامع وغيره.

قال أبو سليمان الخطابي[3]: «لا تثبت لله صفة إلا بالكتاب أو خبر مقطوع له بصحته يستند إلى أصل في الكتاب أو في السنة المقطوع على صحتها، وما بخلاف

(١) إتحاف السادة المتقين (٢/ ٩٤).
(٢) الفقيه والمتفقه (ص/ ١٣٢).
(٣) الأسماء والصفات (ص/ ٣٣٥ - ٣٣٦).

ذلك فالواجب التوقف عن اطلاق ذلك ويتأول على ما يليق بمعاني الأصول المتفق عليها من أقوال أهل العلم من نفي التشبيه».

ثم قال: «وذكر الأصابع لم يوجد في شيء من الكتاب ولا من السنة التي شرطها في الثبوت ما وصفناه، وليس معنى اليد في الصفات بمعنى الجارحة حتى يتوهم بثبوتها ثبوت الأصابع بل هو توقيف شرعي أطلقنا الاسم فيه على ما جاء به الكتاب من غير تكييف ولا تشبيه» اهـ.

أما الحديث المعروف بحديث الجارية الذي رواه مسلم[1] أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فسأله عن جارية له، قال: قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها، قال: «**ائتني بها**» فأتاه بها فقال لها: «**أين الله**»، قالت: في السماء، قال: «**من أنا**»، قالت: «أنت رسول الله»، قال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**». فليس معناه أن الله يسكن السماء كما توهم بعض الجهلة بل معناه أن الله عالي القدر جدًّا. وهذا يوافق اللغة قال النابغة الجعدي[2]:

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

ثم إن رواية مسلم طعن فيها بعض العلماء بالاضطراب سندًا ومتنًا لأمرين: الأول: الاضطراب لأنه روي بلفظ رواه ابن حبان[3] في صحيحه عن الشريد بن سويد الثقفي قال: قلت يا رسول الله: إن أمي أوصت أن نعتق عنها رقبة وعندي جارية سوداء، قال: «**ادع بها**» فجاءت فقال: «**من ربك**» قالت: الله، قال: «**من أنا**»، قالت: رسول الله، قال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**»، ورواه البيهقي بلفظ[4]: «أين

---

(١) صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة: باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته.

(٢) انظر تاج العروس (٣/ ٣٧٤) مادة (ظهـر)، وانظر أيضًا لسان العرب (٤/ ٥٢٠) مادة (ظهـر).

(٣) الإحسان (١/ ٢٠٦ و٦/ ٢٥٦).

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٣٨٨).

الله»، فأشارت إلى السماء بإصبعها، وروي بلفظ[1]: «**من ربك**» قالت: الله ربي، قال: «**فما دينك**» قالت: الإسلام، قال: «**فمن أنا**» قالت: أنت رسول الله، قال: «**أعتقها**». وروي بلفظ عند مالك[2]: «**أتشهدين أن لا إلـٰه إلا الله**»، قالت: نعم، قال: «**أتشهدين أني رسول الله**»، قالت: نعم، قال: «**أتوقنين بالبعث بعد الموت**»، قالت: نعم، فقال رسول الله ﷺ: «**أعتقها**».

فرواية مالك هي الصحيحة التي توافق الأصول لكونها جاءت على الجادة إلا أنه ليس فيها: «فإنها مؤمنة»، فترجح على رواية مسلم لأنها في معنى الحديث المشهور[3]: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلـٰه إلا الله**» الحديث، وفي معنى الحديث الذي رواه النسائي في السنن الكبرى[4] عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل على غلام من اليهود وهو مريض فقال له: «**أسلم**». فنظر إلى أبيه فقال له أبوه: أطع رسول الله ﷺ. فقال: **أشهد أن لا إلـٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله**، فقال رسول الله ﷺ: «**الحمد لله الذي أنقذه بي من النار**».

والأمر الثاني: أن رواية: «أين الله» مخالفة للأصول لأن من أصول الشريعة أن الشخص لا يُحكَمُ له بقول الله في السماء بالإسلام لأنها ليست كلمة التوحيد، ولأن هذا القولَ مشترَكٌ بين اليهود والنصارى وغيرهم وإنما الأصل المعروف في شريعة الله ما جاء في الحديث المشهور المتقدم ذكره.

**فإن قيل**: كيف تكون رواية مسلم «**أين الله، فقالت: في السماء**» إلى ءاخره، مردودةً مع رواية مسلم له وكلّ ما رواه مسلمٌ موسومٌ بالصّحّة، فالجوابُ: أن عددًا من أحاديث مسلم ردَّها علماء الحديث.

---

(١) السنن الكبرى (٧/ ٣٨٨).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ: كتاب العتاقة والولاء: باب ما يجوز من العتق في الرقاب الواجبة.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [سورة التوبة]، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إلـٰه إلا الله محمد رسول الله.

(٤) السنن الكبرى (٥/ ١٧٣).

ولو صحّ حديثُ الجارية لم يكن معناه أنّ الله ساكنُ السماء كما توهّم بعضُ الجهلة بل لكان معناه أن الله عالي القَدْرِ جدًّا وعلى هذا المعنى أقرَّ بعض أهل السنة بصحة رواية مسلم هذه وحملوها على خلاف الظاهر، وحملها المشبهة على ظاهرها فضلّوا، ولا ينجيهم من الضلال قولهم إننا نحمل كلمة في السماء بمعنى أنه فوق العرش لأنه بقولهم ذلك أثبتوا له مثلًا وهو الكتاب الذي كتب الله فيه: «إن رحمتي سبقت غضبي» وهو فوق العرش فيكونون أثبتوا المماثلة بين الله وبين ذلك الكتاب لأنهم جعلوا الله وذلك الكتاب مستقِرَّيْن فوق العرش فيكونون كذبوا قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

وعلى اعتقادهم هذا يلزم أن يكون الله محاذيًا للعرش بقدر العرش أو أوسع منه أو أصغر وأن يكون مربعًا كما أن العرش مربع إن قالوا بقول ابن تيمية إنه ملأ العرش. وكل ما جرى عليه التقدير حادث محتاج إلى من جعله على ذلك المقدار قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾[1]. قال الحافظ الفقيه اللغوي محمد مرتضى الزبيدي[2]: «من جعل الله تعالى مُقَدَّرًا بمقدار كفر» أي لأنه جعله ذا كمية وحجم والحجم والكمية من موجبات الحدوث، وهل عرفنا أن الشمس حادثة مخلوقة من جهة العقل إلا لأن لها حجمًا، ولو كان لله تعالى حجمٌ لكان مثلًا للشمس في الحجمية ولو كان كذلك ما كان يستحق الألوهية كما أن الشمس لا تستحق الألوهية. فلو طالب عابد الشمس هؤلاء المشبهة بدليل عقلي على استحقاق الله الألوهية وعدم استحقاق الشمس الألوهية لم يكن عندهم دليل، وغاية ما يستطيعون أن يقولوا قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[3] فإن قالوا ذلك لعابد الشمس يقول لهم عابد الشمس أنا لا أؤمن بكتابكم أعطوني دليلًا عقليًّا على أن الشمس لا تستحق الألوهية فهنا ينقطعون. وكون ذلك الكتاب فوق العرش ثابت أخرج حديثه البخاري وغيره، ولفظ البخاري

---

(١) سورة الرعد/ ءاية ٨.

(٢) إتحاف السادة المتقين (٢/ ١٠٩).

(٣) سورة الزمر/ ءاية ٦٢.

ومسلم(١): «**لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي**»، وفي رواية عند مسلم(٢): «**لما قضى الله الخلق كتب في كتابه على نفسه فهو موضوع عنده إن رحمتي تغلب غضبي**». ولفظ رواية ابن حبان(٣): «**لما خلق الله الخلق كتب في كتاب يكتبه على نفسه وهو مرفوع فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي**». فإن حاول محاول أن يؤوّل فوق بمعنى دون قيل له هذا التأويل لا يجوز إلا بدليل ولا دليل على لزوم التأويل في هذا الحديث، كيف وقد قال بعض العلماء: إن اللوح المحفوظ فوق العرش لأنه لم يرد نص صريح بأنه فوق العرش ولا بأنه تحت العرش فبقي الأمر على الاحتمال أي احتمال أن اللوح المحفوظ فوق العرش واحتمال أنه تحت العرش فعلى قول إنه فوق العرش يكون المشبّه قد جعل اللوح المحفوظ معادلا لله أي أن يكون الله بمحاذاة قسم من العرش واللوح بمحاذاة قسم من العرش، وهذا تشبيه له بخلقه لأن محاذاة شيء لشيء من صفات المخلوق.

ومما يدل على أن ذلك الكتاب فوق العرش فوقية حقيقية لا تحتمل التأويل الحديث الذي رواه النسائي(٤): «**إن الله كتب كتابًا قبل خلق السموات والأرض بألفي سنة وقال إبراهيم: بألفي عام، فهو عنده على العرش**» الحديث. وكذلك ينافي تأويل «فوق» في الحديث بمعنى تحت رواية ابن حبان التي فيها: «مرفوع فوق العرش» ورواية النسائي التي فيها: «**على العرش**» فثبت بهذا أن الموجود فوق العرش هو هذا الكتاب، وبطل قولهم ان فوق العرش لا مكان.

وأما معنى «**عنده**» المذكور في الحديث فهو للتشريف كما في قوله تعالى: ﴿ فِ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: أول كتاب بدء الخلق، وكتاب التوحيد: باب وكان عرشه على الماء، وباب قوله تعالى ﴿ فَكَفَرُوا بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ١٧٠ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ١٧١ ﴾ [سورة الصافات]، وباب قوله تعالى ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ٢٢ ﴾ [سورة البروج]، وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب التوبة: باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه.

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر الإحسان (٨/ ٥).

(٤) السنن الكبرى (٦/ ٢٤٠)، وعمل اليوم والليلة (ص/ ٥٣٦).

﴿مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ﴾[1] وقد أثبت اللغويون أن عند تأتي لغير الحيّز والمكان، فكلمة عند في هذا الحديث لتشريف ذلك المكان الذي فيه الكتاب، وسبحان الله والحمد لله رب العالمين. وقال الحافظ المحدّث ولي الدين أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي ما نصه[2]: «وقوله -أي النبي «**فهو عنده فوق العرش**» لا بد من تأويل ظاهر لفظة «عنده» لأن معناها حضرة الشيء والله تعالى منزه عن الاستقرار والتحيّز والجهة، فالعنديّة ليست من حضرة المكان بل من حضرة الشرف أي وضع ذلك الكتاب في محل معظّم عنده» اهـ.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ﴿٨٣﴾﴾[3] إنما تدل ﴿عِندَ﴾ في هذه الآية أن ذلك بعلم الله وليس المعنى أن تلك الحجارة مجاورة لله تعالى في المكان، فمن يحتج بمجرّد كلمة عند لإثبات المكان لله ومجاورته شيئًا من خلقه فهو من أجهل الجاهلين. وهل يقول عاقلٌ إن تلك الحجارة التي أنزلها الله على أولئك الكفرة نزلت من العرش إليهم.

والحاصل أن عند تأتي للمكان والزمان وبمعنى الحكم، يقال هذا عند الله أفضل من هذا. قال المفسر النحوي اللغوي الزجاج في تفسيره[4] ما نصه: «قوله جلّ وعزّ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾[5]. قال أهل اللغة: معناه يأتيهمُ الله بما وعدهم من العذاب والحساب كما قال: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْ﴾[6]، أي أتاهم بخذلانه إياهم» اهـ.

وقول الوهابية إن هذه الآية تنفي عن الله المشابهة فيما يعرفه الناس لا تنفي

---

(١) سورة القمر/ ءاية ٥٥.

(٢) طرح التثريب: كتاب القضاء والدعاوى: باب تسجيل الحاكم على نفسه (٨/ ٨٤).

(٣) سورة هود/ ءاية ٨٢ - ٨٣.

(٤) تفسير القرءان، مخطوط في مكتبة كوبريلي/ استانبول.

(٥) سورة البقرة/ ءاية ٢١٠.

(٦) سورة الحشر/ ءاية ٢.

المماثلة المطلقة فهذا تحكم محض، لأنه تقييد للنص بلا دليل. أما من أخذ حديث الجارية المتقدم على ظاهره ومنع التأويل فيقال له: ماذا تفعل بحديث أبي موسى الأشعري[1] الذي هو أصح إسنادًا من حديث الجارية وهو: «**أيها الناس اربعوا على أنفسكم**[2] **إنكم ليس تدعون أصمّ ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا، والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلة أحدكم**[3]»، فإن أخذ بظاهر هذا الحديث انتقض عليه مذهبه للتناقض، وإن قال: أؤوّل هذا الحديث ولا أؤوّل حديث الجارية، كان هذا تحكمًا.

وإثبات المكان لله يقتضي إثبات الجهة التي نفاها علماء الإسلام عن الله تعالى سلفهم وخلفهم كما قال أبو جعفر الطحاوي في كتابه المسمى «العقيدة الطحاوية» والذي ذكر فيه أنه بيان عقيدة أهل السنّة والجماعة: «لا تحويه الجهاتُ الست كسائر المبتدعات».

فتبين أن نفي تحيّز الله في جهة هو عقيدة السلف، لأن الطحاوي من السلف وقد بيّن أن هذا معتقد أبي حنيفة وصاحبيه الذين ماتوا في القرن الثاني خاصة ومعتقد أهل السنّة عامة.

وأما حديث النزول الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما، ولفظ البخاري: حدثنا عبد الله بن مسلمة، عن مالك، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة وأبي عبد الله الأغر، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له**»[4]، فلا يجوز أن يحمل على ظاهره

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء والقربة والاستغفار: باب استحباب خفض الصوت بالذكر، والبخاري بنحوه في كتاب المغازي: باب غزوة خيبر.

(٢) هونوا على أنفسكم ولا تُجهدوها برفع الصوت كثيرًا فإن الله يسمعكم ولا يخفى عليه شيء، انتهى مؤلفه.

(٣) أي أعلم بالعبد من نفسه وهو مطلع على أحوال عباده لا يخفى عليه شيء.

(٤) رواه البخاري في صحيحه كتاب الصلاة: باب الدعاء والصلاة من ءاخر الليل. ورواه مسلم=

لإثبات النزول من علو إلى سفل في حق الله تعالى. قال النووي في شرحه على صحيح مسلم[1]: «هذا الحديث من أحاديث الصفات، وفيه مذهبان مشهوران للعلماء: أحدهما: وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد، ولا يتكلم في تأويلها مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق؛ والثاني: مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف وهو محكي هنا عن مالك والأوزاعي أنها تتأوّل على ما يليق بها بحسب مواطنها، فعلى هذا تأولوا هذا الحديث تأويلين أحدهما: تأويل مالك بن أنس وغيره، معناه تنزل رحمته وأمره وملائكته، كما يقال فعل السلطان كذا إذا فعله أتباعه بأمره، والثاني: أنه على الاستعارة ومعناه الإقبال على الداعين بالإجابة واللطف» اهـ.

ويبطل ما ذهبت إليه المشبهة من اعتقاد نزول الله بذاته إلى السماء الدنيا أن بعض رواة البخاري ضبطوا كلمة (ينزل) بضم الياء وكسر الزاي، فيكون المعنى نزول المَلَك بأمر الله الذي صرّح به في حديث أبي هريرة وأبي سعيد من أن الله يأمر ملكًا بأن ينزل فينادي، فتبين أن المشبهة ليس لها حجة في هذا الحديث. قال القرطبي في تفسير سورة ءال عمران عند قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[2] بعد ذكره حديث النزول وما قيل فيه ما نصه[3]: «وأولى ما قيل فيه ما جاء في كتاب النسائي مفسرًا عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله عزّ وجلّ يُمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناديًا فيقول: هل من داع يستجاب له، هل من مستغفر يُغفر له، هل من سائل يُعطى»** صححه أبو محمد عبد الحق، وهو يرفع الإشكال ويوضح كل احتمال وأن

---

= في صحيحه كتاب صلاة المسافرين وقصرها: باب الترغيب في الدعاء والذكر في ءاخر الليل والإجابة فيه.

(١) شرح صحيح مسلم النووي (٦/ ٣٦).

(٢) سورة ءال عمران/ ءاية ١٧.

(٣) تفسير القرطبي (٤/ ٣٩).

الأول من باب حذف المضاف، أي ينزل ملك ربنا فيقول. وقد روي ينزل بضم الياء وهو يبين ما ذكرنا» اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ما نصه[1]: «استدل به من أثبت الجهة وقال هي جهة العلو، وأنكر ذلك الجمهور لأن القول بذلك يفضي إلى التحيّز تعالى الله عن ذلك، وقد اختلف في معنى النزول على أقوال» اهـ ثم قال: «وقد حكى أبو بكر بن فورك أن بعض المشايخ ضبطه بضم أوله على حذف المفعول أي ينزل ملكًا»، ويقويه ما رواه النسائي من طريق الأغرّ عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما بلفظ: «**إن الله يمهل حتى يمضي شطر الليل ثم يأمر مناديًا يقول: هل من داع فيستجاب له**» الحديث، وفي حديث عثمان بن أبي العاص: «يُنادي مناد هل من داع يستجاب له» الحديث، قال القرطبي: وبهذا يرتفع الإشكال» اهـ.

قال بدر الدين بن جماعة في كتابه إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل ما نصه[2]: «اعلم أن النزول الذي هو الانتقال من علو إلى سفل لا يجوز حمل الحديث عليه؛ لوجوه:

**الأول**: النزول من صفات الأجسام والمحدثات ويحتاج إلى ثلاثة أجسام: منتقل، ومنتقل عنه، ومنتقل إليه، وذلك على الله تعالى محال.

**الثاني**: لو كان النزول لذاته حقيقة لتجددت له في كل يوم وليلة حركات عديدة تستوعب الليل كله، وتنقلات كثيرة؛ لأن ثلث الليل يتجدد على أهل الأرض مع اللحظات شيئًا فشيئًا، فيلزم انتقاله في السماء الدنيا ليلًا ونهارًا من قوم إلى قوم، وعوده إلى العرش في كل لحظة على قولهم، ونزوله فيها إلى سماء الدنيا، ولا يقول ذلك ذو لب وتحصيل.

**الثالث**: أن القائل بأنه فوق العرش، وأنه ملأه كيف تسعه سماء الدنيا، وهي بالنسبة إلى العرش كحلقة في فلاة، فيلزم عليه أحد أمرين؛ إما اتساع سماء الدنيا

---

(١) فتح الباري (٣/ ٣٠).
(٢) إيضاح الدليل (ص/ ١٦٤).

كل ساعة حتى تسعه، أو تضاؤل الذات المقدس عن ذلك حتى تسعه، ونحن نقطع بانتفاء الأمرين» اهـ.

فالآيات والأحاديث الموهم ظاهرها تشبيه الله بخلقه لا بدّ من تأويلها على معنى لائق بالله عزّ وجلّ أو الامتناع عن التأويل واعتقاد تنزيه الله عن صفات الحدوث والمخلوقين.

## قاعدة مهمة

إن الشرع إنما ثبت بالعقل، فلا يتصور وروده بما يكذب العقل فإنه شاهده، فلو أتى بذلك لبطل الشرع والعقل معًا، إذا تقرّر هذا فنقول: كل لفظ يرد من الشرع في الذات والأسماء والصفات مما يوهم خلاف العقل فلا يخلو إما أن يكون متواترًا أو ءاحادًا، فإن كان ءاحادًا وهو نص لا يحتمل التأويل قطعنا بتكذيب ناقله أو سهوه أو غلطه، وإن كان ظاهرًا فالظاهر منه غير مراد، وإن كان متواترًا فلا يتصور أن يكون نصًّا لا يحتمل التأويل، فلا بُدّ أن يكون ظاهرًا أو محتملًا، فحينئذ نقول الاحتمال الذي دلّ العقل على خلافه ليس بمراد منه، فإن بقي بعد إزالته احتمال واحد تعين أنه المراد بحكم الحال، وإن بقي احتمالان فصاعدًا فلا يخلو إما أن يدل قاطع على تعيين واحد منها أو لا، فإن دَلّ حمل عليه، وإن لم يدل قاطع على التعيين فهل يعين بالظنّ والاجتهاد؟ اختلف فيه، فمذهب السلف عدم التعيين خشية الإلحاد.

**إبطال شبهة:** فإن قالوا جميع ما ذكرتموه تأويل والتأويل ممنوع منه قلنا: قد أولتم قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾[2] الآية، وقوله عليه السلام[3]: «**إن قلوب بني ءادم**

(١) سورة الحديد/ ءاية ٤.

(٢) سورة المجادلة/ ءاية ٧.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب القدر: باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، وأحمد في مسنده (٢/ ١٦٨)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٨٨).

كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن»[1]، وقوله عليه السلام[2]: «**الحجر الأسود يمين الله في الأرض**» فحملتم المعية في الآيتين على معية العلم والإحاطة والمشاهدة كما قال تعالى لموسى وأخيه هارون ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾[3]، وحملتم الحديث الأول على معنى «يقلبه كيف يشاء»، وحملتم قوله عليه السلام «**الحجر الأسود يمين الله في الأرض**»[4] أي محل عهده الذي أخذ به الميثاق على بني ءادم، فإن صح منكم تأويل ذلك لمخالفته العقل فيجب تأويل جميع ما تمسكتم به مما ذكرنا ونحوه، كذلك قالوا: إنما أوّلنا ذلك لأنه خلاف ضرورة العقل وما صرتم إليه يحتاج إلى نظر العقل وهو حرام وبدعة، قلنا: لا بد من الاعتراف بصدق نظر العقل وإلا لم يثبت لكم شرعٌ تُسندون إليه شيئًا من المعارف والأحكام، فإن قالوا: قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ قلنا: فقد قال تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ فإن قالوا: يجب الوقوف على قوله ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وتكون الواو للاستئناف وليست عاطفة، وحظ الراسخين في العلم الإيمان به، قلنا: الإيمان به واجب على عموم المؤمنين فلا يبقى لوصفهم بالرسوخ في العلم وأنهم أولو الألباب فائدة بل الراسخ في العلم ذو اللب يعلم من المتشابه الوجه الذي شابه به الباطل فينفيه والوجه الذي شابه به الحق فيثبته كقوله تعالى: ﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[5] مترددٌ بين البعضية وهو باطل وبين إضافة التشريف والتعظيم وهو حق فيعيّنه له.

## فوائد مهمة في دفع شبه المشبهة

* **الأولى**: لو فرضت مناظرة بين المجسم كالوهابي الذي يثبت الحد والكمية والحجم لله وبين عابد الشمس، فقال الوهابي لعابد الشمس: أنت دينك باطل

---

(١) أي أن الله يتصرف بقلوب عباده كما يشاء من غير أن يلحقه تعب ومشقة.
(٢) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٦/ ٣٢٨).
(٣) سورة طه/ ءاية ٤٦.
(٤) ضعيف ما له صحة.
(٥) سورة الحجر/ ءاية ٢٩.

لأنك تعبد غير الله وأنا ديني هو الصحيح، فقال له عابد الشمس: أنا معبودي شيء محسوس تعترف بوجوده ويعترف كل الناس بوجوده وتعترف بعظم نفعه للأبدان وللنبات وللشجر وللأرض وللهواء وللماء، أما معبودك الذي أنت تقول هو الله شيء ليس بمرئي لي ولا لك، إنما أنت تتوهم أن شيئًا موجودًا فوق العرش إلهك الذي تزعمه فكيف يكون ديني باطلًا ودينك حقًّا، فإن قال الوهابي: لأن الله قال في القرءان ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾[1] قال عابد الشمس: أنا لا أؤمن بكتابك أعطني دليلًا حسيًّا يشهد به الحس أو دليلًا عقليًّا، انقطع الوهابي المجسم عن الإجابة أمام هذا المشرك عابد الشمس.

* **الثانية**: ولو فرضت هذه المناظرة بينه وبين مسلم منزّه لله عن الكمية والحدّ لأجابه بقوله: إن معبودي موجود لا كالموجودات ليس له كمية ولا حدٌّ فهو الذي لا يحتاج إلى خالق يوجده ولا إلى مخصص خصصه بل هو منزه عن ذلك، وأما معبودك الذي هو الشمس فله كمية وحدّ فيحتاج إلى من جعله على هذا الحدّ والكمّيّة والشكل فلا يصلح أن يكون إلهًا، بل الذي جعله على هذا الحدّ والكمّيّة هو الذي يصلح أن يكون إلهًا معبودًا، والحق يقضي بأن الشيء الذي له حد لا بد له من حادٍّ حَدَّهُ بذلك الحدّ، فيكون السني المنزه عن الحدّ والجسمية غلب عابد الشمس وأفحمه، وبهذا الدليل العقلي ينكسر عابد الشمس وينقطع، فالحمد لله الذي وفق أهل السنة لمعرفة الدليل العقلي والنقلي المتعاضدين، والنقلي هو قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾[2] فإنه ينفي عن الله الجسمية والتحيز وكل صفات الجسمية، ولله الحمد على هذه النعمة.

* **الثالثة**: قد سبق في هذا الكتاب أن حديث: «**ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا**» الحديث، المراد به نزول الملائكة بأمره تعالى ليبلغوا عنه أنه وعد من يدعوه بالاستجابة ومن يستغفره بالمغفرة ومن يسأله بالإعطاء. قال ابن تيمية في شرح

---

(١) سورة إبراهيم/ ءاية ١٠.

(٢) سورة الشورى/ ءاية ١١.

هذا الحديث في كتابه شرح حديث النزول وغيره[1] بأن الله ينزل إلى السماء الدنيا ولا يخلو منه العرش، فهذا من أسخف القول، كيف يجعل النزول نزولا من العرش إلى السماء الدنيا من غير أن يخلو منه العرش، وهذا مصداق قول الحافظ أبي زرعة العراقي[2] فيه إن علمه أكبر من عقله.

* الرابعة: قولهم: قال مالك رضي الله عنه: «الاستواء معلوم والكيفية مجهولة» أو «والكيف مجهول»، يريدون بذلك أن استواء الله جلوس على العرش لكن لا نعرف كيفية ذلك الجلوس. والجواب عن ذلك: روي عن الإمام مالك صيغتان الأولى وهي الثابتة عنه بالإسناد «استوى كما وصف نفسَهُ ولا يقال كيف وكيف عنه مرفوع»، والثانية «الاستواء معلوم والكيفُ غير معقول»، ومعنى «والكيف غير معقول» أي أن الله لا يقبلُ العقل أن يكون له كيف أي هيئة من الهيئات، وليس معناه أن استواءَهُ هو الجلوس لكن لا تُعرف كيفية جلوسه وهذا الذي تريده الوهابية وغيرهم من المجسّمة. الخامسة: إيرادُهم كلمة «بلا كيف» على غير المعنى الذي رُويَ عن مالك والليث بن سعد والأوزاعي وسفيان الثوري رضي الله عنهم بأنهم كانوا يقولون في بعض النصوص التي ظواهرها إثبات الجسمية أو صفات الجسمية كحديث النزول: «أمرُّوها كما جاءت بلا كيف»، أي ارْووا اللفظ ولا تعتقدوا تلك الظواهر التي هي من صفات الجسم، فالأئمة مرادهم نفي الجسمية وصفاتِها عن الله أي أن هذه النصوص ليسَ معانيها الجسمية وصفاتها من حركة وسكون لأن الله تعالى نفى الجسمية وصفاتِها عن نفسه بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾، وأرادَ الأئمة ردَّ تلك النصوص إلى هذه الآية المحكمة، أما الوهابية فيريدون بذلك إثبات الكيف لله لكن يموهون على الناس بقولهم إن هذه النصوص محمولة على الجسمية وصفاتِ الجسمية لكن لا نعرف كيفية تلك الكيفية.

---

(١) شرح حديث النزول (ص/ ٦٦)، والمنهاج (١/ ٢٦٢).

(٢) الأجوبة المرضية (ص/ ٩٢ - ٩٣).

* الخامسة: قولهم إن استواء الله على العرش جلوسٌ لكن لا كجلوسنا ويَستشهدون لذلك بقول بعض الأئمة «لله وجه لا كوجوهنا ويدٌ لا كأيدينا وعين لا كأعيننا». والجواب عنها: أن الجلوس في لغة العرب لا يكون إلا من صفات الأجسام، فالعرب لا تطلق الجلوس إلا على اتصال جسم بجسم على أن يكون أحد الجسمين له نصفان نصف أعلى ونصف أسفل، وليس للجلوس في لغة العرب معنًى إلا هذا، وهم -أي الوهابية- في هذا أثبتوا الجسمية لله وبعضَ صفاتِها ولا يجوز ذلك على الله لأنه لو كان كذلك لكان له أمثال لا تحصى، فالجلوس يشترك فيه الإنسان والجن والملائكة والبقر والكلب والقرد والحشرات وإن اختلفت صفات الجلوس[1]. ويقال لهم: أما الوجه واليد والعين فليست كذلك فإن الوجه في لغة العرب يُطلق على الجسم وعلى غير الجسم، والوجه بمعنى الجسم هو هذا الجزء الذي هو مركب في ابن ءادم وفي سائر ذواتِ الأرواح. وأما معنى الوجه الذي هو غير هذا الجزء في لغة العرب فمنه المُلك كما فسر سفيان الثوري في تفسيره[2] والبخاري في جامعه قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[3] قالا: إلا ملكه[4]، ويطلق الوجه إذا أضيف إلى الله بمعنى ما يقرّب إلى الله من الأعمال كالصلاة والصيام وسائر الأعمال الصالحة. ويطلق على الذاتِ، والذاتُ بالنسبة إلى المخلوقين الجِرم الكثيف أو اللطيف كحجم الإنسان وحجم النور والريح هذا معنى الذات في المخلوق، أما الذات إذا أضيف إلى الله فمعناه حقيقته لا بمعنى الحجم الكثيف أو اللطيف.

وقد روى ابن حبان في صحيحه[5] من حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ قال:

---

(١) قال أبو بكر بن فُورَك: «واعلم أنّ وصف الله تعالى ذكره بالقعود مما لم يثبت به نص كتاب ولا سنة» اهـ ذلك لأن من نسب إلى الله القعود يكفر. تأويل مشكل الحديث (ص/ ١٩٤).

(٢) تفسير القرءان الكريم (ص/ ١٩٤).

(٣) سورة القصص/ ءاية ٨٨.

(٤) أي إلا سلطانه.

(٥) صحيح ابن حبان، انظر الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٧/ ٤٤٦).

«المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان[1]، وأقرب ما تكون المرأة من وجه الله إذا كانت في قعر بيتها[2]»، فالوجه هنا ليس له معنى إلا الطاعة فلا يفسر هنا بالذات أي ذات الله الذي هو حقيقة لا يشبه الحقائق، والحديث صححه ابن حبان والحافظ أبو الحسن بن القطان في كتاب النظر[3]. ولا يتجرأ الوهابية أن يفسروا الوجه هنا بالذات. وأما اليد فلها في لغة العرب معانٍ منها ما هو أجرامٌ وأجسام ومنها ما هو غيرُ الأجرام، فاليد تأتي بمعنى الجارحة التي هي مركبة في الإنسان وفي البهائم، وتأتي بمعنى غير الجِرم كالقوة، وتأتي بمعنى العهد. وأما العين فتطلق في لغة العرب على الجرم كعين الإنسان والحيوانات، وتطلق على الذهَب، وتطلق على الجاسوس، وتطلق على الماء النّابع، وتطلق بمعنى الحفظ. وبهذا بان الفرق بين الجلوس وبين الوجه واليد والعين.

فلما كانت هذه الألفاظ الثلاثة واردة في القرءان مضافة إلى الله كان لها معانٍ غير الجسم وصفات الجسم؛ فأراد أبو حنيفة وغيره من الذين أطلقوا هذه العبارة «لله وجه لا كوجوهنا ويدٌ لا كأيدينا وعين لا كأعيننا» معاني هذه الألفاظ الثلاثة التي هي غير الجسم ولا هي صفة جسم مما يليق بالله كالقوة والملك والذات والحِفظ كما قال المُفسرون في تفسير قولِ الله تعالى: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾[4] قالوا: على حفظي.

ولهم -أي الوهابية - تمويه ءاخر وهو قولهم: «نثبت لله ما أثبت لنفسه

---

(١) أي يهتم بها ليفتن بها.

(٢) قال أبو بكر بن فورك المراد بالحديث أحد وجهين: أحدهما أن يكون معناه أقرب ما تكون في طاعة ربها الذي الوجه صفة من صفاته.
والثاني أن يكون المعنى وأقرب ما تكون من وجه ربها أي من قصدها وجه ربها وطلبها للإخلاص في طاعته ويكون الوجه بمعنى الاتجاه والتوجيه نحو الشيء والقصد له. مشكل الحديث (ص/ ١٨٥).

(٣) النظر في أحكام النظر (ص/ ١٣٨).

(٤) سورة طه/ ءاية ٣٩.

ونفي عنه ما نفى عن نفسه»، يقال لهم: أنتم على عكس الحقيقة تثبتون لله الجسمية وصفاتها والحركة والسكون والتحيز في جهة واحدة أو مكان واحد وهذا شيء نفاه الله عن نفسه بقوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1] تدّعون أن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[2] أنه جلوس على العرش والجلوس صفةٌ للإنسان والجن والملائكة والبقر وسائر البهائم والكلاب والقرود والحشرات وهذا تنقيص لله تعالى[3]، أما الذي تنفونه وهو تفسير الاستواء بالقهر فهو شيء أثبته الله لنفسه بقوله ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾[4]. لذلك جرت عادة المسلمين أن يسمّوا أولادهم عبد القاهر ولم يسمّ أحدٌ من المسلمين عبد الجالس. ويقال لهم: أثبت الله لنفسه الاستواء الذي يليق به وهو القهر وبمعناه الاستيلاء وقد قال شارح القاموس وأبو القاسم الأصبهاني اللغوي المشهور في مفردات القرءان إن الاستواء إذا عُدِّيَ بعَلى كانَ معناه الاستيلاء[5]، ولا معنى لقول ابن الأعرابي ان الاستيلاء لا يكون إلا عن سبق مغالبة، فإنكم تركتم الاستواء اللائق لله تعالى وعمدتم إلى الاستواء الذي هو لا يليق به وهو الجلوس.

وأشد شبهة لهم قولهم إنه يلزم من نفي التحيّز في المكان عن الله تعالى كالتحيز في جهة فوق نفي لوجوده تعالى، يقال لهم: ليس من شرط الوجود التحيز في المكان لأن الله تبارك وتعالى كان قبل المكان والزمان والجهات والأجرام الكثيفة واللطيفة، وقد قال رسول الله ﷺ: **«كان الله ولم يكن شيء غيره»** فأفهمنا أن الله تعالى كان قبل المكان والزمان والنور والظلام والجهات، فإذا صح وجوده قبل

---

(١) سورة الشورى/ ءاية ١١.

(٢) سورة طه/ ءاية ٥.

(٣) قال أبو بكر بن فورك: استواؤه على العرش سبحانه ليس على معنى التمكن والاستقرار بل هو على معنى العلو بالقهر والتدبير وارتفاع الدرجة بالصفة على الوجه الذي يقتضي مباينة الخلق مشكل الحديث (ص/ ١٩٣).

(٤) سورة الرعد/ ءاية ١٦.

(٥) بصائر ذوي التمييز (٢/ ١٠٧)، مفردات القرءان (ص/ ٢٥١).

هؤلاء وقبل كل مخلوق صحّ وجودُه بلا تحيّز في جهة ومكان بعد وجود الخلق. وهذا الحديث الذي رواه البخاري وغيره تفسيرٌ لقول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾[1] فقد وصف ربنا نفسه بالأوّلية المطلقة فلا أول على الإطلاق إلا الله، أما أوّلية بعض المخلوقات بالنسبة لبعض فهي أوّلية نسبيّة. وأنتم أيها المجسمة لما حصرتم الموجود فيما يتصوره الوهم وهو ما يكون متحيزًا في جهة ومكان، فهذا قياس منكم للخالق بالمخلوق، لأن المخلوق لما كان لا يخرج عن كونه جِرمًا كثيفًا أو لطيفًا أو صفة تابعة للجرم كالحركة والسكون قطعتم بعدم صحة وجود ما ليس كذلك، فبهذا التقرير بطلت شبهَتهم وتمويههم.

واعلموا أن أصل مصيبتكم هو أنكم جعلتم الله جِرمًا فقلتم: لا يصح وجود الله بلا تحيّز في جهة ولم تقبل نفوسكم وجود ما ليس بمتحيّز وهو الله تعالى الذي نفى عن نفسه المِثل بقوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[2] وخرجتم عما توارد عليه السلف والخلف وهو قولهم: «مهما تصورت ببالك فالله بخلاف ذلك» قال هذه العبارة الإمام أحمد بن حنبل والإمام الزاهد الناسك ذو النون المصري وهما كانا متعاصرين، وبمعناه عبارة الشافعي المشهورة: «من انتهض لمعرفة مُدبّره فانتهى إلى مَوجود ينتهي إليه فِكرُه فهو مشبّه»، وأنتم يا معشر المشبهة معتقدكم أنّ الله جِرم حتى قال بعضكم إنه جرم بقدر العرش من الجوانب الأربعة، وقال بعضكم إنه يزيد على العرش، وقال بعضكم هو على بعض العرش، وقال بعضكم إنه بصورة إنسان طوله سبعة أشبار بشبر نفسه، وزعيمكم ابن تيمية مرة قال إنه بقدر العرش لا يَفضل منه شيء بل يزيد، ومرة قال إنه جالس على الكرسي وقد أخلى موضعًا لمحمد ليُقعدَه فيه، والأول من هذين القولين في كتابه «المنهاج»[3] والثاني في الفتاوى[4] وكتابه المسمى كتاب العرش الذي اطلع عليه الإمام المفسر

---

(١) سورة الحديد/ ءاية ٣.

(٢) سورة الشورى/ ءاية ١١.

(٣) المنهاج (١/ ٢٦٠ - ٢٦١).

(٤) الفتاوى (٤/ ٣٧٤).

النَّحْويّ اللغوي أبو حيّان الأندلُسي[1]، وقال الحافظ أبو سعيد العلائي شيخ مشايخ الحافظ ابن حجر العسقلاني إن ابن تيمية قال إنه بقدر العرش لا أصغر ولا أكبر[2]. وقول الوهابية إن الفطرة في كل إنسان تقضي بأن الله متحيز بجهة فوق أي العرش منقوض بشواهد الوجود لأن من الناس من يعتقدون أن هذه السماء الدنيا التي لونها الخضرة الخفيفة هي الله، ومن الناس من يعتقد أن الله كتلة نورانية حتى إنه ظهر من بعض الناس المنتسبين للإسلام أن الله في مكة والمدينة، وبعض المشبهة قالوا بأنه في إحدى السّموات السبع، ومنهم من بلغت به الوقاحة وهو أحد مشبهة الحنابلة ألف كتابًا رتّبه هكذا: باب اليدين باب العين ثم باب كذا ثم باب كذا إلى أن قال باب الفرج لم يرد فيه شيء،فيقال للوهابية: يا معشر المشبهة أيّ هؤلاء على الفطرة التي تزعمون أن الإنسان إذا خُلّي وطبعه يجزم أن الله متحيّز في السماء، وما هي الفطرة التي خلق الله عليها البشر التي هي الصواب والحق؟ إنما الفطرة هي ما وافق العقل والدليل العقلي ووافق التنزيه عن الجِسميّة وصفاتِها وعوارضها، وهذا ما فهمه جمهور علماء الطوائف المنتسبة إلى الإسلام.

وأما العلو الوارد وصف الله تعالى به فنذكر ما قاله الإمام أبو منصور البغدادي في «تفسير الأسماء والصفات»[3] ونصه: «والوجه الثالث أن يكون العلو بمعنى الغلبة، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾[4] أي الغالبون لأعدائكم، يقال منه: علوت قرني أي غلبته، ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[5] أي غلب وتكبر وطغى، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَأَن لَّا تَعۡلُواْ

(١) النهر الماد: تفسير ءاية الكرسي.
(٢) ذخائر القصر (ص/ ٣٢ - ٣٣).
(٣) تفسير الأسماء والصفات (ق/ ١٥١).
(٤) سورة ءال عمران/ ءاية ١٣٩.
(٥) سورة القصص/ ءاية ٤.

عَلَى ٱللَّهِ ﴾[1] أي لا تتكبّروا، وكذلك قوله: ﴿ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾[2] أي لا تتكبّروا. فإذا كان مأخوذًا من العلو فمعنى وصف الله عز وجل بأنه عليٌّ أنه ليس فوقه أحد، وليس معناه أنه في مكان دون مكان، وإن كان مأخوذًا من ارتفاع الشأن فهو سبحانه أرفع شأنا من أن نشبّه به شيئًا» اهـ.

## فائدة مهمة

للمشبهة شُبهة شديدة فرّعوها على نفي موجودٍ غير متحيز في جهة وهي قولُهم: إن القول بأن الله تعالى موجود لا هو داخلَ العالم ولا هو خارجَه نفيٌ لوجود الله، وهذه الشبهة يبطلها أن الله تعالى ليس بجرم صغير ولا كبير، فَيَصِحُّ وجوده من غير أن يكون داخل العالم ولا خارجه، وقد قرّر ذلك جهابذة العلماء من مشاهير علماء المذاهب الأربعة، بل هذا هو معتقد الأشاعرة والماتريدية وهم مطبقون على ذلك، وقد دلّ قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ على التنزيه وأن الله لا يشبه شيئًا من خلقه بوجه من الوجوه ومن جميع الوجوه التي هي من معاني الخلق كالاتصاف بالحدوث والحركة والسكون والاجتماع والافتراق، والاتصاف بالمكان والاتصال بالعالم والانفصال عنه لأن كل هذه الصفات من معاني الخلق، فلا يصح أن يتصف الله بها، وقد صرّح الحافظ ابن الجوزي الحنبلي[3] بأن الله لا يجوز عليه الاتصال بالعالم والانفصال عنه ونص عبارته بعد كلام: «فإن قيل نفي الجهات يحيل وجوده، قلنا: إن كان الموجود يقبل الاتصال والانفصال فقد صدقت، فأما إذا لم يقبلهما فليس خلوه من طرفي النقيض بمحال. فإن قيل: أنتم تلزموننا بأن نقرّ بما لا يدخل تحت الفهم، قلنا: إن أردت بالفهم التخيل والتصوّر فإن الخالق لا يدخل تحت ذلك إذ ليس بمحس ولا يدخل تحت ذلك إلا جسم

---

(١) سورة الدخان/ ءاية ١٩.

(٢) سورة النمل/ ءاية ٣١.

(٣) الباز الأشهب (ص/ ٥٩).

له لون وقدر، فإن الخيال قد أنس بالمبصرات فهو لا يتوهم شيئًا إلا على وفق ما رءاه، لأن الوهم من نتائج الحسّ، وإن أردت أنه لا يعلم بالعقل فقد دللنا أنه ثابت بالعقل لأن العقل مضطر إلى التصديق بموجب الدليل، واعلم أنك لما لم تجد إلا جسمًا أو عرضًا وعلمت تنزيه الخالق عن ذلك بدليل العقل الذي صرفك عن ذلك فينبغي أن يصرفك عن كونه متحيزًا أو متحركًا أو متنقلًا» اهـ.

وقال ابن حجر الهيتمي(١) بعد كلام ما نصه: «ومن ثم قال الغزالي معناه أن مصحح الاتصال والانفصال الجسمية والتحيّز وهو محال - على الباريء - فانفك عن الضدين، كما أن الجماد لا هو عالم ولا جاهل، لأن مصحح العلم هو الحياة فإذا انتفت الحياة انتفى الضدّان» اهـ.

قال النووي في روضة الطالبين(٢) نقلاً عن المتولي: «أو أثبت ما هو منفي عنه -أي الله- بالإجماع كالألوان أو أثبت له الاتصال والانفصال كان كافرًا» اهـ. والمتولي من أصحاب الوجوه من الشافعية.

وقال صاحب كتاب الدُّر الثمين والمورد المعين العلامة الحبر الشيخ محمد بن أحمد ميارة المالكي(٣) ما نصه:

«سُئل الإمام العالم أبو عبد الله سيدي محمد بن جلال هل يقال المولى تبارك وتعالى لا داخل العالم ولا خارج العالم؟ فأجاب السائل: هكذا نسمعه من بعض شيوخنا، واعترضه بعضهم بأن هذا رفع للنقيضين، وقال بعض فقهائنا في هذه المسألة هو الكل أي الذي قام به كل شىء، وزعم أنه للإمام الغزالي، وأجاب بعضهم بأن هذا السؤال معضل ولا يجوز السؤال عنه، وزعم أن ابن مقلاش هكذا أجاب عنه في شرحه على الرسالة، وأجاب بأنا نقول ذلك ونجزم به ونعتقد أنه لا داخل العالم ولا خارج العالم، العجز عن الإدراك إدراك لقيام

---

(١) الإعلام بقواطع الإسلام بهامش الزواجر (٢/ ٤٣ - ٤٤).
(٢) روضة الطالبين (١٠/ ٦٤).
(٣) الدر الثمين (ص/ ٢٤ - ٢٥).

الدلائل الواضحة على ذلك عقلًا ونقلًا، أما النقل فالكتاب والسنّة والإجماع، وأما الكتاب فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ فلو كان في العالم أو خارجًا عنه لكان مماثلًا وبيان الملازمة واضح، أما في الأول فلأنه إن كان فيه صار من جنسه فيجب له ما وجب له، وأما في الثاني فلأنه إن كان خارجًا لزم إما اتصاله وإما انفصاله، وانفصاله إما بمسافة متناهية أو غير متناهية، وذلك كله يؤدي لافتقاره إلى مخصص.

وأما السنّة فقوله ﷺ: «كان الله ولا شيء معه».

وأما الإجماع فأجمع أهل الحق قاطبة على أن الله تعالى لا جهة له فلا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا أمام ولا خلف.

وأما العقل فقد اتضح لك اتضاحًا كليًّا مما مر في بيان الملازمة في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾، والاعتراض بأنه رفع للنقيضين ساقط لأن التناقض إنما يعتبر حيث يتصف المحل بأحد النقيضين ويتواردان عليه، وأما حيث لا يصح تواردهما على المحل ولا يمكن الاتصاف بأحدهما فلا تناقض، كما يقال مثلًا «الحائط لا أعمى ولا بصير» فلا تناقض لصدق النقيضين فيه لعدم قبوله لهما على البدلية، وكما يقال في البارئ أيضًا لا فوق ولا تحت وقس على ذلك، وقول من قال إنه الكل زاعمًا أنه للغزالي فقضية تنحو منحى الفلسفة أخذ بها بعض المتصوفة، وذلك بعيد من اللفظ، وما أجاب به بعضهم بأنه معضل لا يجوز السؤال عنه ليس كما زعم لوضوح الدليل على ذلك، وإن صح ذلك عن ابن مقلاش فلا يلتفت إليه في هذا لعدم إتقانه طريق المتكلمين إذ كثير من الفقهاء ليس له خبرة به فضلًا عن إتقانه» اهـ.

وذكر ذلك أيضًا من الحنفية -أي أنه تعالى ليس داخل العالم ولا خارجه- شيخ المتكلمين على لسان أهل السنة أبو المعين النسفي[1]، والإمام القونوي،

---

(١) تبصرة الأدلة (١/ ١٧٦ - ١٧٧).

والعلامة البياضي[1] وغيرهم من مشاهيرهم.

أقول: إذا تبين هذا فلا يهولنَّكَ شبهة المجسمة ليصرفوك عن التنزيه إلى التشبيه بقولهم: لا يفهم وجوده تعالى بلا مكان ولا كمية ولا اتصال وانفصال عن العالم. فيقال لهم: من المخلوق ما يجب الإيمان بوجوده ولا يفهم بالتصور مع أن العقل يثبته وهو الوقت الذي لم يكن فيه النور والظلام فإنهما حادثان أوجدهما الله بعد أن لم يكونا موجودين قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾[2] فيجب علينا اعتقاد أنهما لم يكونا في بعض ما مضى من الزمن لم يكن هذا ولا هذا، فلا يتصور عقل الإنسان وجود وقت لم يكن فيه نور ولا ظلام، فإذا صحّ هذا فكيف لا يصح وجود الله بلا كمية أي حدّ ولا مكان ولا جهة من الجهات ولا اتصال بالعالم ولا انفصال عنه بل الإيمان بصحة هذا أولى لأن ذاك في المخلوق وهذا في الخالق الذي قال عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾.

## فائدة أخرى في إثبات إطلاق الوجه مضافًا إلى الله على غير معنى الجسم

روى الترمذي[3] في سننه عن عبد الله عن النبي قال: «**المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان**»، ورواه البزّار بزيادة: «**وأقرب ما تكون من وجه ربها وهي في قعر بيتها**»[4]، قال الحافظ أبو الحسن بن القطان في كتاب النظر[5]: «وهو صحيح».

فإن الوجه هنا متعين لمعنى الطاعة وفي هذا إثبات جهل المشبهة الذين يحملون الوجه الوارد مضافًا إلى الله على الجزء المعروف من ابن ءادم وغيره، وفي هذا تأييد

---

(١) إشارات المرام (ص/ ١٩٧ - ١٩٨).

(٢) سورة الأنعام/ ءاية ١.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الرضاع: باب (١٨).

(٤) معناه مطلوب من المرأة أن تلازم البيت.

(٥) النظر في أحكام النظر (ص/ ١٣٨).

لترجيح تفسير الوجه الوارد في قول الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[1] بما يتقرب به إلى الله وهي الطاعات، وروى الحديث أيضًا ابن حبان[2] بلفظين، فما الذي دعا الوهابية لفهم الوجه بمعنى الجسم مع تركهم للمعنى الذي ورد في السنة للوجه المضاف إلى الله تعالى بالطاعة، فبهذا يكونون مثل بيان بن سمعان التميمي الذي قال في قول الله تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ إن العالم يفنى كله لأنه شيء والله شيء فيفنى لكن يستثنى وجهه، فالوهابية وهؤلاء من أصل واحد وهو التجسيم، ومصيبتهم الكبرى أنهم لا يفهمون موجودًا غير جسم فلذلك يستفرغون جهدهم في جعل الله جسمًا متصفًا بصفات الجسم، فكيف يدعي هؤلاء أنهم عرفوا قول الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وءامنوا به، فلو عرفوا ذلك وءامنوا به لما جعلوه جسمًا لأن العالم أعيان وصفات قائمة به كالحركة والسكون.

## فائدة مهمة في تنزيه الله تعالى عن المكان والحد

وقال الإمام أبو القاسم الأنصاري النيسابوري شارح كتاب الإرشاد لإمام الحرمين[3] بعد كلام في الاستدلال على نفي التحيز في الجهة عن الله تعالى ما نصه: «ثم نقول سبيل التوصل إلى درك المعلومات الأدلة دون الأوهام، ورُب أمر يتوصل العقل إلى ثبوته مع تقاعد الوهم عنه، وكيف يدرك العقل موجودًا يحاذي العرش مع استحالة أن يكون مثل العرش في القدر أو دونه أو أكبر منه، وهذا حكم كل مختص بجهة. ثم نقول الجوهر الفرد[4] لا يتصور في الوهم وهو معقول بالدليل، وكذلك الوقت الواحد والأزل والأبد، وكذلك الروح عند من يقول إنه جسم، ومن أراد تصوير الأرض والسماء مثلًا في نفسه فلا يتصور له إلا

(١) سورة القصص/ ءاية ٨٨.
(٢) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٧/ ٤٤٦).
(٣) شرح الإرشاد (ق/ ٥٨ - ٥٩)، مخطوط.
(٤) الجوهر الفرد هو الجزء الذي لا يتجزأ لتناهيه في القلة وسمي جوهرًا لأن الجسم يتركب من جوهرين فردين فأكثر.

بعضها، وكذلك تصوير ما لا نهاية له من معلومات الله تعالى ومقدوراته، فإذا زالت الأوهام عن كثير من الموجودات فكيف يُطْلَبُ بها القديم سبحانه الذي لا تشبهه المخلوقات فهو سبحانه لا يتصور في الوهم فإنه لا يتصور إلا صورة ولا يُتَقَدَّرُ إلا مُقَدَّرٌ، قال الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ ومن لا مثل له لا يتمثل في الوهم، فمن عرفه عرفه بنعت جلاله بأدلة العقول وهي الأفعال الدالة عليه وعلى صفاته، وقد قيل في قوله تعالى ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾: إليه انتهى فكر من تفكَّر هذا قول أبي بن كعب وعبد الرحمٰن بن أنْعُم، وروى أُبيّ بن كعب عن النبي ﷺ: «**لا فِكْرَةَ في الرب**» وروى أنس أن النبي ﷺ قال: «**إذا ذكر الله تعالى فانتهوا**»، وقال: «**تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق**». فإن قيل كيف يعقل موجود قائم بالنفس ليس بداخل العالم ولا خارج منه.

**قلنا:** عرفتم استحالة ذلك ضرورة أم دلالة، وقد أوضحنا معنى مباينته بالنفس، وهكذا الجواب عن قولهم خلق الله العالم في نفسه أم مباينًا عنه. قلنا -أي على زعمكم-: خلقه على مقدار نفسه أو أكبر منه أو أصغر أو فوق نفسه أو تحته.

ثم نقول: حروف الظروف إنما تستعمل في الأجرام المحدودة[1] وكذلك الدخول والخروج من هذا القبيل وكذلك المماسة والمباينة، وقد أجبنا عن المباينة.

**فإن قالوا:** كيف يرى بالأبصار من لا يتحيز ولا يقوم بالمتحيز.

**قلنا:** الرؤية عندنا لا تقتضي جهة ولا مقابلة وإنما تقتضي تعيين المرئي، وبهذا يتميز عن العلم فإن العلم يتعلق بالمعدوم وبالمعلوم على الجملة تقديرًا، وكذلك لا يقتضي اتصال شعاع بالمرئي فهي كالعلم أو في معناه.

**فإن قيل:** ألستم تقولون الإدراك يقتضي نفس المدرَك.

**قلنا:** لا يقتضي تعينه ولا تحديده.

---

(١) أي على وجه الحقيقة، إن استُعملت على وجه المجاز فإنها تُستعمل على المجاز كقوله تعالى ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [سورة إبراهيم]، أو يكون مراد المؤلف ان حروف الظروف لا تستعمل على معنى الظرفية في حق الله تعالى إنما تستعمل على هذا المعنى في حق الأجرام.

**فإن قالوا:** كيف يُدرك وجود الإلـٰه سبحانه.

**قلنا:** لا كيفية للأزلي ولا حيث لهُ وكذلك لا كيفية لصفاته، ولا سبيل لنا اليوم إلى الإخبار عن كيفية إدراكه ولا إلى العلم بكيفية إدراكه وكما أن الأكمه الذي لا يبصر الألوان إذا سئل عن الميْز بين السواد والبياض والإخبار عن كيفيتهما فلا جواب له، كذلك نعلم ان من لا جهة له لا يشار إليه بالجهة. فإن قالوا: من أبصر شيئًا يمكنه التمييز بين رؤيته لنفسه وبين رؤيته ما يراه، فإذا رأيتم الإلـٰه سبحانه كيف تميزون بين المرئيين، قلنا: من لا جهة له لا يشار إليه بالجهة ومن لا مثل له لا إيضاح له بالمثال، ومن لا أشْكَالَ له فلا أشْكَال فيه.

ثم نقول لهم: أنتم إذا رأيتم الإلـٰه كيف تميّزون بينه وبين العرش وهو دونه سبحانه بالرؤية، أتميّزون بينهما بالشكل والصورة أم باللون والهيئة، ومن أصلكم أن المرئي شرطُه أن يكون في مقابلة الرائي، وكيف يَرى القديم سبحانه نفسَه، وكيف يَرى الكائنات مع استتار بعضها ببعض فلا يَرى على هذا الأصل بطون الأشياء، وهذا خلاف ما عليه المسلمون، وإذا كان العرش دونه فلا يَحجبه عنّا حالة الرؤية، قال الأستاذ أبو إسحق: من رأى الله تعالى فلا يَرى معه غيرَه -أي في حال رؤيته للحق- فاندفع السؤال على هذا الجواب» اهـ.

١٨- قال المجسم ابن أبي العز: «**قَوْلُهُ: (وَتَعَالَى عَنِ الْحُدُودِ وَالْغَايَاتِ، وَالْأَرْكَانِ وَالْأَعْضَاءِ وَالْأَدَوَاتِ، لَا تَحْوِيهِ الْجِهَاتُ السِّتُّ كَسَائِرِ الْمُبْتَدَعَاتِ)... وَلَمْ يَرِدْ نَصٌّ مِنَ الْكِتَابِ وَلَا مِنَ السُّنَّةِ بِنَفْيِهَا وَلَا إِثْبَاتِهَا**» ومثله قال المجسم خالد المصلح[١]، والمجسم صالح آل الشيخ[٢]، والمجسم صالح الفوزان[٣]، والمجسم

---

(١) انظر الكتاب (٩/ ٢).

(٢) انظر الكتاب (١/ ١٧١-١٧٢-١٧٣-١٧٤).

(٣) انظر الكتاب (ص/ ٨١).

**عبد العزيز الراجحي[1]، والمجسم سفر الحوالي[2]، والمجسم الألباني[3]، والمجسم ابن باز[4]، والمجسم عبد الرحمـٰن البراك[5] الذي قال معترضًا على الطحاوي: «وقوله: (والأركان والأعضاء والأدوات) لا حول ولا قوة إلا بالله! عفا الله عن المؤلف وغفر الله لنا وله! ماذا يريد بالأركان والأعضاء والأدوات؟! لقد كان في غنى عن هذا الكلام، أين الآية أو الحديث الذي فيه هذا الألفاظ؟ ونرجو أن المؤلف لم يرد هذا» اهـ.**

**الرد:** وهذا تمويه من ابن أبي العز المجسم لا يمر على عاقل وكذب على الله وعلى دينه فكيف يقول لم يرد نصٌّ من الكتاب ولا من السنة على نفي الحدود والغايات والأركان والأعضاء عن الله أليس في قول الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ نصٌّ صريح في نفي كل هذه الأعضاء والجوارح عن الله تعالى أم لا يعتبر أن هذه الآية من القرءان؟! أليس في قوله لم يرد نصٌّ لا من الكتاب ولا من السنة يظهر عما في قلبه من تكذيب لهذه الآية وقد قال أحد مجسمة عصرنا ليت هذه الآية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ لم تكن في القرءان فهم لا يعجبهم القرءان بل يغتاظون من هذه الآية الكريمة ثم أين ابن أبي العز المجسم من سورة الإخلاص التي فيها هذه اللآية: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾؟...

ولزيادة الفائدة وبيان معنى عبارات الطحاوي رحمه الله ننقل ما قاله شارح الطحاوية الإمام الحجة الحافظ الهرري في شرحه على الطحاوية: «**قال رحمه الله: وَتَعَالَى عَنِ الْحُدُودِ وَالْغَايَاتِ وَالأَرْكَانِ وَالأَعْضَاءِ وَالأَدَوَاتِ.**

**الشرح:** الحد معناه نهاية الشيء، والأجرام كلها لها حد، فالعرش ليس هو جرمًا ممتدًا إلى غير انتهاء، وكذلك الكرسي والجنة والنار والسموات والأرضون

---

(١) انظر الكتاب (ص/ ١٤٥-١٤٦-١٤٧).

(٢) انظر الكتاب (ص/ ٣٤٨، ٤٠٣، ٤٠٩).

(٣) (ص/ ٤٥).

(٤) المصدر السابق، (ص/ ٨-٩).

(٥) المصدر السابق، (ص/ ١٤١، ١٤٤).

كلٌّ له مساحة، لكن نحن البشر لا نعلم مساحة العرش كم هي ولا الكرسي، ولا السموات السبع، ولا الجنة ولا جهنم، وليس معنى نفي الحد عن الله أنه ممتد إلى غير نهاية، فليحذر هذا التوهم.

وقوله: «**والغايات**» جمع غاية، والغاية ما ينتهي إليه الشيء.

وقوله: «**والأَركان**» معناه الجوانب، فالله تعالى منزه أن يكون له جوانب، لأن ذا الأركان محدود لا محالة.

وقوله: «**والأعضاء**» معناه أنه منزه أن يكون له عضو كما أن للإِنسان وغيره من ذوي الأرواح أعضاء.

وقوله: «**والأدوات**» جمع أداة، والأدوات هي الأجزاء الصغيرة كاللسان والأضراس، وفسر بعضهم الأدوات بالآلات التي يستعين بها الإِنسان في تحقيق أفعاله كآلاتِ البنّاء، وءالات النجار، وذلك لما عُلِمَ من كلام أهل الحق أن الله فاعل بلا علاج. ومعنى قولهم: بلا علاج، أي لا يحتاج إلى مزاولة بالحركات والسكنات والآلات، بل يخلق ما يشاء بدون ذلك، فما أراد في الأزل أن يدخل في الوجود يوجِدُه ويكوّنه بقدرته الأزلية.

**قال رحمه الله: لا تحويه الجهاتُ الستُّ كسائرِ المبتدعاتِ.**

**الشرح**: أنه لا تحوي الله تعالى الجهات الست كما تحوي جميع المخلوقات، إذ المخلوقات لا تخلو عن التحيز في إحدى الجهات الست، لأن الحادث لا بدّ أن يكون بمكان.

وقال أهل الحق: إن الله ليس بمتمكن في مكان أي لا يجوز عليه المماسة للمكان والاستقرار عليه، وليس معنى المكان ما يتصل جسم به على أن يكون الجسمان محسوسَيْن فقط، بل الفراغ الذي إذا حل فيه الجرم شغل غيره عن ذلك الفراغ مكان له، كالشمس مكانها الفراغ الذي تسبح فيه، وعند المشبهة والكرامية والمجسمة الله متمكن على العرش وتعلقوا بظاهر قوله تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ

ٱسْتَوَىٰ ﴾[1] فقالوا: الاستواء الاستقرار، وقال بعضهم: الجلوس، وهؤلاء المشبهة قسم منهم يعتقدون أن الله مستقر على العرش، ويكتفون بهذا التعبير من غير أن يفسروا هل هذا استقرار اتصال أم استقرار محاذاة من غير مماسة، وقسم منهم صرحوا بالجلوس، والجلوس في لغة العرب معناه تَمَاسُّ جسمين أحدهما له نصف أعلى ونصف أسفل، فمن قال: إنه مستو على العرش استواء اتصال أي جلوس أو قال: استواؤه مجرد مماسة من غير صفة الجلوس فهو ضال، والذين قالوا إنه مستوٍ على العرش من دون مماسة أي إنما يحاذيه من فوق أي كما تحاذي أرضنا السماء فهؤلاء أيضًا ضالون، فلا يجوز أن يكون قوله تعالى ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[2] على إحدى هذه الصفات الثلاث، والتفسير الصحيح تفسير من قال ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ قهر، لأن القهر صفة كمال لله تعالى، هو وصف نفسه به قال تعالى ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾[3]، فيصح تأويل الاستواء بالاستيلاء وإن كانت المعتزلة وافقت أهل السنة في ذلك. وأقبح هذه الاعتقادات الفاسدة اعتقاد أن الله تعالى جالس على العرش أو واقف عليه، لأن فيه جعل الله تعالى محمولًا للعرش والعرش محمول للملائكة، فالملائكة على هذا الاعتقاد قد حملوا الله تعالى، فكيف يليق بالإلـه الذي أوجد العالم بأسره أن يحمله شيء من خلقه، فعلى قول هؤلاء يلزم أن يكون الله محمولَ حامل ومحفوظَ حافظ، وهذا ما لا يقوله عاقل.

ثم إن من دلائل أهل الحق: أن التعري عن المكان ثابت في الأزل لعدم قدم المكان إذ هو غير المتمكن[4]، ولو تمكن بعد خلق المكان لتغير عما كان عليه، والتغير من أمارات الحدث وذلك يستحيل على القديم، ولو كان تعالى هو والمكان

---

(١) سورة طه/ ءاية ٥.

(٢) سورة طه/ ءاية ٥.

(٣) سورة الرعد/ ءاية ١٦.

(٤) المشبهة موافقون لنا على عدم قدم المكان، إلا أن ابن تيمية منهم يقول بقدم جنس المخلوق أي لم يزل مع الله مخلوق، وقد نقل عنه جلال الدين الدواني أنه قال بالقدم الجنسي للعرش.

موجودين في الأزل لم يكن الله خالقًا للمكان ولا خالقًا لشىء من الأشياء، ثم لو كان كما يَعتقدون لم يستطع الله أن يحفظ هذا العالم ولم يستطع أن يحفظ هذه الأرض التي هي مستقرة على غير أعمدة.

والاستواء قد يراد به أيضًا العلو، والعلو على وجهين: علو مكان وعلو معنى أي علو قدر،والذي يليق بالله هو علو القدر لا علو المكان، لأنه لا شأن في علوّ المكان إنما الشأن في علو القدر، ألا ترون أن حملة العرش والحافين حوله هم أعلى مكانًا من سائر عباده وليسوا أفضل خلق الله، بل الأنبياء الذين مكانهم تحت أفضل منهم، ولو كان علو المكان يستلزم علو القدر لكان الكتاب الذي وضعه الله فوق العرش وكتب فيه: «**إن رحمتي سبقت غضبي**»[1] مساويًا لله في الدرجة على قول أولئك، ولكان اللوح المحفوظ على قول بعض العلماء إنه فوق العرش ليس دونه مساويًا لله في الدرجة بحسب ما يقتضيه زعمهم، فعلى هذا المعنى يحمل تفسير مجاهد لقول الله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[2] بعلا على العرش كما رواه البخاري[3].

قال الشيخ أبو الفضائل منكوبرس في «شرح الطحاوية» ما نصه[4]: «وأما قولهم لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات» فإنما قالوا ذلك بالنصوص المحكمة والبراهين القاطعة أما النصوص فنحو قوله تعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٌ﴾[5] نفى عن نفسه مشابهة العالم إياه، ففي التحيز بجهةٍ من الجهات مشابهة الأجسام والجواهر، وفي التمكن في مكانٍ مماثلة للجواهر المتمكنة في الأمكنة، ففي وصفه بالجهات قول بالانحصار فيها، وفي القول بالتمكن في المكان

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى: (بل هو قرءان مجيد في لوح محفوظ)

(٢) سورة طه/ ءاية ٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد: باب وكان عرشه على الماء.

(٤) شرح الطحاوية (ق/ ٧٠)، مخطوط.

(٥) سورة الشورى/ ءاية ١١.

إثبات الحاجة إلى المكان، وفي كل ذلك إيجاب حدوثه وإزالة قدمه، وذلك كله محال في حق القديم، ومن تلك النصوص قوله تعالى ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[1] والكفو المساوي والمماثل فنفى عن نفسه المماثلة والمساواة، ومنها قوله تعالى ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[2]، وقوله ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[3] فوجب تنزيهه عن صفات الخلق ومنها قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ﴾[4] فوجب إثبات تعاليه عن كل ما يفتقر إليه الخلق من الاتصاف بالمكان والجهة، ومنها قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[5]، فأثبت لنفسه الاستغناء عن جميع العالمين والجهات والأمكنة من أجزاء العالم فوجب إثبات تعاليه واستغنائه عن العالمين وعن كل وصف من صفات المحدثين، ومن البراهين القاطعة أن الجهات الست محدثة وهي أوصاف للعالم المحدث والله تعالى قديم لم يزل كان ولا مكان ولا حين ولا زمان ولا فوق ولا تحت ولا قدّام ولا يَمين ولا شمال فلما أحدث العالم وأخرجه من العدم إلى الوجود صار العالَم محصورًا بجهات ست فما قطعه من أعلى صار فوقًا وما قطعه من أسفلٍ صار تحتًا وما تقدمه صار أمامًا وما تأخر عنه صار خلفًا وما تيامن عنه صار يمينًا وما تياسر عنه صار شمالا فصار العالم محصورًا بالجهات، وصانع العالم قديم لم يزل دائم لايزال وهو بكل شيء محيط لا كإحاطة الحُقَّةِ باللؤلؤة بل بالعلم والقدرة والقهر والسلطان، لا يَعزُب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وكل شيء تحت حكمه وقهره وسلطانه» انتهى.

**١٩- وقال المجسم ابن أبي العز[6]: «إِنَّ السَّلَفَ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ الْبَشَرَ لاَ**

---

(١) سورة الإخلاص/ ءاية ٤.

(٢) سورة الصافات/ ءاية ١٥٩.

(٣) سورة الطور/ ءاية ٤٣.

(٤) سورة محمد/ ءاية ٣٨.

(٥) سورة العنكبوت/ ءاية ٦.

(٦) المصدر السابق، (ص/ ٢١٢-٢١٣).

**يَعْلَمُونَ لله حَدًّا، وَأَنَّهُمْ لَا يَجُدُّونَ شَيْئًا مِنْ صِفَاتِهِ. فَعُلِمَ أَنَّ مُرَادَهُ أَنَّ الله يَتَعَالَى عَنْ أَنْ يُحِيطَ أحدٌ بِحَدِّهِ». وقال: «سُئِلَ عَبْدُ الله بْنُ المُبَارَكِ: بِمَ نَعْرِفُ رَبَّنَا؟ قَالَ: بِأَنَّهُ عَلَى الْعَرْشِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، قِيلَ: بِحَدٍّ؟ قَالَ: بِحَدٍّ».**

**الرد:** قوله هذا كذب على السلف باتفاق السلف والخلف ألا يستحي من نقل كلام الطحاوي الذي أجمعت على تلقيه الأمة بالقبول وهو قوله «تعالى يعني الله عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات» فالطحاوي ومن سبقه كأبي حنيفة وأصحابه من السلف أم ماذا؟! إذًا فهم متفقون ومجمعون على نفي الحد عن الله تعالى ويكفي في نفي الحد عن الله تعالى ما نقله الإمام الفقيه الأصولي عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي التميمي عن علماء أهل السنة والجماعة في بيان عقيدتهم نصرهم الله المتوفى سنة ٤٢٩هـ في كتابه «الفرق بين الفرق» ما نصه[١]: «وقالوا بنفي النهاية والحد عن صانع العالم... وأجمعوا على إحالة وصفه بالصورة والأعضاء... وأجمعوا على أنه لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان... وقد قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: إن الله تعالى خلق العرش إظهارًا لقدرته لا مكانًا لذاته، وقال أيضًا: قد كان ولا مكان وهو الآن على ما كان. وأجمعوا على نفي الآفات والغموم والآلام واللذات عنه -تعالى- وعلى نفي الحركة والسكون عنه... على أن الله تعالى غني عن خلقه لا يجتلب بخلقه لنفسه نفعًا ولا يدفع بهم عن نفسه ضررًا... وأجمعوا على أن صانع العالم واحدٌ» اهـ.

ولم يكتف بهذا الكذب على السلف حتى نسب إلى عبد الله بن المبارك هذا القول ولن يستطيع أن يثبت بالطريق المعتمد الموثوق بنقل الثقات عن ابن المبارك ذلك ولا أن يظهر ذلك بخط يده.

**٢٠- ويقول المجسم ابن أبي العز[٢]: «ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى الجَبَّارِ، جَلَّ جَلَالُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ.**

---

(١) الفرق بين الفرق (ص/ ٢٣٢-٢٣٣)، دار المعرفة.

(٢) المصدر السابق، (ص/ ٢١٩).

الرد: (وأما المعراج أي معراج النبي ﷺ فليس معناه أن الله تعالى متحيز في السماء وأن النبي وصل إليه فهذه عقيدة الكفار وقوله: عرج به إلى الجبار إنما هو بمعنى عرج به إلى حيث أمر الجبار أو إلى المكان المشرف عند الله لأن السماء مكان مشرف فهي قبلة الدعاء ومسكن الملائكة ومهبط الرحمات وليست مسكنًا لله جلّ الله وتعالى عن ذلك كما في قول الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام أنه قال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ فليس معنى هذه الآية أن الله كان متحيزًا في فلسطين وأنّ إبراهيم يذهب إلى تلك البقعة التي فيها الله فهذه سخافة عقلٍ لا يقول بها إلا كافر وإنما معنى الآية إني ذاهب إلى حيث أمرني ربي أو إلى طاعة ربي).

**وأما قول المجسم ابن أبي العز: «فَدَنَا مِنْهُ حَتَّى كَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى»، وقوله[1]: «وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ النَّجْمِ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾، وقوله[2]: «وَفِي حَدِيثِ الْمِعْرَاجِ دَلِيلٌ عَلَى ثُبُوتِ صِفَةِ الْعُلُوِّ للهِ تَعَالَى مِنْ وُجُوهٍ، لِمَنْ تَدَبَّرَهُ».**

الرد: ولا حجة لابن أبي العز المجسم فيما ذكره من الآية والحديث لإثبات المكان لله تعالى لأن المحتاج للمكان لا يكون إلهًا بل هو عاجزٌ قطعًا وسنشرح ونبيّن بالأدلة القاطعة والبراهين الثابتة معنى قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾[3].

فنقول إن معناه أن جبريلَ عليه السلام اقتربَ من سيدنا محمدٍ ﷺ فتدلى إليه فكان ما بينهما من المسافة بمقدار ذراعيَن بل أقرب، وقد تدلَّى جبريلُ عليه السلام إلى محمد ودَنَا منه فرَحًا به.

وليس الأمرُ كما يفتري بعضُ الناس أن الله تعالى دنا بذاته من محمدٍ فكان بين محمدٍ وبين الله كما بين الحاجِبِ والحاجِبِ أو قدرَ ذراعين، لأن إثباتَ المسافةِ لله تعالى إثباتٌ للمكانِ وهو من صفاتِ الخلق وهو كفر صريح، أما الخالقُ فهو

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) سورة النجم/ ءاية ٨.

موجودٌ بلا كيف ولا مكان، لا يكون بينه وبين خلقِهِ مسافة.

قال الحافظ البيهقي في كتابه «الأسماء والصفات»[1]: «عن مسروق قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن قوله تعالى ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ ﴾ قالت رضي الله عنها: كان جبريل عليه السلام يأتي محمدًا ﷺ في صورة الرجل فأتاه هذه المرة قد ملأ ما بين الخافقين. رواه البخاري في الصحيح عن محمد بن يوسف. ورواه مسلم عن محمد بن عبد الله بن نمير، كلاهما عن أبي أسامة». وفيه يقول[2]: «عن مسروق قال: سألت عائشة رضي الله عنها في قول الله عز وجل ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ فقالت: أنا أول هذه الأمة قال لرسول الله ﷺ هذا، فقال ﷺ: جبريل رأيته بالأفق المبين».

ويقول[3]: «قال أبو سليمان الخطابي رحمه الله تعالى في تقدير قوله ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ ﴾ على ما تأوله عبد الله بن مسعود وعائشة رضي الله عنهما من رؤيته ﷺ جبريلَ عليه السلام في صورته التي خُلق عليها، والدنو منه عند المقام الذي رُفع إليه وأقيم فيه قوله ﴿ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ المعنى في جبريل عليه السلام تدلى من مقامه الذي جُعل له في الأفق الأعلى فاستوى أي وقف وقفة ثم دنا فتدلى أي نزل حتى كان بينه وبين المصعد الذي رُفع إليه محمد ﷺ قاب قوسين أو أدنى فيما يراه الرائي ويقدره». ويقول[4]: «وروت عائشة وابن مسعود رضي الله عنهما عن النبي ﷺ ما دل على أن قوله ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ ﴾ المراد به جبريل عليه الصلاة والسلام في صورته التي خُلق عليها». ويقول[5]: «قال أبو سليمان: والمكان لا يُضاف إلى الله» اهـ.

قال إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك الجويني الشافعي في كتابه «الشامل في

---

(١) الأسماء والصفات (٢/ ١٧٩)، الطبعة الأولى ١٩٨٥ دار الكتاب العربي.
(٢) المصدر السابق، (ص/ ١٨١).
(٣) المصدر السابق، (ص/ ١٨٢).
(٤) المصدر السابق، (ص/ ١٨٧).
(٥) المصدر السابق، (ص/ ١٨٨).

أصول الدين»[1]: «ليس في هذه الآية تصريح بذكر الإلـٰه وإضافة القرب إليه، فلِمَ ادّعيتم أنه سبحانه وتعالى هو المعني بمضمون الآية؟ ولِمَ وصفتم ربّكم بالحد والمقدار بتوهم منكم وظن؟ ثم نقول: لعله ﷺ قرب من درجة لم يبلغها إلا أرفع الخلائق وأعلاهم شأنًا. ثم نقول: الدنو يُحمل على القرب والطاعة - القرب المعنوي لأن القرب المكاني والحسي محال على الله تعالى -، وذكر (قاب قوسين) تأكيدًا له. وهو كما حُمل قوله - في الحديث القدسي-: **إذا تقرب العبد إليّ ذراعًا**[2]، **تقربت منه باعًا، على القرب والطاعة والرأفة**. اهـ.

قال الحافظ البيهقي في كتابه «الأسماء والصفات»[3]: «استدل بعض أصحابنا في نفي المكان عنه -أي عن الله - بقول النبي ﷺ: **أنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء. وإذا لم يكن فوقه شيء ولا دونه شيء لم يكن في مكان**» اهـ.

أما ما رُويَ عن النبي ﷺ أنه قال: «**لو أنكم دلَّيتُم رجُلا بحبلٍ إلى الأرض السفلى لهبط على الله**» رواه الترمذي، هو حديث ضعيف، والحديث الضعيف لا يُحتَج به في العقائد والأحكام ولا حاجة لتأويله، ولكن تأوّله بعض علماء الحديث على أن علم الله شامل لجميع الأقطار وأنه منزه عن المكان، فالشاهد هو في استدلال العلماء به على نفي المكان عن الله، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: «معناه أن علم الله يشمل جميع الأقطار، فالتقدير لهبط على علم الله، والله سبحانه وتعالى تنزه عن الحلول في الأماكن، فالله سبحانه وتعالى كان قبل أن تحدث الأماكن» اهـ، نقله عنه تلميذه الحافظ السخاوي في كتابه «المقاصد الحسنة»[4]،

---

(١) الشامل في أصول الدين (ص/ ٣٢٩)، الطبعة الأولى ١٩٩٩، دار الكتب العلمية.

(٢) قال ابن فورك يحتمل أن يكون معناه على معنى ما قال الله عز وجل ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا﴾ أي من أطاعني طاعة واحدة جازيته عليها عشرًا ويكون ذلك إخبارًا عن تضعيف الثواب.

(٣) الأسماء والصفات (ص/ ٤٠٠).

(٤) المقاصد الحسنة (رقم٨٦/ ص٣٤٢).

وذكره أيضًا الحافظ المحدِّث المؤرخ محمد بن طولون الحنفي[1] وأقرَّه عليه.

وقال الحافظ البيهقي في كتابه «الأسماء والصفات»[2]: «والذي رُوِيَ في ءاخر هذا الحديث إشارةٌ إلى نفي المكان عن الله تعالى، وأن العبد أينما كان فهو في القرب والبعد من الله تعالى سواء -لأن الله لا يوصف بالقرب والبعد بالمسافة- وأنه الظاهر فيصح إدراكه بالأدلة، والباطن فلا يصح إدراكه بالكون في مكان» اهـ.

وكذلك استدل به أبو بكر بن العربي المالكي في شرحه على سنن الترمذي على أن الله موجود بلا مكان، فقال ما نصه[3]: «والمقصود من الخبر أن نسبة الباريء من الجهات إلى فوق كنسبته إلى تحت، إذ لا ينسب إلى الكون في واحدة منهما بذاته» اهـ.أي أن الله منزه عن الجهة فلا يسكن فوق العرش كما تقول المجسمة، ولا هو بجهة أسفل، لأن الله تعالى كان قبل الجهات الست، ومن استحال عليه الجهة استحال عليه المكان، فالله تعالى لا يَحُل في شيء ولا يشبه شيئًا، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

ومن الأحاديث الدالة على تنزيه الله عن الجهة ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء**»[4].

قال الحافظ جلال الدين السيوطي الشافعي في شرحه لسنن النسائي[5]: «قال البدر ابن الصاحب في تذكرته: في الحديث إشارة إلى نفي الجهة عن الله تعالى».

ويدل أيضًا على ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**ما ينبغي لعبدٍ أن يقول: إني خيرٌ من يونس بن متَّى**» واللفظ للبخاري.

---

(١) الشذرة في الأحاديث المشتهرة (٢/ ٧٢).

(٢) الأسماء والصفات (ص/ ٤٠٠).

(٣) عارضة الأحوذي (١٢/ ١٨٤).

(٤) قال النووي في شرح مسلم (٤/ ٢٠٠) معناه أقرب ما يكون من رحمة ربه وفضله وهو موافق لقول الله تعالى ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ ولأن السجود غاية التواضع والعبودية لله تعالى. اهـ

(٥) سنن النسائي (١/ ٥٧٦).

قال الحافظ المحدِّث الفقيه الحنفي مرتضى الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» ما نصه[1]: «ذَكر الإمام قاضي القضاة ناصر الدين بن المنَيِّر الاسكندري المالكي في كتابه «المتقى في شرف المصطفى» لما تكلم على الجهة وقرر نفيها قال: ولهذا أشار مالك رحمه الله تعالى في قوله ﷺ: «**لا تفضلوني على يونس بن متى**»، فقال مالك: إنما خص يونس للتنبيه على التنزيه لأنه ﷺ رفع إلى العرش ويونس عليه السلام هبط إلى قاموس (قعر) البحر، ونسبتهما مع ذلك من حيث الجهة إلى الحق جل جلاله نسبة واحدة، ولو كان الفضل بالمكان لكان عليه السلام أقرب من يونس بن متى وأفضل ولَمَا نهى عن ذلك. ثم أخذ الإمام ناصر الدين يبدي أن الفضل بالمكانة لا بالمكان، هكذا نقله السبكي في رسالة الرد على ابن زفيل» اهـ. وابن زفيل هو ابن قيم الجوزية المبتدع تلميذ الفيلسوف المجسم ابن تيمية الذي قال مؤيدًا لعقيدة متأخري الفلاسفة إن الله لم يخلق نوع العالم، وهذا كفرٌ بإجماع المسلمين كما ذكر العلامة الشيخ بدر الدين الزركشي في كتابه «تشنيف المسامع».

وقال المفسّر أبو عبد الله القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرءان» ما نصه[2]: «قال أبو المعالي: قوله ﷺ: «**لا تفضلوني على يونس بن متى**» المعنى فإني لم أكن وأنا في سدرة المنتهى بأقرب إلى الله منه وهو في قعر البحر في بطن الحوت، وهذا يدل على أن الباريء سبحانه وتعالى ليس في جهة» اهـ.

ومما يدل أيضًا على تنزيهه تعالى عن الجهة، ما رواه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك: «أن النبي ﷺ استسقى فأشار بظهر كَفَّيْه إلى السماء» اهـ.أي أن النبي جعل باطن كفَّيْه إلى جهة الأرض، وفي ذلك إشارة إلى أن الله عز وجل ليس متحيِّزًا في جهة العلو كما أنه ليس في جهة السُّفل.

وقد قال الحافظ العراقي في الأمالي: «أجمع السلف والخلف على كفر من

---

(١) إتحاف السادة المتقين (٢/ ١٠٥).

(٢) الجامع لأحكام القرءان (١١/ ٣٣٣-٣٣٤)، و(١٥/ ١٢٤).

أثبت الجهة لله»[1] اهـ.

فتبين فساد قول من يقول «إن الله دنا بذاته من محمد لما كان ليلة المعراج في السماء، أو دنا منه بالحس والمسافة أو بالمكان أو صار بينهما كالحاجب من الحاجب أو كالذراعين، أو أنه وصل إلى مكان ينتهي إليه وجود الله، أو أُزيحت الستارة فدخل وراءه»، وكل ذلك تكذيب لله عز وجل لأنه نزه نفسه فقال ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ وقال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، ومن شبه الله بشيء من خلقه فقد شتمه وكذّبه، ومن كذّب الله كفر بإجماع الأمة الإسلامية. اهـ.

**وقال[2] المجسم ابن أبي العز: «فَعَلا بِهِ جِبرْيلُ حَتَّى أَتَى بِهِ إِلى الجبَّارِ تبَارَكَ وَتعَالَى وَهُوَ فِي مَكَانِهِ»:**

**الرد:** «وهو في مكانه» قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرحه على البخاري: «والمكان راجع إلى النبي وليس إلى الله».

**وقال المجسم ابن أبي العز: «فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ». وقال[3]: «فَلَمْ يَزَلْ يَتَرَدَّدُ بَيْنَ مُوسَى وَبَيْنَ الله تبَارَكَ وَتعَالَى»**

**الرد:** وهذا معناه كما قال علماء الإسلام ومنهم الحافظ الهرري: ارجع إلى المكان الذي كنت تناجي فيه ربك فالتردد الوارد في هذا الحديث هو بين موسى وبين المكان الذي كان فيه الرسول لمناجاة ربه وليس فيه نسبة المكان إلى الله حاشا وكلّا.

## فصل في نفي الحد والنهاية عن الله تعالى

اعلم أن القديم سبحانه لا يتناهى في ذاته على معنى نفي الجهة والحد عنه، ولا يتناهى في وجوده على معنى نفي الأولية عنه فإنه أزلي أبدي صمدي، وكذلك

---

(١) انظر المجلس السادس والثمانين من أمالي العراقي (ص/ ٧٧).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

صفات ذاته لا تتناهى في ذاتها ووجودها ومتعلّقاتها إن كان لها تعلُّقٌ، ومعنى قولنا: لا تتناهى في الذات قيامها بذات لا نهاية له ولا حدَّ ولا منقطعَ ولا حيث، وقولنا لا تتناهى في الوجود إشارة إلى أزليتها ووجوب بقائها وأنها متعلِّقة بما لا يتناهى كالمعلوماتِ والمقدوراتِ والمُخْبَراتِ». ثم قال: «وأما الجوهر فهو متناهٍ في الوجود والذات لأنه لا يشغل إلا حيزًا له حكم النهاية وهو حادث له مفتتح ويجوز عدمهُ. والعرض متناه في الذات من حيث الحكم على معنى أنه لا ينبسط على محلين، ومتناهٍ في الوجود على معنى أنه لا يبقى زمانين[1]، ويتناهى في تعلّقه فإنه لا يتعلق بأكثر من واحد.

أما المجسمة فإنهم أثبتوا للقديم سبحانه الحد والنهاية، فمنهم من أثبت له النهاياتِ من ست جهات، ومنهم من أثبتها من جهة واحدة وهي جهة تحت، ومنهم من لا يطلق عليه النهاية. واختلفوا في لفظ المحدود فمنهم من أثبته ومنهم من منعه وأثبت الحد، وقد بيّنا أن إثبات النهاية من جهة واحدة يوجب إثباتها من جميع الجهات ولأن النهاية والانقطاع من الجهة الواحدة يقدح في العظمة، بدليل أنه لو لم يتناه لكان أعظم مما كان، فلما تناهى فقد صَغُرَ، ويجب نفي الصغر عنه كما وجب إثبات العظمة له، يوضح ما قلناه أنهم قالوا إنما منعنا كونه وسط العالم لأنه يوجب اتصافه بالصغر، فإثبات النهاية من جانب يفضي إلى النهاية من جميع الجوانب، فقد تحقق إذًا بنفي النهاية والحد عنه استحالة الاتصال والانفصال والمحاذاة عليه لاستحالة الحجمية والجُثَّةِ عليه، بل هو عظيم الذات[2] لانتفاء النهايات والصغر عنه لا لجَسَامَةٍ ولا لصورة وشَبَحٍ».

ثم قال: «فصل في معنى العظمة والعلو والكبرياء والفوقية: أجمع المسلمون على أن الله تعالى عظيم وأعظم من كل عظيم، ومعنى العظمة والعلو والعزة

---

(١) استثنى بعضهم أربعة أشياء الأشكال والألوان والملكات والإدراكات أما الإطلاق فأمر بعيد. الشارح.

(٢) أي عظم القدر لا المساحة. الشارح.

والرفعة والفوقية واحد وهو استحقاق نعوت الجلال[١] وصفات التعالي[٢] على وصف الكمال[٣] وذلك تقدسه عن مشابهة المخلوقين، وتنزهه عن سمات المحدثين وعن الحاجة والنقص، واتصافُهُ بصفات الإلـهية كالقدرة الشاملة للمقدورات، والإرادة النافذة في المراداتِ، والعلم المحيط بجميع المعلومات، والجود البسيط[٤]، والرحمة الواسعة، والنعمة السابغة، والسمع والبصر والقول القديم[٥]، والطَّوْل العميم[٦] والوجه واليد[٧] والبقاء والمجد» اهـ.وقال الآمدي في غاية المرام[٨] ما نصه: «فالواجب أن يقال: إنه إنْ أُريد بالاتصال والانفصال قيام أحدهما بذات الآخر وامتناع القيام فلا محالة أن البارئ والعالم كل واحد منهما منفصل عن الآخر بهذا الاعتبار، وهو مما لا يوجب كون كل واحد منهما في جهة من الآخر، مع امتناع قبولية كل واحد منهما لها أو امتناع قبولية أحدهما، ومع امتناع تلك القبولية فلا تلزم الجهة. وإن أُريد بالاتصال ما يلازمه الاتحاد في الحيز والجهة، وبالانفصال ما يلازمه الاختلاف فيهما ووقوع البعد والامتداد بينهما، فذلك إنما يلزم على البارئ تعالى أن لو كان قابلًا للتحيز والجهة، وإلا فإن لم يكن قابلًا فلا مانع من خلوه عنهما معًا. فإن راموا إثبات الجهة بالانفصال والاتصال، والخصم لا يسلم ذلك إلا فيما هو قابل للجهة، أفضى ذلك إلى الدور، ولا محيص عنه. وليس لهذا مثال إلا ما لو قال القائل: وجود شيء ليس هو عالمًا ولا جاهلًا محال، فيقال: إنما هو محال فيما هو قابل لهما، وكذا في كل ما هو قابل لأَحد نقيضين، فإن خلوه عنهما محال، أَما وجود ما لا يقبل ولا لواحد منهما فخلوه عنهما ليس

(١) أي الصفات الدالة على العظمة. الشارح.
(٢) أي الصفات الدالة على التنزه عن صفات الغير. الشارح.
(٣) وكل ذلك صفات كمال. الشارح.
(٤) الجود العظيم. الشارح.
(٥) أي الكلام الأزلي. الشارح.
(٦) أي الفضل العظيم الشامل. الشارح.
(٧) قوله والوجه واليد أي على أنهما صفتان. الشارح.
(٨) غاية المرام في علم الكلام (ص/ ١٩٩ - ٢٠٠).

بمحال. وذلك كما في الحجر وغيره من الجمادات، وبهذا يندفع ما ذكروه من الخيال الآخر أيضًا.

وعدم التخيل لموجود هو لا داخل العالم ولا خارجه على نحو تخيل الصور الجزئية - مع كونه معلومًا بالبرهان وواجبًا التصديق به غير مضر، إذ ليس ما وجب التصديق به بالبرهان يكون حاصلًا في الخيال، وإلا لما صح القول بوجود الصفات الغير المحسوسة كالعلم والقدرة والإرادة ونحوها لعدم حصولها في الخيال، وامتناع وقوعها في المثال، وما قيل من أن حيث الصفات لا يكون إلا حيث الذات فذلك إنما هو لِما كان من الصفات له حيث وجهة، إذ يستحيل أن تكون الصفات في جهة وحيث إلا وهي في جهة ما قامت به من الذات، ولا يتصور وقوع الجهة للصفات دون الذات، وأما ما لا حيث له من الصفات فلا جهة له، وعند ذلك فلزوم الجهة والحيث لذات واجب الوجود بالنظر إلى حيث صفاته مع امتناع قبولها للحيث محال» اهـ.

وقال الآمدي في أبكار الأفكار[1] ما نصه: «والجواب عن الشبهة الأولى أن يقال: إن أريد بالاتصال والانفصال قيام أحدهما بالآخر وامتناع القيام به فالبارئ تعالى بهذا الاعتبار منفصل عن العالم، ولكن ذلك مما لا يوجب كون كل واحد منهما في جهة من الآخر إلا أن يكون الرب تعالى قابلًا للكون في الجهة وهو محل النزاع. وإن أريد بالاتصال ما يلازمه الاتحاد في الجهة والحيز، وبالانفصال ما يلازمه الاختلاف في الجهة والحيز فذلك إنما يتم ويلزم أن لو كان البارئ تعالى قابلًا للحيز والجهة، وإلا فلا مانع من خلوه عنهما معًا، فإن راموا إثبات الجهة بالانفصال والاتصال بهذا الاعتبار والخصْم لا يسلمه إلا فيما هو قابل للجهة والحيز كان دورًا ودعوى البديهية في ذلك ممتنع، فإن البديهي لا يخالف فيه أكثر العقلاء وأكثر العقلاء مخالفون في نفي الجهة عن الله تعالى. وإن اكتفى في ذلك بمجرد الدعوى فقد لا تؤمن المعارضة بمثله في طرف النقيض، وعن الشبهة

---

(١) أبكار الأفكار (١/ ٣٠٤ - ٣٠٥) مخطوط.

الثانية فأجيب بأنه لا داخل العالم ولا خارجًا عنه فإن ذلك إنما هو من لوازم الجهة والحيز فما لا يكون في جهة ولا حيز فلا يكون متصفًا به، والقول بأن ذلك غير معقول قلنا إنما يصح فيما كان من ذوات الجهة والحيز أما ما ليس من ذوات الجهة والحيز فالقول بأنه إما داخل العالم وإما خارج عنه لا يكون معقولا، وعن الشبهة الثالثة بمنع أنه لا معنى للقائم بنفسه غير المتحيز بل القائم بنفسه هو المستغني عن محل يقوّمه والبارئ تعالى كذلك وذلك لا يلزم منه كونه في الجهة، وعن الرابعة بمنع أنه لا معنى لقيام الصفة بمحلها إلا كونها موجودة في الحيز تبعا لمحلها فيه ومن المعلوم أن ذلك غير ضروري ولا دليل عليه. وأما الشبه النقلية فمن باب الظواهر الظنية فلا تقع في مقابلة الأدلة العقلية اليقينية كيف وأنه مهما تعارض دليلان فالجمع بينهما أولى من العمل بأحدهما وتعطيل الآخر وقد أمكن الجمع بتأويل ما ذكروه من الظواهر على وجه موافق للدليل العقلي الدال على نفي الجهة والحيز» انتهى.

**٢١- وأما قول ابن أبي العز المجسم: «فَعُلِمَ أَنَّ مُرَادَهُ أَنَّ الله يَتَعَالَى عَنْ أَنْ يُحِيطَ أَحَدٌ بِحَدِّهِ لِأَنَّ الْمَعْنَى أَنَّهُ مُتَمَيِّزٌ عَنْ خَلْقِهِ مُنْفَصِلٌ عَنْهُمْ مُبَايِنٌ لَهُمْ»**

**وقوله[1]: «وقد علم العقلاء كلهم بالضرورة أن ما وجوده كذلك فهو إما داخل العالم وأما خارجٌ عنه، وإنكار ذلك إنكارُ ما هو أجلى وأظهر الأمور البديهيات الضرورية بلا ريب» (أي عقلاء هؤلاء؟؟!!).**

**ويقول[2]: «فكيف يستبعد العقل مع ذلك أنه يدنو سبحانه من بعض أجزاء العالم وهو على عرشه فوق سماواته؟ أو يدني إليه من يشاء من خلقه؟ فمن نفى ذلك لم يقدره حق قدره»**

**وقال[3]: «إن كونه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه -: يقتضي نفي وجوده بالكلية؛**

---

(١) المصدر سابق (ص/ ٢٧٥).

(٢) المصدر السابق، (ص/ ٢٧٢).

(٣) المصدر السابق، (ص/ ٢٨٠).

**لأنه غير معقول، فيكون موجودا إما داخله وإما خارجه. والأول باطل، فتعين الثاني، فلزمت المباينة. والثاني: يقتضي كون العالم واقعا خارج ذاته، فيكون منفصلًا فتعيّنت المباينة، لان القول بانه غير متصل بالعالم، وغير منفصل عنه غير معقول.**

**الرد:** الاستدلال على نفي الحركة والسكون والاتصال بالعالم والانفصال عنه ومحاذاة شيء من الخلق عن الله سبحانه بنقولٍ من مشاهير المذاهب الأربعة.

وفي هذا الكلام الذي قاله ابن أبي العز المجسم تشبيه لله بخلقه ووصفه بأنه يتصل ببعض خلقه وينفصل عنهم ثم من جهله يعيب على أهل السنة والجماعة أهل الحق الذين ينزهون الله عن الاتصال والانفصال والحركة والسكون وأن يكون داخل العالم أو خارج العالم وإنما عاب عليهم لإنكارهم ذلك لأنه لم يميّز الخالق من المخلوق فإن الدخول والخروج من صفات المخلوق والله خالق وليس بمخلوق وردنا هنا عليه وعلى ما ادعته وهابية العصر أن الله تعالى ليس داخل العالم بل هو خارج العالم مقلدين بذلك سلفهم ابن تيمية[1] ومن تبعه كابن القيم وابن أبي العز المجسم فهو-اي ابن تيمية- يقول في الرسالة التدمرية ما نصه: «فيقال لمن نفى الجهة: أتريد بالجهة أنها شيء موجود مخلوق؟ فالله ليس داخلًا في المخلوقات، أم تريد بالجهة ما وراء العالم؟ فلا ريب أن الله فوق العالم مباين للمخلوقات» اهـ.

فالجواب أن يقال: الله تعالى نفى عن نفسه المماثلة لشيء بقوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، أطلق نفي مماثلة شيء من الخلق له ولم يخص شيئًا دون شيء، فبناءً على ذلك نقول: لو كان الله تعالى متصلًا بشيء من الخلق لكان له أمثال لا تحصى ولو كان منفصلًا عن شيء من المخلوقات لكان له أمثال لا تحصى، ولو كان متحركًا لكان له أمثال، ولو كان ساكنًا لكان له أمثال، ولو كان ساكنًا وقتًا ومتحركًا وقتًا لكان له أمثال لا تحصى، ولو كان له حد أي كمية لكان له أمثال لا تحصى، فأفهمنا الله تعالى بهذه الآية أنه منزه عن هذه الأوصاف. فإن قيل لو كان

---

(١) الرسالة التدمرية (ص/ ٤٦).

الله تعالى منتفيًا عنه هذه الأوصاف لم يكن موجودًا، فالجواب: ليس من شرط الوجود أن يمكننا تصوره، ففي المخلوق ما لا يمكن تصوره وهو الوقت الذي لم يكن فيه نور ولا ظلام، والإيمان بذلك واجب لقول الله تعالى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾[1] أي أوجد الظلمات والنور بعد أن كانا معدومين وذلك أن أول المخلوقات الماء والعرش ثم القلم واللوح، بدليل حديث عمران بن حصين رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء**» والذكر هو اللوح المحفوظ. وقوله عليه الصلاة والسلام: «**أول ما خلق الله تعالى القلم فقال له اكتب، فقال: وما أكتب، فجرى القلم بما كان وما يكون**»[2].

فنعلم من الحديثين أن النور والظلام لم يكونا قبل الأربعة إنما وجدا بعدها، ولا يمكن لأحد أن يتصور هيئة وقت ليس فيه نور ولا ظلام، وإنما يتصور العقل وقتًا يوجد فيه أحدُهما دون الآخر. نقول كذلك يصح وجود الله تعالى مع انتفاء هذه الأوصاف كلها عنه، فمن هنا قال أئمة أهل السنة كالإمام أحمد بن حنبل والإمام ذي النون المصري وغيرهما: «مهما تصورت ببالك فالله بخلاف ذلك» روى ذلك الحافظ ابن عساكر في كتابه تاريخ دمشق عن الإمام ذي النون المصري، ورواه عن الإمام أحمد بن حنبل أبو الفضل التميمي في كتابه اعتقاد الإمام المبَجّل أحمد بن حنبل.

وفي معناه قول ابن عباس رضي الله عنهما: «تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله». رواه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات بإسناد جيد، لأنه لا يمكن تصوير الله في النفس، ونص على ذلك جماعة من علماء المذاهب الأربعة منهم الإمام الجليل أبو سعيد المتولي أحد أصحاب الوجوه في مذهب الشافعي وهم الطبقة التي تلي الإمام الشافعي، ثم النووي وابن حجر الهيتمي وغيرهما

(١) سورة الأنعام/ ءاية ١.

(٢) رواه الطيالسي بنحوه في مسنده (ص/ ٧٩).

على ذلك، ومن المالكية سيدي أبو عبد الله محمد بن جلال والعالم محمد بن أحمد ميّارة وغيرهما، ومنهم من الحنفية أبو المعين النسفي والعالم الشهير محمود بن محمد القونوي شارح العقيدة الطحاوية وغيرهما بل ذلك يفهم من قول الطحاوي: «تعالى -يعني الله- عن الحدود والغايات» لأن الشيء الذي لا كمية له لا يصح في حقه الاتصال والانفصال، ومن الحنابلة الحافظ أبو الفرج عبد الرحمـٰن بن الجوزي في كتابه «أخبار الصفات» وغيره من مؤلفاته وغيره بل قول الطحاوي المذكور وهو نقلٌ عن السلف كلهم فيه تنزيه الله عن الاتصال والانفصال لنقله عنهم نفي الحد عن الله، والحد هو الكمية أي الجِرْمُ وهو الذي يُسَمَّى جوهرًا في اصطلاح علماء التوحيد. والجوهر الفرد هو أصغر كمية وأصغر جرم، وهو في نهاية القِلّة بحيث لا يقبل الانقسام، سُمّي جوهرًا لأنه أصل الجسم، والجوهر في اللغة الأصل كما قال الحافظ اللغوي مرتضى الزبيدي، ويقال في اصطلاحهم لما زاد على ذلك جسم، ومن ليس له كمية لا يوصف بالاتصال والانفصال. فإذا تقرر هذا فلا يهولنَّكُم قولُ المشبهة: إن القولَ بأن الله موجود من غير أن يكون متّصلًا بالعالم ولا منفصلًا عنه ولا داخله ولا خارجه نفي لوجود الله، فيقال لهم: هذه شبهة بنيتموها على أصل غير صحيح وهو أنكم جعلتم شرط الوجود أن يكون الشيء له اتصال أو انفصال وأن يكون داخل العالم أو خارجه، فالمشبهة يعترفون أن الله كان موجودًا قبل العالم لا داخله ولا خارجه، قال أهل السنة: كذلك بعد أن خلق العالم هو موجود كما كان لا داخل العالم ولا خارجه، فبهذا تكون قد بطَلَت شبهتهم وتموِيْهُهُم.

ومن غباوة العقل ما نقله ابن تيمية عن بعض رءوس المشبهة وهو عثمان ابن سعيد الدارمي أن شرط الحي الحركة مستحسنًا له غير مستنكر، ويكفي قول الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ في نفي الاتصال عن العالم والانفصال عنه والكون داخله أو خارجه، وذلك لأن العالم جوهر وعرض، والجوهر إما جرم كثيف وإما جرم لطيف، والأول كالإنسان والجمادات، والثاني كالنور والظلام

والريح، والعرض صفات الجوهر كالحركة والسكون، ولو كان الله تعالى جوهرًا يتحيز كالإنسان لكان له أمثال، وكذلك لو كان متصلًا أو منفصلًا لكان له أمثال في خلقه، ولو كان داخل العالم لكان محويًا بالعالم ومظروفًا، وذلك يقتضي إثبات الكمية لله تعالى ولو كان كذلك لكان له أمثال في خلقه، ولو كان خارج العالم لكان محاذيًا للعالم بقدر العالم أو أصغر أو أكبر منه وذلك يقتضي تقدير ذات الله ويؤدي إلى إثبات الجزء له تعالى، وذلك ينافي الأزلية والقدم، والله تبارك وتعالى هو الذي جعل خلقه على مقادير مختلفة ولو كان له مقدار لكان له أمثال في خلقه.

وقد نص الإمام المحدث الحافظ المفسر عبد الرحمٰن بن الجوزي الحنبلي على نفي التحيز في المكان والاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق عن الله تعالى فقال في كتابه «دفع شبه التشبيه»[1] يحكي قولَ المجَسّم الحنبلي وهو ابن الزاغوني قال -يعني ابن الزاغوني المجسم-: «وقد ثبت أن الأماكن ليست في ذاته ولا ذاته فيها فثبت انفصاله عنها ولا بد من بدء يحصل به الفصل، فلما قال استوى علمنا اختصاصه بتلك الجهة، قال (أي ابن الزاغوني): ولا بد أن يكون لذاته نهايةٌ وغاية يعلمها. قلتُ: هذا رجلٌ لا يدري ما يقول، لأنه إذا قَدّر غايةً وفصل بين الخالق والمخلوق فقد حدده وأقر بأنه جسم وهو يقول في كتابه إنه ليس بجوهر لأن الجوهر ما يتحيز، ثم يثبت له مكانًا يتحيز فيه.

قلت: وهذا كلام جهل من قائله وتشبيه محض فما عرف هذا الشيخ ما يجب للخالق تعالى وما يستحيل عليه، فإن وجوده تعالى ليس كوجود الجواهر والأجسام التي لا بد لها من حيز، والتحت والفوق إنما يكون فيما يُقابَل ويحاذَى، ومن ضرورة المحاذِي أن يكون أكبر من المحاذَى أو أصغر أو مثله، وأن هذا ومثله إنما يكون في الأجسام، وكلّ ما يحاذِي الأجسام يجوز أن يمسها، وما جاز عليه مماسة الأجسام ومباينتها فهو حادث، إذ قد ثبت أن الدليل على حدوث الجواهر قبولها المماسةَ والمباينة، فإن أجازوا هذا عليه قالوا بجواز حدوثه، وإن

(١) دفع شبه التشبيه (ص/ ٤٠).

منعوا هذا عليه لم يبق لنا طريق لإثبات حدث الجواهر، ومتى قدّرنا مستغنيًا عن المحل ومحتاجًا إلى الحيز، ثم قلنا: إما أن يكونا متجاورين أو متباينين كان ذلك محالًا، فإن التجاور والتباينَ من لوازم التّحيز في المُتَحَيِّزَاتِ.

وقد ثبت أن الاجتماع والافتراق من لوازم التحيز، والحق سبحانه وتعالى لا يوصف بالتحيز، لأنه لو كان متحيزًا لم يخل إما أن يكون ساكنًا في حيّزِهِ أو متحركًا عنه، ولا يجوز أن يوصف بحركة ولا سكون ولا اجتماع ولا افتراق، ومن جاورَ أو باين فقد تناهى ذاتًا والتناهي إذا اختص بمقدار استدعى مخصصًا، وكذا ينبغي أن يقال ليس بداخلٍ في العالم وليس بخارج منه، لأن الدخول والخروج من لوازم المتحيزات فهما كالحركة والسكون وسائر الأعراض التي تُحَسّ بالأجرام.

وأما قولهم خلق الأماكن لا في ذاته فثبت انفصاله عنها قلنا: ذاته المقدس لا يَقبل أن يُخلَقَ فيه شيء ولا أن يحل فيه شيء، وقد حملهم الحِسُّ على التشبيه والتخليط حتى قال بعضهم إنما ذكَر الاستواء على العرش لأنه أقرب الموجودات إليه، وهذا جهل أيضًا لأن قرب المسافة لا يتصور إلا في جسم، ويَعِزُّ علينا كيف يُنْسَبُ هذا القائل إلى مذهبنا. واحتج بعضهم لأنه على العرش بقوله تعالى ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾[1] وبقوله ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾[2] وجعلوا ذلك فوقية حسية ونسوا أن الفوقية الحسية إنما تكون لجسم أو جوهر، وأن الفوقية قد تطلق لعلو المرتبة فيقال: فلان فوق فلان، ثم إنه كما قال تعالى ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ قال تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ﴾، فمن حملها على العلم حمل خصمُه الاستواء على القهر، وذهبت طائفة إلى أن الله تعالى على عرشه وقد ملأهُ والأشْبَه أنه مماس للعرش والكرسي موضِعُ قدميه. قلت: المماسة إنما تقع بين جسمين وما أبقى هذا في التجسيم بقية» اهـ كلام ابن الجوزي ولقد أجاد وشفى وكفى.

---

(١) سورة فاطر/ ءاية ١٠.

(٢) سورة الأنعام/ ءاية ١٨.

وقال الإمام أبو منصور المحدّث الفقيه الشافعي البغدادي[1] الذي وصفه ابن حجر بأنه الإمام الكبير إمام أصحابنا أي الشافعية وهو من جملة مشايخ البيهقي: «وأجمعَ أصحابنا على إحالة القول بأنه في مكان أو في كل مكان، ولم يجيزوا عليه مماسة ولا ملاقاة بوجه من الوجوه، ولكن اختلفت عباراتهم في ذلك فقال أبو الحسن الأشعري: إن الله عز وجل لا يجوز أن يقال إنه في مكان، ولا يقال إنه مباين للعالم، ولا إنه في جوفِ العالم، لأن قولنا إنه في العالم يقتضي أن يكون محدودًا متناهيًا، وقولنا إنه مباينٌ له وخارج عنه يقتضي أن يكون بينه وبين العالم مسافة والمسافة مكان، وقد أطلقنا القول بأنه غير مماس لمكان» انتهى.

وأما الإجماع فأجمع أهل الحق قاطبة على أن الله تعالى لا جهة له فلا فوق له ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا أمام ولا خلف.

وقال العلامة محمد بن أحمد المشهور بميّارة المالكي[2] في كتابه الدر الثمين ما نصه: «مسألة: سئل الإمام العالم أبو عبد الله سيدي محمد بن جلال هل يقال: المولى تبارك وتعالى لا داخلَ العالم ولا خارجَ العالم؟ فأجاب السائلَ: هكذا نسمعه من بعض شيوخنا، واعترضه بعضهم بأن هذا رفع للنقيضين[3]، وقال بعض فقهائنا في هذه المسألة هو الكل أي الذي قام به كل شيء وزعم أنه للإمام الغزالي، وأجاب بعضهم: أن هذا السؤال معضل ولا يجوز السؤال عنه، وزعم أن ابن مِقْلاش هكذا أجاب عنه في شرحه على الرسالة[4]، فأجاب: بأنّا نقول ذلك ونجزم به ونعتقد أنه لا داخل العالم ولا خارج العالم، والعجز عن الإدراك إدْراكٌ لقيام الدلائل الواضحة على ذلك عقلاً ونقلاً، أما النقل فالكتاب والسنة والإجماع، أما الكتاب فقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى] فلو كان في العالم أو خارجًا عنه لكان مُماثلاً، وبيان الملازمة واضح أما في الأول فلأنه إن كان فيه صار من جنسه فيجب له ما وجب له، وأما الثاني فلأنه إن كان خارجًا لزم إما اتصاله وإما انفصاله، وانفصاله إما بمسافة

---

(١) تفسير الأسماء والصفات (ق/ ١٥١)، مخطوط.

(٢) الدر الثمين (ص/ ٢٤ - ٢٥).

(٣) معناه على زعم من اعترض على هذا أن هذا كالقول بأن الله موجود الله غير موجود. الشارح.

(٤) رسالة ابن أبي زيد.

متناهية أو غير متناهية وذلك كله يؤدي لافتقاره إلى مخصِص[1]، وأما السنة فقوله ﷺ: «كان الله ولا شيء معه»[2].

وأما الإجماع فأجمع أهل الحق قاطبة على أن الله تعالى لا جهة له فلا فوق له ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا أمام ولا خلف.

وأما العقل فقد اتضح لك اتضاحًا كليًا مما مر في بيان الملازمة في قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، والاعتراض بأنه رفع للنقيضين ساقط، لأن التناقض إنما يعتبر حيث يتصف المحل بأحد النقيضين ويتواردان عليه، وأما حيث لا يصح تواردهما على المحل ولا يمكن الاتصاف بأحدهما فلا تناقض، كما يقال مثلًا: الحائط لا أعمى ولا بصير، فلا تناقض لصدق النقيضين فيه لعدم قبوله لهما على البدلية، وكما يقال في البارئ أيضًا لا فوق ولا تحت وقس على ذلك. وقول من قال إنه الكل زاعمًا أنه للغزالي فقضية تنحو منحى الفلسفة أخذ بها بعض المتصوفة وذلك بعيد من اللفظ، وما أجاب به بعضهم أنه معضل لا يجوز السؤال عنه ليس كما زعم لوضوح الدليل على ذلك، وإن صح ذلك عن ابن مقلاش فلا يلتفت إليه في هذا لعدم إتقانه طريق المتكلمين إذ كثير من الفقهاء ليس له خبرة به فضلًا عن إتقانه» اهـ.

وقال النووي الشافعي[3] ما نصه: «وتحصل الردة بالقول الذي هو كفر، سواء صدر عن اعتقاد أو عنادٍ أو استهزاء، هذا قول جلي، وأما التفصيل فقال المتولي: من اعتقد قدم العالم، أو حدوث الصانع، أو نفى ما هو ثابت للقديم بالإجماع ككونه عالمًا قادرًا، أو أثبت ما هو منفيٌّ عنه بالإجماع كالألوان، أو أثبت له الاتصال والانفصال كان كافرًا» انتهى.

وممن قال بنفي الاتصال والانفصال بالعالم عن الله تعالى الغزالي، قال ابن حجر الهيتمي الشافعي[4] في كتابه «الإعلام بقواطع الإسلام» في شرح كلام للغزالي

---

(١) لو قيل إنه بمسافة فإمّا أن تكون المسافة بعيدة أو قصيرة وعلى كلا الحالين يستلزم هذا أن يكون لله مخصّص خصّصه بمسافة قصيرة أو بمسافة متناهية أو بمسافة غير متناهية، والله لا يجوز أن يكون له مخصّص لأن ما يحتاج إلى مخصّص فهو حادث. الشارح.

(٢) هذا أيضًا دليل على أن الله يستحيل أن يكون داخلَ العالمَ أو خارج العالمَ. الشارح.

(٣) روضة الطالبين (١٠/ ٦٤).

(٤) كتاب الإعلام بقواطع الإسلام بهامش الزواجر (٢/ ٤٣ - ٤٤).

ما نصه: «ومن ثم قال الغزالي معناه أن مصححَ الاتصال والانفصال الجسميةُ والتحيز وهو محالٌ -على الباريء- فانفك عن الضدين، كما أن الجمادَ لا هو عالم ولا جاهل لأن مُصَحّحَ العلم هو الحياة فإذا انتفتِ الحياة انتفى الضدان» انتهى.

وقال الشيخ أبو المعين ميمون بن محمد النَسَفي الحنفي لسان المتكلمين في «تبصرةِ الأدلة»[1] في رد قولِ المشبهة إنه تعالى لما كان موجودًا إما ان يكون داخل العالم وإما أن يكون خارج العالم، وليسَ بداخل العالم فكان خارجًا منه، وهذا يوجبُ كونَه بجهة منه، قال: «والجوابُ عن هذا الكلام على نحو ما أجبنا عن الشبهة المتقدمة أنّ الموصوف بالدخول والخروج هو الجسمُ المتَبعّضُ المتجزئ، فأما ما لا تبعض له ولا تجزؤ فلا يُوصف بكونهِ داخلًا ولا خارجًا» اهـ.ثم قال[2] في إبطال قول المشبهة لما كان الله تعالى موجودًا إما أن يكون مُماسّا للعالم أو مباينًا عنه وأيّهما كان ففيه إثباتُ الجهة إذ ما ذُكِرَ مِن وَصف الجسم، وقد قامت الدّلالةُ على بطلانِ كونهِ جسمًا، ألا ترى أن العَرَض لا يوصف بكونِه مُماسّا للجوهر[3] ولا مباينًا له، قال: «وهذا كله لبيان أن ما يزعمون ليس من لواحِق الوجودِ بل هو من لواحِقِ التبعُّضِ والتجزئ والتناهي وهي كلّها محالٌ على القديم تعالى» اهـ.

يعني أنه ليس من شرط الموجودِ كونُ الموجودِ مماسّا لغيره أو مُباينًا أو متصلًا بغيره أو منفصلًا عنه أو داخلًا فيه أو خارجًا عنه[4]، إنما هذا من شرط التبعض والتجزئ والتناهي وذلك كله محالٌ على القديم تعالى.

وقال العلامة البياضي الحنفي في «إشارات المرام»[5] ممزوجًا بالمتن[6] ما نصه: «الخامس: ما أشار إليه «وقال في الفقه الأبسط: كان الله تعالى ولا مكان، كان قبل أن يخلق الخلق كان ولم يكن أين» أي مكان «ولا خلق ولا شيء، وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شيء» مُوجِد له بعد العدم فلا يكون شيء من المكان والجهة قديمًا وفيه إشارات:

---

(١) تبصرة الأدلة (١/ ١٧٦ - ١٧٧).

(٢) تبصرة الأدلة (١/ ١٧٧).

(٣) يعني بالجوهر، الجوهر الفرد. الشارح.

(٤) نعم في بعض الموجود وهو الحجم فلا بد فيه من أن يكون متصلاً أو منفصلاً. الشارح.

(٥) إشارات المرام (ص/ ١٩٧ - ١٩٨).

(٦) أي ممزوجًا بكلام أبي حنيفة، لأن هذا الكتاب ألّفه شرحًا لكلام أبي حنيفة، لرسائله. الشارح.

**الأولى**: الاستدلال بأنه تعالى لو كان في مكان وجهة لزم قدمهما وأن يكون تعالى جسمًا لأن المكان هو الفراغ الذي يشغله الجسم، والجهة اسم لمنتهى مأخذ الإشارة ومقصد المتحرك فلا يكونان إلا للجسم والجسماني، وكل ذلك مستحيل كما مر بيانه، وإليه أشار[1] بقوله: «**كان ولم يكن أين ولا خلق ولا شيء وهو خالق كل شيء**». وبطل ما ظنه ابن تيمية منهم من قدم العرش كما في شرح العضدية.

**الثانية**: الجواب بأن لا يكون البارئ تعالى داخلَ العالم لامتناع أن يكون الخالق داخلًا في الأشياء المخلوقة، ولا خارجًا عنه بأن يكون في جهة منه لوجوده تعالى قبل خلق المخلوقات وتحقق الأمكنة والجهات، وإليه أشار بقوله: هو خالق كل شيء وهو خروج عن الموهوم دون المعقول[2].

**الثالثة**: الجواب بأن كون القائم بنفسه هو المتحيز بالذات غير مسلّم بل هو المستغني عن محل يقوم به كما في شرح المواقف وإليه لوح بقوله: كان الله ولا مكان» انتهى.

ثم قال: «السادس: ما أشار إليه بقوله فيه: «وأنه تعالى يدعى من أعلى» للإشارة إلى ما هو وصف للمدعوّ تعالى من نعوت الجلال وصفات الكبرياء والألوهية والاستغناء «لا من أسفل، لأن الأسفل» أي الإشارة إليه «ليس من وصف الربوبية والألوهية» والكبرياء والفوقية بالاستيلاء «في شيء». فأشار إلى الجواب بأن رفع الأيدي عند الدعاء إلى جهة السماء ليس لكونه تعالى فوق السموات العلى بل لكونها قبلة الدعاء، إذ منها يتوقع الخيرات ويستنزل البركات لقوله تعالى ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[3] مع الإشارة إلى اتصافه تعالى بنعوت الجلال وصفات الكبرياء، وكونه تعالى فوق عباده بالقهر والاستيلاء. وإلى الجواب بمنع حمل ما ورد في الآيات والأحاديث على الاستقرار والتمكن، ومنع رفع الأيدي لاعتقاده بل كل ذلك بالمعنى الذي ذكرنا ههنا وهو الذي لا ينافي وصف الكبرياء، ولا يتطرق إليه سمات الحدوث والفناء كما أشار إليه بقوله فيه «وعليه» أي يخرّج على أنه يدعى من أعلى، ويوصف بنعوت الجلال وصفات

---

(١) أي أبو حنيفة. الشارح.

(٢) أي نفي الاتصال والانفصال عن الله خروج عما يدركه الوهم والله لا يدركه الوهم. الشارح.

(٣) سورة الذاريات/ ءاية ٢٢.

الكبرياء «ما روي في الحديث أن رجلا» وهو عمرو بن الشّريد كما رواه أبو هريرة، وعبد الله بن رواحة كما بيّنه الإمام في مسنده بتخريج الحارثي وطلحة والبلخي والخوارزمي «أتى إلى النبي ﷺ بأمة سوداء فقال: وجب عليّ عتق رقبة مؤمنة» قال إن أمي هلكت وأمرت أن أعتق عنها رقبة مؤمنة، ولا أملك إلا هذه وهي جارية سوداء أعجمية لا تدري ما الصلاة أفتُجْزِئني هذه عما لزم بالوصية، كما في مصنف الحافظ عبد الرزاق، وليس في الروايات الصحيحة أنها كانت خرساء كما قيل «فقال لها النبي ﷺ: **أمؤمنة أنت؟** قالت: نعم، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «**أين الله؟**» سائلًا عن المنزلة والعلوّ على العباد علوّ القهر والغلبة، ومشيرًا أنه إذا دعاه العباد استقبلوا السماء دون ظاهره من الجهة.

ثم قال: «**فأشارت إلى السماء**» إشارة إلى أعلى المنازل، كما يقال: فلان في السماء أي رفيع القدر جدًا كما في التقديس للرازي «**فقال: أعتقها فإنها مؤمنة**» انتهى.

ثم قال: «فأشار إلى الجواب بأن السؤال والتقرير لا يدلان على المكان بالجهة لمنع البراهين اليقينية عن حقيقة الأينية» اهـ.

ثم قال البياضي[1]: «الرابعة: أنه عليه الصلاة والسلام أراد امتحانها، هل تقرّ بأن الخالق الفعال المتعالي هو الله الذي إذا دعاه الداعي استقبل السماء، كما دل السؤال والتقرير كما في شرح مسلم للنووي، وإليه أشار بترتيب التخريج على أنه يدعى من أعلى لا من أسفل.

**الخامسة**: أنها كانت أعجمية لا تقدر أن تفصح عما في ضميرها من اعتقاد التوحيد بالعبارة فتعرف بالإشارة أن معبودها إلـه السماء، فإنهم كانوا يسمون الله إلـه السماء كما دل السؤال والاكتفاء بتلك الإشارة كما في الكفاية لنور الدين البخاري» انتهى.

ثم قال البياضي: «فقال فيه «فمن قال لا أعرف ربي أفي السماء أم في الأرض فهو كافر» لكونه قائلًا باختصاص البارئ بجهة وحيز، وكل ما هو مختص بالجهة والحيز فإنه محتاج محدث بالضرورة، فهو قول بالنقص الصريح في حقه تعالى «كذا من قال: إنه على العرش ولا أدري العرش أفي السماء أم في الأرض» لاستلزامه

---

(١) إشارات المرام (ص/ ١٩٩ - ٢٠٠).

القول باختصاصه تعالى بالجهة والحيز والنقص الصريح في شأنه، سيما في القول بالكون في الأرض ونفي العلوّ عنه تعالى بل نفي ذات الإلـٰه المنزه عن التحيز ومشابهة الأشياء» انتهى.

ثم قال البياضي: «الثانية: إكفار من أطلق التشبيه والتحيز، وإليه أشار أي أبو حنيفة. بالحكم المذكور لمن أطلقه، واختاره الإمام الأشعري فقال في النوادر: من اعتقد أن الله جسم فهو غير عارف بربه وإنه كافر به، كما في شرح الإرشاد لأبي قاسم الأنصاري، وفي الخلاصة أن المشبّه إذا قال: له تعالى يد ورجل كما للعباد فهو كافر» انتهى.

ثم قال: «الرابعة: الرد على من أنكر إكفار المشبه مطلقا ذهابًا إلى أن القائل بأنه جسم غالط فيه غير كافر، لأنه لا يطرد قوله بموجبه كما اختاره الباقلاني كما في شرح الإرشاد، واختاره الآمدي في الأبكار، فقال في خاتمته: إنما يلزم التكفير أن لو قال إنه جسم كالأجسام، وليس كذلك بل ناقض كلامه (يعني الآمِديّ) في فصل التنزيه منه ومن المنائح حيث قال فيه: ومن وصفه تعالى بكونه جسمًا، منهم من قال إنه جسم أي موجود لا كالأجسام، كبعض الكرّامية، ومنهم من قال إنه على صورة شاب أمرد، ومنهم من قال على صورة شيخ أشمط، وكل ذلك كفر وجهل بالرب ونسبة للنقص الصريح إليه، تعالى عن ذلك علوّا كبيرا» انتهى كلام البياضي. وقال البَياضيُّ قبل هذا فيمن قال بعدم إكفار من قال إنه تعالى جسم لا كالأجسام، ذهب إليه محمد بن الهَيْصَم وبعضُ الحنابلة وإليه أشار بعدم التعرض له في المقام فهو مبتدع في إطلاق الجسم وليس بكافر لرفْعه إيهام النقصان بقوله لا كالأجسام وقيل يكفر بمجرد الإطلاق كما في باب الإمامةِ من فتح القدير. انتهى وهذا هو الصحيح لأن الأول لا معنى له بل هو من باب جَمْع النقيضين.

قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري[1] ما نصه: «فمعتقد سلف الأئمة وعلماء السنة من الخلف أن الله منزه عن الحركة والتحول والحلول، ليس كمثله شيء» اهـ.

وقال الإمام أبو القاسم الأنصاري النيسابوري شارح كتاب الإرشاد لإمام الحرمين[2] بعد كلام في الاستدلال على نفي التحيز في الجهة عن الله تعالى ما

---

(١) فتح الباري (٧/ ١٢٤).

(٢) شرح الإرشاد (ق/ ٥٨ - ٥٩)، مخطوط.

نصه: «ثم نقول سبيل التوصل إلى درك المعلومات الأدلة دون الأوهام، ورُب أمر يتوصل العقل إلى ثبوته مع تقاعد الوهم عنه، وكيف يدرك العقل موجودًا يحاذي العرش مع استحالة أن يكون مثل العرش في القدر أو دونه أو أكبر منه، وهذا حكم كل مختص بجهة. ثم نقول الجوهر الفرد[1] لا يتصور في الوهم وهو معقول بالدليل، وكذلك الوقت الواحد والأزل والأبد، وكذلك الروح عند من يقول إنه جسم، ومن أراد تصوير الأرض والسماء مثلًا في نفسه فلا يتصور له إلا بعضها، وكذلك تصوير ما لا نهاية له من معلومات الله تعالى ومقدوراته، فإذا زالت الأوهام عن كثير من الموجودات فكيف يُطْلَبُ بها القديم سبحانه الذي لا تشبهه المخلوقات فهو سبحانه لا يتصور في الوهم فإنه لا يتصور إلا صورة ولا يُتَقَدَّرُ إلا مُقَدَّرٌ، قال الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ومن لا مثل له لا يتمثل في الوهم، فمن عرفه عرفه بنعت جلاله بأدلة العقول وهي الأفعال الدالة عليه وعلى صفاته، وقد قيل في قوله تعالى ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾: إليه انتهى فكر من تفكَّر هذا قول أُبيّ بن كعب وعبد الرحمٰن بن زياد بن أَنْعُم[2]، وروى أُبيّ بن كعب عن النبي ﷺ: «**لا فِكْرَةَ في الرب**» وروى أنس أن النبي ﷺ قال: «**إذا ذكر الله تعالى فانتهوا**»، وقال: «**تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق**»[3].

فإن قيل كيف يعقل موجود قائم بالنفس ليس بداخل العالم ولا خارج منه. قلنا: عرفتم استحالة ذلك ضرورة أم دلالة، وقد أوضحنا معنى مباينته بالنفس، وهكذا الجواب عن قولهم خلق الله العالم في نفسه أم مباينًا عنه. قلنا: خلقه على مقدار نفسه أو أكبر منه أو أصغر أو فوق نفسه أو تحته، ثم نقول: حروف الظروف إنما تستعمل في الأجرام المحدودة[4] وكذلك الدخول والخروج من هذا القبيل

---

(١) الجوهر الفرد هو الجزء الذي لا يتجزأ لتناهيه في القلة وسمي جوهرًا لأن الجسم يتركب من جوهرين فردين فأكثر. الشارح.

(٢) هذا الذي حبسه الحجاج خمسة عشر يومًا من غير أكل ولا شرب ثم فتح عليه الباب فوجده قائمًا يصلي. الشارح.

(٣) وهذا لم يثبت مرفوعًا من حيث الإسناد لكن هذا الثاني ثبت عن ابن عباس. الشارح.

(٤) أي على وجه الحقيقة، إن استُعملت على وجه المجاز فإنها تُستعمل على غير معنى الظرفية كقوله تعالى ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [سورة إبراهيم]، أو يكون مراد المؤلف ان حروف الظروف=

وكذلك المماسة والمباينة، وقد أجبنا عن المباينة. فإن قالوا: كيف يرى بالأبصار من لا يتحيز ولا يقوم بالمتحيز. قلنا: الرؤية عندنا لا تقتضي جهة ولا مقابلة وإنما تقتضي تعيين المرئي، وبهذا يتميز عن العلم فإن العلم يتعلق بالمعدوم وبالمعلوم على الجملة تقديرًا[1]، وكذلك لا يقتضي اتصال شعاع بالمرئي فهي كالعلم أو في معناه. فإن قيل: ألستم تقولون الإدراك يقتضي نفس المدرَك. قلنا: لا يقتضى تعينه ولا تحديده. فإن قالوا: كيف يُدرك وجود الإلـٰه سبحانه. قلنا: لا كيفية للأزلي ولا حيث لهُ وكذلك لا كيفية لصفاته، ولا سبيل لنا اليوم إلى الإخبار عن كيفية إدراكه ولا إلى العلم بكيفية إدراكه وكما أن الأكمه الذي لا يبصر الألوان إذا سئل عن الميْز بين السواد والبياض والإخبار عن كيفيتهما فلا جواب له، كذلك نعلم أن من لا جهة له لا يشار إليه بالجهة. فإن قالوا: من أبصر شيئًا يمكنه التمييز بين رؤيته لنفسه وبين رؤيته ما يراه، فإذا رأيتم الإلـٰه سبحانه كيف تميزون بين المرئيَّين، قلنا: من لا جهة له لا يشار إليه بالجهة ومن لا مثل له لا إيضاح له بالمثال، ومن لا أشْكَالَ له فلا أشْكَال فيه. ثم نقول لهم: أنتم إذا رأيتم الإلـٰه كيف تميّزون بينه وبين العرش وهو دونه سبحانه بالرؤية، أتميّزون بينهما بالشكل والصورة أم باللون والهيئة، ومن أصلكم أن المرئي شرطُه أن يكون في مقابلة الرائي، وكيف يَرى القديم سبحانه نفسَه، وكيف يَرى الكائنات مع استتار بعضها ببعض فلا يَرى على هذا الأصل بطون الأشياء، وهذا خلاف ما عليه المسلمون، وإذا كان العرش دونه فلا يَحجبه عنّا حالة الرؤية، قال الأستاذ أبو إسحق: من رأى الله تعالى فلا يَرى معه غيرَه -أي في حال رؤيته للحق - فاندفع السؤال على هذا الجواب» اهـ.

= لا تستعمل على معنى الظرفية في حق الله تعالى إنما تستعمل على هذا المعنى في حق الأجرام.

(١) على وجه الإجمال. الشارح

## فائدة مهمة

## معنى قول من قال: الله بائن من خلقه

ينبغي أن يُتَنَبَّهُ لمراد من قال من الأئمة: إن الله بائن من الأشياء، ومن قال منهم: إنه تعالى غير مباين، فإنه ليس خلافًا حقيقيًا، بل مراد من قال: «**بائن**» أن الله لا يشبه المخلوقات ولا يماسّها، ومراد من قال: «ليس مباينًا» نفي المباينة الحسيّة المسافية، فمن نقل كلام من قال منهم: «إنه بائن» وحمله على المباينة المسافية والمحاذاة كابن تيمية وابن أبي العز المجسم فقد باين الصواب وقوَّلَ أئمة الحق ما لم يقولوه، فحذار حذار ممن يحمل كلامهم على غير محمله.

قال الحافظ البيهقي في كتابه «الأسماء والصفات» مبيّنا معنى من قال: «ولا مباين عن العرش» ما نصه[١]: «يريد به مباينة الذات التي هي بمعنى الاعتزال أو التباعد، لأن المماسة والمباينة التي هي ضدها، والقيام والقعود، من أوصاف الأجسام والله عزّ وجلّ أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، فلا يجوز عليه ما يجوز على الأجسام، تبارك وتعالى» اهـ.

وقال أيضًا[٢]: «وليست البينونة بالعزلة، تعالى الله ربنا عن الحلول والمماسّة علوًّا كبيرًا» اهـ.

وقال الإمام الحافظ المجتهد المجدد الملامَتِي[٣] عبد الله بن محمد الهرري المعروف بالحبشي رضي الله عنه وأرضاه ما نصه[٤]: «لَأَنَّه سبحانه مباينٌ أي غير مشابِهٍ لجميع المخلوقات في الذات أي ذاته لا يشبه ذوات المخلوقات أي حقيقته لا تشبه الحقائق، وفي الصّفات أي صفاته لا تشبه صفات المخلوقات، وفي الفعل أي فعله لا يشبه فعل المخلوقات لأنَّ فعلَ الله تعالى أزليٌّ أبديٌّ والمفعولَ حادث

---

(١) الأسماء والصفات (ص/ ٤١٠ – ٤١١).

(٢) الأسماء والصفات (ص/ ٤١١).

(٣) مرتبة في الولاية وأهلها شديدو التخفي.

(٤) بغية الطالب (١/ ٥٢ – ٥٣)، الطبعة الثامنة، دار المشاريع، بيروت لبنان.

كما أنَّ قدرةَ الله تعالى أزليّة».

**٢٢- يقول المجسم ابن أبي العز[١]: «فمن شعر أمية بن أبي الصلت:**

**مجـدوا الله فهو للمجد أهل ربنا في السماء أمسى كبيرا».**

**وقال[٢]: «ومن شعر عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، الذي عرض به عن القراءة لامرأته حين اتهمته بجاريته:**

**شـهـدت بـأن وعـد الله حق وأن النار مثوى الكافرينا**

**وأن العرش فوق الماء طاف وفـوق العرش رب العالمين**

الرد: أجمعت الأمة سلفا وخلفا على تنزيه الله عن صفات الأجسام من قعود وجلوس واستقرار وجهة ومكان. أما هذا المجسم فإنه يسعى فسادا لإثبات مذهبه الرديء فلا يستحي من التدليس لينصر رأيه ورأي المجسمة.

**وقال المجسم ابن أبي العز[٣] مفتريًا على أبي حنيفة ومحرفًا لكلامه زاعماً أن الله له مكان وأنه في السماء بذاته ومن نفى ذلك فقد كفر فما أعجبها من وقاحةٍ فأبو حنيفة رضي الله عنه يكفر من توهم أن الله له مكان وهذا المجسم يكفر من لا يثبت لله المكان فما أعظمها من سخافة تشهد على تحريف وكذب المجسمة وأنه لا يعتمد على نقلهم ولا يوثق بقولهم فقد ثبت أنهم يحرفون نصوص الأئمة لذلك قيل فيهم لصوص النصوص: «فمنه: ما روى أبو إسماعيل الأنصاري في كتابه: الفاروق، بسنده إلى مطيع البلخي: أنه سأل أبا حنيفة عمن قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض؟ فقال: قد كفر؛ لأن الله يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ وعرشه فوق سبع سماوات، قلت: فإن قال: إنه على العرش، ولكن يقول: لا أدري العرش في السماء أم في الأرض؟ قال: هو كافر، لأنه أنكر أنه في السماء، فمن أنكر أنه في السماء**

---

(١) المصدر السابق، (ص/ ٢٦٨).

(٢) المصدر السابق، (ص/ ٢٦٩).

(٣) المصدر السابق، (ص/ ٢٧٩).

فقد كفر. وزاد غيره: لأن الله في أعلى عليين، وهو يدعى من أعلى، لا من أسفل».

الرد: قد سئل الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه عن الاستواء فقال: «من قال لا أعرف الله أفي السماء هو أم في الأرض فقد كفر[1]، لأن هذا القول يوهم أن للحق مكانا ومن توهم أن للحق مكانا فهو مشبه» اهـ.وهذا القول ثابت عن الإمام أبي حنيفة نقله من لا يحصى كالإمام أبي منصور الماتريدي (ت٣٣٣هـ) في شرحه على «الفقه الأكبر»[2] والإمام أحمد الرفاعي في «البرهان المؤيد»[3] والعز ابن عبد السلام في حل الرموز[4]، والشيخ تقي الدين الحصني في «دفع شبه من شبه وتمرد»[5] وشمس الدين الرملي في فتاويه[6] والنفراوي في «الفواكه الدواني»[7] وغيرهم.

وأما ما قاله المجسم ابن القيم في نونيته[8]:

وكذلك النعمان قال وبعده ... يعقوب والألفاظ للنعمان

من لم يقر بعرشه سبحانه ... فوق السماء وفوق كل مكان

ويقر أن الله فوق العرش لا ... يخفى عليه هواجس الأذهان

فهو الذي لا شك في تكفيره ... لله درك من إمام زمان

هو الذي في الفقه الأكبر ... عندهم وله شروح عدة لبيان

---

(١) انظر «الفقه الأبسط» (ص/ ٤٩) لأبي حنيفة.

(٢) انظر شرحه على الفقه الأكبر (ص/ ٢٥).

(٣) البرهان المؤيد (ص/ ١٨).

(٤) انظر كتاب حل الرموز ومفاتيح الكنوز(ص/ ٤٤).

(٥) دفع شبه من شبّه وتمرّد (ص/ ٣١).

(٦) فتاوى شمس الدين محمد الرملي بهامش الفتاوى الكبرى الفقهية لابن حجر الهيتمي (٤/ ٢٦٧).

(٧) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (١/ ٨٢).

(٨) انظر الكتاب (ص/ ٦٨-٦٩).

أقول: إن هذا المجسم يريد أن يروّج بدعته هذه بالكذب على الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه[1]. وهذا الفقه الأكبر بين أيدينا فليراجعه من شاء، وغير غريب أن يكذب هذا الرجل فإنه مبتدع داعية إلى بدعته غال فيها كلَّ الغلو، وكلّ مبتدع هذا شأنه لا يتوقى الكذب لينصر بدعته، فهذا «الفقه الأكبر»[2] فيه:

«والله واحد لا من طريق العدد ولكن من طريق أنه لا شريك له ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[3] لا يشبه شيئًا من خلقه ولا يشبهه شيءٌ من خلقه».

وفيه[4]: «وصفاته في الأزل غير محدثة ولا مخلوقة، فمن قال إنها مخلوقة أو محدَثة أو توقَّفَ فيها أو شك فيها فهو كافر بالله تعالى».

وفيه[5]: «وهو شيءٌ لا كالأشياء. ومعنى الشيء[6] إثباته بلا جسم ولا عَرَض ولا حد له[7] ولا ضد له ولا نِد له ولا مِثل له».

---

(١) مع أن المجسمة في كتابهم المسمى بالسنة (المنسوب) لعبد الله بن أحمد بن حنبل (١/ ١٩٧-٢١١) ساقوا جملة من اتهامات وشتائم تصف أبا حنيفة بأنه: (كافر، زنديق، مات جهميًا، كان مرجئًا، ينقض الإسلام عروة عروة، ما ولد في الإسلام أشأم ولا أضر على الأمة منه، وأنه يكيد الدين!! وأنه أبو جيفة!! استتيب من الكفر مرتين). اهـ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(٢) شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري (ص/ ٦٠ - ٦٤).

(٣) سورة الإخلاص/ ءاية ١-٤.

(٤) شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري (ص/ ٩١).

(٥) شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري (ص/ ١١٧-١٢٠).

(٦) الشيء له إطلاقان: الأول الموجود وهو المراد بقولهم: الله شيء لا كالأشياء، والثاني: ما تعلقت به مشيئة الله أي ما خُلِقَ وحدث بمشيئة الله. وبمعنى الأول قوله تعالى ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ﴾ وبمعنى الثاني قوله ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(٧) وهذه عقيدة السلف الصالح تنزيه الله عن الحد، فقد روى الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٧٣) عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: من زعم أن إلهنا محدود فقد جهل الخالق المعبود» اهـ وقال الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ) في جامع البيان عن تأويل آي القرءان في تفسير سورة الحديد (٢٧/ ٢١٥): هو الأول قبل كل شيء بغير حد. اهـ

وفيه أيضا[1]: «ويراه المؤمنون وهم في الجنة بأعين رؤوسهم بلا تشبيه ولا كيفية ولا كمية ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة».

وفي «الوصية»[2] للإمام أبي حنيفة: «ولقاء الله تعالى لأهل الجنة حق بلا كيفية ولا تشبيه ولا جهة».

وفي «الوصية»[3] للإمام: «نقر بأن الله على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة إليه واستقرار عليه وهو الحافظ للعرش وغير العرش، فلو كان محتاجا لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوق ولو كان محتاجا إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان الله تعالى! تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. اهـ

وفي «الفقه الأبسط»[4] للإمام: «من قال لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض فهو كافر[5]، وكذا من قال إنه على العرش ولا أدري العرش أفي السماء أو في الأرض»اهـ

---

(١) شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري (ص/ ٢٤٥-٢٤٦)، وإشارات المرام للقاضي كمال الدين البياضي الحنفي (ص/ ٢٠٢-٢٠٣).

(٢) انظر شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري (ص/ ٢٤٦)، وإشارات المرام للبياضي (ص/ ٢٠١)، وشرح وصية الإمام أبي حنيفة لأكمل الدين البابرتي الحنفي (ص/ ١٤٢).

(٣) انظر شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري (ص/ ١٢٦-١٢٧)، وإشارات المرام للبياضي (ص/ ١٩٥)، وشرح وصية الإمام أبي حنيفة لأكمل الدين البابرتي الحنفي (ص/ ٩٧).

(٤) الفقه الأبسط للإمام (ص/ ٤٩)، وإشارات المرام للبياضي (ص/ ٢٠٠).

(٥) قال الشيخ محمد زاهد الكوثري في تعليقه على الفقه الأبسط (ص/ ٤٩): ولم يذكر في المتن وجه كفره فبينه الشارح أبو الليث السمرقندي (٣٧٣هـ) بقوله: «لأنه بهذا القول يوهم أن يكون له تعالى مكان فكان مشركا» اهـ ويدل على ذلك ما سيجيء في المتن: قلت: أرأيت لو قيل أين الله تعالى؟ يقال له: كان الله تعالى ولا مكان قبل أن يخلق الخلق، وكان الله تعالى ولم يكن أين ولا خلق ولا شيء، وهو خالق كل شيء»اهـ يعني فلا تتصور الأينية إلا في حادث. ومما يدل على ذلك أيضًا قول الطحاوي في كتابه بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن رحمهم الله: ومن لم يتوق النفي والتشبيه، زل ولم يصب التنزيه، فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية، منعوت بنعوت الفردانية، ليس في معناه أحد من البرية. تعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات ولا تحويه الجهات الست كسائر المبدعات»اهـ وهذا جلي واضح مستغن عن الايضاح. اهـ كلام الكوثري.

وقال أيضا[1]: «كان الله تعالى ولا مكان، كان قبل أن يخلق الخلق،كان ولم يكن أين ولا خلق ولا شيء، وهو خالق كل شيء» اهـ.

وإنما كفَّر الإمام قائل هاتين العبارتين[2] لأنه جعل الله مختصًّا بجهة وحيز، وكلّ ما هو مختص بالجهة والتحيز فإنه محتاج محدث بالضرورة أي بلا شك، وليس مراده كما زعم المشبهة إثبات أن السماء والعرش مكان لله تعالى بدليل كلامه السابق الصريح في نفي الجهة عن الله -وقد نقلنا ذلك-، ومن ذلك قوله: «ولو كان محتاجا إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان» اهـ.

ففي هذه إشارة من الإمام رضي الله عنه إلى إكفار من أطلق التشبيه والتحيز على الله كما قال العلامة البَيَاضي الحنفي في «إشارات المرام» والشيخ الكوثري في «تكملته»[3] وغيرهما.

وفي «شرح الفقه الأكبر»[4] لملا علي القاري: «ثم قال[5]: ومنه ما روي عن أبي مطيع البلخي أنه سأل أبا حنيفة رحمه الله عمن قال: لا أعرف ربي في السماء هو أم في الأرض، فقال: قد كفر لأن الله تعالى يقول: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[6]، وعرشه فوق سبع سمواته، قلت: فإن قال إنه على العرش ولا أدري العرش في السماء أم في الأرض، قال: هو كافر لأنه أنكر كونه في السماء فمن أنكر أنه في السماء فقد كفر لأن الله تعالى في أعلى عليين وهو يدعى من أعلى لا من أسفل» اهـ.

---

(١) الفقه الأبسط (ص/ ٥٧)، وإشارات المرام (ص/ ١٩٧).

(٢) أي من قال لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض، وكذا من قال إنه على العرش ولا أدري العرش أفي السماء أو في الأرض. اهـ

(٣) تكملة الرد على النونية (ص/ ١٤٣).

(٤) شرح الفقه الأكبر (ص/ ٣٣٣-٣٣٤).

(٥) أي ابن أبي العز الحنفي الدمشقي (٧٩٢هـ) وقد حشا شرحه بعبارات التجسيم والتشبيه، وقد طبع كتابه عدة مرات، وءاخرها مع تعليق محمد ناصر الدين الألباني الوهابي، فزاد الكتاب بعبارات التجسيم.

(٦) سورة طه/ ءاية ٥.

والجواب أنه ذكر الشيخ الإمام ابن عبد السلام في كتاب «حل الرموز»[1] أنه قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: «من قال لا أعرف الله تعالى في السماء هو أم في الأرض كفر، لأن هذا القول يوهم أن للحق مكانا ومن توهم أن للحق مكانا فهو مشبه» اهـ.

ولا شك أن ابن عبد السلام من أجل العلماء وأوثقهم فيجب الاعتماد على نقله لا على ما نقله الشارح[2]، مع أن أبا مطيع رجل وضاع عند أهل الحديث كما صرح به غير واحد[3]» انتهى كلام ملا علي القاري.

**أقول**: والعجب من ابن أبي العز أنه اعتمد على هذه الرواية، مع أنه في موضع ءاخر من شرحه يضعف أبا مطيع البلخي، وينقل تضعيفه عن أحمد والبخاري وغيرهما[4] اهـ.

قال الشيخ مصطفى أبو السيف الحمامي في كتابه «غوث العباد ببيان الرشاد»[5] بعد أن نقل كلام ملا علي القاري: «ومنه يعلم أمور: الأمر الأول: أن تلك المقالة ليست في الفقه الأكبر، وإنما نقلها عن أبي حنيفة ناقل فيكون إسنادها إلى الفقه الأكبر كذبا يراد به ترويج البدعة.

الأمر الثاني: أن هذا الناقل مطعون فيه بأنه وضاع لا يحل الاعتماد عليه في نقل يبنى عليه حكم فرعيّ فضلا عن أصلي فالاعتماد عليه وحاله ما ذكر خيانة

(١) انظر كتاب حل الرموز ومفاتيح الكنوز (ص٤٤).
(٢) شارح عقيدة الطحاوي وهو ابن أبي العز الحنفي.
(٣) أبو مطيع البلخي هذا: مترجم في ميزان الاعتدال (٢/ ٣٣٩-٣٤٠)، وذكره ابن حبان في كتاب المجروحين (١/ ٣٠٤).
(٤) وعبارته هناك (ص/ ٤٨٠) نقلا عن ابن كثير: وأما أبو مطيع، فهو: الحكم بن عبد الله بن مسلمة البلخي، ضعفه أحمد ابن حنبل، ويحيى بن معين، وعمرو بن علي الفلاس، والبخاري، وأبو داود، والنسائي، وأبو حاتم الرازي، وأبو حاتم محمد بن حبان البستي، والعقيلي، وابن عدي، والدارقطني، وغيرهم. اهـ
(٥) غوث العباد (ص/ ١١٩-١٢٠).

يريد الرجل بها أن يروّج بدعته.

الأمر الثالث: أن هذا النقل صرّح إمام ثقة هو ابن عبد السلام بما يكذبه عن أبي حنيفة بالنقل الذي نقله عن هذا الإمام الأعظم رضي الله عنه، فاعتماد الكذاب وإغفال الثقة خيانة يراد به تأييد بدعته وهي جرائم تكفي واحدة منها فقط لأن تسقط الرجل من عداد العدول العاديين لا أقول من عداد العلماء أو أكابر العلماء أو الأئمة المجتهدين، ويعظم الأمر إذا علمنا أن الخيانات الثلاث في نقل واحد وهو مما يرغم الناظر في كلام هذا الرجل على أن لا يثق بنقل واحد ينقله فإنه لا فرق بين نقل ونقل، فإذا ثبت خيانته في هذا جاز أن تثبت في غيره وغيره» انتهى كلام الحمامي.

ولهذا قال الشيخ العلامة الفقيه أبو المحاسن محمد القاوقجي الطرابلسي الحنفي (١٣٠٥هـ) في كتابه «الاعتماد في الاعتقاد» ما نصه: «ولا يقال لا يعلم مكانه إلا هو، ومن قال لا أعرف الله في السماء أم في الأرض كفر، لأنه جعل أحدهما له مكانا. فإن قال لك: ما دليلك على ذلك؟ فقل لأنه لو كان له جهة أو هو في جهة لكان متحيزا، وكل متحيز حادث (مخلوق)، والحدوث عليه محال»[١] اهـ.

وقال ملا علي القاري في «شرح الفقه الأكبر»[٢]: «فمن أظلم ممن كذب على الله أو ادعى ادعاء معينًا مشتملًا على إثبات المكان والهيئة والجهة من مقابلة وثبوت مسافة وأمثال تلك الحالة، فيصير كافرًا لا محالة. اهـ

وقال: «البدعة لا تزيل الإيمان والمعرفة». ثم استثنى منها فقال: إلا التجسيم وإنكار علم الله سبحانه بالجزئيات فإنه يكفر بهما بالإجماع من غير نزاع[٣] اهـ.

وقال ملا عليّ القاري في شرحه على الفقه الأكبر[٤]: ثم قال القونوي: وفي

(١) الاعتماد في الاعتقاد (ص/ ٢١).
(٢) شرح الفقه الأكبر (ص/ ٣٥٥).
(٣) شرح الفقه الأكبر(ص/ ٢١٢-٢١٣) طبعة دار البشائر.
(٤) شرح الفقه الأكبر (ص/ ٢١٩).

قوله (يعني الإمام أبا حنيفة) «بذنب» إشارة إلى تكفيره بفساد اعتقاده كفساد اعتقاد المجسمة والمشبهة والقدرية ونحوهم. اهـ

وقال ملا علي القاري ما نصه[1]: نعم من اعتقد أن الله لا يعلم الأشياء قبل حصولها فهو كافر وإن عد قائله من أهل البدع، وكذا من قال بأنه سبحانه جسم وله مكان ويمر عليه زمان ونحو ذلك فإنه كافر حيث لم تثبت له حقيقة الإيمان. اهـ

وأما ما نسبه المجسم ابن القيم إلى يعقوب وهو الإمام أبو يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنهما، قال الشيخ مصطفى الحمامي الذي هو أحد علماء الأزهر[2]: «لا شك في أنه كذب يروج به هذا الرجل بدعته» اهـ وكذا قال الكوثري في «تكملته»[3] اهـ.فبهذا ينتسف ما قاله المجسم ابن القيم.

وكذلك ما تنسبه الوهابية إلى أبي حنيفة أنه قال: «الله في السماء» فغير ثابت ففي سنده أبو محمد بن حيّان ونعيم بن حماد[4] ونوح بن أبي مريم أبو عصمة[5]، فالأول ضعفه بلديه الحافظ العسال. ونعيم بن حماد مجسم. وكذا زوج أمه نوح ربيب مقاتل بن سليمان شيخ المجسمة. فنوح أفسده زوج أمه ونعيم أفسده زوج أمه، وقد ذكره كثير من أئمة أصول الدين في عداد المجسمة[6]، فأين التعويل على رواية مجسم فيما يحتج به لمذهبه؟!، قال الحافظ ابن الجوزي في «دفع شبه التشبيه»[7] عن نعيم بن حماد: «قال ابن عدي: كان يضع الأحاديث[8]، وسئل عنه الإمام أحمد فأعرض بوجهه عنه وقال: حديثه منكر مجهول. اهـ

---

(١) شرح الفقه الأكبر (ص/ ٤٤٩).

(٢) غوث العباد (ص/ ١٢٠).

(٣) تكملة الرد على النونية (ص/ ٩١ و١٤٣).

(٤) انظر تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٦١-٤٦٣).

(٥) انظر تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٨٦-٤٨٩).

(٦) تكملة الرد على النونية (ص/ ١٤٣).

(٧) دفع شبه التشبيه (ص/ ٣٣ - ٣٤)

(٨) الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي(٧/ ٢٤٨٢).

فإن قالت الوهابية: ذكره الذهبي نقلا عن البيهقي في «الأسماء والصفات».

قلنا: رواه البيهقي في «الأسماء والصفات»[1] وقال: «إن صحت الحكاية»، فهذا يدل على عدم أمانة الذهبي في النقل حيث أغفل هذا القيد ليوهم القارئ أن القول بأن الله في السماء كلام إمام مثل أبي حنيفة.

قال الشيخ الكوثري في تكملته[2]: «وقد أشار البيهقي بقوله: «إن صحت الحكاية» إلى ما في الرواية من وجوه الخلل» اهـ.على أن الإمام البيهقي ذكر في «الأسماء والصفات» في كثير من المواضع أن الله منزه عن المكان والحد ومن ذلك قوله[3]: «وما تفرد به الكلبي وأمثاله يوجب الحد، والحد يوجب الحدث لحاجة الحد إلى حاد خصه به، والبارئ قديم لم يزل» اهـ.وقوله[4]: «وأن الله تعالى لا مكان له»، ثم قال: «فإن الحركة والسكون والاستقرار من صفات الأجسام والله تعالى أحد صمد ليس كمثله شيء» اهـ.

وقوله[5]: «والمجيء والنزول صفتان منفيتان عن الله تعالى من طريق الحركة والانتقال من حال إلى حال بل هما صفتان من صفات الله تعالى بلا تشبيه، جل الله تعالى عما يقول المعطلة لصفاته والمشبهة بها علوا كبيرًا» اهـ.

فوضح بعد هذا البيان الشافي أن دعوى إثبات المكان لله تعالى أخذا من كلام أبي حنيفة رضي الله عنه افتراء عليه وتقويل له بما لم يقل.

---

(١) الأسماء والصفات (ص/ ٣٩٧).

(٢) تكملة الرد على النونية (ص/ ١٤٣).

(٣) الأسماء والصفات (ص/ ٣٨٤-٣٨٥).

(٤) الأسماء والصفات (ص/ ٤١٤).

(٥) الأسماء والصفات (ص/ ٤٢١).

* وقد ثبت عن الإمام مالك رضي الله عنه ما رواه الحافظ البيهقي في كتابه «الأسماء والصفات»[١]، بإسناد جيد كما قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في «الفتح»[٢] من طريق عبد الله بن وهب قال: كنا عند مالك بن أنس فدخل رجل فقال: يا أبا عبد الله، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[٣]، كيف استواؤه؟ قال: فأطرق مالك وأخذته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ كما وصف نفسه، ولا يقال كيفَ وكَيْفَ عنه مرفوعٌ، وأنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجوه، قال: فأخرج الرجل. اهـ

فقول الإمام مالك: «وكيف عنه مرفوع» أي ليس استواؤه على العرش كيفا أي هيئة كاستواء المخلوقين من جلوس ونحوه. وقوله: «أنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجوه»، وذلك لأن الرجل سأله بقوله كيف استواؤه، ولو كان الذي حصل مجرد سؤال عن معنى هذه الآية مع اعتقاد أنها لا تؤخذ على ظاهرها ما كان اعترض عليه.

قال المحدث الشيخ سلامة القضاعي العزامي[٤] (١٣٧٦هـ) -من علماء الأزهر- عن قول مالك لذاك الرجل «صاحب بدعة»: لأن سؤاله عن كيفية الاستواء يدل على أنه فهم الاستواء على معناه الظاهر الحسي الذي هو من قبيل تمكن جسم على جسم واستقراره عليه، وإنما شك في كيفية هذا الاستقرار. فسأل عنها، وهذا هو التشبيه بعينه الذي أشار إليه الإمام بالبدعة. اهـ

وروى الحافظ البيهقي[٥] من طريق يحيى بن يحيى قال: كنا عند مالك بن

---

(١) الأسماء والصفات (ص/ ٣٧٩).
(٢) فتح الباري (١٣/ ٤١٧)، وصحح سنده الذهبي في كتابه العلو (ص/ ١٣٨-١٣٩).
(٣) سورة طه/ ءاية ٥.
(٤) فرقان القرءان بين صفات الخالق وصفات الأكوان (ص/ ١٦).
(٥) الأسماء والصفات (ص/ ٣٧٩).

أنس فجاء رجل فقال: يا أبا عبد الله، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾، فكيف استوى؟ قال: فأطرق مالك رأسه حتى علاه الرحضاء، ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعا، فأمر به أن يخرج. اهـ

قوله: «الاستواء غير مجهول» أي أنه معلوم وروده في القرءان[1]، ولا يعني أنه بمعنى الجلوس ولكن كيفية الجلوس مجهولة، كما زعم بعض المجسمة، وقوله: «والكيف غير معقول» معناه أن الاستواء بمعنى الكيف أي الهيئة كالجلوس لا يعقل أي لا يقبله العقل، لكونه من صفات الخلق، لأن الجلوس لا يصح إلا من ذي أعضاء أي كأليةٍ وركبةٍ، وتعالى الله عن ذلك، فلا معنى لقول المشبهة: الاستواء معلوم والكيفية مجهولة[2]، يقصدون بذلك أن الاستواء الجلوس لكن كيفية جلوسه غير معلومة، لأن الجلوس كيفما كان لا يكون إلا بأعضاء، وهؤلاء يوهمون الناس أن هذا مراد مالك رضي الله عنه. فلا يُغترّ بتمويهاتهم.

قال الحافظ اللغوي محمد مرتضى الزبيدي في شرح «الإحياء» ما نصه[3]: «وقال ابن اللبان[4] في تفسير قول مالك، قوله: «كيف غير معقول» أي كيف من صفات الحوادث، وكل ما كان من صفات الحوادث فإثباته في صفات الله تعالى ينافي ما يقتضيه العقل، فيجزم بنفيه عن الله تعالى، قوله: «والاستواء غير مجهول» أي أنه معلوم المعنى عند أهل اللغة، «والإيمان به» على الوجه اللائق به تعالى «واجب» لأنه من الإيمان بالله وبكتبه» اهـ.

---

(١) قال المحدث الشيخ سلامة العزامي في فرقان القرءان بين صفات الخالق وصفات الأكوان (ص/ ١٧): يعني أن الاستواء معلوم الورود في الكتاب. اهـ قلت: وهذا معنى ما رواه اللالكائي في شرح السنة (٣/ ٤٤١-٤٤٢) عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها وربيعة بن عبد الرحمٰن شيخ الإمام مالك أنهما قالا: «الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول» اهـ.

(٢) هذا اللفظ لم يثبت عن مالك ولا عن غيره من الأئمة رواية فلا اعتداد به.

(٣) إتحاف السادة المتقين (٢/ ٨٢).

(٤) في كتابه إزالة الشبهات(ص/ ١٠٥) لابن اللبان (ت٧٤٩هـ).

فنفي الكيف عن الله تعالى أي الهيئة وكل ما كان من صفات الخلق، كالجلوس والاستقرار والحركة والسكون وما شابه ذلك، محل اتفاق بين علماء أهل السنة والجماعة سلفا وخلفا.

قال الإمام الترمذي (٢٧٩ هـ) في سننه(١): والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثوري ومالك بن أنس وابن المبارك وابن عيينة ووكيع وغيرهم أنهم رووا هذه الأشياء ثم قالوا: تروى هذه الأحاديث ونؤمن بها ولا يقال كيف. اهـ

وروى الحافظ البيهقي في كتابه الاعتقاد(٢) عن الوليد بن مسلم، قال: سئل الأوزاعي ومالك وسفيان الثوري والليث بن سعد عن هذه الأحاديث(٣) فقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيفية. اهـ

ونقل الحافظ البيهقي(٤) في الأسماء والصفات عن الأئمة الأربعة والسفيانين والحمادين والأوزاعي والليث وشعبة وشريك وأبي عوانة وغيرهم، أنهم نَفَوْا عن الله تعالى الكيف. اهـ

أي ليس كما تدعي المجسمة(٥) أن السلف يثبتون لله كيفية أي هيئة لكن غير معلومة لنا. تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

قال الإمام أبو سليمان الخطابي(٣٨٨هـ) في كتابه «أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري» ما نصه(٦): «وليس معنى قول المسلمين: إن الله على العرش هو

---

(١) سنن الترمذي، باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار (٤/ ٦٩٢).

(٢) الاعتقاد (ص/ ٤٤).

(٣) أي الأحاديث المتشابهة في الصفات.

(٤) الأسماء والصفات (٣٨٠و٣٩٤و٣٩٥و٤١٨و٤٢١) وانظر فتح الباري للحافظ ابن حجر (٣/ ٣٠).

(٥) انظر قول الوهابية في شرح العقيدة الواسطية (١/ ٩٩): إن معنى قولنا «بدون تكييف» ليس معناه ألا نعتقد لها كيفية بل نعتقد لها كيفية لكن المنفي علمنا بالكيفية. اهـ

(٦) أعلام الحديث، (٢/ ١٤٧٤)، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ

أنه مماس له أو متمكن فيه أو متحيز في جهة من جهاته، لكنه بائن من جميع خلقه، وإنما هو خبر جاء به التوقيف فقلنا به، ونفينا عنه التكيف، إذ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. اهـ

وقوله: «بائن من جميع خلقه» أي غير مشابه للخلق، لا بمعنى أنه متباعد عن الخلق بالمسافة، وينبغي أن يُتَنَبَّه لمراد من قال من الأئمة: إنه بائن من الأشياء، ومن قال منهم: إنه تعالى غير مباين، فإنه ليس خلافًا حقيقيًا، بل مراد من قال: بائن، أنه لا يشبهها ولا يماسها، ومراد من قال: ليس مباينًا، نَفْيُ المباينة الحسية المسافية. فمن نقل كلام من قال: منهم إنه بائن، وحمله على المباينة المسافية والمحاذاة كابن تيمية فقد باين الصواب وقَوَّلَ أئمة أهل الحقّ ما لم يقولوه، فَحَذَارِ حَذَار ممن يحمل كلامهم على غير محمله.

وقال الإمام أبو سليمان الخطابي في كتابه «أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري» ما نصه[1]: فإن الذي يجب علينا وعلى كل مسلم أن نعلم أنَّ ربنا عز وجل ليس بذي صورة ولا هيئة، فإن الصورة تقتضي الكيفية، وهي عن الله وعن صفاته منفية. اهـ

وفي «الأسماء والصفات» للبيهقي[2] عن أبي الحسن علي بن محمد الطبري، وجماعة ءاخرين من أهل النظر ما نصه: والقديم سبحانه عالٍ[3] على عرشه

---

﴿ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ﴾ [سورة الروم/ الآية ٢٧]، وانظر الأسماء والصفات للبيهقي (ص/ ٣٦٩) وفتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر، باب وكان عرشه على الماء (١٣/ ٤٢٤).

(١) أعلام الحديث (١/ ٥٢٩)، وانظر الأسماء والصفات للبيهقي (ص/ ٢٨٢).

(٢) الأسماء والصفات (ص/ ٣٨٠-٣٨١).

(٣) عالٍ على عرشه علو قدر وفضل كما يتضح من السياق، لا علو جهة ومكان. قال اللغوي إبراهيم بن السّري الزّجاج أحد مشاهير اللغويين (٣١١هـ) في كتاب تفسير أسماء الله الحسنى (ص/ ٦٠) ما نصه: «والله تعالى عالٍ على كل شيء، وليس المراد بالعلو: ارتفاع المحلِّ، لأن الله تعالى يجلُّ عن المحلِّ والمكان، وإنما العُلو علوُّ الشأن وارتفاعُ السلطان» اهـ. وقد أصدرت مجلة الأزهر، وهي مجلة دينية علمية تصدرها مشيخة الأزهر، في المحرم سنة ١٣٥٧هـ=

لا قاعد ولا قائم ولا مماس ولا مباين عن العرش، يريد به مباينة الذات التي هي بمعنى الاعتزال أو التباعد، لأن المماسة والمباينة التي هي ضدها والقيام والقعود من صفات الأجسام، والله عز وجل أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفُوًا أحد. فلا يجوز عليه ما يجوز على الأجسام تبارك وتعالى.

وحكى الأُستاذ أبو بكر بن فورك هذه الطريقة عن بعض أصحابنا أنه قال: استوى بمعنى علا، ثم قال ولا يريد بذلك علوًا بالمسافة والتحيز والكون في مكان متمكنًا فيه. اهـ

إلى أن قال البيهقي(١) نقلا عن بعض أهل العلم: وجوابي هو الأول وهو أن الله مستو على عرشه وأنه فوق(٢) الأشياء بائن منها بمعنى أنها لا تحله ولا يحلها ولا يمسها ولا يشبهها، وليست البينونة بالعزلة تعالى الله ربنا عن الحلول والمماسة علوًا كبيرًا. انتهى كلام البيهقي بنصه.

قال الإمام أبو المظفر الأسفرايني (٤٧١هـ) في كتابه «التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين» في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة(٣): «وأن

---

= في تفسير سورة الأعلى، (ص/ ١٦): «والأعلى صفة الرب، والمراد بالعلو العلو بالقهر والاقتدار، لا بالمكان والجهة، لتنزهه عن ذلك» وفي (ص/ ١٧): «واعلم أن السلف قائلون باستحالة العلو المكاني عليه تعالى خلافا لبعض الجهلة الذين يخبطون خبط عشواء في هذا المقام فإن السلف والخلف متفقان على التنزيه» انتهى.

(١) الأسماء والصفات (ص/ ٣٨١-٣٨٢).

(٢) فوقية القهر والقدرة، قال القرطبي في تفسيره للآية: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [سورة الأنعام/ الآية ١٨] (٨/ ٣٣٦): ومعنى «فوق عباده» فوقية الاستعلاء بالقهر والغلبة عليهم أي هم تحت تسخيره لا فوقية مكان كما تقول: السلطان فوق رعيته أي بالمنزلة والرفعة. وفي القهر معنى زائد ليس في القدرة، وهو منع غيره عن بلوغ المراد. اهـ وقال ملا علي القاري في شرح الفقه الأكبر (ص/ ٣٣٢): وأما علوه على خلقه المستفاد من نحو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ فعلو مكانة ومرتبة لا علو مكان كما هو مقرر عند أهل السنة والجماعة. اهـ

(٣) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين (ص/ ١٦١-١٦٢). وفي منح الجليل شرح مختصر خليل للشيخ محمد أحمد عليش مفتي الديار المصرية الأسبق (ت١٢٩٩هـ)=

تعلم أنه لا يجوز عليه الكيفية والكمية والأينية، لأن من لا مثل له لا يمكن أن يقال فيه كيف هو، ومن لا عدد له لا يقال فيه كم هو، ومن لا أول له لا يقال له مم كان، ومن لا مكان له لا يقال فيه أين كان، وقد ذكرنا من كتاب الله تعالى ما يدل على التوحيد ونفي التشبيه ونفي المكان والجهة ونفي الابتداء والأولية، وقد جاء فيه عن أمير المؤمنين علي[1] رضي الله عنه أشفى البيان حين قيل له: **أين الله**؟ فقال: إن الذي أين الأين لا يقال له أين. فقيل له: **كيف الله**؟ فقال: إن الذي كيف الكيف لا يقال له كيف» اهـ.

فتبين أن مراد السلف بِلا كيفية نفي الجلوس والاستقرار والحركة والأعضاء ونحو ذلك مما هو من صفات الأجسام. ولا يقصدون أن استواءه على العرش وإتيانه له كيفية لا نعلمها نحن، والله يعلمها، بل المراد نفي الكيفية عنه البتّة. وليعلم العاقل أن الجلوس كيفما كان افتراشًا أو تربعًا أو غيرهما فهو كيفية لأنه لا يخرج عن كونه من صفات الأجسام. وهكذا التحيز في المكان كيفيةٌ من كيفيات الأجسام، واللون والمماسة لجسم من الأجسام كيفية فهي منفية عن الله تعالى.

وقال القاضي عياض المالكي (٥٤٤هـ) في كتابه إكمال المعلم بفوائد مسلم[2]: ويا ليت شعري! ما الذي جمع ءاراء كافة أهل السُّنَّة، والحقُّ على تصويب القول بوجوب الوقوف عن التفكر في الذَّات كما أُمروا، وسكتوا لحيرة العقل هناك وسلموا، وأطبقوا على تحريم التَّكييف والتخييل والتَّشكيل، وأنَّ ذلك من

---

= (٢/ ٣٤٠) ما نصه: قال علي كرم الله تعالى وجهه حين قيل له أين الله: الذي أين الأين لا يقال فيه أين. اهـ فبين للسائل فساد سؤاله بأن الأينية مخلوقة، والذي خلقها كان موجودا قبل خلقها لا محالة، ولا أينية له، وصفاته تعالى لا تتغير فهو بعد أن خلق الأينية على ما كان قبل خلقها. اهـ

(١) وفي تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر (٧/ ٢٣٧) وكنز العمال للمتقي الهندي(١/ ٤٠٧) وغيرهما: أن يهوديا أتى عليا رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين متى كان الله، فقال له سيدنا علي: إنما يقال متى كان لمن لم يكن ثم كان، فأما من يزل بلا كيف يكون كان بلا كينونة، كائن لم يزل قبل القبل وبعد البعد لا يزال بلا كيف، فأسلم. اهـ

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٢/ ٤٦٥).

وقوفهم وحيرتهم، غير شكٍّ في الوجود أو جهل بالموجود، وغير قادح في التَّوحيد بل هو حقيقة عندهم. اهـ ونقله عنه النووي (٦٧٦هـ) في شرح مسلم[1] وأقره.

وقال القاضي أبو محمد عبد الوهاب البغدادي المالكي (٤٢٢هـ)[2]: «واعلم أن الوصف له تعالى بالاستواء اتباع للنص، وتسليم للشرع، وتصديق لما وصف نفسه تعالى به، ولا يجوز أن يثبت له كيفية، لأن الشرع لم يرد بذلك، ولا أخبر النبي عليه السلام فيه بشيء، ولا سألته الصحابة عنه، ولأن ذلك يرجع إلى التنقل والتحول وإشغال الحيز والافتقار إلى الأماكن، وذلك يؤول إلى التجسيم، وإلى قدم الأجسام، وهذا كفر عند كافة أهل الإسلام، وقد أجمل مالك رحمه الله الجواب عن سؤال من سأله: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[3]، كيف استوى؟ فقال: الاستواء منه غير مجهول، والكيف منه غير معقول، والسؤال عن هذا بدعة، ثم أمر بإخراج السائل» اهـ

أقول: وهذا فيمن سأل كيف استوى فما بالكم بالذي فسره بالجلوس والقعود والاستقرار!؟

ثم إن الإمام مالكًا عالم المدينة وإمام دار الهجرة نجم العلماء أمير المؤمنين في الحديث رضي الله عنه ينفي عن الله الجهة كسائر أئمة الهدى، فقد ذكر الإمام العلامة قاضي قضاة الإسكندرية ناصر الدين بن الـمُنَيِّـر المالكي (٦٨٣هـ) الفقيه المفسر النحوي الأصولي الخطيب الأديب البارع في علوم كثيرة في كتابه «المقتفى في شرف المصطفى» لما تكلم عن الجهة وقرر نفيها، قال: ولهذا المعنى أشار مالك رحمه الله في قوله ﷺ: **«لا تفضلوني على يونس بن متى»**، فقال مالك: إنما خص يونس للتنبيه على التنـزيه لأنه ﷺ رُفع على العرش ويونس عليه السلام هُبط

---

(١) شرح صحيح مسلم (٥/ ٢٥).

(٢) شرح عقيدة الإمام مالك الصغير لأبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني للقاضي أبي محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي المالكي (ص/ ٢٨).

(٣) سورة طه/ ءاية ٥.

إلى قاموس البحر ونسبتهما مع ذلك من حيث الجهة إلى الحق جل جلاله نسبة واحدة، ولو كان الفضل بالمكان لكان عليه الصلاة والسلام أقرب من يونس ابن متى وأفضل مكانا، ولما نـهى عن ذلك، ثم أخذ الفقيه ناصر الدين يبين أن الفضل بالمكانة لا بالمكان» اهـ.

ونقل ذلك عنه أيضًا الإمام الحافظ تقي الدين السبكي الشافعي في كتابه «السيف الصقيل»(1) والإمام الحافظ محمد مرتضى الزبيدي الحنفي في «إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين»(2) وغيرهما.

وأما ما يرويه سريج بن النّعمان عن عبد الله بن نافع عن مالك أنه كان يقول: الله في السماء وعلمه في كل مكان»، فغير ثابت. قال الإمام أحمد: عبد الله بن نافع الصائغ لم يكن صاحب حديث وكان ضعيفا فيه. وقال أبو حاتم: ليس بالحافظ هو لين في حفظه وكتابه أصح، وقال البخاري: يعرف حفظه وينكر وكتابه أصح، قال ابن عدي: يروي غرائب عن مالك، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات وقال: كان صحيح الكتاب وإذا حدث من حفظه ربما أخطأ، وقال ابن فرحون: كان أصم أميا لا يكتب. وراجع ترجمة سريج وابن نافع في كتب الضعفاء، وبمثل هذا السند لا ينسب إلى مثل مالك مثل هذا(3). فبان مما ذكرناه أن ما تنسبه المشبهة للإمام مالك تقول عليه بما لم يقل.

*وقال إمامنا الشافعي رضي الله عنه لما سئل عن الاستواء: «ءامنت بلا تشبيه وصدقت بلا تمثيل واتهمت نفسي في الإدراك وأمسكت عن الخوض فيه كل الإمساك». ذكره الإمام أحمد الرفاعي في «البرهان المؤيد»(4) والعز بن

---

(1) السيف الصقيل (ص/ ٤١-٤٢).

(2) إتحاف السادة المتقين (٢/ ١٠٥).

(3) انظر تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ المزي (ت٧٤٢هـ) (١٦/ ٢١٠)، وتكملة الرد على نونية ابن القيم، للشيخ محمد زاهد الكوثري، المطبوع بهامش السيف الصقيل (ص/ ٩٥) وكتاب إيضاح الدليل للقاضي ابن جماعة (ص/ ١٠٧).

(4) البرهان المؤيد (ص/ ١٨).

عبد السلام في «حل الرموز»[1] والشيخ تقي الدين الحصني في «دفع شبه من شبه وتمرد»[2] والرملي في فتاويه[3] والنفراوي في «الفواكه الدواني»[4] وغيرهم.

وقال أيضًا: «ءامنت بما جاء عن الله على مراد الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله» اهـ. ذكره شيخنا المحدث عبد الله الهرري في كتابه «الصراط المستقيم»[5] والشيخ الحصني في «دفع شبه من شبه وتمرد»[6] وغيرهما كثير، ومعناه لا على ما قد تذهب إليه الأوهام والظنون من المعاني الحسية والجسمية التي لا تجوز في حق الله تعالى.

ولما سئل عن صفات الله تعالى قال: «حرام على العقول أن تمثل الله تعالى وعلى الأوهام أن تحد وعلى الظنون أن تقطع وعلى النفوس أن تفكر وعلى الضمائر أن تعمق وعلى الخواطر أن تحيط إلا ما وصف به نفسه -أي الله- على لسان نبي الله ﷺ. اهـ ذكره الشيخ ابن جهبل في رسالته في نفي الجهة عن الله التي رد فيها على المجسم ابن تيمية[7].

وقال إمامنا الشافعي رضي الله عنه أيضًا جامعا جميع ما قيل في التوحيد: «من انتهض لمعرفة مدبره فانتهى إلى موجود ينتهي إليه فكره فهو مشبه، وإن اطمأنَّ إلى العدم الصرف فهو معطل، وإن اطمأن لموجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحد» اهـ. ذكر ذلك عنه الإمام أحمد الرفاعي في البرهان المؤيد[8]، والإمام بدر

---

(١) حل الرموز (ص/ ٤٤).
(٢) دفع شبه من شبّه وتمرّد (ص/ ٣١).
(٣) فتاوى الرملي المطبوع بهامش الفتاوى الكبرى لابن حجر الهيتمي (٤/ ٢٦٧).
(٤) الفواكه الدواني (ص/ ٨٢).
(٥) الصراط المستقيم (ص/ ٧٧).
(٦) دفع شبه من شبّه وتمرّد (ص/ ٨٦).
(٧) انظر طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي: (٩/ ٤٠)، خلال رسالة أحمد بن يحيى بن إسماعيل الشيخ شهاب الدين ابن جهبل الكلابي الحلبي الأصل والتي أولها في (٩/ ٣٤).
(٨) البرهان المؤيد للإمام الرفاعي (ص/ ١٧).

الدين الزركشي [٧٩٤هـ] في تشنيف المسامع[1]، والحافظ ولي الدين أبو زرعة العراقي في الغيث الهامع[2]، وملا علي القاري في شرح الفقه الأكبر[3] وغيرهم[4].

قلت: ما أدقها من عبارة وما أوسع معناها شفى فيها صدور قوم مؤمنين، فرضي الله عنه وجزاه عنّا وعن الإسلام خيرا وقد أخذها من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾[5]، ومن قوله عز وجل: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾[6]. ومن قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾[7]، ومن قوله تعالى: ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ﴾[8]. وكل هذا يدل على أن الإمام الشافعي رضي الله عنه على تنزيه الله عنه عما يخطر في الأذهان من معاني الجسمية وصفاتها كالجلوس والتحيز في جهة وفي مكان والحركة والسكون ونحو ذلك.

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه أيضًا ما نصه: «إنه تعالى كان ولا مكان فخلق المكان وهو على صفة الأزلية كما كان قبل خلقه المكان لا يجوز عليه التغير

---

(١) تشنيف المسامع للزركشي (٤/ ٨٠) ثم قال الزركشي: وهو معنى قول الصديق الأكبر رضي الله عنه: «العجز عن درك الإدراك إدراك» ثم قال (٤/ ٨٢) وفي هذا المقام قال الصديق الأكبر رضي الله عنه: «سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلًا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته» اهـ.
قلت: أي لا يُعرف معرفة إحاطة. اهـ

(٢) الغيث الهامع شرح جمع الجوامع (٣/ ٩١٤).

(٣) شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري (ص/ ٢٦٧).

(٤) وممن قالها بعده إمام الحرمين أبو المعالي الجويني في كتابه العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية (ص/ ٢٣) ونصه: من انتهض لطلب مدبره، فإن اطمأن إلى موجود انتهى إليه فكره فهو مشبه وإن اطمأن إلى النفي المحض فهو معطل، وإن قطع بموجود واعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد، وهو معنى قول الصديق رضي الله عنه، إذ قال: العجز عن درك الإدراك إدراك. اهـ

(٥) سورة الشورى/ ءاية ١١.

(٦) سورة النحل/ ءاية ٤٧.

(٧) سورة مريم/ ءاية ٥٦.

(٨) سورة إبراهيم/ ءاية ١٠.

في ذاته ولا التبديل في صفاته»[١] اهـ.

وروى الحافظ السيوطي في «الأشباه والنظائر»[٢] أن الإمام الشافعي كفّر المجسم. اهـ

وقال الشيخ الإمام أقضى القضاة نجم الدين ابن الرفعة في كتابه «كفاية النبيه في شرح التنبيه»[٣] في قول الشيخ أبي إسحاق رضي الله عنه في باب صفة الأئمة: «ولا تجوز الصلاة خلف كافر لأنه لا صلاة له فكيف يقتدى به: «وهذا ينظم مَن كفرُهُ مجمعٌ عليه ومن كفَّرناهُ من أهل القبلة كالقائلين بخلق القرءان وبأنّه لا يعلم المعدومات قبل وجودها ومن لم يؤمن بالقدر وكذا من يعتقد أن الله جالسٌ على العرش كما حكاه القاضي حسين هنا عن نص الشافعي» اهـ وذكره كذلك الشيخ الإمام المتكلم ابن المعلم القرشي في كتابه «نجم المهتدي»[٤]. اهـ

وأما ما ترويه المشبهة عن الشافعي مما هو خلاف العقيدة السنية ففي سنده أمثال العشارى وابن كادش. أما ابن كادش فهو أبو العز بن كادش أحمد بن عبيد الله [٥٢٦هـ] من أصحاب العشارى اعترف بالوضع، راجع الميزان[٥]



---

(١) إتحاف السادة المتقين (٢/ ٢٤).

(٢) الأشباه والنظائر (٢/ ٢٤٥)، وقال السيوطي في تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (ص/ ٣٨٣) شارحا كلام النووي: من كفّر ببدعته لم يحتج به: وهو كما في شرح المهذب للمصنف: المجسم، ومنكر علم الجزئيات، قيل: وقائل خلق القرءان. فقد نص عليه الشافعي واختاره البلقيني، ومنع تأويل البيهقي له بكفران النعمة، بأن الشافعي قال ذلك في حق حفص الفرد لما أفتى بضرب عنقه، وهذا رادّ للتأويل. اهـ ومثله قال في كتاب منهج ذوي النظر للشيخ محمد محفوظ بن عبد الله الترمسي (١٣٣٨هـ) (ص/ ١٢٩).

(٣) كفاية النبيه شرح التنبيه (٤/ ٢٤).

(٤) نجم المهتدي ورجم المعتدي (ص/ ٥٥١). وذكر ابن المعلم القرشي أيضًا في كتابه نجم المهتدي (ص/ ٥٨٨) أن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «سيرجع قوم من هذه الأمة عند اقتراب الساعة كفارا، قال رجل: يا أمير المؤمنين كفرهم بماذا أبالاحداث أم بالانكار، فقال: بل بالانكار ينكرون خالقهم فيصفونه بالجسم والأعضاء» اهـ.

(٥) ميزان الاعتدال (١/ ٢٥٩).

وحكم مثله عند أهل النقد معروف. وأما العشارى فهو أبو طالب محمد بن علي العشارى [٤٥٢هـ] مغفَّل وقد راجت عليه العقيدة المنسوبة إلى الشافعي كذبا وكلّ ذلك باعتراف الذهبي نفسه في الميزان[١] وغيره، وكذلك ما ينسب للشافعي «وصية الشافعي» فهو رواية أبي الحسن الهكاري المعروف بوضعه كما هو معروف في كتب الجرح والتعديل[٢]، فليحذر تمويهات المجسمة فإن هذا دأبهم ذكر ما يوافق هواهم وإن كان كذبا وباطلا.

* وسئل الإمام أحمد رضي الله عنه عن الاستواء فقال: «استوى كما أخبر لا كما يخطر للبشر» اهـ. ذكره الإمام أحمد الرفاعي في «البرهان المؤيد»[٣] والعز ابن عبد السلام في «حل الرموز»[٤] والشيخ الحصني في «دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل أحمد»[٥]، والرملي في فتاويه[٦] والنفراوي في «الفواكه الدواني»[٧] غيرهم[٨].

فانظر رحمك الله بتوفيقه إلى هذه العبارة ما أتقنها، فهي اعتقاد قويم ومنهاج سليم، إذ فيها تنزيه استواء الله على العرش عما يخطر للبشر من جلوس واستقرار

---

(١) ميزان الاعتدال (٦/ ٢٦٧).

(٢) انظر «ميزان الاعتدال» (٥/ ١٣٨)، و«ذيل تاريخ بغداد» (٣/ ١٧٣) لابن النجار. قال الشيخ محمد زاهد الكوثري في تكملته (ص/ ٩١): ومالك قائل بالاستواء بلا كيف، وكذا الشافعي وأبو حنيفة وأبو يوسف وأحمد وابن المبارك، وهم براء مما يوجد في روايات عبد الله بن نافع الصائغ والعشاري والهكاري وابن أبي مريم ونعيم بن حماد والأصطخري وأمثالهم. و(اعتقاد الشافعي) المذكور في ثبت الكوراني كذب الموضوع مروي بطريق العشاري وابن كادش. اهـ

(٣) البرهان المؤيد (ص/ ١٨).

(٤) حل الرموز (ص/ ٤٤).

(٥) دفع شبه من شبّه وتمرّد ونسب ذلك إلى السيد الجليل أحمد (ص/ ٢٩-٣٠).

(٦) فتاوى شمس الدين الرملي المطبوع بهامش الفتاوى الكبرى الفقهية لابن حجر الهيتمي (٤/ ٢٦٦).

(٧) الفواكه الدواني(ص/ ٨٢).

(٨) ونقل مرعي الكَرْمي المقدسي الحنبلي(١٠٣٣هـ) في أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات(ص/ ١٢١): عن أحمد أنه قال: استوى كما ذَكر لا كما يخطر للبشر. اهـ

ومحاذاة ونحو ذلك، أما المجسمة المشبهة ففسروا الاستواء بما يخطر في أذهانهم من جلوس وقعود ونحو ذلك، فهذا فيه دليل على تبرئة الإمام أحمد رضي الله عنه من المنتسبين إليه زورا الذين يحرفون كلمة [استوى] فيقولون جلس، قعد، استقر، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا كالمجسم ابن تيمية حيث صرح في «مجموع الفتاوى»[1] فقال: «إن محمدا رسول الله يجلسه ربه على العرش معه»اهـ وقال فيما رءاه الإمام أبو حيان الأندلسي بخطه: «إن الله يجلس على الكرسي وقد أخلى منه مكانا يقعد معه فيه رسول الله» اهـ كما في «النهر الماد»[2] إلى غير ذلك من تخريفاته وتحريفاته.

والإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه من أبعد الناس عن نسبة الجسم والجهة والحد والحركة والسكون إلى الله تعالى، فقد نقل الإمام أبو الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز ابن الحارث التميميّ (٤١٠هـ) رئيس الحنابلة ببغداد وابن رئيسها في كتابه «اعتقاد الإمام أحمد»[3] عن الإمام أحمد أنه قال: «وأنكر -يعني أحمد- على من يقول بالجسم، وقال: إنَّ الأسماء مأخوذة من الشريعة واللغة، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذي طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف، والله تعالى خارج عن ذلك كله، فلم يجز أن يسمى جسما لخروجه عن معنى الجسمية ولم يجئ في الشريعة ذلك فبطل»اهـ ونقله الحافظ البيهقي عنه في «مناقب أحمد» وغيرُه[4].

ونقل أبو الفضل التميميّ في كتاب «اعتقاد الإمام أحمد»[5] عن الإمام أنه قال: «ولا يجوز أن يقال استوى بمماسة ولا بملاقاة، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، والله تعالى لم يلحقه تغير ولا تبدّل ولا تلحقه الحدود قبل خلق العرش ولا

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٧٤) وقد مر.
(٢) النهر الماد (١/ ٢٥٤) وقد مر.
(٣) اعتقاد الإمام أحمد (ص/ ٤٥)، وغيره.
(٤) انظر تكملة السيف الصقيل (ص/ ٧٢).
(٥) اعتقاد الإمام أحمد (ص/ ٣٨-٣٩)، وغيره.

بعد خلق العرش، وكان يُنكر - الإمام أحمد - على من يقول: إنّ الله في كل مكان بذاته، لأنّ الأمكنة كلها محدودة» اهـ.

وبيّـن الإمام الحافظ ابن الجوزي الحنبلي في كتابه «الباز الأشهب»[1] براءة أهل السنة عامة والإمام أحمد خاصة من مذهب المشبهة وقال: «وكان أحمد لا يقول بالجهة للبارئ». انتهى بحروفه

وقال القاضي بدر الدين بن جماعة في كتابه «إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل»[2] عن الإمام أحمد: كان لا يقول بالجهة للبارئ تعالى[3]. اهـ

وقال الشيخ ابن حجر الهيتمي في فتاويه[4]: عقيدة إمام السنة أحمد بن حنبل رضي الله عنه وأرضاه وجعل جنان المعارف متقلَّبه ومأواه وأفاض علينا وعليه من سوابغ إمتنانه وبوأه الفردوس الأعلى من جنانه، موافقة لعقيدة أهل السنة والجماعة من المبالغة التامة في تنزيه الله تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوًا كبيرًا من الجهة والجسمية وغيرهما من سائر سمات النقص، بل وعن كل وَصْف ليس فيه كمال مطلق، وما اشتهر بين جهلة المنسوبين إلى هذا الإمام الأعظم المجتهد من أنه قائل بشيء من الجهة أو نحوها فكذب وبُهتان وافتراء عليه، فلعن الله من نسب ذلك إليه، أو رماه بشيء من هذه المثالب التي برّأه الله منها، وقد بيّـن الحافظ الحجة القدوة الإمام أبو الفرج بن الجوزي من أئمة مذهبه المبرّئيـن من هذه الوصمة القبيحة الشنيعة، أنَّ كل ما نسب إليه من ذلك كذب عليه وافتراء

---

(١) الباز الأشهب (ص/ ٥٦) طبع دار الجنان.

(٢) إيضاح الدليل (ص/ ١٣٧).

(٣) قال الشيخ محمد زاهد الكوثري في تكملته (ص/ ٨٧): ولم يقع ذكر الجهة في حق الله سبحانه في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ ولا في لفظ صحابي أو تابعي ولا في كلام أحد ممن تكلم في ذات الله وصفاته من الفرق سوى أقحاح المجسمة وأتحدى من يدعي خلاف ذلك أن يسند هذا اللفظ إلى أحد منهم بسند صحيح فلن يجد إلى ذلك سبيلا فضلا عن أن يتمكن من إسناده إلى الجمهور بأسانيد صحيحة. اهـ

(٤) الفتاوى الحديثية (ص/ ١٤٨).

وبهتان وأن نصوصه صريحة في بطلان ذلك، وتنزيه الله تعالى عنه فاعلم ذلك فإنه مهم. وإياك أنْ تصغى إلى ما في كتب ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية وغيرهما ممن اتخذ إلهه هواه، وأضله الله على علم، وختم على سمعه وقلبه، وجعل على بصره غشاوة، فمن يهديه من بعد الله، وكيف تجاوز هؤلاء الملحدون الحدود، وتعدوا الرسوم وخرقوا سياج الشريعة والحقيقة، فظنوا بذلك أنهم على هدى من ربهم وليسوا كذلك، بل هم على أسوأ الضلال وأقبح الخصال وأبلغ الـمَقتْ والخسران وأنهى الكذب والبهتان فخذل الله متَّبِعهم وطهر الأرض من أمثالهم. اهـ

وقال الشيخ محمد بن علاّن الصدّيقي [١٠٥٧هـ] في الفتوحات الربّانية على الأذكار النووية ما نصّه[1]: وأنّه تعالى منزّه عن الجهة والمكان والجسم وسائر أوصاف الحدوث، وهذا معتقد أهل الحقّ ومنهم الإمام أحمد، وما نسبه إليه بعضهم من القول بالجهة أو نحوها كذب صراح عليه وعلى أصحابه المتقدمين كما أفاده ابن الجوزي من أكابر الحنابلة، وما وقع في كلام بعض المحدّثين والفقهاء ممّا يوهم الجهة أو التجسيم أوّله العلماء، وقالوا: إنّ ظاهره غير مراد، فعليك بحفظ هذا الاعتقاد، واحذر زيغ المجسّمة والجهمية أرباب الفساد. اهـ

وقال الحافظ ابن عساكر في تبيين كذب المفتري فيما نُسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري[2]: ابن شاهين يقول: رجلان صالحان بُليا بأصحاب سوء، جعفر بن محمد، وأحمد بن حنبل. اهـ

وقال ابن الحفيد التفتازاني في الدرّ النّضيد[3]: المفهوم مِنْ تاريخ الإمام اليافعي في ذكر مشايخ سنة ثمان وخمسين وخمسمائة أن الإمام الزاهد أحمد بن حنبل قُدّس سرّه، لم يقل بأنّ كلامه تعالى صوت وحرف، وأنه تعالى في جهة، فكأنّ الحنابلة

---

(١) الفتوحات الربّانية على الأذكار النووية، باب الحثّ على الدعاء والاستغفار في النصف الثاني من كلّ ليلة (٣/ ١٩٦).

(٢) تبيين كذب المفتري فيما نُسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري (ص/ ١٦٤).

(٣) الدرّ النَضِيد من مجموعَةِ الحفيد لأحمد بن يحيى بن محمد الحفيد (٩٠٦هـ) (ص/ ١٤٨).

القائلين بأنّ كلامه قديم مِنْ جنس الأصوات، قوم آخرون لا مُتّبعوه. اهـ

هذا وقد نقل الإمام الحافظ العراقي والإمام القرافي والشيخ ابن حجر الهيتمي وملا علي القاري ومحمد زاهد الكوثري وغيرهم[1] عن الأئمة الأربعة هداة الأمة الشافعي ومالك وأحمد وأبي حنيفة رضي الله عنهم القول بتكفير القائلين بالجهة والتجسيم. اهـ

بل وقال الإمام بدر الدين الزركشي في تشنيف المسامع[2]: «ونقل صاحب الخصال من الحنابلة عن أحمد أنه قال: من قال: جسم لا كالأجسام كفر، ونقل عن الأشعرية أنه يفسق، وهذا النقل عن الأشعرية ليس بصحيح» اهـ.

وروى الحافظ البيهقي في مناقب أحمد عن الحاكم عن أبي عمرو بن السماك عن حنبل عن أحمد بن حنبل تأول قول الله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾[3] أنه جاء ثوابه، ثم قال البيهقي: «وهذا إسناد لا غبار عليه». نقل ذلك ابن كثير في تاريخه وأقره[4].

وقال الحافظ البيهقيّ أيضًا في «مناقب أحمد»: «أنبأنا الحاكم قال حدثنا أبو عمرو بن السماك قال حدثنا حنبل بن إسحاق قال سمعت عمي أبا عبد الله -يعني أحمد- يقول: «احتجوا علي يومئذ -يعني يوم نوظر في دار أمير المؤمنين- فقالوا: تجيء سورة البقرة يوم القيامة وتجيء سورة تبارك، فقلت لهم: إنما هو الثواب، قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾[5] إنما يأتي قدرته، وإنما القرءان أمثال ومواعظ. اهـ

قال الحافظ البيهقي: وفيه دليل على أنه كان لا يعتقد في المجيء الذي ورد

---

(١) انظر كفاية النبيه شرح التنبيه لابن الرفعة (٤/ ٢٤)، والأشباه والنظائر للسيوطي (٢/ ٢٤٥)، ونجم المهتدي ورجم المعتدي لابن المعلم القرشي (ص/ ٥٥١)، المنهاج القويم على المقدمة الحضرمية لابن حجر الهيتمي (ص/ ٦٩)، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لملا علي القاري (٢/ ١٣٧)، ومقالات الكوثري (ص/ ٢٦٩)، وقد مر.

(٢) تشنيف المسامع شرح جمع الجوامع (٤/ ٨٥).

(٣) سورة الفجر/ الآية ٢٢.

(٤) البداية والنهاية (١٤/ ٣٨٦).

(٥) سورة الفجر/ الآية ٢٢.

به الكتاب والنزول الذي وردت به السنة انتقالا من مكان إلى مكان كمجيء ذوات الأجسام ونزولها وإنما هو عبارة عن ظهور ءايات قدرته، فإنهم لما زعموا أن القرءان لو كان كلام الله وصفة من صفات ذاته لم يجز عليه المجيء والإتيان، فأجابهم أبو عبد الله بأنه إنما يجيء ثواب قراءته التي يريد إظهارها يومئذ فعبر عن إظهاره إياه بمجيئه، وهذا الذي أجابهم به أبو عبد الله لا يهتدي إليه إلا الحذاق من أهل العلم المنزهون عن التشبيه»[1] اهـ.

وقال شيخنا الإمام المحدث الشيخ عبد الله الهرري في كتابه المقالات السنية[2]: «وهذا دليل على أن الإمام أحمد رضي الله عنه ما كان يحمل ءايات الصفات وأحاديث الصفات التي توهم أنَّ الله متحيّز في مكان أو أنّ له حركةً وسكونًا وانتقالا من علو إلى سفل على ظواهرها كما يحملها ابن تيمية وأتباعه فيثبون اعتقادا التحيز لله في المكان والجسمية ويقولون لفظا ما يموهون به على الناس ليظن بهم أنهم منزهون لله عن مشابهة المخلوق فتارة يقولون: بلا كيف، كما قالت الأئمة، وتارة يقولون: على ما يليق بالله، نقول: لو كان الإمام أحمد يعتقد في الله الحركة والسكون والانتقال لترك الآية على ظاهرها وحملها على المجيء

(١) انظر تكملة الرد على نونية ابن القيم للكوثري (ص/ ١٠٠)، ثم نقل الكوثري عن اليافعي: ويوضحه قوله تعالى: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم﴾ [سورة النحل/ الأية ٢٦] ليس المراد الإتيان بذاته بالاتفاق، وإنما هو أمره، ويشهد له قوله تعالى: ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ [سورة يونس/ الأية ٢٤]. اهـ.

(٢) المقالات السنية في كشف ضلالات أحمد بن تيمية (ص/ ١٩٤)، وقال الإمام المقدم أبو منصور البغدادي في الفرق بين الفرق (ص/ ٣٣٣): وأجمعوا (أهل السنة) على نفي الآفات والغموم والآلام واللذات عنه، وعلى نفي الحركة والسكون عنه. اهـ وقال الإمام أبو المظفر الأسفرايني في التبصير في الدين، في الباب الخامس عشر في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة، (ص/ ١٦١): وأن تعلم أن كل ما دل على حدوث شيء من الحد والنهاية والمكان والجهة والسكون والحركة فهو مستحيل عليه سبحانه وتعالى. اهـ وقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري (٧/ ١٢٤): فمعتقد سلف الأئمة وعلماء السنة من الخلف أن الله منزه عن الحركة والتحول والحلول ليس كمثله شيء. اهـ

بمعنى التنقل من علو وسفل كمجيء الملائكة، وما فاه بهذا التأويل». انتهى بحروفه.

وقال الحافظ الكبير أبو الفرج ابن الجوزي الحنبلي في دفع شبه التشبيه[1]: وكذلك قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾[2]، ذكر القاضي أبو يعلى عن الإمام أحمد ابن حنبل أنه قال: في قوله تعالى: ﴿أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [سورة البقرة]، قال: المراد به: قدرته وأمره، قال: وقد بينه في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾[3]، ومثل هذا في التوراة، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾، قال: إنما هو قدرته. اهـ

وقال[4]: والواجب على الخلق اعتقاد التنزيه وامتناع تجويز النقلة وأن النزول الذي هو انتقال من مكان إلى مكان يفتقر إلى ثلاثة أجسام: جسم عالي وهو مكان لساكنه، وجسم سافل، وجسم منتقل من علو إلى سفل وهذا لا يجوز على الله عز وجل. اهـ ثم قال: ومنهم من قال يتحرك إذا نزل، وما يدري أن الحركة لا تجوز على الله تعالى، وقد حكوا عن الإمام أحمد ذلك وهو كذب عليه[5]. اهـ

وقال الشيخ تقي الدين الحصني في دفع شبه من شبه وتمرد[6]: وحكوا هذه المقالة عن الإمام أحمد فجورا منهم بل هو كذب محض على هذا السيد الجليل السلفي المنـزه. اهـ

وقال الفخر الرازي في أساس التقديس[7]: نقل الشيخ الغزالي رحمه الله عن

---

(١) دفع شبه التشبيه (ص/ ٢٦-٢٧).
(٢) سورة الفجر/ الآية ٢٢.
(٣) سورة النحل/ الآية ٣٣.
(٤) دفع شبه التشبيه في شرح الحديث التاسع عشر (ص/ ٤٩-٥٠).
(٥) قال محقق الكتاب الشيخ محمد زاهد الكوثري معلقا: حكى ذلك أبو يعلى في طبقاته عن أحمد بطريق أبي العباس الأصطخري وهو كما قال المصنف نقل مفترى. اهـ
(٦) دفع شبه من شبه وتمرد (ص/ ٢٥).
(٧) أساس التقديس (ص/ ١٠٧).

أحمد بن حنبل رحمه الله أنّه أقرّ بالتأويل في ثلاثة أحاديث. اهـ ثم قال الرازي[1]: رُوي عنه عليه السلام أنّه تأتي سورة البقرة وآل عمران كذا وكذا يوم القيامة كأنّهما غمامتان. فأجاب أحمد بن حنبل رحمه الله، وقال: يعني ثواب قارئهما، وهذا تصريح منه بالتأويل. اهـ

وذكر الإمام بدر الدين محمّد بن عبد الله الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرءان[2]: وممن نُقل عنه التأويل علي وابن مسعود وابن عباس وغيرهم. وقال الغزالي في كتاب «التفرقة بين الإسلام والزندقة»: «إنّ الإمام أحمد أوّل في ثلاثة مواضع». وأنكر ذلك عليه بعض المتأخرين، قلت: وقد حكى ابن الجوزي عن القاضي أبي يعلى تأويل أحمد في قوله تعالى ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾[3]، قال: وهل هو إلّا أمره، بدليل قوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾[4]. اهـ

## فائدة قاصمة: إلى هؤلاء المجسمة أقول:

قال ابن حمدان الحنبلي(٦٩٥هـ) في كتابه نهاية المبتدئين في أصول الدين[5]: «وأن الله تعالى ليس بجوهر ولا عرَض ولا جسم ولا تحله الحوادث ولا يحل في حادث ولا ينحصر فيه». إلى أن قال: «هو الغني عن كل شيء، ولا يستغني عنه شيء، وأنه لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء، ومن شبَّهه بخلقه فقد كفر، نص عليه أحمد، وكذا من جسَّم، أو قال: إنه جسم لا كالأجسام، ذكره القاضي[6]» اهـ ثم قال: ومن قال إنه بذاته في كل مكان أو في مكان فكافر» اهـ.

---

(١) أساس التقديس (ص/ ١٠٨).

(٢) البرهان في علوم القرءان، النوع السابع والثلاثون في حكم الآيات المتشابهات الواردة في الصفات (٢/ ٧٩).

(٣) سورة الأنعام/ الآية ١٥٨.

(٤) سورة النحل/ الآية ٣٣.

(٥) الباب الأول من نهاية المبتدئين في أصول الدين (ص/ ٣٠-٣١) وهو باب معرفة الله تعالى.

(٦) القاضي هو أبو يعلى الفراء الحنبلي (٤٥٨هـ)، وهذا أحد المجسمة الذين رد عليهم الحافظ ابن الجوزي في كتابه دفع شبه التشبيه. اهـ فيا لها من فضيحة عليهم.

وقال[1]: وقال التميمي في اعتقاد أحمد في حديث النـزول: «ولا يجوز عليه الانتقال، ولا الحلول في الأمكنة، قال فيه ابن البناء في اعتقاد أحمد: ولا يقال بحركة ولا انتقال»اهـ

وقال[2]: واختار ابن الجوزي نفي الجهة، وحكاه عن أحمد من رواية حنبل، وإليه ميل ابن عقيل. اهـ

وقال[3]: «وقد تأول أحمد آيات وأحاديث كآية النجوى وقوله: أن يأتيهم الله وقال: قدرته وأمره[4]. وقوله:وجاء ربك قال: قدرته. ذكرهما ابن الجوزي في «المنهاج» واختار هو إمرار الآيات كما جاءت من غير تفسير وتأول ابن عقيل كثيرا من الآي والأخبار. وتأول أحمد قول النبي ﷺ: «الحجر الأسود يمين الله في الأرض» ونحوه. اهـ

وقال مرعي الكَرْمي المقدسي الحنبلي(١٠٣٣هـ) في أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات[5]:

قال المازري[6]: وقد غلط ابن قتيبة في هذا الحديث (حديث فإن الله خلق ءادم على صورته[7]) فأجراه على ظاهره وقال: لله صورة لا كالصور. قال: وهذا

(١) نهاية المبتدئين في أصول الدين (ص/ ٣٢).

(٢) نهاية المبتدئين في أصول الدين (ص/ ٣٣).

(٣) نهاية المبتدئين في أصول الدين (ص/ ٣٥).

(٤) وقد قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٦/ ٤٠٥): وقد ذكر القاضي أبو يعلى عن أحمد أنه قال [في قول الله تعالى:أن يأتيهم الله في ظللٍ]: المراد به قدرته وأمره. قال: وقد بيّنه في قوله أو يأتي أمر ربك. اهـ

(٥) أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات(ص/ ١٦٨).

(٦) هو الإمام أبو عبد الله المازري [٥٣٧هـ] ذكر ذلك في كتابه الـمُعْلِم بفوائد مسلم (٨/ ٨٧)، ونقله عن المازري الحافظ النووي في شرح مسلم (١٦/ ١٦٦) وأقره.

(٧) قال النووي في شرح مسلم (١٦/ ١٦٦): واختلف العلماء في تأويله فقالت طائفة: الضمير في صورته عائد على الأخ المضروب، وهذا ظاهر رواية مسلم. وقالت طائفة: يعود إلى آدم، وفيه ضعف. وقالت طائفة: يعود إلى الله تعالى، ويكون المراد إضافة تشريف واختصاص كقوله=

كقول المجسمة: جسم لا كالأجسام، لما رأوا أهل السنة يقولون: الله تعالى شيء لا كالأشياء. والفرق أن لفظة شيء لا تفيد الحدوث ولا تتضمن ما يقتضيه، وأما جسم وصورة فيتضمنان التأليف والتركيب وذلك دليل الحدوث. اهـ

## بيان معنى استوى في لغة العرب

الاستواء في كلام العرب منصرف على وجوه، فيأتي بمعنى:

١ - التمكن والاستقرار:

ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾[١] أي أن سفينة نوح عليه السلام استقرت على جبل الجودي[٢]. ويقال: استوى الرجل على ظهر دابته أي استقر عليها، قاله اللغويون وغيرهم[٣].

٢ - الاستقامة والاعتدال:

ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾[٤] أي الزرع، والمراد بالاستواء في هذه الآية الاستقامة التي هي ضد الاعوجاج.

قال المفسر أبو حيان في تفسيره ما نصه[٥]: «فاستوى أي تم نباته على سوقه جمع ساق كناية عن أصوله» اهـ.

---

= تعالى: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ [سورة الشمس/ الآية ١٣] وكما يقال في الكعبة: بيت الله ونظائره. اهـ

(١) سورة هود/ الآية ٤٤.

(٢) انظر: «بصائر ذوي التمييز» (٢/ ١٠٦، المكتبة العلمية)، تفسير السمرقندي المسمى «بحر العلوم» (٢/ ١٢٨، دار الكتب العلمية)، تفسير الخازن المسمى «لباب التأويل» (٢/ ٣٩٠ طبعه الكتبي والحلبي برخصة نظارة المعارف)، تفسير النسفي المسمى «مدارك التنزيل» (٢/ ١٨٩، دار الفكر)، تفسير البغوي المسمى «معالم التنزيل» (م٤/ ج١٢/ ١٧٩ دار طيبة)، وغيرهم.

(٣) انظر: مختار الصحاح (ص/ ١٣٦، مكتبة لبنان)، لسان العرب(١٤/ ٤١٤، دار صادر)، المصباح المنير (ص/ ١١٣، مكتبة لبنان)، تاج العروس (١٠/ ١٩٠، المطبعة الخيرية بمصر).

(٤) سورة الفتح/ الآية ٢٩.

(٥) البحر المحيط (٩/ ٥٠٢، دار الفكر)، وانظر: «لباب التأويل» (٤/ ١٥٣)، «معالم التنزيل» (م٧/ ج٢٦/ ٣٢٥).

وقال البيضاوي في تفسيره ما نصه[1]: «فاستقام على قصبه جمع ساق» اهـ، ومثله قال النسفي في تفسيره[2].

وقال القرطبي في تفسيره[3]: «﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾: على عوده الذي يقوم عليه فيكون ساقا له» اهـ.

وقال الحافظ اللغوي محمد مرتضى الزبيدي في شرح القاموس[4] ممزوجا بالمتن: «(واستوى: اعتدل) في ذاته، ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾[5]» اهـ.

ويقال: استوى الشيء اعتدل[6].

٣ - التمام:

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾[7] أي تمت قوته الجسدية.

ففي «القاموس»[8]: «واستوى الرجل: بلغ أشده» اهـ.

قال الحافظ اللغوي محمد مرتضى الزبيدي شارح القاموس[9]: «فعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾[10]» اهـ.

وفي «مختار الصحاح» ما نصه[11]: «واستوى الرجل: انتهى شبابه» اهـ.

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل(٥/ ١٣٢، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي).
(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل(٤/ ١٦٤).
(٣) الجامع لأحكام القرءان (١٦/ ٢٩٥، دار الكتاب العربي).
(٤) تاج العروس (١٠/ ١٨٨)، وانظر «المفردات في غريب القرءان» (ص/ ٢٥١، دار المعرفة).
(٥) سورة القصص/ الأية ٤١.
(٦) انظر: مختار الصحاح (ص/ ١٣٦)، المصباح المنير (ص/ ١١٣)، لسان العرب (١٤/ ٤١٤)، القاموس المحيط (ص/ ١٢٩٧، مؤسسة الرسالة)، تاج العروس(١٠/ ١٨٨).
(٧) سورة الفتح/ الأية ٩٢.
(٨) القاموس المحيط (ص/ ١٢٩٧).
(٩) تاج العروس (١٠/ ١٨٩).
(١٠) سورة الفتح/ الأية ٩٢.
(١١) مختار الصحاح (ص/ ١٣٦).

وكذا في «لسان العرب»[1]، وفيه أيضًا ما نصه[2]: «قال الفراء: الاستواء في كلام العرب على وجهين: أحدهما أن يستوى الرجل وينتهي شبابه وقوته...» اهـ.

وقال اللغوي الفيروزابادي ما نصه[3]: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾، أي قوي واشتد» اهـ.

٤ - الاستيلاء أي القهر:

يقال استوى فلان على بلدة كذا إذا احتوى على مقاليد الملك واستولى عليها وحازها.

قال اللغوي الفيومي في «المصباح المنير» ما نصه[4]: «واستوى على سرير الملك كناية عن التملك وإن لم يجلس عليه» اهـ.

وقال الإمام الجوهري في «الصحاح» ما نصه[5]: واستوى أي استولى وظهر اهـ.

وسنعقد إن شاء الله تعالى فصلا خاصا في ذكر نقول العلماء في هذا الأمر تحت عنوان «بيان من تأول من علماء أهل السنة الاستواء على العرش بالقهر والاستيلاء».

٥ - النضج:

وقال اللغوي الفيومي في «المصباح المنير» ما نصه[6]: «استوى الطعام أي نضج» اهـ.

٦ - القصد أو الإقبال:

---

(١) لسان العرب (١٤/ ٤١٤).

(٢) لسان العرب (١٤/ ٤١٤).

(٣) بصائر ذوي التمييز (٢/ ١٠٦).

(٤) المصباح المنير (ص/ ١١٣).

(٥) الصحاح (٦/ ٢٣٨٥، دار العلم للملايين).

(٦) المصباح المنير (ص/ ١١٣).

قال اللغوي الفيومي في «المصباح المنير» ما نصه[1]: «واستوى إلى العراق: قصد» اهـ.

والاستواء بهذا المعنى قد يكون بالذات وهذا مستحيل على الله وقد يكون بالتدبير.

وقال ابن منظور في «لسان العرب»[2]: «تقول: قد بلغ الأمير من بلد كذا وكذا ثم استوى إلى بلد كذا معناه قصد بالاستواء إليه» اهـ، ثم قال: «قال الفراء: تقول كان فلان مقبلا على فلان ثم استوى عليّ وإليّ يشاتمني على معنى أقبل إليّ وعليّ» اهـ.

٧ - التماثل والتساوي:

وفي «المصباح المنير» ما نصه[3]: «استوى القوم في المال إذا لم يفضل منهم أحد على غيره وتساووا فيه وهم فيه سواء» اهـ.

وفي «لسان العرب» ما نصه[4]: «استوى الشيئان وتساويا: تماثلا» اهـ.

٨ - الجلوس:

يقال: استوى على السرير إذا جلس عليه.

٩ - العلو:

قال ابن منظور في «لسان العرب» ما نصه[5]: «قال الأخفش: استوى أي علا، تقول: استويت فوق الدابة وعلى ظهر البيت أي علوته» اهـ.

---

(١) المصباح المنير (ص/ ١١٣) وانظر: لسان العرب (١٤/ ٤١٤)، القاموس المحيط (ص/ ١٢٩٧)، تاج العروس (١٠/ ١٨٩)، المفردات في غريب القرءان (ص/ ٢٥١)، مختار الصحاح (ص/ ١٣٦).

(٢) لسان العرب (١٤/ ٤١٤).

(٣) المصباح المنير (ص/ ١١٣).

(٤) لسان العرب (١٤/ ٤١٠)، وانظر القاموس (ص/ ١٢٩٧)، وتاج العروس (١٠/ ١٨٧).

(٥) لسان العرب (١٤/ ٤١٤).

والاستواء بمعنى العلو قد يكون بالرتبة والقدر، وقد يكون بالمكان والجهة وهذا مستحيل على الله، وسيأتي مزيد تفصيل لذلك إن شاء الله تعالى. وقال اللغوي الفيروزابادي عند تعداد معنى الاستواء ما نصه[1]: «بمعنى الركوب والاستعلاء: ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ﴾[2] أي ركبتم واستعليتم» اهـ.

وللاستواء غير ذلك من المعاني، فمن أراد التوسع فليطلبها في معاجم اللغة.

## بيان معنى استولى في لغة العرب

تأتي استولى في اللغة بمعنى:

١ - بلوغ الغاية:

قال ابن منظور في «لسان العرب»[3]: «واستولى على الأمَد أي بلغ الغاية، ويقال اسْتَبَقَ الفارسان على فرسيهما إلى غاية تسابقا إليها فاستولى أحدهما على الغاية إذا سبق الآخر، ومنه قول الذبياني[4]: سَبْقَ الجوادِ إذا استولى على الأمَدِ. واستيلاؤه على الأمد أن يغلب عليه بسبقه إليه، ومن هذا يقال: استولى فلان على مالي أي غلبني عليه» اهـ.

٢ - القهر:

قال الفيومي في «المصباح المنير»[5]: «واستولى عليه: غلب عليه وتمكّن منه» اهـ. أي قهره وصار تحت تصرفه.

٣ - التملك:

---

(١) بصائر ذوي التمييز (٢/ ١٠٦).

(٢) سورة الزخرف/ الآية ٣١.

(٣) لسان العرب (١٥/ ٤١٣)، وانظر: تاج العروس (١٠/ ٤٠٠)، مختار الصحاح (ص/ ٣٠٦).

(٤) البيت هو: إلا لمثلك أو مَن أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الأمد.

(٥) المصباح المنير (ص/ ٢٥٨)، وانظر: تاج العروس (١٠/ ٤٠١).

قال الحافظ اللغوي محمد مرتضى الزبيدي في «تاج العروس»[1]: «واستولى على الشيء إذا صار في يده» اهـ، وهذا فيه أيضًا معنى القهر.

## بيان مسلك العلماء في تأويل ءاية الاستواء

اعلم أن لعلماء أهل الحق مسلكان كل منهما صحيح:

**الأول:** مسلك السلف وهم من كان من أهل القرون الثلاثة الأولى، قرن أتباع التابعين وقرن التابعين وقرن الصحابة وهو قرن الرسول ﷺ، هؤلاء يسمون السلف، والغالب عليهم أن يؤولوا الآيات المتشابهة تأويلا إجماليا بالإيمان بها واعتقاد أن لها معنى يليق بجلال الله وعظمته ليست من صفات المخلوقين، بلا تعيين معنى خاص كآية: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[2] وغيرها من المتشابه بأن يقولوا: بلا كيف أو على ما يليق بالله، وهذا يقال له تأويل إجمالي، أي قالوا: استوى استواء يليق به مع تنزيهه عن صفات الحوادث، ونفوا الكيفية عن الله تعالى أي من غير أن يكون بهيئة ومن غير أن يكون كالجلوس والاستقرار والحركة والسكون وغيرها مما هو صفة حادثة. هذا مسلك غالب السلف ردّوها من حيث الاعتقاد إلى الآيات المحكمة كقول الله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[3] وتركوا تعيين معنًى معيَّنٍ لها مع نفي تشبيه الله بخلقه.

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه[4]: «ءامنت بما جاء عن الله على مراد الله، وبما جاء عن رسول الله ﷺ على مراد رسول الله» اهـ يعني رضي الله عنه لا على ما قد تذهب إليه الأوهام والظنون من المعاني الحسيَّة الجسمية التي لا تجوز في حق الله تعالى.

---

(١) تاج العروس (١٠/ ٤٠١).

(٢) سورة طه/ الآية ٥.

(٣) سورة الشورى/ الآية ١١.

(٤) ذكره الشيخ المحدث عبد الله الهرري في كتابه «الصراط المستقيم» والشيخ تقي الدين الحصني في «دفع شبه من شبه وتمرد» وغيرهما كثير، وقد مر.

قال الحافظ البيهقي في «الأسماء والصفات» ما نصه[1]: «فأما الاستواء فالمتقدمون من أصحابنا رضي الله عنهم كانوا لا يفسرونه ولا يتكلمون فيه كنحو مذهبهم في أمثال ذلك» اهـ.

قال في موضع ءاخر[2]: «وحكينا عن المتقدمين من أصحابنا ترك الكلام في أمثال ذلك[3]، هذا مع اعتقادهم نفي الحد والتشبيه والتمثيل عن الله سبحانه وتعالى» اهـ.

ثم أسند إلى أبي داود قوله[4]: «كان سفيان الثوري وشعبة وحماد بن زيد وحماد ابن سلمة وشريك وأبو عوانة لا يحدون ولا يشبهون ولا يمثلون، يروون الحديث لا يقولون كيف، وإذا سئلوا أجابوا بالأثر، قال أبو داود: وهو قولنا. قلت: وعلى هذا مضى أكابرنا» اهـ.

وقال في موضع ءاخر[5]: «الأوزاعي عن الزهري ومكحول قال: أمضوا الأحاديث على ما جاءت» اهـ، ثم قال: «سئل الأوزاعي ومالك وسفيان الثوري



(١) الأسماء والصفات (ص/ ٣٧٨).
(٢) الأسماء والصفات (ص/ ٣٩٤).
(٣) أي في تعيين معنى للمتشابه في الصفات.
(٤) الأسماء والصفات (ص/ ٣٩٥)، قلت: وفي هذا براءة حماد بن زيد وحماد بن سلمة مما دسَّه ربيبه في كتبه من الطامات بل ذكر البيهقي شيئا من ذلك في كتابه الأسماء والصفات قال: باب ذكر الحديث المنكر الموضوع على حماد بن سلمة. اهـ قال الحافظ ابن الجوزي في دفع شبه التشبيه (ص/ ٣٤): وكان ابن أبي العوجاء الزنديق ربيب حماد، وكان يدس في كتبه هذه الأحاديث لا ثبوت لها ولا يحسن أن يحتج بها. اهـ وقال (ص/ ٥٦): وكان ابن أبي العوجاء الزنديق قد أدخل على حماد أشياء فرواها في ءاخر عمره ولذلك تجافى بعض أصحاب الصحيح الإخراج عنه. اهـ وقال السيوطي في الحاوي للفتاوى (٢/ ٢٢٦، دار الكتب العلمية): فإن حمادا تكلم في حفظه ووقع في أحاديثه مناكير ذكروا أن ربيبه دسها في كتبه وكان حماد لا يحفظ فحدث بها فوهم فيها ومن ثم لم يخرج له البخاري شيئا ولا خرج له مسلم في الأصول إلا من روايته عن ثابت. اهـ كلام السيوطي. قلت: فبان أن ما ينسبه المجسم ابن القيم في نونيته إلى حماد بن زيد وحماد بن سلمة فهو افتراء عليهما فليتنبه. اهـ
(٥) الأسماء والصفات (ص/ ٤١٨).

والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي جاءت في التشبيه -أي ظاهرها يوهم ذلك - فقالوا: أمِرُّوها كما جاءت بلا كيفية» اهـ.

وقال الإمام مالك: «الرحمٰن على العرش استوى كما وصف نفسه، ولا يقال كيف، وكيف عنه مرفوع»، وفي رواية: «الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول» اهـ، رواهما البيهقي في «الأسماء والصفات»[1].

وقال الإمام أحمد عندما سئل عن الاستواء: «استوى كما أخبر لا كما يخطر للبشر»[2] اهـ.

**والثاني**: مسلك الخلف وهم الذين جاءوا بعد السلف، وهم يؤولونها تفصيلا بتعيين معان لها مما تقتضيه لغة العرب ولا يحملونها على ظواهرها أيضًا كالسلف، فيقولون استوى أي قهر، ومن قال: استولى (من غير سبق مغالبة)، فالمعنى واحد أي قهر، ولا بأس بسلوكه ولا سيما عند الخوف من تزلزل العقيدة حفظًا من التشبيه.

قال الحافظ البيهقي في كتابه «الاعتقاد» ما نصه[3]: «وأصحاب الحديث فيما ورد به الكتاب والسنة من أمثال هذا -يعني المتشابه- ولم يتكلم أحد من الصحابة والتابعين في تأويله على قسمين: منهم من قبله وءامن به ولم يؤوله ووكل علمه إلى الله ونفى الكيفية والتشبيه عنه، ومنهم من قبله وءامن به وحمله على وجه يصح استعماله في اللغة ولا يناقض التوحيد، وقد ذكرنا هاتين الطريقتين في كتاب «الأسماء والصفات» في المسائل التي تكلموا فيها من هذا الباب» اهـ.

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني (٤٠٣هـ) في كتابه «الإنصاف فيما يجب

---

(١) الأسماء والصفات (ص/ ٣٧٩) وقد مر.

(٢) ذكره الإمام أحمد الرفاعي في «البرهان المؤيد» والعز بن عبد السلام في «حل الرموز» والشيخ الحصني في «دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل أحمد»، والرملي في فتاويه والنفراوي في «الفواكه الدواني» وغيرهم، وقد مر.

(٣) الاعتقاد (ص/ ٤٤، دار العهد الجديد للطباعة).

اعتقاده ولا يجوز الجهل به»[1] ما نصه: «ويجب أن يعلم: أن كل ما يدل على الحدوث أو على سمة النقص فالرب تعالى يتقدس عنه. فمن ذلك: أنه تعالى متقدس عن الاختصاص بالجهات، والاتصاف بصفات المحدثات، وكذلك لا يوصف بالتحول، والانتقال، ولا القيام، ولا القعود؛ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[2] وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[3] ولأن هذه الصفات تدل على الحدوث، والله تعالى يتقدس عن ذلك، فإن قيل أليس قد قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[4] قلنا: بلى. قد قال ذلك، ونحن نطلق ذلك وأمثاله على ما جاء في الكتاب والسنة، لكن ننفي عنه أمارة الحدوث، ونقول: استواؤه لا يشبه استواء الخلق، ولا نقول إن العرش له قرار، ولا مكان[5]، لأن الله تعالى كان ولا مكان، فلما خلق المكان لم يتغير عما كان» اهـ.

وقال البيضاوي في تفسيره[6]: «﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[7] استوى أمره أو استولى، وعن أصحابنا أن الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف، والمعنى أن له تعالى استواء على العرش على الوجه الذي عناه منزهًا عن الاستقرار والتمكن» اهـ.

وقال ملا علي القاري في مرقاة المفاتيح[8]: (وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «**ينزل ربنا**» أي أمره لبعض ملائكته، أو ينزل مناديه «تبارك» كثر خيره ورحمته وآثار جماله «وتعالى» عن صفات المخلوقين من الطلوع والنزول وارتفع عن سمات الحدوث بكبريائه وعظمته وجلاله، قيل: إنهما جملتان معترضتان

---

(١) الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به (ص/ ٣٩ - ٤٠)، المكتبة الأزهرية.

(٢) سورة الشورى/ الآية ١١.

(٣) سورة الإخلاص/ الآية ٤.

(٤) سورة طه/ الآية ٥.

(٥) أي لا نقول: إن العرش مكان له.

(٦) أنوار التنزيل وأسرار التنزيل للقاضي ناصر الدين البيضاوي (ت٦٩١هـ) (٣/ ١٦، دار إحياء التراث العربي).

(٧) سورة الأعراف/ ءاية ٥٤.

(٨) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢/ ١٣٦ - ١٣٧)، دار إحياء التراث العربي.

بين الفعل وظرفه، للتنبيه على التنزيه لئلا يتوهم أن المراد بالاسناد ما هو حقيقته «كل ليلة إلى السماء الدنيا» قال ابن حجر: أي ينزل أمره ورحمته أو ملائكته وهذا تأويل الإمام مالك وغيره ويدل له الحديث الصحيح[١]: «أن الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل ثم يأمر مناديا ينادي فيقول هل من داع فيستجاب له»، الحديث، والتأويل الثاني ونسب إلى مالك أيضًا أنه على سبيل الاستعارة، ومعناه الاقبال على الداعي بالإجابة واللطف والرحمة وقبول المعذرة كما هو عادة الكرماء لا سيما الملوك إذا نزلوا بقرب محتاجين ملهوفين مستضعفين، قال النووي[٢] في شرح مسلم في هذا الحديث وشبهه من أحاديث الصفات وآياتها، مذهبان مشهوران فمذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين الإيمان بحقيقتها على ما يليق به تعالى وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد ولا نتكلم في تأويلها مع اعتقادنا تنزيه الله سبحانه عن سائر سمات الحدوث، والثاني مذهب أكثر المتكلمين وجماعة من السلف وهو محكي عن مالك والأوزاعي إنما يتأول على ما يليق بها بحسب مواطنها، فعليه الخبر مؤول بتأويلين أي المذكورين وبكلامه وبكلام الشيخ الرباني

---

(١) وصححه الحافظ عبد الحقّ، حكاه عنه المفسّر القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرءان (٤/ ٣٩، دار الكتاب العربي)، وقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري (٣/ ٣٠، دار المعرفة): وقد حكى أبو بكر بن فورك [مشكل الحديث (ص/ ٩٧ و٢٨٩)، المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق] أن بعض المشايخ ضبطه بضم أوله على حذف المفعول أي ينزل ملكا. اهـ

(٢) ونص النووي في شرحه على مسلم (٦/ ٣٦ - ٣٧، المطبعة المصرية بالأزهر): هذا الحديث من أحاديث الصِّفات وفيه مذهبان مشهوران للعلماء سبق إيضاحهما في كتاب الإيمان ومختصرهما أنَّ: أحدهما: وهو مذهب جمهور السَّلف وبعض المتكلِّمين: أنَّه يؤمن بأنَّها حقٌّ على ما يليق بالله تعالى وأنَّ ظاهرها المتعارف في حقِّنا غير مراد ولا يتكلَّم في تأويلها مع اعتقاد تنزيه الله عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق. والثاني: مذهب أكثر المتكلِّمين وجماعات من السَّلف، وهو محكيٌّ هنا عن مالك والأوزاعيِّ: أنَّها تتأوَّل عَلَى ما يليق بها بحسب مواطنها، فعَلَى هذا تأوَّلوا هذا الحديث تأويلين: أحدهما: تأويل مالك بن أنس وغيره معناه: تنزل رحمته وأمره وملائكته، كما يقال: فعل السُّلطان كذا إذا فعله أتباعه بأمره. والثَّاني: أنَّه عَلَى الاستعارة، ومعناه: الإقبال عَلَى الدَّاعين بالإجابة واللُّطف، واللهُ أعلم. اهـ

أبي إسحاق الشيرازي وإمام الحرمين والغزالي وغيرهم من أئمتنا وغيرهم، يعلم أن المذهبين متفقان على صرف تلك الظواهر كالمجيء[1] والصورة والشخص والرجل والقدم واليد والوجه والغضب والرحمة والاستواء على العرش والكون في السماء وغير ذلك مما يفهمه ظاهرها لما يلزم عليه من محالات قطعية البطلان، تستلزم أشياء يحكم بكفرها بالإجماع، فاضطر ذلك جميع الخلف والسلف إلى صرف اللفظ عن ظاهره وإنما اختلفوا هل نصرفه عن ظاهره معتقدين اتصافه سبحانه بما يليق بجلاله وعظمته، من غير أن نؤوله بشيء ءاخر وهو مذهب أكثر أهل السلف وفيه تأويل إجمالي أو مع تأويله بشيء ءاخر وهو مذهب أكثر أهل الخلف وهو تأويل تفصيلي ولم يريدوا بذلك مخالفة السلف الصالح معاذ الله أن يظن بهم ذلك، وإنما دعت الضرورة في أزمنتهم لذلك لكثرة المجسمة والجهمية وغيرهما من فرق الضلال واستيلائهم على عقول العامة، فقصدوا بذلك ردعهم وبطلان قولهم ومن ثم اعتذر كثير منهم وقالوا لو كنا على ما كان عليه السلف الصالح من صفاء العقائد وعدم المبطلين في زمنهم لم نخض في تأويل شيء من ذلك وقد علمت أن مالكا والأوزاعي وهما من كبار السلف أوّلا الحديث[2]

---

(١) قال التقي الحصني في دفع شبه من شبه وتمرد (ص/ ١١): قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ قال الإمام أحمد: معناه جاء أمر ربك. قال القاضي أبو يعلى: قال الإمام أحمد: المراد به قدرته وأمره، وقد بينه في قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾، يشير إلى حمل المطلق على المقيد وهو كثير في القرءان والسنة والإجماع وفي كلام علماء الأمة لا يجوز عليه الانتقال سبحانه وتعالى، ومثله حديث النزول وممن صرح بذلك الإمام الأوزاعي والإمام مالك لأن الانتقال والحركة من صفات الحدث والله عز وجل قد نزه نفسه عن ذلك. اهـ

(٢) أي حديث النزول، وهذا دليل على أن الامامين ما كانا يحملان ءايات الصفات وأحاديث الصفات التي توهم أنَّ الله متحيّز في مكان أو أنّ له حركةً وسكونًا وانتقالا من علو إلى سفل على ظواهرها كما يحملها المجسمة، وأما ما يروى عن الإمام الأوزاعي أنه قال: كنا والتابعون متوافرون نقول: «إن الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته جل وعلا»، ففي سنده محمد بن كثير بن أبى عطاء الثقفى، مولاهم، أبو يوسف الصنعانى، نزيل المصيصة، ضعفه الإمام أحمد، وقال: يروى أشياء منكرة، وقال البخارى: لين جدا، وقال أبو داود: لم يكن يفهم الحديث، وقال النسائى: ليس بالقوى، كثير الخطأ، وقال ابن عدي:=

تأويلا تفصيليا وكذلك سفيان الثوري أوّل الاستواء على العرش بقصد أمره ونظيره ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي قصد إليها ومنهم الإمام جعفر الصادق بل قال جمع منهم ومن الخلف إن معتقد الجهة كافر كما صرح به العراقي وقال إنه قول لأبي حنيفة ومالك والشافعي والأشعري والباقلاني. اهـ

فالحاصل أن الذي لا يحمل الآيات المتشابهة على ظاهرها بل يقول: لها معان لا أعلمها تليق بالله تعالى غير هذه الظواهر، مثلا استواء الله على العرش له معنى غير الجلوس وغير الاستقرار غير استواء المخلوقين لكن لا أعلمه فهذا سَلِمَ، وهذا هو الغالب على السلف حيث لا يخوضون بتعيين معان لـها وتأويلها مع اعتقاد تنزيه الله عن الجلوس والاستقرار. وكذلك الذي يقول: استواء الله على العرش هو قهره للعرش، سَلِمَ من التشبيه.

فالأول هو التأويل الإجمالي أي يقول استوى استواء يليق به من غير أن يفسره بالقهر، والثاني هو التأويل التفصيلي أي يقول استوى معناه قهر، فمن شاء أخذ بذلك ومن شاء أخذ بهذا.

قال الإمام أحمد الرفاعي رضي الله عنه في البرهان المؤيد(1): وصونوا عقائدكم من التمسك بظاهر ما تشابه من الكتاب والسنة لأن ذلك من أصول الكفر. اهـ

أما الوهابية فليسوا على ما كان عليه السلف ولا الخلف، بل هم على مسلك

---

= له أحاديث لا يتابعه عليها أحد. اهـ انظر تقريب التهذيب (ص/ ٨٩١، دار العاصمة)، ميزان الاعتدال (٦/ ٣١١، دار الكتب العلمية)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٤١٥ - ٤١٧، دائرة المعارف). وفي مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي (١/ ١٢٩، دار الكتب العلمية) قال: «محمد ابن كثير المصيصي شديد الضعف» اهـ وفي نصب الراية للزيلعي (ت٧٦٢هـ)، (١/ ٢٠٨، مؤسسة الريان): وقال ابن القطان في «كتابه»: ومحمد بن كثير، الصنعاني الأصل، المصيصي الدار، أبو يوسف، ضعيف، وأضعف ما هو عن الأوزاعي، قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قال أبي: هو منكر الحديث، يروي أشياء منكرة، وقال صالح بن أحمد بن حنبل: قال أبي: هو عندي ليس ثقة، انتهى كلامه. اهـ قلت: فليس فيه حجة للمجسمة، فإن الإمام الأوزاعي نفى عن الله الكيف، كما تقدم. اهـ

(1) البرهان المؤيد (ص/ ١٧).

المجسمة المشبهة، لأن الوهابية حملوا الاستواء على الاستقرار ومنهم من حمله على الجلوس فوقعوا في تشبيه الله بخلقه، فلا يقال عنهم «السلفيون» أو «السلفية» وإن سموا أنفسهم بذلك ليخدعوا الناس أنهم على مذهب السلف، وقد علمت أن مذهب السلف إنما هو التوحيد والتنزيه دون التجسيم والتشبيه، والمبتدعة يزعمون أنهم على مذهب السلف، فهم كما قال القائل:

وكل يدعي وصلا بليلى ... وليلى لا تُقِر لهم بذاكا

## بيان[1] من تأول من علماء أهل السنة الاستواء على العرش بالقهر والاستيلاء

١- اللغوي السلفي الأديب أبو عبد الرحمٰن عبد الله بن يحيى بن المبارك [ت٢٣٧هـ]، كان عارفا باللغة والنحو، قال في كتابه «غريب القرءان وتفسيره» ما نصه[2]: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[3] استوى: استولى» اهـ

٢- الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري [ت٣١٠هـ] ذكر في تفسيره جامع البيان[4] أن الاستواء في كلام العرب منصرف على وجوه منها الاحتياز

---

(١) هذا فصل معقود لبيان ذكر بعض علماء أهل السنة والجماعة الذين أولوا الاستواء بالقهر والاستيلاء (المجرد عن سبق المغالبة)، وليس المراد حصر التأويل بهذا والقطع به، ولا حصر العدد بهؤلاء العلماء المنزهين. وإنما المراد دفع شبهة الوهابية المجسمة القائلين بنفي هذا التأويل عن علماء أهل السنة، بل وبرمي متأوله بالتعطيل. اهـ

(٢) غريب القرءان وتفسيره (ص/ ٢٤٣)، عالم الكتب.

(٣) سورة طه/ ءاية ٥.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرءان (١/ ١٩١ - ١٩٢)، دار الفكر. وقال في تفسير ءاية الكرسي(٣/ ١٣): والعلي: ذو العلو والارتفاع على خلقه بقدرته. وكذلك قوله: ﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾ ذو العظمة، الذي كل شيء دونه، فلا شيء أعظم منه. اهـ وقال في (٢٧/ ٢١٥): ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ﴾ [سورة الحديد] قبل كل شيء بغير حد. اهـ ثم قال: فلا شيء أقرب إلى شيء منه ومعنى هذه العبارة أن الله موجودٌ بلا مكان فليس الفرش أقرب إلى ذاته من الفرش الذي هو نهاية العالم من جهة أسفل بل كل الأجرام العلوية والسفلية بالنسبة لذات الله على حدّ سواء لأنه منزهٌ عن الحد والمكان. اهـ

والاستيلاء، ثم أوّل قول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾[1]: فقال: علا عليها علو ملك وسلطان لا علو انتقال وزوال[2] اهـ.وهذا من الطبري تـنزيه لله عن الجهة والمكان وعن الاستقرار والجلوس والمحاذاة وما كان من صفة المخلوق[3].

قال الطبري في مقدمة تاريخه[4] عن الله تعالى: لا تحيط به الأوهام، ولا تحويه الأقطار[5]، ولا تدركه الأبصار اهـ.

٣- الإمام اللغوي أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج [ت٣١١هـ] قال فيه الذهبي [ت٧٤٨هـ][6]: «نحوي زمانه» اهـ.

قال في كتابه «معاني القرءان وإعرابه» ما نصه[7]: «وقالوا: معنى استوى

---

(١) سورة البقرة/ ءاية ٢٩.

(٢) قال ابن عطية الأندلسي (٥٤١هـ) في تفسيره المحرر الوجيز (ص/ ٧٠، دار ابن حزم): قال قوم معناه: علا دون تكييف ولا تحديد، وهذا اختيار الطبري، والتقدير: علا أمره وقدرته وسلطانه. اهـ

(٣) ذكر الحافظ السيوطي (٩١١هـ) في كتابه تحذير الخواص من أحاديث القصاص (مخطوط/ ١٥: وفي بعض المجاميع أن قاصا جلس ببغداد فروى في تفسير قوله تعالى: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ أنه يجلسه معه على عرشه فبلغ ذلك الإمام محمد بن جرير الطبري فاحتد من ذلك وبالغ في انكاره وكتب على باب داره: (سبحان من ليس له أنيس ولا له في عرشه جليس). اهـ وفي ترجمة الإمام محمد بن جرير الطبري، شيخ المفسرين ذكر ياقوت الحموي (٦٢٦هـ) في كتابه معجم الأدباء (٦/ ٢٤٥٠، دار الغرب الإسلامي): أن الإمام الطبري قال: وأما حديث الجلوس على العرش فمحال، ثم أنشد: سبحان من ليس له أنيس ولا له في عرشه جليس» اهـ.

(٤) تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر الطبري (١/ ٣) وقال في (ص/ ٢٨): ومن لا يجوز عليه الاجتماع والافتراق، وهو الواحد القادر الجامع بين المختلفات، الذي لا يشبهه شيء، وهو على كل شيء قدير. اهـ

(٥) قال أبو بكر الرازي [توفي بعد سنة٦٩١هـ] في مختار الصحاح، باب القاف (ص/ ٢٢٦، مكتبة لبنان): والقُطْرُ بالضم الناحية والجانب وجمعه أَقْطَار. اهـ

(٦) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٠، مؤسسة الرسالة).

(٧) معاني القرءان وإعرابه (٣/ ٣٥٠، عالم الكتب).

استولى» اهـ.

٤- الإمام أبو منصور محمد بن محمد الماتريدي الحنفي [ت٣٣٣هـ] إمام أهل السنة والجماعة، قال في كتابه المسمى «تأويلات أهل السنة» في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[١] ما نصه[٢]: «الاستيلاء عليه وأن لا سلطان لغيره ولا تدبير لأحد فيه» اهـ.

٥- اللغوي أبو القاسم عبد الرحمٰن بن إسحاق الزجاجي [ت٣٤٠هـ] قال فيه الذهبي ما نصه[٣]: «شيخ العربية وتلميذ العلامة أبي إسحاق إبراهيم ابن السري الزجاج، وهو منسوب إليه» اهـ قال في كتابه «اشتقاق أسماء الله» ما نصه[٤]: «والعلي والعالي أيضًا: القاهر الغالب للأشياء، فقول العرب: علا فلان فلانًا أي غلبه وقهره كما قال الشاعر:

فلما عَلَونا واستوينا عليهم ... تركناهم صرعى لنسر وكاسرِ

يعني غلبناهم وقهرناهم واستولينا عليهم[٥]» اهـ.

٦- الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني [ت٣٦٠هـ] قال

---

(١) سورة طه/ ءاية ٥.

(٢) تأويلات أهل السنة (١/ ٤١١، دار الكتب العلمية).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٧٥).

(٤) اشتقاق أسماء الله (ص/ ١٠٩، مؤسسة الرسالة).

(٥) ٢-ابن عصفور الإشبيلي [ت٦٦٩هـ] قال في شرح جمل الزجاجي (١/ ٥٠٩): «وأما «على» فتكون بمعنى فوق حقيقة أو مجازًا، فمثال على بمعنى فوق حقيقة قولك: زيدٌ على الفرس، وعلى القصر، أي فوقهما، ومثال كونها بمعنى فوق مجازًا قوله:

قد استوى بشر على العراقِ ... من غير سيف ودم مهراق

وذلك أنه قد قهر العراق ودخل تحت أمره فصار قهره له ارتفاعًا منه عليه. ومما يدل على أن القهر علوّ وارتفاع على المقهور إطلاقهم «تحت» في حق المقهور فتقول: فلان تحت قهر فلان وتحت ملكه، فإذا كان المقهور يستعمل في حقه «تحت» تبيّن استعمال العلو والارتفاع في حق القاهر، ومن ذلك أيضًا قولهم: أعطيت فلانا على أنه أساء إليّ. وذلك أن المسيء من شأنه أن لا يُعطى بل يمنع ويقهر. فدخلت على لما في الكلام من معنى القهر والغلبة. اهـ.

في التفسير الكبير[1]: والاستواء: الاستيلاء، ولم يـزل الله سبحانه مستوليا على الأشياء كلها، إلا أن تخصيص العرش لتعظيم شأنه اهـ.

٧- الشيخ الإمام أبو بكر أحمد الرازي الجصّاص الحنفي [ت٣٧٠هـ] قال في كتابه «أحكام القرءان»[2]: قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ قال الحسن: استوى بلطفه وتدبيره، وقيل: استولى اهـ.

٨- أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي [ت٣٧٥هـ] قال في تفسيره[3]: ويقال استوى استولى اهـ.

٩- الإمام أبو بكر بن فورك الأصبهاني [ت٤٠٦هـ] قال في كتابه مشكل الحديث[4]: لأن استواءه على العرش سبحانه ليس على معنى التمكن والاستقرار، بل هو على معنى العلو بالقهر والتدبير وارتفاع الدرجة بالصفة، على الوجه الذي يقتضي مباينة الخلق. اهـ

١٠- الإمام أبو منصور محمد بن الحسن بن أبي أيوب الأيوبي النيسابوري [ت٤٢١هـ] قال[5]: إن كثيرا من متأخري أصحابنا ذهبوا إلى أن الاستواء هو القهر والغلبة. اهـ

١١- الإمام أبو محمد عبد الله بن يوسف الجويني والد إمام الحرمين [ت٤٣٨هـ] قال في كفاية المعتقد[6]: «أما ما ورد من ظاهر الكتاب

---

(١) التفسير الكبير، تفسير القرءان العظيم، (٣/ ٣٧٢) دار الكتاب الثقافي، الأردن.

(٢) أحكام القرءان (٥/ ٤٩)، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي.

(٣) تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم (٢/ ٣٣٦) دار الكتب العلمية.

(٤) كتاب مشكل الحديث أو تأويل الأخبار المتشابهة (ص/ ٢٢٩)، المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق.

(٥) نقل ذلك عنه الإمام البيهقي في الأسماء والصفات (ص/ ٣٨٢)، المكتبة الأزهرية للتراث. وانظر ترجمته في تبيين كذب المفتري (ص/ ٢٤٩)، دار الفكر.

(٦) نقله عنه الحافظ محمد مرتضى الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٢/ ١١٠)، مؤسسة التاريخ العربي. وقد قال الإمام أبو محمد الجويني في كتابه التبصرة (ص/ ١٦، دار الكتب العلمية) عن الله تعالى: وليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وانتفت عنه الكيفية والكمية والأينية. اهـ

والسنة ما يوهم بظاهرها تشبيها فللسلف فيه طريقان إحداهما الإعراض فيها عن الخوض فيها وتفويض علمها إلى الله تعالى، وهذه طريقة ابن عباس وعامة الصحابة وإليها ذهب كثير من السلف». ثم قال: والطريقة الثانية الكلام فيها وفي تفسيرها بأن يردها عن صفات الذات إلى صفات الفعل فيحمل النـزول على قرب الرحمة واليد على النعمة والاستواء على القهر والقدرة، وقد قال رسول الله ﷺ: «كلتا يديه يمين»[1]. ومن تأمل هذا اللفظ انتفى عن قلبه ريبة التشبيه وقد قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾، وقال: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾[2] فكيف يكون على العرش ساعة كونه سادسهم إلا أن يرد ذلك إلى معنى الإدراك والإحاطة لا إلى معنى المكان والاستقرار والجهة والتحديد اهـ.

١٢- المفسّر أبو الحسن علي بن محمد الماوردي [ت٤٥٠هـ] قال في تفسيره «النكت والعيون» ما نصه[3]: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[4]: فيه قولان:... والثاني: استولى على العرش كما قال الشاعر:

قد استوى بِـشْرٌ على العِراقِ  من غير سَيفٍ ودمٍ مُهراقِ» اهـ

---

(١) قال البيهقي في الأسماء والصفات (ص/ ٣١٣ - ٣١٤): وأما قوله: كلتا يديه يمين: فإنه أراد بذلك التمام والكمال، وكانت العرب تحب التيامن وتكره التياسر لما في التياسر من النقصان وفي التيامن من التمام. وقال أبو سليمان الخطابي رحمه الله: ليس فيما يضاف إلى الله عز وجل من صفة اليدين شمال لأن الشمال محل النقص والضعف، وقد روي كلتا يديه يمين، وليس معنى اليد عندنا الجارحة، إنما هو صفة جاء بها التوقيف، فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها. وننتهي إلى حيث انتهى بنا الكتاب والأخبار المأثورة الصحيحة وهو مذهب أهل السنة والجماعة. اهـ

(٢) سورة المجادلة/ ءاية ٧.

(٣) النكت والعيون (٢/ ٢٢٩)، دار الكتب العلمية.

(٤) سورة الأعراف/ ءاية ٥٤.

١٣- الحافظ أبو بكر البيهقي [ت٤٥٨هـ] قال في كتابه «الأسماء والصفات» ما نصه[١]: «وفيما كتب إلي الأستاذ أبو منصور ابن أبي أيوب أن كثيرا من متأخري أصحابنا ذهبوا إلى أن الاستواء هو القهر والغلبة، ومعناه أن الرحمٰن غلب العرش وقهره، وفائدته الإخبار عن قهره مملوكاته، وأنها لم تقهره، وإنما خص العرش بالذكر لأنه أعظم المملوكات، فنبه بالأعلى على الأدنى، قال: والاستواء بمعنى القهر والغلبة شائع في اللغة، كما يقال استوى فلان على الناحية إذا غلب أهلها، وقال الشاعر في بشر بن مروان:

قد استوى بِشْرٌ على العِراقِ ... من غير سَيفٍ ودمٍ مُهراقِ» اهـ

يريد أنه غلب أهله من غير محاربة» اهـ.

١٤- أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري [ت٤٦٨هـ] قال في تفسيره «الوجيز»[٢]: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ أي استولى اهـ.

١٥- الإمام أبو إسحاق الشيرازي [ت٤٧٦هـ] ذكر في كتابه الإشارة إلى مذهب أهل الحق[٣]: ومنهم من قال: الاستواء بمعنى الاستيلاء، استوى على العرش أي استولى عليه، يقال استوى فلان على الملك أي استولى عليه اهـ.

١٦- الشيخ المفسر الحسين بن محمد الدامغاني الحنفي [ت٤٧٨هـ] قال في كتابه «إصلاح الوجوه»[٤]: الاستواء بمعنى القهر والقدرة، قوله تعالى في سورة طه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ أي قدر وقهر. اهـ

---

(١) الأسماء والصفات (ص/ ٣٨٢).

(٢) الوجيز في تفسير القرءان العزيز، المطبوع بهامش مراح لبيد (٢/ ١٥)، دار الفكر، وفي تفسيره الوسيط في القرءان المجيد (٢/ ٣٧٦)، دار الكتب العلمية.

(٣) الإشارة إلى مذهب أهل الحق (ص/ ١٥٥ - ١٥٦) وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر.

(٤) قاموس القرءان أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرءان الكريم (ص/ ٢٥٥)، دار العلم للملايين.

١٧- إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني الشافعي [ت٤٧٨هـ] قال في كتابه «الإرشاد» ما نصه[(١)]: «فإن استدلوا[(٢)] بظاهر قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ فالوجه معارضتهم بآي يساعدوننا على تأويلها، منها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾[(٣)] وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ﴾[(٤)] فنسائلهم عن معنى ذلك، فإن حملوه على كونه معنا بالإحاطة والعلم، لم يمتنع منا حمل الاستواء على القهر والغلبة، وذلك شائع في اللغة، إذ العرب تقول استوى فلان على الممالك إذا احتوى على مقاليد الملك واستعلى على الرقاب. وفائدة تخصيص العرش بالذكر أنه أعظم المخلوقات في ظن البرية، فنص عليه تنبيها بذكره على ما دونه. فإن قيل: الاستواء بمعنى الغلبة ينبئ عن سبق مكافحة ومحاولة، قلنا: هذا باطل، إذ لو أنبأ الاستواء عن ذلك لأنبأ عنه القهر. ثم الاستواء بمعنى الاستقرار بالذات ينبئ عن اضطراب واعوجاج سابق، والتزام ذلك كفر.» اهـ

١٨- الإمام عبد الرحمٰن بن محمد الشافعي المعروف بالمتولي [ت٤٧٨هـ] قال في كتابه «الغنية» في دفع شبهة من منع تفسير الاستواء بالقهر ما نصه[(٥)]: «فإن قيل الاستواء إذا كان بمعنى القهر والغلبة فيقتضي منازعة سابقة وذلك محال في وصفه. قلنا: والاستواء بمعنى الاستقرار يقتضي سبق الاضطراب والاعوجاج، وذلك محال في وصفه» اهـ.

(١) الإرشاد (ص/ ٤٠) مكتبة الخانجي، وانظر كتابه الشامل في أصول الدين (ص/ ٣١٧-٣١٨) دار الكتب العلمية، وكتابه لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة (ص/ ١٠٨) عالم الكتب.
(٢) أي المشبهة.
(٣) سورة الحديد/ ءاية ٤.
(٤) سورة الرعد/ ءاية ٣٣.
(٥) الغنية في أصول الدين (ص/ ٧٨) مؤسسة الكتب الثقافية.

١٩- النحوي أبو الحسن علي بن فضّال المجاشعي [ت٤٧٩هـ] في كتابه النكت في القرءان الكريم[1].

٢٠- اللغوي أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني [ت٥٠٢هـ] قال في كتابه «المفردات» ما نصه[2]: «ومتى عدّي -أي الاستواء- بـ «على» اقتضى معنى الاستيلاء كقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾[3]» اهـ.

٢١- الشيخ الفقيه أبو حامد الغزالي الشافعي [ت٥٠٥هـ] قال في كتابه «إحياء علوم الدين» عندما تكلم عن الاستواء ما نصه[4]: «وليس ذلك إلا بطريق القهر والاستيلاء» اهـ

٢٢- المتكلم أبو المعين ميمون بن محمد النسفي الحنفي [ت٥٠٨هـ] قال في كتابه «تبصرة الأدلة» بعد أن ذكر معاني الاستواء وأن منها الاستيلاء ما نصه[5]: «فعلى هذا يحتمل أن يكون المراد منه: استولى على العرش الذي هو أعظم المخلوقات وتخصيصه بالذكر كان تشريفا له»، ثم قال: وتزييف (بعض) الأشعرية هذا التأويل لمكان أن الاستيلاء يكون بعد الضعف. وهذا لا يتصور في الله تعالى، ونسبتهم هذا التأويل إلى المعتزلة ليس بشيء، لأن أصحابنا أولوا هذا التأويل ولم تختص به المعتزلة. وكون الاستيلاء إن كان في الشاهد عقيب الضعف ولكن لم يكن هذا عبارة عن استيلاء عن ضعف في اللغة، بل ذلك يثبت على وفاق العادة كما يقال علم

---

(١) النكت في القرءان الكريم في معاني القرءان الكريم وإعرابه (ص/ ١٧٤ - ١٧٥)، دار الكتب العلمية.

(٢) المفردات في غريب القرءان (ص/ ٢٥١)، دار المعرفة.

(٣) سورة طه/ ءاية ٥.

(٤) إحياء علوم الدين (١/ ١٨٦)، دار الشعب.

(٥) تبصرة الأدلة (١/ ٢٤٢)، رئاسة الشئون الدينية للجمهورية التركية، وانظر كتابه «بحر الكلام» (ص/ ١١٥ - ١١٦)، مكتبة دار الفرفور.

فلان، وكان ذلك في المخلوقين بعد الجهل، ويقال قدر، وكان ذلك بعد العجز، وهذا الاطلاق جائز في الله تعالى على إرادة تحقق العلم والقدرة بدون سابقة الجهل والعجز، فكذا هذا» اهـ.

٢٣- الإمام أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري [ت ٥١٤هـ] الذي وصفه الحافظ عبد الرزاق الطبسي بإمام الأئمة[١]. قال في كتابه «التذكرة الشرقية» ما نصه[٢]: فإن قيل أليس الله يقول ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[٣] فيجب الأخذ بظاهره، قلنا: الله يقول أيضًا ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾[٤]، ويقول تعالى ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾[٥] فينبغي أيضًا أن نأخذ بظاهر هذه الآيات حتى يكون على العرش وعندنا ومعنا ومحيطا بالعالم محدقا به بالذات في حالة واحدة. والواحد يستحيل أن يكون بذاته في حالة واحدة بكل مكان. قالوا قوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ﴾ يعني بالعلم، و: ﴿بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾ إحاطة العلم، قلنا: وقوله تعالى ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ قهر وحفظ وأبقى» انتهى.

يعني أنهم قد أولوا هذه الآيات ولم يحملوها على ظواهرها فكيف يعيبون على غيرهم تأويل ءاية الاستواء بالقهر، فما هذا التحكم؟!

ثم قال القشيري رحمه الله: «ولو أشعر ما قلنا توهم غلبته لأشعر قوله ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾[٦] بذلك أيضًا حتى يقال كان مقهورا قبل خلق العباد هيهات إذ لم يكن للعباد وجود قبل خلقه إياهم بل لو كان الأمر على ما توهمه الجهلة من أنه استواء بالذات لأشعر ذلك بالتغير

---

(١) نقل ذلك الحافظ ابن عساكر في كتابه «تبيين كذب المفتري» (ص/ ١٦٧)

(٢) نقله الحافظ محمد مرتضى الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» (٢/ ١٠٨).

(٣) سورة طه/ ءاية ٥.

(٤) سورة الحديد/ ٤.

(٥) سورة فصلت/ ءاية ٥٤.

(٦) سورة الأنعام/ ءاية ١٨.

واعوجاج سابق على وقت الاستواء فإن الباريء تعالى كان موجودا قبل العرش، ومن أنصف علم أن قول من يقول العرش بالرب استوى أمثل من قول من يقول الرب بالعرش استوى، فالرب إذا موصوف بالعلو وفوقية الرتبة والعظمة ومنزه عن الكون في المكان وعن المحاذاة» اهـ.

٢٤- القاضي الشيخ أبو الوليد محمد بن أحمد المالكي قاضي الجماعة بقُرْطُبة المعروف بابن رشد الجد [ت٥٢٠هـ] قال ما نصه: «والاستواء في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾[1] معناه استولى قاله الواحدي وقيل معناه القهر والغلبة» اهـ، ذكره ابن الحاج المالكي في كتابه «المدخل»[2] موافقًا له ومقرًّا لكلامه.

٢٥- العلامة الفقيه الأصولي أبو الثناء محمود بن زيد اللامشي الحنفي الماتريدي [ت٥٢٢هـ] قال ما نصه[3]: «ووجه ذلك أن الاستواء قد يُذكر ويراد به الاستقرار، وقد يذكر ويراد به الاستيلاء فيحمل على الاستيلاء دفعا للتناقض، وإنما خص العرش بالذكر تعظيما له كما خصه بالذكر في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[4] وإن كان هو رب كل شيء» اهـ.

٢٦- المفسر أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي [ت٥٤١هـ] قال في تفسيره[5]: وقيل المعنى: استولى كما قال الشاعر:

قد استوى بِشْرٌ على العِراقِ ... من غير سَيفٍ ودمٍ مُهراقِ» اهـ

وهذا إنما يجيء في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ والقاعدة في هذه الآية ونحوها منع النقلة وحلول الحوادث، ويبقى استواء القدرة والسلطان اهـ.

---

(١) سورة الأعراف/ ءاية ٥٤.

(٢) المدخل (٢/ ١٤٨)، مكتبة دار التراث.

(٣) التمهيد لقواعد التوحيد (ص/ ١٠٩)، دار الكتب العلمية.

(٤) سورة التوبة/ ءاية ١٢٩.

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ص/ ٧٠).

وقال[1]: وقد تقدم القول في كلام الناس في الاستواء، واختصاره أن أبا المعالي رجّح أنه استوى بقهره وغلبته، وقال القاضي ابن الطيب وغيره: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ في هذا الموضع استولى. اهـ.

٢٧- القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي [ت٥٤٤هـ] ذكر في كتابه مشارق الأنوار على صحاح الآثار[2] عدة أقوال في تفسير ءاية الاستواء: وقال بعضهم: هو إظهار لآياته لا مكان لذاته.. وقيل: استوى بمعنى العلو بالعظمة،.. وقيل: استوى قهر اهـ.

٢٨- الحافظ الكبير محدث الشام المؤرخ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله [ت٥٧١هـ] قال ما نصه[3]:

خلق السماء كما يشا ء بلا دعائم مستقله
لا للتحيز كي تكو ن لذاته جهة مقله
رب على العرش استوى قهرا وينزل لا بنقله

٢٩- الشيخ نور الدين أحمد بن محمود بن أبى بكر الصابونى [ت٥٨٠هـ] في كتابه البداية من الكفاية[4].

٣٠- الإمام المحدث الحافظ المفسر عبد الرحمٰن بن الجوزي الحنبلي [ت٥٩٧هـ] في كتابه دفع شبه التشبيه[5].

٣١- المفسّر فخر الدين الرازي الشافعي [ت٦٠٦هـ] قال في تفسيره ما نصه[6]: «فثبت أن المراد استواؤه على عالم الأجسام بالقهر والقدرة والتدبير

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ص/ ١٠٢٧).
(٢) مشارق الأنوار على صحاح الآثار (٢/ ٢٣١)، المكتبة العتيقة ودار التراث.
(٣) انظر مقدمة كتابه «تبيين كذب المفتري» (ص/ ٢) للزاهد الكوثري.
(٤) البداية من الكفاية في الهداية في أصول الدين (ص/ ٤٥ - ٤٦)، دار المعارف بمصر.
(٥) انظر الكتاب (ص/ ٢٠)، المكتبة الأزهرية للتراث.
(٦) التفسير الكبير (سورة الرعد:م٩/ ج١٨/ ص٢٣٨)، دار الفكر.

والحفظ» اهـ وقال في موضع ءاخر ما نصه[1]: «قال بعض العلماء: المراد من الاستواء الاستيلاء» ثم قال في دفع شبهة من قال الاستيلاء معناه حصول الغلبة بعد العجز: «إذا فسرنا الاستيلاء بالاقتدار زالت هذه المطاعن بالكلية» اهـ، وقال في كتابه «أساس التقديس»[2]: «وإذا ثبت هذا ظهر أنه ليس المراد من الاستواء الاستقرار، فوجب أن يكون المراد هو الاستيلاء والقهر ونفاذ القدر وجريان الأحكام الإلهية، وهذا مستقيم على قانون اللغة فقد قال الشاعر:

قد استوى بِشْرٌ على العِراقِ ... من غير سَيفٍ ودمٍ مُهراقِ» اهـ

٣٢- القاضي إسماعيل بن إبراهيم الشيباني [ت٦٢٩هـ] قال في كتابه البيان اعتقاد أهل السنة والجماعة[3]: ومن أوّل حمل الاستواء على الاستيلاء اهـ.

٣٣- الشيخ المتكلم سيف الدين الآمدي الحنبلي ثم الشافعي [ت٦٣١هـ] ذكر في كتابه «أبكار الأفكار»[4] أن تفسير الاستواء بالاستيلاء والقهر هو من أحسن التأويلات وأقربها.

٣٤- العالم النحوي الفقيه المالكي أبو عمرو عثمان بن عمر بن الحاجب [ت٦٤٦هـ] قال في أماليه[5]: فإنما أتى بـ «على» لما في الاستواء من معنى الاستعلاء، ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، وقوله [للشاعر]: قد استوى بشر على العراق» اهـ يريد بذلك علو القهر[6]،

---

(١) التفسير الكبير (سورة طه: م١١/ ج٢٢/ ص٧).

(٢) أساس التقديس (ص/ ٢٠٢)، مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة.

(٣) انظر شرحه على العقيدة الطحاوية المسمى بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة (ص/ ٤٦)، دار الرشيد.

(٤) أبكار الأفكار (١/ ٤٦٢)، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

(٥) كتاب أمالي ابن الحاجب (١/ ٢٥٦)، دار عمار ودار الجيل.

(٦) وهذا لا يوهم سبق المغالبة كما لا يوهم قوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [سورة المجادلة/ ءاية ٢١]، ذلك. وفي ترجمة معاوية بن معبد في الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر العسقلاني (٦/ ٢٠٥-٢٠٦، دار الكتب العلمية): قال: كعب بن مالك: =

بدليل قوله في عقيدته[1] عن الله: وعدم حلوله في المتحيز، وعدم اتحاده بغيره، وعدم حلوله فيه، واستحالة كونه في جهة اهـ.

٣٥- الشيخ عبد العزيز بن عبد السلام الشافعي [ت٦٦٠هـ] قال في كتابه «الإشارة إلى الإيجاز»[2]: استواؤه على العرش وهو مجاز عن استيلائه على ملكه وتدبيره إياه اهـ.

٣٦- المفسر أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي [ت٦٧١هـ] قال في تفسيره[3]: وقيل: على دون تكييف ولا تحديد، واختاره الطبري. ويذكر عن أبي العالية الرياحي في هذه الآية أنه يقال: استوى بمعنى أنه ارتفع[4]. قال البيهقي[5]: ومراده من ذلك - والله أعلم - ارتفاع أمره، وهو بخار الماء الذي وقع منه خلق السماء. وقيل: إن المستوى الدخان. وقال ابن عطية: وهذا يأباه وصف الكلام. وقيل: المعنى استولى، كما قال الشاعر:

قد استوى بِشْرٌ على العِراقِ ... من غير سَيفٍ ودمٍ مُهراقِ» اهـ

قال ابن عطية: وهذا إنما يجيء في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ قلت: قد تقدم في قول الفراء عليّ وإليّ بمعنى. وسيأتي لهذا الباب مزيد بيان في سورة «الأعراف» إن شاء الله تعالى. والقاعدة في هذه الآية ونحوها

---

= زعمت سخينة أن ستغلب ربها وليغلبن مغالب الغلاب

فقال النبي ﷺ: شكر الله قولك. اهـ

(١) عقيدة ابن الحاجب (ص/ ١).

(٢) الإشارة إلى الإيجاز (ص/ ١١٠)، دار المعرفة.

(٣) الجامع لأحكام القرءان (١/ ٢٥٥) دار الكتاب العربي، وانظر كتابه الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (ص/ ١٦١)، المكتبة العصرية.

(٤) قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري (١٣/ ٤٠٦) نقلا عن ابن بطال: وأما من فسره: ارتفع، فيه نظر، لأنه لم يصف به نفسه اهـ قلت: وعبارة ابن بطال في شرحه على البخاري (١٠/ ٤٤٨ مكتبة الرشد، الرياض): وأما قول من قال: تأويله: ارتفع، فقول مرغوب عنه لما في ظاهره من إيهام الانتقال من سفل إلى علو، وذلك لا يليق بالله. اهـ

(٥) الأسماء والصفات للبيهقي (ص/ ٣٨٣).

منع الحركة والنقلة. اهـ

٣٧- الشيخ الفقيه الأصولي المفسر شهاب الدين أحمد القَرافي المالكي [ت٦٨٤هـ] قال في كتابه الذخيرة[١] ما نصه: ومعنى قول مالك الاستواء غير مجهول، أن عقولنا دلتنا على الاستواء اللائق بالله وجلاله وعظمته، وهو الاستيلاء دون الجلوس ونحوه مما لا يكون إلا في الأجسام اهـ.

٣٨- المفسر القاضي أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي الشافعي [ت٦٨٥هـ وقيل ٦٩١هـ] قال في تفسيره «أنوار التنزيل» ما نصه[٢] ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[٣]: استوى أمره أو استولى» اهـ

٣٩- المفسر أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي [ت٧١٠هـ وقيل ٧٠١هـ] قال في تفسيره «مدارك التنزيل» ما نصه[٤]: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[٥]: استولى، عن الزجاج» اهـ.

٤٠- اللغوي محمد بن مكرّم الإفريقي المصري المعروف بابن منظور [ت٧١١هـ] قال في كتابه «لسان العرب» من غير أن يتعرض لتفسير ءاية الاستواء ما نصه[٦]: «استوى: استولى، وظهر» اهـ.

٤١- المحدث الفقيه ابن المعلم القرشي [ت٧٢٥هـ]: ذكر في كتابه «نجم المهتدي» معاني الاستواء وأن منها الاستيلاء المجرد عن معنى المغالبة، ولم يعترض على هذا التفسير، نقله الكوثري في تعليقه على «الأسماء والصفات»[٧].

---

(١) الذخيرة في فروع المالكية (١٠/ ٣٧٠)، دار الكتب العلمية.
(٢) أنوار التنـزيل وأسرار التأويل (٣/ ١٦)، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي.
(٣) سورة الأعراف/ ءاية ٥٤.
(٤) مدارك التنـزيل (٣/ ٤٨)، دار الفكر.
(٥) سورة طه/ ءاية ٥.
(٦) لسان العرب (١٤/ ٤١٤)، دار صادر.
(٧) تعليق الكوثري على «الأسماء والصفات» (ص/ ٣٧٧).

٤٢- الشيخ أحمد بن يحيى بن إسماعيل بن جَهْبَل الحلبي الشافعي [ت٧٣٣هـ] قال في رسالته التي ألفها في نفي الجهة عن الله ردا على ابن تيمية ما نصه: «والاستواء بمعنى الاستيلاء» اهـ. نقله التاج السبكي في «طبقاته»[١].

٤٣- القاضي محمد بن إبراهيم الشافعي الشهير ببدر الدين بن جماعة [ت٧٣٣هـ] قال في كتابه «إيضاح الدليل» ما نصه[٢]: «فقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ﴾ يتعين فيه معنى الاستيلاء والقهر لا القعود والاستقرار» اهـ. وقال أيضا[٣]: فإن قيل إنما يقال استولى لمن لم يكن مستوليا قبل أو لمن كان له منازع فيما استولى عليه أو عاجز ثم قدر[٤]؟ قلنا: المراد بهذا الاستيلاء القدرة التامة الخالية من معارض، وليس لفظة ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ﴾ هنا لترتيب ذلك بل هي من باب ترتيب الأخبار، وعطف بعضها على بعض، فإن قيل فالاستيلاء حاصل بالنسبة إلى جميع المخلوقات، فما فائدة تخصيصه بالعرش؟ قلنا: خص بالذكر لأنه أعظم المخلوقات إجماعا، كما خصه بقوله ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ وهو رب كل شيء، فإذا استولى على العرش المحيط بكل شيء استولى على الكل قطعا اهـ.

٤٤- الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري المغربي المالكي المعروف بابن الحاج [ت٧٣٧هـ] كان من أصحاب العلامة الولي العارف بالله الزاهد المقرئ ابن أبي جمرة رحمه الله تعالى ونفعنا به، ذكر في كتابه «المدخل»[٥]

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٩/ ٤٩)، دار إحياء الكتب العربية.

(٢) إيضاح الدليل (ص/ ١٣٢)، دار اقرأ.

(٣) إيضاح الدليل (ص/ ١٣٦).

(٤) قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري (١٣/ ٤٠٦) في دفع هذه الشبهة: وقد ألزمه من فسره بالاستيلاء بمثل ما ألزم هو به من أنه صار قاهرا بعد أن لم يكن، فيلزم أنه صار غالبا بعد أن لم يكن؛ والانفصال عن ذلك للفريقين بالتمسك بقوله تعالى ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [سورة النساء/ ءاية ١٧] فإن أهل العلم بالتفسير قالوا معناه لم يزل كذلك. اهـ

(٥) المدخل (٢/ ١٤٨)، مكتبة دار التراث.

كلام ابن رشد الجد الذي ذكرناه ءانفا مؤيدا وموافقا له.

٤٥- الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد المؤمن الشافعي المعروف بابن اللبان [ت٧٤٩هـ] قال في كتابه «إزالة الشبهات»[١]: وفسره بعضهم بالاستيلاء، وأنكره الأعرابي، وقال: العرب لا يقولون: استولى إلا لمن له مضاد، وفيما قاله نظر، لأن الاستيلاء من الولى وهو القرب أو من الولاية، وكلاهما لا يفتقر في إطلاقه لمضاد اهـ.

٤٦- المفسر النحوي أبو حيان الأندلسي [ت٧٥٤هـ] ذكر في تفسيره[٢] عدة أقوال في معنى الاستواء: الثاني: علا وارتفع من غير تكييف ولا تحديد، قاله الربيع بن أنس، والتقدير: علا أمره وسلطانه، واختاره الطبري. الثالث: أن يكون إلى بمعنى على، أي استوى على السماء، أي تفرد بملكها ولم يجعلها كالأرض ملكا لخلقه، ومن هذا المعنى قول الشاعر:

فلما علونا واستوينا عليهم ... تركناهم صرعى لنسر وكاسر

ومعنى هذا الاستيلاء كما قال الشاعر:

قد استوى بِشْرٌ على العِراقِ ... من غير سَيفٍ ودمٍ مُهراقِ» اهـ

٤٧- القاضي عبد الرحمٰن بن أحمد الإيجي [ت٧٥٦هـ] قال في كتابه «المواقف»[٣] عن الاستواء: فقال الأكثرون: هو الاستيلاء، ويعود إلى القدرة. اهـ

٤٨- الإمام الفقيه تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي [ت٧٥٦هـ] قال في كتابه «السيف الصقيل» ما نصه[٤]: «فالمقدم على هذا التأويل -أي

---

(١) إزالة الشبهات عن الآيات والأحاديث المتشابهات (ص/ ١٠٣)، دار البيان العربي.

(٢) البحر المحيط في التفسير (١/ ٢١٧)، دار الفكر.

(٣) المواقف في علم الكلام (ص/ ٢٩٧)، عالم الكتب.

(٤) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل (ص/ ٧٧)، المكتبة الأزهرية للتراث.

تأويل الاستواء بالاستيلاء- لم يرتكب محذورا ولا وصف الله تعالى بما لا يجوز عليه» اهـ.

٤٩- اللغوي المفسر أحمد بن يوسف الشافعي المعروف بالسَّمين الحلبي [ت٧٥٦هـ] قال في كتابه «عمدة الحفاظ» ما نصه[١]: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[٢]: أي استولى» اهـ.

٥٠- الشيخ عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعي [ت٧٦٨هـ] قال في كتابه روض الرياحين[٣]: وقال كثير من الأئمة الكبار العارفين أهل الأنوار والأصوليين النظار: استوى معناه استولى اهـ.

٥١- القاضي محمود بن أحمد القونوي الحنفي المعروف بابن السراج [ت٧٧٠هـ ويقال ٧٧١هـ] كما في كتابه «القلائد»[٤]. وعبارته: لا بد وأن يفهم منه القهر والاستيلاء إذ هو أشرف معاني الاستواء، فإذا تمدح به من هو المنـزه عن التمكن والجهات فأولى أن يفهم منه ما يليق به من الصفات، فعلى هذا يحتمل أن يكون المراد منه استولى على العرش الذي هو أعظم المخلوقات، وتخصيصه بالذكر كان تشريفا له اهـ.ثم قال: فإن قيل هذا التأويل غير جائز لوجوه أحدها أن الاستيلاء عبارة عن حصول الغلبة بعد العجز وذلك في حق الله تعالى محال وثانيها أنه إنما يقال فلان استولى على كذا إذا كان المستولى عليه موجودا قبل ذلك ولا يمكن أن يكون كذلك لما كان العرش مخلوقا بخلقه تعالى وثالثها أن الاستيلاء لا يكون مخصوصا بالعرش فلو كان المراد بالاستواء الاستيلاء لكان تخصيص العرش بالذكر خاليا عن الفائدة، والجواب: أنّا إذا فسّرنا الاستيلاء بالاقتدار سقطت هذه الشبهات بالكلية اهـ.

---

(١) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (٢/ ٢٤٠ - ٢٤١)، دار الكتب العلمية.

(٢) سورة طه/ ءاية ٥.

(٣) روض الرياحين في حكايات الصالحين (ص/ ٢٤٤)، المطبعة الميمنية بمحروسة مصر المحمية.

(٤) القلائد شرح العقائد (ص/ ٦٧ - ٦٨)، مخطوط.

٥٢- القاضي تاج الدين عبد الوهاب السبكي [ت٧٧١هـ] قال في كتابه السيف المشهور[١]: إن معنى الاستواء الاستيلاء أي استولى على العرش الذي هو أعظم المخلوقات، وبالاستيلاء عليه يكون مستوليا على الوجود بأسره اهـ.

٥٣- العلامة أكمل الدين محمد بن محمد البابرتي الحنفي [ت٧٨٦هـ] قال في كتابه[٢] شرح وصية الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه بعد أن ذكر بعض معاني الاستواء: على أن الترجيح للاستيلاء لأنه تعالى تمدَّح به والاستواء للمدح فيما بينهم يُفهم منه الاستيلاء وتخصيصه باعتبار أعظم المخلوقات اهـ.

٥٤- اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي [ت٨١٧هـ] قال في كتابه «بصائر ذوي التمييز» عند ذكر معاني الاستواء ما نصه[٣]: «بمعنى القهر والقدرة ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[٤] ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[٥]» اهـ.

٥٥- الشيخ عز الدين محمد بن أبي بكر بن جماعة الشافعي [ت٨١٩هـ] قال في درج المعالي شرح بدء الأمالي[٦] ما نصه: مذهب أهل الحق أن الله تعالى ليس في جهة ولا مكان، وقالوا في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ المراد منه استولى. اهـ

٥٦- الشيخ الفقيه تقي الدين الحصني الشافعي [ت٨٢٩هـ] قال في كتابه «دفع شبه من شبه وتمرد» في معرض بيان معنى الاستواء في اللغة ما نصه[٧]: «ومنها الاستيلاء على الشيء» اهـ.

٥٧- الفقيه الأصولي كمال الدين محمد بن عبد الواحد الحنفي المعروف بابن

---

(١) السيف المشهور في شرح عقيدة أبي منصور (ص/ ٢٧).
(٢) شرح وصية الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه (ص/ ١٠١)، دار الفتح للدراسات والنشر.
(٣) بصائر ذوي التمييز (٢/ ١٠٦ - ١٠٧)، المكتبة العلمية.
(٤) سورة الأعراف/ ءاية ٥٤.
(٥) سورة طه/ ءاية ٥.
(٦) درج المعالي شرح بدء المعالي (ص/ ٥٥)، مؤسسة الكتب الثقافية.
(٧) دفع شبه من شبه وتمرد (ص/ ١٧)، المكتبة الأزهرية للتراث.

الـهُمَام [ت ٨٦١هـ] قال في كتابه «المسايرة» ما نصه[1]: «أما كون المراد أنه -أي الاستواء- استيلاؤه على العرش فأمر جائز الإرادة» اهـ.

٥٨- جلال الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد المحلي الشافعي [ت ٨٦٤هـ] قال في كتابه البدر الطالع[2]: فيؤول الاستواء بالاستيلاء اهـ.

٥٩- عبد الرحمـٰن بن محمد بن مخلوف أبو زيد الثعالبي المالكي [ت٨٧٥هـ] قال في تفسيره الجواهر الحسان[3]: والقاعدة في هذه الآية ونحوها منع النقلة وحلول الحوادث ويبقى استواء القدرة والسلطان. اهـ

٦٠- الشيخ محمد بن سليمان الكافيجي [ت٨٧٩هـ] أحد مشايخ السيوطي قال في كتابه «التيسير» ما نصه[4]: «أما التأويل في العرف فهو صرف اللفظ إلى بعض الوجوه ليكون ذلك موافقا للأصول كما إذا قال القائل: الظاهر أن المراد من الاستواء في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[5] هو الاستيلاء بما لاح لي من الدليل فذلك تأويل برأي الشرع» اهـ.

٦١- المحدث الشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفي [ت٨٧٩هـ] قال في حاشيته على «المسايرة» ما نصه[6]: «أجاب أهل الحق بأن الاستواء مشترك بين معان.....، والمعنى الأليق الاستيلاء» اهـ.

٦٢- المفسر أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي المتوفى بعد سنة

---

(١) كتاب المسامرة للكمال بن أبي شريف بشرح المسايرة للكمال بن الهمام، وعلى المسايرة حاشية للشيخ زين الدين قاسم (ص/ ٣٢)، المطبعة الكبرى الأميرية.

(٢) البدر الطالع في حل جمع الجوامع (٢/ ٤١٩)، مؤسسة الرسالة ناشرون.

(٣) تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرءان (١/ ٢٠٤) و(٣/ ٣٧)، دار إحياء التراث العربي.

(٤) التيسير في قواعد علم التفسير (ص/ ١٢٥)، دار القلم ودار الرفاعي.

(٥) سورة طه/ ءاية ٥.

(٦) كتاب المسامرة للكمال بن أبي شريف بشرح المسايرة للكمال بن الهمام، وعلى المسايرة حاشية للشيخ زين الدين قاسم (ص/ ٣٤).

٨٨٠هـ كما في كتابه اللباب في علوم الكتاب[١]، وقال أيضا[٢]: قال ابنُ الخطيب: قالت المشبِّهةُ: لو لم يكن الله في العرشِ لكان حملُ العرش عبثًا لا فائدة فيه، لا سيما قد أكَّد ذلك بقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾[٣]، والعرش إنَّما يكونُ لو كان الإلهُ حاضرًا في العرش. وأجاب: بأنه لا يمكن أن يكون المراد أنَّ الله -تعالى- جالس في العرش، لأن كل من كان حاملًا للعرش؛ كان حاملًا لكل ما كان في العرش فلو كان الإلهُ على العرش لزم أن كون الملائكة حاملين لله تعالى، وذلك محالٌ؛ لأنه يقتضي احتياج الله إليهم، وأن يكونوا أعظم قدرًا من الله، وكل ذلك كفرٌ، فعلمنا أنه لا بد فيه من التأويل، فنقول: السببُ في هذا الكلام هو أنه -تعالى- خاطبهم بما يتعارفونه، فخلق لنفسه بيتًا يزورونه ليس أنه يسكنه -تعالى الله عن ذلك- وجعل في ركن البيت حجرًا، هو يمينه في الأرض إذْ كان من شأنهم أن يعظموا رؤساءهم بتقبيل أيمانهم، وجعل على العبادِ حفظةً لا لأن النسيان يجوزُ عليه سبحانه، وكذلك أنَّ الملك إذا أراد محاسبة عماله جلس على سريره، ووقفت الأعوانُ حوله، فسمى الله يوم القيامة عرشًا، وحفَّت به الملائكة لا لأنه يقعد عليه، أو يحتاجُ إليه، بل كما قلنا في البيت والطَّواف. اهـ

٦٣- الشيخ شمس الدين محمد النكساري [ت٩٠١هـ] قال في شرحه على بدء الأمالي[٤]: إن الاستواء يذكر ويراد به الاستيلاء والاتمام والاستقرار فلا يكون حجة مع الاحتمال بل على أن الترجيح للاستيلاء لأن المقام مقام مدح فلو حمل على غيره لا يبقى مدح. اهـ

٦٤- الشيخ كمال الدين محمد بن محمد الشافعي المعروف بابن أبي شريف

(١) اللباب في علوم الكتاب (٩/ ١٥٢)، دار الكتب العلمية.

(٢) اللباب في علوم الكتاب (١٩/ ٣٢٩).

(٣) سورة الحاقة/ ءاية ١٨.

(٤) انظر شرحه على بدء الأمالي (ص/ ٩ - ١٠) مخطوط.

[ت٩٠٥هـ] شارح كتاب «المسايرة» لابن الـهمام الذي مر ذكره ووافقه على التأويل باستولى[١].

٦٥- الحافظ جلال الدين السيوطي الشافعي [ت٩١١هـ] في كتاب الكنز المدفون والفلك المشحون[٢] قال ما نصه: العرش أعلى العالم وليس شىء بأعلى منه ولا أظهر، ولذلك خص الاستواء عليه وهو استواء استيلاء فمن استولى على أعظم المخلوقات استولى على ما دونه اهـ.

٦٦- الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني الشافعي [ت٩٢٣هـ] قال في شرحه على البخاري[٣]: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ﴾ استولى ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ أضاف الاستيلاء إلى العرش، وإن كان سبحانه مستوليا على جميع المخلوقات لأن العرش أعظمها وأعلاها، وتفسير العرش بالسرير والاستواء بالاستقرار كما يقوله المشبهة باطل لأنه تعالى كان قبل العرش ولا مكان وهو الآن كما كان لأن التغير من صفات الأكوان اهـ.

٦٧- القاضي الشيخ زكريا بن محمد الأنصاري المصري الشافعي [ت٩٢٦هـ] كما في كتابه «غاية الوصول شرح لب الأصول»[٤].

٦٨- الشيخ علوان ابن السيد عطية الحسيني الحموي [ت٩٣٦هـ] كما في كتابه بيان المعاني[٥].

٦٩- الشيخ أبو الحسن علي بن محمد المنوفي المالكي المصري [ت٩٣٩هـ] قال في

---

(١) كتاب المسامرة للكمال بن أبي شريف بشرح المسايرة للكمال بن الهمام (ص/ ٣٢).

(٢) انظر الكتاب (ص/ ١٢١) مؤسسة النعمان، وقيل: هذا الكتاب لغير السيوطي. انظر الأعلام لخير الدين الزركلي (٨/ ٢٦٣). اهـ

(٣) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١٠/ ٤١٤)، دار الطباعة المصرية الكائنة ببولاق مصر المحمية.

(٤) غاية الوصول (ص/ ١٦٣)، دار الكتب العربية الكبرى، و«الإعلام والاهتمام» (ص/ ٣٧٢)، عالم الكتب.

(٥) بيان المعاني في شرح عقيدة الشيباني (ص/ ٢٥)، المطبعة الأدبية.

كتابه «كفاية الطالب»[1] ما نصه: «فمعنى استوائه على عرشه أن الله تعالى استولى عليه استيلاء ملك قادر قاهر، ومن استولى على أعظم الأشياء كان ما دونه في ضمنه ومنطويا تحته، وقيل الاستواء بمعنى العلو[2] أي علو مرتبة ومكانة لا علو المكان» اهـ.

٧٠- المفسر محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي الحنفي المعروف بشيخ زاده [ت٩٥١هـ] كما في حاشيته[3] على تفسير البيضاوي فقد قال: «ولا يتوهم أيضًا من استوائه على العرش كونه معتمدا عليه مستقرا فوقه بحيث لولا العرش لسقط ولنزل لأن ذلك مستحيل في حقه تعالى لاتفاق المسلمين على أنه تعالى هو الممسك للعرش والحافظ [له] وأنه لا يحتاج إلى شيء مما سواه بل المراد من الاستواء على العرش، والله أعلم، الاستيلاء عليه ونفاذ التصرف، وخص العرش بالاستيلاء عليه لأنه أعظم المخلوقات، قال الشاعر:

قد استوى بِشْرٌ على العِراقِ ... من غير سَيفٍ ودمٍ مُهراقِ» اهـ

٧١- الشيخ جمال الدين يوسف بن عبد الله الأرميوني الشافعي [ت٩٥٨هـ] في كتابه «القول المعتمد»[4].

---

(١) كفاية الطالب الرباني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (١/ ١١٢)، مطبعة المدني.

(٢) وعلى هذا يحمل ما أورده البخاري تعليقا في الجامع الصحيح: باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم، وقال مجاهد: استوى علا على العرش. اهـ قال الزجاج [٣١١هـ]في كتابه تفسير أسماء الله الحسنى (ص/ ٦٠، دار المأمون للتراث): وليس المراد بالعلو: ارتفاع المحل، لأن الله تعالى يجل عن المحل والمكان، وإنما العلو علو الشأن وارتفاع السلطان. اهـ قال القرطبي في تفسيره (٧/ ٢٢٠): فعلو الله تعالى وارتفاعه عبارة عن علو مجده وصفاته وملكوته. أي ليس فوقه فيما يجب له من معاني الجلال أحد، ولا معه من يكون العلو مشتركا بينه وبينه، لكنه العلي بالإطلاق سبحانه. اهـ

(٣) حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي (٤/ ٥٤١)، دار الكتب العلمية.

(٤) القول المعتمد في تفسير قل هو الله أحد (ص/ ٧١)، دار ابن حزم.

٧٢- شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي [ت٩٧٧هـ] كما في كتابه السراج المنير(١).

٧٣- المفسر القاضي أبو السعود محمد بن محمد العمادي الحنفي [ت٩٨٢هـ] في تفسيره «إرشاد العقل السليم»(٢).

٧٤- شمس الدين محمد الرملي [ت١٠٠٤هـ] ناقلًا كلام ابن الهمام مقرًا له ومستحسنًا في فتاويه(٣).

٧٥- الشيخ ملا علي القاري الحنفي [ت١٠١٤هـ] في ضوء المعالي شرح بدء الأمالي(٤) قال ما نصه: والمجسمة وهم الحشوية يصرحون بالاستقرار على العرش لظاهر الآية، ولا حجة فيها، لأن الاستواء له معان كالاستيلاء ومنه قول الشاعر:

قد استوى بِشْرٌ على العِراقِ     من غير سَيفٍ ودمٍ مُهراقِ» اهـ

٧٦- مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي [ت١٠٣٣هـ] ناقلا كلام ابن الهمام مقرا له ومستحسنا كما في كتابه أقاويل الثقات(٥).

٧٧- الشيخ برهان الدين إبراهيم اللقاني المالكي [ت١٠٤١هـ] في شرحه على منظومته جوهرة التوحيد(٦).

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (١/ ٤١) مطبعة بولاق، ذكر أنه قيل في تفسير استوى استولى.

(٢) تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٢/ ٣٤٩)، مكتبة الرياض الحديثة.

(٣) فتاوى شمس الدين محمد الرملي بهامش الفتاوى الكبرى الفقهية لابن حجر الهيتمي (٤/ ٢٧١، دار الفكر).

(٤) ضوء المعالي شرح بدء الأمالي (ص/ ١١ – ١٢) مخطوط.

(٥) أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات (ص/ ١٣٣)، مؤسسة الرسالة.

(٦) هداية المريد لجوهرة التوحيد (١/ ٤٠٣ و٤٩٢)، دار البصائر.

٧٨- القاضي كمال الدين أحمد البياضي الحنفي [ت١٠٩٧هـ] ناقلا قول بعض العلماء كما في كتابه إشارات المرام(١).

٧٩- الشيخ إسماعيل بن عبد الباقي اليازجي الشهير بابن كاتب الينكجرية [ت١١٢١هـ] في ضوء اللآلي شرح بدء الأمالي(٢). وفي مختصره نور المعالي لشرح بدء الأمالي(٣)، وعبارته في نور المعالي: لا يجوز وصفه تعالى بالاستقرار على العرش أو في مكان أو في جهة ما، تعالى وتنزه عن ذلك، وهذا مذهبنا أهل الحق، خلافا للمجسمة القائلين بأن الله فوق العرش، المعبرين عن الاستواء في الآية بالاستقرار، وأجاب أهل الحق أن المراد بالاستواء في النص الاستيلاء كما قال الشاعر:

قد استوى بِشْرٌ على العِراقِ          من غير سَيفٍ ودمٍ مُهراقِ» اهـ

٨٠- الشيخ أحمد بن غنيم النفراوي الأزهري المالكي [ت١١٢٦هـ] في كتابه «الفواكه الدواني»(٤)، قال ما نصه: «استوى أي استولى بالقهر والغلبة استيلاء ملك قاهر وإله قادر، ويلزم من استيلائه تعالى على أعظم الأشياء وأعلاها استيلاؤه على ما دونه» اهـ

٨١- الشيخ إسماعيل حقي [ت١١٣٧هـ] قال في تفسيره روح البيان(٥): قال ابن الشيخ: ومعنى الاستواء عليه الاستيلاء عليه بالقهر ونفاذ التصرف فيه وخص العرش بالإخبار عن الاستواء عليه لكونه أعظم المخلوقات فيفيد أنه استولى على ما دونه اهـ.

٨٢- الشيخ المفسر سليمان بن عمر الشافعي الشهير بالجمل [ت١٢٠٤هـ] نقل

---

(١) إشارات المرام من عبارات الإمام (ص/ ١٨٩)، زمزم بيلشرز.
(٢) ضوء اللآلي شرح بدء الأمالي (ص/ ٩).
(٣) نور المعالي لشرح بدء الأمالي (ص/ ٨).
(٤) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (١/ ٨١)، دار الكتب العلمية.
(٥) روح البيان (م٤/ ج١١/ ص١٠) وانظر (م٥/ ج١٦/ ص٣٦٣)، المطبعة العثمانية.

في حاشيته على تفسير الجلالين عن شيخه ما نصه[1]: «وطريقة الخلف التأويل بتعيين محمل اللفظ فيؤولون الاستواء بالاستيلاء» اهـ.

٨٣- الحافظ اللغوي الفقيه محمد مرتضى الزبيدي الحنفي [ت١٢٠٥هـ] قال في شرح الإحياء ما نصه[2]: «وإذا خيف على العامة لقصور أفهامهم عدم فهم الاستواء إذا لم يكن بمعنى الاستيلاء إلا بالاتصال ونحوه من لوازم الجسمية وأن لا يقفوا تلك اللوازم فلا بأس بصرف فهمهم إلى الاستيلاء صيانة لهم من المحذور، فإنه قد ثبت إطلاقه وإرادته لغة» اهـ.وقال[3]: فإن قيل فهذا يشعر بكونه مغلوبا مقهورا قبل الاستواء، قيل: إنما يشعر بما قلتم أن لو كان للعرش وجود قبل الخلق وكان قديما، والعرش مخلوق وكل ما خلقه حصل مسخرًا تحت خلقه فلولا خلقه إياه لما حدث، ولولا إبقاؤه إياه لما بقي، ونص على العرش لأنه أعظم المخلوقات فيما نقل إلينا، وإذا نص على الأعظم فقد اندرج تحته ما دونه. اهـ

٨٤- الشيخ محمد الإطفيحي الشافعي [ت١١١٥هـ] في حاشيته على هداية المريد[4].

٨٥- الشيخ أحمد بن محمد العدوي الشهير بالدردير [ت١٢٠١هـ] كما في كتابه شرح الخريدة البهية في علم التوحيد[5].

٨٦- الشيخ محمد الطيب بن عبد المجيد المدعو ابن كيران المالكي [ت١٢٢٧هـ] في شرحه على توحيد العالم الماهر سيدي عبد الواحد بن عاشر[6] مفسرا الاستواء على العرش بالقهر والغلبة، كقوله:

---

(١) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية (٢/ ١٥٦)، المطبعة العامرة.

(٢) إتحاف السادة المتقين (٢/ ١٠٦).

(٣) إتحاف السادة المتقين (٢/ ١٠٨).

(٤) انظر حاشيته على هداية المريد لجوهرة التوحيد (١/ ٤٠٣ و٤٩٢).

(٥) شرح الخريدة البهية في علم التوحيد (ص/ ٧١).

(٦) انظر الكتاب (ص/ ٥٤)، مطبعة التوفيق الأدبية.

فلما علونا واستوينا عليهم تركناهم صرعى لنسر وكاسر

وقوله:

قد استوى بِشْرٌ على العِراقِ من غير سَيفٍ ودمٍ مُهراقِ» اهـ

وخص العرش لأنه أعظم المخلوقات، ومن استولى على أعظمها كان استيلاؤه على غيره أحرى» اهـ.

٨٧- الشيخ محمد بن سليمان الحلبي الريحاوي [ت١٢٢٨هـ] في كتابه نخبة اللآلى لشرح بدء الأمالي[١].

٨٨- الشيخ أحمد بن محمد المالكي الصاوي [ت١٢٤١هـ] كما في شرحه «على جوهرة التوحيد[٢]».

٨٩- الشيخ حسن بن محمد العطار [ت١٢٥٠هـ] كما في حاشيته على جمع الجوامع[٣].

٩٠- شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي [ت١٢٧٠هـ] قال في تفسيره روح المعاني[٤]: وقد توسط ابن الهمام[٥] في المسايرة وقد بلغ رتبة الاجتهاد كما قال عصريّنا ابن عابدين الشامي في رد المحتار حاشية الدر المختار توسطا أخص من هذا التوسط فذكر ما حاصله وجوب الإيمان بأنه تعالى استوى على العرش مع نفي التشبيه وأما كون المراد استولى فأمر جائز الإرادة لا واجبها إذ لا دليل عليه وإذا خيف على العامة عدم فهم الاستواء إذا لم يكن بمعنى الاستيلاء إلا بالاتصال ونحوه من لوازم

---

(١) انظر الكتاب (ص/ ٢٨) وقف الإخلاص.

(٢) شرح الصاوي على جوهرة التوحيد (ص/ ٢٢٥)، دار ابن كثير.

(٣) حاشية العطار على جمع الجوامع (٢/ ٤٦١)، دار الكتب العلمية.

(٤) روح المعاني في تفسير القرءان والعظيم والسبع المثاني (ج١٦/ ١٥٦)، دار إحياء التراث العربي.

(٥) هو محققٌ في المذهب الحنفي.

الجسمية فلا بأس بصرف فهمهم إلى الاستيلاء فإنه قد ثبت اطلاقه عليه لغة في قوله:

فلما علونا واستوينا عليهم    تركناهم صرعى لنسر وكاسر. اهـ

٩١- الشيخ إدريس بن أحمد الوزاني الفاسي المولود سنة ١٢٧٥هـ في «نشر الطيب على شرح الشيخ الطيب»[١] قال: «الاستواء يطلق لغة على الاستقرار على الشيء ولكن لا يحمل على ظاهره كما تقول المشبهة بل المراد لازمه الذي هو الاستيلاء بالقهر والغلبة» اهـ.

٩٢- المحدث أبو عبد الله محمد بن درويش الحوت البيروتي الشافعي [ت١٢٧٦هـ] قال في رسالته «الدرة الوضية في توحيد رب البرية» ما نصه[٢]: «وقد أوَّل الخلف الاستواء بالقهر والاستيلاء على العرش» اهـ.

٩٣- الشيخ إبراهيم محمد البيجوري الشافعي [ت١٢٧٧هـ] قال في شرح «جوهرة التوحيد»[٣] في تفسير ءاية الاستواء: والخلف يقولون: المراد به الاستيلاء والملك اهـ.

٩٤- الشيخ محمد علاء الدين بن محمد أمين عابدين الدمشقي الحنفي [ت١٣٠٦هـ] في كتابه «الهدية العلائية»[٤] قال ما نصه: وقالوا «استوى» بمعنى استولى اهـ.

٩٥- الشيخ إسماعيل بن موسى بن عثمان الحامدي المالكي [ت١٣١٦هـ] قال في شرحه على العقيدة الصغرى[٥]: وأما قوله تعالى في سورة طه:

(١) نشر الطيب على شرح الشيخ الطيب (١/ ٤٤٨)، المطبعة المصرية بالأزهر.

(٢) الدرة الوضية في توحيد رب البرية (ص/ ٨). طبع محمد مصباح الحوت.

(٣) تحفة المريد على جوهرة التوحيد (ص/ ١٥٧)، دار السلام.

(٤) الهدية العلائية (ص/ ٢٨٠)، دار ابن حزم.

(٥) شرح إسماعيل بن موسى بن عثمان الحامدي على العقيدة الصغرى لأحمد الدردير (ص/ ٢٠، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده)، وانظر كتابه حواش على شرح الكبرى للسنوسي=

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ فمعناه والله أعلم أنه مستول بقهره وعظمته وسلطانه، وليس المعنى أنه جالس على العرش، لأن هذا من صفات الحوادث وهو محال في حقه تعالى، وبالجملة فكل ما خطر ببالك من صفات الحوادث فالله بخلاف ذلك. اهـ

٩٦- الشيخ الفقيه المفسر المتكلم محمد نووي الشافعي الجاوي [ت١٣١٦هـ] في تفسيره[١].

٩٧- الشيخ حسين الجسر الطرابلسي [ت١٣٢٧هـ] في كتابه الحصون الحميدية للمحافظة على العقائد الإسلامية[٢].

٩٨- شيخ الأزهر في مصر الأستاذ سليم البشري [ت١٣٣٥هـ] قال في فتوى له نقلها الشيخ سلامة العزامي [ت١٣٧٦هـ] في رسالته «فرقان القرءان»[٣]: كقولهم (أي الخلف) إن الاستواء بمعنى الاستيلاء اهـ.

٩٩- الشيخ محمد بن محفوظ الترمسي الأندنوسي [ت١٣٣٨هـ] قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[٤]: «فالظاهر من ذلك ليس مرادا اتفاقا، ثم السلف يفوضون علم حقيقته على التفصيل إلى الله، والخلف يؤولونه إلى أن المراد من الاستواء الاستيلاء والملك، على حد قول الشاعر:

---

= (ص/ ٥٠٣)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده).

(١) التفسير المنير لمعالم التنزيل المسمى مراح لبيد (١/ ٢٦٩ - ٢٧٠)، المطبعة العثمانية سنة ١٣٠٥هـ.

(٢) انظر الكتاب (ص/ ٤١)، المكتبة التجارية الكبرى.

(٣) فرقان القرءان بين صفات الخالق وصفات الأكوان (ص/ ٧٥، دار إحياء التراث العربي)، وطبعت أيضًا في أول كتاب الأسماء والصفات للبيهقي.

(٤) انظر كتابه موهبة ذي الفضل على شرح ابن حجر مقدمة بافضل (٢/ ٥٠٢)، المطبعة العامرة بمصر.

قد استوى بِشْرٌ على العِراقِ — من غير سَيفٍ ودمٍ مُهراقِ» اهـ

١٠٠- الشيخ طاهر بن محمد الجزائري الدمشقي [ت١٣٣٨هـ] كما في كتابه «الجواهر الكلامية»[١].

١٠١- الشيخ محمد الحنيفي الحلبي [ت١٣٤٢هـ] في كتابه المنهج السديد[٢].

١٠٢- الشيخ خليل أحمد السهارنفوري [ت١٣٤٦هـ] قال في كتاب الـمُهَنّد على الـمُفَنّد[٣]: قولنا في أمثال تلك الآيات: إنا نؤمن بها، ولا يقال كيف، ونؤمن بأن الله سبحانه وتعالى متعال ومنزه عن صفات المخلوقين وعن سمات النقص والحدوث كما هو رأي قدمائنا وأما ما قال المتأخرون من أئمتنا في تلك الآيات ويؤولونها بتأويلات صحيحة سائغة في اللغة والشرع بأنه يمكن أن يكون المراد من الاستواء: الاستيلاء، ومن اليد: القدرة، إلى غير ذلك، تقريبا إلى أفهام القاصرين، فحق أيضًا عندنا، وأما الجهة والمكان: فلا نجوز إثباتها له تعالى، ونقول إنه تعالى منزه ومتعال عنهما وعن جميع سمات الحدوث اهـ.

١٠٣- الشيخ عبد المجيد الشرنوبي المصري الأزهري المالكي [ت١٣٤٨هـ] كما في شرحه[٤] على «تائية السلوك» وفي «تقريب المعاني».

١٠٤- الشيخ محمود محمد الخطاب السبكي الأزهري [ت١٣٥٢هـ] كما في كتابه «إتحاف الكائنات»[٥].

١٠٥- الشيخ عثمان بن حسنين برّي الجعلي المالكي. قال في كتابه «سراج السلوك

---

(١) الجواهر الكلامية في إيضاح العقيدة الإسلامية (ص/ ٢٥)، دار ابن حزم.

(٢) المنهج السديد في شرح جوهرة التوحيد (ص/ ٧٨)، دار ابن حزم.

(٣) انظر كتاب الـمُهَنّد على الـمُفَنّد: السؤال الثالث عشر والرابع عشر. طبع دار الفتح.

(٤) شرح تائية السلوك (ص/ ٣٩، دار الكتب العلمية)، تقريب المعاني (ص/ ١٧، دار الكتب العلمية).

(٥) إتحاف الكائنات ببيان مذهب السلف والخلف في المتشابهات (ص/ ٤٠ - ٤٤)، مطبعة الاستقامة.

شرح أسهل المسالك» [انتهى المؤلف من شرحه سنة ١٣٦٤هـ] ما نصه[١]: «وتؤول الاستواء على العرش بالقهر والغلبة بمعنى أن الله تعالى مالك للعرش وما حواه» اهـ.

١٠٦- الشيخ محمد عبد العظيم الزُّرْقاني [ت١٣٦٧هـ]، هو مدرس علوم القرءان وعلوم الحديث بتخصص الدعوة والإرشاد بكلية أصول الدين سابقا في جامعة الأزهر بمصر، قال في كتابه «مناهل العرفان» طبق ما قرره مجلس الأزهر الأعلى في دراسة تخصص الكليات الأزهرية ما نصه[٢]: «وطائفة المتأخرين يعيّنون فيقولون: إن المراد بالاستواء هنا هو الاستيلاء والقهر من غير معاناة ولا تكلف لأن اللغة تتسع لهذا المعنى» اهـ.

١٠٧- الشيخ محمد علي بن حسين المالكي المدرس بالحرم المكي [ت١٣٦٧هـ] كما في تقريراته على شرح المحلي لجمع الجوامع بحاشية العطار[٣].

١٠٨- الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثري [ت١٣٧١هـ] وكيل المشيخة الإسلامية في الخلافة العثمانية، ووافق في «تكملة الرد على نونية ابن القيم»[٤] الحافظ الفقيه السبكي على تأويل الاستواء بالاستيلاء.

١٠٩- الشيخ سلامة القضاعي العزامي [ت١٣٦٧هـ] كما في كتابه «البراهين الساطعة»[٥]، ورسالته «فرقان القرءان»[٦].

١١٠- كتاب العقيدة الإسلامية: التوحيد في الكتاب والسنة[٧].

---

(١) سراج السالك شرح أسهل المسالك (١/ ١٦)، دار صادر.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرءان (٢/ ١٨٦)، دار إحياء الكتب العربية.

(٣) انظر الكتاب (٢/ ٤٦١)، دار الكتب العلمية.

(٤) تكملة الرد على نونية ابن القيم (ص/ ٧٤ - ٧٧، المكتبة الأزهرية للتراث)، وانظر تعليقه على «الأسماء والصفات» (ص/ ٣٧٧) للبيهقي. المكتبة الأزهرية للتراث.

(٥) البراهين الساطعة في رد بعض البدع الشائعة (ص/ ٢٥٠ وما بعدها)، مطبعة السعادة.

(٦) فرقان القرءان(ص/ ٧٥).

(٧) انظر الكتاب (١/ ١٦٧)، دولة الإمارات العربية المتحدة، وزارة العدل والشئون الإسلامية، =

١١١- الشيخ إبراهيم الدسوقي وزير الأوقاف المصري الأسبق[(١)]

١١٢- الشيخ حسين بن عبد الرحيم مكي في كتابه «مذكرات التوحيد»[(٢)].

١١٣- وكذا في كتاب «مشروع زايد لتحفيظ القرءان الكريم»[(٣)] بدولة الإمارات العربية المتحدة.

١١٤- الشيخ محمد حامد [ت١٣٨٩هـ] مدرس وخطيب جامع السلطان بحماه، قال في كتابه «ردود على أباطيل»[(٤)]: «وإن استواء الله على عرشه يجري فيه المذهبان للسلف والخلف، فالسلف يفوضون معناه إلى الله تعالى مع التنزيه، والخلف يؤولونه بالاستيلاء على العرش وهو أعظم المكونات، فهو إذن مستولٍ على غيره بالأولى من غير استعصاء سابق لا من العرش ولا من غيره» اهـ.

١١٥- الشيخ أبو الفضل السنوري الأندنوسي في كتابه الدر الفريد في شرح جوهرة التوحيد[(٥)].

١١٦- الشيخ محمد الخضر الجكني الشنقيطي [ت١٤٢٤هـ] قال في رسالته استحالة المعية بالذات[(٦)]: «الاستواء بمعنى الاستيلاء بالقهر والغلبة». ثم قال[(٧)]: وهذا التأويل وإن كان للمعتزلة هو أحسن التأويلات عندي

---

= إدارة المساجد، التدريب. سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(١) مجلة الأزهر: مقالة «الرحمن على العرش استوى» وآراء العلماء في المتشابه. الحلقة ١ (ص/ ٣٠-٣١)، الحلقة ٢ (ص/ ٣٢).

(٢) مذكرات التوحيد لطلبة الصف الأول الإعدادي بالمعاهد الأزهرية (ص/ ٨)، الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية.

(٣) مشروع زايد لتحفيظ القرءان الكريم (ص/ ٢٢٩).

(٤) ردود على أباطيل: القسم الثاني (ص/ ١٣).

(٥) انظر الكتاب (ص/ ١٨٩)، انتهى مؤلفه من كتابته سنة ١٣٨٦هـ

(٦) استحالة المعية بالذات وما يضاهيها من متشابه الصفات (ص/ ٣٥٨) المطبعة المحمودية التجارية الكبرى بمصر.

(٧) استحالة المعية بالذات وما يضاهيها من متشابه الصفات (ص/ ٣٦٠).

ويجب المصير إليه ولا علينا إذا وافقت المعتزلة الصواب فالمطلوب الحق مع أي أحد كان اهـ.

١١٧- الشيخ عبد الكريم المدرس [ت١٤٢٦هـ]، مفتي العراق، وإمام وخطيب جامع الأحمدي والمدرس في الحضرة الكيلانية ببغداد، في كتابه «الوسيلة»(١).

١١٨- الشيخ العلامة المحدث عبد الله بن محمد الهرري المعروف بالحبشي [ت١٤٢٩هـ]، قال في شرح العقيدة الطحاوية ما نصه(٢): «يُفهم من الاستواء القهر والاستيلاء إذ هو أشرف معاني الاستواء، وهو مما يليق بالله تعالى، لأنه وصف نفسه بأنه قهار، فلا يجوز أن يترك ما هو لائق بالله تعالى إلى ما هو غير لائق بالله تعالى وهو الجلوس والاتصال والاستقرار» اهـ.

وقال في كتابه الدليل القويم(٣): فتبين أن تفسير استوى باستولى ليس فيه تجسيم لله ولا نسبة نقص لأن الاستيلاء بمعنى القهر. اهـ

١١٩- الشيخ إبراهيم محمد إبراهيم حريبة في كتاب الرأي السديد في شرح جوهرة التوحيد(٤).

١٢٠- الشيخ عبده غالب أحمد عيسى في كتابه كيفية الشهادتين(٥).

١٢١- الشيخ محمد عيد يعقوب في كتابه شرح متن التوحيد(٦).

---

(١) الوسيلة في شرح الفضيلة (ص/ ٤٨٩، مطبعة الارشاد)، وانظر كتابه مواهب الرحمٰن في تفسير القرءان (٤/ ٢٢١) و(٥/ ٣٤٢).

(٢) إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية (ص/ ١٨٦ - ١٨٩ وص/ ٢٢٦ - ٢٣٠). شركة دار المشاريع.

(٣) الدليل القويم على الصراط المستقيم (ص/ ١٢١). شركة دار المشاريع.

(٤) انظر الكتاب (١/ ٤٠)، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

(٥) انظر الكتاب (ص/ ٦١)، طبع مروى بوكشوب، الخرطوم، ودار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

(٦) شرح متن التوحيد عند أهل السنة والجماعة (ص/ ٤٢) دار الملاح للطباعة والنشر. انتهى =

١٢٢-الشيخ أبو محمد حاكم بن مصدوقي بن سليمان اللاسمي في الذخائر المفيدة[١].

١٢٣- الشيخ محمد صالح بن عمر سماراني في ترجمة سبيل العبيد[٢].

١٢٤- رسالة في بيان عقيدة المسلمين، بتقريظ جامعة الأزهر في مصر[٣].

وغيرهم.

**٢٣- يقول المجسم ابن أبي العز الحنفي[٤]: فِي أن يأتي الرَّبُّ تَعَالَىَ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ. ويقول:ثُمَّ يَجِيءُ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ.**

**ومثله قال المجسم ابن جبرين[٥].**

**الرد:** ولا حجة لابن أبي العز المجسم في ما ذكره وأراد به ايهام الناس من أن الله تعالى يوصف بالانتقال والحركة والسكون والمكان محتجا بزعمه بعبارة ثُمَّ يَجِيءُ الرَّبُّ وبعبارة يأتي الرب ولا حجة له في ذلك وهذا من جهله في لغة العرب وكذلك جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ اي جاءت آثار قدرته كما ثبت هذا التأويل بالاسناد الصحيح عن الامام أحمد بن حنبل رحمه الله وهذا ردنا على ابن أبي العز ومجسمة هذه العصر.

## تفسير قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾

يوم القيامة ينزل ملائكة كثير يحيطون بالإنس والجن هم يكونون ضمن سبع

---

= مؤلفه من كتابته سنة ١٤١٧هـ. [٤٥٥].

(١) الذخائر المفيدة في شرح العقيدة، شرح عقيدة ابن اللاسمي، (ص/ ٤٩)، مكتبة ومطبعة نورجاهايا، أندنوسيا.

(٢) ترجمة سبيل العبيد على جوهرة التوحيد (ص/ ١٣١) أندنوسيا.

(٣) قررت كلية أصول الدين في جامعة الأزهر الشريف هذه العقيدة بعد الاطلاع عليها وبناء عليه ختم بختمها الرسمي، انظر الكتيب (ص/ ٢١).

(٤) المصدر السابق، (ص/ ٢٢٥).

(٥) انظر الكتاب (ج٢/ ص٢٩-٣٠).

صفوف، الملائكة يكونون في سبعة صفوف في وقت من الاوقات الكافر يُنكر أنه كان يعبد غير الله.

فإن قيل: فقد قال تعالى ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[1] وقال ﴿ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾[2] وقال ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾[3] وهذا يتناول بعمومه جميع الكفار.

قلنا: القيامة مواطن، فموطن يكون فيه سؤال وكلام، وموطن لا يكون ذلك فلا تتناقض الآي والأخبار، والله المستعان.

قال عكرمة: القيامة مواطن يسأل في بعضها ولا يسأل في بعضها.

وقال ابن عباس: لا يسألون سؤال شفاء وراحة، وإنها يسألون سؤال تقريع وتوبيخ لم عملتم كذا وكذا، والقاطع لهذا قوله تعالى ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾[4].

قال أهل التأويل: عن لا إلـه إلا الله. وقد قيل إن الكفار يحاسبون بالكفر بالله الذي كان طول العمر دثارهم وشعارهم، وكل دلالة من دلائل الإيمان خالفوها وعاندوها، فإنهم يبكتون عليها ويسألون عنها: عن الرسل وتكذيبهم إياهم لقيام الدلائل على صدقهم.

وقال تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ وَمَا هُم بِحَـٰمِلِينَ مِنْ خَطَـٰيَـٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[5] والآي في هذا المعنى كثيرة، ومن تأمل ءاخر سورة المؤمنين ﴿ فَإِذَا نُفِخَ

(١) سورة المطففين/ ءاية ١٥.
(٢) سورة القصص/ ءاية ٧٨.
(٣) سورة البقرة/ ءاية ١٧٤.
(٤) سورة الحجر/ ءاية ٩٢-٩٣.
(٥) سورة العنكبوت/ ءاية ١٢-١٣.

﴿ فِي ٱلصُّورِ ﴾[1] إلى ءاخرها تبين له الصواب في ذلك، والحمد لله على ذلك. ففي موقف من مواقف القيامة الله يختم على فم الكافر فتنطق أعضاؤه، تشهدُ عليه أعضاؤه بما كان يعملُ من الكفر، هذا من العجائب التي يُظهرها الله يوم القيامة كذلك الأرض التي كان عمل عليها الإنسان شرًّا أو خيرًا، الله يُنطقها، هذا الجزء من الأرض يشهد عليه بما فعل من السيئات ويشهد للمؤمن بما فعل من الخيرات. الذهب الذي كان الشخص لا يُزكّيه يكون جمرًا يعيده الله فيُحمى في نار جهنم يصير مثل الجمر ثم يكوى به جنب وجبهة وظهر الذي كان لا يزكّيه. ويعيد الله البقر الذي كان لا يُزكّيه الشخص فتنطحه بقرونها وكذلك الإبل تدوس بخفافها الشخص الذي كان لا يُزكّيها وكذلك في ذلك اليوم تظهر عجائب أخرى. هذه العجائب الله قال عنها ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾.

﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ معناه تلك العجائب التي تظهر يوم القيامة. ثم الملائكة يجرُّون جزءًا من جهنم كبيرًا سبعون ألف ملك بسبعين ألف سلسلة يجرُّونها إلى حيث يراها الكفار قبل أن يدخلوا جهنم. ولو كان يوجد موت هناك لمات الكفار من شدة هول ذلك المنظر لكن هناك في الآخرة لا يوجد موت. في الدنيا من اشتد عليه الألم قد يموت أما في الآخرة لا يموت.

أهل السنة يقولون: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ أي ظهرت عجائب قدرة الله، لا يقولون جاء الله من فوق إلى تحت لأن هذا كفر.

الوهابية يقولون الله يأتي من فوق إلى الأرض المبدلة ليُحاسب الخَلق جعلوا الله سبحانه وتعالى كالملِك الذي يُقابل الرعية. الذي يظن أن الوقوف بين يدي الله يوم القيامة القرب منه بالمسافة هذا ما عرف الله. الوهابية يُفسرون ءايات القرءان على الظاهر وهذا لا يجوز، الذي يُفسر كل ءايات القرءان على الظاهر يكفر كما قال سيدنا أحمد الرفاعي رضي الله عنه: صونوا عقائدكم من التمسك بظواهر ما تشابه من الكتاب والسنة فإن ذلك من أصول الكفر. اهـ أي أوقع كثيرًا من الناس في الكفر.

---

(١) سورة المؤمنون/ ءاية ١٠١.

كذلك أهل السنة يقولون المؤمنون بعد أن يستقروا في الجنة يرون الله، ليس معناه أنَّ الله مستقر في الجنة، وليس معناه أنهم يرونه ذاتًا قريبًا منهم وليس معناه أنهم يرونه ذاتًا بعيدًا عنهم، يرونه بلا كيف ولا جهة لا يرونه بالنظر إلى فوق، ثم أهل الجنة لما يرون الله بعد استقرارهم في الجنة لا يَشُكُّونَ أنه الله لأنهم رأوا شيئًا لا مثلَ له لذلك لا يشكون أنه الله، هم يكونون في الجنَّة والله موجودٌ بلا مكان ليس حالًا في الجنة ولا في هوائها، أحمد بن حنبلٍ يُجوّز التأويل الذي هو موافق لكتاب الله وسنة رسوله ولغة العرب لذلك أوَّل قوله تعالى ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾. قال: «جاء أمره»، وفي روايةٍ: «جاءت قدرته»، معناه الله يُظهر يوم القيامة أهوالا عظيمةً، هي ءاثار قدرة الله رواه البيهقي في كتابه مناقب أحمد، ولو كان الإمام أحمد مجسمًا كأدعياء السلفيَّة في هذا الزمان لما أوَّل الآية ولكان أخذ بظاهرها. أما المجسّمة أدعياء السلفيَّة فيقولون: «التأويل تعطيل» اهـ والتعطيل هو نفي وجود الله تعالى أو صفاته فيكونون بذلك حكموا على أحمد بالكفر لأنهم جعلوه معطّلًا، فكيف بعد ذلك يدَّعون الانتساب إليه. أحمد بن حنبلٍ يُنزه الله عن أن يكون متصوَّرًا، فقد ثبت عنه أنه قال: «مهما تصوَّرتَ ببالِكَ فالله بخلاف ذلك»، رواه أبو الحسن التَّميميُّ الحنبليُّ في كتابه المسمَّى اعتقاد الإمام المُبجَّل أحمد ابن حنبلٍ، وقوله هذا مأخوذ من قول الرسول ﷺ: «**لا فِكْرَةَ في الرَّبّ**» رواه أبو القاسم الأنصاريُّ.

**٢٤- يقول المجسم ابن أبي العز الحنفي**[١]: **«النَّوْعُ السَّادِسُ: الشَّفَاعَةُ فِي تَخْفِيفِ الْعَذَابِ عَمَّنْ يَسْتَحِقُّهُ، كَشَفَاعَتِهِ فِي عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُ عَذَابُهُ» اهـ.**

**ومثله قال المجسم ابن جبرين**[٢].

**الرد:** وقول المجسم ابن أبي العز في أن النبي ﷺ يشفع لعمه ليخفف عذابه

(١) المصدر السابق، (ص/ ٢٢٧).
(٢) انظر الكتاب (٢/ ٣٤).

معارض لقول الله عزّ وجلّ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾[1]، فيجب الحذر من كلام ابن أبي العز ومن جهلة المتصوفة الذين يخالفون الشرع الشريف، وقد انتشر قولهم هذا بين بعض العوام ممن لا تحقيق له في العلم ولا باع، والتي مع شهرتها وانتشارها بين العوام فهي قبيحة مردودة ولا يُتمسك بها، لأن ما خالف القرءان والسنة وإجماع الأمة فهو ضلال، وهل بعد كلام الله كلام؟!!

ومن ذلك ما يقوله بعض مدّعي حب النبي والتصوف، حيث يذكرون في مؤلفات وأوراق أن أبا لهب يخفف عنه عذاب النار لعتقه ثويبة، ولا يصح هذا ولا يعوّل عليه.

ذكر البخاري عن عروة ما نصه [قَالَ عُرْوَةُ: وثُوَيْبَةُ مَوْلاةٌ لأَبِي لَهَبٍ كَانَ أَبُو لَهَبٍ أَعْتَقَهَا فَأَرْضَعَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَلَمَّا مَاتَ أَبُو لَهَبٍ أُرِيَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ بِشَرِّ حِيبَةٍ قَالَ لَهُ مَاذَا لَقِيتَ قَالَ أَبُو لَهَبٍ لَمْ أَلْقَ بَعْدَكُمْ غَيْرَ أَنِّي سُقِيتُ فِي هَذِهِ بِعَتَاقَتِي ثُوَيْبَةَ]. اهـ.

كما هو واضح وجلي أن هذا ليس حديثا نبويا، وإنما خبر مرسل أرسله عروة ولم يذكر من حدثه به، وعلى تقدير أن يكون موصولا فالذي في الخبر رؤيا منام فلا حجة فيه، لأنها ليست رؤيا نبي، ولأن العباس لم يعرض رؤياه على الرسول ﷺ، فلا يُبنى على ذلك حكم شرعي. ثم إنه ليس في النص المذكور الكلام عن التخفيف في نار جهنم، قال الله تعالى ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾[2].

قال القاضي عياض في «إكمال المُعلم بفوائد مسلم»[3] [وقد انعقد الإجماع على أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم، ولا يثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب، لكن بعضهم أشد عذابًا من بعض] اهـ.

---

(١) سورة المدثر/ ءاية ٤٨.

(٢) سورة فاطر/ ءاية ٣٦.

(٣) إكمال المُعلم بفوائد مسلم (١/ ٥٩٧).

وكيف يزعم بعض الجهلة أن أبا لهب «يسقى في النار ماء من بين إصبعيه كل يوم اثنين»، والله تعالى يقول ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[1]، كيف يقولون هذا عن أبي لهب وهو الذي سب النبيَّ وءاذاه وهو الذي نزلت سورة قراءنية كاملة في ذمه، وهذا دليل على شدة كفره وعذابه، ولم يحصل أن نزلت سورة كاملة من أولها إلى آخرها في ذم كافر إلا فيه. بعد هذا لا يقبل من أحد أن يترك كلام الله وكلام رسوله ثم يتبع رؤيا منامية لا يبنى عليها حكم شرعي أصلا.

ويكفينا في ردّ هذا التخريف والتحريف ءايات بيّنات من كتاب الله تعالى، كقوله تعالى ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾[2]، وكقوله تعالى ﴿يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾[3]، وكقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾[4]، ومنها قوله تعالى ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾[5]، وقوله تعالى ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾[6]، وقوله سبحانه ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[7]، وقوله تبارك وتعالى ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾[8]، وقوله جل جلاله ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[9]، وقوله تعالى ﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾[10]، وقوله تعالى ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا

(١) سورة الكهف/ ءاية ٢٩.
(٢) سورة البقرة/ ءاية ١٦٢.
(٣) سورة الفرقان/ ءاية ٦٩.
(٤) سورة الزخرف/ ءاية ٧٤ و٧٥.
(٥) سورة البقرة/ ءاية ٨٦.
(٦) سورة آل عمران/ ءاية ٨٨.
(٧) سورة البقرة/ ءاية ١٦٧.
(٨) سورة النساء/ ءاية ٥٦.
(٩) سورة المائدة/ ءاية ٣٧.
(١٠) سورة هود/ ءاية ٨.

مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ﴾(1)، وقوله تعالى ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾(2)، وقوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴾(3)، وقوله تعالى ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾(4)، وقوله تعالى ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ﴾(5)، وقوله تعالى ﴿عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴾(6)، وقوله تعالى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴾(7)، وقوله تعالى ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴾(8)، وقوله تعالى ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾(9)، وقوله تعالى ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴿١٧﴾ ﴾(10)، وقوله تعالى ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾(11)، وقوله تعالى ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾(12)، وقوله تعالى ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾(13).

وممن رد هذه القصة الواهية الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرح البخاري

---

(1) سورة الحج/ ءاية ٢٢.
(2) سورة فاطر/ ءاية ٣٦.
(3) سورة غافر/ ءاية ٤٩.
(4) سورة النبأ/ ءاية ٣٠.
(5) سورة الأعراف/ ءاية ٣٨.
(6) سورة ص/ ءاية ٦١.
(7) سورة النحل/ ءاية ٨٨.
(8) سورة الغاشية/ ءاية ٥.
(9) سورة النبأ/ ءاية ٢٤ و٢٥.
(10) سورة إبراهيم/ ءاية ١٦ و١٧.
(11) سورة محمد/ ءاية ١٥.
(12) سورة الكهف/ ءاية ٢٩.
(13) سورة الأعراف/ ءاية ٥٠.

في المجلد التاسع كتاب النكاح باب الرضاع حيث يقول [لكنه مخالف لظاهر القرءان قال الله تعالى ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾[1]، وأجيب أولا بأن الخبر مرسل أرسله عروة ولم يذكر من حدثه به وعلى تقدير أن يكون موصولا فالذي في الخبر رؤيا منام فلا حجة فيه ولعل الذي رآها لم يكن إذ ذاك أسلم بعدُ فلا يحتج به] اهـ، ثم نقل عن القاضي عياض [الإجماع على أن أعمال الكفار لا تنفعهم ولا يثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب وإن كان بعضهم أشد عذابًا من بعض] اهـ. والحق الذي لا محيد عنه أن الكافر بعد موته لا ينفعه شيء كائنًا ما كان.

وفي كتاب «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» للقسطلاني، مبيّنًا أن الكافر لا ينتفع بالعمل الصالح في الآخرة، يقول[2]: «واستدل بهذا على أن الكافر قد ينفعه العمل الصالح في الآخرة وهو مردود بظاهر، قوله -تعالى- ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾[3]، لا سيما والخبر مرسل أرسله عروة ولم يذكر من حدّثه به وعلى تقدير أن يكون موصولا فلا يحتج به إذ هو رؤيا منام لا يثبت به حكم شرعي».

وبعدَ ءايات الله البينات الواضحات في بيان أن الكافر لا يخفف عنه العذاب بل يضاعف له العذاب وبعد كلام العسقلاني والقسطلاني الذي مرّ ءانفًا والإجماع الذي نقله القاضي عياض فلا يلتفت بعد كل هذا إلى هذه القصة المخالفة للقرءان مخالفة ظاهرة وواضحة لا تشكل إلا على جاهل ولا يهولنك يا طالب الحق أن تراها في أي كتابٍ كان أو تسمعها من أي شخص كان وإن تزيا بزي أهل العلم.

وإذا قيل لك هذه القصة صحيحة أو رواها فلان أو هي موجودة في بعض كتب الحديث فاثبت على الحق ولا تحد عنه واذكر ما قاله الحافظ الخطيب البغدادي

---

(١) سورة الفرقان/ ءاية ٢٣.

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، كتاب النكاح (١١/ ٣٧٩)، دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

(٣) سورة الفرقان/ ءاية ٢٣.

في كتابه الفقيه والمتفقه، ما نصه: [وإذا روى الثقة المأمون خبرًا متصل الاسناد رد بأمورٍ، أحدها: أن يخالف موجبات العقول فيعلم بطلانه لأن الشرع إنما يَرِدُ بمجوّزات العقول وأما بخلاف العقول فلا، والثاني: أن يخالف نص الكتاب أو السنة المتواترة فيعلم أنه لا أصل له أو منسوخ، والثالث أن يخالف الإجماع فيستدل على أنه منسوخ أو لا أصل له لأنه لا يجوز أن يكون صحيحًا غير منسوخ وتجمع الأمة على خلافه] اهـ.

وقد ذكر علماء الحديث أن الحديث إذا خالف صريح العقل أو النص القرءاني أو الحديث المتواتر ولم يقبل تأويلا فهو باطل، وذكره الفقهاء والأصوليون في كتب أصول الفقه كتاج الدين السبكي في جمع الجوامع وغيره، والخطيب البغدادي أحد حفاظ الحديث السبعة الذين نوّه علماء الحديث في كتب المصطلح بهم وهم أصحاب الكتب الخمسة والبيهقي وهذا الخطيب البغدادي وهو مذكور في كتاب تدريب الراوي وغيره» اهـ.

قال الحافظ البيهقي والإمام الحافظ ابن الصلاح وجمهور علماء المصطلح أنّ الحديث الضعيف يروى في فضائل الأعمال والسِيَر والمغازي والتفسير، أما في العقائد والأحكام فلا، وقال الإمام أحمد: «إذا روينا الضعيف في الفضائل تساهلنا وأما في الأحكام فتشدد».

وإذا قال قائل هذا الحديث إنما في فضائل الأعمال ومنها الاحتفال بذكرى مولد الرسول فنقول ما قاله الشيخ عبد الله الغماري في هذا الغمار: «ما يوجد في كتب المولد النبوي من أحاديث لا خطام لها ولا زمام هي من الغلو الذي نهى الله ورسوله عنه فتحرم قراءة تلك الكتب ولا يقبل الاعتذار عنها بأنها في الفضائل لأن الفضائل يتساهل فيها برواية الضعيف أما الحديث المكذوب فلا يقبل في الفضائل إجماعًا بل تحرم قراءته وروايته» اهـ

وهذا في الضعيف فكيف بالكلام المخالف لصريح القرءان وصحيح السنة وإجماع الأمة. فليتق الله امرؤ يحاول نشر هذه القصة ونحن ننصح كل من اعتقدها

أو صدقها أن يرجع عن هذا الضلال المبين للحق والصراط المستقيم بالشهادتين لأنه كذّب الله تعالى بكلامه هذا.

نسأل الله تعالى الثبات على الحق إلى الممات والدفاع عن دين الله تعالى فكم هو جميل منهج العدل والاعتدال والدفاع عن الإسلام ورد افتراءات الكائدين والجاهلين والمحرفين.

**٢٥- يقول المجسم ابن أبي العز الحنفي[١]: «وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ أَيْضًا عَنْ عُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ الله عَنْهُ: أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ سُئِلَ عَنْهَا، فَقَالَ: إِنَّ الله خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً» اهـ.**

**ومثله قال المجسم عبد العزيز الراجحي[٢]، والمجسم ابن جبرين[٣].**

**الرد:** وهنا يحاول ابن أبي العز المجسم ان يبث سُمَّ التشبيه والتجسيم وليس له ذلك فهذا الحديث من جملة الاحاديث المتشابهة التي لا تحمل على ظاهرها لأنها لو حملت على ظاهرها لأدى ذلك إلى التناقض والتضارب في كلام رسول الله ﷺ وهذا مستحيل فوجب التأويل وقد ذكرنا فيما مضى من هذا الكتاب أدلة كثيرة قرآنية وحديثية تثبت حقيّة التأويل وهذا الحديث الذي أورده المجسم ليضل الناس عن الهدى والحق إلى الضلالة والعمى وقد نقلنا هنا تأويل الطيبي لهذا الحديث وحتى إن الباجيّ نقل الاجماع على تأويل هذا الحديث.

قَالَ الطِّيبِيُّ: يُنْسَبُ الْخَيْرُ إِلَى الْيَمِينِ، فَفِيهِ تَنْبِيهٌ عَلَى تَخْصِيصِ آدَمَ بِالْكَرَامَةِ، وَقِيلَ بِيَدِ بَعْضِ مَلَائِكَتِهِ وَهُوَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ عَلَى تَصْوِيرِ الْأَجِنَّةِ أُسْنِدَ إِلَيْهِ تَعَالَى لِلتَّشْرِيفِ، أَوْ لِأَنَّهُ الْآمِرُ وَالْمُتَصَرِّفُ، كَمَا أُسْنِدَ إِلَيْهِ التَّوَفِّي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾.

---

(١) انظر الكتاب (ص/ ٢٣٥).

(٢) انظر الكتاب (ص/ ١٦٣).

(٣) انظر الكتاب (٢/ ٥٦).

(فَصْلٌ) وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ يَقْتَضِي أَنَّ الْبَارِىءَ تَعَالَى مَوْصُوفٌ بِأَنَّ لَهُ يَمِينًا قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ وَرَوَى أَبُو الزِّنَادِ عَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ يَدُ اللهِ مَلْأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ وَرَوَاهُ مَعْمَرٌ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ يَمِينُ اللهِ مَلْأَى لَا يَغِيضُهَا شَيْءٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مِمَّا فِي يَدِهِ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْقَبْضُ أَوْ الْفَيْضُ يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ، وَرَوَى مَالِكٌ عَنْ صَعْصَعَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي الَّذِي يَقْرَأُ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، وَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَرُوِيَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ أَوَّلُ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقَلَمَ خَلَقَهُ فَأَخَذَهُ بِيَمِينِهِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ وَأَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ يَدَيْهِ صِفَةٌ وَلَيْسَتْ بِجَوَارِحَ: لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»[1]

**٢٦-يقول المجسم ابن أبي العز: «الثاني عشر: التصريح بنزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا، والنزول المعقول عند جميع الأمم إنما يكون من علو إلى سفل. الثالث عشر: الإشارة إليه حسا إلى العلو».**

**الرد:** وفي مسألة النزول يحاول ابن أبي العز المجسم أن يكذب على الناس ليوهمهم أنه صادق وهو يعرف من نفسه أنه كاذب فكيف يتجرأ على هذا الكلام الذي ينادي به على نفسه بالجهل المفضوح فقال إن النزول المعقول عند جميع الأمم إنما يكون من علو إلى سفل ثم يقول الإشارة إليه حسًا إلى العلو، سبحانك هذا بهتان عظيم وإفك جسيم، وهنا يصرح المجسم بأن الله تعالى جسم ويتحرك وينزل من علو إلى سُفل ولم يصرح بهذا أحد من المسلمين فضلًا عن أئمتهم وإليك أيها العاقل سيلًا من بحار علم أهل السنة في تنزيه الله عن الحركة والسكون والانتقال

(١) المنتقى شرح موطأ مالك لأبي الوليد الباجي (٩/ ٢٦٨)، الطبعة الأولى دار الكتب العلمية بيروت.

والنزول بالحس والتحول فنقول وبالله التوفيق فإن الإيمان بالله تعالى هو أولى ما ينبغي للمرء أن يحرص عليه، فهو أفضل الأعمال، وأنفس النعم والمنن، ومفتاح النجاة من الهلاك في الآخرة، ولذا كانت صيانة العقيدة أولى ما يتنافس في الحرص عليه، ولا سيما عند ظهور أصحاب البدع والأهواء الضالة، المشوشين على أهل الحق، المموهين على العامة بما يثبتونه من سموم شبهاتهم ليحرّفوا عقيدتهم، ويغرقوهم في مستنقعات التشبيه والكفر رافعين تارة اسم السلف الصالح، وتارة اسم أهل الحديث، وتارة اسم شيخ الإسلام فلان، أو الحافظ فلان، وتارة بالمجاهرة بالانتساب إلى الإمام المبجّل أبي عبد الله أحمد بن حنبل رضي الله عنه، فيقولون: هذه عقيدتنا، نحن الحنابلة، ويوردون تحت هذا الاسم عقائد التشبيه والتجسيم كذبا على هذا الإمام وافتراء وزورًا وباطلا وبهتانًا كما فضحهم من قبل إمام الحنابلة في عصره، شيخ العراق وواعظ الآفاق الحافظ العلامة المفسر المتكلم الإمام ابن الجوزي القرشي الحنبلي في كتابه النفيس «دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه» فقال يصف حالهم وكذبهم: (الطويل)

وجاءك قوم يدّعون تمذهبا ... بمذهبه ماكل زرع له أكلُ
ومالوا إلى التشبيه أخذًا بصورة ... لما نقلوه في الصفات وهم غفلُ
وقالوا الذي قلناه مذهب أحمد ... فمال إلى تصديقهم من به جهلُ
فقد فضحوا ذاك الإمام بجهلهم ... ومذهبه التنزيه لكن هم اختلو
لعمري لقد أدركت منهم مشايخًا ... وأكثر من أدركتهم ما له عقلُ!

ويكفي هذه النّحلة خزيا أنها رمت بالكفر والجهل والضلال عددًا من أعلام الأمة ونجوم الأئمة، فكفاهم خزيًا تكفيرهم السلطان صلاح الدين الأيوبي، والحافظ محيي الدين النووي، وفاتح القسطنطينية، السلطان المبشَّر بالفتح، المخصوص بالمدح، الخليفة محمد الفاتح وغيرهم من السادة الأكابر ومما هو دأب هؤلاء المشوشين الخوض بين الناس والعوام باستنزالهم إلى ظواهر النصوص

المتشابهة من القرءان والحديث، لإقناعهم بنسبة الجهة والحركة إلى الله تعالى، وعمدَتُهم في ذلك حديثان واردان في الصحيح: حديث الجارية، وحديث النزول.

وأما حديث النزول الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما ولفظ البخاري: حدثنا عبد الله بن مسلمة، عن مالك عن ابن شهاب عن أبي سلمة وأبي عبد الله الأغر عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له**»، فلا يجوز أن يحمل على ظاهره لإثبات النزول من علو إلى سفل في حق الله تعالى.

فقد ظهر في أيامنا هذه بعض من ينسب نفسه إلى السلف الصالح، ويضرب القرءان بعضه ببعض، والحديث الشريف بعضه ببعض لشدة جهلهم وعمايتهم ويصفون الله بالجسمية والجهة والانتقال نزولا بالحركة وصعودًا والجلوس وغيرها مما لا يجوز نسبته إلى الله تعالى مما هو من علامات الحدوث، والسلف الصالح كانوا ينفون عن الله التحيز في جهة من الجهات الست وفي جميعها، وكانوا ينفون عن الله سائر أوصاف المخلوقات، وكل هذا تعطيه الآية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾؛ لكن القلوب مختلفة، قلوب تفهم من هذه الآية هذه المعاني، وقلوب لا تفهم إنما تقرؤها بألسنتها ولا تفهم ما تحويه من التنزيه. وليس ما عليه أهل الحق تشبيه الله بخلقه كما يعتقد اليهود بأن له أعضاء أو أن يعتقد فيه أنه متحيز على العرش بل أهل الحق ينفون عن الله ما كان من صفات الخلق كالنزول من علو إلى سفل بطريق الحس والحركة والرجوع إلى هناك.

ومن الناس السخفاء من يفسر حديث النزول «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا في النصف الأخير» وفي لفظ «في الثلث الأخير فيقول هل من داع فأستجيب له هل من مستغفر فأغفر له هل من سائل فأعطيه»، يفسرونه بأن الله ينزل من علو إلى سفل ثم يتكلم بهذا الكلام، وفهمهم هذا يدل على سخافة عقولهم، وذلك لأن الليل يختلف باختلاف البلاد فعلى قولهم يلزم أن يكون الله تعالى في السماء الدنيا

طالعًا إلى العرش كل لحظة من لحظات الليل والنهار، وهذا سخافة عقل، أما عند أهل الحق الذين ينزهون الله عن الجهة والحد فإن هذا النزول ليس نزولا حسيًا بل هو عبارة عن نزول ملائكة الرحمة إلى السماء الدنيا بأمر الله على حسب ليل كل أرض، فهؤلاء الملائكة ينزلون ثم يبلغون عن الله يقولون: إن ربكم يقول: هل من داع فأستجيب له هل من مستغفر فأغفر له هل من سائل فأعطيه، هم يبلغون عن الله بأمره ذلك إلى أن يفجر الفجر، وهذا شيء يقبله العقل، أما ما يقوله المشبهة فهو شيء لا يقبله الشرع والعقل، وهذا التأويل أخذه أهل السنة من رواية النسائي: إن الله يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناديًا ينادي هل من داع فيستجاب له هل من مستغفر فأغفر له هل من سائل فأعطيه هم يبلغون عن الله بأمره ذلك إلى أن يفجر الفجر، وهذا شيء يقبله العقل أما ما يقوله المشبهة فهو شيء لا يقبله الشرع ولا العقل لهذه الرواية الصحيحة تفسر الرواية الأخرى، لأن نزول الملائكة لما كان بأمر الله تعالى ليبلغوا عنه عبّر الرسول عن ذلك بوحي من الله بعبارة «ينزل ربنا» إلى ءاخره؛ كلتا العبارتين أوحي بهما إليه، ولذلك نظير في القرءان قال الله تعالى في حق ءادم وحواء: «وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين»؛ فإن المعنى: أن الملك بلّغهما ذلك عن الله، وفي ذلك دليل على أن نداء الملك لبعض خلق الله بأمر الله يُسند إلى الله من غير أن يكون هناك صوت يخرج من الله، فمن هنا يؤخذ ردّ اعتراض بعض المجسمة على رواية النسائي الصحيحة لحديث النزول، حيث إن بعض الزائغين قال: إن هذه الرواية تستلزم حصول قول من الملك هل من مستغفر فأغفر له وهل من داع فأستجيب له، وإنا نرد كلامه بقولنا: كما أن الله جعل نداء الملك لآدم وحواء مضافًا إليه بقوله عز وجل: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾، كذلك يحمل حديث النزول في روايته المشهورة على رواية النسائي، وليس المعنى أن الملك يقول عن نفسه «من يستغفرني فأغفر له ومن يدعوني فأستجيب له ومن يسألني

فأعطيه»، بل المعنى أن الملك ينزل إلى السماء الدنيا بأمر الله ويبلغ عن الله بأن يقول: إن الله يقول لعباده الداعين والسائلين: من يدعوني فأستجيب ومن يسألني فاعطيه، كما أن ليس معنى الآية أن ءادم وحواء سمعا ذاك من الله لأن ءادم لم يكن نبيًا في ذلك الوقت وحواء ليست نبية، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾، ليس معناه على ظاهر اللفظ، بل معنى الآية: فإذا قرأه جبريل عليك بأمرنا، ومن هذا الذي يظن أن الله كان يقرأ على الرسول القرءان كما يقرأ المعلم على التلميذ؟! وبهذا التفسير يُحل الإشكال الذي يورده بعض هؤلاء الزائغين. وقد قال رئيس القضاة الشافعية في مصر في زمانه بدر الدين بن جماعة في كتابه «إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل» عن حديث النزول المذكور ءانفًا: اعلم أن النزول الذي هو الانتقال من علو إلى سفل لا يجوز حمل الحديث عليه لوجوه: الأول: النزول من صفات الأجسام والمحدثات ويحتاج إلى ثلاثة أجسام منتقل ومنتقل عنه ومنتقل إليه وذلك على الله تعالى محال.

الثاني: لو كان النزول لذاته حقيقة لتجددت له في كل يوم وليلة حركات عديدة تستوعب الليل كله، وتنقلات كثيرة لأن ثلث الليل يتجدد على أهل الأرض مع اللحظات شيئًا فشيئًا فيلزم انتقاله في السماء الدنيا ليلا ونهارًا من قوم إلى قوم وعوده إلى العرش في كل لحظة على قولهم ونزوله فيها إلى سماء الدنيا ولا يقول ذلك ذو لب وتحصيل.

الثالث: إن القائل بأنه فوق العرش وأنه ملأه كيف تسعه سماء الدنيا وهي بالنسبة إلى العرش كحلقة في فلاة فيلزم عليه أحد أمرين: إما اتساع سماء الدنيا كل ساعة حتى تسعه أو تضاؤل الذات المقدس عن ذلك حتى تسعه، ونحن نقطع بانتفاء الأمرين.

وقال الحافظ المتبحر عبد الرحمـٰن بن الجوزي الحنبلي في كتابه «الباز الأشهب» الذي فضح فيه سلف ابن تيمية في تشبيه الله بخلقه وبيّن رحمه الله براءة الإمام أحمد

رضي الله عنه من المشبهة بعد أن ذكر حديث النزول ما نصه: «إنه يستحيل على الله عزّ وجل الحركة والنقلة والتغير، وواجب على الخلق اعتقاد التنزيه وامتناع تجويز النقلة وأن النزول الذي هو انتقال من مكان إلى مكان يفتقر إلى ثلاثة أجسام جسم عال وهو مكان الساكن، وجسم سافل، وجسم ينتقل من علو إلى اسفل وهذا لا يجوز على الله تعالى قطعًا». ثم قال الإمام ابن الجوزي: «قال ابن حامد – وهو أحد أسلاف ابن تيمية في التجسيم والتشبيه – هو على العرش بذاته مماس له وينزل من مكانه الذي هو فيه فيزول وينتقل، قلت –أي ابن الجوزي – وهذا رجل لا يعرف ما يجوز على الله تعالى، ومنهم –أي المشبهة – من قال يتحرك إذا نزل، ولا يدري أن الحركة لا تجوز على الخالق، وقد حكوا عن أحمد –أي ابن حنبل – ذلك وهو كذب عليه، ولو كان النزول صفة لذاته لكانت صفاته كل ليلة تتجدد وصفاته تعالى قديمة أي أزلية لأن الله أزلي لا بداية له وهو موصوف بصفات الكمال اللائقة به سبحانه أزلا وأبدًا لأنه تعالى منزه عن النقائص» اهـ.

وقد قال الإمام الفقيه أبو سليمان الخطابي في شرحه على البخاري عند شرحه حديث النزول: «إن النزول الذي هو تدلّ من أعلى إلى أسفل وانتقال من فوق إلى تحت هو صفة الأجسام والأشباح، فأما نزول من لا يستولي عليه صفات الأجسام فإن هذه المعاني غير متوهمة فيه وإنما هو خبر عن قدرته ورأفته بعباده واستجابته دعاءهم ومغفرته لهم، يفعل ما يشاء لا يتوجه على صفاته كيفية سبحانه «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير».

وقال في موضع ءاخر: إن الحركة والانتقال من نعوت الحدث وتعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا» اهـ.

وقال في شرحه على سنن أبي داود رادًا على من وصف الله بالحركة: «والله سبحانه لا يوصف بالحركة، لأن الحركة والسكون يتعاقبان في محل واحد، وإنما يجوز أن يوصف بالحركة من يجوز أن يوصف بالسكون وكلاهما من أعراض الحدث وأوصاف المخلوقين، والله عز وجل متعال عنهما ليس كمثله شيء، وإنما

ذكرت هذا لكي يُتوقى الكلام فيما كان من هذا النوع، فإنه لا يثمر خيرًا ولا يفيد رشدًا، ونسأل الله العصمة من الضلال والقول بما لا يجوز من الفاسد المحال» اهـ.

وقد ذكر رحمه الله ذلك بعدما ذكر حديث النزول؛ ولا يخفى على من مارس شيئًا من علم الرجال أن أبا سليمان الخطابي من أئمة اللغة والفقه والحديث ووافقه في قوله في مادة «نزل» عند ذكره حديث النزول ما نصه: «النزول والصعود والحركة والسكون من صفات الأجسام، والله عز وجل يتعالى عن ذلك ويتقدس؛ والمراد به نزول الرحمة والألطاف الإلهية وقربها من العباد، وتخصيصها بالليل وبالثلث الأخير منه لأنه وقت التهجد وغفلة الناس عمن يتعرض لنفحات رحمة الله، وعند ذلك تكون النية خالصة، والرغبة إلى الله عز وجل وافرة، وذلك مظنة القبول والإجابة» اهـ.

وروى البيهقي عن الإمام إسحاق بن راهويه وهو من أئمة السلف أنه سئل عن حديث النزول فقال رضي الله عنه: «النزول بلا كيف».

وروى كذلك البيهقي عن المزني: «إن المجيء والنزول صفتان منفيتان عن الله تعالى من طريق الحركة والانتقال من حال إلى حال» اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرحه على البخاري عند ذكره لحديث النزول: «إن من حمله على ظاهره وحقيقته هم المشبهة تعالى الله عن قولهم»، ثم نقل عن البيضاوي أنه قال: «ولما ثبت بالقواطع أنه سبحانه منزه عن الجسمية والتحيز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه فالمراد نور رحمته»، وأقره الحافظ ولم يتعقبه.

وقال القسطلاني في شرح البخاري[1] عند ذكره لهذا الحديث: «هو نزول رحمة ومزيد لطف وإجابة دعوة وقبول معذرة لا نزول حركة وانتقال لاستحالة ذلك على الله، فهو نزول معنوي»، ثم قال: «نعم يجوز حمله على الحسي ويكون

(١) شرح البخاري (٢/ ٣٢٣).

راجعًا إلى ملكه الذي ينزل بأمره ونهيه» اهـ

ومثله قال أبو بكر بن العربي المالكي في شرحه على الترمذي عند ذكر حديث النزول[1].

ثم إن الذي يتشبث بظاهر ما جاء في حديث النزول في الرواية المشهورة أن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول هل من داع فأستجيب له من الثلث الأخير إلى الفجر هو جاهل بأساليب اللغة العربية، وليس له مهرب من المحال الشنيع كما نص عليه الخطابي، ويلزم على ما ذهب إليه من التشبث بالظاهر أن يكون معنى قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ أن ءادم وحواء التي لم تكن نبية قط سمعا كلام الله الذاتي الذي ليس بحرف ولا صوت مساويين لموسى على زعم المشبهة المتمسكين بالظواهر فلو كان الأمر كذلك لم يبق لنبي الله موسى مزية، وذلك أن الله عز وجل قال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ فخص موسى بوصف كليم الله؛ ومن هذا الباب أيضًا قوله تعالى في سورة ءال عمران: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾، فإن الله أضاف الكتابة إلى نفسه لأنه هو الآمر بها، أمر بها الكتبة من الملائكة وليس من صفات الله الكتابة أو القراءة كما سبق وبيناه عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ﴾، ثم إن خزنة جهنم من الملائكة هم الذين يقولون للكفار: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ وليس المراد أنه تعالى يسمع الكفار كلامه الذاتي الأزلي الذي ليس بحرف ولا صوت، وإنما أضيف هذا القول إلى الله لأنه تعالى هو الذي أمر به كما ذكره المفسرون كالنسفي وغيره ولو أردنا تتبع هذا الباب لكان شيئًا كثيرًا، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾، فهل يفهمون من قوله تعالى: ﴿فَقُلۡنَا لَهُمۡ﴾ في هذه الآية أن الله أسمع اليهود الذين مسخهم قردة كلامه الذاتي الأزلي كما أسمعه موسى عليه

(١) حديث النزول (٢/ ٢٣٥).

السلام أم أنهم يؤولونها ويخرجونها عن ظاهرها ويقولون إن المراد «جعلناهم قردة خاسئين» وأن هذا مجاز كما في حاشية الشهاب على البيضاوي وغيره من كتب التفسير؛ وقد قال الإمام الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين»[1] ما نصه: تكميل، ذكر الإمام قاضي القضاة ناصر الدين بن المنير الإسكندري المالكي في كتابه «المنتقى في شرف المصطفى» لما تكلم على الجهة وقرّر نفيها قال: ولهذا أشار مالك رحمه الله تعالى في قوله ﷺ «**لا تفضلوني على يونس بن متى**» فقال مالك: إنما خص يونس بالتنبيه على التنزيه لأنه ﷺ رُفع إلى العرش ويونس عليه السلام هبط إلى قاموس البحر ونسبتهما مع ذلك من حيث الجهة إلى الحق جلّ جلاله نسبة واحدة؛ ثم بيّن رحمه الله أن الفضل بالمكانة لا بالمكان. - والمراد بهذا البحث إثبات تنزيه الله تعالى عن المكان والجهة والحيّز.

**فائدة:**

قال الإمام أبو نصر القشيري في التذكرة الشرقية: «فإن قيل أليس الله يقول ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ فيجب الأخذ بظاهره، قلنا: الله يقول أيضا ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ ويقول تعالى ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾. فينبغي ايضا أن تأخذ بظاهر هذه الآيات حتى يكون على العرش وعندنا ومعنا ومحيطًا بالعالم محدقًا به بالذات في حالة واحدة، والواحد يستحيل أن يكون بذاته في حالة بكل مكان. قالوا: قوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ يعني بالعلم، و﴿بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ إحاطة العلم قلنا: وقوله تعالى ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ قهر وحفظ وأبقى، ولو أشعر ما قلنا توهم غلبته لأشعر قوله ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ بذلك أيضًا حتى يقال مقهورًا قبل خلق العباد، هيهات فلم يكن للعباد وجود قبل خلقه إياهم، بل لو كان الأمر على ما توهمه الجهلة من أنه استواء بالذات لأشعر ذلك بالتغيير واعوجاج سابق على وقت الاستواء، فإن البارئ تعالى كان موجودًا قبل العرش، ومن أنصف علم أن قول من يقول العرش بالرب استوى أمثل من

---

(١) إتحاف السادة المتقين (٢/ ١٠٥).

قول من يقول الرب بالعرش استوى، فالرب إذًا موصوف بالعلو وفوقية الرتبة والعظمة ومنزه عن الكون في المكان وعن المحاذاة. وقد نبغت نابغة من الرعاع لولا استنزالهم للعوام بما يقرب من أفهامهم ويتصور في أوهامهم لأجللت هذا الكتاب عن تلطيخه بذكرهم، يقولون – والعياذ بالله –: «نحن نأخذ بالظاهر ونحمل الآيات الموهمة تشبيهًا والأخبار الموهمة حدًا وعضوًا على الظاهر ولا يجوز أن نطرق التأويل إلى شيء من ذلك» ويتمسكون بقول الله تعالى «﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾: وهؤلاء – والذي أرواحنا بيده – أضرّ على الإسلام من اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان، لأن ضلالات الكفار ظاهرة يتجنبها المسلمون وهؤلاء أتوا الدين والعوام من طريق يغتر به المستضعفون فاوحوا إلى أوليائهم بهذه البدع وأحلوا في قلوبهم وصف المعبود سبحانه بالأعضاء والجوارح والركوب والنزول والاتكاء والاستلقاء والاستواء بالذات والتردد في الجهات، فمن أصغى إلى ظاهرهم يبادر بوهمه إلى تخيل المحسوسات فاعتقد الفضائح فسال به السيل وهو لا يدري؛ وأما قول الله عز وجل: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾، إنما يريد به وقت قيام الساعة فإن المشركين سألوا النبي ﷺ عن الساعة أيان مرساها ومتى وقوعها، فالمتشابه إشارة إلى علم الغيب فليس يعلم عواقب الأمور إلا الله عزّ وجلّ، ولهذا قال تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ ﴾، أي هل ينظرون إلا قيام الساعة، وكيف يسوغ لقائل أن يقول في كتاب الله تعالى ما لا سبيل لمخلوق إلى معرفته ولا يعلم تأويله إلا الله، أليس هذا من أعظم القدح في النبوات وأن النبي ﷺ ما عرف تأويل ما ورد في صفات الله تعالى ودعا الخلق إلى علم ما لا يعلم، أليس الله يقول: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾، فإذا على زعمهم يجب أن يقولوا كذب حيث قال ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾ إذ لم يكن معلومًا عندهم وإلا فأين هذا البيان؟! وإذ كان بلغة العرب فكيف يدعي أنه مما لا تعلمه العرب لما كان ذلك الشيء عربيًا، فما قول في مقال مآله إلى تكذيب الرب سبحانه؟! ثم كان ﷺ يدعو الناس إلى عبادة الله تعالى فلو كان في كلامه وفيما يلقيه إلى أمته شيء لا يعلم

تأويله إلا الله تعالى لكان للقوم أن يقولوا بيّن لنا أولا من تدعونا إليه وما الذي تقول فإن الإيمان بما لا يعلم أصله غير متأت، ونسبة النبي ﷺ إلى أنه دعا إلى رب موصوف بصفات لا تعقل أمر عظيم لا يتخيله مسلم، فإن الجهل بالصفات يؤدي إلى الجهل بالموصوف، والغرض أن يستبين من معه مسكة من العقل أن قول من يقول: «استواؤه صفة ذاتية لا يعقل معناها والقدم صفة ذاتية لا يعقل معناها» تمويه ضمنه تكييف وتشبيه ودعاء إلى الجهل، وقد وضح الحق لذي عينين وليت شعري هذا الذي ينكر التأويل يطرد هذا للإنكار في كل شيء وفي كل ءاية أم يقنع بترك التأويل في صفات الله تعالى، فإن امتنع عن التأويل أصلا فقد أبطل الشريعة والعلوم إلا ما كان نحو قوله تعالى ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ لأن ثمّ أشياء لا بد من تأويلها لا خلاف بين العقلاء فيه إلا الملاحدة الذين قصدهم التعطيل للشرائع، والاعتقاد لهذا يؤدي إلى إبطال ما هو عليه من التمسك بالشرع بزعمه، وإن قال يجوز التأويل على الجملة إلا فيما يتعلق بالله وبصفاته فلا تأويل فيه فهذا مصير منه إلى أن ما يتعلق بغير الله تعالى يجب أن يعلم وما يتعلق بالله وصفاته يجب التقاصي عنه وهذا لا يرضى به مسلم.

وسر الأمر أن هؤلاء الذين يمتنعون عن التأويل معتقدون حقيقة التشبيه غير أنهم يدلسون ويقولون له يد لا كالأيدي وقدم لا كالأقدام واستواء بالذات لا كما نعقل فيما بيننا فليقل المحقق هذا الكلام لا بد من استبيان، قولكم: نجري الأمر على الظاهر ولا يعقل معناه تناقض إن أجريت على الظاهر فظاهر السياق في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ هو العضو المشتمل على الجلد واللحم والعظم والعصب والمخ فإن أخذت بهذا الظاهر والتزمت بالإقرار بهذه الأعضاء فهو الكفر وإن لم يمكنك الأخذ بها فأين الأخذ بالظاهر؟! ألست قد تركت الظاهر وعلمت تقدس الرب تعالى عما يوهم الظاهر فكيف يكون أخذًا بالظاهر وإن قال الخصم هذه الظواهر لا معنى لها أصلا فهو حكم بانها ملغاة، وما كان في إبلاغها إلينا فائدة وهي هدر وهذا محال، وفي لغة العرب ما شئت من التجوز والتوسع في

الخطاب وكانوا يعرفون موارد الكلام ويفهمون المقاصد، فمن تجافى عن التأويل فذلك لقلة فهمه بالعربية ومن عرف تجوزات العربية هان عليه مدرك الحقائق. وقد قيل «وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم»، فكأنه قال والراسخون في العلم أيضًا يعلمونه ويقولون ءامنا به فإن الإيمان بالشىء إنما يتصور بعد العلم أما ما لا يعلم فالإيمان به غير متأت. ولهذا قال ابن عباس: «أنا من الراسخين في العلم» انتهى كلام القشيري من كتاب «إتحاف السادة المتقين». ويؤيده قول رسول الله ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: **«اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب»** رواه ابن ماجه.

وقد ظهر مصداق دعوة النبي ﷺ لابن عباس حيث إنه رضي الله عنهما أوّل قول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ﴾، قال ﴿بِأَيۡيْدٖ﴾ أي بقوة، رواه ابن أبي طلحة في صحيفته عن ابن عباس، وكذا أوّل ابن عباس قول الله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾ قال يوم يكشف عن كرب وشدة، رواه الخطابي في شرح صحيح البخاري والحاكم وصححه وحسن الحافظ ابن حجر إسناده في فتح الباري.

اعلموا رحمكم الله أنه لا مانع لغة ولا شرعًا من تأويل الاستواء بمعنى القهر والاستيلاء فقد ذكر الراغب الأصفهاني في المفردات في غريب القرءان، والسمين الحلبي في عمدة الحفاظ والزبيدي في تاج العروس شرح القاموس حيث نقل عن الراغب قوله: إن لفظ استوى متى عدّيَ بعلى اقتضى الاستيلاء، كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ اهـ.

ونقله مقرًا له حيث لم يتعقبه وذكره الجوهري في الصحاح والرازي في مختاره وغيرهم كأبي بكر بن العربي المالكي والغزالي والسبكي الحافظ الإمام اللغوي النحوي حيث يقول: «والمراد بالاستواء كما الملك وهو مراد القائلين بالاستيلاء»، ثم يقول السبكي: «فالمقدم على هذا التأويل لم يرتكب محذورًا ولا وصف الله تعالى بما لا يجوز عليه»، ثم يقول السبكي: «إن الجلوس والقعود من صفات الأجسام لا يعقل منه في اللغة غير ذلك، والله تعالى منزه عنها، ومن أطلق القعود

وقال إنه لم يرد صفات الأجسام قال شيئًا لم تشهد له به اللغة فيكون باطلا وهو كالمقر بالتجسيم المنكر له فيؤاخذ بإقراره ولا يفيده إنكاره. واعلم أن الله تعالى كامل الملك أزلا وأبدا، والعرش وما تحته حادث، فأتى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ لحدوث العرش لا لحدوث الاستواء» اهـ.وأقره الزبيدي في شرح الإحياء حيث نقله.

وأما دعوى المجسمة تفسير استوى باستولى وقهر يقتضي سبق المغالبة فهو مردود بقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾، فلم توهم هذه الآية سبق المغالبة وحيث لا إيهام هنا فلا إيهام هناك.

وأما اعتراضهم على ذلك بقولهم «إن الله قاهر لكل شيء فلا فائدة من تخصيص العرش بالذكر»، فيرد عليهم بأن الله قاهر للعرش وهو أعظم المخلوقات فهو قاهر لما دون العرش بالأولى وقد قال الله تعالى في سورة التوبة: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾، فلم يقتض ذلك أن الله ليس ربًا لما سوى العرش بل الله رب العالمين كما في قوله تعالى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقد نقل الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرءان أن الإمام أحمد أوّل قول الله ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾[1] قال وهل هو إلا أمره بدليل قوله تعالى ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾[2].

فماذا ستقول الوهابية في الإمام أحمد الذي أوّل؟

علماء السلف والخلف ينزهون الله عن النزول بالحركة والانتقال:

١ – الإمام مالك بن أنس رضي الله[3]:

سئل الإمام مالك – رحمه الله – عن نزول الرب عزّ وجلّ، فقال (ينزل أمره

(١) سورة الأنعام/ ءاية ١٥٨.

(٢) سورة النحل/ ءاية ٣٣.

(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ١٠٥)، الرسالة الوافية لأبي عمرو الداني (ص/ ١٣٦)، شرح النووي على صحيح مسلم (٦/ ٣٧)، الإنصاف لابن السيد البطليوسي (ص/ ٨٢).

- تعالى - كل سَحَر، فأما هو عزّ وجلّ فإنه دائم لا يزول ولا ينتقل سبحانه لا إلـٰه إلا هو) اهـ.

٢ - الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) صاحب السنن في كتابه «الأسماء والصفات» عند ذكر هذا الحديث[١] «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال سمعت أبا محمد أحمد بن عبد الله المزني يقول: حديث النزول قد ثبت عن رسول الله ﷺ من وجوه صحيحة وورد في التنزيل ما يصدقه وهو قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ والنزول والمجيء صفتان منفيتان عن الله تعالى من طريق الحركة والانتقال من حال إلى حال، بل هما صفتان من صفات الله تعالى بلا تشبيه، جل الله تعالى عما تقوله المعطلة لصفاته والمشبهة بها علوًا كبيرًا. قلت: وكان أبو سليمان الخطابي رحمه الله يقول: إنما ينكر هذا وما أشبهه من الحديث من يقيس الأمور في ذلك بما يشاهده من النزول الذي هو تدل من أعلى إلى أسفل وانتقال من فوق إلى تحت وهذه صفة الأجسام والأشباح، فاما نزول من لا تستولي عليه صفات الأجسام فإن هذه المعاني غير متوهمة فيه وإنما هو خبر عن قدرته ورأفته بعباده وعطفه عليهم واستجابته دعاءهم ومغفرته لهم يفعل ما يشاء لا يتوجه على صفاته كيفية ولا على أفعاله كمية سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» انتهى كلام البيهقي.

٣ - وروى البيهقي بإسناده عن الامام إسحاق بن راهويه وهو من أئمة السلف أنه قال[٢]: «سألني ابن طاهر عن حديث النبي ﷺ - يعني في النزول - فقلت له النزول بلا كيف».

٤ - قال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) صاحب السنن: يجب أن يعلم أن استواء الله سبحانه وتعالى، ليس باستواء اعتدال عن اعوجاج، ولا استقرار في مكان، ولا مماسة لشيء من خلقه، لكنه مستو على

---

(١) السنن الكبرى (ص/ ٣)، البيهقي - المجلد الثالث.

(٢) الأسماء والصفات (ص/ ٥٦٨)، البيهقي، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت.

عرشه كما أخبر بلا كيف بلا أين، بائن من جميع خلقه، وأن إتيانه ليس بإتيان من مكان إلى مكان، وأن مجيئه ليس بحركة، وأن نزوله ليس بنقلة، وأن نفسه ليس بجسم، وأن وجهه ليس بصورة، وأن يده ليست بجارحة، وأن عينه ليست بحدقة، وإنما هذه أوصاف جاء بها التوقيف فقلنا بها، ونفينا عنها التكييف فقد قال[1]: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

وقال ولم يكن له كفوا أحد (وقال) هل تعلم له سميا اهـ

-القاضي أبو بكر محمد الباقلاني المالكي الأشعري (ت ٤٠٣هـ) قال ما نصه[2]:

«ويجب أن يعلم أن كل ما يدل على الحدوث أو على سمة النقص فالرب تعالى يتقدس عنه، فمن ذلك: أنه تعالى متقدس عن الاختصاص بالجهات، والاتصاف بصفات المحدثات، وكذلك لا يوصف بالتحول والانتقال، ولا القيام ولا القعود، لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ ولأن هذه الصفات تدل على الحدوث، والله تعالى يتقدس عن ذلك» اهـ.

٦ - إمام الحرمين الجويني يقول في الإرشاد، أثناء كلامه عما روي بشأن النزول[3]: وأما الأحاديث التي يتمسكون بها، فآحاد لا تفضي إلى العلم، ولو أضربنا عن جميعها لكان سائغًا، لكنا نومئ إلى تأويل ما دوّن منها في الصحاح، فمنها حديث النزول، وهو ما روي عن النبي ﷺ انه قال: **«ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة جمعة ويقول: هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من داع فأجيب له»** الحديث، ولا وجه لحمل النزول على التحول وتفريغ مكان وشغل غيره فإنّ ذلك من صفات الأجسام ونعوت الأجرام، وتجويز ذلك يؤدي إلى طرفي نقيض، أحدهما الحكم بحدوث الإله، والثاني القدح

---

(١) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد (ص/ ٧٢)، البيهقي، علم الكتب - بيروت.

(٢) الإنصاف (ص/ ٦٤)، فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به.

(٣) كتاب الإرشاد (ص/ ١٥٠ - ١٥١).

في الدليل على حدوث الأجسام والوجه حمل النزول وإن كان مضافًا إلى الله تعالى، على نزول ملائكته المقربين وذلك سائغ غير بعيد ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾.

معناه: إنما جزاء الذين يحاربون أولياء الله، ولا يبعد حذف المضاف وإقامة المضاف إليه تخصيصًا.

٧ - الإمام المفسر محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المالكي (ت ٦٧١هـ) قال في تفسيره ما نصه[١]: «والله جل ثناؤه لا يوصف بالتحول من مكان إلى مكان، وأنى له التحول والانتقال ولا مكان له ولا أوان، ولا يجري عليه وقت ولا زمان، لأن في جريان الوقت على الشيء فوت الأوقات، ومن فاته شيء فهو عاجز».

٨ - رئيس القضاة الشافعية في مصر في زمانه بدر الدين بن جماعة (ت ٧٢٧هـ) في كتابه «إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل» ما نصه[٢]: «اعلم أن النزول الذي هو الانتقال من علو إلى سفل لا يجوز حمل الحديث عليه لوجوه:

الأول: النزول من صفات الأجسام والمحدَثات ويحتاج إلى ثلاثة: منتقِل، ومنتقَل عنه ومنتقل إليه، وذلك على الله تعالى محال.

الثاني: لو كان النزول لذاته حقيقة لتجددت له في كل يوم وليلة حركات عديدة تستوعب الليل كله، وتنقلات كثيرة، لأن ثلث الليل يتجدد على أهل الأرض مع اللحظات شيئًا فشيئًا، فيلزم انتقاله في السماء الدنيا ليلا ونهارًا، من قوم إلى قوم، وعوده إلى العرش في كل لحظة على قولهم، ونزوله فيها إلى سماء الدنيا، ولا يقول ذلك ذو لب وتحصيل.

الثالث: أن القائل بأنه فوق العرش، وأنه ملأه كيف تسعه سماء الدنيا، وهي بالنسبة إلى العرش كحلقة في فلاة، فيلزم عليه أحد أمرين: إما اتساع سماء الدنيا كل ساعة حتى تسعه، أو تضاؤل الذات المقدس عن ذلك حتى تسعه، ونحن

---

(١) الجامع لأحكام القرءان، القرطبي - سورة الفجر.

(٢) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، ابن جماعة - دار السلام ١٤١٠ - ص١٦٤.

نقطع بانتفاء الأمرين» انتهى كلام ابن جماعة.

٩ - الحافظ المتبحر عبد الرحمٰن بن الجوزي الحنبلي في كتابه «الباز الأشهب» بعد ذكر حديث النزول ما نصه: «إنه يستحيل على الله عزَّ وجلَّ الحركة والنقلة والتغير. وواجب على الخلق اعتقاد التنزيه وامتناع تجويز النقلة وأن النزول الذي هو انتقال من مكان إلى مكان يفتقر إلى ثلاثة أجسام جسم عال وهو مكان الساكن وجسم سافل وجسم ينتقل من علو إلى أسفل وهذا لا يجوز على الله قطعًا».

١٠ - البيضاوي قال[١]: «لما ثبت بالقواطع العقلية أنه منزه عن الجسمية والتحيز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع أعلى إلى ما هو أخفض منه، فالمراد نزول رحمته، ويقال: لا فرق بين المجيء والإتيان والنزول إذا أضيف إلى جسم يجوز عليه الحركة والسكون والنقلة التي هي تفريغ مكان وشغل غيره، فإذا أضيف ذلك إلى من لا يليق به الانتقال والحركة كان تأويل ذلك على حسب ما يليق بنعته وصفته تعالى.

وكذلك بعض كلامه نقله الحافظ ابن حجر العسقلاني.

١١ - الإمام أبو بكر بن العربي المالكي في شرحه على الترمذي قال ما نصه[٢]: «ثم إن الذي يتشبث بظاهر ما جاء في حديث النزول في الرواية المشهورة أن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول هل من داع فأستجيب له من الثلث الأخير إلى الفجر هو جاهل بأساليب اللغة العربية، وليس له مهرب من المحال الشنيع كما نص عليه الخطابي، ويلزم على ما ذهب إليه من التشبث بالظاهر أن يكون معنى قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ أن ءادم وحواء التي لم تكن نبية قط سمعا كلام الله الذاتي الذي ليس بحرف ولا صوت مساويين لموسى على زعم المشبهة المتمسكين بالظواهر، فلو كان الأمر كذلك لم يبق

---

(١) عمدة القاري (٧/ ٢٠٠).

(٢) عارضة الأحوذي بشرح سنن الترمذي (ص/ ٢٣٥)، ابن العربي، دار الفكر، بيروت - المجلد الثاني.

لنبي الله موسى مزية، وذلك أن الله عزَّ وجلَّ قال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ فخص موسى بوصف كليم الله».

١٢ – قال النووي في شرحه على صحيح مسلم(١): «هذا الحديث من أحاديث الصفات، وفيه مذهبان مشهوران للعلماء: أحدهما وهو مذهب السلف وبعض المتكلمين أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد، ولا يتكلم في تأويلها مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق، والثاني مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف وهو محكي هنا عن مالك والأوزاعي على أنها تتأول على ما يليق بها بحسب مواطنها، فعلى هذا تأولوا هذا الحديث تأويلين أحدهما: تأويل مالك بن أنس وغيره، معناه تنزل رحمته وأمره وملائكته، كما يقول فعل السلطان كذا إذا فعله أتباعه بأمره، والثاني: أنه على الاستعارة ومعناه الإقبال على الداعين بالإجابة واللطف» انتهى كلام النووي.

ويبطل ما ذهبت إليه المشبهة من اعتقاد نزول الله بذاته إلى السماء الدنيا أن بعض رواة البخاري ضبطوا كلمة «يُنزِل» بضم الياء وكسر الزاي فيكون المعنى نزول الملك بأمر الله الذي صرح به في رواية النسائي من حديث أبي هريرة وأبي سعيد من أن الله يأمر ملكًا بأن ينزل فينادي، فتبين أن المشبهة ليس لهم حجة في هذا الحديث.

١٣ – وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرحه على البخاري(٢): «وقال ابن العربي النزول راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته بل ذلك عبارة عن مَلَكه الذي ينزل بأمره ونهيه». ثم قال: «والحاصل أنه تأوله بوجهين: إما بأن المعنى ينزل أمره أو الملك بأمره، وإما بأنه استعارة بمعنى التلطف بالداعين والإجابة لهم ونحوه.

---

(١) شرح صحيح مسلم (ص/ ٣٦)، الإمام النووي، المجلد السادس.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري – المجلد الثالث – كتاب الصلاة: باب الدعاء والصلاة من ءاخر الليل.

وحكى ابن فورك أن بعض المشايخ ضبطه بضم أوله على حذف المفعول أي يُنزِل ملكًا قال الحافظ ويقويه ما رواه النسائي من طريق الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد «أن الله يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناديًا يقول هل من داع فيستجاب له» الحديث، وحديث عثمان بن أبي العاص عند أحمد ينادي مناد هل من داع يستجاب له... الحديث، قال القرطبي: وبهذا يرتفع الإشكال، وقال البيضاوي: ولما ثبت بالقواطع أنه سبحانه منزه عن الجسمية والتحيز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه، فالمراد نور رحمته» انتهى كلام الحافظ ابن حجر.

١٤ - الإمام العيني في شرح صحيح البخاري قال أثناء كلامه عن حديث النزول[1]: «وقال ابن فورك: ضبط لنا بعض أهل النقل هذا الخبر عن النبي ﷺ بضم الياء من ينزل يعني من الإنزال وذكر أنه ضبط عمن سمع منه من الثقات الضابطين، وكذا قال القرطبي قد قيده بعض الناس بذلك، فيكون معدى إلى مفعول محذوف، أي يُنزل الله ملكًا، قال: والدليل على صحة هذا ما رواه النسائي من حديث الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله عز وجل يمهل حتى يأتي شطر الليل الأول، ثم يأمر مناديًا يقول: هل من داع فيستجاب له»، وصححه عبد الحق، وحمل صاحب المفهم الحديث على النزول المعنوي على رواية مالك عنه عند مسلم، فإنه قال فيه، «يتنزل ربنا»، بزيادة تاء بعد ياء المضارعة، فقال: كذا صحت الرواية هنا، وهي ظاهرة في النزول المعنوي وإليها يُرد «ينزل» على أحد التأويلات، ومعنى ذلك أنّ مقتضى عظمة الله وجلاله واستغنائه عن خلقه أن لا يعبأ بحقير ذليل، لكن ينزل بمقتضى كرمه ولطفه، لأنه يقول من يقرض غير عدوم ولا ظلوم، ويكون قوله «إلى السماء الدنيا» عبارة عن الحالة القريبة إلينا. والله أعلم.

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٧/ ١٩٩).

١٥ - وقال القسطلاني في شرحه على البخاري عند ذكره لهذا الحديث[١] «هو نزول رحمة ومزيد لطف وإجابة دعوة وقبول معذرة، لا نزول حركة وانتقال لاستحالة ذلك على الله فهو نزول معنوي» ثم «قال «نعم يجوز حمله على الحسي ويكون راجعًا إلى ملكه الذي ينزل بأمره ونهيه».

١٦ - الحافظ السيوطي قال في أثناء كلامه في شرح حديث النزول في «تنوير الحوالك»[٢]: «فالمراد إذن نزول أمره أو الملك بأمره، وذكر ابن فورك أن بعض المشايخ ضبطه ينزل بضم أوله على حذف المفعول أي ينزل ملكا».

١٧ - الإمام الزرقاني في شرحه على موطإ الإمام مالك نقل ما نقله ابن حجر عن ابن العربي وابن فورك وزاد ما نصه[٣]: «وكذا حكي عن مالك انه أوله بنزول رحمته وأمره أو ملائكته كما يقال فعل المِلك كذا أي أتباعه بأمره» انتهى كلام الزرقاني.

١٨ - الملا علي القاري الحنفي قال في مرقاة المفاتيح بعد أن نقل كلام النووي بشأنِ معنى حديث النزول وأقوال العلماء فيه، وكلام الشيخ الرباني أبي إسحاق الشيرازي، وإمام الحرمين والغزالي، وغيرهم من أئمتنا[٤]: «يعلم أنّ المذهبين متفقان على صرف تلك الظواهر كالمجيء والصورة، والشخص، والرجل، والقدم، واليد، والوجه، والغضب، والرحمة، والاستواء على العرش، والكون في السماء، وغير ذلك مما يفهمه ظاهرها لما يلزم عليه من محالات قطعية البطلان، تستلزم أشياء يُحكم بكفرها بالإجماع، فاضطر ذلك جميع الخلف والسلف إلى صرف اللفظ عن ظاهره، وإنما اختلفوا، هل نصرفه عن ظاهره معتقدين اتصافه سبحانه بما يليق بجلاله وعظمته من غير أن نؤوله بشيء ءاخر، وهو مذهب أكثر

---

(١) شرح صحيح البخاري (ص/ ٣٢٣)، القسطلاني - المجلد ٢.
(٢) كتاب تنوير الحوالك (١/ ١٦٧).
(٣) شرح الزرقاني على موطإ الإمام مالك (٢/ ٣٤٠)، الزرقاني، دار الجيل - بيروت.
(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/ ٢٩٩).

أهل السلف، وفيه تأويل إجمالي أو مع تأويله بشيء ءاخر، وهو مذهب أكثر أهل الخلف وهو تأويل تفصيلي...

إلى أن قال: بل قال جمع منهم ومن الخلف: أنّ معتقد الجهة كافر كما صرّح به العراقي، وقال: إنه قول لأبي حنيفة ومالك والشافعي والأشعري والباقلاني».

١٩ - الحافظ محمد عبد الرؤوف المناوي قال في كتابه «فيض القدير شرح الجامع الصغير» وفي كتاب «التيسير بشرح الجامع الصغير» ما نصه: «قيل المراد نزول رحمة ومزيد لطف وإجابة دعوة وقبول معذرة»، ثم قال في «فيض القدير» ما نصه: «لا نزول حركة وانتقال لاستحالته عليه تقدس عنه بل نزول معنوي» اهـ.

وختامًا، إليك أخي المؤمن هذه الخلاصة المهمة: لقد اتفق أهل التفسير أنَّ خيرَ ما يُفَسِّرُ النَّصَّ الواردَ النَّصُّ الواردُ؛ فخير ما يفسِّرُ النَّصَّ القرءانيَّ السياقُ، وخير ما يُفَسِّرِ الحديثَ الواردَ الحديثُ الواردُ، كما قال الحافظ العراقي في ألفيته:

وخـيرُ مـا فَـسَّرتَـه بـالـواردِ كالدُّخِّ بالدُّخَان لابن صائِدِ

ومن هذه القاعدة الذهبية النفيسة ننطلق لبيان الآتي: الأحاديثُ الثلاثة التي يتمسك المشبهة بظاهرها، ويمنعون تأويلها لإثبات الجهة والحركة لله تعالى للعلماء في شرحها وتأويلها مسلك واضح يتفق مع تلك القاعدة، بل هو تطبيق لها، والتزام بها؛ وهذه الأحاديث الثلاثة هي: حديث الجارية، وحديث «ارحموا من في الأرض»، وحديث النزول.

- ففي حديث الجارية: على افتراض ثبوت رواية «أين الله»، و«قالت: في السماء» يرى العلماء تأويله كما يلي: على أننا نجزم ونعتقد أن الرسول لم يقله.

١ - قول: «أين الله» دلالته: سؤال عن تعظيم الجارية لله تعالى، فلفظة (أين) في اللغة تستعمل لذلك، كقول عمرو بن العاص: «وأين معاوية من علي». ودليل هذا التأويل الرواية الأخرى للحديث في موطأ مالك: «أتشهدين أن لا إلـٰه إلا الله...»، ومعلوم أن شهادة أن لا إلـٰه إلا الله دلالتها إثبات تعظيم الله تعالى، لا

إثبات الحيز والجهة والمكان له.

٢ - وقول: «في السماء» دلالته: أن الله عظيم القدر جدًّا. وهذا معروف في لغة العرب. ودليله قول الجارية وإقرارها: «أشهد أنْ لا إلـٰه إلا الله...».

فرواية مالك تفسر رواية مسلمٍ، على فرض ثبوتها. لذلك اللفظ.

- وفي حديث الرحمة: الذي يفسر رواية: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» روايةُ: «يرحمكم أهل السَّماء» التي رواها الحافظ العراقي، وحسن إسنادها وأهل السماء - بالإجماع - هم الملائكة، فالله لا يقال له: أهل السماء. لذلك أوَّل العلماء رواية «من في السماء» بالملائكة.

- وفي حديث النزول: الذي يفسر لفظَ «ينزل ربُّنا» الوارد في رواية البخاري المشهورة، وروايات عدد من الأئمة، لفظ «يأمر ملكا» فينزل الملك بأمر الله، وهو الوارد في رواية النَّسائي وهي ثم يأمر مناديًا ينادي وهذا المأمور المنادي هو غير الله بلا شك وهو الملك، وهي ثابتة صحيحة.

فمعنى (ينزل ربُّنا): ينزل (ملكُ ربِّنا)، وهذا مجاز معروف عند أهل اللغة، والبلاغة، والأصول، والتفسير: بالمجاز العقلي ودليله الرواية الأخرى.

وبعدُ، نقول كما قال الحافظ عبد الغني النابلسي:

هذا هو الحق المبين الواضحُ ... وبالذي فيه الإناء ناضحُ

## «بيان تناقضات رموز المشبهة وأعلام المجسمة المتكسرة»

وبعد ما نقلناه عن أئمة السلف والخلف في شرح وتأويل حديث النزول نشرع في بيان تناقضات رموز المشبهة وأعلام المجسمة وتذبذبهم في شرح حديث النزول، ونقل كلامهم الصريح في التجسيم من ابن تيمية وتلاميذه إلى الألباني وابن عثيمين.

- في الكتاب المسمى «الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة»[1]، تأليف المدعو عبد الله بن عبد الحميد الأثري. تقديم المدعو صالح بن عبد العزيز ءال الشيخ يقولون: وان الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل (انظروا إلى سخافة عقولهم) نزولا حقيقيا يليق بجلاله وعظمته.

- وفي الكتاب المسمى «شرح العقيدة الواسطية»[2] يقولون: فأهل السنة والجماعة يؤمنون بالنزول صفة حقيقية لله عز وجل، على الكيفية التي يشاء، فيثبتون النزول كما يثبتون جميع الصفات التي ثبتت في الكتاب والسنة، ويقفون عند ذلك، فلا يكيفون ولا يمثلون ولا ينفون ولا يعطلون، ويقولون: ان الرسول اخبرنا انه ينزل، ولكنه لم يخبرنا كيف.

- في الكتاب المسمى «قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر» تأليف المدعو عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي يقولون[3]: وأما أهل النفي والجحود، فيقولون: لا هو داخل العالم ولا خارجه، ولا مباين له، ولا حال فيه، ولا فوق العالم، ولا فيه، ولا ينزل منه شيء.

- في الكتاب المسمى «التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه من المباحث المنيفة»، يقولون[4]: وأن نزوله حقيقة كيف يشاء.

- في كتاب الألباني المسمى «السلسلة الصحيحة» يقول[5]: وقد أورد الحديث على الصواب فيها[6] واستدل به على نزوله تعالى بذاته عشيّة عرفة. انظروا إلى سخافتهم.

---

(١) انظر الكتاب (١/ ٤٩).
(٢) انظر الكتاب (١/ ٢٠٩).
(٣) انظر الكتاب (١/ ٥٧).
(٤) انظر الكتاب (١/ ٥١).
(٥) انظر الكتاب (٦/ ٥٠).
(٦) انظر الكتاب (ص/ ٣٧).

- في الكتاب المسمى «الأسماء والصفات» لابن عثيمين يقول[1]: ولهذا لم يتكلم الصحابة فيما أعلم بلفظ الذات في الاستواء والنزول أي لم يقولوا: استوى على العرش بذاته، أو ينزل إلى السماء الدنيا بذاته، لأن ذلك مفهوم من اللفظ، فإن الفعل أضيف إلى الله تعالى، إما إلى الاسم الظاهر، أو الضمير، فإذا أضيف إليه كان الأصل أن يراد به ذات الله عز وجل لكن لما حدث تحريف معنى الاستواء والنزول احتاجوا إلى توكيد الحقيقة بذكر الذات.

وفي «باب النزول» يقول[2]: الله تعالى نفسه ينزل حقيقة.

وفي «القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه» يقول[3]: فإذا تبين ذلك علمنا أن مقتضى كونه تعالى مع عباده أنه يعلم أحوالهم، ويسمع أقوالهم، ويرى أفعالهم، ويدبّر شؤونهم، فيحيي، ويميت، ويغني، ويفقر، ويأتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعزّ من يشاء، ويذل من يشاء إلى غير ذلك مما تقتضيه ربوبيته وكمال سلطانه لا يحجبه عن خلقه شيء.

ويقول: ومن كان هذا شأنه فهو مع خلقه حقيقة، ولو كان فوقهم على عرشه حقيقة.

وفي «فتح رب البرية بتلخيص الحموية» يقول[4]: ونزوله تعالى: إلى السماء الدنيا من صفاته الفعلية التي تتعلق بمشيئته وحكمته وهو نزول حقيقي يليق بجلاله وعظمته.

وفي «تعليقات على العقيدة الواسطية» يقول[5]: ومعنى النزول عند أهل السنة أنه ينزل بنفسه سبحانه نزولا حقيقيا يليق بجلاله ولا يعلم كيفيته إلا هو.

---

(١) انظر الكتاب (٩/ ٢٦).
(٢) انظر الكتاب (١٠/ ٢).
(٣) انظر الكتاب (٣٢/ ٣٩).
(٤) انظر الكتاب (٣٣/ ٢٨).
(٥) انظر الكتاب (٣٤/ ١٩).

وقيل في «شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل...» يقول[١]: وهو نزول حقيقي يليق بالله.

-ابن عثيمين في كتابه المسمى «شرح الواسطية» يقول[٢]: فإذا آمنت بأنه ينزل حقيقة علمت أن هذا ليس بمستحيل.

ويقول[٣]: وقوله «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا»: نزوله تعالى حقيقي. ويقول[٤]: بهذا يتبين لكل إنسان قرأ هذا الحديث أن المراد بالنزول هنا نزول الله نفسه، ولا نحتاج أن نقول: بذاته، ما دام الفعل أضيف إليه، فهو له، لكن بعض العلماء قالوا: ينزل بذاته، لأنهم لجأوا إلى ذلك، واضطروا إليه، لأن هناك من حرّفوا الحديث.

ويقول[٥]: فنقول: هو ينزل حقيقة مع علوّه حقيقة.

-في كتاب ابن عثيمين الضال المسمى «شرح العقيدة السفارينية» يقول[٦]: ولا تقول: ينزل إلى السماء الدنيا بذاته، ما دام أن قيل: الفعل مضافٌ إلى الله فهو صادر منه، لكن ورد في كلام بعض السلف، قولهم: إن الله استوى على العرش بذاته، ومرادهم بهذا الرد على قول من قال: إن الله استولى على العرش.

ويقول[٧]: حينئذ نضطرّ إلى أن نقول: (بذاته): (ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخر).

ويقول[٨]: لا نزيد ونقول: ينزل بذاته، لأن الله أضاف النزول إليه نفسه، فإذا قال: (ينزل) يعني هو نفسه ينزل، ما حاجه إلى أن نقول: (بذاته)، لكن قال

---

(١) انظر الكتاب (٣٦/ ١٥).
(٢) انظر الكتاب (٦١/ ١٨)، القسم الثالث.
(٣) انظر الكتاب (ص/ ٣٤).
(٤) انظر الكتاب (ص/ ٣٥).
(٥) انظر الكتاب (ص/ ٣٦).
(٦) انظر الكتاب (٧١/ ٢٠).
(٧) انظر الكتاب (ص/ ٢١).
(٨) انظر الكتاب (ص/ ٢٤).

المعطلون إنه ينزل أمره، احتاج أهل السنة أن يقولوا: إنه ينزل بذاته يعني ينزل ذاته..

ويقول[1]: ينزل نزولا حقيقيا بذاته إلى السماء الدنيا.

ويقول[2]: وقد أجمع على ذلك الصحابة رضي الله عنهم، على أن المراد ينزل ربنا بذاته. والدليل على أجماعهم: أنه لم يأت عنهم حرف واحد يقولون: إن المراد ينزل شيء ءاخر غير الله.

-ابن عثيمين فيما يُسمّيه قسم العقيدة، «شرح العقيدة السفارينية» يقول[3]: حتى بعض السلف أنكر أن تقول: أن الله استوى على العرش بذاته أو أن الله ينزل بذاته، لكن الذين قالوها اضطروا في ذلك الوقت إلى أن يقولوا هذا.

-ابن باز في مجموع فتاوى ابن باز، يقول[4]: الوهابية لا تناصب آل البيت العداء بل هي على طريقة السلف الصالح

س: هل صحيح أن الوهابية تناصب آل البيت العداء، وأنها تنتقص من سيد الخلق، وما حقيقة الدعوة الوهابية؟ ولماذا تحارب بهذا الشكل؟

ج: الوهابية منسوبة إلى الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله المتوفى سنة ١٢٠٦هـ، وهو الذي قام بالدعوة إلى الله سبحانه في نجد، وأوضح للناس حقيقة التوحيد والشرك، ودعى الناس إلى توحيد الله وإفراد العبادة له سبحانه، وترك التعلق على أصحاب القبور، ممن يسمون بالأولياء، ودعاؤهم من دون الله والاستغاثة بهم والاستعاذة بهم والنذر لهم، وهكذا من يتعلق بالجن أو بعض الأشجار والأحجار، وأوضح للناس هو وأتباعه من العلماء: أن هذا هو الشرك الأكبر. وكان ذلك في منتصف القرن الثاني عشر الهجري إلى أن توفي رحمه الله في

---

(١) انظر الكتاب (ص/ ٥٣).
(٢) انظر الكتاب (ص/ ٥٤).
(٣) انظر الكتاب (٧١/ ٧٨).
(٤) انظر الكتاب (١٢/ ١٩٠).

التاريخ المذكور، وساعده في ذلك ونصر دعوته الإمام محمد بن سعود رحمه الله، جد الأسرة المالكة اليوم من آل سعود، وناصر دعوته وقام بها كل من لديه علم بما بعث الله به نبيّه محمدا ﷺ من الهدى ودين الحق،فانتشرت دعوته رحمه الله في نجد وملحقاتها، وأيّدها علماء السنة في نجد والحجاز واليمن، وفي مصر والشام والعراق، والهند وغيرها.

وحقيقتها هي الدعوة إلى ما بعث الله به نبيّه محمدا ﷺ من توحيد الله، والإخلاص له وتحقيق شهادة أن لا إلـه إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وذلك بالإخلاص لله ومتابعة رسوله ﷺ، وترك ما عليه عباد القبور والأولياء من دعوة غير الله والاستغاثة بغير الله والذبح والنذر لغير الله.

- ابن باز في كتابه المسمى «نور على الدرب»، باب الإفتراء على الإمام محمد ابن عبد الوهاب، يقول[1]: أما الوهابية فهم أتباع الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي رحمه الله، فهو إمام مشهور دعا إلى الله عز وجل في نجد في القرن الثاني عشر.

- ابن باز في مجموع فتاوى ابن باز، يقول[2]: وليت الوهابية حسب تعبير الكاتب بدعا في إنكار مثل هذه الأمور البدعية، بل عقيدة الوهابية: هي التمسك بكتاب الله وسنة رسوله.

- وفي مجموع فتاويه يقول ابن باز[3]: كما أن الوهابية يسيرون على منهج السلف الصالح.

**٢٧- يقول المجسم ابن أبي العز[4] مفتريًا على رسول الله: «كما قال ﷺ: بينا أهل الجنة في نعيمهم، إذ سطع لهم نور، فرفعوا رءوسهم، فإذا الجبار جل جلاله**

---

(١) انظر الكتاب (١/ ١٨).

(٢) انظر الكتاب (٤/ ٢٣٣).

(٣) انظر الكتاب (١٢/ ١٩١).

(٤) المصدر السابق، (ص/ ٢٧٨).

قد أشرف عليهم من فوقهم، وقال: يا أهل الجنة، سلام عليكم، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾، ثم يتوارى عنهم، وتبقى رحمته وبركته عليهم في ديارهم. رواه الإمام أحمد في المسند وغيره، من حديث جابر رضي الله عنه (هنا قال شعيب الأرنؤوط وعبد الله التركي في التعليق: سنده ضعيف، لضعف أبي عاصم العباداني، وشيخه الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي، وليس هو في مسند أحمد)» اهـ.

ومثله قال المجسم خالد المصلح[1]، والمجسم صالح الفوزان[2]، والمجسم عبد العزيز الراجحي[3]، والمجسم ابن جبرين[4]، والمجسم سفر الحوالي[5]، والمجسم الألباني[6].

الرد: نكتفي في هذه المسألة بأن شعيب الأرنؤوط وعبد الله بن عبد المحسن التركي قالا في تعليقهما على هذا الكتاب أن هذا الحديث «سنده ضعيف» وقد بيّنا قبل الآن أن الحديث الضعيف لا يُحتج به في العقائد وأن المجسمة المشبهة يحتجون بزعمهم لإثبات عقيدتهم التي هي تشبيه الله بخلقه بالأحاديث الموضوعة المكذوبة وليس بالضعيفة فقط وهذا لإفلاسهم وقد مرَّ معنا عشرات الردود والأدلة على أن الله موجود بلا مكان، ليس كمثله شيء، كان ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان.

٢٨- يقول المجسم ابن أبي العز الحنفي[7]: «فوهب له إسماعيل، فأخذ هذا الولد شعبة من قلبه، فغار الخليل على قلب خليله أن يكون فيه مكان لغيره، فامتحنه به بذبحه» اهـ.

---

(١) انظر الكتاب (٧/ ٣).
(٢) انظر الكتاب (ص/ ٢٠٢).
(٣) انظر الكتاب (ص/ ٨٩-١٤٢. ومن (ص/ ١٩٨ إلى ص٢٠٧).
(٤) انظر الكتاب (١/ ١٧١-١٩٥-٣٤١-٤١٨-٤٤٩) و(٢/ من ص١٧٤ إلى ص٢٢٤) و(٣/ ٤٤٥).
(٥) انظر الكتاب (ص/ ١٠٥-٢٢٦).
(٦) المصدر السابق، (ص/ ٥٥).
(٧) المصدر السابق، (ص/ ٢٨٤).

**ومثله قال المجسم ابن جبرين[1].**

**الرد:** وفي هذا الكلام نسبة الجهل إلى الله وكأن الله لا يعلم بزعم ابن أبي العز أن ابراهيم عليه السلام يحب ربه محبة لا يعدلها شئ وأن إبراهيم عليه لسلام نبي رسول من أولي العزم لا يحب ولده أكثر من ربه، ثم في كلامه نسبة الغيرة إلى الله التي تكون بين المخلوقين بحسب المقام وبحسب سياق الكلام وهذه الغيرة التي هي التأثر مستحيلة على الله لأن الله تعالى لا يوصف بأي صفة من صفات خلقه فهو سبحانه القائل: ﴿ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ وأما غيرة الله الواردة في الحديث فمعناها ما قاله الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»[2]، ما نصه: «غيرة الله كراهة اتيان الفواحش أي عدم رضاه بها»، ثم قال[3]: «قال ابن بطال والمراد بنفس الله ذاته» اهـ.

وليس معناه أن الله تعالى له نفس كالأنس والجن والملائكة والبهائم أو له روح لأنه هو خالق الأرواح فليس روحًا وليس له روح كما أجمعت الأمة على ذلك.

**٢٩- يقول المجسم ابن أبي العز الحنفي: ويمكن أن يكون له إيمان عظيم وحسنات أوجبت له رحمة الله، كما غفر للذي قال: إذا مت فاسحقوني ثم ذروني، ثم غفر الله له لخشيته، وكان يظن أن الله لا يقدر على جمعه وإعادته، أو شك في ذلك.**

**ومثله قال المجسم عبد العزيز الراجحي[4]، والمجسم ابن جبرين[5].**

**الرد:** وهنا خرق ابن أبي العز الاجماع القائم على كفر من أنكر صفة من صفات

---

(١) انظر الكتاب (٢/ ٢٢٦).
(٢) المصدر السابق (١٣/ ٣٩٦)، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾.
(٣) المصدر السابق.
(٤) انظر الكتاب (ص/ ٢٢١).
(٥) انظر الكتاب (٢/ ٢٧١-٢٧٨-٢٧٩).

الله الثلاث عشرة الواجبة له اجماعا أو شك في واحدة منها فزعم المجسم «ان من ظن أن الله لا يقدر على جمعه وإعادته، أو شك في ذلك» وهذا كذب وفساد عظيم. فمن الكفر نفي صفة من صفاته تعالى الواجبة له إجماعًا كالقدرة والعلم، وذلك بالإجماع. وأما ما رواه يونس بن عبد الأعلى عن الشافعي أن لله أسماء وصفات لا يَسَع أحدًا ردّها ومَن خالف بعد ثبوت الحجّة عليه فقد كفر. وأمّا قبل قيام الحجّة فإنه يعذر بالجهل لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا الرَّوِيّة والفكر. فمراده بذلك أن صفات الله قسمان: قسم يدرك ثبوته لله بالعقل كالصفات الثلاث عشرة: القدرة والإرادة والسمع والبصر والعلم والكلام والحياة والوجود والقِدَم والوحدانية والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والبقاء، والقسم الثاني ما لا يدرك بالعقل والرَّوِيّة والفكر؛ فالقسم الأول يكفّر جاحده، والقسم الثاني لا يكفّر جاحده قبل العلم بالحجّة لأنه يتعلق بالسمع بدليل قوله «لا يدرك بالعقل والرَّوِيّة والفكر»؛ وليس مراد الشافعي بقوله «يعذر بالجهل» ما كان من تلك الصفات الثلاث عشرة، فإنه يدرك ثبوته لله بالعقل والسمع، فمَن جهل شيئًا منها فنفى فلا عذر له فإنها شرط للألوهية قال الحافظ ابن الجوزي: «مَن نفى قدرة الله على كل شيء كافر بالاتفاق» أي بلا خلاف.

فإذا عرف هذا علِمَ فساد قول بعض المدّعين للعلم إن الشافعي نفى الكفر عمّن جهل صفات الله على وجه يشمل الجهل بقدرة الله على كل شيء والعلم بكل شيء وسائر الصفات الثلاث عشرة، فإن هذا تخليط وجهل فظيع؛ فلا يهولنّك أيّها الطالب للحق تمويه الجاهل الذي يزعم أن من جحد قدرة الله على كل شيء وعلمه بكل شيء لا يكفّر بل يكون معذورًا إن كان جاهلًا، فنصّ الشافعي يردّ ما زعمه، فإن كلام الشافعي يبيّن أن مراده الأسماء والصفات التي لا يستدلّ على ثبوتها لله بالعقل إلا بالنقل. فإن العقل لو لم يرد نص بذلك يدرك ثبوت القدرة الشاملة لله والعلم الشامل والإرادة الشاملة ووجوب السمع والبصر له على ما يليق به، وهكذا بقية الصفات الثلاث عشرة؛ أما الوجه واليد والعين ونحوها مما

ورد في النص إطلاقه على الله على أنها صفات لا جوارح فإن ذلك لا يدرك بالعقل. ولنضرب لذلك مثلًا: شخص سمع إضافة اليد والعين إلى الله تعالى فأنكر لأنه لم يسمع بأن النص ورد بذلك فإنه لا يُكفّر بل يعلّم أن هذا مما ورد به النص، فإن أنكر بعد علمه بورود النص في ذلك كفر، وكذلك مَن أنكر أن المؤمن من أسماء الله لأنه لم يعلم في القرءان تسمية الله بذلك فلا يكفر بل يقال له هذا ورد شرعًا تسميته به في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ﴾[1]. فهل يعتقد ذو فهم في الشافعي أنه لا يُكفّرُ مَن نفى صفة من تلك الصفات الثلاث عشرة التي يدلّ العقل عليها وقد كَفَّرَ حفصًا الفرد لأنه لا يثبت لله الكلام الذاتي الذي هو أحد معنيي القرءان ويُطلقُ القول بمخلوقية القرءان مع ذلك، فقد قال الشافعي رضي الله عنه لحفص بعدما ناظره: «لقد كفرت بالله العظيم» كما سبق، فكيف ينسب للشافعي بعد هذا أنه لا يكفّر مَن نفى قدرة الله أو علمه أو سمعه للمسموعات أو بصره للمُبْصَرات أو صفة الوحدانية أو صفة القِدَم أو نحو ذلك وأنه يقول إن كان جاهلًا يعذر على وجه الإطلاق.

وقد ردّ ابن الجوزي قول ابن قتيبة كما نقل ذلك الحافظ العسقلاني في «فتح الباري»[2]: «قد يغلط في بعض الصفات قوم من المسلمين فلا يكفّرون بذلك»، فقال: «جحده صفة القدرة كفر اتفاقًا» اهـ. يعني - ابن قتيبة - بذلك قصة الرجل الذي قال رسول الله ﷺ فيه: «**كان رجل يسرف على نفسه، فلما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا متّ فأحرقوني ثم اطحنوني ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر الله عليّ ليعذبني عذابًا ما عذّبه أحدًا**»[3]، حيث ظن ابن قتيبة أن هذا الرجل شك في قدرة الله عليه، قال ابن الجوزي: «جحده صفة القدرة كفر اتفاقًا»، وإنما معنى

---

(١) سورة الحشر/ ءاية ٢٣.
(٢) فتح الباري (٦/ ٥٢٣).
(٣) صحيح البخاري: كتاب الأنبياء: الباب الأخير، صحيح مسلم: كتاب التوبة: باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه.

قوله: «لئن قدر الله عليّ» أي ضيّق، فهي كقوله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾[1] أي ضيّق، وأما قوله: «لعلّي أضلّ الله» كما في رواية لهذا الحديث فمعناه لعلي أفوته؛ ولعلّ هذا الرجل قال ذلك من شدّة جزعه وخوفه كما غلط ذلك الآخر فقال: أنت عبدي وأنا ربّك، أو يكون قوله: «لئن قدر عليّ» بتشديد الدال، أي قدّر عليّ أن يعذبني ليعذبني.

قال الحافظ ابن حجر «فتح الباري»[2]: «وأظهر الأقوال أنه قال ذلك في حال دهشته وغلبة الخوف عليه حتى ذهب بعقله». وتتمة الحديث المذكور: «فلما مات فعل به ذلك فأمر الله الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه، فَفَعَلَتْ فإذا هو قائم فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا ربّ خشيتك، فغفر له». والحديث أخرجه البخاري وغيره، وأخرجه ابن حبان في صحيحه: كتاب الرقاق، انظر «الإحسان»[3]. بلفظ: «توفي رجل كان نبّاشًا فقال لولده: أحرقوني» اهـ.

وقال النووي «شرح صحيح مسلم»[4]: «اختلف العلماء في تأويل هذا الحديث فقالت طائفة: لا يصحّ حمل هذا على أنه أراد نفي قدرة الله، فإنّ الشاكّ في قدرة الله تعالى كافر، وقد قال في ءاخر الحديث إنه إنما فعل هذا من خشية الله تعالى والكافر لا يخشى الله تعالى ولا يُغفر له، قال هؤلاء: فيكون له تأويلان أحدهما: أنّ معناه لئن قدر عليّ العذاب أي قضاه يقال منه قدر بالتخفيف وقدّر بالتشديد بمعنى واحد، والثاني: أن قدر هنا بمعنى ضيق عليّ قال الله تعالى: ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾[5]. وهو أحد الأقوال في قوله تعالى: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾[6]. وقالت طائفة: اللفظ على ظاهره ولكن قاله هذا الرجل وهو غير ضابط لكلامه

---

(١) سورة الطلاق/ ءاية ٧.

(٢) فتح الباري (٦/ ٥٢٣).

(٣) الإحسان (٢/ ٢٢).

(٤) شرح صحيح مسلم (١٧/ ٧١).

(٥) سورة الفجر/ ءاية ١٦.

(٦) سورة الأنبياء/ ءاية ٨٧.

ولا قاصد لحقيقة معناه ومعتقد لها بل قاله في حالة غلب عليه فيها الدهش والخوف وشدة الجزع، بحيث ذهب تيقّظه وتدبر ما يقوله، فصار في معنى الغافل والنّاسي، وهذه الحالة لا يؤاخذ فيها وهو نحو قول القائل الآخر الذي غلب عليه الفرح حين وجد راحلته: أنت عبدي وأنا ربّك فلم يكفر بذلك الدهش والغلبة والسهو».انتهى كلام النووي.

فإذا عرف هذا علم أنه لا يعذر أحد في نفي القدرة عن الله ونحوها من صفاته بسبب الجهل مهما بلغ الجهل بصاحبه. وكن على ذُكْرٍ واستحضار لِنَقْلِ ابن الجوزي الإجماع، والشافعي يجلّ مقامه عن أن يخرج من الإجماع.

**٣٠ - يقول المجسم ابن أبي العز الحنفي[١]: «وَيُقَالُ له في مُقَابَلَة تَشْنِيعِه: أَنتَ تَقُولُ: المُسْلِمُ هُوَ المُؤْمِنُ، والله تعالى يَقُولُ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾، فَجَعَلَهُمَا غَيْرَيْنِ، وَقَدْ قِيلَ لِرَسُولِ الله ﷺ: مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ والله إِنِّي لَأَرَاه مُؤْمِنًا؟ قَالَ: (أَوْ مُسْلِمًا)، قالها ثَلَاثًا، فَأَثْبَتَ له اسم الْإِسْلَامَ وَتَوَقَّفَ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ، فَمَنْ قَالَ: هُمَا سَوَاءٌ - كَانَ مُخَالِفًا،(قال شعيب الأرنؤوط وعبد الله التركي في التعليق: وقول الألباني -على حديث: (أي الإسلام أفضل)-: متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري، وهم منه» اهـ.**

**ومثله قال المجسم صالح آل الشيخ[٢]، والمجسم ابن جبرين[٣].**

**الرد:** وفي هذه المسألة تبين جهل ابن أبي العز المجسم فهو يجعل المؤمن غير مسلم بزعمه وهذا خلاف ما أجمعت عليه الأمة وهذه نصوص العلماء وتعريفاتهم ترد قوله عليه.

اعلم أن الإيمان لغة التصديق، وشرعًا تصديق مخصوص، وهو التصديق بما جاء به النبي ﷺ. والإسلام لغة الانقياد، وشرعًا انقيادٌ مخصوص، وهو الانقياد

(١) المصدر السابق، (ص/ ٣٣٥).
(٢) انظر الكتاب (ص/ ٣٢٨).
(٣) انظر الكتاب (٢/ ٤٢٤).

لما جاء به النبي ﷺ بالنطق بالشهادتين.

والإسلام والإيمان متلازمان لا يُقبل أحدهما بدون الآخر، وإن كانا مختلفين من حيث معنياهما الأصليان، فقد قال أبو حنيفة رضي الله عنه في الفقه الأكبر: «لا يكون إيمان بلا إسلام ولا إسلام بلا إيمان فهما كالظهر مع البطن» اهـ. فكما أن الظهر لا ينفصل عن البطن مع أنهما مختلفان فكذلك الإيمان لا ينفصلُ عن الإسلام والإسلام لا ينفصل عن الإيمان، فمَن ءامن بما جاء به الرسول ﷺ وصدّق ذلك بالنطق بالشهادتين بلسانه فهو مسلم مؤمن، إن مات على ذلك لا بُدَّ أن يدخلَ الجنّة.

وأمّا قول الله عزّ وجلّ: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾[1]. فالمراد بأسلمنا فيه الإسلام اللغوي الذي هو الانقياد لا الشرعيُّ، حيث إنّ هؤلاء الأعراب كانوا يظهرون للنّاس أنهم يحبّون الرسول ﷺ وأنهم منقادون له خوفًا من القتل وفي قلوبهم كره النبيّ.

قال أبو حيّان «تفسير النهر الماد»[2] في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾[3] ما نصّه: «فهو اللفظ الصادق من أفواههم وهو الانقياد والاستسلام ظاهرًا» اهـ.

وقال القرطبي في الجامع لأحكام القرءان (١٦ / ٣٤٨).: «ومعنى ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾: أي استسلمنا خوف القتل والسبي وهذه صفة المنافقين» اهـ فليس في هذه الآية أن هؤلاء الأعراب كانوا مسلمين حقيقة غيرَ مؤمنين.

وما جاء في الحديث وفيه: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تَبَعًا لما جئت**

---

(١) سورة الحجرات/ ءاية ١٤.

(٢) تفسير النهر الماد (مجلد ٣ - القسم الثاني ص/ ٩٨٢).

(٣) سورة الحجرات/ ءاية ١٤.

به»[1]. و«**لا يؤمن أحدكم حتّى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه**»[2]. والحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده**»[3]، ونحو هذا ليس المرادُ به نفي أصل الإيمان عنه، بل المراد نفي الإيمان الكامل الذي يكون به متبعًا للنبيّ اتباعًا كاملًا.

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»[4]. في الفتح في هذا الحديث الأخير ما نصّه: «قوله: «لا يؤمن» أي إيمانًا كاملًا» اهـ.

وقال النووي في شرح مسلم «شرح صحيح مسلم» ما نصّه[5]: «قوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدُكم حتى يحبّ لأخيه**» أو قال: «**لجاره ما يحبّ لنفسه**». هكذا هو في مسلم لأخيه أو لجاره على الشك، وكذا هو في مسند عبد بن حميد على الشك، وهو في البخاري وغيره: «لأخيه» من غير شك، قال العلماء رحمهم الله: معناه لا يؤمن الإيمان التّام، وإلا فأصل الإيمان يحصل لمن لم يكن بهذه الصفة. اهـ

فلذلك لا يقال فلانٌ مسلم ولكنه ليس بمؤمن أو العكس، بل يقال فلان كامل الإيمان أو ناقص الإيمان لأن الإيمان يزيد وينقص، فمَن ءامن بالله ورسوله وأدّى الواجبات واجتنب المحرمات فهذا مسلم مؤمن وإيمانه كامل، ومَن ترك بعض الواجبات كالصلوات الخمس أو ارتكب بعض المحرّمات كأكل الربا وشرب الخمر فهذا مسلم مؤمن وإيمانه ناقص.

قال النووي في «شرح مسلم» ما نصّه[6]: «في الباب قوله ﷺ: «**لا يزني الزاني**

---

(١) قال النووي في الأربعين: حديث حسن صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح.
(٢) صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير.
(٣) صحيح البخاري: كتاب الإيمان: باب حبّ الرسول ﷺ من الإيمان.
(٤) فتح الباري (١/ ٥٨).
(٥) شرح صحيح مسلم (٢/ ١٦).
(٦) شرح صحيح مسلم (٢/ ٤١ – ٤٢)، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي.

حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن» الحديث، وفي رواية: «**ولا يغلّ أحدكم حين يَغُل وهو مؤمن**» وفي رواية: «**والتوبة معروضة بعد**»، هذا الحديث ممّا اختلف العلماء في معناه، فالقول الصحيح الذي قاله المحققون إنّ معناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان، وهذا من الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء ويراد نفي كماله ومختاره كما يقال: لا علم إلا ما نفع، و: لا مال إلا الإبل. و: لا عيش إلا عيش الآخرة، وإنما تأوّلناه على ما ذكرناه لحديث أبي ذر وغيره: «**مَن قال لا إلـٰه إلا الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق**»، وحديث عُبادة بن الصامت الصحيح المشهور أنهم بايعوه ﷺ على أن لا يسرقوا ولا يزنوا ولا يعصوا في معروف إلى ءاخره، ثم قال لهم ﷺ: «**فمَن وفى منكم فأجره على الله، ومَن فعل شيئًا من ذلك فعوقب في الدنيا فهو كفّارته، ومَن فعل ولم يعاقب فهو إلى الله تعالى إن شاء عفا عنه وإن شاء عذّبه**»، فهذان الحديثان مع نظائرهما في الصحيح مع قول الله عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[1]، مع إجماع أهل الحق على أنّ الزاني والسارق والقاتل وغيرهم من أصحاب الكبائر غير الشرك لا يكفرون بذلك، بل هم مؤمنون ناقصو الإيمان إن تابوا سقطت عقوبتهم، وإن ماتوا مصرّين على الكبائر كانوا في المشيئة فإن شاء الله تعالى عفا عنهم وأدخلهم الجنّة أولًا، وإن شاء عذّبهم ثمّ أدخلهم الجنّة، وكل هذه الأدلة تضطرنا إلى تأويل هذا الحديث وشبهه، ثم إنّ هذا التأويل ظاهر سائغ في اللغة مستعمل فيها كثير» انتهى كلام النووي.

## بِمَ ينتفي اسم الإيمان عن المؤمن

ليعلم أنه لا يزول اسم الإيمان والإسلام عن المؤمن إلا بالردّة التي هي أفحش أنواع الكفر، ويسمى عندئذ كافرًا، ولا يجوز مناداته بالمسلم ولا بالمؤمن كما فعل الإمام الشافعي فإنه قال لحفص الفرد بعدما ناقشه في مسألة الكلام: «لقد كفرت

---

(١) سورة النساء/ ءاية ٤٨.

بالله العظيم» ففي «مناقب الشافعي» ما نصّه[1]: «عن محمّد بن إسحاق بن خزيمة قال: سمعت الربيع يقول لما كلّم الشافعي رحمه الله حفصًا الفرد فقال حفص: القرءان مخلوق، قال الشافعي: كفرت بالله العظيم» اهـ.كذلك كفّر عدد من المجتهدين الحجاجَ بن يوسف الثقفي كما ذكر ذلك الحافظ العسقلاني في «تهذيب التهذيب»[2] ومن جملة الذين كفّروه سعيد بن جبير رضي الله عنه والشعبي، وكذلك كفّر القاضي المالكيُّ تقيَّ الدين محمدًا الباجربقي لزندقته وإلحاده، وكان والده من العلماء الأجلاء كما في القاموس مع شرحه «تاج العروس»[3].

وفي حديث البخاري «**من بدّل دينه فاقتلوه**»[4] دليل على جواز تكفير المعينّ لأن المرتد لمّا يقتل يكون ذلك تكفيرًا له بالتعين.

وكذلك لعن الكافر المعيّن جائز وإن لم يرد نصّ قرءاني أو حديثي صحيح بموته على الكفر، لما رواه ابن حبان «الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان»[5][6].

في صحيحه عن ابن عمر أنه سمع النبي ﷺ قال في صلاة الفجر حين رفع رأسه من الركوع: «**ربنا لك الحمد**» في الركعة الآخرة، ثم قال: «اللهم العن فلانًا وفلانًا»، دعا على أناس من المنافقين فأنزل الله: ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ**﴾[7] ففيه دليل على جواز لعن الكافر المعينّ الذي لم يعلم موته على الكفر، لأن هؤلاء أسلموا فيما بعد، فكان لعن الرسول لهم من غير أن يعلم عاقبتهم.

---

(١) مناقب الشافعي (١/ ٤٠٧)، للبيهقي.

(٢) ترجمة الحجاج تهذيب التهذيب (٢/ ٢١٠ - ٢١٣).

(٣) تاج العروس (٦/ ٢٨٣)، فصل الباء من باب القاف.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسِّير: باب لا يعذّب بعذاب الله، وفي كتاب استتابة المرتدين: باب حكم المرتد والمرتدة، وفي كتاب الاعتصام: باب قول الله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ﴾ [سورة الشورى/ ءاية ٣٨].

(٥) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٣/ ٢٢١).

(٦) فتح الجواد بشرح الإرشاد (٢/ ٢٩٨)، رقم الحديث [٣١٩].

(٧) سورة ءال عمران/ ءاية ١٢٨.

**٣١- يقول المجسم ابن أبي العز الحنفي[١]: «وقال بفناء النار جماعة من السلف والخلف». وقال[٢]: «السابع: أن الله يخرج منها من يشاء، كما ورد في الحديث، ثم يبقيها شيئا، ثم يفنيها، فإنه جعل لها أمدا تنتهي إليه..[٣]: «وهذا القول -أعني القول بفناء النار دون الجنة- منقول عن عمر، وابن مسعود، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وغيرهم». وقال تعالى حكاية عن الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾. فلا بد أن تسع رحمته هؤلاء المعذبين، فلو بقوا في العذاب لا إلى غاية لم تسعهم رحمته. وليس في حكمة أحكم الحاكمين ورحمة أرحم الراحمين أن يخلق خلقا يعذبهم أبد الآباد عذابا سرمدا لا نهاية له (هنا يقول عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط في التعليق في معرض الإنكار على ابن أبي العز: فقد بان بما ذكرنا أن القول بفناء النار لا يثبت عن أحد من الصحابة، وأن ما صح عنهم من عبارات لا تدل على المدعى، وهو القول بفناء النار)» اهـ.**

**ومثله قال المجسم ابن جبرين[٤].**

**الرد:** وابن أبي العز المجسم في قوله هذا الذي هو تكذيب للقرءان والحديث والاجماع وافتراء على صحابة رسول الله وسلف الأمة وخلفها وافق شيخه المباشر ابن قيم الجوزية وشيخ شيخه ابن تيمية الحراني إمام المجسمة والمتناقضين وردنا في هذه المسألة يكون ردا على ثلاثتهم: فنقول: ومن أكبر ضلالات ابن تيمية زعمه بأن النار تفنى وتبعه على ذلك تلميذه ابن القيم[٥]، يقول ابن تيمية ما نصه[٦]: «وفي المسند للطبراني ذكر فيه أنه ينبت فيها الجرجير، وحينئذ فيحتج على فنائها بالكتاب والسنة، وأقوال الصحابة، مع أن القائلين ببقائها ليس معهم

(١) المصدر السابق، (ص/ ٤٠٣).
(٢) المصدر السابق، (ص/ ٤٠٥-٤٠٦).
(٣) المصدر السابق.
(٤) انظر الكتاب (٣/ ٢٦٥)، ومن (ص/ ٢٧١ إلى ص/ ٢٨١).
(٥) حادي الأرواح (ص/ ٥٧٩ و٥٨٢).
(٦) الرد على من قال بفناء الجنة والنار (ص/ ٦٧).

كتاب ولا سنة ولا أقوال الصحابة» اهـ ثم زعم في نفس الكتاب أن قول من قال بدوام النار محتجًّا بالإجماع أن هذه المسئلة الإجماع فيها غير معلوم وأنه لا يقطع فيها بإجماع[1]، ثم زعم أن القول بفنائها فيه قولان معروفان عن السلف والخلف، وقد نقل هذا عن عمر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم[2].

الرد: قلت: فيما ادعاه رد لصريح القرءان والسنة الثابتة المتفق على صحتها ولإجماع الأمة، أما مخالفته للآيات القرءانية الدالة على بقاء النار واستمرار عذاب الكفار بلا انقطاع إلى ما لا نهاية له وهي كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ ﴾[6]، وغيرها من الآيات الكثيرة، وقد ذكر الحافظ المجتهد تقي الدين السبكي في رسالته: «الاعتبار ببقاء الجنة والنار» التي رد بها على ابن تيمية نحوًا من ستين ءاية، بل قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾[7] كافٍ في نسف ما ادَّعاه ابن تيمية وغيره.

أما رده للحديث الصحيح الثابت فيما رواه البخاري في الصحيح[8] عن أبي

---

(١) الرد على من قال بفناء الجنة والنار (ص/ ٧١ - ٧٢).

(٢) الرد على من قال بفناء الجنة والنار (ص/ ٥٢).

(٣) سورة الأحزاب/ ءاية ٦٤-٦٥.

(٤) سورة التوبة/ ءاية ٦٨.

(٥) سورة البقرة/ ءاية ١٦٧.

(٦) سورة النساء/ ءاية ١٦٨-١٦٩.

(٧) سورة الإسراء/ ءاية ٩٧.

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق: باب يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب.

هريرة قال: قال النبي ﷺ: «**يقال لأهل الجنة: يا أهل الجنة خلودٌ لا موتَ، ولأهل النار: يا أهلَ النار خلودٌ لا موت**»، وما رواه الشيخان(١) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا صار أهلُ الجنة إلى الجنة وأهلُ النار إلى النار جيءَ بالموت حتى يُجعل بين الجنة والنار، ثم يُذبحُ، ثم يُنادي منادٍ: يا أهل الجنة لا موتَ، يا أهل النار لا موتَ، فيزدادُ أهلُ الجنة فرحًا إلى فرحهم، ويزداد أهلُ النار حُزنًا إلى حزنهم**».

قال الحافظ في الفتح ما نصه(٢): «قال القرطبي: وفي هذه الأحاديث التصريح بأن خلود أهل النار فيها لا إلى غاية أمد، وإقامتهم فيها على الدوام بلا موت، ولا حياة نافعة ولا راحة، كما قال تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾(٤)، فمن زعم أنهم يخرجون منها وأنها تبقى خالية أو أنها تفنى وتزول فهو خارج عن مقتضى ما جاء به الرسول وأجمع عليه أهل السنة» اهـ.

أما من قال: إنه يزول عذابها ويخرج أهلها منها واحتجّ بما أخرجه عبد بن حميد في تفسيره عن بعض الصحابة من رواية الحسن، عن عمر أنه قال: «لو لَبِثَ أهلُ النارِ في النارِ عَدَدَ رَمْلِ عالِجٍ لكانَ لهم يومٌ يخرجونَ فيه»، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في الفتح(٥): «وهو منقطع» اهـ ثم قال: «قلت: وهذا الأثر عن عمر لو ثبت حُمل على الموحدين، وقد مال بعض المتأخرين إلى هذا القول السابع ونصره بعدة أوجه من جهة النظر، وهو مذهب رديء مردود على قائله، وقد أطنب السبكي الكبير في بيان وهنه فأجاد» اهـ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق: باب صفة الجنة والنار، ومسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها: باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء.

(٢) فتح الباري (١١/ ٤٢٢).

(٣) سورة فاطر/ ءاية ٣٦.

(٤) سورة السجدة/ ءاية ٢٠.

(٥) فتح الباري (١١/ ٤٢٢).

وهذان الحديثان صريحان في إثبات أن أهل النار باقون في النار بقاء لا انقطاع له، فقد رد ابن تيمية هذين الحديثين برأي منه ولم يذكر دليلًا له إلا أثرًا عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه منقطعًا غير صحيح الإسناد كما قدمنا، فكيف ردَّ صريح القرءان والسنة وَرَكَنَ إلى هذا الأثر الذي لا ثبوت له ليؤيد هواه المخالف لدين الله تعالى، فقد ردَّ صريح القرءان والسنة بقياس باطل توهمه قياسًا معقولا ذكره في بعض ما كتب في هذه المسئلة التي شذ فيها عن الأمة لأنه لا يثبت عن أحد من الأئمة القول بفناء النار، ثم هو نفسه ناقض نفسه لأنه ذكر في كتابه المنهاج أن الجنة والنار باقيتان لا تفنيان بإجماع المسلمين على ذلك ولم يخالف في ذلك إلا جهم بن صفوان فكفَّره المسلمون، ثم وقع في شطر ما وقع فيه جهم فيكون بنصه هذا كفَّر نفسه.

ومما يدل أيضًا على ما قدمناه من الحديث الصحيح ما رواه مسلم في صحيحه[1] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**من يدخل الجنة يَنعَمُ لا يَبْأَسُ، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه**»، قال المناوي عقبه ما نصه[2]: «وهذا صريح في أن الجنة أبدية لا تفنى والنار مثلها، وزعم جهم بن صفوان أنهما فانيتان لأنهما حادثتان، ولم يتابعه أحد من الإسلاميين بل كفروه به، وذهب بعضهم إلى إفناء النار دون الجنة وأطال ابن القيم كشيخه ابن تيمية في الانتصار له في عدة كراريس، وقد صار بذلك أقرب إلى الكفر منه إلى الإيمان لمخالفته نص القرءان، وختم بذلك كتابه الذي في وصف الجنان» اهـ.

أما الإجماع فهو منعقد على بقاء النار وقد ذكره الحافظ المجتهد تقي الدين السبكي في رسالته «الاعتبار ببقاء الجنة والنار» فقال ما نصه: «فإن اعتقاد المسلمين أن الجنة والنار لا تفنيان، وقد نقل أبو محمد بن حزم الإجماع على ذلك وأن من خالفه كافر بالإجماع، ولا شك في ذلك، فإنه معلوم من الدين بالضرورة،

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها: باب في دوام نعيم أهل الجنة.
(٢) فيض القدير (٦/ ٢٤١).

وتواردت الأدلة عليه» اهـ.

وقال أيضًا ما نصه: «أجمع المسلمون على اعتقاد ذلك وتلقوه خلفًا عن سلف عن نبيهم ﷺ، وهو مركوز في فطرة المسلمين معلوم من الدين بالضرورة، بل وسائر الملل غير المسلمين يعتقدون ذلك، من رد ذلك فهو كافر» اهـ.

وقال التفتازاني في شرحه على العقيدة النسفية ما نصه[1]: «وذهب الجهمية إلى أنهما يفنيان ويفنى أهلهما، وهو قول باطل مخالف للكتاب والسنة والإجماع، ليس عليه شبهة فضلًا عن حجة»، ونقل أيضًا الإجماع القرطبي في كتابه التذكرة[2].

فقد بان وظهر رد ابن تيمية للنصوص، وقد قال نجم الدين النسفي في عقيدته المشهورة: «وردُّ النصوص كفر»، وقال الطحاوي: «ومن ردَّ حكم الكتاب كان من الكافرين»، فليشفق الذين تابعوه على أنفسهم.

**٣٢- يقول المجسم ابن أبي العز الحنفي[3]: واختلف في العبادات البدنية، كالصوم والصلاة وقراءة القرءان والذكر: فذهب أبو حنيفة وأحمد وجمهور السلف إلى وصولها، والمشهور من مذهب الشافعي ومالك عدم وصولها.**

**ومثله يقول المجسم ابن جبرين[4].**

**الرد:** ابن أبي العز يحاول تزييف الحقيقة ليصرف أذهان الناس عن الحق فيوهمهم مفتريا على مالك والشافعي بأنهما قالا بعدم وصول ثواب قراءة القرءان وغير ذلك كالذكر وقوله هذا يفرح مجسمة هذا العصر ونرد عليهم بما قاله شارح الطحاوية الامام الحافظ المجتهد المجدد الشيخ عبد الله الهرري في كتابه «المقالات السنية في كشف ضلالات أحمد بن تيمية» قال رحمه الله[5]:

---

(١) شرح التفتازاني (ص/ ١٤٠).

(٢) انظر الكتاب (٥/ ٥٢٧).

(٣) المصدر السابق، (ص/ ٤٢٥).

(٤) انظر الكتاب (٣/ ٣٨٥).

(٥) المقالات السنية في كشف ضلالات أحمد بن تيمية (١/ ٤١٦)، شركة دار المشاريع، الطبعة التاسعة.

## مسئلة إهداء القراءة لأموات المسلمين:

من مواطن تشويشهم على المسلمين مسئلة إهداء القراءة للأموات ويكفي في إثبات ذلك الاستدلال بحديث البخاري[١] أنه عليه السلام قال لعائشة: «**ذاكِ لو كان وأنا حيّ فأستغفر لكِ وأدعو لكِ**»، ومحل الشاهد في هذا الحديث قوله: «**ودعوت لك**» فإن هذه الكلمة تشمل الدعاء بأنواعه، فدخل في ذلك دعاء الرجل بعد قراءة شيء من القرءان لإيصال الثواب للميت بنحو قول: اللهم أوصل ثواب ما قرأت إلى فلان؛ وما شهر من خلاف الشافعي أن القراءة لا تصل إلى الميت، فهو محمول على القراءة التي تكون بلا دعاء بالإيصال وبغير ما إذا كانت القراءة على القبر، فإن الشافعي أقرّ ذلك.

قال المحدّث مرتضى الزبيدي في «شرح الإحياء» ما نصه[٢]: «قال السيوطي في شرح الصدور: وأما قراءة القرءان على القبر فجزم بمشروعيتها أصحابنا وغيرهم، قال الزعفراني: سألت الشافعي عن القراءة عند القبر فقال لا بأس به، وقال النووي في شرح المهذب: يستحب لزائر القبور أن يقرأ ما تيسّر من القرءان ويدعو لهم عقبها نص عليه الشافعي واتفق عليه الأصحاب، زاد في موضع ءاخر: وإن ختموا القرءان على القبر كان أفضل. انتهى.

وقد سئل الشمس محمد بن علي بن محمد بن عيسى العسقلاني الكناني السمنودي الشافعي المعروف بابن القطان المتوفى في سنة ٨١٣ وهو من مشايخ الحافظ ابن حجر عن مسائل فأجاب، ومنها: وهل يصل ثواب القراءة للميت أم لا؟ فأجاب عنها في رسالة سمّاها القول بالإحسان العميم في انتفاع الميت

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المرضى: باب ما رخص للمريض أن يقول إني وجع... إلخ.

(٢) انظر الكتاب (١٠/ ٣٦٩ - ٣٧١).

بالقرءان العظيم، وأنا أذكر منها هنا ما يليق بالمقام مع الاختصار، قال رحمه الله تعالى: اختلف العلماء في ثواب القراءة للميت فذهب الأكثرون إلى المنع وهو المشهور من مذهب الشافعي ومالك ونقل عن جماعة من الحنفية، وقال كثيرون منهم يصل وبه قال الإمام أحمد بعد أن قال القراءة على القبر بدعة، بل نقل عنه أنه يصل إلى الميت كل شىء من صدقة وصلاة وحج وصوم واعتكاف وقراءة وذكر وغير ذلك، ونقل ذلك عن جماعة من السلف، ونقل عن الشافعي انتفاع الميت بالقراءة على قبره، واختاره شيخنا شهاب الدين بن عقيل، وتواتر أن الشافعي زار الليث بن سعد وأثنى عليه خيرًا وقرأ عنده ختمة وقال أرجو أن تدوم فكان الأمر كذلك، وقد أفتى القاضي حسين بأن الاستئجار للقراءة على رأس القبر جائز كالاستئجار للأذان وتعليم القرءان، قال النووي في زيادات الروضة: ظاهر كلامه صحة الإجارة مطلقًا وهو المختار فإن موضع القراءة موضع بركة وتنزل الرحمة وهذا مقصود ينفع الميت. وقال الرافعي وتبعه النووي: عود المنفعة إلى المستأجر شرط في الإجارة فيجب عود المنفعة في هذه الإجارة إلى المستأجر أو ميته، لكن المستأجر لا ينتفع بأن يقرأ الغير له، ومشهور أن الميت لا يلحقه ثواب القراءة المجرّدة فالوجه تنزيل الاستئجار على صورة انتفاع الميت بالقراءة أقرب إجابة وأكثر بركة، وقال في كتاب الوصية: الذي يعتاد من قراءة القرءان على رأس القبر قد ذكرنا في باب الإجارة طريقين في عود فائدتها إلى الميت، وعن القاضي أبي الطيب طريق ثالث وهو أن الميت كالحي الحاضر فيرجى له الرحمة ووصول البركة إذا أهدى الثواب إلى القارئ، وعبارة الروضة إذا أوصل الثواب إلى القارئ. انتهى.

وعن القاضي أبي الطيب الثواب للقارئ والميت كالحاضر فترجى له الرحمة والبركة، وقال عبد الكريم الشالوسي: القارئ إن نوى بقراءته أن يكون ثوابها للميت لم يلحقه إذ جعل ذلك قبل حصوله وتلاوته عبادة البدن فلا تقع عن الغير، وإن قرأ ثم جعل ما حصل من الثواب للميت ينفعه إذ قد جعل من الأجر

لغيره والميت يؤجر بدعاء الغير، وقال القرطبي: وقد استدل بعض علمائنا على قراءة القرءان على القبر بحديث العسيب الرطب الذي شقه النبي ﷺ باثنين ثم غرس على قبر نصفًا وعلى قبر نصفًا وقال: «**لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**» رواه الشيخان، قال: ويستفاد من هذا غرسُ الأشجار وقراءة القرءان على القبور، وإذا خفف عنهم بالأشجار فكيف بقراءة الرجل المؤمن القرءان، وقال النووي: استحب العلماء قراءة القرءان عند القبر واستأنسوا لذلك بحديث الجريدتين وقالوا: إذا وصل النفع إلى الميت بتسبيحهما حال رطوبتهما فانتفاع الميت بقراءة القرءان عند قبره أولى، فإن قراءة القرءان من إنسان أعظم وأنفع من التسبيح من عود، وقد نفع القرءان بعض من حصل له ضرر في حال الحياة فالميت كذلك، قال ابن الرفعة: الذي دلّ عليه الخبر بالاستنباط أن بعض القرءان إذا قُصد به نفع الميت وتخفيف ما هو فيه نفعه، إذ ثبت أن الفاتحة لما قصد بها القارئ نفع الملدوغ نفعته، وأقرّ النبي ﷺ ذلك بقوله: «وما يدريك أنها رقية»، وإذا نفعت الحي بالقصد كان نفع الميت بها أولى لأن الميت يقع عنه من العبادات بغير إذنه ما لا يقع من الحي، نعم يبقى النظر في أن ما عدا الفاتحة من القرءان الكريم إذا قرئ وقصد به ذلك هل يلتحق به. انتهى. نعم يلتحق به، فروى ابن السني من حديث ابن مسعود أنه قرأ في أذن مبتلى فأفاق فقال له رسول الله ﷺ: «**ما قرأت في أذنه**»، قال: قرأت: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾[1] حتى فرغت من ءاخر السورة، فقال ﷺ: «**لو أن رجلًا قرأ بها على جبل لزال**»، ومثل ذلك ما جاء به في القراءة بالمعوّذتين والإخلاص وغير ذلك، وفي الرقية بالفاتحة دليل على صحة الإجارة والجعالة لينتفع بها الحي فكذلك الميت.

ومما يشهد لنفع الميت بقراءة غيره حديث معقل بن يسار: «**اقرءوا على موتاكم**» رواه أبو داود، وحديث: «**اقرءوا يس على موتاكم**» رواه النسائي وابن

(١) سورة المؤمنون/ ءاية ١١٥.

ماجه وابن حبان، وحديث: «**يس ثلث**[1] **القرءان لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له، فاقرؤوها على موتاكم**». رواه أحمد، وأوّل جماعة من التابعين القراءة للميت بالمحتضر والتأويل خلاف الظاهر، ثم يقال عليه إذا انتفع المحتضر بقراءة يس وليس من سعيه فالميت كذلك والميت كالحي الحاضر يسمع كالحي الحاضر كما ثبت في الحديث. انتهى ما نقلته من كلام ابن القطان.

وروي عن علي بن موسى الحداد قال: كنت مع الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى في جنازة ومحمد بن قدامة الجوهري الأنصاري أبو جعفر البغدادي - فيه لين، وقال أبو داود ضعيف روى له البخاري في خبر القراءة خلف الإمام مات سنة سبع وثلاثين ومائتين - معنا فلما دفن الميت جاء رجل ضرير يقرأ عند القبر فقال له أحمد: يا هذا إن القراءة عند القبر بدعة، فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد: يا أبا عبد الله ما تقول في مبشر بن إسماعيل الحلبي - أبي إسماعيل الكلبي مولاهم صدوق مات سنة مائتين بحلب روى له الجماعة - فقال: ثقة قال: هل كتبت عنه شيئًا، قال: نعم، قال: أخبرني مبشر بن إسماعيل عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج - نزيل حلب مقبول روى له الترمذي عن أبيه العلاء بن اللجلاج الشامي، يقال إنه أخو خالد ثقة، روى له الترمذي ولأبيه اللجلاج صحبة عاش مائة وعشرين، خمسين في الجاهلية وسبعين في الإسلام، قال أبو الحسن بن إسماعيل اللجلاج والد العلاء غطفاني، واللجلاج والد خالد عامري - أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه فاتحة البقرة وخاتمتها وقال: سمعت ابن عمر رضي الله عنه يوصي بذلك، فقال له أحمد: فارجع إلى الرجل فقل له يقرأ، وهكذا أورده القرطبي في التذكرة. وعند الطبراني من طريق عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج قال: قال لي أبي: يا بني إذا وضعتني في لحدي فقل: بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله، ثم سُنّ عليّ التراب سنًّا، ثم اقرأ عند رأسي بفاتحة البقرة وخاتمتها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول

(١) كذا في الإتحاف، وفي المسند (٥/ ٢٦): «قلب».

ذلك، هكذا هو عند الطبراني وكأنه سقط منه: فإني سمعت أبي يقول سمعت رسول الله ﷺ، فإن الصحبة للجلاج لا للعلاء، وأما قول ابن عمر فقد روي مرفوعًا رواه البيهقي في الشعب عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا مات أحدكم فلا تحبسوه وأسرعوا به إلى قبره وليقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وعند رجليه بخاتمة سورة البقرة**»، ورواه الطبراني كذلك إلا أنه قال: «**عند رأسه بفاتحة الكتاب**» والباقي سواء.

وقال أحمد بن محمد المروذي[1]: سمعت أحمد بن حنبل رحمه الله يقول: إذا دخلتم المقابر فاقرءوا بفاتحة الكتاب والمعوّذتين وقل هو الله أحد واجعلوا ثواب ذلك لأهل المقابر فإنه يصل إليهم، كذا أورده عبد الحق الأزدي في كتاب العاقبة عن أبي بكر أحمد ابن محمد المروذي على الصواب، وروى النسائي والرافعي في تاريخه وأبو محمد السمرقندي في فضائل سورة الإخلاص من حديث علي: من مرّ على المقابر وقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[2] إحدى عشرة مرة ثم وهب أجره للأموات أعطي من الأجر عدد الأموات، قال الشمس بن القطان ولقد حكى لي من أثق به من أهل الخير أنه مر بقبور فقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وأهدى ثوابها لهم، فرأى واحدًا منهم في المنام وأخبره بأن الله تعالى غفر له ولسائر القبور فخصه ثواب رأس من سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وتقسم الباقون باقيها ببركة سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

وفي العاقبة لعبد الحق قال: حدثني أبو الوليد إسمعيل بن أحمد عرف بابن أفريد وكان هو وأبوه صالحين معروفين قال لي أبو الوليد: مات أبي رحمة الله عليه فحدثني بعض إخوانه ممن يوثق بحديثه نسيت أنا اسمه قال لي: زرت قبر أبيك فقرأت عليه حزبًا من القرءان ثم قلت: يا فلان هذا قد أهديته لك فماذا لي، قال:

---

(١) كنيته أبو بكر، والمروذي نسبة إلى مَرْوَ الرُّوذ مدينة بخراسان بينها وبين مَرْوَ الشاهجان خمس مراحل.

(٢) سورة الإخلاص/ ءاية ١.

فهبّت علي نفحة مسكٍ غشيتني وأقامت معي ساعة ثم انصرفت وهي معي فما فارقتني إلا وقد مشيت نحو نصف الطريق» اهـ.

ثم قال الزبيدي[1]: «وقال الحافظ ابن رجب: روى جعفر الخلدي قال: حدثنا العباس بن يعقوب بن صالح الانباري سمعت أبي يقول: رأى بعض الصالحين أباه في النوم فقال له: يا بني لم قطعتم هديتكم عنا، قال: يا أبت وهل تعرف الأموات هدية الأحياء، قال: يا بني لولا الأحياء لهلكت الأموات.

وروى ابن النجار في تاريخه عن مالك بن دينار قال: دخلت المقبرة ليلة الجمعة فإذا أنا بنور مشرق فيها فقلت: لا إلـٰه إلا الله نرى أن الله عز وجل قد غفر لأهل المقابر، فإذا أنا بهاتف يهتف من البعد وهو يقول: يا مالك بن دينار هذه هدية المؤمنين إلى إخوانهم من أهل المقابر، قلت: بالذي أنطقك إلا أخبرتني ما هو، قال: رجل من المؤمنين قام في هذه الليلة فأسبغ الوضوء وصلى ركعتين وقرأ فيهما فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وقال: اللهم إني قد وهبت ثوابها لأهل المقابر من المؤمنين، فأدخل الله علينا الضياء والنور والفسحة والسرور في المشرق والمغرب؛ قال مالك فلم أزل أقرؤها في كل ليلة جمعة، فرأيت النبي ﷺ في منامي يقول لي: يا مالك قد غفر الله لك بعدد النور الذي أهديته إلى أمّتي ولك ثواب ذلك، ثم قال لي: وبنى الله لك بيتًا في الجنة في قصر يقال له المُنِيف، قلت: وما المنيف؟ قال: المطل على أهل الجنة.

وقال السيوطي في شرح الصدور: فصل في قراءة القرءان للميت أو على القبر: اختلف في وصول ثواب القراءة للميت فجمهور السلف والأئمة الثلاثة على الوصول، وخالف في ذلك إمامنا الشافعي رضي الله عنه مستدلا بقوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[2] وأجاب الأوّلون عن الآية بوجوه: أحدها:

---

(١) إتحاف السادة المتقين (١٠/ ٣٧٢).

(٢) سورة النجم/ ءاية ٣٩.

أنها منسوخة بقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ ﴾[1] الآية أدخل الأبناء الجنة بصلاح الآباء، والثاني: أنها خاصة بقوم إبراهيم وموسى عليهما السلام، فأما هذه الأمة فلها ما سعت وما سعي لها، قاله عكرمة، الثالث: أن المراد بالإنسان هنا الكافر، فأما المؤمن فله ما سعى وما سعي له قاله الربيع بن أنس، الرابع: ليس للإنسان إلا ما سعى من طريق العدل، فأما من باب الفضل فجائز أن يزيده الله ما شاء قاله الحسين بن الفضل، الخامس: أن اللام في للإنسان بمعنى على أي ليس على الإنسان إلا ما سعى اهـ كلام السيوطي. قلت: وقد أورد ابن القطان في الرسالة المذكورة هذه الأجوبة وقال: القول بالنسخ روي عن ابن عباس، قال: فجعل الولد والطفل في ميزان أبيه ويُشفع الله تعالى الآباء في الأبناء والأبناء في الآباء بدليل قوله تعالى: ﴿ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ﴾[2] وذكر القول الثالث، ونقل عن القرطبي أن كثيرًا من الأحاديث تدل على هذا القول، ونقل عنه أيضًا أنه قال: ويحتمل أن يكون قوله: ﴿ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[3] خاصة بالسيئة لما في الحديث: «وإن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها له حسنة».

قال ابن القطان: وكنت بحثت مع الشيخ سراج الدين البلقيني بالخشابية بجامع عمرو بن العاص هل تُضَعَّفُ هذه الحسنة أيضًا قلت: وينبغي أن تضعف لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[4] فقال: نعم وتضعف من جنس ما هَم به.

ثم قال: ومن المفسرين من قال المراد بالإنسان أبو جهل أو عقبة بن أبي معيط أو الوليد بن المغيرة، قال: ومنهم من قال الإنسان بسعيه في الخير وحسن صحبته وعشرته اكتسب الأصحاب وأسدى لهم الخير وتردد إليهم فصار ثوابه لهم بعد

---

(١) سورة الطور/ ءاية ٢١.

(٢) سورة النساء/ ءاية ١١.

(٣) سورة النجم/ ءاية ٣٩.

(٤) سورة النساء/ ءاية ٤٠.

موته من سعيه، وهذا حسن، ومنهم من قال: الإنسان في الآية الحي دون الميت ومنهم من قال: لم ينف في الآية انتفاع الرجل بسعي غيره له وإنما نفى عمله بسعي غيره وبين الأمرين فرق» اهـ.

ثم قال الزبيدي[1]: «ثم قال السيوطي: واستدلوا على الوصول بالقياس على الدعاء والصدقة والصوم والحج والعتق، فإنه لا فرق في نقل الثواب بين أن يكون عن حج أو صدقة أو وقف أو دعاء أو قراءة، وبالأحاديث الواردة فيه، وهي وإن كانت ضعيفة فمجموعها يدل على أن لذلك أصلًا وبأن المسلمين ما زالوا في كل عصر يجتمعون ويقرؤون لموتاهم من غير نكير فكان ذلك إجماعًا، ذكر ذلك كله الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي في جزء ألّفه في المسئلة، قال القرطبي: وقد كان الشيخ العز بن عبد السلام يفتي بأنه لا يصل إلى الميت ثواب ما يقرأ، فلما توفي رءاه بعض أصحابه فقال له: إنك كنت تقول إنه لا يصل إلى الميت ثواب ما يقرأ أو يُهدى إليه فكيف الأمر؟ قال له: كنت أقول ذلك في دار الدنيا والآن قد رجعت عنه لما رأيت من كرم الله في ذلك وأنه يصل إليه ذلك، ثم قال السيوطي: ومن الوارد في قراءة القرءان على القبور ما تقدم من حديث ابن عمر والعلاء بن اللجلاج مرفوعًا كلاهما. وأخرج الخلال في الجامع عن الشعبي قال: كانت الأنصار إذا مات لهم ميت اختلفوا إلى قبره يقرؤون له القرءان، وأخرج أبو القاسم سعد ابن علي الزنجاني في فوائده عن أبي هريرة رفعه: من دخل المقابر ثم قرأ بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد وألهاكم التكاثر ثم قال: إني جعلت ثواب ما قرأت من كلامك لأهل المقابر المؤمنين والمؤمنات كانوا شفعاء له إلى الله تعالى. وأخرج القاضي أبو بكر بن عبد الباقي الأنصاري في مشيخته عن سلمة بن عبيد قال: قال حماد المكي: خرجت ليلة إلى مقابر مكة فوضعت رأسي على قبر فنمت فرأيت أهل المقابر حلقة حلقة فقلت: قامت القيامة، قالوا: لا، ولكن رجل من إخواننا قرأ قل هو الله أحد وجعل ثوابها لنا فنحن نقتسمه منذ

---

(١) إتحاف السادة المتقين (١٠/ ٣٧٣).

سنة. وأخرج عبد العزيز صاحب الخلال من حديث أنس: من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف الله عنهم وكان له بعدد من دفن فيها حسنات. وقال القرطبي في حديث: «**اقرءوا على موتاكم يس**» يحتمل أن تكون هذه القراءة عند الميت في حال موته ويحتمل أن تكون عند قبره، قال السيوطي وبالأول قال الجمهور وبالثاني قال ابن عبد الواحد المقدسي في جزئه الذي تقدم ذكره وبالتعميم في الحالين قال المحب الطبري من متأخري أصحابنا، وقال القرطبي: وقيل إن ثواب القراءة للقارئ وللميت ثواب الاستماع ولذلك تلحقه الرحمة، ولا يبعد في كرم الله أن يلحقه ثواب القراءة والاستماع معًا ويلحقه ثواب ما يهدى إليه من القرءان وإن لم يسمع كالصدقة والدعاء. اهـ.

تنبيه: سئل ابن القطان: هل يكفي ثواب أو يتعين مثل ثواب؟ فأجاب في الرسالة المذكورة ما لفظه: ولا يشترط في وصول الثواب لفظ هذا ولا جعل ثواب، بل تكفي النية قبل القراءة وبعدها خلافًا لما نقلناه عن عبد الكريم الشالوسي في القبلية، نعم لو فعله لنفسه ثم نوى جعله للغير لم ينفع الغير، ويكفي للقارئ ذكر ثواب ولا يتعين مثل ثواب.

وقال النووي: المختار أن يدعو بالجعل فيقول: اللهم اجعل ثوابها واقعًا لفلان، وقال في الأذكار: الاختيار أن يقول القارئ بعد فراغه: اللهم أوصل ثواب ما قرأته إلى فلان، وليس ثواب على تقدير المثل بل لو قال: مثل ثواب تكون مثل زائدة كما هو أحد الأقوال في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1]. نعم إن قيل للقارئ ثواب قراءته وللمقروء له مثل ثوابها فيكون ثوابها على تقدير وهو خلاف ظاهر مختار النووي وخلاف الأئمة المهديين، فإنهم حين يهدون يقولون: اجعل ثواب، والأصل عدم التقدير، وينقدح في قوله: اجعل ثواب احتمالان: أن يكون للمهدى له وللقارئ مثلها، الثاني: أن يكون للمهدي وهو القارئ والمهدى له مثلها». انتهى كلام مرتضى الزبيدي.

---

(١) سورة الشورى/ ءاية ١١.

وقال الحافظ الزبيدي في موضع ءاخر[1] ما نصه: «فصل: اتفق أهل السّنة على أن الأموات ينتفعون من سعي الأحياء بأمرين أحدهما: ما تسبب إليه الميت في حياته، والثاني: دعاء المسلمين واستغفارهم له والصّدقة والحج على نزاع فيما يصل من ثواب الحج، فعن محمد بن الحسن انه إنّما يصل للميت ثواب النفقة والحج للحاج، وعند عامة أصحابنا ثواب الحج للمحجوج عنه وهو الصّحيح، واختلف في العبادات البدنية كالصّوم والصّلاة وقراءة القرءان والذكر فذهب أبو حنيفة وأحمد وجمهور السلف إلى وصولها، والمشهور من مذهب الشافعي ومالك عدم وصولها، وذهب بعض أهل البدع من أهل الكلام إلى عدم وصول شيء البتة لا الدعاء ولا غيره، وقوله مردود بالكتاب والسّنة، واستدلاله بقوله تعالى ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[2] مدفوع بأنه لم ينف انتفاع الرجل بسعي غيره وإنّما نفى ملك غير سعيه، وأمّا سعي غيره فهو ملك لساعيه فإن شاء أن يبذله لغيره وإن شاء أن يبقيه لنفسه، وهو سبحانه وتعالى لم يقل انه لا ينتفع إلا بما سعى، ثم قراءة القرءان وإهداؤه له تطوّعًا بغير أجرة يصل إليه، أما لو أوصى بأن يعطى شيء من ماله لمن يقرأ القرءان على قبره فالوصية باطلة لأنه في معنى الأجرة كذا في الاختيار، والعمل الآن على خلافه فالأولى أن يوصي بنية التعلم والتعليم ليكون معونة لأهل القرءان فيكون من جنس الصّدقة عنه فيجوز. ثم القراءة عند القبور مكروهة عند أبي حنيفة ومالك وأحمد في رواية لأنه لم ترد به السنة، وقال محمد بن الحسن وأحمد في رواية لا تكره لما روي عن ابن عمر أنه أوصى أن يقرأ على قبره وقت الدّفن بفواتح سورة البقرة وخواتمها» اهـ.

ولنختم هذا البحث بما قاله الشطي الحنبلي في تعليقه على غاية المنتهى ونصه[3]: «قال في الفروع وتصحيحه: لا تكره القراءة على القبر وفي المقبرة، نص

---

(1) انظر إتحاف السادة المتقين (٢/ ٢٨٤).

(2) سورة النجم/ ءاية ٣٩.

(3) انظر الكتاب (ص/ ٢٦٠).

عليه، وهو المذهب، فقيل تباح، وقيل تستحب، وكذا في الإقناع».

**٣٣- يقول المجسم ابن أبي العز الحنفي[١]: «وفي صحيح مسلم عن جابر، قال: قيل لعائشة رضي الله عنها: إن أناسا يتناولون أصحاب رسول الله ﷺ حتى أبا بكر وعمر! فقالت: وما تعجبون من هذا! انقطع عنهم العمل، فأحب الله أن لا يقطع عنهم الأجر» (هنا قال عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط في التعليق: لم نجده في (مسلم) بعد البحث، ولا في المصادر الأخرى التي بين أيدينا)» اهـ.**

**ومثله قال المجسم ابن جبرين[٢].**

الرد: ويكفي في الرد على ابن أبي العز أنه غير مؤتمن في النقل ولا يوثق به ولا بما يرويه ولا يعتمد على قوله ولا يعول على كلامه أن أتباعه ومنهم المعلقان على كتابه عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرناؤوط كذبوه في نقله هذا وأنهم بحثوا عن هذا النقل الذي نسبه لصحيح مسلم وللسيدة عائشة رضي الله عنها فلم يجدوا ما ادعاه.

**٣٤-يقول المجسم ابن أبي العز الحنفي[٣]: «وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَغَيْرِهِ، مِنْ حَدِيثِ الْأَشْعَثِ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ: مَنْ رَأَى مِنْكُمْ رُؤْيَا؟ فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا رَأَيْتُ مِيزَانًا أُنْزِلَ مِنَ السَّمَاءِ، فَوُزِنْتَ أَنْتَ وَأَبُو بَكْرٍ، فَرَجَحْتَ أَنْتَ بِأَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ وُزِنَ عُمَرُ وَأَبُو بَكْرٍ، فَرَجَحَ أَبُو بَكْرٍ، وَوُزِنَ عُمَرُ وَعُثْمَانُ، فَرَجَحَ عُمَرُ، ثُمَّ رُفِعَ الْمِيزَانُ، فَرَأَيْتُ الْكَرَاهَةَ فِي وَجْهِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «خِلَافَةُ نُبُوَّةٍ، ثُمَّ يُؤْتِي اللهُ الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ.**

**فَبَيَّنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، أَنَّ وِلَايَةَ هَؤُلَاءِ خِلَافَةُ نُبُوَّةٍ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ مُلْكٌ.**

**وَلَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لِأَنَّهُ لَمْ يَجْتَمِعِ النَّاسُ فِي زَمَانِهِ، بَلْ كَانُوا مُخْتَلِفِينَ، لَمْ يَنْتَظِمْ فِيهِ خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ وَلَا الْمُلْكُ» اهـ.**

---

(١) المصدر السابق، (ص/ ٤٤٠).

(٢) انظر الكتاب (٣/ ٤٧١).

(٣) المصدر السابق، (ص/ ٤٤٥).

ومثله قال المجسم ابن جبرين[1].

الرد: وقول ابن أبي العز هذا دليل على أنه متأثر بشيخ البدعة الحراني الذي طعن في سيدنا علي رضي الله عنه وذمه بعبارات قبيحة شنيعة تدل على بغضه وكرهه للامام العادل علي رضي الله عنه والمجمع على إمامته ودخوله في الخلافة الراشدة وابن أبي العز بانكاره لإمامة علي نادى على نفسه وعلى أسياده بالجهل والمكابرة وكذب الاجماع وأنكر الواقع.

قال المؤرخ ابن العماد الحنبلي في كتابه شذرات الذهب[2] عند ذكر وقعة صفّين ما نصّه: «والإِجماع منعقد على إمامته -أي عليّ- وبغي الطائفة الأخرى ولا يجوز تكفيرهم كسائر البغاة، واستدلّ أهل السنّة والجماعة على ترجيح جانب عليّ بدلائل أظهرها وأثبتها قوله ﷺ لعمّار بن ياسر: «**تقتلك الفئة الباغية**» وهو حديث ثابت. ولما بلغ معاوية ذلك قال: إنما قتله من أخرجه، فقال عليٌّ: إذًا قتل رسول الله ﷺ حمزة لأنه أخرجه[3]، وهو إلزام لا جواب عنه وحجة لا اعتراض عليها، وكان شبهة معاوية ومن معه الطلب بدم عثمان، وكان الواجب عليهم شرعًا الدخول في البيعة ثمَّ الطلب من وجوهه الشرعية» اهـ.

وهذا من معاوية بحسب الظاهر لا بحسب الباطن، أمّا من ناحية جماعته فقد يكونون على ظن أنهم على حق. وإنما قلنا ذلك لما سبق من أن عليًا قال: «إنّما يريدون الملك».

ويؤيد قول علي رضي الله عنه ما رواه أبو داود الطيالسي في مسنده[4].

---

(١) انظر الكتاب (٤/ ١).

(٢) شذرات الذهب (١/ ٤٥).

(٣) عن عبد الله بن الحرث أن عمرو بن العاص قال لمعاوية: «يا أمير المؤمنين» أما سمعت رسول الله ﷺ يقول حين كان يبني المسجد لعمّار: «إنك لحريص على الجهاد، وإنك لمن أهل الجنّة، ولتقتلنك الفئة الباغية» قال: بلى، قال: فلم قتلتموه، قال: والله ما تزال تدحض في بولك، أنحن قتلناه! إنما قتله الذي جاء به» اهـ.انظر جمع الفوائد وأعذب الموارد (٢/ ٥٣٩).

(٤) مسند الطيالسي (ص/ ١١٦ - ١١٧).

قال القرطبي[1]: «والإجماع منعقد على أن طائفة الإمام طائفة عدل والأخرى طائفة بغي، ومعلوم أنَّ عليًّا رضي الله عنه كان الإمام» اهـ.

وأخرج البزار[2] بسند جيد عن زيد بن وهب قال: «بينما نحن حول حذيفة إذ قال: كيف أنتم وقد خرج أهل بيت نبيّكم فرقتين يضرب بعضكم وجوه بعض بالسيف، فقلنا: يا أبا عبد الله وإن ذلك لكائن، فقال بعض أصحابه: يا أبا عبد الله فكيف نصنع إن أدركنا ذلك الزمان، قال: انظروا الفرقة التي تدعو إلى أمر عليّ رضي الله عنه فالزموها فإنها على الهدى» اهـ. ومعنى هذا أن الأخرى على الباطل.

## مراد معاوية من القتال:

ثم ليعلم أن معاوية كان قصده من هذا القتال الدنيا، فلقد كان به الطمع في الملك وفرط الغرام في الرئاسة، فلما وصل إلى الخلافة وصار ملك مصر وغيرها تحت يده كفّ عن المطالبة بدم عثمان وهو ما اتخذه حجة للخروج على عليّ وقتاله وأكثر المتهمين من أهل مصر والكوفة والبصرة كلهم تحت حكمه وغلبته كما ذكر القرطبي في التذكرة[3].

روى أبو داود في سننه[4] عن سَفينة قال: قال رسول الله ﷺ: «**خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله المُلْك**» أو: «**ملكه مَن يشاء**».

قال سعيد: قال لي سفينة: «أمسك عليك أبا بكر سنتين، وعمر عشرًا، وعثمان اثنتي عشرة، وعليًّا كذا، قال سعيد: قلت لسفينة: إن هؤلاء يزعمون أن عليًّا عليه السلام لم يكن بخليفة، قال: كذبت أَسْتَاه بني الزرقاء يعني مروان» اهـ.

---

(١) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (ص/ ٦٢٦).

(٢) انظر كشف الأستار عن زوائد البزّار (٤/ ٩٧)، قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٣٦): «رواه البزار، ورجاله ثقات».

(٣) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (ص/ ٦٢٢).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب السُّنّة: باب في الخلفاء.

وروى هذا الحديث أيضًا الحاكم[1] والبيهقي بنحوه[2] وذكر أن خلافة علي كانت ست سنوات.

وروى أحمد[3] في المسند والبيهقي[4] والطيالسي[5] واللفظ لأحمد عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «**تكون النبوّة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوّة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها ثم تكون ملكًا عاضًا...**» الحديث، وفي رواية: «**عضوضًا**»[6]. أي ظلومًا.

وحديث أبي داود المتقدّم أخرجه أيضًا الترمذي[7] وحسّنه، وأبو نعيم[8] بنحوه عن سفينة قال: قال رسول الله ﷺ: «**خلافة النبوّة**»، وعند أحمد بلفظ: «**الخلافة ثلاثون عامًا ثم يكون بعد ذلك الملك**»[9].

وأخرج البيهقي[10] عن أبي بكرة قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خلافة النبوّة ثلاثون عامًا ثم يؤتي الله المُلْكَ مَن يشاء**»، فقال معاوية: «قد رضينا بالمُلْك».

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري[11] مانصّه: «وقد ذكر يحيى بن سليمان الجُعْفي، أحد شيوخ البخاري في «كتاب صفّين» في تأليفه بسند جيد، عن أبي

---

(١) مستدرك الحاكم، كتاب معرفة الصحابة (٣/ ١٤٥).
(٢) دلائل النبوة (٦/ ٣٤١ و٣٤٢).
(٣) مسند أحمد (٤/ ٢٧٣).
(٤) دلائل النبوة (٦/ ٣٤٠ - ٣٤٢).
(٥) مسند أبي داود الطيالسي (ص/ ٣١ و١١٦ - ١١٧).
(٦) هي رواية البيهقي (٦/ ٣٤٠) والطيالسي (ص/ ٣١).
(٧) جامع الترمذي: كتاب الفتن: باب ما جاء في الخلافة.
(٨) ذكر أخبار أصبهان (١/ ٢٤٥).
(٩) مسند أحمد (٥/ ٢٢٠).
(١٠) دلائل النبوة (٦/ ٣٤٢).
(١١) فتح الباري (١٣/ ٨٦).

مسلم الخولاني أنه قال لمعاوية: «أنت تنازع عليًا في الخلافة أوَأَنْتَ مِثْلُهُ؟ قال: لا، وإني لأعلم أنه أفضل مني وأحقُّ بالأمر، ولكن ألستم تعلمون أنّ عثمان قتل مظلومًا، وأنا ابن عمّه ووليّه أطلب بدمه، فأتوا عليًّا فقولوا له يدفع لنا قتلة عثمان. فأتوه فكلموه فقال: يدخل في البيعة ويحاكمهم إليّ فامتنع معاوية، فسار عليّ في الجيوش من العراق حتى نزل بصفّين» اهـ.

وروى مسدد[1] في مسنده عن عبد الله بن أبي سفيان أن عليًا قال: «إن بني أمية يقاتلونني، يزعمون أني قتلت عثمان وكذبوا إنما يريدون المُلْك، ولو أعلم أن يذهب ما في قلوبهم أني أحلف لهم عند المقام والله ما قتلت عثمان ولا أمرت بقتله لفعلت، ولكن إنما يريدون المُلْك، وإني لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممّن قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾[2] الآية»، وروى نحوه سعيد بن منصور في سننه[3].

قال ابن كثير في البداية والنهاية[4] ما نصّه: «وهذا مقتل عمّار بن ياسر رضي الله عنه مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قتله أهل الشام. وبان وظهر بذلك سرّ ما أخبر به الرسول ﷺ من أنه تقتله الفئة الباغية، وبان بذلك أن عليًّا محقّ وأن معاوية باغ، وما في ذلك من دلائل النبوّة» اهـ.

قال ابن الأثير في الكامل[5] نقلاً عن عمّار بن ياسر رضي الله عنه أنه قال يوم صفّين: «من يبتغي رضوان الله ربّه ولا يرجع إلى مال ولا ولد؟ فأتاه عصابة فقال: اقصدوا بنا هؤلاء القوم الذين يطلبون دم عثمان، والله ما أرادوا الطلب بدمه ولكنهم ذاقوا الدنيا واستحبّوها وعلموا أن الحقّ إذا لزمهم حال بينهم وبين ما يتمرغون فيه منها، ولم يكن لهم سابقة يستحقون بها طاعة الناس والولاية عليهم،

---

(١) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية (٤/ ٢٩٣).

(٢) سورة الحجر/ ءاية ٤٧.

(٣) سنن سعيد بن منصور (٢/ ٣٣٥ - ٣٣٦).

(٤) البداية والنهاية (٧/ ٢٧٦).

(٥) الكامل في التاريخ (٣/ ٣٠٨ - ٣٠٩).

فخدعوا أتباعهم بأن قالوا: إمامنا قُتل مظلومًا، ليكونوا بذلك جبابرة ملوكًا، فبلغوا ما ترون، فلولا هذه ما تبعهم من الناس رجلان. اللهم إن تنصرنا فطالما نصرتَ، وإن تجعل لهم الأمر فادّخر لهم بما أحدثوا في عبادك العذاب الأليم» اهـ.
ومما يدل على ما قدمنا أن معاوية سعى قبل موته في استخلاف ابنه يزيد، وذلك مع وجود من هو أهل لتلك الخلافة من الصحابة كالحسين بن علي وابن الزبير فليراجع ما ذكره الحافظ ابن حجر في ذلك[1].

---

(١) فتح الباري (٨/ ٥٧٦ - ٥٧٧).

## حزب الإخوان يمدحون ابن تيمية الذي كفّر سيدنا عليّا وشبّه السيدة فاطمة بالمنافقين

يقول ابن تيمية الحراني[1]: «فإن الناس متنازعون في أول من أسلم فقيل أبو بكر أول من أسلم فهو أسبق إسلامًا من علي، وقيل إن عليًا أسلم قبله لكن علي كان صغيرًا وإسلام الصبي فيه نزاعٌ بين العلماء» اهـ.

ويقول في موضع ءاخر ما نصه[2]: «وأما إسلام علي فهل يكون مُخْرِجًا له من الكفر على قولين مشهورين ومذهب الشافعي أن إسلام الصبي غير مُخْرِج له من الكفر».

ويقول ابن تيمية ما نصه[3]: «وقد أنزل الله تعالى في (علي بن أبي طالب) ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾[4] لما صلى فقرأ وخلط» اهـ.

فيتبيَّن لك أن ابن تيمية الحراني كفَّر عليًا رضي الله عنه واعتبره بعد من المشركين لم يخرج من كفره وشركه، وقد نقل الحافظ أحمد بن محمد بن صديق الغُماري الحسني في كتابه «علي بن أبي طالب إمام العارفين» الطبعة الأولى عن ابن تيمية الحراني أنه طعن بالسيدة الجليلة فاطمة الزهراء رضي الله عنها فقال فيها إن فيها شبهًا من المنافقين الذين وصفهم الله بقوله: ﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾[5] قال ابن تيمية: فكذلك فعلت هي إذ لم يعطها أبو بكرٍ من ميراث والدها ﷺ، ثم قال الحافظ الغُماري بعد كلامٍ ما

---

(١) انظر المنهاج (٤/ ٤٢).
(٢) انظر كتاب المنهاج لابن تيمية (٤/ ٢١٨-٢١٩).
(٣) كتاب المنهاج (٤/ ٦٥).
(٤) سورة النساء/ ءاية ٤٣.
(٥) سورة التوبة/ ءاية ٥٨.

نصه[1]: «فقبح الله ابن تيمية وأخزاه وجزاه بما يستحق، وقد فعل والحمد لله إذ جعلَه إمام كل ضالّ مُضلّ بعده، وجعل كتبه هادية إلى الضلال فما أقبل عليها أحد واعتنى بشأنها إلا وصار إمام ضلالةٍ في عصره، ويكفي أن الله تعالى أخرج من صُلب أفكاره الخبيثة قرن الشيطان وأتباعه كلاب النار وشرّ من تحت أديم السماء الذين ملؤا الكونَ ظُلمةً وسودوا وجهه بالجرائم والعظائم في كل مكان، والكل في صحيفة ابن تيمية إمام الضالين وشيخ المجرمين، وهذا ينطبق على ابن أبي العز المجسّم مبغض علي والجاحد لإمامته، ولقد قال النبيّ ﷺ: «**مَن سنَّ سُنة سيئةً فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة**»، وقال ﷺ: «**من دعا إلى ضلالةٍ كان عليه إثم من تبعه إلى يوم القيامة**» إنتهى كلام الغُماري

وقد قال العلامة علوي بن طاهر الحداد في كتابه القول الفصل فيما لبني هاشم من الفضل في الجزء الثاني ما نصه: «وفي منهاجه (أي كتاب المنهاج لابن تيمية) من السبّ والذم الموجه المورد في قالب المعاريض ومقدمات الأدلة في امير المؤمنين علي والزهراء البتول والحسنين وذريتهم ما تقشعرّ منه الجلود وترجف له القلوب، ولا سبب لعكوف النواصب والخوارج على كتابه المذكور إلا كونه يضرب على أوتارهم ويتردد على أطلالهم وآثارهم فكن منه ومنهم على حذر» اهـ.

فمن عرف ما ذكرنا من أمر ابن تيمية من سوء رأيه في سيّدنا علي رضي الله عنه عرف أنه ينطبق عليه حديث مسلم أن عليًا رضي الله عنه قال: «والذي فلقَ الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبيّ الأُمي إلي أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق».

فليعلم ذلك أنصار ابن تيمية من وهابية وأتباع سيّد قطب الذين اتبعوا إمام المنافقين في عصره ابن تيمية الحراني.

ومع كل هذه الوقاحة من ابن تيمية الحراني ومع ما له من كفريات ترى أن زعماء حزب الإخوان يسارعون إلى مدحه وتسميته بشيخ الإسلام على زعمهم

---

(١) علي بن أبي طالب إمام العارفين (ص/ ٥٦).

كما تجد ذلك مكررًا كثيرًا كثيرًا في كتاب يوسف القرضاوي المسمى الحلال والحرام في الإسلام، بل إن مدرسة حزب الإخوان المسماة بالجماعة الإسلامية استقت أفكارها من ابن تيمية كما صرّح بذلك أحد زعماء حزب الإخوان في لبنان «زهير العبيدي النائب السابق لحزب الإخوان» في مقابلة أجرتها معه «مجلة الوطن العربي» قائلًا[1]: «إن الجماعة الإسلامية استقت أفكارها من أمثال ابن تيمية وسيّد قطب».

فقد رأيت بعينيك كيف أن هذه الجماعة المتطرفة تكفّر الأمة الإسلامية بمن فيهم الخلفاء الراشدون الأربعة الذين هم داخلون تحت قول الله عز وجل: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[2].

**٣٥-قال المجسم ابن أبي العز: الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره الا الله تعالى.**

**الرد:** قال الحافظ ابن الجوزي رحمه الله: قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾، فمن حملها على العلم حمل خصمُه الاستواء على القهر، وذهبت طائفة إلى أن الله تعالى على عرشه وقد ملأهُ والأشبَه أنه مماس للعرش والكرسي موضِعُ قدميه. قلت: المماسة إنما تقع بين جسمين وما أبقى هذا في التجسيم بقية» اهـ.كلام ابن الجوزي ولقد أجاد وشفى وكفى.

وقال الإمام أبو منصور المحدّث الفقيه الشافعي البغدادي[3] الذي وصفه ابن حجر بأنه الإمام الكبير إمام أصحابنا أي الشافعية وهو من جملة مشايخ البيهقي: «وأجمعَ أصحابنا على إحالة القول بأنه في مكان أو في كل مكان، ولم يجيزوا عليه مماسة ولا ملاقاة بوجه من الوجوه، ولكن اختلفت عباراتهم في ذلك

---

(١) مجلة الوطن العربي (ص/ ١٤)، في عددها الصادر في ٧/ ١٢/ ١٩٩٢.
(٢) سورة التوبة/ ءاية ١٠٠.
(٣) تفسير الأسماء والصفات (ص/ ١٥١)، مخطوط.

فقال أبو الحسن الأشعري: إن الله عز وجل لا يجوز أن يقال إنه في مكان ولا يقال إنه مباين للعالم ولا إنه في جوفِ العالم لأن قولنا إنه في العالم يقتضي أن يكون محدودًا متناهيًا، وقولنا إنه مباينٌ له وخارج عنه يقتضي أن يكون بينه وبين العالم مسافة والمسافة مكان، وقد أطلقنا القول بأنه غير مماس لمكان» انتهى.

وقد ذكر الفقيه يوسف الأردبيلي الشافعي[1] أن من أثبت لله الاتصال أو الانفصال فهو كافر.

ومن تطاول الألباني المتناقض!! على التصحيح والتضعيف أنه زعم في «مختصر العلو»[2] بأن إسناد أثر أبي موسى هذا (الكرسي موضع القدمين) صحيح فقال هنالك: «قلت: وإسناده موقوف صحيح»[3]!! وهذا خطأ فاحش وخلط لا مثيل له لأن السند منقطع! وقد خالفه إخوانه من مجسمة العصر! منهم المعلق على الكتاب المسمى «السنة»[4] المنسوب كذبا وزورا لعبد الله بن أحمد فإنه قال هناك: «في إسناده انقطاع لأن عمارة لم يدرك أبا موسى».

فخلاصة المقال أن هذا الأثر لا يثبت عن أبي موسى وهو منكر ومنقطع الإسناد!

أما الرواية عن أبي موسى الأشعري في ذلك:

فروى ابن جرير في «تفسيره»[5] والبيهقي في «الأسماء والصفات»[6] من طريق سلمة بن كهيل، عن عمارة بن عمير، عن أبي موسى الأشعري قال: الكرسي موضع القدمين وله أطيط كأطيط الرّحل.

---

(١) الأنوار لأعمال الأبرار (٢/ ٤٨١).

(٢) مختصر العلو (ص/ ١٢٤).

(٣) وإن صححه بعض الرواة والمؤلفين.

(٤) السنة (١/ ٣٠٢).

(٥) تفسير ابن جرير (٣/ ٩-١٠).

(٦) الأسماء والصفات (ص/ ٤٠٤).

وعمارة بن عمير لم يدرك أبا موسى الأشعري، وإنما روى عن ولده إبراهيم ابن أبي موسى كما في ترجمته في «تهذيب الكمال»[1] و«تهذيب التهذيب»[2] فالإسناد منقطع.

عن عبد الله بن خليفة قال فيه: «الكرسي الذي يجلس عليه الرب ما يفضل منه إلا أربع أصابع وإن له أطيطا كأطيط الرحل» الحديث (وهو حديث موضوع باطل لا يصح).

قال ابن الجوزي عن حديث الأطيط المكذوب[3]:

إن كرسيه وسع السموات والأرض وإن له أطيطا كأطيط الرحل الجديد إذا ركب من ثقله». هذا مختلف جدا، وقد رواه أبو اسحاق عن ابن خليفة عن ابن عمر، قال: «إذا جلس (نعوذ بالله من هذا الكفر) الرب تبارك وتعالى على الكرسي سمع له أطيطا كأطيط الرحل». وما يروى كذبًا أنّ ابن جرير روى عن عبد الله بن خليفة قال: قال رسول الله ﷺ (وحاشى لرسول الله أن يقول ذلك): «إن كرسيه وسع السموات والأرض وإنه ليقعد عليه فما يفضل منه مقدار أربع أصابع- ثم قال بأصبعه فجمعها (نعوذ بالله من هذا التشبيه والتجسيم)- وإن له أطيطا كأطيط الرحل إذا ركب من ثقله». هذا على ضد اللفظة الأولى. وكل ذلك من تخليط الرواة وسوء الحفظ، وقول الرواة (إذا قعد) و(إذا جلس) وهذا لا يثبت ولا يصح عن رسول الله ﷺ من تغييرهم ومن تعبيرهم لما يظنونه كما قال القائل: (ثم استوى على العرش) قعد. وإنما قلنا هذا لأن الخالق تعالى لا يجوز أن يوصف بالجلوس فيفضل ذلك الشيء، لأن هذه صفة الأجسام.

وقال ابن الزاغوني المجسّم: «معنى الحديث خرج عن صفة الاستواء أربعة أصابع».

---

(١) تهذيب الكمال (٢١/ ٢٥٦).

(٢) تهذيب التهذيب (٧/ ٣٢٩).

(٣) دفع شبه التشبيه (ص/ ٧٠)، بتصرف.

وهذا قد قصد به مغالطة العوام وهل لما قاله معنى إلا أن يقال إن هذه الأربعة لم تحاذ ولم تماس وكل هذا صريح في التشبيه ظاهر في التجسيم ثم هو اثبات صفات بما لا يحسن اثباته من الأحاديث المعلولة.

وقد روينا عن أبي بكر بن مسلم العائدي قال: هذا الموضع الذي يفضل لمحمد ليجلس عليه قال: وقد روى القاضي (أبو يعلى المجسم) كاذبا عن الشعبي أنه قال: ان الله تعالى قد ملأ العرش حتى إن له أطيطًا كأطيط الرحل.

هذا كذب على الشعبي. قال القاضي أبو يعلى المجسم: وغير ممتنع حمل الخبر على ظاهره في أن ذاته تملأ العرش ثم قال: لا على شغل مكان اهـ كلام ابن الجوزي.

وحديثه الآخر عنه عن عمران: «إن كرسيّه فوق السموات والأرض وإنه يقعد عليه فما يفضل منه إلا قدر أربع أصابع».

قال ابن حجر[1]: عبد الله بن خليفة، ويقال خليفة بن عبد الله البصري، مجهول، من الثالثة، ما روى عنه إلا بسطام بن مسلم ووهم من زعم أن شعبة روى عنه.

قال الكوثري: ولابن عساكر جزء سماه (بيان وجوه التخليط في حديث الأطيط) وتقدمت الإشارة إليه.

هذان الحديثان باطلان مردودان مضطربان إسنادا ولفظا. وعبد الله بن خليفة مجهول لا يعرف من هو، ثم تارة يرفع الحديث وتارة يوقفه. وفي روايته الحكم وعثمان مجهولان، ولعله من وضع بعض المبتدعة أو الزنادقة. ولقد أنكر على الدارقطني رواية مثل هذا الحديث وإيداعه كتبه. وكيف تثبت صفة الباري تعالى بمثل ذلك (الخبر) الواهي؟

ولقد غلب على الكثير من المحدثين مجرد النقل مع جهلهم بما يجب لله تعالى من الصفات.

---

(١) تقريب التهذيب (ص/ ٣٠١)، وانظر العلل المتناهية (١/ ٢٠).

وما يروى كذبا وزورا عن ابن عباس أنه ﷺ سئل عن قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ فقال: «كرسيه موضع قدميه».

الخبر لو صح أنه من تفسير ابن عباس رضي الله عنهما، فهو خبر موقوف وغير مرفوع إلى رسول الله ﷺ. ولا يُحتجّ به في العقائد والأحكام.

وقال ابن الجوزي[1]: هذا وهم شجاع بن مخلد في رفعه فقد رواه أبو مسلم الكجي، وأحمد بن منصور الرمادي كلاهما عن أبي عاصم فلم يرفعاه، وعبد الرحمٰن بن مهدي ووكيع كلاهما عن سفيان فلم يرفعاه بل وقفاه على ابن عباس وهو الصحيح. اهـ

قال ابن الجوزي: قلت: رواه جماعة من الأثبات فوقفوه على ابن عباس، ورفعه منهم شجاع بن مخلد فعلم بمخالفته الكبار المتقنين أنه قد غلط. ومعنى الحديث: أن الكرسي صغير بالإضافة إلى العرش كمقدار كرسي يكون عنده سرير قد وضع لقدمي القاعد على السرير.

قال الضحاك: الكرسي الذي تجعل الملوك أرجلهم عليه وقال القاضي المجسم: القدم قدم الذات، وهي التي يضعها في النار (والعياذ بالله من سخافة وغباوة وحماقة وبلادة وسوء فهمه وعقله وتخليطه) وتعالى الله وتنزّه عن كل صفات الأجسام والحركات والسكنات والهيئات والأشكال والصور سبحانه وتعالى عما يقول الكافرون الجاحدون علوا كبيرا.

قال الإمام الشافعي: «من اعتقد أن الله جالس على العرش فهو كافر» رواه ابن المعلّم القرشي في كتابه نجم المهتدي ورجم المعتدي.

قلت: هذا حديث ضعيف لم يثبت رفعه، ولا يثبت مثله، والوهم فيه منسوب إلى شجاع بن مخلد.

---

(١) العلل المتناهية (١/ ٢٣).

**٣٦-قال المجسم ابن أبي العز: على أن العرش فوق المخلوقات، وليس فوقه شيء من المخلوقات.**

**الرد:** وقول ابن أبي العز هذا جهل منه بما قاله رسول الله ﷺ وبما عليه السلف والخلف من أن فوق العرش كتابٌ يعني أن فوق العرش مكان والكتاب مخلوق والله موجودٌ بلا مكان وليس مساويا لهذا الكتاب ونذكر تفصيل هذه المسألة بما قاله شارح الطحاوية الإمام الهرري رضي الله عنه دفين مدينة بيروت في كتابه إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية ما نصه: وأما قوله: «وهو مستغنٍ عن العرش وما دونه»، فإنما ذلك نفي لإثبات الحاجة للتمكن في المكان والتحيز في الجهة وغير ذلك من سمات الحدث، وذلك لما مرّ من البراهين القطعية في ذلك، أي لما سبق ذكره من النصوص المحكمة الموجبة للعلم القطعي في إثبات تعاليه عن الحاجات وعن مشابهة الخلق كقوله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾[1] أثبت الفقر والحاجة لعباده ونفى ذلك عن نفسه بقوله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾، وكذلك أثبت لنفسه الكمال بالاستغناء عن جميع الأشياء بقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[2].

وفي قول المؤلف: «وهو مستغنٍ عن العرش»، رد على اليهود ومجسمة هذه الأمة حيث وصفوه بالجسم والاستقرار على العرش.

وقوله تعالى ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[3] العرش يُذكر ويُراد به السرير المحفوف بالملائكة، وهو ظاهر في الشريعة، ويُذكر ويُراد به المُلْكُ كقول الشاعر: [طويل]

إذَا مَا بَنو مَرْوَانَ ثُلَّتْ عُرُوشُهُمْ»

أي ذهب ملكهم وزال.

---

(١) سورة فاطر/ ءاية ١٥.

(٢) سورة العنكبوت/ ءاية ٦.

(٣) سورة طه/ ءاية ٥.

والاستواء يذكر ويراد به الاستقرار كقوله تعالى ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّ﴾[1]، ويذكر ويراد به الاستقامة التي هي ضد الاعوجاج كقوله تعالى ﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾[2] أي الزرع، ويذكر ويراد به التمام قال الله تعالى ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾[3] أي تمت قوته الجسدية، ويذكر ويراد به الاستيلاء أي القهر، كما يقال استوى فلان على بلدة كذا، ويذكر ويراد به الارتفاع والعلو كما قال الله تعالى ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ﴾[4]، وهذا النوع ينقسم إلى قسمين: يذكر ويراد به العلو من حيث الرتبة، كما يطلق الاستواء على العلو المكاني فإذا كان الأمر هكذا، فلا تكون ءاية ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[5] حجة لإثبات الاستقرار لله على العرش، بل الترجيح لمعنى الاستيلاء، لأن الله تبارك وتعالى تمدح بقوله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾، ولو استُعمل هذا اللفظ على سبيل المدح في حق من جاز عليه الاستقرار فلا يحمل على الاستقرار ولا يُفهم منه، كما في قول الشاعر في بشر بن مروان: [الرجز]

قَدِ اسْتَوى بِشْرٌ عَلَى العِرَاقِ ... مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ ودَمٍ مُهْرَاقِ

فليس مدح بشر بن مروان في هذا البيت من حيث إنه جالس في هذا البلد، إنما المدح له لأنه استولى أي قهر وهيمن وسيطر على العراق لأن الجلوس في العراق يشترك فيه الإنسان الشريف والإنسان القوي والإنسان الدنيء والإنسان الضعيف، فالمدح إنما يكون بصفة يمتاز بها الممدوح عما لا يكاد يدانيه ولا يساويه ولا يكافئه غيره، فلا بد أن يُفهم من الاستواء القهر والاستيلاء إذ هو أشرف معاني الاستواء وهو مما يليق بالله تعالى، لأنه وصف نفسه بأنه قهّار، فلا يجوز أن

(١) سورة هود/ ءاية ٤٤.
(٢) سورة الفتح/ ءاية ٢٩.
(٣) سورة القصص/ ءاية ١٤.
(٤) سورة المؤمنون/ ءاية .
(٥) سورة طه/ ءاية ٥.

يترك ما هو لائق بالله تعالى إلى ما هو غير لائق بالله تعالى وهو الجلوس والاتصال والاستقرار.

وتخصيص العرش بالذكر لتشريفه، إذْ إضافة بعض الأشياء إلى الله تعالى تكون لتعظيم ذلك الشيء، كما خص ناقة صالح بالذكر بالإضافة إليه فقال ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾[1] مع كون كل النوق متساوية من حيث الملكية لله تعالى.

و«ثم» في قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[2] ليست للترتيب في الحدوث والوقوع والحصول إنما هي للترتيب في الإخبار، أي أن هذه الآية تدل على أن الله يخبرنا بأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم يخبرنا بأنه قاهر للعرش الذي هو أعظم منهما، نظير ذلك قوله تعالى ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾[3]، مع أنَّ شهادته أي اطلاعه وعلمه أزلي، قال الإمام الماتريدي في تأويلاته في تفسير قول الله تعالى ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: أي وقد استوى على العرش.

ومن الشواهد على أن ابن تيمية من المجسمة ما نقله عنه أبو حيان الأندلسي في تفسيره النهر الماد من البحر[4] في تفسير ءاية الكرسي قال: «وقرأت في كتاب لأحمد ابن تيمية هذا الذي عاصرنا وهو بخطه سماه كتاب العرش: إن الله تعالى يجلس على الكرسي، وقد أخلى منه مكانًا يقعد فيه معه رسول الله ﷺ، تحيَّل عليه التاج محمد بن علي بن عبد الحق البارنباري وكان أظهر أنه داعية له حتى أخذه منه وقرأنا ذلك فيه» اهـ.

وهذا النقل من النسخة الخطية الموجودة في حلب وكانت حذفت هذه العبارة من الطبعة التي طبعت في مصر استفظاعًا لها.

---

(١) سورة الشمس/ ءاية ١٣.
(٢) سورة الأعراف/ ءاية ٥٤.
(٣) سورة يونس/ ءاية ٤٦.
(٤) النهر الماد من البحر المحيط (١/ ٢٥٤).

وقد جاء في القرءان التنزيه الكلي عن مشابهة العالم ومماثلته بقوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1] فإن الله نزّه فيها نفسه عن مشابهة غيره.

وقول المؤلف: «مُحِيط بِكُل شَيءٍ وَفَوْقَهُ». معناه أن الله محيط بكل شيء بالعلم والغلبة والسلطان، وإحاطة الله بالعالم بالعلم والقهر والسلطان ليس كإحاطة الحُقَّة[2] باللؤلؤة، ويقال في التثنية حقّان كما قال الشاعر: [هزج]

وصـــدر مـــشرق الـنـحـر كـــأن ثــديَــاه حــقّــان

فكل شيء تحت علمه وقدرته، لقوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾[3] ويجوز أن يكون فوقه خبرًا لمبتدإ مقدر أي وهو فوقه، فيكون معناه أنه متصف بأنه فوق العالم كما أنه متصف بأنه محيط به أي بالعالم، والفوقية هي فوقية القدرة والقهر، وهو معنى العلو الذي وصف الله به نفسه بقوله ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[4] وبقوله ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[5]، لأن علو الجهة مستحيل عليه لأنه من صفات الخلق، وكيف يصح ذلك في حقه وهو القديم المتعالي عن التناهي والحدوث، فالعالم لا بد له من مكان[6]، وما زعمه بعضهم من أن في قوله ﷺ في حديث أبي هريرة الذي رواه البخاري والبيهقي وغيرهما: «إن الله لما قضى الخلق كتب في كتاب فهو موضوع عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي»[7] وفي لفظ: «تغلب غضبي» أن المكان تحت العرش فقط وأنه لا مكان فوق العرش، فهذا قول لا دليل عليه، لأنه لا يمتنع عقلًا ولا شرعًا أن يكون فوق العرش مكان، فلولا أن فوق

---

(١) سورة الشورى/ ءاية ١١.

(٢) الحُقَّة: وعاء مستدير توضع فيه الأشياء الثمينة.

(٣) سورة الأنعام/ ءاية ٦١.

(٤) سورة الأعلى/ ءاية ١.

(٥) سورة البقرة وسورة الشورى/ ٤.

(٦) المراد أنواع العالم لا بد لها من مكان ليس المراد جملة العالم لأن جملة العالم يستحيل أن يكون في مكان، والمكان من جملة العالم. الشارح.

(٧) تقدم تخريجه، ورواه أيضًا البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٨): باب ما ذكر في النفس.

العرش مكانًا لم يقل النبي ﷺ عن ذلك الكتاب فهو موضوع عنده فوق العرش كما هو لفظ البخاري في الصحيح، وأما تأويل بعض لكلمة فوق العرش بأن معناها دون العرش واحتجاجهم بأن فوق تأتي لغة بمعنى دون فهو مردود برواية ابن حبان لهذا الحديث بلفظ: «وهو مرفوع فوق العرش»، فبطل هذا التأويل لأن كلمة مرفوع تبطل ذلك إبطالًا صريحًا، ويقال لهم: التأويل للنص لا يجوز إلا لضرورة لاقتضاء الدليل العقلي لذلك أو اقتضاء الدليل النقلي الثابت كما قرر ذلك الأصوليون، قالوا: تأويل النص لغير ذلك عبث والنص يصان عن العبث.

**٣٧- قال المجسم ابن أبي العز: «من» المعنية للفوقية بالذات. كقوله تعالى ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾[1].**

**وقال: وانها يثبت هذا المعنى من الفوقية في ضمن ثبوت الفوقية المطلقة من كل وجه، فله سبحانه وتعالى فوقية القهر وفوقية القدر، وفوقية الذات، ومن اثبت البعض، فقد تنقّص. وعلوه تعالى مطلق من كل الوجوه**

**الرد: بيان أن الله منزه عن الجهة والجلوس والاستقرار على العرش بالأدلة النقلية والعقلية.**

أما ما يدل على ذلك من القرءان الكريم قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[2] الآية أي أن الله تعالى لا يشبه شيئا من خلقه بوجه من الوجوه، ففي هذه الآية نفي المشابهة والمماثلة، فلا يحتاج إلى عرش ولا إلى مكان يحل فيه ولا إلى جهة يتحيز فيها. فلو كان له مكان، لكان له أمثال وأبعاد وطول وعرض وعمق، ومن كان كذلك كان مُحدَثا محتاجا لمن حده بهذا الطول وبهذا العرض وبهذا العمق.

فالآية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ هي أصرح ءاية في القرءان في تنـزيه الله

---

(١) سورة النحل/ ءاية ٥٠.

(٢) سورة الشورى/ ءاية ١١.

تعالى التنـزيهَ الكليَّ[1] وتفسيرها أن الله لا يشبهه شيء بأي وجه من الوجوه، والكاف في ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ لتأكيد النفي[2] ففي الآية نفيُ ما لا يليق بالله عن الله. وأما قوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ ففيه إثبات ما يليق بالله، السمعُ صفةٌ لائقة بالله والبصر كذلك وإنما قدّم الله تعالى في هذه الآية التنـزيهَ حتى لا يُتوهم أن سمعه وبصره كسمع وبصر غيره[3] فالله تعالى موصوفٌ بأنَّه ليس كمثله شيء من اللطائف كالنور والروح والهواء ومن الكثائف كالشجر والإنسان[4]. والجسم اللطيف ما لا يضبط باليد والجسم الكثيف ما يضبط باليد أي ما يجسُّ باليد وهو تعالى لا يُشبه العلويات ولا السفليات[5].

وقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[6] أي لله الوصف الذي لا يشبه وصف غيره، فلا يوصف ربنا عز وجل بصفات المخلوقين من التغير والتطور والحلول في الأماكن والسكنى فوق العرش، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

وقال الله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾[7] أي لا تجعلوا لله الشبيه والمثيل فإن الله تعالى لا شبيه له ولا مثيل له، فلا ذاته يشبه الذوات ولا صفاته تشبه الصفات.

---

(١) وليس معنى وصف هذه الآية بأنها أصرح ءاية في التنـزيه أنها أفضل ءاية بل ورد في ءاية الكرسي أنها سيدة ءاي القرءان.

(٢) قال أبو عبد الله الحطاب المالكي (٩٥٤هـ) في قرة العين بشرح ورقات إمام الحرمين (ص/ ٣٦، دار المشاريع): فالكاف مزيدة للتأكيد اهـ

(٣) قال الحافظ ولي الدين أبو زرعة العراقي (٨٢٦هـ) في الغيث الهامع شرح جمع الجوامع في كتاب الاجتهاد (٣/ ٩١٧، الناشر الفاروق الحديثة): وقوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ تتمته في التنـزيل ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ فأول هذه الآية تنـزيه وءاخرها إثبات وصدرها رد على المجسمة وعجزها رد على المعطلة والنكتة في نفي التشبيه أولًا أنه لو بدأ بذكر السميع والبصير لأوهم التشبيه فاستفيد من الابتداء بنفي التشبيه أنه لا يشابهه في السمع والبصر غيره اهـ

(٤) قال الفخر الرازي (٦٠٦هـ) في تفسير سورة الأنبياء (مجلد ١١/ جزء ٢٢/ ٢٠٣، دار الفكر): واعلم أن أجسام هذا العالم إما كثيفة أو لطيفة اهـ

(٥) العلويات ما كان في السموات والسفليات ما كان في الأرض.

(٦) سورة النحل/ ءاية ٦٠.

(٧) سورة النحل/ ءاية ٧٤.

وأما الحديث فقد قال رسول الله ﷺ «**كان الله ولم يكن شيء غيره**» رواه البخاري والبيهقي[1]، ومعناه أن الله لم يزل موجودا في الأزل ليس معه غيره لا ماء ولا هواء ولا أرض ولا سماء ولا كرسي ولا عرش ولا إنس ولا جن ولا ملائكة ولا زمان ولا مكان، فهو تعالى موجود قبل المكان بلا مكان وهو الذي خلق المكان فليس بحاجة إليه؛ فهذا الحديث دليل على أنه لم يكن في الأزل مكان، فهو سبحانه وتعالى موجود قبل المكان وبعد خلق المكان بلا مكان ولا جهة.

وقال الحافظ البيهقي [ت٤٥٨هـ] في كتابه «الأسماء والصفات»[2]: واستدل بعض أصحابنا في نفي المكان عنه -أي عن الله عز وجل- بقول النبي ﷺ «**أنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء**» وإذا لم يكن فوقه شيء ولا دونه شيء لم يكن في مكان[3] اهـ.

وهذا دليل صريح في نفي المكان والجهة عن الله تعالى.

وقال سيدنا علي رضي الله عنه: «إن الله تعالى خلق العرش إظهارا لقدرته لا مكانا لذاته»[4]، وقال أيضًا: «قد كان ولا مكان وهو الآن على ما كان»[5]، أي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق: باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [سورة الروم/ ٢٧]، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٤، دار الكتب العلمية).

(٢) الأسماء والصفات (ص/ ٣٧٣، المكتبة الأزهرية للتراث).

(٣) قال ابن فورك في مشكل الحديث (ص/ ١٩٧) واعلم أن هذا الخبر يبين صحة ما قلنا في تأويل وصف الله عز وجل أنه فوق كل شيء لا على معنى المسافة والمساحة وذلك ان كل ما كان فوق شيء على معنى المساحة والتمكن فيه والعلو عليه. على هذا الوجه كان دونه شيء وهو على ما عليه من المكان فلما أبان ﷺ أنه ليس دونه شيء علمنا أن معنى فوق كل شيء لا على معنى التمكين والمساحة والمسافة.

(٤) ذكره الإمام المقدم الأستاذ أبو منصور البغدادي في «الفرق بين الفرق» (ص/ ٣٣٣، دار المعرفة).

(٥) ذكره الإمام المقدم الأستاذ أبو منصور البغدادي في «الفرق بين الفرق» (ص/ ٣٣٣). وفي كتاب العقد الفريد (٢/ ٩٢، دار الكتب العلمية) لأحمد بن محمد بن عبد ربّه الأندلسي (٣٢٨هـ): وسُئل علي بن أبي طالب رضوان الله عليه: أين كان ربُّنا قبل أن يخلق السماء والأرض؟ فقال: أين توجبُ المكان، وكان الله عزّ وجلّ ولا مكان. اهـ وذكر الإمام أبو المعين النسفي (٥٠٨هـ) في كتابه بحر الكلام (ص/ ١١٧، مكتبة دار الفرفور): وعن علي رضي الله=

موجود بلا مكان.

وأما رفع الأيدي عند الدعاء إلى السماء فلا يدل على أن الله متحيز في جهة فوق كما أن حديث مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَسْقَى، فَأَشَارَ بِظَهْرِ كَفَّيْهِ إِلَى السَّمَاءِ[1]. لا يدل على أن الله في جهة تحت، فلا حاجة في هذا ولا في هذا لاثبات جهة فوق ولا جهة تحت لله تعالى، بل الله تعالى منزه عن الجهات كلها. وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي المولود سنة ٢٢٧هـ في عقيدته التي ذكر أنها عقيدة أهل السنة والجماعة[2]: «تعالى (الله) عن الحدود[3] والغايات والأركان

---

= عنه: أنه سئل أين كان ربنا قبل أن خلق العرش؟ فقال رضي الله عنه: أين سؤال عن المكان، وكان الله ولا مكان ولا زمان، وهو الآن كما كان. اهـ

(١) انظر صحيح مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب رفع اليدين بالدُّعاء في الاستسقاء.

(٢) العقيدة الطحاوية (ص/ ١٥، دار ابن حزم)

(٣) هـذا وقـد ثبت في النقل عن أبي حنيفـة وغيره حتى عمّن قبله وهو الإمام زيـن العابدين علي بن الحسـين رضي الله عنهما في رسـالته المشـهورة بالصحيفة السـجادية نفي الحدّ عن الله، فقد ذكر المحدث الحافظ محمد مرتضى الزبيدي شارح القاموس في شرح إحياء علوم الدين (٤/ ٣٨٠، مؤسسة التاريخ العربي) هذه الصحيفة بإسناد متصل منه إلى زين العابدين قوله: «أنت الله الذي لا تحـدُّ فتكـون محـدودًا». أي فكيف تكون محـدودًا، وقوله: «أنت الله الـذي لا يحويك مكان». فقوله فتكون بالنصب مرتبط بالنفي السـابق ولا يجوز أن يقرأ برفع النون لأنه يلزم منه تناقض، وهذا كقوله تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ الآية [سـورة فاطر/ ٣٦]، فيموتوا منصوب بأن مضمرة. وقول علي رضي الله عنه: أنت الله الذي لا تحدُّ، صريح في أن الله تعالى لا يجوز عليه أن يكـون محدودًا، ليس له حد في علمـه ولا في علم الخلق. فأين ما ادّعاه ابن تيمية في كتابه الموافقة (٢/ ٥٩، طبـع بـإشراف جامعة محمد بن سـعود) من اتّفاق كلمة المسـلمين على إثبات الحد لله، وبقيـة أئمة السـلف على مـا كانوا عليه من نفي الحـد عن الله، بدليل قول الطحـاوي: تعالى عن الحدود، فإنه أورد ذلك على أنه مذهب السـلف وهؤلاء الأربعة من أئمة السـلف المشاهير وإنما خص أبا حنيفة وصاحبيه بالذكر لشهرتهم ولأنه سبك عبارة العقيدة على حسب أسلوبهم، وهو مذهـب كل السـلف كما أشـعر بذلك قول الطحـاوي: «ذكر بيان عقيدة أهل السـنة والجماعة». فقد بان تمويه ابن تيمية وانكشـف وهذا دأبه، الرأي الذي يعجبه في الاعتقاد ينسـبه إلى السـلف ليوهـم بذلك ضعفـاء العقول والافهام أن مذهبه مذهـب السـلف، وهيهات هيهات. اهـ وقال الإمام أبو منصور البغدادي في الفرق بين الفرق في بيان الأصول التي اجتمع عليها أهل السـنة (ص/ ٣٣٢): وقالوا (أهل السنة) بنفي النهاية والحد عن صانع العالم. اهـ

والأعضاء والأدوات ولا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات». وقال[1] ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر» اهـ.

وممن نقل إجماع المسلمين سلفهم وخلفهم على أن الله موجود بلا مكان الإمام النحرير أبو منصور البغدادي [ت٤٢٩هـ] الذي قال في كتابه «الفرق بين الفرق»[2] ما نصه: «وأجمعوا (أي أهل السنة والجماعة) على أنه (تعالى) لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان» اهـ بحروفه.

وقال إمام الحرمين عبد الملك الجُوَيني [ت٤٧٨هـ] في كتابه «الإرشاد»[3]: «ومذهب أهل الحق قاطبة أن الله سبحانه وتعالى يتعالى عن التحيز والتخصص بالجهات» اهـ.

فكما صح وجود الله تعالى بلا مكان ولا جهة قبل خلق الأماكن والجهات فكذلك يصح وجوده بعد خلق الأماكن والجهات بلا مكان وجهة، وهذا لا يكون نفيا لوجوده تعالى.

ونقل الشيخ القاضي تاج الدين السبكي [ت٧٧١هـ] عن الإمام فخر الدين ابن عساكر [ت ٦٢٠هـ] أنه كان يقرىء بالقدس العقيدة المرشدة، وفيها عن الله تعالى: «موجودٌ قبل الخلقِ، ليس له قبلٌ ولا بعدٌ، ولا فوقٌ ولا تحتٌ، ولا يَمينٌ ولا شمالٌ، ولا أمامٌ ولا خلفٌ، ولا كلٌّ، ولا بعضٌ، ولا يقالُ متى كانَ ولا أينَ كانَ ولا كيفَ، كان ولا مكان، كوَّنَ الأكوانَ ودبَّر الزمانَ، لا يتقيَّدُ بالزمانِ ولا يتخصَّصُ بالمكان، ولا يشغلُهُ شأنٌ عن شأن، ولا يلحقُهُ وهمٌ، ولا يكتَنِفُهُ عقلٌ، ولا يتخصَّصُ بالذهنِ، ولا يتمثلُ في النفسِ، ولا يتصورُ في الوهمِ، ولا يتكيَّفُ في العقلِ، لا تلحقُهُ الأوهامُ والأفكارُ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ اهـ، ثم قال تاج الدين السبكي بعد أن

---

(١) العقيدة الطحاوية (ص/ ١٣).

(٢) الفرق بين الفرق (ص/ ٣٣٣).

(٣) الإرشاد (ص/ ٣٩، مكتبة الخانجي).

ذكر هذه العقيدة ما نصه[1]: «هذا ءاخر العقيدة وليس فيها ما ينكره سني» اهـ.

## الدليل العقلي على تنزيه الله عن المكان والجهة والجلوس

وأما الدليل العقلي فنقول:

اعلم أن النظر العقلي السليم لا يخرج عما جاء به الشرع ولا يتناقض معه، والعقل عند علماء التوحيد شاهد للشرع، إذ أن الشرع لا يأتي إلا بمجوَّزات العقول كما قال الحافظ الفقيه الخطيب البغدادي [ت٤٦٣هـ][2]: «الشرع إنما يرد بمجوَّزات العقول وأما بخلاف العقول فلا» اهـ.

وقال أهل الحق: إن الله ليس بمتمكن في مكان أي لا يجوز عليه المماسة للمكان والاستقرار عليه، وليس معنى المكان ما يتصل جسم به على أن يكون الجسمان محسوسَيْن فقط، بل الفراغ الذي إذا حل فيه الجرم شغل غيره عن ذلك الفراغ مكان له، كالشمس مكانها الفراغ الذي تسبح فيه، وعند المشبهة والكرامية والمجسمة الله متمكن على العرش، وتعلّقوا بظاهر قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[3] فقالوا: الاستواء الاستقرار، وقال بعضهم: الجلوس، وهؤلاء المشبهة قسم منهم يعتقدون أن الله مستقر على العرش، ويكتفون بهذا التعبير من غير أن يفسروا هل هذا استقرار اتصال أم استقرار محاذاة من غير مماسة، وقسم منهم صرحوا بالجلوس، والجلوس في لغة العرب معناه تماس جسمين أحدهما له نصف أعلى ونصف أسفل، فمن قال: إنه مستو على العرش استواء اتصال أي جلوس، أو قال: استواؤه مجرد مماسة من غير صفة الجلوس فهو مجسم ضال، والذين قالوا إنه مستو على العرش من دون مماسة أي إنما يحاذيه من فوق أي كما تحاذي أرضنا السماء فهؤلاء أيضًا مجسمة ضالون، فلا يجوز أن يكون قوله

(١) طبقات الشافعية الكبرى: ترجمة عبد الرحمٰن بن محمد بن الحسن (٨/ ١٨٦، دار إحياء الكتب العربية)

(٢) الفقيه والمتفقه (١/ ٣٥٤، دار ابن الجوزي).

(٣) سورة طه/ ءاية ٥.

تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ على إحدى هذه الصفات الثلاث، والتفسير الصحيح تفسير من قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ قهر، لأن القهر صفة كمال لله تعالى، هو وصف نفسه به قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾[1]، فيصح تأويل الاستواء بالاستيلاء[2] وإن كانت المعتزلة وافقت أهل السنة في ذلك.

وأقبح هذه الاعتقادات الفاسدة اعتقاد أن الله تعالى جالس على العرش أو واقف عليه لأن فيه جعل الله تعالى محمولا للعرش والعرش محمول للملائكة، فالملائكة على هذا الاعتقاد قد حملوا الله تعالى، فكيف يليق بالإله الذي أوجد العالم بأسره أن يحمله شيء من خلقه، فعلى قول هؤلاء يلزم أن يكون الله محمولَ حامل ومحفوظَ حافظ، وهذا ما لا يقوله عاقل.

قال الإمام أبو سعيد المتولي الشافعي الأشعري [٤٧٨هـ] في كتابه «الغنية في أصول الدين» ما نصه[3]: «والغرض من هذا الفصل نفي الحاجة إلى المحل والجهة خلافا للكرامية والحشوية والمشبهة الذين قالوا إن لله جهة فوق، وأطلق بعضهم القول بأنه جالس على العرش مستقر عليه تعالى الله عن قولهم. والدليل على أنه مستغن عن المحل أنه لو افتقر إلى المحل لزم أن يكون المحل قديما لأنه -أي الله- قديم، أو يكون -أي الله على زعمهم - حادثا كما أن المحل حادث، وكلاهما كفر... والدليل عليه أنه لو كان على العرش على ما زعموا لكان لا يخلو إما أن يكون مثل العرش أو أصغر منه أو أكبر، وفي جميع ذلك إثبات التقدير

---

(١) سورة الرعد/ ءاية ١٦.

(٢) عند أهل السنة يصح تأويل الاستواء بالاستيلاء المجرد عن سبق المغالبة كما سيأتي. قال الشيخ محمد زاهد الكوثري في تعليقه على «الأسماء والصفات» (ص/ ٣٨٠): ومن حمله على معنى الاستيلاء حمله عليه بتجريده من معنى المغالبة. اهـ وقال الإمام أبو المعين النسفي (٥٠٨هـ) في تبصرة الأدلة (١/ ٢٤٢، نشريات رئاسة الشئون الدينية للجمهورية التركية): أصحابنا (يعني الماتريدية) أوّلوا هذا التأويل ولم يختصَّ به المعتزلة. اهـ

(٣) الغنية في أصول الدين (ص/ ٧٣ - ٧٥، مؤسسة الكتب الثقافية).

والحد والنهاية وهو كفر. والدليل عليه أنه لو كان في جهة وقدرنا شخصًا أعطاه الله تعالى قوة عظيمة واشتغل بقطع المسافة والصعود إلى فوق لا يخلو إما أن يصل إليه وقتا ما أو لا يصل إليه. فإن قالوا: لا يصل إليه فهو قول بنفي الصانع لأن كل موجودين بينهما مسافة معلومة وأحدهما لا يزال يقطع تلك المسافة ولا يصل إليه يدل على أنه ليس بموجود. فإن قالوا: يجوز أن يصل إليه ويحاذيه فيجوز أن يماسه أيضا، ويلزم من ذلك كفران: أحدهما: قدم العالم، لأنا نستدل على حدوث العالم بالافتراق والاجتماع. والثاني: إثبات الولد والزوجة» اهـ.

وقال الإمام المتولي: من اعتقد قدم العالم أو حدوث الصانع أو نفى ما هو ثابت للقديم بالإجماع ككونه عالما قادرا أو أثبت ما هو منفي عنه بالإجماع كالألوان أو أثبت له الاتصال والانفصال كان كافرا اهـ.نقله عنه الحافظ النووي [٦٧٦هـ] في روضة الطالبين(١) وأقره اهـ.ثم قال النووي نقلا عن علماء الحنفية مقرا لهم(٢): ولو قال: إن الله تعالى جلس للإنصاف كفر، أو قام للإنصاف فهو كفر. اهـ

وقد نص الإمام المحدث الحافظ المفسر عبد الرحمٰن بن الجوزي الحنبلي [٥٩٧هـ] على نفي التحيز في المكان والاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق عن الله تعالى، وردَّ في كتابه «دفع شبه التشبيه»(٣) على ابن الزاغوني المجسم الذي

---

(١) روضة الطالبين (٧/ ٢٨٤، دار عالم الكتب).

(٢) روضة الطالبين (٧/ ٢٨٦).

(٣) دفع شبه التشبيه (ص/ ٢١ - ٢٤، المكتبة الأزهرية للتراث) بتحقيق وتعليق الشيخ محمد زاهد الكوثري، وطبع باسم الباز الأشهب (ص/ ٥٤، دار الجنان)، قال في كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، باب الباء الموحدة، (١/ ٢١٨، دار إحياء التراث العربي): الباز الأشهب، المنقض على مخالفي المذهب، للشيخ أبي الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن الجوزي، الحنبلي. المتوفى سنة سبع وتسعين وخمسمائة. مختصر. صنف في تأييد مذهبه، والرد على الحنابلة المجسمة. اهـ.وقد نقل ابن رجب (٧٩٥هـ) في الذيل على طبقات الحنابلة (٢/ ٤٩٥، مكتبة العبيكان) عن ابن القطيعي قوله في مؤلفات ابن الجوزي: (الباز الأشهب المنقض على من خالف المذهب؛ وهو تعليقة في الفقه كبير). وكذا قال ابن المبرد (ت٩٠٩هـ) في كتابه «معجم الكتب» (ص/ ٨٣، مكتبة ابن سينا).

قال: «فلما قال -تعالى- ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ﴾[1] علمنا اختصاصه بتلك الجهة»، وقال ابن الزاغوني أيضًا: «ولا بد أن يكون لذاته نهاية وغاية يعلمها»، قال ابن الجوزي في الرد عليه ما نصه: «قلت هذا رجل لا يدري ما يقول، لأنه إذا قَدَّر غاية وفصلا بين الخالق والمخلوق فقد حدده، وأقرَّ بأنه جسم وهو يقول في كتابه أنه ليس بجوهر لأن الجوهر ما يتحيز، ثم يثبت له مكانا يتحيز فيه.

قلت: -أي ابن الجوزي - وهذا كلام جهل من قائله وتشبيه محض، فما عرف هذا الشيخ ما يجب للخالق تعالى وما يستحيل عليه، فإن وجوده تعالى ليس كوجود الجواهر والأجسام التي لا بد لها من حيز، والتحت والفوق إنما يكون فيما يقابَل ويحاذَى، ومن ضرورة المحاذِي أن يكون أكبر من المحاذَى أو أصغر أو مثله، وأن هذا ومثله إنما يكون في الأجسام، وكل ما يحاذِي الأجسام يجوز أن يمسها، وما جاز عليه مماسة الأجسام ومباينتها فهو حادث إذ قد ثبت أن الدليل على حدوث الجواهر قبولها المماسةَ والمباينة، فإن أجازوا هذا عليه قالوا بجواز حدوثه، وإن جُوِّز هذا عليه لم يبق لنا طريق لإثبات حدوث الجواهر، ومتى قدَّرنا مستغنيا عن المحل والحيز ومحتاجا إلى الحيز ثم قلنا: إما أن يكونا متجاورين أو متباينين كان ذلك محالا، فإن التجاور والتباين من لوازم التحيز في المتحيزات. وقد ثبت أن الاجتماع والافتراق من لوازم التحيز، والحق سبحانه وتعالى لا يوصف بالتحيز لأنه لو كان متحيزا لم يخل إما أن يكون ساكنا في حيزه أو متحركا عنه، ولا يجوز أن يوصف بحركة ولا سكون ولا اجتماع ولا افتراق، ومن جاورَ أو باين فقد تناهى ذاتا والتناهي إذا اختص بمقدار استدعى مخصِصا، وكذا ينبغي أن يقال ليس بداخلٍ في العالم وليس بخارج منه، لأن الدخول والخروج من لوازم المتحيزات فهما كالحركة والسكون وسائر الأعراض التي تختص بالأجرام.

وأما قولهم خلق الأماكن لا في ذاته فثبت انفصاله عنها، قلنا: ذاته المقدس لا يَقبل أن يُخلَق فيه شيء ولا أن يحل فيه شيء، وقد حملهم الحس على التشبيه

---

(١) سورة الأعراف/ ءاية ٥٤.

والتخليط، حتى قال بعضهم: إنما ذكَر الاستواء على العرش لأنه أقرب الموجودات إليه، وهذا جهل أيضًا لأن قرب المسافة لا يتصور إلا في جسم، ويَعِزُّ علينا كيف يُنْسَبُ هذا القائل إلى مذهبنا.

واحتج بعضهم بأنه على العرش بقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾(١) وبقوله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾(٢) وجعلوا ذلك فوقية حسية ونسوا أن الفوقية الحسية إنما تكون لجسم أو جوهر، وأن الفوقية قد تطلق لعلو المرتبة فيقال: فلان فوق فلان. ثم إنه كما قال - تعالى -: ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ قال - تعالى - ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾، فمن حملها على العلم حمل خصمه الاستواء على القهر، وذهبت طائفة إلى أن الله تعالى على عرشه وقد ملأه والأشْبَه -أي على زعم هذه الطائفة المجسمة - أنه مماس للعرش والكرسي موضعُ قدميه. قلت: المماسة إنما تقع بين جسمين وما أبقى هذا في التجسيم بقية» انتهى كلام الحافظ ابن الجوزي ولقد أجاد وشفى وكفى.

وقال المفسر فخر الدين الرازي(٣) [٦٠٦هـ] ما نصه: «فلو كان علو الله تعالى بسبب المكان لكان علو المكان الذي بسببه حصل هذا العلو لله تعالى صفه ذاتية، ولكان حصول هذا العلو لله تعالى حصولا بتبعية حصوله في المكان، فكان علو المكان أتم وأكمل من علو ذات الله تعالى، فيكون علو الله ناقصا وعلو غيره كاملا وذلك محال» اهـ.

وقال أيضًا عند تفسير ءاية ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾(٤) ما نصه(٥): «المسألة الثانية: المشبهة تعلقت بهذه الآية في أن معبودهم جالس على العرش وهذا باطل بالعقل والنقل من وجوه:

---

(١) سورة فاطر/ ءاية .
(٢) سورة الأنعام/ ءاية .
(٣) في تفسيره المسمى التفسير الكبير (سورة البقرة/ ءاية ٢٥٥ - مجلد٤/ جزء٧/ ص١٤).
(٤) سورة طه/ ءاية ٥.
(٥) المصدر السابق: (سورة طه/ ءاية ٥ - مجلد ١١/ جزء ٢٢/ ص٥-٦).

أحدها: أنه سبحانه وتعالى كان ولا عرش ولا مكان، ولما خلق الخلق لم يحتج إلى مكان بل كان غنيا عنه، فهو بالصفة التي لم يزل عليها إلا أن يزعم زاعم أنه لم يزل مع الله عرش.

وثانيها: أن الجالس على العرش لا بد وأن يكون الجزء الحاصل منه في يمين العرش غير الحاصل في يسار العرش، فيكون في نفسه مؤلفا مركبا، وكل ما كان كذلك احتاج إلى المؤلِف والمركِب، وذلك محال.

وثالثها: أن الجالس على العرش إما أن يكون متمكنا من الانتقال والحركة أو لا يمكنه ذلك، فإن كان الأول فقد صار محل الحركة والسكون فيكون محدَثًا لا محالة، وإن كان الثاني كان كالمربوط بل كان كالزمن بل أسوأ منه فإن الزمن إذا شاء الحركة في رأسه وحدقته أمكنه ذلك وهو غير ممكن على معبودهم.

ورابعها: هو أن معبودهم إما أن يحصل في كل مكان أو في مكان دون مكان، فإن حصل في كل مكان لزمهم أن يحصل في مكان النجاسات والقاذورات وذلك لا يقوله عاقل، وإن حصل في مكان دون مكان افتقر إلى مخصص يخصصه بذلك المكان فيكون محتاجا وهو على الله محال» اهـ.

وقال الحافظ المحدث اللغوي الفقيه السيد محمد مرتضى الزبيدي الحنفي [١٢٠٥هـ] عند شرح كلام الغزالي(١): «الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكن لزم منه كون المتمكّن جسما مماسا للعرش: إما مثله أو أكبر منه أو أصغر، وذلك محال، وما يؤدي إلى المحال فهو محال» ما نصه(٢): «وتحقيقه أنه تعالى لو استقر على مكان أو حاذى مكانا لم يخل من أن يكون مثل المكان أو أكبر منه أو أصغر منه، فإن كان مثل المكان فهو إذًا متشكل بأشكال المكان حتى إذا كان المكان مربعًا كان هو مربعًا أو كان مثلثًا كان هو مثلثًا وذلك محال، وإن كان أكبر من المكان فبعضه على

(١) إحياء علوم الدين: كتاب قواعد العقائد، الفصل الثالث، الركن الأول، الأصل الثامن (١/ ١٨٧، دار الشعب).

(٢) إتحاف السادة المتقين (٢/ ١٠٩، مؤسسة التاريخ العربي).

المكان، ويشعر ذلك بأنه متجزئ وله كلٌّ ينطوي على بعض وكان بحيث ينتسب إليه المكان بأنه رُبُعه أو خُمُسُه، وإن كان أصغر من ذلك المكان بقدر لم يتميز عن ذلك المكان إلا بتحديد وتتطرق إليه المساحة والتقدير، وكل ما يؤدي إلى جواز التقدير على البارئ تعالى فتجوّزه[1] في حقه كفر من معتقِده، وكل من جاز عليه الكون بذاته على محل لم يتميز عن ذلك المحل إلا بكونٍ، وقبيحٌ وصف البارئ بالكون[2]، ومتى جاز عليه موازاة مكانٍ أو مماسته جاز عليه مبايـنتُه -يعني مباينة مسافية-، ومن جاز عليه المباينة والمماسة لم يكن إلا حادثا، وهل علمنا حدوث العالم إلا بجواز المماسة والمباينة على أجزائه. وقصارى الجهلة قولهم: كيف يتصور موجودٌ لا في محل؟ وهذه الكلمة تصدر عن بدع وغوائل لا يَعرِفُ غورها وقعرها إلا كلُّ غوَّاص على بحار الحقائق، وهيهات طلب الكيفية حيث يستحيل محال.

والذي يدحض شبههم أن يقال لهم: قبل أن يخلق العالم أو المكان هل كان موجودا أم لا؟ فمن ضرورة العقل أن يقول: بلى، فيلزمه لو صح قوله: لا يعلم موجودا إلا في مكان، أحد أمرين: إما أن يقول: المكان والعرش والعالم قديم، وإما أن يقول: الرب تعالى محدث، وهذا مآل الجهلة الحشوية ليس القديم بالمحدث والمحدث بالقديم. ونعوذ بالله من الحَيْـرة في الدين» اهـ.

وقال في موضع ءاخر ما نصه[3]: «وقال السبكي: صانع العالم لا يكون في جهة لأنه لو كان في جهة لكان في مكان ضرورةَ أنها المكان أو المستلزمة له، ولو كان في مكان لكان مُتحيزًا ولو كان مُتحيزًا لكان مُفتقرًا إلى حيزه ومكانه فلا يكون واجب الوجود وثبت أنه واجب الوجود وهذا خلف. وأيضًا فلو كان في جهة فإما في كل الجهات وهو محال وشنيع وإما في البعض فيلزم الاختصاص المستلزم للافتقار إلى المخصص المنافي للوجوب» اهـ.

---

(١) أي القول بجوازه.

(٢) المراد بالكون الحركة والسكون والاجتماع والافتراق.

(٣) إتحاف السادة المتقين (٢/ ١٠٤).

وقال أيضًا ما نصه(١): «تنبيه:هذا المعتقد لا يخالف فيه بالتحقيق سُني لا محدث ولا فقيه ولا غيره ولم يجئ قط في الشرع على لسان نبي التصريح بلفظ الجهة، فالجهة بحسب التفسير المتقدم منفية معنًى ولفظًا، وكيف لا والحق يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ ولو كان في جهة بذلك الاعتبار لكان له أمثال فضلا عن مثل واحد» انتهى كلام الزبيدي.

**وممن صرّح(٢) بنفي الحد والجهة والمكان والجلوس والاستقرار على العرش في حق الله، من أئمة السلف والخلف:**

الإمام جعفر الصادق [١٤٨هـ] عليه السلام فإنه قد قال: «من زعم أن الله في شيء، أو من شيء، أو على شيء، فقد أشرك، إذ لو كان على شيء لكان محمولا، ولو كان في شيء لكان محصورًا، ولو كان من شيء لكان محدثًا»(٣) اهـ.أي مخلوقا.

وقال الإمام أبو حنيفة [١٥٠هـ] رضي الله عنه في كتابه «الوصية»: «نقرّ بأن الله على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة إليه واستقرار عليه، وهو الحافظ للعرش وغير العرش، فلو كان محتاجا لـمَا قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوق، ولو صار محتاجا إلى الجلوس والقرار، فقبل خلق العرش أين كان الله تعالى، فهو منزه عن ذلك علوا كبيرا(٤)» اهـ.

---

(١) إتحاف السادة المتقين(٢/ ١٠٥).

(٢) وما سنذكره غيض من فيض. فمن يحصي نجوم السماء!!

(٣) ذكره الأستاذ أبو القاسم القشيري في الرسالة القشيرية (ص/ ٦، دار الكتاب العربي)، والإمام الباقلاني في الإنصاف (ص/ ٤٠، المكتبة الأزهرية للتراث)، والإمام الرفاعي في البرهان المؤيد (ص/ ١٨،شركة دار المشاريع)، وغيرهم.

(٤) نقله الشيخ ملّا علي القاري (١٠١٤هـ) في «شرح الفقه الأكبر» (ص/ ١٢٦، دار البشائر). وفي كتاب شرح وصية الإمام أبي حنيفة للعلامة أكمل الدين البابرتي الحنفي (٧٨٦هـ) (ص/ ٩٧، دار الفتح للدراسات والنشر): قال - أبو حنيفة - نقرّ بأن الله على العرش استوى من غير أن تكون له حاجة إليه واستقرار عليه، وهو حافظ العرش وغير العرش من غير احتياج، فلو كان محتاجا لـمَا قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوقين، ولو صار محتاجا إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا» اهـ وكذا في الجوهرة المنيفة في شرح =

ونص الإمام الشافعي [٢٠٤هـ] على تكفير من يعتقد أن الله جالس على العرش اهـ.حكاه عن نصه القاضي حسين[1]. ونقله الإمام أحمد بن الرفعة المصري الشافعي [٧١٠هـ] في كتابه «كفاية النبيه شرح التنبيه»[2] اهـ.

وقال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه [٢٤١هـ] بتكفير من قال عن الله: جسم، ومن قال: جسم لا كالأجسام[3] اهـ.

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري [٣٢٤هـ] رضي الله عنه في كتابه النوادر[4]: من اعتقد أن الله جسم فهو غير عارف بربه وإنه كافر به» اهـ.

وقال الإمام الأشعري: كان - الله - ولا مكان فخلق العرش والكرسي ولم يحتج إلى مكان وهو بعد خلق المكان كما كان قبل خلقه[5] اهـ.رادا ما قالته النجارية إن البارئ سبحانه بكل مكان من غير حلول ولا جهة، وما قالته الحشوية والمجسمة إنه سبحانه حال في العرش وأن العرش مكان له وهو جالس عليه.

وقال إمام أهل السنة أبو منصور الماتُريدي [٣٣٣هـ] رضي الله عنه في كتاب التوحيد ما نصه[6]: «إن الله سبحانه كان ولا مكان، وجائز ارتفاع الأمكنة وبقاؤه على ما كان، فهو على ما كان، وكان على ما عليه الآن، جلَّ عن التغيّر والزوال

---

= وصية الإمام أبي حنيفة (ص/ ٦٢، دائرة المعارف النظامية)، لملا حسين بن اسكندر الحنفي.

(١) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٦١ - ٢٦٢، مؤسسة الرسالة): «وكان من أوعية العلم، وكان يلقب بحبر الأمة. مات القاضي حسين بمرو الروذ في المحرم سنة اثنتين وستين وأربعمائة» اهـ.

(٢) كفاية النبيه شرح التنبيه (٤/ ٢٤، دار الكتب العلمية) وذكره أيضًا ابن المعلم القرشي في كتابه نجم المهتدي ورجم المعتدي (ص/ ٥٥١).

(٣) نقل ذلك عنه عدد من العلماء، منهم القرافي وابن حجر الهيتمي والزركشي وصاحب الخصال من الحنابلة وغيرهم كما سيمر.

(٤) نقله البياضي الحنفي في إشارات المرام (ص/ ٢٠٠، زمزم ببلشرز) وقال: كما في شرح الإرشاد لأبي القاسم الأنصاري. اهـ

(٥) انظر تبيين كذب المفتري للحافظ ابن عساكر (ص/ ١٥٠، دار الفكر).

(٦) كتاب التوحيد (ص/ ١٣٢، دار صادر).

والاستحالة» اهـ. يعني بالاستحالة التحوّل والتطور والتغير من حال إلى حال وهذا منفيٌّ عن الله ومستحيل عليه سبحانه وتعالى. وقال الإمام أبو منصور الماتريدي أيضا[1]: «ثم القول بالكون على العرش - وهو موضع - بمعنى كونه بذاته أو في كل الأمكنة لا يَعدو من إحاطة ذلك به أو الاستواء به أو مجاوزته عنه وإحاطته به. فإن كان الأوّلَ فهو إذًا محدودٌ محاطٌ منقوصٌ عن الخلق إذ هو دونه، ولو جاز الوصف له بذاته بما يحيط به من الأمكنة لجاز بما يحيط به من الأوقات فيصير متناهيًا بذاته مُقصّرًا عن خلقه. وإن كان على الوجه الثاني فلو زِيدَ على الخلق لا ينقص أيضًا وفيه ما في الأول. وإن كان على الوجه الثالث فهو الأمر المكروه الدال على الحاجة وعلى التقصير من أن ينشىء ما لا يفضل عنه مع ما يُذم ذا من فعل الملوك أن لا يفضل عنهم من المعامد شيء. وبعد، فإن في ذلك تجزئة بما كان بعضه في ذي أبعاض، وبعضه يفضل عن ذلك، وذلك كله وصف الخلائق، والله يتعالى عن ذلك. وبعد، فإنَّه ليس في الارتفاع إلى ما يعلو من المكان للجلوس أو القيامِ شرف ولا علو ولا وصف بالعظمة والكبرياء كمن يعلو السطوح أو الجبال إنه لا يستحق الرفعة على من دونه عند استواء الجوهر فلا يجوزُ صرف تأويل الآية إليه مع ما فيها من ذكر العظمة والجلال إذ ذكر في قوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[2] فذلك على تعظيم العرش أي شيء كان من نورٍ أو جوهرٍ لا يبلغه علم الخلق» اهـ.

وقال الإمام أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي الشافعي [٤٠٣هـ] في كتاب المنهاج في شعب الإيمان ما نصه[3]: «وأما البراءة من التشبيه بإثبات أنه -تعالى- ليس بجوهر ولا عرض، فلأن قومًا زاغوا عن الحق فوصفوا الباريء جل ثناؤه ببعض صفات المحدَثين، فمنهم من قال: إنه جوهر، ومنهم من قال:

---

(١) كتاب التوحيد (ص/ ١٣٣-١٣٤).

(٢) سورة يونس/ ءاية ٣.

(٣) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ١٨٤، دار الفكر).

إنه جسم، ومنهم من أجاز أن يكون على العرش كما يكون الملك على سريره، وكان ذلك في وجوب اسم الكفر لقائله كالتعطيل والتشريك. فإذا أثبت المثبت أنه ليس كمثله شيء، وجماع ذلك أنه ليس بجوهر ولا عرض فقد انتفى التشبيه، لأنه لو كان جوهرًا أو عرضًا لجاز عليه ما يجوز على سائر الجواهر والأعراض، ولأنه إذا لم يكن جوهرًا ولا عرضًا لم يجز عليه ما يجوز على الجواهر من حيث إنها جواهر كالتآلف والتجسم وشغل الأمكنة والحركة والسكون، ولا ما يجوز على الأعراض من حيث إنها أعراض كالحدوث وعدم البقاء» اهـ.

قال الإمام أبو الحسن علي بن خلف بن بطال [٤٤٩هـ] في شرحه على صحيح البخاري[١]: لقيام الدليل على استحالة وصفه بأنه ذو جوارح وأعضاء. خلافًا لما تقوله المجسمة من أنه جسمٌ لا كالأجسام، واستدلوا على ذلك بهذه الآيات كما استدلوا بالآيات المتضمنة لمعنى الوجه واليدين، ووصفه لنفسه بالإتيان والمجيء والهرولة فى حديث الرسول، وذلك كله باطل وكفر من متأوله؛ لقيام الدليل على تساوى الأجسام فى دلائل الحدث القائمة بها واستحالة كونه من جنس المحدَثات اهـ.

وقال الحافظ الإمام أبو بكر البيهقي [٤٥٨هـ] في كتابه «الاعتقاد» ما نصه[٢]: «وفي الجملة يجب أن يُعلم أن استواء الله سبحانه وتعالى ليس باستواء اعتدال عن اعوجاج ولا استقرار في مكان، ولا مماسة لشيء من خلقه، لكنه مستو على عرشه كما أخبر بلا كيف بلا أين، بائن من جميع خلقه، وأن إتيانه ليس بإتيان من مكان إلى مكان، وأن مجيئه ليس بحركة، وأن نزوله ليس بنُقلة، وأن نفسه ليس بجسم، وأن وجهه ليس بصورة، وأن يده ليست بجارحة، وأن عينه ليست بحدقة، وإنما هذه أوصاف جاء بها التوقيف، فقلنا بها ونفينا عنها التكييف، فقد قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، وقال: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، وقال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾» اهـ.

---

(١) انظر الكتاب (١٠/ ٤٣٢، مكتبة الرشد).

(٢) الاعتقاد (ص/ ٤٤، دار العهد الجديد).

وقال في كتابه «شعب الإيمان»[1] ما نصه: «وأما البراءة من التشبيه بإثبات أنه ليس بجوهر ولا عرض، فلأنّ قوما زاغوا عن الحق، فوصفوا الباري -جل وعزّ- ببعض صفات المحدَثين. فمنهم من قال: إنه جوهر. ومنهم من قال: إنه جسم. ومنهم من أجاز أن يكون على العرش قاعدا، كما يكون الـمَلِك على سريره. وكلّ ذلك في وجوب اسم الكفر لقائله كالتعطيل والتشريك.» اهـ

وذكر الشيخ الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي [٤٧٦هـ] صاحب «التنبيه» عقيدة أهل الحق فقال في كتابه: «الإشارة إلى مذهب أهل الحق»[2] ما نصه: «أن الله عز وجل مستو على العرش، قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[3]، وأن استواءه ليس باستقرار ولا ملاصقة لأن الاستقرار والملاصقة صفة الأجسام المخلوقة، والرب عز وجل قديم أزلي لا يجوز عليه التغير ولا التبديل ولا الانتقال ولا التحريك، والعرش مخلوق لم يكن فكان، قال الله عز وجل: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[4] فلو أن المراد بالاستواء الاستقرار والملاصقة، لأدى إلى تغير الرب وانتقاله من حال إلى حال، وهذا محال في حق القديم» اهـ.

وقال إمام الحرمين عبد الملك الـجُوَيني [ت٤٧٨هـ] في كتابه «الإرشاد»[5]: «ثم الاستواء بمعنى الاستقرار بالذات ينبئ عن اضطراب واعوجاج سابق، والتزام ذلك كفر» اهـ.

قال الفقيه المتكلم أبو حامد الغزالي [٥٠٥هـ] في كتابه «إحياء علوم الدين»[6]

---

(١) انظر الكتاب (١/ ١٠٤، دار الكتب العلمية).

(٢) الإشارة إلى مذهب أهل الحق في أصول الاعتقاد (ص/ ١٥٠)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، مصر.

(٣) سورة يونس/ ءاية ٣.

(٤) سورة النمل/ ءاية ٢٦.

(٥) كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة (ص/ ٤١).

(٦) إحياء علوم الدين (١/ ١٥٤ - ١٥٥).

ما نصه: وأنه -تعالى- ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر، وأنه لا يماثل الأجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام، وأنه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر، ولا بعرض ولا تحله الأعراض، بل لا يماثل موجودا ولا يماثله موجود، ليس كمثله شيء ولا هو مثل شيء، وأنه لا يحده المقدار، ولا تحويه الأقطار، ولا تحيط به الجهات، ولا تكتنفه الأرضون ولا السموات، وأنه مستو على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده، استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال، لا يحمله العرش، بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته، ومقهورون في قبضته، وهو فوق العرش والسماء، وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قربا إلى العرش والسماء كما لا تزيده بعدا عن الأرض والثرى، بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء كما أنه رفيع الدرجات عن الأرض والثرى، وهو مع ذلك قريب من كل موجود، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد، وهو على كل شيء شهيد، إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام كما لا يماثل ذاته ذات الأجسام، وأنه لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء، تعالى عن أن يحويه مكان كما تقدس عن أن يحده زمان، بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان، وأنه بائن عن خلقه بصفاته، ليس في ذاته سواه ولا في سواه ذاته، وأنه مقدس عن التغير والانتقال، لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض اهـ.

وقال الإمام أبو المعين النسفي [٥٠٨هـ] في كتابه بحر الكلام ما نصه[1]: الله تعالى كان قبل أن يخلق العرش فلا يجوز أن يقال بأنه انتقل وجهه إلى العرش، لأن الانتقال من صفات المخلوقين وأمارات المحدثين والله منزه عن ذلك، ولأن من قال بالاستقرار على العرش فلا يخلو إما أن يقول بأنه مثل العرش أو العرش أكبر منه، أو هو أكبر من العرش، وأيًا ما كان فقائله كافر، لأنه جعله محدودا اهـ.

وقال الإمام أبو القاسم الأنصاري النيسابوري [٥١١هـ] شارح كتاب

---

(١) بحر الكلام (ص/ ١١٧).

الإرشاد[1] لإمام الحرمين، بعد كلام في الاستدلال على نفي التحيز في الجهة عن الله تعالى ما نصه: «ثم نقول سبيل التوصل إلى دَركِ المعلومات الأدلة دون الأوهام، ورُب أمر يتوصل العقل إلى ثبوته مع تقاعد الوهم عنه، وكيف يدرِك العقل موجودًا يحاذي العرش مع استحالة أن يكون مثل العرش في القدر أو دونه أو أكبر منه، وهذا حكمُ كلّ مختص بجهة. ثم نقول الجوهر الفرد[2] لا يتصور في الوهم وهو معقول بالدليل، وكذلك الوقت الواحد والأزل والأبد، وكذلك الروح عند من يقول إنه جسم، ومن أراد تصوير الأرض والسماء مثلًا في نفسه فلا يتصور له إلا بعضها، وكذلك تصوير ما لا نهاية له من معلومات الله تعالى ومقدوراته، فإذا زالت الأوهام عن كثير من الموجودات فكيف يُطْلَبُ بها القديم سبحانه الذي لا تشبهه المخلوقات فهو سبحانه لا يُتصور في الوهم فإنه لا يُتصور إلا صورةٌ ولا يُتَقَدَّرُ إلا مُقَدَّرٌ، قال الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ومن لا مثل له لا يتمثل في الوهم، فمن عرفه عرفه بنعت جلاله بأدلة العقول وهي الأفعال الدالة عليه وعلى صفاته، وقد قيل في قوله تعالى ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ إليه انتهى فكر من تفكَّر، هذا قول أبيّ بن كعب وعبد الرحمٰن بن أنْعُم، وروى أُبيّ بن كعب عن النبي ﷺ «**لا فِكْرَةَ في الرب**»[3] وروى أنس أن النبي ﷺ قال «**إذا ذُكر الله تعالى فانتهوا**»، وقال «**تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق**» اهـ. ثم قال: لا كيفية للأزلي ولا حيث لهُ وكذلك لا كيفية لصفاته اهـ. وقال: «من لا جهة له لا يشار إليه بالجهة ومن لا مثل له لا إيضاح له بالمثال، ومن لا أَشْكَالَ له فلا إشْكَال فيه. اهـ

---

(١) شرح الإرشاد (ق/ ٥٨ - ٦٠)، مخطوط.

(٢) الجوهر الفرد هو الجزء الذي لا يتجزأ لتناهيه في القلة وسمي جوهرًا لأن الجسم يتركب من جوهرين فردين فأكثر.

(٣) قال الحافظ السيوطي (٩١١هـ) في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (١٤/ ٤٩، مركز هجر): أخرج الدارقطني في الأفراد والبغوي في تفسيره عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ قال: **لا فكرة في الرب**. اهـ

وقال الإمام أبو الوفاء علي بن عقيل البغدادي شيخ الحنابلة في زمانه [٥١٣هـ] ما نصه[١]: «تعالى الله أن يكون له صفة تشغل الأمكنة، هذا عين التجسيم، وليس الحق بذي أجزاء وأبعاض فيعالج بها» اهـ.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي الأندلسي [ت٥٤٣هـ] في كتابه «عارضة الأحوذي»[٢] في الرد على المبتدعة الذين يزعمون أن الله في جهة فوق العرش: «قالوا -أي هؤلاء المبتدعة - وحجتهم ظاهر قول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[٣] قلنا: وما العرش في العربية؟ وما الاستواء؟ قالوا: كما قال الله تعالى: ﴿لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾[٤] قلنا: إن الله، تعالى أن يمثل استواؤه على عرشه باستوائنا على ظهور الركاب، قالوا: وكما قال: ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّ﴾[٥] قلنا: تعالى الله أن يكون كالسفينة جرت حتى لمست فوقفت، قالوا: وكما قال: ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ﴾[٦] قلنا: معاذ الله أن يكون استواؤه كاستواء نوح وقومه لأن هذا كله استواء مخلوق بارتفاع وتمكن في مكان واتصال ملامسة، وقد اتفقت الأمة مِن قبل سماع الحديث ومن بعده على أنه ليس استواؤه على شىء من ذلك، فلا يضرب له المثل بشىء من خلقه، قالوا: قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾[٧]، ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾[٨] قلنا: تناقضت تارة تقول إنه على العرش فوق السماء ثم تقول إنه في السماء لقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[٩] وقلتَ إنَّ معناه على السماء...» اهـ، إلى ءاخر كلامه في الرد على من أثبت الجهة.

---

(١) دفع شبه التشبيه، الحديث الحادي عشر (ص/ ٤٣).
(٢) عارضة الأحوذي (٢/ ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦، دار الكتب العلمية).
(٣) سورة طه/ ءاية ٥.
(٤) سورة الزخرف/ ءاية ١٣.
(٥) سورة هود/ ءاية ٤٤.
(٦) سورة المؤمنون/ ءاية ٢٨.
(٧) سورة السجدة/ ءاية ٤.
(٨) سورة البقرة/ ءاية ٢٩.
(٩) سورة الملك/ ءاية ١٦.

ثم قال: «والذي يجب أن يعتقد في ذلك أن الله كان ولا شيء معه ثم خلق المخلوقات من العرش إلى الفرش فلم يتعين بها ولا حدث له جهة منها ولا كان له مكان فيها فإنه لا يـَحُول ولا يزول، قدوس لا يتغير ولا يستحيل. وللاستواء في كلام العرب خمسة عشر معنى ما بين حقيقة ومجاز، منها ما يجوز على الله فيكون معنى الآية ومنها ما لا يجوز على الله بحال وهو ما إذا كان الاستواء بمعنى التمكن أو الاستقرار أو الاتصال أو المحاذاة فإن شيئا من ذلك لا يجوز على البارئ تعالى ولا يضرب له الأمثال في المخلوقات، وإما أن لا يُفَسَّر كما قال مالك وغيره إن الاستواء معلوم يعني مورده في اللغة» اهـ، ثم قال: «فتحصل لك من كلام إمام المسلمين أن الاستواء معلوم وأن ما يجوز على الله غير متعين وما يستحيل عليه هو منزه عنه» اهـ

وقال الإمام العارف بالله السيد أحمد الرفاعي [٥٧٨هـ] في كتابه «البرهان المؤيد» ما نصه[1]: «وطهِّروا عقائدكم من تفسير معنى الاستواء في حقه تعالى بالاستقرار، كاستواء الأجسام على الأجسام المستلزم للحلول، تعالى الله عن ذلك. وإياكم والقول بالفوقية والسُّفْلية والمكان واليد والعين بالجارحة، والنزول بالإتيان والانتقال، فإن كل ما جاء في الكتاب والسنة مما يدل ظاهره على ما ذُكر فقد جاء في الكتاب والسنة مثله مما يؤيد المقصود» اهـ.

وقال الإمام الزاهد شيخ المشايخ أبو مدين شعيب الأندلسي [٥٩٤هـ] في عقيدته[2]: الحمد لله الذي تنزه عن الحد والأين والكيف والزمان والمكان المتكلم بكلام قديم أزلي صفة من صفاته قائم بذاته لا منفصل عنه ولا عائد إليه ولا يحُل في المحدثات ولا يجانس المخلوقات ولا يوصف بالحروف والأصوات تنزَّهت صفات ربنا عن الأرض والسموات. اللهم إنّا نُوَحِّدُك ولا نَحُدُّك ونؤمن بك ولا نكيِّفُك ونعبدك ولا نُشَبِّهُك ونعتقد أن من شبهك بخلقك لم يعرف الخالق

(١) البرهان المؤيد (ص/ ١٨، ١٧).

(٢) عن مخطوط في المكتبة الوطنية بباريس رقم ٥٤٨٥.

من المخلوق اهـ وقال فيها: القُدُّوس على العرش استوى من غير تمكن ولا جلوس. اهـ وقال: العرش له حدٌّ ومقدار والرب لا تدركه الأبصار. العرش تُكَيِّفُه خواطر العقول وتصفه بالعرض والطول وهو مع ذلك محمول. والله لا تكيفه العقول وهو الذي لا يحول ولا يزول. العرش بنفسه هو المكان وله جوانب وأركان، وكان الله ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان ليس له تحتٌ فيُقِلَّه ولا فوقٌ فيُظِلَّه ولا جوانب فتعدله ولا خلْف فيسنده ولا أمام فيحده. اهـ

وقال الحافظ عبد الرحمٰن بن الجوزي الحنبلي [ت٥٩٧هـ] في كتابه «دفع شبه التشبيه» ما نصه[١]: «الخالق سبحانه وتعالى لا يجوز أن يوصف بالجلوس على شيء فيفضل من ذلك الشيء لأن هذه صفة الأجسام» اهـ.

وقال الفخر الرازي [٦٠٦هـ] في تفسيره ما نصه[٢]: «أما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[٣] فاعلم أنه لا يمكن أن يكون المراد منه كونه مستقِرا على العرش، ويدل على فساده وجوه عقلية ووجوه نقلية، أما العقلية فأمور أولها: أنه لو كان مستقرا على العرش لكان من الجانب الذي يلي العرش متناهيا وإلا لزم كون العرش داخلا في ذاته وهو محال، وكل ما كان متناهيا فإن العقل يقضي بأنه لا يمنع أن يصير أزيد منه أو أنقص منه بذرة، والعلم بهذا الجواز ضروري. فلو كان البارئ تعالى متناهيا من بعض الجوانب لكان ذاته قابلا للزيادة والنقصان، وكل ما كان كذلك كان اختصاصه بذلك المقدار المعين بتخصيص مخصص وتقدير

---

(١) دفع شبه التشبيه (ص/ ٦٩).

(٢) التفسير الكبير (١٤/ ١٠٦)، وذكر الإمام فخر الدين الرازي في كتابه: أصول الدين، وهو الكتاب المسمّى معالم أصول الدين (ص/ ١٤٣ - ١٤٤): (المسألة العشرون: المختار عندنا أنّه لا يُكفَّرُ أحد من أهل القبلة إلاّ بدليل منفصل) بل الأقرب أنّ المُجسّمة كفّار لأنهم اعتقدوا أنّ كلّ ما لا يكون متحيزًا ولا في جهة فليس بموجود، ونحن نعتقد أنّ كلّ متحيّز فهو مُحْدَثٌ، وخالقه موجود ليس بمُتحيّز ولا في جهة، فالمُجسّمة نَفَوا ذات الشيء الذي هو الإلٰه فيلزمهم الكفر. اهـ

(٣) سورة السجدة/ ءاية ٤.

مقدّر، وكل ما كان كذلك فهو محدَث، فثبت أنه تعالى لو كان على العرش لكان من الجانب الذي يلي العرش متناهيا، ولو كان كذلك لكان محدثا وهذا محال، فكونه على العرش يجب أن يكون محالا» اهـ.

وقال الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام [٦٦٠هـ] في عقيدته المشهورة التي رد بها على مجسمة عصره ما نصه[١]: «استوى على العرش المجيد على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده، استواءً منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال، فتعالى الله الكبير المتعال عما يقول أهل الغي والضلال، بل لا يحمله العرش، بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته» اهـ.

وكان هؤلاء المجسمة يكرهون الشيخ عز الدين لأنه كان من الأشاعرة - والوهابية كذلك يكرهون الأشاعرة ويضللونهم - والأشاعرة هم أتباع الإمام أبي الحسن الأشعري وهم والماتريدية أتباع الإمام أبي منصور الماتريدي أهل السنة والجماعة جمهور أمة محمد ﷺ[٢]، فصاروا أي المشبهة يحرضون السلطان الأشرف ضد الشيخ فإنه كانت لهم صلة به، فقد صحبهم السلطان في صغره، وعلم بذلك

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٨/ ٢١٩) عند ترجمة الشيخ عز الدين.

(٢) قال المحدث العلّامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى رحمه الله في إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدّين (٢/ ٦ - ٧) ما نصه: «الفصل الثاني: إذا أطلق أهل السنة والجماعة فالمراد بهم الأشاعرة والماتريدية. قال الخيالي في حاشيته على شرح العقائد: الأشاعرة هم أهل السنة والجماعة، هذا هو المشهور في ديار خراسان والعراق والشام وأكثر الأقطار وفي ديار ما وراء النهر يطلق ذلك على الماتريدية أصحاب الإمام أبي منصور وبين الطائفتين اختلاف في بعض المسائل كمسئلة التكوين وغيرها - إلى أن قال: وذكر العز بن عبد السلام أن عقيدة الأشعري أجمع عليها الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء الحنابلة ووافقه على ذلك من أهل عصره شيخ المالكية في زمانه أبو عمرو بن الحاجب، وشيخ الحنفية جمال الدّين الحصيري، وأقرّه على ذلك التقي السبكي فيما نقله عنه ولده التاج. وفي كلام عبد الله الميورقي المتقدّم ما نصه: «أهل السنة من المالكية والشافعية وأكثر الحنفية بلسان أبي الحسن الأشعري يناضلون وبحجته يحتجّون». إلى أن قال: «ثم قال التاج السبكي: وأنا أعلم أن المالكية كلهم أشاعرة لا أستثني أحدًا، والشافعية أغلبهم أشاعرة لا أستثني إلا من لحق منهم بتجسيم أو اعتزال» اهـ.

الشيخ العلامة جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب المالكي وكان عالم مذهبه في زمانه، فقام بنصرة الحق وأهله وقال[1]: «ما قاله ابن عبد السلام هو مذهب أهل الحق وأن جمهور السلف والخلف على ذلك ولم يخالفهم فيه إلا طائفة مخذولة» اهـ.

ولم تخمد هذه الفتنة بل ظل المجسمة يعيثون في الأرض فسادا حتى علم الشيخ العلامة جمال الدين الحصيري شيخ الحنفية في زمانه بما جرى للشيخ عز الدين وكيف أن المجسمة استنصروا على أهل السنة وعلت كلمتهم بحيث إن المجسمة صاروا إذا خلوا بأهل السنة أي الأشاعرة في المواضع الخالية يسبونهم ويضربونهم ويذمونهم - وكذا الوهابية اليوم يذمون الأشاعرة ويسبونهم ويكفرونهم - فاجتمع بالسلطان وتكلم معه في بيان عقيدة أهل السنة من أن الله منزه عن الاستقرار ولا يشبهه شيء وأن كلام الله ليس بحرف ولا صوت، فانكسرت المبتدعة بعض الانكسار، ولم يزل الأمر مستمرا على ذلك إلى أن اتفق وصول السلطان الملك الكامل رحمه الله تعالى من الديار المصرية وكان اعتقاده صحيحا، وكان وهو بالديار المصرية قد سمع ما جرى في دمشق للشيخ، فرام الاجتماع بالشيخ ابن عبد السلام فاعتذر إليه، وعاتب السلطان الأشرف على ما صدر منه، وهكذا ذلت رقاب المبتدعة وانقلبوا خائبين وعادوا خاسئين، وكان ذلك على يد السلطان الملك الكامل، واعتذر السلطان الأشرف من الشيخ وقال[2]: «لقد غلطنا في حق ابن عبد السلام غلطة عظيمة» اهـ.

فصار يطلب أن يُقرأ عليه العقيدة التي أملاها الشيخ ابن عبد السلام ويأمر بقراءتها في المجالس العامة لتعم الفائدة.

فرحم الله تعالى من عمل على نشر عقيدة أهل الحق ودافع عنها فإنها رأس مال المؤمن التي يدخرها لآخرته.

وقال الشيخ إسماعيل بن إبراهيم الشيباني الحنفي [٦٢٩هـ] ما نصه: «فكان

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٨/ ٢٣٠).
(٢) طبقات الشافعية الكبرى (٨/ ٢٣٩).

القول بالمكان والتمكن ردا لهذا النص المحكم: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ الذي لا احتمال فيه، وردّ مثله يكون كفرا»[1] اهـ.

وقال الإمام أحمد بن عليّ الرازي الحنفي في كتابه «شرح بدء الأمالي»[2]: وقالت الـمُشبّهة والكرامية: (عن الله) هو جسم لا كالأجسام، كما يُقال هو شيء لا كالأشياء. قلنا: الله تعالى مُنزّه عن الشبيه والنظير. والجسم اسم لذات الصورة، والله تعالى لا صورة له، وهو خالق الصورة لقوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[3] وكلّ ما تصوّر في وهم فالله تعالى بخلافه اهـ.

وقال الإمام أبو علي السكوني الإشبيلي [ت٧١٧هـ] في كتاب «أربعون مسألة في أصول الدين»[4]: فمن قال أطرد الشاهد غائبا من غير رابط يجمع بينهما فقد ألحد في دين الله، لأنه يقول لـم أعرف موجودا في الشاهد إلا في جهة، والبارىء تعالى موجود فهو في جهة، فهذا كفر، لأنه طرد من غير شرط» اهـ.

وقد قال المفسر اللغوي أبو حيان الأندلسي [٧٤٥هـ] في تفسيره ما نصه[5]: «وأما استواؤه تعالى على العرش فحَمَلَه على ظاهره من الاستقرار بذاته على العرش قوم، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا» اهـ.

وقال الحافظ الفقيه اللغوي تقي الدين السبكي [٧٥٦هـ] في «السيف الصقيل» ما نصه[6]: «ومن أطلق القعود وقال: إنه لم يرد صفات الأجسام، قال شيئا لم تشهد به اللغة فيكون باطلا وهو كالمقر بالتجسيم المنكر له فيؤاخذ بإقراره ولا يفيد إنكاره» اهـ.

---

(١) شرحه على العقيدة الطحاوية المسمى البيان اعتقاد أهل السنة والجماعة (ص/ ٤٥)، دار الرشيد.

(٢) شرح بدء الأمالي (ص/ ٢٠١ وما بعدها، دار الكتب العلمية) وفي كتاب الشهادات من كتاب الإختيار لتعليل المختار (٢/ ١٤٩، دار الكتب العلمية) لعبد الله بـن محمود الموصلي الحنفي (٦٨٣هـ): ولا تُقبل شهادة الـمُجسّمة لأنهم كفرة. اهـ

(٣) سورة غافر/ ءاية ٦٤.

(٤) كتاب «أربعون مسألة في أصول الدين» (ص/ ٦٥)، دار الغرب الإسلامي.

(٥) النهر الماد (١/ ٨٠٩)، دار الجنان.

(٦) «السيف الصقيل» (ص/ ٧٧)، المكتبة الأزهرية للتراث.

وقال الذهبي [٧٤٨هـ] في كتابه «الكبائر» ما نصه[١]: «ولو قال إن الله جلس للإنصاف أو قام للإنصاف كفر» اهـ.

وقال الإمام سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعيُّ المعروف بابن المُلقن [٨٠٤هـ] في كتابه «التوضيح لشرح الجامع الصحيح»[٢]: لقيام الدليل على استحالة وصفه بأنه ذو جوارح وأعضاء. تعالى عن ذلك، خلافًا لما تقوله المجسمة من أنه جسمٌ لا كالأجسام، واستدلوا على ذلك بهذه الآيات كما استدلوا بالآيات المتضمنة لمعنى الوجه واليدين، ووصفه لنفسه بالإتيان والمجيء والهرولة فى حديث الرسول، وذلك كله باطل وكفر من متأوله؛ لقيام الدليل على تساوى الأجسام فى دلائل الحدث القائمة بها واستحالة كونه من جنس المحدَثات اهـ.

وقال الشيخ تقي الدين الحصني [٨٢٩هـ] في كتابه «دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل أحمد» ما نصه[٣]: «فإن الفوقية باعتبار المكان لا تكون بالضرورة إلا في الأجرام والأجسام مركبة كانت أو بسيطة، والرب سبحانه وتعالى منزه عن ذلك إذ هو من صفات الحدث» اهـ.

وقال الشيخ تقي الدين الحصني[٤]: «الكيف من صفات الحدث، وكل ما كان من صفات الحدث فالله عز وجل منزه عنه، فإثباته له سبحانه كفر محقق عند جميع أهل السنة والجماعة» اهـ.

وقال الشيخ تقي الدين الحصني في كتابه كفاية الأخيار[٥]: «إلا أن النووي

---

(١) الكبائر (ص/ ١١٨)، مكتبة الكليات الأزهرية.

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٣٣/ ٢٥٦)، وزارة الأوقاف في قطر.

(٣) دفع شبه من شبه وتمرد (ص/ ٢٥)، مكتبة الأزهرية للتراث.

(٤) دفع شبه من شبه وتمرد (ص/ ٣١ - ٣٢).

(٥) كفاية الأخيار (٢/ ٢٠٢)، دار الفكر، ويقول ولّي الدين أبو زرعة العراقي في كتاب تحرير الفتاوى على التنبيه والمنهاج والحاوي، المُسمّى: النكت على المختصرات الثلاث(١/ ٣٤٣)، دار المنهاج في شرح المُهذّب جزم بتكفير المجسّمة. اهـ

جزم في صفة الصلاة من شرح المهذب بتكفير المجسمة[1]، قلت: وهو الصواب الذي لا محيد عنه، إذ فيه مخالفة صريح القرءان، قاتل الله المجسمة والمعطلة، ما أجرأهم على مخالفة من ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ وفي هذه الآية رد على الفرقتين» اهـ.

وقال الكمال بن الهمام الحنفي [٨٦١هـ] في «فتح القدير»[2] عمن قال عن الله جسم لا كالأجسام: وقيل يكفر بمجرد الإطلاق أيضًا وهو حسن بل هو أولى بالتكفير» اهـ.

وقال شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني [٨٩٣هـ] في كتابه الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع[3]: شارحا عبارة: «ولا نكفر أحدا من أهل القبلة»، ما نصه: «أقول هذا كلام قد اشتهر بين الناس، ونقل عن الأئمة مثل الشافعي وأبي حنيفة، وليس على إطلاقه؛ إذ المجسم كافر، وإن صام وصلى» اهـ.

وقال الحافظ السيوطي [٩١١هـ] في الأشباه والنظائر[4]: «قاعدة: قال الشافعي: لا يكفر أحد من أهل القبلة، واستثنى من ذلك المجسم، ومنكر علم الجزئيات» اهـ.وقال الإمام المحدث محمد بن علي بن عراق الكناني الشافعي (٩٣٣هـ): اللهم إنا نوحدك ولا نحدك، ونؤمن بك ولا نكيفك، جل ربنا وعلا تبارك وتعالى، حياته ليس لها بداية فالبداية بالعدم مسبوقة، قدرته ليس لها نهاية فالنهاية بالتحقيق ملحوقة، إرادته ليست بحادثة فالحادثة بالأضداد مطروقة، سمعه ليس بجارحة فالجارحة مخروقة، بصره ليس بحدقة فالحدقة مشقوقة، علمه ليس بكسبي فالكسبي بالتأمل والاستدلال بعلم، ولا بضروري فالضرورة على الإرادة والإلزام تلزم، كلامه ليس بصوت فالأصوات توجد وتُعدم، ولا بحرف فالحروف تُؤخّر وتُقدّم، ذاته ليست بـجوهر، فالجوهر بالتحيّز معروف،

(١) المجموع شرح المهذب (٤/ ٢٥٣)، دار الفكر.
(٢) فتح القدير (١/ ٣٦٠)، دار الكتب العلمية.
(٣) الدرر اللوامع (ص/ ٦٥٦)، دار صادر.
(٤) الأشباه والنظائر (٢/ ٢٤٥)، مكتبة نزار مصطفى الباز.

ولا بعَرَض فالعرض باستحالة البقاء موصوف، ولا بجسم فالجسم بالجهات محفوف، هو الله الذي لا إلـٰه إلاّ هو الملك القدّوس على العرش استوى من غير تمكّن ولا جلوس، لا العرش له من قِبَل القرار ولا الاستواء من جهة الاستقرار، العرش له حدٌّ ومقدار، والربُّ لا تُدركه الأبصار، العرش تُكيّفه خواطر العقول وتصفه بالعرض والطول، وهو مع ذلك محمول، والقديم لا يحول ولا يزول، العرش بنفسه هو المكان، وله جوانب وأركان، وكان الله ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان. جَلَّ عن التشبيه والتقدير والتكييف والتغيير والتأليف والتصوير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1] اهـ.

وقال الشيخ ابن حجر الهيتمي [٩٤٧هـ] في «المنهاج القويم» ما نصه[2]: «واعلم أن القرافي وغيره حكوا عن الشافعي ومالك وأحمد وأبي حنيفة رضي الله عنهم القول بتكفير القائلين بالجهة والتجسيم وهم حقيقون بذلك» اهـ أي جديرون بالحكم عليهم بالكفر.

وقال الشيخ ملا علي القاري الحنفي [١٠١٤هـ] في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ما نصه[3] بل قال جمع منهم -أي من السلف- ومن الخلف إن معتقد الجهة كافر كما صرح به العراقي، وقال: إنه قول لأبي حنيفة ومالك والشافعي والأشعري والباقلاني» اهـ.

وقال الشيخ عبد الرؤوف المناوي [١٠٣١هـ] في كتابه «فيض القدير» ما نصه[4]: «أما من كُفِّر بها (ببدعته) كمنكر العلم بالجزئيات، وزاعم التجسيم أو الجهة أو الكون أو الاتصال بالعالم أو الانفصال عنه فلا يوصف عمله بقبول ولا رد لأنه أحقر من ذلك» اهـ.

---

(١) انظر كتاب تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر لعبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس (ت٩٧٨هـ) (ص/ ٢٥٨)، دار صادر، وقد شرح هذه العقيدة ابن حجر الهيتمي. اهـ

(٢) المنهاج القويم (ص/ ٦٩)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

(٣) مرقاة المفاتيح (٢/ ١٣٧)، مؤسسة التاريخ العربي.

(٤) فيض القدير (١/ ٧٢)، دار المعرفة.

وقال المحقق عبد الرحمن بن محمد بن سليمان الكليبولي [١٠٧٨هـ] في «مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر»[١]: «ويكفر بقوله: الله تعالى جلس للانصاف أو قام به، لأنه وصف الله تعالى بالقيام والقعود، وبوصفه تعالى بالفوق والتحت» اهـ.

وقال محمد بدر الدين بن بلبان الحنبلي الدمشقي [١٠٨٣هـ] في كتابه «مختصر الإفادات في ربع العبادات والآداب وزيادات» ما نصه[٢]: «ويجب الجزم بأنه سبحانه ليس بجوهر ولا جسم ولا عَرَض لا تحله الحوادث ولا يحل في حادث ولا ينحصر فيه، فمن اعتقد أو قال إن الله بذاته في كل مكان أو في مكان فكافر. فيجب الجزم بأنه سبحانه بائن من خلقه، فالله تعالى كان ولا مكان، ثم خلق المكان وهو كما كان قبل خلق المكان، ولا يعرفُ بالحواس، ولا يقاس بالناس، ولا مدخل في ذاته وصفاته للقياس، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، فهو الغني عن كل شيء، ولا يستغني عنه شيء، ولا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء، فمن شبَّهه بشيء من خلقه فقد كفر كمن اعتقده جسمًا أو قال إنه جسم لا كالأجسام، فلا تبلغه سبحانه الأوهام ولا تدركه الأفهام ولا تضرب له الأمثال» اهـ.

وقال الشيخ عبد الغني النابلسي الحنفي [١١٤٣هـ] في «الفتح الرباني»[٣]: ما نصه: «وأما أقسام الكفر فهي بحسب الشرع ثلاثة أقسام ترجع جميع أنواع الكفر إليها، وهي: التشبيه، والتعطيل، والتكذيب. وهي أصول ثلاثة من أصول الكفر، لا يدخل الإنسان في مرتبة عوام المسلمين إلا بعد تبرئته منها ظاهرا وباطنا، ومن وجد عنده شيء منها، فليعلم أنه كافر وليس مؤمنا، ولا يغره بالله الغرور. النوع الأول: التشبيه: التشبيه هو الاعتقاد بأن الله تعالى يشبه شيئًا من خلقه، كالذين يعتقدون أن الله تعالى جسمٌ فوق العرش، أو يعتقدون أن له يدَين بمعنى الجارحتين، وأن له الصورة الفلانية أو على الكيفية الفلانية، أو أنه نور يتصوره

---

(١) مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر (٢/ ٥٠٥)، دار الكتب العلمية.
(٢) مختصر الإفادات (ص/ ٤٨٩ - ٤٩٠)، طبع دار البشائر الإسلامية.
(٣) أسرار الشريعة أو الفتح الرباني والفيض الرحماني (ص/ ١٩٠ - ١٩١)، دار الكتب العلمية.

العقل، أو أنه في السماء (بذاته)، أو في جهة من الجهات الست، أو أنه في مكان من الأماكن، أو في جميع الأماكن، أو أنه ملأ السموات والأرض، أو أَنَّه له الحلول في شيء من الأشياء، أو في جميع الأشياء، أو أنه متحد بشيء من الأشياء، أو في جميع الأشياء، أو أن الأشياء منحلة منه، أو شيئًا منها. وجميع ذلك كفر صريح والعياذ بالله تعالى، وسببه الجهل بمعرفة الأمر على ما هو عليه» اهـ.

وجاء في كتاب الفتاوى الهندية[1] في مذهب الإمام أبي حنيفة، (قام بتأليفها جماعة من علماء الهند برئاسة الشيخ نظام الدين البلخي) ما نصه: «يكفر بإثبات المكان لله تعالى»، وفيه: ويكفر بقوله الله تعالى جلس للانصاف أو قام له لوصفه الله تعالى بالفوق والتحت كذا في البحر الرائق اهـ.

وقال شيخ الجامع الأزهر سليم البِشْري [١٣٣٥هـ] ما نصه[2]: «مذهب الفرقة الناجية وما عليه أجمع السُّنّيون أن الله تعالى منزه عن مشابهة الحوادث، مخالف لها في جميع سمات الحدوث ومن ذلك تنزهه عن الجهة والمكان كما دلت على ذلك البراهين القطعية. ثم قال: من اعتقد أنه - تعالى - جسم أو أنه مماس للسطح الأعلى من العرش وبه قالت الكرامية واليهود وهؤلاء لا نزاع في كفرهم» اهـ.

وقال الشيخ محمود بن محمد بن أحمد خطاب السبكي المصري [١٣٥٢هـ] ما نصه[3]: «سألني بعض الراغبين في معرفة عقائد الدين والوقوف على مذهب السلف والخلف في المتشابه من الآيات والأحاديث بما نصه: ما قول السادة العلماء حفظهم الله تعالى فيمن يعتقد أن الله عز وجل له جهة، وأنه جالس على العرش في مكان مخصوص، ويقول: ذلك هو عقيدة السلف، ويحمل الناس على أن يعتقدوا هذا الاعتقاد، ويقول لهم: من لم يعتقد ذلك يكون كافرًا مستدلا بقوله تعالى:

(١) الفتاوى الهندية (٢/ ٢٥٩)، المطبعة الكبرى الأميرية.

(٢) انظر كتاب فرقان القرءان بين صفات الخالق وصفات الأكوان (ص/ ٧٤)، للشيخ سلامة القضاعي العزامي، دار إحياء التراث العربي.

(٣) إتحاف الكائنات ببيان مذهب السلف والخلف في المتشابهات (ص/ ٢ - ٤)، مطبعة الاستقامة.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾، وقوله عز وجل: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾، أهذا الاعتقاد صحيح أم باطل؟ وعلى كونه باطلا أيكفر ذلك القائل باعتقاده المذكور ويبطل كل عمله من صلاة وصيام وغير ذلك من الأعمال الدينية وتبين منه زوجه، وإن مات على هذه الحالة قبل أن يتوب لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، وهل من صدّقه في ذلك الاعتقاد يكون كافرًا مثله.....؟ فأجبت بعون الله تعالى، فقلت: بسم الله الرحمٰن الرحيم الحمد لله الهادي إلى الصواب، والصلاة والسلام على من أوتي الحكمة وفصل الخطاب، وعلى ءاله وأصحابه الذين هداهم الله ورزقهم التوفيق والسداد. أما بعد: فالحكم أن هذا الاعتقاد باطل ومعتقده كافر بإجماع من يعتد به من علماء المسلمين، والدليل العقلي على ذلك قِدَم الله تعالى ومخالفته للحوادث، والنقلي قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾، فكل من اعتقد أنه تعالى حلّ في مكان أو اتصل به أو بشيء من الحوادث كالعرش أو الكرسي أو السماء أو الأرض أو غير ذلك فهو كافر قطعًا، ويبطل جميع عمله من صلاة وصيام وحج وغير ذلك، وتبين منه زوجه، ووجب عليه أن يتوب فورًا، وإذا مات على هذا الاعتقاد والعياذ بالله تعالى لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، ومثله في ذلك كله من صدَّقه في اعتقاده أعاذنا الله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. وأما حمله الناس على أن يعتقدوا هذا الاعتقاد المكفر، وقوله لهم: من لم يعتقد ذلك يكون كافرًا، فهو كفر وبهتان عظيم» اهـ.

ثم قال الشيخ محمود محمد خطاب السبكي عقب هذه الفتوى[1]: «هذا وقد عرضت هذه الإجابة على جمع من أفاضل علماء الأزهر فأقروها، وكتبوا عليها أسماءهم، وهم أصحاب الفضيلة: الشيخ محمد النجدي شيخ السادة الشافعية. والشيخ محمد سبيع الذهبي شيخ السادة الحنابلة. والشيخ محمد العربي رزق المدرس بالقسم العالي. والشيخ عبد الحميد عمار المدرس بالقسم العالي. والشيخ علي النحراوي المدرس بالقسم العالي. والشيخ دسوقي عبد الله العربي من هيئة

(١) إتحاف الكائنات ببيان مذهب السلف والخلف في المتشابهات (ص/ ٩).

كبار العلماء. والشيخ علي محفوظ المدرس بقسم التخصص بالأزهر. والشيخ إبراهيم عيارة الدجموني المدرس بقسم التخصص بالأزهر. والشيخ محمد عليان من كبار علماء الأزهر. والشيخ أحمد مكي المدرس بقسم التخصص بالأزهر. والشيخ محمد حسين حمدان» اهـ.

وقال أيضا[1]: «فمن اعتقد أنه سبحانه وتعالى يشبه شيئا من الحوادث كالجلوس في مكان أو التحيز في جهة فهو ضال مضل كافر بالله عز وجل، نسأله تعالى السلامة من سوء الاعتقاد» اهـ.

وقال أيضا[2]: «فقد علمت مما ذكره أولئك الأئمة المحققون من الأدلة والبراهين النقلية والعقلية أن الله عز وجل لا جهة له ولا مكان ولا يمر عليه زمان، إذ هو تعالى مخالف للحوادث. وردهم على أصحاب العقائد الزائغة المكفرة المعتقدة أن الله تعالى جسم جلس على العرش أو حل في السماء، إلى غير ذلك من الكفر الصريح أجارنا الله تعالى من الضلال والإضلال وأهلها. (فمن) اعتقد أنه سبحانه وتعالى يشبه شيئا من الحوادث كالجلوس في مكان أو التحيز في جهة (فهو) ضال مضل كافر بالله عز وجل. نسأله تعالى السلامة من سوء الاعتقاد والتوفيق للعقائد الحقة التي ترضيه عز وجل» اهـ

وقال أيضا[3] عن عقيدة السلف والخلف: «اعتقادهم واحد وهو أن الآيات والأحاديث المتشابهات مصروفة عن ظاهرها الموهم تشبيهه تعالى بشيء من صفات الحوادث وأنه سبحانه وتعالى مخالف للحوادث، فليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا مستقر على عرش ولا في سماء ولا يمر عليه زمان وليس له جهة إلى غير ذلك من نعوت المخلوقين، فمن اعتقد وصفه تعالى بشيء منها فهو كافر

---

(١) إتحاف الكائنات ببيان مذهب السلف والخلف في المتشابهات (ص/ ١٦١).

(٢) إتحاف الكائنات ببيان مذهب السلف والخلف في المتشابهات (ص/ ١٦٤).

(٣) الدين الخالص أو إرشاد الخلق إلى دين الحق (١/ ٢٨)، للشيخ محمود محمد خطاب السبكي، المكتبة المحمودية السبكية.

بإجماع السلف والخلف» اهـ.

وذكر الشيخ محمد زاهد الكوثري [١٣٧١هـ] في مقالاته[1]: «أن القول بإثبات الجهة له تعالى كفر عند الأئمة الأربعة هداة الأمة كما نقل عنهم العراقي على ما في «شرح المشكاة» لعلي القاري» اهـ.

وذكر الشيخ المحدث محمد زاهد الكوثري في تعليقه[2] على كتاب الأسماء والصفات للإمام البيهقي: قال القاضي أبو بكر ابن العربي في العواصم من القواصم: فلما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ كان المطلوب هنا ثلاثة معان: معنى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾، ومعنى ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾، ومعنى ﴿ٱلۡعَرۡشِ﴾. فأما ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ فمعلوم لا خلاف فيه ولا كلام. وأما ﴿ٱلۡعَرۡشِ﴾ فهو في العربية لمعان فأيها تريدون؟ ولفظ ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾ معه محتمل لخمسة عشر معنى في اللغة فأيها تريدون، أو أيها تدعون ظاهرًا منها؟ ولِـمَ قلتم إن العرش ههنا المراد به مخلوق مخصوص؟ فادعيتموه على العربية والشريعة؟ ولم قلتم إن معنى استوى قعد أو جلس فتحكمون باتصاله به ثم تقولون إنه أكبر منه من غير ظاهر، ولم يكن عظيما بقدر جسمي حتى تقولوا إنه أكبر أجزاء منه؟ ثم تحكمهم بأنه أكبر منه بأربع أصابع، تحكم لا معنى له اهـ.

وقال المحدث ابن المعلم في نجم المهتدي: اعلم أرشدنا الله وإياك أن العلماء انقسموا في تأويل ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ قسمين: فريق أوّل التركيب، وفريق أوّل الإفراد، وهؤلاء على قسمين قسم أوّل استوى، وقسم أوّل العرش، ثم سرد ابن المعلم تلك المعاني الخمسة عشر عازيا كل معنى منها إلى قائله من الأئمة كالأشعري، وأبي منصور، وأبي إسحاق الأسفرايني، وعبد القاهر التميمي، وأبي جعفر السمناني، وإمام الحرمين وغيرهم. وتلك المعاني نحو الملك واستئثار الملك، واستواء الحكم، والاستيلاء المجرد عن معنى المغالبة، والإقبال،

---

(١) مقالات الكوثري (ص/ ٢٦٩)، المكتبة التوقيفية.

(٢) انظر الكتاب (ص/ ٣٧٧).

والقصد، والإتقان، وعلو العظمة، والعزة، وعلو القهر والغلبة، إلى غير ذلك من المعاني المذكورة[١]. ثم قال ابن المعلم[٢]: فقد ظهر لكم، أيدكم الله هذه التأويلات، فأيها ترجح عندكم فاحملوا اللفظ عليه، فإن الظاهر منفي بإجماع علماء السنة، فلله الحمد على اتباعهم. اهـ.

وقال العلامة المحدث الفقيه الشيخ عبد الله الهرري [١٤٢٩هـ] في كتابه «المقالات السنية» ما نصه[٣]: «قولهم إن استواء الله على العرش جلوس لكن لا كجلوسنا ويستشهدون لذلك بقول بعض الأئمة «لله وجه لا كوجوهنا ويد لا كأيدينا وعين لا كأعيننا». والجواب عنه: أن الجلوس في لغة العرب لا يكون إلا من صفات الأجسام، فالعرب لا تطلق الجلوس إلا على اتصال جسم بجسم على أن يكون أحد الجسمين له نصفان نصف أعلى ونصف أسفل، وليس للجلوس في لغة العرب معنى إلا هذا، وهم في هذا أثبتوا -أي الوهابية - الجسمية لله وبعض صفاتها ولا يجوز ذلك على الله لأنه لو كان كذلك لكان له أمثال لا تحصى، فالجلوس يشترك فيه الإنسان والجن والملائكة والبقر والكلب والقرد والحشرات وإن اختلفت صفات جلوسهم.

ويقال لهم: أما الوجه واليد والعين فليست كذلك فإن الوجه في لغة العرب يطلق على الجسم وعلى غير الجسم، والوجه بمعنى الجسم هو هذا الجزء الذي هو مركب في ابن ءادم وفي سائر ذوات الأرواح. وأما معنى الوجه الذي هو غير هذا الجزء في لغة العرب فمنه الـمُلك كما فسر سفيان الثوري في تفسيره[٤] والبخاري في جامعه[٥] قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[٦] قال: «إلا

---

(١) نجم المهتدي (ج/ ٥).

(٢) ما نقله الكوثري.

(٣) المقالات السنية في كشف ضلالات أحمد بن تيمية (ص/ ٢١٩ - ٢٢١)، دار المشاريع.

(٤) تفسير القرءان الكريم (ص/ ١٩٤).

(٥) صحيح البخاري: كتاب التفسير: أول سورة القصص.

(٦) سورة القصص/ ءاية ٨٨.

مُلكه» اهـ ويطلق الوجه إذا أضيف إلى الله بمعنى ما يقرب إلى الله من الأعمال كالصلاة والصيام وسائر الأعمال الصالحة. ويطلق على الذات، والذات بالنسبة إلى المخلوقين الـجِرم الكثيف أو اللطيف كحجم الإنسان وحجم النور والريح هذا معنى الذات في المخلوق، أما الذات إذا أضيف إلى الله فمعناه حقيقته لا بمعنى الحجم الكثيف أو اللطيف، وأما اليد فلها في لغة العرب معان منها ما هو أجرام وأجسام ومنها ما هو غير الأجرام، فاليد تأتي بمعنى الجارحة التي هي مركبة في الإنسان وفي البهائم، وتأتي بمعنى غير الجرم كالقوة، وتأتي بمعنى العهد. وأما العين فتطلق في لغة العرب على الجرم كعين الإنسان والحيوانات، وتطلق على الذهب، وتطلق على الجاسوس، وتطلق على الماء النابع، وتطلق بمعنى الحفظ. وبهذا بان الفرق بين الجلوس وبين الوجه واليد والعين.

فلما كانت هذه الألفاظ الثلاثة واردة في القرءان مضافة إلى الله كان لها معان غير الجسم وصفات الجسم، فأراد أبو حنيفة وغيره من الذين أطلقوا هذه العبارة «لله وجه لا كوجوهنا ويد لا كأيدينا وعين لا كأعيننا» معاني هذه الألفاظ الثلاثة التي هي غير الجسم ولا هي صفة جسم مما يليق بالله كالقوة والملك والذات والحفظ كما قال المفسرون في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾[1] قالوا: على حفظي.

ولهم -أي الوهابية- تمويه ءاخر وهو قولهم: «نثبت لله ما أثبت لنفسه وننفي عنه ما نفى عن نفسه»، يقال لهم: أنتم على عكس الحقيقة تثبتون لله الجسمية والحركة والسكون والتحيز في جهة أو مكان وهذا شىء نفاه الله عن نفسه بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[2] تدعون أن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[3] أنه جلوس على العرش والجلوس صفة للإنسان والجن والملائكة

(١) سورة طه/ ءاية ٣٩.
(٢) سورة الشورى/ ءاية ١١.
(٣) سورة طه/ ءاية ٥.

والبقر وسائر البهائم والكلاب والقرود وهذا تنقيص لله تعالى، أما الذي تنكرونه وهو تفسير الاستواء بالقهر فهو شيء أثبته الله لنفسه بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾[1]. لذلك جرت عادة المسلمين أن يسموا أولادهم عبد القاهر ولم يسم أحد من المسلمين عبد الجالس. ويقال لهم: أثبت الله لنفسه الاستواء الذي يليق به وهو القهر وفي معناه الاستيلاء. وقد قال صاحب القاموس في كتابه «بصائر ذوي التمييز» وأبو القاسم الأصبهاني اللغوي المشهور في «مفردات القرءان» إن الاستواء إذا عدي بعلى اقتضى معنى الاستيلاء[2]، ولا معنى لقول ابن الأعرابي[3] إن الاستيلاء لا يكون إلا عن سبق مغالبة[4]، فإنكم قد خرجتم عن الاستواء اللائق لله تعالى وعمدتم إلى الاستواء الذي هو لا يليق به وهو الجلوس». انتهى كلام الشيخ الهرري.

قلت: نعم عدلوا عن تأويل الاستواء بالمعنى اللائق بالله وهو القهر، إلى المعنى المستحيل شرعا وعقلا على الله تعالى، وهو الجلوس والاستقرار والمحاذاة[5]،



---

(١) سورة الرعد/ ءاية ١٦.

(٢) بصائر ذوي التمييز (٢/ ١٠٧، المكتبة العلمية) للفيروزءابادي، مفردات القرءان (ص/ ٢٥١، دار المعرفة) للأصبهاني.

(٣) على أن ابن الأعرابي ليس مجسما كالوهابية بل هو يؤول «العرش» بالمُلك كما نقل عنه الحافظ اللغوي الزبيدي في شرح القاموس (٤/ ٣٢١، المطبعة الخيرية بمصر)، وأوّل ابن الأعرابي القَدم في الحديث فقال: القدم المتقدم وكل قادم عليها يسمى قدمًا والقدم جمع قادم. اهـ نقله عنه التقي الحصني في دفع شبه من شبه وتمرد (ص/ ٢٢)، والوهابية تعتبر من يؤول معطلا. اهـ

(٤) وأما أئمة اللغة غيره فقد أثبتوا أن الاستيلاء قد يأتي مجردا عن سبق المغالبة، كالزجاج والأصبهاني والفيروزءابادي والزبيدي وغيرهم كما سيأتي.

(٥) قال الشيخ تقي الدين الحصني في دفع شبه من شبه وتمرد (ص/ ١٩): فمن جعل الاستواء على العرش بمعنى الاستقرار والتمكن فقد ساوى بينه عز وجل وبين خلقه وذلك من الأمور الواضحة التي لا يقف في تصورها بليد فضلا عمن هو حسن التصور جيد الفهم والذوق وحينئذ فلا يقف في تكذيبه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ وذلك كفر محقق. اهـ قلت: وما روي عن ابن عباس أنه فسر الاستواء بالاستقرار فهو من رواية محمد بن مروان وهو السّدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح، قال البيهقي في الأسماء والصفات (ص/ ٣٨٣): فهذه=

وهذا من مسخ القلوب. قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾[1].

ويريدون من أهل الإسلام ترك ما كان عليه النبي الكريم وأصحابه والسلف الصالح، واللحاق بركب المجسمة المشبهة كابن تيمية الحراني القائل في مجموعه[2]: «إن محمدا رسول الله يجلسه ربه على العرش معه[3]» اهـ. والقائل في كتابه بيان

---

= الرواية منكرة. اهـ ثم قال (ص/ ٣٨٤): وأبو صالح هذا والكلبي ومحمد بن مروان كلهم متروك عند أهل العلم بالحديث، لا يحتجون بشيء من رواياتهم لكثرة المناكير فيها وظهور الكذب منهم في رواياتهم. اهـ ثم قال (ص/ ٣٨٤-٣٨٥): وما تفرد به الكلبي وأمثاله يوجب الحد، والحد يوجب الحدث لحاجة الحد إلى حاد خصه به، والباريء قديم لم يزل. اهـ وهذا السند يسمى سلسلة الكذب فوجب الحذر من كتاب «تنوير المقباس من تفسير ابن عباس» فإنه كذب عليه. اهـ

(١) سورة محمد/ ءاية .

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٧٤) وروى بعض المجسمة أن المقام المحمود للنبي ﷺ هو (قعوده ﷺ مع ربه على العرش) واعتبروا من رد هذا جهميًا أو زنديقًا!! وأنه لا يؤمن بيوم الحساب. انظر طبقات الحنابلة (٣/ ٢١).

(٣) قال الله تعالى: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ المقامُ المحمودُ في الآيةِ الشريفةِ هو (الشفاعةُ العُظْمَى) كما صحَّ في الحديثِ مِن روايةِ البخاريِّ ومسلم والترمذيِّ وغيرِهم، وما يُروَى عن مُجاهِدٍ مِنْ أنّهُ ﷺ يَقْعُدُ على العرشِ، لا يصحُّ ومخالفٌ لنصِّ النبيِّ ﷺ في أنه الشفاعةُ. ويزعُمُه بعضُهم بزيادةِ لفظِ (معَ الله)، فهذا باطلٌ جدًّا، قلتُ: وهو روايةُ ليثِ بنِ أبي سُلَيم عنه، وفيه ضَعفٌ لِنَقْصٍ في حِفْظِهِ، ولَسنا مُكلَّفِينَ بقبُولِها مِنْ أجلِ رجلٍ في الاحتجاج بهِ في أحاديثِ أحكام الفقهِ كلامٌ طويلٌ، فكيفَ بمثلِ هذا الأمرِ العظيمِ، قال عبد الله بن أحمد عن أبيه: مضطرب الحديث، وقال عثمان بن أبي شيبة: سألت جريرا عن ليث ويزيد بن أبي زياد وعطاء بن السائب فقال: كان يزيد أحسنهم استقامة ثم عطاء وكان ليث أكثر تخليطا، قال عبد الله بن أحمد: سألت أبي عن هذا، فقال: أقول كما قال، وقال إبراهيم بن سعيد الجوهري عن يحيى بن معين كان يحيى بن سعيد لا يحدث عنه، وكذا قال عمرو ابن علي وابن المثنى وعلي بن المديني وزاد عن يحيى: مجاهد أحب إلي من ليث وحجاج بن أرطاة، وقال أبو معمر القطيعي: كان ابن عيينة يضعف ليث بن أبي سليم، وقال ابن أبي حاتم سمعت أبي وأبا زرعة يقولان: ليث لا يشتغل به هو مضطرب الحديث، قال: وقال أبو زرعة: ليث بن أبي سليم لين الحديث لا تقوم به الحجة عند أهل العلم بالحديث، وقال الحاكم أبو عبد الله: مجمع على=

= سوء حفظه، وقال الجوزجاني يضعف حديثه. اهـ راجع ترجمته في تهذيب التهذيب (٨/ ٤٦٥ - ٤٦٨، دائرة المعارف)، وميزان الاعتدال (٥/ ٥٠٩، دار الكتب العلمية)، وغيرهما. وقدْ رَوَى مَنْ هو أضبَطُ مِنْهُ عن مُجاهِدٍ وهو ابنُ أبي نَجِيْحٍ أنّ المقامَ المحمودَ هو الشفاعةُ العُظْمَى، قال الذهبي في سير أعلام النبلاءِ (٦/ ١٢٦، مؤسسة الرسالة): قال علي: أما التَّفْسِيرُ، فهو فيهِ ثِقَةٌ يَعْلَمُهُ، قَدْ قَفَزَ القَنْطَرَةَ، واحْتَجَّ بِهِ أَرْبابُ الصِّحَاحِ. انتهى، قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري (١١/ ٤٢٦ - ٤٢٧): قال ابن بطال: أنكرت المعتزلة والخوارج الشفاعة في إخراج من أدخل النار من المذنبين وتمسكوا بقوله تعالى ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ وغير ذلك من الآيات. وأجاب أهل السنة بأنها في الكفار، وجاءت الأحاديث في إثبات الشفاعة المحمدية متواترة ودل عليها قوله تعالى ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ والجمهور على أن المراد به الشفاعة، وبالغ الواحدي فنقل فيه الإجماع، ولكنه أشار إلى ما جاء عن مجاهد وزيفه. وقال الطبري: قال أكثر أهل التأويل المقام المحمود هو الذي يقومه النبي ﷺ ليريحهم من كرب الموقف، ثم أخرج عدة أحاديث بعضها التصريح بذلك وفي بعضها مطلق الشفاعة. اهـ قال ابن عبد البر (٤٦٣هـ) في التمهيد (١٩/ ٦٣ - ٦٤، إحياء التراث بوزراة الأوقاف، المغرب): «على هذا أهل العلم في تأويل قول الله عز وجل: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ أنه الشفاعة. وقد روي عن مجاهد أن المقام المحمود أن يقعده معه يوم القيامة على العرش، وهذا عندهم منكر في تفسير هذه الآية. والذي عليه جماعة العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين أن المقام المحمود هو المقام الذي يشفع فيه لأمته، وقد روي عن مجاهد مثل ما عليه الجماعة من ذلك، فصار إجماعا في تأويل الآية من أهل العلم بالكتاب والسنة. ذكر ابن أبي شيبة عن شبابة، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ قال: شفاعة محمد ﷺ» انتهى، وذكر الحافظ السيوطي (٩١١هـ) في كتابه تحذير الخواص من أحاديث القصاص (مخطوط ص/ ١٥): وفي بعض المجاميع أن قاصا جلس ببغداد فروى في تفسير قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ أنه يجلسه معه على عرشه فبلغ ذلك الإمام محمد بن جرير الطبري فاحتد من ذلك وبالغ في انكاره وكتب على باب داره: (سبحان من ليس له أنيس ولا له في عرشه جليس). اهـ وفي ترجمة الإمام محمد بن جرير الطبري، شيخ المفسرين (٣١٠هـ) ذكر ياقوت الحموي (٦٢٦هـ) في كتابه معجم الأدباء (٦/ ٢٤٥٠، دار الغرب الإسلامي): أن الإمام الطبري قال: وأما حديث الجلوس على العرش فمحال، ثم أنشد: سبحان من ليس له أنيس ولا له في عرشه جليس» اهـ. وقال الحافظ ابن الجوزي في دفع شبه التشبيه (ص/ ٦٨): روي عن عائشة رضي الله عنها قالت سئل رسول الله ﷺ عن المقام المحمود قال: وعدني ربي بالقعود على العرش، قلت: هذا حديث مكذوب لا يصح عن رسول الله ﷺ، قال ابن حامد المجسم: يجب الإيمان بها=

= ورد من المماسة والقرب من الحق لنبيه في إقعاده على العرش. قال وقال ابن عمر: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ قال: ذكر الله الدنو منه حتى يمس بعضه، قلت: وهذا كذب على ابن عمر، ومن ذكر تبعيض الذات كفر بالإجماع. اهـ قال ابن كثير في تاريخه (١٥/ ٤٢، دار هجر): وقعت فتنة ببغداد بين أصحاب أبي بكر المروذي الحنبلي، وبين طائفة من العامة اختلفوا في تفسير قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [سورة الإسراء]. فقالت الحنابلة: يجلسه معه على العرش. وقال الآخرون: المراد بذلك الشفاعة العظمى. فاقتتلوا بسبب ذلك وقتل بينهم قتلى، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وقد ثبت في صحيح البخاري أن المراد بذلك: مقام الشفاعة العظمى، وهي الشفاعة في فصل القضاء بين العباد، وهو المقام الذي يرغب إليه فيه الخلق كلهم، حتى إبراهيم، ويغبطه به الأولون والآخرون. اهـ وقال الكوثري في تكملته (ص/ ١٠٥): جزى اللهُ الواحديَّ خيرا حيث رد تلك الأخلوقة ردا مشبعا وكذا ابن المعلم القرشي. اهـ أقول: ويكفي لعدم ثبوت صفة لله تعالى بهذه الرواية وأمثالها العمل بقاعدة: لا تثبت الصفة لله إلا بكتاب ناطق أو خبر مقطوع بصحته. اهـ كما نقل الإمام البيهقي في الأسماء والصفات (ص/ ٣١٧) عن الإمام الخطابي، فهذه القاعدة تريح من تكلف الجواب عن بعض ما يروى عن أفراد الصحابة والتابعين. فضيحة: ذكر الخلال في كتابه المسمى بالسنة (١/ ٢٣٢، دار الراية) نقلا عن بعض المجسمة: من رد حديث محمد بن فضيل عن ليث عن مجاهد في قوله ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ قال يقعده على العرش فهو عندنا جهمي يهجر ونحذر عنه. اهـ ثم قال(١/ ٢٣٨) نقلا عن بعض المجسمة: ومن رد حديث مجاهد فقد دفع فضل رسول الله ومن رد فضيلة الرسول فهو عندنا كافر مرتد عن الإسلام، ثم قال: والذي ندين الله عز وجل به حديث مجاهد يقعده على العرش فمن رد هذا فهو عندنا جهمي كافر. اهـ وأما الذهبي فقد قال في كتابه العلو (١/ ١٧٠، مكتبة ما يسمى أضواء السلف): فأما قضية قعود نبينا على العرش فلم يثبت في ذلك نص بل في الباب حديث واه. وقال أيضًا (١/ ١٣١): ويروى مرفوعا وهو باطل. اهـ وأما الألباني الوهابي فقال في مقدمة مختصر العلو (ص/ ١٧، ما يسمى المكتب الإسلامي) في بيان أنه ثبت في (الصحاح) أن المقام المحمود هو الشفاعة العامة الخاصة بنبينا ﷺ: قلت: وهذا هو الحق في تفسير المقام المحمود دون شك ولا ريب للأحاديث التي أشار إليها المصنف رحمه الله تعالى وهو الذي صححه الإمام ابن جرير في (تفسيره) (١٥/ ٩٩) ثم القرطبي (١٠/ ٣٠٩) وهو الذي لم يذكر الحافظ ابن كثير غيره وساق الأحاديث المشار إليها. بل هو الثابت عند مجاهد نفسه من طريقين عنه عند ابن جرير. وذاك الأثر عنه ليس له طريق معتبر. اهـ أقول: فيا لها من فضيحة على المشبهة فقد رمى بعضهم البعض بما يرمون به خصومهم، بالكفر تارة، وبمذهب الجهمية تارة أخرى. قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ اهـ.

تلبيس الجهمية[1]: «وليس في مماسته -تعالى- للعرش ونحوه محذور كما في مماسته لكل مخلوق من النجاسات والشياطين وغير ذلك، فإن تنـزيهه عن ذلك لوجوب بُعدِ الأشياء عنه، ولكونها ملعونة مطرودة، لم نثبته لاستحالة المماسة عليه، وتلك الأدلة منتفية في مماسته للعرش ونحوه، كما روي في مس ءادم وغيره.» اهـ بحروفه

والقائل في كتابه بيان تلبيس الجهمية[2] نقلا عن أحد المجسمة موافقا له: «ولا حملة العرش حملوه بقوتهم ولا استقلوا بعرشه ولكنهم حملوه بقدرته وقد بلغنا أنهم حين حملوا العرش وفوقه الجبار في عزته وبهائه ضعفوا عن حمله واستكانوا وجثوا على ركبهم حتى لقنوا لا حول ولا قوة إلا بالله فاستقلوا به بقدرة الله وإرادته ولولا ذلك ما استقل به العرش ولا الحملة ولا السموات والأرض ولا من فيهن، ولو قد شاء لاستقر على ظهر بعوضة فاستقلت به بقدرته ولطف ربوبيته فكيف على عرش عظيم أكبر من السموات والأرض» اهـ.نعوذ بالله من مقت القلوب.

والقائل في كتابه بيان تلبيس الجهمية[3] نقلاً عن أحد المجسمة موافقًا له: «إن الرحمـٰن سبحانه ليثقل على حملة العرش» اهـ.

والقائل في كتابه بيان تلبيس الجهمية[4] بصحة الحديث المزعوم الذي فيه: رأيت ربي في صورة شاب أمرد له وفرة جعد قطط في روضة خضراء. اهـ واعتبر المجسم ابن تيمية الرؤية: أنها رؤية عين. اهـ.

والقائل في تفسير سورة العلق[5] زورا: أكثر أهل السنة قبلوه -لهذا الحديث المزعوم-، وفيه قال: إن عرشه أو كرسيه وسع السموات والأرض، وإنه يجلس

(١) بيان تلبيس الجهمية (٥/ ١٢٧)، مجمع الملك فهد.
(٢) بيان تلبيس الجهمية (٣/ ٢٤٣).
(٣) بيان تلبيس الجهمية (٣/ ٢٧٠).
(٤) بيان تلبيس الجهمية (٧/ ٢٩٠).
(٥) مجموعة تفسير (ص/ ٣٥٤ - ٣٥٥)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦/ ٤٣٥) وما بعدها.

عليه فما يفضل منه قدر أربعة أصابع أو فما يفضل منه إلا قدر أربعة أصابع، وإنه ليئط به أطيط الرحل الجديد براكبه» اهـ بل وصوّب[1] رواية «فما يفضل منه قدر أربعة أصابع» على رواية «إلا قدر أربعة أصابع» اهـ. وقوله هذا فيه اثبات المساحة والمقدار والمقياس لله، تعالى الله عن ذلك.

وقد نقل الحافظ المؤرخ شمس الدين بن طولون في ذخائر القصر[2] عن الحافظ أبي سعيد العلائي شيخ الحافظ العراقي أنه قال ما نصه: ذكر المسائل التي خالف فيها ابن تيمية الناس في الأصول والفروع، إلى أن قال: ومنها قوله بالجسمية والجهة والانتقال، وهو مردود، وصرح في بعض تصانيفه بأن الله بقدر العرش لا أكبر منه ولا أصغر، تعالى الله عن ذلك اهـ.

وقد نقل المفسر النحوي أبو حيان الأندلسي في النهر الماد، في تفسير ءاية الكرسي[3]، ما نصه: وقرأت في كتاب لأحمد ابن تيمية هذا الذي عاصرنا وهو بخطه سماه كتاب العرش: إن الله تعالى يجلس على الكرسي وقد أخلى منه مكانا يقعد فيه معه رسول الله ﷺ تحيل عليه التاج محمد بن علي بن عبد الحق البارنباري

---

(١) مجموعة تفسير (ص/ ٣٥٨).

(٢) انظر ذخائر القصر، (ص/ ٦٩)، مخطوط.

(٣) النهر الماد (١/ ٢٥٤)، كما ترى ذلك في النسخ المخطوطة من التفسير، كالمخطوطة المودعة في الخزانة الأحمدية في حلب، وقال الشيخ محمد زاهد الكوثري في تكملته (ص/ ٧٥): وأخبرني مصحح طبعه بمطبعة السعادة أنه استفظعها جدا وأكبر أن ينسب مثلها إلى مسلم فحذفها عند الطبع لئلا يستغلها أعداء الدين، ورجاني أن أسجل ذلك هنا استدراكا لما كان منه ونصيحة للمسلمين. اهـ وقال الشيخ عبد الله الغماري في كتابه بدع التفاسير (ص/ ١٥٩، دار الرشاد) عن أبي حيان: وقد تعرض لابن تيمية، وذكر أنه اغتر به أول الأمر فمدحه، ثم تبين له خلاف ذلك، فذمه وحط عليه، وذكر بعض عيوبه، لكن القائمين على طبع التفسير حذفوا منه ذم ابن تيمية، غيرة منهم عليه. اهـ وفي كشف الظنون لحاجي خليفة (٢/ ١٤٣٨، دار إحياء التراث العربي) عن كتاب العرش وصفته: ولابن تيمية ذكر فيه أن الله تعالى يجلس على الكرسي وقد أخلى مكانا يقعد معه فيه رسول الله ﷺ، ذكره أبو حيان في النهر في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، وقال قرأت في كتاب العرش لأحمد بن تيمية ما صورته بخطه. اهـ

وكان أظهر أنه داعية لـه حتى أخذه منه وقرأنا ذلك فيه اهـ.

بل وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في «الدرر الكامنة»[1]: فذكروا أنه (ابن تيمية) ذكر حديث النـزول، فنـزل عن المنبر درجتين، فقال: كنـزولي هذا، فنُسب إلى التجسيم اهـ.

وقال الشيخ ابن حجر الهيتمي في كتابه الفتاوى الحديثية[2] ناقلا المسائل التي خالف فيها ابن تيمية إجماع المسلمين ما نصه: وقوله بالجِسْمِّية، والجهة والانتقال، وأنه بقَدر العرش لا أصْغَرَ ولا أكبر، تعالى الله عن هذا الافتراء الشنيع القبيح، والكفر البراح الصريح، وخذل مُتَّبِعيه وشتت شَمْل معتقديه اهـ.

وذكر الحافظ مرتضى الزبيدي في شرح الإحياء[3] ما نصه: قال التقي السبكي[4]: وكتاب العرش من أقبح كتبه (أي لابن تيمية) ولما وقف عليه الشيخ أبو حيان ما زال يلعنه حتى مات بعد أن كان يعظمه اهـ.

فلينظر العقلاء إلى تـخبّط ابن تيمية حيث يقول مرة إنه جالس على العرش، ومرة إنه جالس على الكرسي، وقد ثبت في الحديث أن الكرسي بالنسبة للعرش كحلقة في أرض فلاة فكيف ساغ لعقله.

وهذا ابن قيم الجوزية تلميذ ابن تيمية يقول في كتابه «بدائع الفوائد»[5]: ولا تنكروا أنه قاعد ولا تنكروا أنه يقعده اهـ.

ويقول ابن قيم الجوزية أيضًا في كتابه المسمى الصواعق المرسلة[6]: «استوى

---

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١/ ١٥٤)، دار الجيل.

(٢) الفتاوى الحديثية (ص/ ٨٧).

(٣) إتحاف السادة المتقين (٢/ ١٠٦).

(٤) انظر كتابه السيف الصقيل (ص/ ٧٤).

(٥) انظر بدائع الفوائد (٤/ ١٣٨٠) طبع دار عالم الفوائد، وقد استحسن ابن القيم هذه الأبيات ونسبها زورا إلى الدارقطني.

(٦) انظر الكتاب (٤/ ١٣٨٥)، دار العاصمة.

على عرشه بذاته[1] أي ذاته فوق العرش عالية عليه» اهـ.

وقال سليمان بن سحمان النجدي الوهابي [١٣٤٩هـ] في تعليقه على كتاب «لوامع الأنوار البهية» نقلا عن ابن تيمية المجسم مقرا وموافقا له - الذي نقل عن المجسم عثمان بن سعيد الدارمي - مقرا وموافقا له ما نصه[2]: «الحي القيوم يفعل ما يشاء ويتحرك إذا شاء ويهبط ويرتفع إذا شاء ويقبض ويبسط ويقوم ويجلس إذا شاء، لأن أمارة ما بين الحي والميت التحرك» اهـ.

وقال أيضًا -أي سليمان بن سحمان - في كتابه الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق[3]: «فأما كون الوهابية أبت إلا جعل استوائه سبحانه ثبوتًا على عرشه، واستقرارًا[4] وعلوًا فوقه: فنعم» اهـ. بحروفه

(١) قال الحافظ ابن الجوزي الحنبلي في دفع شبه التشبيه (ص/ ٨): ومن قال استوى بذاته المقدسة فقد أجراه سبحانه وتعالى مجرى الحسيات. اهـ وقال في (ص/ ٢٠): وقد حمل قوم من المتأخرين هذه الصفة على مقتضى الحس فقالوا استوى بذاته. وهذه زيادة لم ينقلوها إنما فهموها من إحساسهم. اهـ قال القاضي بدر الدين بن جماعة في «إيضاح الدليل» عن الذي قال استوى بذاته ما نصه (ص/ ١٣٦) طبع دار اقرأ: «فقد ابتدع بهذه الزيادة التي لم تثبت في السنة ولا عن أحد من الأئمة المقتدى بهم». وهؤلاء المشبهة نقول قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ما نصه (١٩/ ٦٠٧): «فقد ذكرنا أن لفظة بذاته لا حاجة إليها وهي تشغب النفوس» اهـ.

(٢) التعليق على «لوامع الأنوار» (١/ ٢٦١).

(٣) انظر الكتاب (ص/ ٩٦) طبع ما يسمى رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد (في السعودية)، وفيه اعتراف بكونهم وهابية. اهـ

(٤) مع أن أحد دعاة الوهابية البارزين وهو الألباني (١٤٢٠هـ) يقول في كتابه «مختصر العلو» (ص/ ١٧): «وهذا يستلزم نسبة الاستقرار عليه لله تعالى، وهذا مما لم يرد، فلا يجوز اعتقاده ونسبته إلى الله عز وجل، لذلك ترى المؤلف (الذهبي) رحمه الله أنكر على من قال ممن جاء بعد القرون الثلاثة: إن الله استوى استواء استقرار» اهـ فيا لـها من فضيحة عليهم. ولكن هذا لا يخرج الألباني عن دائرة التجسيم فهو يصرح بتحيز الله في جهة العرش تارة كما في كتابه مختصر العلو، وتارة بأن الله واسع محيط بالعالم كله من جميع الجهات والجوانب كما في كتابه صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٢٣٤)، مكتبة المعارف. أقول: وإنما هذا يدل على أنه لم يثبت عن أحد من السلف الصالح أنه قال في حق الله بالجلوس أو الاستقرار أو المحاذاة، فيحرم تسمية الوهابية بالسلفية ولا تغتر بهم أيها القارئ.

فانظر أيها القارئ رحمك الله بتوفيقه، حقيقة أمر هذة الفرقة الوهابية مجسمة هذا العصر، وكيف أنهم يريدون من الأمة الإسلامية، ترك ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه ومن تبعهم بإحسان، من التنزيه والتوحيد، وإغراقهم في وحول التشبيه والتجسيم، والعياذ بالله، وأنّى يكون لهم ذلك، فقد حفظ الله جمهور هذه الأمة المحمدية من الضلال في العقيدة، ويدل على ذلك ما رواه الترمذي وابن ماجه وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة**» وعند ابن ماجه زيادة: «فإذا رأيتم اختلافًا فعليكم بالسواد الأعظم». ويقوي هذا الحديث الحديث الموقوف على أبي مسعود البدري: «وعليكم بالجماعة فإن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة» قال الحافظ ابن حجر: «وإسناده حسن»، والحديث الموقوف على عبد الله بن مسعود وهو أيضًا ثابت عنه: «ما رءاه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رءاه المسلمون قبيحًا فهو عند الله قبيح»، قال الحافظ ابن حجر: «هذا موقوف حسن».

فالعقيدة الحقة التي كان عليها السلف الصالح هو ما عليه الأشعرية والماتريدية وهم مئات الملايين من المسلمين السواد الأعظم الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء الحنابلة، وقد أخبر الرسول ﷺ أن جمهور أمته لا يضلون، فيا فوز من تمسك بهم.

**٣٨- قال المجسم ابن أبي العز: التصريح بالعروج إليه** ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾[(١)].

**الرد**: وابن أبي العز المجسم يذكر هذه الآيات محتجّا بها على زعمه لإثبات الجهة لله تعالى والمكان وأن الله بذاته في جهة فوق وهذا لم يقله عالم من علماء الإسلام قطّ وابن أبي العز بقوله هذا جعل القرءان متضاربا متعارضا يكذّب بعضه بعضا لأنه سبحانه قال في آيات أُخَر ما يوهم ظاهرا أن الله في جهة الأرض وهذا ينقض مذهب ابن أبي العز كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ أي

(١) سورة المعارج/ ءاية ٤.

بعلمه كما أجمع على هذا التأويل السلف والخلف، وكقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ أي قبلة الله في صلاة النفل على الراحلة في السفر كما قال التابعي مجاهد بن جبر تلميذ ابن عباس والآيات التي أوردها ابن أبي العز ليست على ظاهرها لأنها من الآيات المتشابهات فوجب تأويلها لنسلم من القول بتعارض القرءان وها نحن نذكر لك أقوال علماء أهل السنة والجماعة في تأويلها والله الموفق للصواب.

قال المفسر فخر الدين الرازي[1]: «لما دلت الدلائل على امتناع كونه في المكان والجهة ثبت أنه لابد من التأويل».

قال الإمام أبو منصور الماتريدي[2]: «إن الملائكة تعرج إليه أي: إلى الموضع الذي منه أرسلهم إلى أنواع الأمور».

قال إمام الحرمين عبد الملك أبو المعالي الجويني[3]: «أي يعرجون إلى حيث يأمرهم».

**قال المجسم ابن أبي العز:التصريح بالصعود اليه، كقوله تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾[4].**

الرد: قال الحافظ المفسر عبد الرحمن بن الجوزي[5]: «المعنى: العمل الصالح يرفعه الله أي يقبله».

**وقال المجسم ابن أبي العز:التصريح برفعه بعض المخلوقات اليه، كقوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾[6].**

---

(١) التفسير الكبير (٣٠/ ١٠٩)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.
(٢) تأويلات أهل السنة (ص/ ١٩٧)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، المجلد ١٠.
(٣) الشامل في أصول الدين (ص/ ٣١٢)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.
(٤) سورة فاطر/ ءاية ١٠.
(٥) زاد المسير (٦/ ٤٧٨)، دار ما يسمى المكتب الاسلامي، الطبعة الرابعة، سنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
(٦) سورة النساء/ ءاية ١٥٨.

الرد: قال المفسر القرطبي[1]: «أي إلى السماء والله تعالى متعالٍ عن المكان» اهـ.

**وقال المجسم ابن أبي العز: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[2].**

الرد: قال المفسر فخر الدين الرازي[3]: «والمشبهة يتمسكون بهذه الآية في إثبات المكان لله تعالى وأنه في السماء، وقد دللنا في المواضع الكثيرة من هذا الكتاب بالدلائل القاطعة على أنه يمتنع كونه تعالى في المكان فوجب حمل اللفظ على التأويل، وهو من وجوه:

الوجه الأول: أن المراد إلى محل كرامتي (أي السماء)» اهـ.

وقال القاضي الفقيه بدر الدين بن جماعة[4]: «الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ وقوله: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ وقوله: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾.

اعلم أنه قد تقدم عليه في آية الاستواء، ونزيدها هنا أنه: إذا ثبت استحالة الجهة في حقه تعالى وجب تأويل هذه الآيات وأن المراد: يصعد ويعرج إلى محل أمره، أو أن المراد بالمعارج الرتب والدرجات» ثم قال بعد كلام مانصه: «ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ وقوله ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ إلى محل كرامته كما يقال: رفع السلطان فلانًا إليه، ليس المراد مكانًا، ولا جهة علوّ، بل قرب رتبة ومنزلة» اهـ.

**وقال المجسم ابن أبي العز: التصريح بالعلو المطلق الدّال على جميع مراتب العلو، ذاتا وقدرا وشرفا، كقوله تعالى ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[5].**

---

(١) الجامع لأحكام القرءان (٦/ ١٠)، دار الفكر، الطبعة الأولى.

(٢) سورة آل عمران/ ءاية ٥٥.

(٣) مصدر سابق، (٨/ ٦١).

(٤) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل (ص/ ١١١-١١٢)، دار السلام (شارع الأزهر - القاهرة)، الطبعة الأولى.

(٥) سورة البقرة/ ءاية ٢٥٥.

﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾[1] ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ﴾[2].

الرد: قال البخاري في صحيحه بَاب قَوْلِ الله تعالى ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ وَقَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ وَقَالَ أَبُو جَمْرَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِأَخِيهِ اعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنْ السَّمَاءِ وَقَالَ مُجَاهِدٌ ﴿وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ﴾ يَرْفَعُ الْكَلِمَ الطَّيِّبَ يُقَالُ ﴿ذِي ٱلۡمَعَارِجِ﴾ الْمَلَائِكَةُ تَعْرُجُ إِلَى اللهِ[3].

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري»[4]، ما نصه: «وقال ابن بطال: غرض البخاري في هذا الباب الرد على الجهمية المجسمة في تعلقها بهذه الظواهر، وقد تقرر أن الله ليس بجسم فلا يحتاج إلى مكان يستقر فيه فقد كان ولا مكان، وإنما أضاف المعارج إليه إضافة تشريف» اهـ.

وقوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾[5].

أيْ أنَّ الكَلِمَ الطَّيِّبَ كَلا إلهَ إلا الله يَصْعَدُ إلى مَحَلِّ كَرَامَتِه وهُوَ السَّماءُ، والعَمَلُ الصَّالِحُ يرفَعُه أي الكلمُ الطيبُ يرفَعُ العملَ الصالحَ وهذا مُنْطَبِقٌ ومُنْسَجِمٌ مَعَ الآية المحكمةِ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾.

هذا من المتشابهِ الذي يعلَمُ معناهُ الرَّاسخونَ، فالكلمُ الطَّيِّبُ هو كلا إلٰه إلا الله والعملُ الصّالحُ يشمَلُ كلَّ عملٍ صالحٍ يُتقرَّبُ به إلى الله كنحو الصلاةِ والصدقةِ وصلة الرحم، فالمعنى أن كلَّ ذلك يصعدُ إلى الله أي يتقبَّلُهُ، هذا ليسَ فيه أن الله له حيِّزٌ يتحيزُ فيه ويسكنُهُ.

---

(١) سورة سبأ/ ءاية ٢٣.

(٢) سورة الشورى/ ءاية ٥١.

(٣) المصدر السابق (ص/ ١٣٤٢)، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾.

(٤) المصدر السابق (١٣/ ٤٢٧)، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾.

(٥) سورة فاطر/ ءاية ١٠.

فالسماءُ محلُّ كرامةِ الله أي المكان الذي هو مشرَّفٌ عند الله، لأنها مسكنُ الملائكةِ، هذا التَّفسيرُ موافق للآية المحكمة: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾.

فَتَفْسيرُ الآياتِ الـمُتَشابِهَةِ يَجِبُ أن يُرَدَّ إلى الآياتِ الـمُحْكَمَةِ، هذا في الـمُتَشابِهِ الذي يجوزُ للعُلماءِ أن يعلمُوهُ أي أن من أرادَ أن يُفسّرَ المتشابهَ يجبُ أَنْ يكونَ موافقًا للآياتِ المحكماتِ كتفسيرِ الاستواءِ بالقهرِ فإنه موافقٌ للمحكماتِ.

قال الحافظُ ابن حجر العسقلانيُّ في «فتح الباري»[1]: «فمعتقدُ سلفِ الأئمة وعلماءِ السنة من الخلف أن الله منزه عن الحركة والتحول والحلول ليس كمثله شيء» اهـ.

**٣٩- قال المجسم ابن أبي العز: التصريح بلفظ»الأين» كقول اعلم الخلق به، وانصحهم لامته، وافصحهم بيانا عن المعنى الصحيح، بلفظ لا يوهم بَاطلا بوجهٍ: «أين الله» في غير موضع.**

وشهادته ﷺ لمن قال: ان ربه في السماء بالايمان.

**الرد:** وابن أبي العز المجسم الذي ثبت جهله بعقيدة الاسلام ونقله الغير موثوق به وبعده عن فهم لغة العرب يحرف معنى حديث الجارية ويفتري على رسول الله ﷺ وهذا ردنا عليه.

## حديث الجارية حديث مضطرب فلا يحتج به في العقائد ومن صححه قال بتأويله ولم يحمله على الظاهر

وأما الحديث المعروف بحديث الجارية فقد قال فيه الإمام النووي في شرح صحيح مسلم الجزء الخامس كتاب المساجد ومواضع الصَّلاة باب تحريم الكلام في الصَّلاة ونسخ ما كان من إباحته: «هذا الحديث من أحاديث الصّفات، وفيها مذهبان تقدَّم ذكرهما مرَّات في كتاب الإيمان: أحدهما: الإيمان به من غير خوض

(١) المصدر السابق (٧/ ١٥٦)، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب سعد بن معاذ.

في معناه، مع اعتقاد أنَّ الله ليس كمثله شيء، وتنـزيهه عن سمات المخلوقات. والثَّاني: تأويله بما يليق به.فمن قال بهذا قال: كان المراد امتحانها هل هي موحِّدة تقرُّ بأنَّ الخالق المدبِّر الفعَّال هو الله وحده، وهو الَّذي إذا دعاه الدَّاعي استقبل السَّماء، كما إذا صلَّى المصلِّي استقبل الكعبة، وليس ذلك لأنَّه منحصر في السَّماء، كما أنَّه ليس منحصرًا في جهة الكعبة، بل ذلك لأنَّ السَّماء قبلة الدَّاعين، كما أنَّ الكعبة قبلة المصلِّين، أو هي من عبدة الأوثان العابدين للأوثان الَّتي بين أيديهم، فلمَّا قالت: في السَّماء علم أنَّها موحِّدة وليست عابدة للأوثان. قال القاضي عياض: لا خلاف بين المسلمين قاطبة فقيههم ومحدِّثهم ومتكلِّمهم ونظَّارهم ومقلِّدهم أنَّ الظَّواهر الواردة بذكر الله في السَّماء كقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾[1] ونحوه ليست على ظاهرها بل متأوّلة عند جميعهم» انتهى.

وقال الحافظ أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي في كتابه المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ما نصه: «وقيل في تأويل هذا الحديث: إن النبي ﷺ سألها بأين عن الرتبة المعنوية التي هي راجعة إلى جلاله تعالى وعظمته التي بها باين كلَّ مَن نُسبت إليه الإلهية وهذا كما يقال: أين الثريا من الثرى؟! والبصر من العمى؟! أي بعُدَ ما بينهما واختصت الثريا والبصر بالشرف والرفعة على هذا يكون قولها في السماء أي في غاية العلو والرفعة وهذا كما يقال: فلان في السماء ومناط الثريا» اهـ.

وقال الرازي أيضًا في كتابه أساس التقديس: «إن لفظ أين كما يجعل سؤالا عن المكان فقد يجعل سؤالا عن المنـزلة والدرجة يقال أين فلان من فلان فلعل السؤال كان عن المنـزلة وأشار بها إلى السماء أي هو رفيع القدر جدا» اهـ

وفي كتاب إكمال المعلم شرح صحيح مسلم للإمام محمد بن خليفة الابي ما نصه: وقيل إنما سألها بأين عما تعتقده من عظمة الله تعالى، وإشارتها إلى السماء إخبار عن جلاله في نفسها، فقد قال القاضي عياض لم يختلف المسلمون في تأويل

---

(١) سورة الملك/ ءاية ١٦.

ما يوهم أنه تعالى في السماء كقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ اهـ.

ومثله في كتاب مكمل إكمال الإكمال شرح صحيح مسلم للإمام محمد السنوسي الحسني.

وقال الإمام محمد بن أحمد السرخسي الحنفي المتوفى سنة ٤٨٣هـ في كتابه «المبسوط»[1]:

فأما الحديث فقد ذكر في بعض الروايات: أن الرجل قال عليّ عتق رقبة مؤمنة، أو عرف رسول الله ﷺ بطريق الوحي أن عليه رقبة مؤمنة، فلهذا امتحنها بالإيمان، مع أن في صحة ذلك الحديث كلامًا فقد روي أن النبي ﷺ قال: (أين الله فأشارت إلى السماء) ولا نظن برسول الله ﷺ أنه يطلب من أحد أن يثبت لله تعالى جهة ولا مكانًا، ولا حجة لهم في الآية، لأن الكفر خبث من حيث الاعتقاد، والمصروف إلى الكفارة ليس هو الاعتقاد إنما المصروف إلى الكفارة المالية، ومن حيث المالية هو عيب يسير على شرف الزوال» اهـ.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي في شرح سنن الترمذي: «أين الله؟ والمراد بالسؤال بها عنه تعالى المكانة فإن المكان يستحيل عليه. اهـ

وقال الحافظ ابن الجوزي في دفع شبه التشبيه بعد رواية حديث معاوية بن الحكم: قلت «قد ثبت عند العلماء أن الله تعالى لا يحويه السماء والأرض ولا تضمه الأقطار وإنما عرف بإشارتها تعظيم الخالق عندها. اهـ

وقال الباجي: لعلها تريد وصفه بالعلو وبذلك يوصف كل من شأنه العلو فيقال فلان في السماء بمعنى علو حاله ورفعته وشرفه. اهـ

وقال البيضاوي: لم يرد به السؤال عن مكانه فإنه منـزه عنه والرسول أعلى من أن يسأل ذلك. اهـ

وقال الإمام الحجة تقي الدين السبكي في رده على نونية ابن قيم الجوزية المسمى بالسيف الصقيل: أما القول فقوله ﷺ للجارية: أين الله؟ قالت في السماء،

---

(١) المبسوط (ج/ ٧)، المجلد الرابع، [تابع كتاب الطلاق] باب العتق في الظهار.

وقد تكلم الناس عليه قديما وحديثا والكلام عليه معروف ولا يقبله ذهن هذا الرجل لأنه مشَّاء على بدعة لا يقبل غيرها. اهـ

قال الفخر الرازي: وأما عدم صحة الاحتجاج بحديث الجارية في إثبات المكان له تعالى فللبراهين القائمة في تنـزه الله سبحانه عن المكان والمكانيات والزمان والزمانيات، قال الله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ﴾[1] وهذا مشعر بأن المكان وكل ما فيه ملك لله تعالى، وقال تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾[2] وذلك يدل على أن الزمان وكل ما فيه ملك لله تعالى فهاتان الآيتان تدلان على أن المكان والمكانيات والزمان والزمانيات كلها ملك لله تعالى وذلك يدل على تنـزيه الله سبحانه عن المكان والزمان. اهـ

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي المفسر في كتاب التذكار في أفضل الأذكار: لأن كل من في السموات والأرض وما فيهما خلق الله تعالى وملك له وإذا كان كذلك يستحيل على الله أن يكون في السماء أو في الأرض إذ لو كان في شيء لكان محصورا أو محدودا ولو كان كذلك لكان محدثا وهذا مذهب أهل الحق والتحقيق وعلى هذه القاعدة قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ وقوله عليه السلام للجارية: أين الله؟ قالت في السماء، ولم يُنكر عليها وما كان مثله ليس على ظاهره بل هو مؤول تأويلات صحيحة قد أبداها كثير من أهل العلم في كتبهم. اهـ

وقال بعض العلماء إن الرواية الموافقة للأصول هي رواية مالك وفيها أن الرسول قال لها: «**أتشهدين أن لا إلـه إلا الله**» قالت: «نعم» قال: «**أتشهدين أني رسول الله**» قالت: «نعم». أخرجها الإمامان إماما أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل ومالك بن أنس رضي الله عنهما.

أما أحمد فأخرج عن رجل من الأنصار أنه جاء بأمَةٍ سوداء فقال: «يا

---

(١) سورة الأنعام/ ءاية ١٢.

(٢) سورة الأنعام/ ءاية ١٣.

رسول الله إن عليَّ رقبة مؤمنة فإن كنت ترى هذه مؤمنة فأعتقها» فقال لها الرسول ﷺ: «**أتشهدين أن لا إلـه الا الله**» قالت: «نعم»، قال: «**أتشهدين أني رسول الله**» قالت: «نعم»، قال: «**أتؤمنين بالبعث بعد الموت**» قالت: «نعم»، قال: «**أعتقها**»، ورجاله رجال الصحيح.

وفي رواية لابن الجارود بلفظ: **أتشهدين أن لا إلـه إلا الله؟** قالت: نعم، قال: **أتشهدين أني رسول الله؟** قالت: نعم، قال: **أتوقنين بالبعث بعد الموت؟** قالت نعم، قال: **اعتقها فإنها مؤمنة**. وهي رواية صحيحة.

ومنها ما رواه الإمام ابن حبان في صحيحه عن الشريد بن سويد الثقفي قال قلت: يا رسول الله إن أمي أوصت أن نعتق عنها رقبة وعندي جارية سوداء قال: **ادع بها**، فجاءت فقال: **من ربك؟** قالت: الله، قال: **من أنا؟** قالت: أنت رسول الله، قال: **أعتقها فإنها مؤمنة**. ورواه أيضًا بهذا اللفظ النسائي في الصغرى وفي الكبرى والإمام أحمد في مسنده والطبراني والبيهقي ورواه أيضًا بهذا اللفظ ابن خزيمة في كتابه الذي سماه كتاب التوحيد من طريق زياد بن الربيع عن ابن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن الشريد.

قال بعض العلماء: ظاهر هذا الحديث ( الذي فيه حكم على الجارية بالإسلام لأنها قالت: في السماء ) يخالف الحديث المتواتر الذي رواه خمسة عشر صحابيا. وهذا الحديث المتواتر الذي يعارض حديث الجارية قوله عليه الصلاة والسلام: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلـه إلا الله وأني رسول الله**». هذا الحديث فيه أنّ الرسول لا يحكم بإسلام الشخص الذي يريد الدخول بالإسلام إلا بالشهادتين. لأن من أصول الشريعة أن الشخص لا يحكم له بقول «الله في السماء» بالإسلام لأن هذا القول مشترك بين اليهود والنصارى وغيرهم وإنما الأصل المعروف في شريعة الله ما جاء في الحديث: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلـه إلا الله وأني رسول الله**» اهـ ولفظ رواية مالك: أتشهدين، موافق للأصول. لذا حكم الحافظ أبو بكر البيهقي وغيره باضطراب حديث الجارية هذا.

- الحافظ البيهقي رحمه الله تعالى قال في «الأسماء والصفات»: «وهذا صحيح قد أخرجه مسلم مقطعا من حديث الاوزاعي وحجاج الصواف عن يحيى بن أبي كثير دون قصة الجارية؟ وأظنه إنما تركها من الحديث لاختلاف الرواة في لفظه، وقد ذكرت في كتاب الظهار من السنن مخالفة من خالف معاوية بن الحكم في لفظ الحديث»[1].

- الحافظ البزار قال بعد أن روى الحديث من طريق من طرقه[2]: «وهذا قد روي نحوه بألفاظ مختلفة».

- قال الامام الحافظ تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى في كتابه «السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل»[3]: «أقول: أما القول: فقوله للجارية «أين الله؟ قالت: في السماء «وقد تكلم الناس عليه قديما وحديثا والكلام عليه معروف ولا يقبله ذهن هذا الرجل» اهـ.

-الحافظ ابن حجر العسقلاني قال في «التلخيص الحبير» ما نصه[4]: «وفي اللفظ مخالفة كثيرة» اهـ.

قال الحافظ في «فتح الباري»[5]: «فإن إدراك العقول لأسرار الربوبية قاصر فلا يتوجه على حكمه لم ولا كيف؟ كما لا يتوجه عليه في وجوده أين وحيث.

- المحدث الكوثري حكم بالاضطراب في تعليقه على «الأسماء والصفات» فقال[6]: «وقصة الجارية مذكورة فيما بأيدينا من نسخ مسلم لعلها زيدت فيها بعد إتماما للحديث، أو كانت نسخة المصنف ناقصة؟ وقد أشار المصنف -أي البيهقي- إلى اضطراب الحديث بقوله (وقد ذكرت في كتاب الظهار -من السنن- مخالفة من خالف معاوية بن الحكم في لفظ الحديث)...» اهـ

---

(١) انظر السنن الكبرى (٧/ ٣٨٨).
(٢) كشف الأستار (١/ ١٤).
(٣) انظر الكتاب (ص/ ٩٤).
(٤) انظر الكتاب (٣/ ٢٢٣).
(٥) فتح الباري (١/ ٢٢١).
(٦) الأسماء والصفات (ص/ ٤٢٢).

وفي تعليقه رحمه الله تعالى على كتاب الحافظ السبكي «السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل»(١) توسع في مبحث اضطرابه.

- المحدث عبد الله بن الصديق ذكر في تعليقه على كتاب «التمهيد»(٢) للحافظ ابن عبد البر عن لفظ «أين الله» ما نصه: «رواه مسلم وأبو داود والنسائي وقد تصرف الرواة في ألفاظه، فروي بهذا اللفظ كما هنا وبلفظ «**من ربك؟**» قالت: الله ربي. وبلفظ «**أتشهدين أن لا إلـٰه إلا الله؟**» قالت: نعم. وقد أستوعب تلك الألفاظ بأسانيدها الحافظ البيهقي في السنن الكبرى بحيث يجزم الواقف عليها أن اللفظ المذكور هنا مروي بالمعنى حسب فهم الراوي...».

**فإن قيل**: كيف تكون رواية مسلم: **أين الله**، فقالت: في السماء، إلى ءاخره مردودة مع إخراج مسلم له في كتابه وكل ما رواه مسلم موسوم بالصحة، فالجواب: أن عددا من أحاديث مسلم ردها علماء الحديث وذكرها المحدثون في كتبهم كحديث أن الرسول قال لرجل: إن أبي وأباك في النار، وحديث إنه يعطي كل مسلم يوم القيامة فداء له من اليهود والنصارى، وكذلك حديث أنس: صليت خلف رسول الله وأبي بكر وعمر فكانوا لا يذكرون بسم الله الرحمـٰن الرحيم. فأمّا الأول ضعفّه الحافظ السيوطي، والثاني رده البخاري، والثالث ضعّفه الشافعي.

**فائدة**: تضعيف السيوطي في كتابه مسلك الحنفا في نجاة أبوَي المصطفى ﷺ، وتضعيف الإمام الشافعي مذكور في كتب الحديث المطولة كشرح ألفية العراقي في علم الحديث (فتح المغيث) للعراقي نفسه، أما تضعيف البخاري ففي فتح الباري قال الحافظ ابن حجر ما نصه: وقد أخرج أصل الحديث مسلم من وجه ءاخر عن أبي بردة بلفظ إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار: قال البيهقي ومع ذلك فضعفه البخاري وقال الحديث في الشفاعة أصح. انتهى

---

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل (ص/ ٩٤).

(٢) التمهيد (٧/ ١٣٥).

ولو صح حديث الجارية لم يكن معناه أن الله ساكن السماء كما توهم بعض الجهلة بل لكان معناه أن الله عالي القدر جدا، وعلى هذا المعنى أقر بعضهم صحة رواية مسلم هذه.

**ونقول للمشبهة**: لو كان الأمر كما تدعون من حمل ءاية ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[1] على ظاهرها وحمل حديث الجارية على ظاهره لتناقض القرءان بعضه مع بعض والحديث بعضه مع بعض، فما تقولون في قوله تعالى ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾[2] فإمّا أن تجعلوا القرءان مناقضا بعضه لبعض والحديث مناقضا بعضه لبعض فهذا اعتراف بكفركم لأن القرءان ينـزه عن المناقضة وحديث الرسول كذلك، وإن أولتم ءاية ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾ ولم تأولوا ءاية الاستواء فهذا تحكّم أي قول بلا دليل.

وقد روى البخاري أن النبي ﷺ قال: «**إذا كان أحدكم في صلاته فإنه يناجي ربه فلا يبصقن في قبلته ولا عن يمينه فإن ربه بينه وبين قبلته**»، وهذا الحديث أقوى إسنادا من حديث الجارية.

وأخرج البخاري أيضًا عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «**يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، إنه معكم إنه سميع قريب، تبارك اسمه وتعالى جده**».

وفي مسند الامام أحمد: «أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم ما تدعون أصم ولا غائبا إنما تدعون سميعا بصيرا إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته» اهـ.

فيقال للمعترض: إذا أخذت حديث الجارية على ظاهره وهذين الحديثين على ظاهرهما لَبَطَلَ زعمك أن الله في السماء وإن أَوَّلْت هذين الحديثين ولم تؤوّل حديث الجارية فهذا تحكم - أي قول بلا دليل - ويصدق عليك قول الله في اليهود

---

(١) سورة طـه/ ءاية ٥.

(٢) سورة البقرة/ ءاية ١١٥.

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[1] وكذلك ماذا تقول في قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[2] فإن أوّلته فلِمَ لا تؤول حديث الجارية. وقد جاء في تفسير هذه الآية عن مجاهد تلميذ ابن عباس: «قِبلَةُ الله»، ففسر الوجه بالقبلة، أي لصلاة النفل في السفر على الراحلة.

وفي صحيح مسلم: أن رسول الله ﷺ قال: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء**» اهـ.

ونختم هذا الجواب بما في كتاب رد المحتار على الدر المختار -كتاب الصلاة- باب شروط الصلاة (استقبال القبلة) حقيقة أو حكما كعاجز، والشرط حصوله لا طلبه، وهو شرط زائد للابتلاء قوله (للابتلاء) علة لمحذوف أي شرطه الله تعالى لاختبار المكلفين لأن فطرة المكلف المعتقد استحالة الجهة عليه تعالى تقتضي عدم التوجه في الصلاة إلى جهة مخصوصة فأمرهم على خلاف ما تقتضيه فطرتهم اختبارا لهم هل يطيعون أو لا كما في البحر (ح). قلت: وهذا كما ابتلى الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم حيث جعله قبلة لسجودهم. اهـ

## تأويل أهل الحق لقوله عليه الصلاة والسلام: ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء

معنى هذا الحديث الذي رواه الترمذي: «**الراحِمونَ يرحمهم الرحمنُ ارْحموا مَنْ في الأرض يرحمكم من في السماء**»، مفسَّر بالرواية الأخرى لهذا الحديث «**ارحموا أهل الأرض يرحمْكُم أهلُ السّماءِ**» رواه الإمام أحمد وصححه الحاكم (بشواهده).

---

(١) سورة البقرة/ ءاية ٨٥.

(٢) سورة البقرة/ ءاية ١١٥.

فهذه الروايةُ تُفسّرُ الروايةَ الأولى لأنَّ خير ما يُفسر به الحديث الواردُ بالواردِ كما قال الحافظ العراقي في ألفيته: وخيرُ ما فسرته بالوارد.

ثم المرادُ بأهل السماء الملائكة، ذكر ذلك الحافظ العراقي في أماليهِ عقيبَ هذا الحديث، ونص عبارته: واستدلَّ بقوله: «أهل السماء» على أنَّ المرادَ بقوله تعالى في الآيةِ: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ الملائكة» اهـ، لأنه لا يقال لله «أهل السماء».

و«مَنْ» تصلحُ للمُفردِ وللجمع فلا حجةَ للمجسمة في الآية، ويقال مثلُ ذلك في الآيةِ التي تليها وهي: ﴿ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾ فـ«من» في هذه الآية أيضًا أهل السماء، فإن الله يسلطُ الملائكة على الكفار إذا أرادَ أن يُحِلّ عليهم عقوبتَه في الدنيا كما أنهم في الآخرة هم الموكلون بتسليطِ العقوبة على الكفار لأنهم خزنةُ جهنم وهم يجُرُّونَ عنقًا من جهنم إلى الموقفِ ليرتاعَ الكفارُ برؤيته.

وتلك الروايةُ التي أوردها الحافظ العراقي في أماليهِ هكذا لفظها: «الراحمون يرحمهم الرحيمُ ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء». وإسنادها حسن، ولا يجوز أن يقال عن الله أهل السماء فتُحمَلُ روايةُ «من في السماء» على أن المراد بها أهلُ السماء أي الملائكة، وكذلك يُحملُ قوله تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ ﴾[1] على الملائكة، ومعروفٌ في النحوِ إفرادُ ضميرِ الجمع، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ﴾[4].

وأما قوله عليه الصلاة والسلام: «ارحموا من في الأرض» معناه بإرشادهم إلى الخير بتعليمهم أمور الدين الضرورية التي هي سببٌ لإنقاذهم من النار وبإطعامِ

---

(١) سورة الملك/ ١٦.

(٢) سورة الأنعام/ ٢٥.

(٣) سورة يونس/ ٤٢.

(٤) سورة يونس/ ٤٣.

جائِعِهم وكِسوةِ عاريهم ونحو ذلك. وأما قوله عليه الصلاة والسلام: «**يرحمكم أهل السماء**»، فأهلُ السماء هم الملائكة وهم يرحمون من في الأرض أي أن الله يأمُرُهم بأن يستغفروا للمؤمنين، كما قال تعالى: «[وَالمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرْضِ أَلا إِنَّ اللهَ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ] {}[1]، وقال سبحانه: [الَّذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الجَحِيمِ] {غافر:٧}، ويُنـزلون لهم المطر وينفحونهم بنفحاتِ خيرٍ ويُمِدونهم بمدد خيرٍ وبركة، ويحفظونهم على حسبِ ما يأمرهم الله تعالى.

قال العلامة السندي (ت ١١٣٨ هـ) في حاشيته[2]: (يَرْحَمْكُمْ) بالجزم على جواب الأمر، ويمكن الرفع على الاستئناف بمنـزلة التعليل على معنى: يرحمكم إن رحمتم، (أَهْلُ السَّمَاءِ) أي: سكان السماء من الملائكة الكرام، ورحمتهم بالاستغفار لهم وللدعاء، وتفسيره بالله بعيد» اهـ

قلنا: كما في قوله تعالى: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾[3].

وقال الإمام النووي (ت ٦٧٦)[4]: قال القاضي عياض المالكي (ت٥٤٤): لا خلاف بين المسلمين قاطبة فقيههم ومحدِّثهم ومتكلِّمهم ونظَّارهم ومقلِّدهم أنَّ الظَّواهر الواردة بذكر الله في السَّماء كقوله تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾[5] ونحوه ليست على ظاهرها بل متأوّلة عند جميعهم اهـ.

قال الإمام القرطبي (ت٦٧١): في تفسيره في قول الله تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن

(١) سورة الشورى/ ءاية ٥.
(٢) مسند أحمد (٤/ ٢٩٧).
(٣) سورة مريم/ ءاية ٩٣.
(٤) شرح صحيح مسلم (٥/ ٢٢).
(٥) سورة الملك/ ءاية ١٦.

فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾: وقيل: هو إشارة إلى الملائكة. وقيل: إلى جبريل وهو الملك الموكل بالعذاب. قلت: ويحتمل أن يكون المعنى: أأمنتم خالق من في السماء أن يخسف بكم الأرض كما خسفها بقارون. اهـ ثم قال[1]: والمراد بها توقيره وتنزيهه عن السفل والتحت. ووصفه بالعلو والعظمة لا بالأماكن والجهات والحدود لأنها صفات الأجسام. وإنما ترفع الأيدي بالدعاء إلى السماء لأن السماء مهبط الوحي، ومنزل القطر، ومحل القدس، ومعدن المطهرين من الملائكة، وإليها ترفع أعمال العباد، وفوقها عرشه وجنته كما جعل الله الكعبة قبلة للدعاء والصلاة، ولأنه خلق الأمكنة وهو غير محتاج إليها، وكان في أزله قبل خلق المكان والزمان. ولا مكان له ولا زمان. وهو الآن على ما عليه كان» اهـ.

قال الإمام الرَّازيُّ (ت٦٠٤): واعلم أن المشبهة احتجوا على إثبات المكان لله تعالى بقوله: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾، والجواب عنه أن هذه الآية لا يمكن إجراؤها على ظاهرها باتفاق المسلمين، لأن كونه في السماء يقتضي كون السماء محيطًا به من جميع الجوانب، فيكون أصغر من السماء، والسماء أصغر من العرش بكثير، فيلزم أن يكون الله تعالى شيئًا حقيرًا بالنسبة إلى العرش، وذلك باتفاق أهل الإسلام محال، ولأنه تعالى قال: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ ﴾[2] فلو كان الله في السماء لوجب أن يكون مالكًا لنفسه وهذا محال، فعلمنا أن هذه الآية يجب صرفها عن ظاهرها إلى التأويل»[3].

وقال أيضًا في كتابه «التفسير الكبير»[4]: «ولو تدبر الإنسان القرءان لوجده مملوءا من عدم جواز كونه في مكان» اهـ.

ويردُّ على المجسمة بإيراد الآية: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(١) انظر كتاب تفسير القرطبي (١٨/ ١٤١)، المجلد ٩.
(٢) سورة الأنعام/ ءاية ١٢.
(٣) انظر كتاب التفسير الكبير(١٥، ٣٠/ ٦١).
(٤) التفسير الكبير (٢٥/ ١٩٤)، المجلد ١٣.

وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾[1] فيقال لهم: هل تزعمون أن الله يُصعق، وكذا يُردُّ عليهم بإيراد الآية: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾[2].

ثمَّ لو كانَ الله ساكنَ السماءِ كما يزعمُ المجسمة لكانَ الله يزاحِمُ الملائكةَ وهذا مُحال، فقد ثبتَ في الحديث الذي أخرجه الترمذي وابن ماجه والبزار من حديث أبي ذر مرفوعا «أطّت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وعليه ملك ساجد «الحديث، وفي الحديث الذي أخرجه الطبراني من حديث جابر مرفوعا «ما في السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف إلا وفيه ملك قائم أو راكع أو ساجد «وللطبراني نحوه من حديث عائشة. وفيه دليلٌ على أنه يستحيل على الله أن يكونَ ساكنَ السماءِ وإلا لكانَ مساويًا للملائكةِ مزاحِمًا لهم.

فائدة: كِلاَ اللَّفْظَيْنِ (أَهْلُ السَّمَاءِ، مَنْ فِي السَّمَاءِ) مَحْفُوظَانِ مِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ ابْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي قَابُوسَ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، مَرْفُوعًا.

فَرَوَاهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَعْيَانِ أَصْحَابِهِ عَنْهُ -أي سُفْيَانَ- بِلَفْظِ (أَهْلُ السَّمَاءِ)، وَهُمْ:

١- أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ.

٢- عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ.

٣- عَبْدُ الله بْنُ الْمُبَارَكِ.

٤- مُسَدَّدُ بْنُ مُسَرْهَدٍ.

٥- عَبْدُ الله بْنُ الزُّبَيْرِ الْحُمَيْدِيُّ.

٦- إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الطَّالْقَانِيُّ.

٧- مَحْمُودُ بْنُ آدَمَ.

وَرَوَاهُ عَنْهُ جَمَاعَةٌ أَيْضًا بِلَفْظِ (مَنْ فِي السَّمَاءِ)، وَهُمْ:

---

(١) سورة الزمر/ ءاية ٦٨.

(٢) سورة الأنبياء/ ءاية ١٠٤.

١- أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ.

٢- عَبْدُ الله بْنُ الزُّبَيْرِ الْحُمَيْدِيُّ.

٣- مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ أَبِي عُمَرَ الْعَدَنِيُّ.

٤- عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ بِشْرِ بْنِ الْحَكَمِ.

٥- مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْقُرَشِيُّ.

٦- خَالِدُ بْنُ نِزَارٍ.

وهذَا الحدِيثُ يُسمَّى (المُسَلسَلُ بِالأَوَّلِـيَّةِ)، وهُو حديثٌ درجَ المُحدِّثون علَى الافْتِتاحِ بِهِ فِي سَمَاعِهِم وإِسْمَاعِهِم لِمَا فِيهِ مِنْ تَسَلْسُلِ الأَوَّلِـيَّة. وقد لَهِجَتْ به أَلسِنةُ المُحدِّثِينَ (بِشَرْطِهِ) فافتتحُوا به مَجالِسَ التَّحدِيثِ والأَمَالِي، وضمَّنُوه مَسمُوعَاتِهم وإِجَازاتِهم، بل صنَّفوا فيه المُصنفَات الكثِيرة، ونظمُوا فيه الأَشْعَار الطَّرِيفة، واستخرجُوا منه الكثير من الفَوائد الإِسناديَّة والمتنيَّة.

ومعنى مسلسل بالأولية أن يقول الراوي حدثنا فلان وهو أول حديث سمعته منه قال حدثنا فلان وهو أول حديث سمعته منه..إلى ءاخره.

وقد قال الحافِظُ ابن ناصر الدِّين الدِّمشقِيُّ في كتابِهِ (مجالِسُ في تفسِيرِ قول اللهَّ تعالى: لَقَدْ مَنَّ الله عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِم): (هذا الحديثُ له ألقابٌ بحسَبِ الوجُوه الَّتي رويناهُ منْهَا، فهُو حديثٌ صحيحٌ، حسنٌ، فردٌ، مُسلسلٌ من وجهين، مُعلٌّ من وجوهٍ، مُختَلَفٌ في إسنادِهِ من وجُوهٍ، مرفُوعٌ، موقُوفٌ من وجْهٍ، مُنقطِعٌ على قولٍ مرجُوحٍ، مُعنعنٌ).

وقال في موضِعٍ ءاخر: (هذا الحديث له ألقابٌ بحسَبِ طُرقِهِ الَّتي رويناها منه، فهو حديثٌ صَحيحٌ، وحسنٌ، وضعيفُ الإسناد من وجه، وفردٌ، ومُعلٌّ من وجوهٍ، ومرفُوعٌ، وموقُوفٌ من وجْهٍ، ومُسلسلٌ بالأَوَّليةِ: مقطُوعُ التسلسُلِ، وموصُول التسلسُلِ من غير انقطاعٍ، كما رويناهُ، ومُعنعنٌ، لقولِ سُفيانَ فيه: عن عمرِو بن دينار، عن أبي قابوسَ، عن عبداللهَّ بن عمرٍو).

٤٠- قال المجسم ابن أبي العز: اخباره تعالى عن فرعون أنه رام الصعود إلى السماء ليّطلع إلى اله موسى، فيكذبه فيما اخبره من انه سبحانه فوق السماوات فقال: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ﴾[1]، فمن نفى العلو من الجهمية فهو فرعوني، ومن اثبته فهو موسوي محمدي.

الرد: وابن أبي العز المجسم تبع مشايخه المجسمة في الاحتجاج المزعوم من قول فرعون الذي هو إمامهم في هذه القضية وفي نسبة الجهة والمكان إلى الله الذي زعم المجسمة والوهابية أن فرعون فهم ذلك من موسى عليه الصلاة والسلام وحاشى لموسى أن يقول ذلك ولو انتظروا من الآن إلى ءاخر الدنيا لن يستطيعوا ان يثبتوا ذلك على موسى ومع أن فرعون كان يدعي الألوهية لنفسه فكيف زعموا أن فرعون فهم من موسى أن إلهه في السماء! ثم ما هذه السخافة ان كانت المجسمة بنت دينها على توهم وتخيل من فرعون فيا لخيبتهم ويا لحسرتهم وردنا في هذه المسألة سيكون على ابن تيمية وابن قيم وابن أبي العز ومن تبعهم من مجسمة عصرنا الآتية اسمائهم.

## القواعد الإيمانية في نسف عقائد الوهابية الفرعونية

يقول الله تعالى في القرءان الكريم ﴿ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾... وقال تعالى عن فرعون ﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ ﴾...

ومن أعجب العجائب أن الوهابية وأئمتهم في التجسيم والتشبيه، كابن تيمية في كتابه المسمى «مجموع الفتاوى» وابن قيم الجوزية في كتابه المسمى «القصيدة النونية» وابن باز في «موقعه الإلكتروني» وابن عثيمين في كتابه المسمى «فتاوى في العقيدة» وابن جبرين في كتابه المسمى «التعليقات الزكية على العقيدة الواسطية»

---

(١) سورة غافر/ ءاية ٣٦-٣٧.

وعلي بن يحيى ابن حضرم وأحمد بن يحيى النجمي في رسالة لهما اسمها «الاعتقاد أن الله تعالى في كل مكان من أفسد المعتقدات وأخبثها» ومحمد خليل هرّاس في «شرحه على نونية ابن قيم» وعبد الرحمٰن دمشقية في «كثير من كتاباته» وعبد الهادي وهبي في كتابه المسمى «غاية البيان في إثبات علو الرحمن» وأضرابهم من الذين أنكروا قيمة البرهان النقلي والعقلي ولجأوا لإثبات عقيدتهم الفاسدة المكذبة للقرءان التي هي نسبة الحيز والمكان إلى الله، وتعالى الله وتقدس عن ذلك لأنه سبحانه قال: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾[1]، وقال عليه الصلاة والسلام: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء» رواه مسلم... ومن كان كذلك كان موجودا بلا مكان.

وقال الحافظ البيهقي في كتابه «الأسماء والصفات»: «استدل بعض أصحابنا -يعني العلماء من أهل السنة والجماعة- من هذا الحديث على نفي المكان عن الله تعالى»[2]...

وقال رسول الله ﷺ: «كان الله ولم يكن شيء غيره»... رواه البخاري والبيهقي وابن الجارود، والمكان العلوي والسفلي وأمام وخلف ويمين وشمال والعالم بأسره غير الله، معناه في الأزل لم يكن عرش ولا سماء ولا مكان، يعني كان الله ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان لأنه لا يجوز عليه التغير ولأن التغير أكبر علامات الحدوث، فوجب شرعا وعقلا أن يكون الله تعالى بلا مكان وإلا لكان مثل خلقه. وبعد هذه الأدلة القرءانية والحديثية لم يستح هؤلاء الوهابية لا من الله

---

(١) سورة الحديد/ ءاية ٣.

(٢) قال ابن فورك في كتاب مشكل الحديث (ص/ ١٩٧) واعلم أن هذا الخبر يبينّ صحة ما قلنا في تأويل وصف الله عز وجل أنه فوق كل شيء لا على معنى المسافة والمساحة وذلك أن كل ما كان فوق شيء على معنى المساحة والتمكن فيه والعلو عليه على هذا الوجه كان دونه شيء وهو على ما عليه من المكان فلما أبان ﷺ أنه ليس دونه شيء علمنا أن معنى أنه فوق كل شيء لا على معنى التمكين والمساحة والمسافة.

ولا من الناس، ولجأووا إلى فرعون الكذاب المفتري الذي ادعى الألوهية لنفسه واحتجوا به في عقيدتهم التي هي أوهى من بيت العنكبوت، فقال داعية فسادهم المدعو عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين في كتابه المسمى «التعليقات الزكية على العقيدة الواسطية» ما نصه: «الآية الرابعة: وهي قصة فرعون، حكى الله عنه أنه قال: «يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب»، الصرح هو البناء الرفيع والأسباب هي الحبال، «أسباب السموات فأطلع إلى إلـٰه موسى»، أي حبال السماء فأصعد فيها حتى أصل إلى السماء فأطلع إلى إلـٰه موسى الذي يقول إنه في السماء هل هو صادق أم لا «وإني لأظنه كاذبا». هكذا ذكره الله تعالى في سورة مؤمن وغافر، وقال في سورة القصص: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾. لعلي أتخذ بناء رفيعا أصعد إليه حتى أصل إلى السماء لأنظر هل في السماء إلـٰه كما يقول موسى أم لا، فأنا أظن أنه من الكاذبين ليس في السماء إله، هذا دليل على أن موسى أخبر فرعون أن إلهه في السماء»... إلى آخره.

وبعد هذه الترهات والسخافات والأكاذيب المفضوحات من الوهابية وزعمائها كما رأيتم ما قاله ابن جبرين، نحن أهل السنة والجماعة نقول: إن الوهابية تستبيح الكذب على الله وعلى أنبيائه وعلى دينه فلا يستبعد منهم ولا يستغرب هذا التحريف العريض والجرأة الهوجاء على نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام، ونتحدى كل جماعة الوهابية أن يثبتوا بزعمهم ما قاله ابن جبرين في افترائه هذا على موسى ولن يستطيعوا. وانظروا إلى قوله بأن موسى قال لفرعون بأن إلهه في السماء، وأن هذا مذكور في القرءان، سورة غافر مؤمن والقصص. وهذا لا وجود له في هذه السورة ولا في غيرها إلا إذا زعمت الوهابية أنهم يحتفظون بمصحف خاص بزعمهم غير المصحف الذي مع المسلمين، ففي أي موضع أيها الوقحون بزعمكم، موسى قال لفرعون إن الله في السماء؟!

بل الذي قاله موسى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ

﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٢٤﴾[1]... فلاحظوا إلى قول الله عن موسى «قال رب السموات والأرض» وما قال «الله في السموات» كما كذبت الوهابية على القرءان وعلى موسى. وانظروا إلى ما أخبر الله تعالى عن فرعون قال ﴿وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ لأنه في الأصل هو لا يؤمن بالله ولا يعتقد بوجوده فلم يقل «أين الله» لأنه لا يعترف بوجوده، فكيف يسأل عن مكانه كما افترى ابن جبرين وقال: «لا بد أن يكون فرعون سأل موسى أين إلهك، وأن موسى قال له في السماء»...؟؟؟!!!

انظروا أيها الوهابية إلى تفسير حبيبكم ابن كثير لقول فرعون: وما رب العالمين. قال ابن كثير في تفسيره ما نصه: «يقول تعالى مخبرا عن كفر فرعون وطغيانه وجحوده في قوله: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾؟ وذلك أنه كان يقول لقومه: «ما علمت لكم من إلـٰه غيري»، «فاستخف قومه فأطاعوه»، وكانوا يجحدون الصانع -تعالى- ويعتقدون أنه لا رب لهم سوى فرعون، فلما قال موسى «إني رسول رب العالمين»، قال له: ومن هذا الذي تزعم أنه رب العالمين غيري؟ هكذا فسره علماء السلف وأئمة الخلف، حتى قال السدي هذه الآية كقوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ٤٩ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ٥٠﴾. ومن زعم من اهل المنطق وغيرهم أن هذا سؤال عن الماهية فقد غلط، فإنه لم يكن مقرا بالصانع حتى يسأل عن الماهية، بل كان جاحدا له بالكلية فيما يظهر، وإن كانت الحجج والبراهين قد قامت عليه فعند ذلك قال موسى عندما سأله عن رب العالمين: «رب السموات والأرض وما بينهما» اي خالق جميع هذا ومالكه»... الى آخره.

فأين يا وهابية الرجس سؤال فرعون لموسى عن مكان الله تعالى بزعمكم؟ وأين قول موسى كما كذبتم عليه وافتريتم أنه قال إن الله في السماء؟ فهذا لا وجود له في كل آيات القرءان، لا في منطوقها ولا في مفهومها وإنما هو محض تقول منكم على موسى وفي حقيقة الأمر افتريتم أيضًا على إمامكم فرعون في هذه الكفرية

---

(١) سورة الشعراء/ ءاية ٢٣ - ٢٤.

وقلتم إنه أنكرها على موسى فأنتم أخذتم هذا من موسى لأنه قاله لفرعون وأنكره فرعون على موسى، وفي حقيقة الأمر لا فرعون سأله عن هذا ولا موسى قاله، بل الذي قاله موسى عن الله تعالى: «رب السموات والأرض» ولم يقل إن الله بذاته في السماء، فما أوقحكم في الكذب على الله وعلى موسى وعلى كتاب الله تعالى.

ومن تلفيقاتهم وخيالاتهم السخيفة الساقطة ما قاله ابن جبرين في نفس الموضع: «ثم إن المعتزلة والأشعرية ونحوهم قالوا إن هذا من ظن فرعون وإن من اعتقد أن الله في السماء فقد تشبه بفرعون فهم عكسوا القضية وقالوا: أنتم أيها المشبهة يا من اعتقدتم أن ربكم في السماء قدوتكم فرعون الذي قال: إن إلٰـه موسى في السماء، فكيف نجيب وكيف نرد عليهم؟ نقول لهم فرعون جاحد منكر أن يكون هناك إلٰـه بل يدّعي أنه هو فقط....، فهو منكر أن يكون له ربا لا في السماء ولا في الأرض، فلما جاءه موسى وأخبره بأن هنالك إلـه، فلا بد أنه قد سأله أين هذا الإلٰـه الذي تزعم يا موسى، ولا بد أن موسى أخبره أن إلهه في السماء»...إلى آخره...

وهنا كأن ابن جبرين نسي أن هذه الأمة فيها عقلاء وأذكياء وفطناء يحفظون العقيدة الإسلامية السنية ويحافظون عليها ويدفعون عنها تمويهات المموهين وكذب الكاذبين وتشكيك المشككين حتى ألصق بموسى عليه السلام أنه لا بد أن يكون قال لفرعون إن الله في السماء بزعمه، ومن أين يستطيع أن يثبت هذا؟ فلو انتظر إلى ءاخر الدنيا هو وزمرة الوهابية، لن يستطيعوا أن يثبتوا هذا على موسى من كتاب الله عزّ وجل.

أما إن قالوا: هذا يفهم من الآيات، يقال لهم: فهمكم معكوس وعقلكم منكوس وقلبكم مطموس فلا عبرة بوهمكم ولا بفهمكم السقيم لأنكم كما قال ابن عثيمين في كتابه المسمى «شرح رياض الصالحين»: «إن الحشرات والبهائم إبان الزلزلة في القاهرة هاجت وضجت ورفعت رؤوسها إلى السماء» وقال:

«حتى البهائم بالفطرة تعرف ان الله في السماء»... فاعجبوا من هذا واضحكوا!!!

فإذا كنتم أخذتم دينكم وعقيدتكم عن الحشرات والبهائم كيف يؤخذ بفهمكم. وأما ما في بعض كتب التفسير مما يتعلق بهذا الموضوع فكلنا يعرف أن كتب التفاسير فيها الغث والسمين، فإن قلتم في تفسير كذا أو فلان قال كذا أي أن فرعون بنى الصرح ليصل إلى الله، لأنه فهم ذلك من موسى، وهو ينكره عليه ويريد أن يكذبه، فماذا تقولون في ما جاء في بعض الكتب أنه لما بني لفرعون الصرح ارتقى فوقه فأمر بنشابة فرمى بها نحو السماء فردت إليه وهي متلطخة دما، فقال قد قتلت إلـه موسى، تعالى الله عما يقول؟ فماذا تقولون أيها الوهابية إن زعمتم أن موسى قال إن الله في السماء وإن فرعون صعد وارتقى فوق الصرح ليصل إليه ليتأكد من كذب موسى بزعمه ثم يقول إنه ضرب الله بنشابة فقتله فعلى زعمكم إن اقريتم بهذه العقيدة وأخذتم بكلام فرعون الذي افتريتم فيه على موسى تقولون إن الله قتل وإن فرعون وصل إليه وإن الله تعالى جرح ومات كما زعم فرعون لعنكم الله واياه.

تنزه الله عن كل ذلك فهو القائل: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ وقال ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ وقال: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾...

وأما قولكم أيها الوهابية بأن الأشاعرة أنكروا أن يكون الله في السماء بذاته وبذلك هم موافقون لفرعون الذي كذّب موسى في هذه المسألة فنقول: قد بان كذبكم وانفضح بأن موسى عليه السلام لم يقل إن الله في السماء بذاته كما افتريتم وإن الأشاعرة موافقون لموسى ولكل الأنبياء في تنزيه الله عما لا يليق به كما قال تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾... أي ليس له شبيها أحد وليس له مثيلا أحد.. وقال: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾... فالأشاعرة والماتريدية هم مجموع أهل السنة والجماعة وهم السواد الأعظم موافقون لما في القرءان ولما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام ولإجماع الأمة، وأما انتم أيها الوهابية فقد خرقتم وخالفتم الإجماع وهل بعد الإجماع إلا الضلال؟!

قال الإمام الأستاذ الكبير الأصولي أبو منصور البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق: «وأجمعوا -أي أهل السنة- على أنه -تعالى- لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان»... انتهى.

وأما افتراؤكم على أبي الحسن الأشعري وعلى أبي محمد الجويني وبعض أئمة أهل السنة من الأشاعرة والماتريدية أنهم قالوا بهذا الذي افتريتم به على موسى، فنقول لكم: أبو الحسن يكفّر من يقول إن الله جسم، وهو يقول إن الله موجود بلا مكان، وأنتم تكفرون من يقول ذلك، فكيف تحتجون به بعد هذا؟!

وكذبكم على الله وعلى الأنبياء والقرءان والأئمة الأعلام معروف مشهور، فلا يستغرب منكم أن تكذبوا على الأئمة لتموهوا على الناس أنهم على عقيدتكم الكفرية، وهذا مفتيكم ابن باز يقول في فتوى له نشرت في مجلة الحجاز الكبرى: «إن الله يجوز أن يخلف وعده»... وبهذا تنسبون الكذب إلى الله فهو الذي قال: «﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ﴾[1]»، والله لا يخلف وعده، ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ ﴾[2] ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾[3] ﴿ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ﴾[4]، فإذا أجزتم الكذب على الله كيف يوثق بنقلكم بعد ذلك؟! أفيقوا من غفلتكم، أيها الجهوية الفرعونية.

وفي كتاب «براءة الأشعريين من عقائد المخالفين» ما نصه[5]: «وقد احتج ابن تيمية على اثبات الجهة لله تعالى مقلدا سلفه المجسمة بقوله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ﴾ وقد ذكر ذلك في رسالته التي نقضها عصريه أحمد بن يحيى الكلابي مجملا فقال العلامة المذكور رادًا عليه:

---

(١) سورة ءال عمران/ ءاية ٩٥.

(٢) سورة آل عمران/ ءاية ١٥٢.

(٣) سورة إبراهيم/ ءاية ٤٧.

(٤) سورة الحج/ ءاية ٤٧.

(٥) براءة الأشعريين من عقائد المخالفين (١/ ٨٣)، تأليف أبي حامد المرزوقي.

ليت شعري كيف فهم من كلام فرعون ان الله تعالى فوق السموات وفوق العرش، أما ان إلـٰه موسى في السموات فما ذكره، وعلى تقدير فهم ذلك من كلام فرعون فكيف يستدل بظن فرعون مع اخبار الله تعالى عنه بأنه زيّن له سوء عمله وانه حاد عن سبيل الله وان كيده في ضلال، مع انه لما سأل موسى عليه الصلاة والسلام بقوله: «وما رب العالمين» لم يتعرض موسى للجهة بل لم يذكر إلا أخص الصفات وهي القدرة على الإختراع ولو كانت الجهة ثابتة لكان التعريف بها أولى لأن الإشارة الحسية من اقوى المعرفات حسا وعرفا، وفرعون سأل بلفظ «ما» فكان الجواب بالتحيز اولى من الصفة، وغاية ما فهمه من هذه الآية واستدل به فهم فرعون فيكون عمدة هذه العقيدة كون فرعون ظنها وهو مشيدها، فليت شعري لما لا ذكر النسبة إليه كما ذكر ان عقيدة سادات أمة محمد ﷺ الذين نبذهم بالجهمية لمخالفتهم هواه متلقاة من لبيد بن الأعصم اليهودي. اهـ

وقد بين عقيدته فارا من شناعة مشيخة فرعون عليه وعلى اسلافه محاولة إلصاقها بموسى، برأه الله تعالى من ذلك وصلى عليه في رسالته المسماة: «الفرقان بين أولياء الرحمـٰن وأولياء الشيطان» قال[1]: «فلولا ان موسى أخبره أن ربه فوق العالم لما قال: [أطلع إلى اله موسى]»، ومنها قال[2]: «وحقيقة قول الجهمية المعطلة هو قول فرعون»، وثرثر إلى ان قال: «وكان ينكر ان يكون الله كلّم موسى أو لا يكون لموسى إلـٰه فوق السموات». وقال في رسالته المسماة «صفات الله وعلوه على خلقه»[3]: «كذب فرعون موسى في قوله: ان الله فوق السموات.»، والمفسرون متفقون على أن معنى [وإني لأظنه كاذبا] في ان له إلها غيري بدليل قوله: [ما علمت لكم من إلـٰه غيري]» انتهى.

ولمزيد الفائدة والبيان نذكر لكم بعض ما قاله علماء التفسير في قوله تعالى:

---

(١) انظر الكتاب (ص/ ١٣٤).

(٢) المرجع نفسه (ص/ ١٤٤).

(٣) صفات الله وعلوه على خلقه (ص/ ٢١١).

«وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إلـٰه موسى وإني لأظنه كاذبا»...

قال ابن كثير في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ﴾... إلى ءاخر الآية ما نصه: «يقول تعالى مخبرا عن فرعون وعتوه وتمرده وافترائه في تكذيبه موسى عليه السلام أنه أمر وزيره هامان أن يبني له صرحا»...ثم قال: قوله تعالى: ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا﴾ وهذا من كفره، وتمرده أنه كذب موسى في أن الله تعالى أرسله إليه...

قال ابن كثير في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ أي: في قوله إن ثم ربا غيري لا أنه كذبه في أن الله ارسله لأنه لم يكن يعترف بوجود الصانع...

قال المفسر البغوي في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ ما نصه: وإني لأظن موسى من الكاذبين ليست في التفسير في زعمه أن للأرض إلها غيري وأنه رسوله...

وفي كتاب البحر المحيط قال أبو حيان الأندلسي في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ ما نصه: وهو الكاذب في انتفاء علمه بإله غيره...

وقال في تفسير قول الله تعالى: ﴿لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ﴾ ما نصه: أوهم قومه إن إلـٰه موسى يمكن الوصول إليه والقدرة عليه وهو عالم متيقن أن ذلك لا يمكن له، وقومه لجهلهم وغباوتهم وإفراط عمايتهم يمكن ذلك عندهم...

وقال أيضًا في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا﴾ ما نصه: أي في ادعاء الإلهية...

وقال الإمام القرطبي في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا﴾ ما نصه: أي وإني لأظن موسى كاذبا في ادعائه إلها دوني...

والحمد الله الذي نصر وأيد أهل السنة والجماعة بالأدلة الباهرة والبراهين

الساطعة لرد شبه المفترين على الله وعلى دينه.

## فضيحة عجيبة وغريبة

ولم تكتف الوهابية وأئمتهم السابقين باحتجاج بفرعون بل احتجوا بالبقر لإثبات عقيدتهم والحمر الوحشية والنمل والشياطين والحشرات كما ترى ذلك بعينك معزوًا إلى مؤلفاتهم وكتبهم مع ذكر أسمائها وأرقام الصحائف.

قال الله تعالى في القرءان الكريم ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[1].

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[2].

## الوهابية والبقر

من قال إن عجائب هذه الدنيا سبعة فقط؟! بل هي أكثر بكثير!!!! ومن أعجب هذه العجائب التي جعلها الله في هذه الدنيا أن فرقة بزغت ونبغت وظهرت تتستر باسم الإسلام وباسم السنة النبوية وهم «الوهابية» أدعياء السلفية والسلف منهم براء، يحاولون بكل وسيلة بزعمهم لإثبات أن معبودهم، وخالقهم بذاته في السماء، وهذه عقيدة واهية لأنها مكذبة للقرءان، فالله تعالى قبل أن يخلق السماء كان موجودا بلا مكان وبعد أن خلق السماء ما زال موجودا كما كان بلا مكان، وهم يقولون إنه بذاته في السماء واحتجوا بذلك بزعمهم بالحمير والبقر والبهائم والحشرات، فهذا إمامهم في التجسيم والتشبيه ابن قيم الجوزية، الذي هو تلميذ المجسم ابن تيمية الحراني وهو الذي نشر كتبه وعمل على بث

---

(١) سورة الفرقان/ ءاية ٤٤.

(٢) سورة الأعراف/ ءاية ١٧٩.

عقيدة التشبيه والتجسيم بعد ابن تيمية، وابن قيم هذا لا يتورع ولا يخجل من الكذب على الله ولا على دينه وهو الذي قال في كتابه المسمى «اجتماع الجيوش الإسلامية» مستشهدا بزعمه بعقيدة أئمته وأسياده وأساتذته ومشايخه المجسمة المشبهة ناقلا ذلك عن المجسم أبي اسماعيل الهروي مفتريا على رسول الله ﷺ قال ما نصه[1]: «أكرموا البقر فإنها سيدة البهائم ما رفعت طرفها إلى السماء حياء من الله -عز وجل- منذ عبد العجل» ثم قال «والمقصود أن هذه فطرة الله التي فطر عليها الحيوان حتى أبلد الحيوان الذي نضرب ببلادته المثل وهو البقر»..انتهى

فعلق عليه محقق الكتاب خجلا وقائلا ما نصه «ذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» ثم قال[2]: هذا الحديث موضوع، والمتهم به عبدالله بن وهب النسوي، قال ابن حبان: كان دجالا يضع الحديث على الثقات لا يحل ذكره إلا على سبيل القدح فيه»... انتهى

لكن ابن القيم استحل ليس فقط ذكره بل الاستشهاد به (معتقدا بصحة الحديث) للانتصار لعقيدته التجسيمية الباطنية الحلولية عقيدة التوراة والإنجيل المحرفَين والفلاسفة الملحدين!! التي يحاكم ويكفر ويضلل بها الوهابية كل المسلمين. والعياذ بالله من خزعبلاتهم وخرافاتهم إلى كل المخدوعين بالحركة الوهابية وإلى كل المغرر بهم وإلى كل من له عقل سليم وإلى كل عاقل ومكلف، انظروا إلى اتباع ابن تيمية ومحمد ابن عبد الوهاب وابن قيم الجوزية، انظروا إلى الحركة الداعية إلى تكذيب الله وتكذيب كتابه، انظروا إلى الفرقة المارقة الضالة الوهابية الذين يضحكون على سفهاء الناس ويموهون عليهم باسم الدين، والإسلام كيف أنهم يعتقدون هذه العقيدة الكفرية البشعة الشنيعة التي لو سمعها أبو جهل لربما أغمي عليه من شدة ضحكه، ولو سمعها أبو لهب ربما انتحر، ولو سمعها زعماء المشركين الأوائل ربما لعرفوا أن الوهابية تنطبق عليهم أيضًا هذه

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (ص/ ٢٩٧).
(٢) الموضوعات (٣/ ٣).

الآيات التي مرّ ذكرها وانهم كالأنعام بل هم أضلّ سبيلا.

فاعجبوا أيها العقلاء من عقيدة الوهابية السخفاء الذين كذبوا وافتروا حتى على البقر والصقوا بها هذه التهمة، فالبقرة لم تسلم من افتراءات الوهابية بل وصلوا في ضلالهم وغيهم إلى أن يلصقوا بها هذه الكفرية مع أن البقرة من البهائم التي لا عقول لها وليست مكلفة وهم اتخذوها إماما ودليلا في عقيدتهم، وهنا لعل الهندي راج كومار وجماعته الهندوس يقدمون وساما كبيرا للوهابية على إظهارهم لعقيدتهم التي اتخذوا فيها البقر أئمة وأساتذة لهم وهذا يفرح الهندوس وعباد البقر.

وما هو القاسم المشترك بين الهندوس وإخوانهم الوهابية؟

هؤلاء يعبدون البقر وهؤلاء أخذوا دينهم من البقر بزعمهم وهذا دليل على بلادة عقول الطرفين تبا وسحقا لسخافة وخزعبلات عقول الوهابية التي هي أبلد من البقر وعقيدتهم الخرافية.

## الوهابية والحمير

وها هو ابن قيم الجوزية من يأخذ عقيدته عن الحمر الوحشية مرة ثانية في كتابه المسمى «اجتماع الجيوش الإسلامية» يقول ما نصه[1]: «وفي هذا الباب قصة حمر الوحش المشهورة التي ذكرها غير واحد إنها انتهت إلى الماء لترده فوجدت الناس حوله فتأخرت عنه فلما جهدها العطش رفعت رأسها إلى السماء وجأرت إلى الله سبحانه بصوت واحد، فأرسل الله سبحانه عليها السماء بالمطر حتى شربت وانصرفت»...انتهى

وهذه القصة الحميرية مشهورة عند أصحاب العقيدة الوهابية.

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (ص/ ٢٩٦-٢٩٧).

وها هو إمام الوهابية ابن قيم الجوزية بعد أن تمشيخت عليه البقر والحمير يتلمذ على النمل من جديد فيقول في كتابه المسمى «اجتماع الجيوش الإسلامية» ما نصه[1]: «قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع قال حدثنا مسعر عن زيد العمي عن أبي الصديق الناجي قال: خرج سليمان بن داود عليهما السلام يستسقي بالناس فمر على نملة مستلقية على قفاها، رافعة أحد قوائمها إلى السماء وهي تقول اللهم إنا خلق من خلقك ليس بنا غنى عن رزقك فإما أن تسقينا أو تهلكنا»...انتهى

وزيد العمي الراوي لهذا الحديث ضعيف واهي الحديث متهم بالوضع، راجع الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث وكذلك الكامل في الضعفاء وتهذيب التهذيب ومن العجيب ان الألباني الذي هو ليس اهلا للتصحيح والتضعيف هو نفسه ضعّف هذا الحديث في كتابه «ارواء الغليل»، والحديث الضعيف لا يحتج به في العقائد، وانظروا إلى ابن قيم كيف يحتج لعقيدته الواهية بحديثٍ الوهابية تضعفه.

واما الذين صححوه من الحفاظ كالحاكم ووافقه الذهبي، وممن نقل تصحيحه عن الدارقطني ملا علي القاري فقال في هذا الحديث في كتاب «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح»[2]: «فيه إظهار عظمة الله تعالى وقدرته، وغناه عما سواه، وفيه بيان رأفته ورحمته على كافة المخلوقات، وإحاطة علمه بأحوال سائر الموجودات، وانه مسبب الأسباب، وقاضي الحاجات، رواه الدارقطني بسند صحيح».

وممن أورده محتجا به ابن حجر الهيتمي في مسألة من يخرج للاستسقاء في كتابه «تحفة المحتاج في شرح المنهاج» فقال ما نصه[3]: «وكذا البهائم في الأصح لأن

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (ص/ ٢٩٧).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (ص/ ١٥١٠)، كتاب الصلاة: باب الإستسقاء، طبعة دار الفكر.

(٣) تحفة المحتاج في شرح المنهاج (ص/ ٧٤-٧٥)، كتاب الصلاة: باب صلاة الاستسقاء، طبعة=

الجدب قد أصابها أيضًا وفي الخبر الصحيح «أن نبيا من الأنبياء قال جمعٌ هو سليمان صلى الله على نبينا وعليه وسلم خرج يستسقي، فإذا هو بنملة رافعة بعض قوائمها إلى السماء فقال ارجعوا فقد استجيب لكم من أجل شأن النملة».»...الى آخره.

فلم يحمله أحد منهم على ما حملته الوهابية عليه ولم يقل امام معتبر ان معنى هذا الحديث ان الله بذاته في السماء كما زعمت الوهابية من شدة فساد قلوبهم وزيغهم عن الحق. وماذا يقولون في حديث مسلم انه ﷺ عندما استسقى في المدينة المنورة في مكان يقال له احجار الزيت حوّل باطن كفيه إلى الأرض. فهل يزعمون بسبب هذا الحديث ان الله بذاته في جهة الأرض؟!

فيا لتناقضهم ويا لحيرتهم ويا لزيغهم عن الحق والصواب.

وأي وقاحة اشد من هذه الوقاحة عند الوهابية، وأئمتهم الذين يأخذون أصل دينهم وأساس عقيدتهم من نملة!! يا للفضيحة!! إلى هذه الدرجة تستخف الوهابية بعقول الناس.

وماذا تفعل الوهابية مع النعامة التي تدفن رأسها في التراب فإذا قالت الوهابية بأن الله يسكن السماء لأن النملة رفعت قوائمها إلى السماء فماذا تفعل في قصة النعامة؟! ونعامة واحدة بقدر مئات الآلاف من النمل، فهل ستقول الوهابية بأن الله في جوف الأرض وتحت التراب لأن النعامة وضعت رأسها في التراب؟!

أي زندقة هذه؟! تنزه الله وتقدس عن كل صفات المخلوقين من التحيز في الجهات والأماكن لأنه سبحانه موجود بلا مكان.

## الوهابية والشياطين

وها هي الوهابية بعد ما احتجت بفرعون الذي كذب على موسى وبعدما احتجت بالحمير والبقر والنمل تحتج بالشياطين لإثبات عقيدتها النجسة، وما

---

= دار إحياء التراث العربي.

هذا الاستدلال العقائدي الوهابي بقصة شيطان من إخوانهم إلا تدجيل وشعوذة وكأنهم بهذا يظنون الناس الذين امامهم بلا عقول بالمرة.

وهذه من سذاجة الوهابية وعقولها وعقيدتها، وما هو إلا تدليس وتلبيس على الناس لا ينطوي ولا ينطلي على أحد من العقلاء ولا يمشي معهم ولا يصدقهم إلا من أهدر قيمة البرهان العقلي.

يقول ابن قيم الجوزية في نفس المصدر مستدلا على عقيدته التجسيمية ملخصا أن أحدهم سمع أحد الجن عند دخول الحمام يقول[1]:

كيف تهدأ جفون من ليس يدري أرضي عنه من على العرش أم لا؟؟».. اهـ

انظر ايها القارئ، انظر أيها المنصف كي تعرف وكي تتأكد من أين أخذت الوهابية عقيدتها الكفرية، من فرعون، من الشياطين، من الحشرات،، والبقر والحمير!!!



هذا مصدر عقيدة الوهابية، فاعرفوهم أيها الناس على حقيقتهم واحذروا فتنتهم.

## الوهابية وإمامها ابن عثيمين والحشرات

فإن قال الوهابية في عصرنا هذا: إن هذا كلام ابن قيم ونحن لسنا ملزمين به، نقول لهم: إمامكم وشيخكم في هذا العصر، والذي قرر عقيدتكم وشرحها احتج بنفس هذه السخافات التي ذكرها ابن قيم، احتج بالبهائم، فعجبا لمن صورته صورة انسان ويدّعي أنه من العقلاء ويتخذ الحشرات والديدان أئمة له في عقيدته.

ويقول الوهابي الخرافي ابن عثيمين المتطفل في شرحه على كتاب «رياض الصالحين» ما نصه[2]: «بل حتى البهائم ترفع إلى السماء، حدثني أحد الأساتذة

---

(١) انظر الكتاب (ص/ ٢٩٣ - ٢٩٤).

(٢) رياض الصالحين (ص/ ١١٠)، مكتبة الصفا.

في الجامعة عندنا عن شخص اتصل عليه من القاهرة إبان الزلزلة التي أصابت مصر يقول: إنه قبل الزلزلة بدقائق، هاجت الحيوانات من مقرها الذي يسمونه: «حديقة الحيوانات» هاجت هيجانا عظيما ثم بدأت ترفع رأسها إلى السماء، سبحان الله، بهائم تعرف أن الله في السماء، وأوادم من بني ءادم ينكرون أن الله في السماء والعياذ بالله، فالبهائم تدري وتعرف. نحن نشاهد بعض الحشرات إذا طردتها أو ءاذيتها وقفت ثم رفعت قوائمها إلى السماء، نشاهدها مشاهدة فهذا يدل على أن كون الله عز وجل في السماء أمر فطري لا يحتاج إلى دليل أو تعب أو عنت»...انتهى

الى ءاخر خزعبلات وخرافات الوهابية وابن عثيمين وسلفه الحراني ابن تيمية، والخرافية المجسمة.

وبهذه الرسالة المختصرة من كلام ومصادر أئمة الوهابية يتبين لكم أيها الناس أن الوهابية والهندوس وعباد البقر على أصل واحد في تعظيم البقر وأن الوهابية اقتدت بالبهام والحشرات والشياطين لتعرف بزعمها ماذا تعتقد!!

قال الله تعالى في القرءان الكريم ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[1].

قال الله تعالى ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[2].

٤١- قال المجسم ابن أبي العز: وذكر محمد بن طاهر المقدسي ان الشيخ ابا جعفر الهمذاني حضر مجلس الاستاذ أبي المعالي الجويني المعروف بامام الحرمين، وهو يتكلم في نفي صفة العلو، ويقول: كان الله ولا عرش، وهو الان على ما كان! فقال الشيخ أبو جعفر: اخبرنا يا استاذ عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا!

---

(١) سورة الفرقان/ ءاية ٤٤.

(٢) سورة الأعراف/ ءاية ١٧٩.

**فانه ما قال عارف قط: يا الله، الا وجد في قلبه ضرورة تطلب العلو، لا يلتفت يَمنة ولا يَسرة، فكيف ندفع هذه الضرورة عن أنفسنا! قال: فلطم أبو المعالي عن رأسه ونزل! واظنه قال: وبكى! وقال: حيّرني الهمذاني حيّرني الهمذاني! أراد الشيخ: ان هذا أمر فطر الله عليه عباده من غير ان يتلقّوه من المعلمين، يجدون في قلوبهم طلبا ضروريا يتوجه إلى الله، ويتطلبه في العلو.**

**الرد:** ويكفي في رد كذب ابن أبي العز وافترائه هذه القصة ما ذكره امام الحرمين في كتابه «الشامل في أصول الدين»[1] وقال بعد كلام فصل ادلة نفي الجهة: وقال بعد كلام باب في ذكر تأويل جمل من ظواهر الكتاب والسنة وذكر آيات كثيرة من المتشابهات واولها وقال ليست على ظاهرها وتكلم في تنزيه الله عن الجسمية وصفاتها وعن الحركة والسكون والانتقال.

وقال في كتابه «الارشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد» فصل فيما يستحيل اتصاف الله به[2]: ومذهب اهل الحق قاطبة ان الله سبحانه وتعالى يتعالى عن التحيز والتخصص بالجهات وذهب الكرامية وبعض الحشوية إلى ان البارىء، تعالى عن قولهم، متحيز مختص بجهة فوق ومن الدليل على فساد ما انتحلوه ان المختص بالجهات يجوز عليه المحاذاة ثم توسع في الرد على المجسمة والحشوية الذين يحملون الآيات المتشابهات على ظاهرها ويشبهون الله بخلقه فتبين كذب ابن أبي العز على إمام الحرمين رحمه الله رحمة واسعة.

**٤٢ -قال المجسم ابن أبي العز: قولكم: ان السماء قبلة الدعاء لم يقله أحد من سلف الأمة، ولا أنزل الله به من سلطان.**

---

(١) الشامل في أصول الدين (١/ ٢٨٦)، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى، باب القول في إيضاح الدليل على تقدس الرب سبحانه وتعالى عن الجهات والمحاذيات.

(٢) الارشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ص/ ٣٩)، جماعة الأزهر للنشر والتأليف مكتبة الخانجي بتحقيق الدكتور محمد يوسف موسى أستاذ في كلية أصول الدين بالأزهر وعلي عبد المنعم عبد الحميد المدرس في الأزهر الشريف معهد القاهرة سنة ١٣٦٩هـ ١٩٥٠م.

الرد: وقوله هذا يشهد على عظيم جهله وكذبه وعدم اطلاعه على كلام علماء سلف الأمة فهذا الامام أبو منصور الماتريدي المولود سنة ٢٣٢ وقيل ٢٤٧هـ المتوفى٣٣٣ وهذا معناه انه من السلف والمجسم العنيد الجهول المكابر يقول إن احدا من السلف لم يقل ان السماء قبلة الدعاء وهذه نصوص العلماء من السلف والخلف تؤكد ان السماء قبلة الدعاء وليست مسكنًا لله.

# بيان أن السماء قِبلة الدعاء

قال أهل العلم إن السماء هي قِبْلة للدعاء وليست مكانًا ومسكنًا لله تعالى.

١ - قال إمام أهل السنة أبو منصور الماتريدي (٣٣٣هـ) ما نصه[١]: «وأما رفع الأيدي إلى السماء فعلى العبادة، ولله أن يَتعبَّد عبادَه بما شاء، ويوجههم إلى حيث شاء، وإن ظَنَّ من يظن أن رفع الأبصار إلى السماء لأن الله من ذلك الوجه إنما هو كظن من يزعم أنه إلى جهة أسفل الأرض بما يضع عليها وجهه متوجهًا في الصلاة ونحوها، وكظن من يزعم أنه في شرق الأرض وغربها بما يتوجه إلى ذلك في الصلاة، أو نحو مكة لخروجه إلى الحج» اهـ ثم ذكر تنزيه الله عن الجهة.

٢ - وقال الحافظ اللغوي الفقيه السيد محمد مرتضى الزبيدي ما نصه[٢]: «فإن قيل: إذا كان الحقُّ سبحانه ليس في جهةٍ، فما معنى رفع الأيدي بالدعاء نحو السماء؟.

فالجواب: من وجهين ذكرهما الطُّرْطُوشي[٣]:

أحدهما: أنه محلُّ التعبُّد، كاستقبالِ الكعبةِ في الصلاة، وإلصاق الجبهةِ بالأرضِ في السجود، مع تنزُّهه سبحانه عن محلِّ البيت ومحلِّ السجود، فكأنَّ السماءَ قبلةُ الدعاء.

وثانيهما: أنها لما كانَتْ مهبِط الرزقِ والوحيِ وموضعَ الرحمةِ والبركةِ، على معنى أن المطرَ يَنزِلُ منها إلى الأرضِ فيخرج نباتًا، وهي مَسكنُ الملإ الأعلى، فإذا قَضَى اللهُ أمرًا ألقاه إليهم، فيُلقونه إلى أهلِ الأرض، وكذلك الأعمال تُرفَع، وفيها غيرُ واحد من الأنبياء، وفيها الجنةُ - وهي فوق السماء السابعة - التي هي غايةُ الأماني، فلما كانت مَعْدِنًا لهذه الأمور العِظام ومَعرِفةَ القضاءِ والقَدَر، تَصرَّفَت

(١) كتاب التوحيد (ص/ ٧٥ - ٧٦).

(٢) إتحاف السادة المتقين (٥/ ٣٤ - ٣٥).

(٣) هو الشيخ أبو بكر محمد بن الوليد الأندلسي الطرطوشي المالكي (٥٢٠هـ).

الهِممُ إليها، وتوفَّرَت الدواعي عليها» اهـ.

٣ - وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني الشافعي الأشعري (٨٥٢هـ) ما نصه[١]: «السماء قِبْلة الدعاء كما أن الكعبة قِبْلة الصلاة» اهـ.

٤ - وقال الشيخ مُلاّ علي القاري الحنفي (١٠١٤هـ) في كتابه «شرح الفقه الأكبر» ما نصه[٢]: «السماء قِبْلة الدعاء بمعنى أنها محل نزول الرحمة التي هي سبب أنواع النعمة، وهو مُوجِب دفع أصناف النقمة... وذكر الشيخ أبو معين النسفي إمام هذا الفن في «التمهيد» له من أن المحقّقين قرّروا أن رفع الأيدي إلى السماء في حال الدعاء تعبّد محض» اهـ.

٥ - وقال العلاّمة البَياضي الحنفي (١٠٩٨هـ) في كتابه «إشارات المرام» ما نصه[٣]: «رفع الأيدي عند الدعاء إلى جهة السماء ليس لكونه تعالى فوق السموات العُلى بل لكونها قِبلة الدعاء، إذ منها يتوقع الخيرات ويستنزل البركات لقوله تعالى ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[٤] مع الإشارة إلى اتصافه تعالى بنعوت الجلال وصفات الكبرياء، وكونه تعالى فوق عباده بالقهر والاستيلاء» اهـ.

٦ - وقال الحافظ الفقيه اللُّغوي السيد محمد مرتضى الزَّبِيدي الحنفي (١٢٠٥هـ) ما نصه[٥]: «وإنما اختُصّت السماء برفع الأيدي إليها عند الدعاء لأنها جُعِلَت قِبْلة الأدعية كما أن الكعبة جُعِلَت قِبْلة للمصلي يستقبلها في الصلاة، ولا يقال إن الله تعالى في جهة الكعبة» اهـ.

٧ - وقال أيضًا[٦]: «فأما رفع الأيدي عند السؤال والدعاء إلى جهة السماء فهو لأنها قِبلة الدعاء كما أن البيت قِبلة الصلاة يُستقبَل بالصدر والوجه، والمعبودُ

---

(١) فتح الباري (٢/ ٢٣٣).
(٢) شرح الفقه الأكبر: (بعد أن انتهى من شرح المتن ص/ ١٩٩).
(٣) إشارات المرام (ص/ ١٩٨).
(٤) سورة الذاريات/ ءاية ٢٢.
(٥) إتحاف السادة المتقين (٢/ ٢٥).
(٦) المصدر السابق (٢/ ١٠٤).

بالصلاة والمقصودُ بالدعاء - وهو الله تعالى - منزه عن الحلول بالبيت والسماء؛ وقد أشار النسفي أيضًا فقال: ورفع الأيدي والوجوه عند الدعاء تعبُّد محض كالتوجّه إلى الكعبة في الصلاة، فالسماء قِبْلة الدعاء كالبيت قِبْلة الصلاة» اهـ.

٨ - قال العلامة المحدث الشيخ عبد الله الهرري المعروف بالحبشي في كتابه «إظهار العقيدة السُّنيَّة» ما نصه[1]: «ورفعُ الأيدي والوجوه إلى السماء عند الدعاء تعبُّدٌ مَحْضٌ كالتوجّه إلى الكعبة في الصلاة، فالسماء قِبْلة الدعاء كالبيت الذي هو قِبْلة الصلاة» اهـ.

وقال أيضًا في كتابه السابق ذكره.

## فائدة مهمة يحتاج اليها

**مسألة مهمة**: إذا قال قائل: نفيه عن الجهات الستّ إخبار عن عدمه، إذ لا عدم أشد تحقيقًا من نفي المذكور عن الجهات الستّ. قلنا: النفي عن الجهات الستّ إنما يكون إخبارًا عن عدم ما لو كان لكان في جهة منه، لا نفي ما يستحيل عليه أن يكون في جهة منه، لأن من نفى نفسه عن الجهات الست لا يكون ذلك إخبارًا عن عدمه، وكذا تنزيه القديم جلّ وعلا عن الجهات الست» اهـ.

- وقال أيضًا ما نصه[2]: «إن المؤمنين يرون الله في الآخرة، وهذا حق يجب الإيمان به، يرونه بأبصارهم من غير مسافة بينهم وبين الله لا كما يُرى المخلوق، لا يجوز ذلك لأن الذي يكون بينه وبينك مسافة يكون محدودًا، إما أن يكون أعظم جرمًا منك أو أصغر منك أو مثلك، وهذا كله لا يجوز على الله، فلذلك أهل السنة يثبتون رؤية الله في الآخرة من غير تشبيه ولا جهة ولا مسافة، ولا تكون رؤية الله كما يُرى المخلوق، لأن المخلوق إذا رأيته تراه في جهة أمامك، أو في جهة خلفك تلتفت إليه فتنظر إليه، أو في جهة يمينك، أو في جهة يسارك، أو في جهة فوقك، أو

---

(١) إظهار العقيدة السُّنية (ص/ ١٢٨).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص/ ١٤٤).

في جهة تحتك، أو في جميع الجهات كما إذا كنت ضمن غرفة فإنها محيطة بك، وقد نص على هذا الإِمام أبو منصور الماتريدي[1] وغيرُه» اهـ.

- وقال أيضًا: «وإثبات المكان لله يقتضي إثبات الجهة التي نفاها علماء الإسلام عن الله تعالى سلفهم وخلفهم كما قال أبو جعفر الطحاوي في كتابه المسمى «العقيدة الطحاوية» والذي ذكر فيه أنه بيان عقيدة أهل السنّة والجماعة: «لا تحويه الجهاتُ الست كسائر المبتدعات». فتبين أن نفي تحيّز الله في جهة هو عقيدة السلف، لأن الطحاوي من السلف وقد بيَّن أن هذا معتقد أبي حنيفة وصاحبيه الذين ماتوا في القرن الثاني خاصة ومعتقد أهل السنّة عامة» اهـ.

- وقال أيضًا في الرد على الوهابية المجسمة ما نصه[2]: «وأشد شبهة لهم -أي للوهابية - قولهم إنه يلزم من نفي التحيّز في المكان عن الله تعالى كالتحيز في جهة فوق أنه نفي لوجوده تعالى، يقال لهم: ليس من شرط الوجود التحيز في المكان لأن الله تبارك وتعالى كان قبل المكان والزمان والجهات والأجرام الكثيفة واللطيفة، وقد قال رسول الله ﷺ: «**كان الله ولم يكن شيء غيره**» فأفهمنا أن الله تعالى كان قبل المكان والزمان والنور والظلام والجهات، فإذا صح وجوده قبل هؤلاء وقبل كل مخلوق صحّ وجودُه بلا تحيّز في جهة ومكان بعد وجود الخلق. وهذا الحديث الذي رواه البخاري وغيره تفسيرٌ لقول الله تعالى ﴿**هُوَ ٱلْأَوَّلُ**﴾[3] فقد وصف ربنا نفسه بالأوّلية المطلقة فلا أول على الإطلاق إلا الله، أما أوّلية بعض المخلوقات بالنسبة لبعض فهي أوّلية نسبيّة. وأنتم أيها المجسمة لما حصرتم الموجود فيما يدرِكه ويتصوره الوهم وهو ما يكون متحيزًا في جهة ومكان، فهذا قياس منكم للخالق بالمخلوق، لأن المخلوق لما كان لا يخرج عن كونه جِرمًا كثيفًا أو لطيفًا أو صفة تابعة للجرم كالحركة والسكون قطعتم بعدم صحة ما ليس

---

(١) كتاب التوحيد (ص/ ٧٦).

(٢) صريح البيان (ص/ ٧١ - ٧٢ - ٧٣).

(٣) سورة الحديد/ ءاية ٣.

كذلك، فبهذا التقرير بطلت شبهَتهم وتمويههم.

واعلموا أن أصل مصيبتكم هو أنكم جعلتم الله جِرمًا فقلتم: لا يصح وجود الله بلا تحيّز في جهة ولم تقبل نفوسكم وجود ما ليس بمتحيّز وهو الله تعالى الذي نفى عن نفسه المِثل بقوله ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[1] وخرجتم عما توارد عليه السلف والخلف وهو قولهم: «مهما تصورت ببالك فالله بخلاف ذلك» قال هذه العبارة الإمام أحمد بن حنبل والإمام الزاهد الناسك ذو النون المصري وهما كانا متعاصرين، وبمعناه عبارة الشافعي المشهورة: «من انتهض لمعرفة مُدبّره فانتهى إلى مَوجود ينتهي إليه فِكرُه فهو مشبّه»، وأنتم يا معشر المشبهة معتقدكم أنّ الله جِرم حتى قال بعضهم إنه جرم بقدر العرش من الجوانب الأربعة، وقال بعضهم إنه يزيد على العرش، وقال بعضهم هو على بعض العرش، وقال بعضهم إنه بصورة إنسان طوله سبعة أشبار بشبر نفسه، وزعيمكم ابن تيمية مرة قال إنه بقدر العرش لا يَفضل منه شىء بل يزيد، ومرة قال إنه جالس على الكرسي وقد أخلى موضعًا لمحمد ليُقعدَه فيه، والأول من هذين القولين في كتابه المنهاج[2] والثاني في الفتاوى[3] وكتابه المسمى كتاب العرش الذي اطلع عليه الإمام المفسر النَّحْويّ اللغوي أبو حيّان الأندلُسي[4]، وقال الحافظ أبو سعيد العلائي أحد مشايخ الحافظ ابن حجر العسقلاني إن ابن تيمية قال إنه بقدر العرش لا أصغر ولا أكبر[5]. وقول الوهابية إن الفطرة في كل إنسان تقضي بأن الله متحيز بجهة الفوق أي العرش منقوض بشواهد الوجود لأن من الناس من يعتقدون أن هذه السماء الدنيا التي لونها الخضرة الخفيفة هي الله، ومن الناس من يعتقد أن الله كتلة نورانية حتى إنه ظهر من بعض الناس المتسبين للإسلام أن الله في مكة والمدينة،

---

(١) سورة الشورى/ ءاية ١١.

(٢) المنهاج (١/ ٢٦٠ - ٢٦١).

(٣) الفتاوى (٤/ ٣٧٤).

(٤) النهر الماد (١/ ٢٥٤)، تفسير ءاية الكرسي.

(٥) ذخائر القصر (ص/ ٣٢ - ٣٣) مخطوط.

وبعض المشبهة قالوا بأنه في إحدى السّموات السبع، ومنهم من بلغت به الوقاحة وهو أحد مشبهة الحنابلة ألف كتابًا رتّبه هكذا: باب اليدين باب العين ثم باب كذا ثم باب كذا إلى أن قال باب الفرج لم يرد فيه شيء، فيقال للوهابية: يا معشر المشبهة أيّ هؤلاء على الفطرة التي تزعمون أن الإنسان إذا خُلّي وطبعه يعتقد أن الله متحيّز في السماء، وما هي الفطرة التي خلق الله عليها البشر التي هي الصواب والحق؟ إنما الفطرة هي ما وافق العقل والدليل العقلي ووافق التنزيه عن الجِسميّة وصفاتِها وعوارضها، وهذا ما فهمه جمهور علماء الطوائف المنتسبة إلى الإسلام.

وأما العلو الوارد وصف الله تعالى به فنذكر ما قاله الإمام أبو منصور البغدادي في تفسير الأسماء والصفات[1] ونصه: «والوجه الثالث أن يكون العلو بمعنى الغلبة، قال الله عزّ وجلّ ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾[2] أي الغالبون لأعدائكم، يقال منه: علوت قرني أي غلبته، ومنه قوله عزّ وجلّ ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[3] أي غلب وتكبر وطغى، ومنه قوله عز وجل ﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾[4] أي لا تتكبّروا، وكذلك قوله ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾[5] أي لا تتكبّروا. فإذا كان مأخوذًا من العلو فمعنى وصف الله عز وجل بأنه عليٌّ أنه ليس فوقه أحد، وليس معناه أنه في مكان دون مكان، وإن كان مأخوذًا من ارتفاع الشأن فهو سبحانه أرفع شأنًا من أن نشبّه به شيئًا» اهـ.انتهى كلام العلامة الهرري وهو نفيس جدًا.

## لا يجوز أن يقال «الله في كل مكان»

اعلم أنه لا يجوز القول: الله في كل مكان ولو كان القائل يفهم من هذه العبارة الفاسدة أن الله عالمٌ بكل شيء، وإليك الدليل على ذلك:

---

(١) تفسير الأسماء والصفات (ق/ ١٥١).

(٢) سورة ءال عمران/ ءاية ١٣٩.

(٣) سورة القصص/ ءاية ٤.

(٤) سورة الدخان/ ءاية ١٩.

(٥) سورة النمل/ ءاية ٣١.

١ - قال المتكلم ابن فورك الأشعري (٤٠٦هـ) ما نصه[١]: «اعلم أن الثلجي كان يذهب مذهب النجار في القول بأن الله في كل مكان وهو مذهب المعتزلة[٢]، وهذا التأويل عندنا منكر من أجل أنه لا يجوز أن يقال إن الله تعالى في مكان أو في كل مكان» اهـ.

٢ - ثم ردَّ ابن فورك على من أطلق هذه العبارة مريدًا بها أن الله عالم بكل شيء فقال ما نصه[٣]: «فمتى ما رجعوا في معنى إطلاق ذلك إلى العلم والتدبير كان معناهم صحيحًا واللفظ ممنوعًا، ألا ترى أنه لا يسوغ أن يقال إن الله تعالى مجاور لكل مكان أو مماس له أو حال أو متمكِّن فيه على معنى أنه عالم بذلك مدبرٌ له» اهـ.

٣ - قال الحافظ أبو بكر البيهقي الشافعي الأشعري (٤٥٨هـ) ما نصه[٤]: «وفيما كتبنا من الآيات دلالة على إبطال قول من زعم من الجهمية أن الله سبحانه وتعالى بذاته في كل مكان، وقوله عز وجل ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[٥] إنما أراد به بعلمه لا بذاته» اهـ.

٤ - قال الشيخ أبو حامد الغزالي الشافعي الأشعري (٥٠٥هـ) في الرد على جهم بن صفوان أحد زعماء المبتدعة ما نصه[٦]: «ولا ترتبك في مواقع غلطه، فمنه غلط من قال: إنه في كل مكان. وكل من نسبه إلى مكان أو جهة فقد زلّ فضلّ، ورجع غاية نظره إلى التصرف في محسوسات البهائم، ولم يجاوز الأجسام وعلائقها. وأول درجات الإيمان مجاوزتها، فبه يصير الإنسان إنسانًا فضلًا عن أن يصير مؤمنًا» اهـ.

---

(١) مشكل الحديث (ص/ ٦٣).

(٢) المعتزلة فرقة انحرفت عن منهج أهل السنة، وقد عدّها علماء المسلمين من الفِرق المبتدعة لكثرة مقالاتها الشاذة.

(٣) المصدر السابق (ص/ ٦٥ - ٦٦).

(٤) كتاب الاعتقاد (ص/ ٧٠).

(٥) سورة الحديد/ ءاية ٤.

(٦) الأربعين في أصول الدين (ص/ ١٩٨).

وهذا صريح من الغزالي أنه لا يجوز القول الله في كل مكان، ومن نسب إلى الغزالي خلاف ذلك فقد افترى عليه، لذلك نبّه الشيخ عبد الله الهرري المعروف بالحبشي على كلمة تُنسب للغزالي وليست من كلامه فقال ما نصه[١]: «تنبيه: ليحذر من كلمة في أبيات منسوبة للغزالي وليست له، وهي هذا الشطر: «وهو في كلّ النّواحي لا يَزُول» فإنها مرادفة لقول المعتزلة الله بكل مكان. قال علي الخوّاص: «لا يجوز القول إنه تعالى بكل مكان» انتهى كلام الشيخ الهرري من كتابه «الدليل القويم على الصراط المستقيم» الذي بيّن فيه عقيدة أهل السنة والجماعة بالأدلة النقلية من القرءان والحديث والأدلة العقلية التي تدحض شبه الفلاسفة القائلين بأزلية نوع العالم، والمعتزلة والمرجئة، والمشبهة القائلين بجلوس الرب على العرش واستقراره عليه ونسبة المكان والجهة والجوارح له، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا.

٥ - وقال ابن كثير (٧٧٤هـ) ما نصه[٢]: «اتفق المفسرون على إنكار قول الجهمية الأول القائلين، تعالى عن قولهم علوًّا كبيرًا، بأنه في كل مكان» اهـ.

٦ - وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني الشافعي الأشعري (٨٥٢هـ) ما نصه[٣]: «وقد نزع به بعض المعتزلة القائلين بأن الله في كل مكان وهو جهل واضح، وفيه -أي في حديث: «إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربّه أو إن ربَّه بينه وبين القبلة - الرد على من زعم أنه على العرش بذاته» اهـ.

٧ - وذكر الشيخ عبد الوهاب بن أحمد الشعراني (٩٧٣هـ) أن عليًّا الخوّاص رضي الله عنهما قال[٤]: «لا يجوز أن يقال إنه تعالى في كل مكان كما تقول المعتزلة والقدرية» اهـ.

٨ - وقال الشيخ العلامة المحدّث الفقيه الشيخ عبد الله الهرري المعروف

---

(١) الدليل القويم على الصراط المستقيم (ص/ ٥٨).
(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٧).
(٣) فتح الباري (١/ ٥٠٨).
(٤) اليواقيت والجواهر (١/ ٦٥).

بالحبشي ما نصه[1]: «ثم المعتزلة وجمهور النجارية قالوا: إنه تعالى بكل مكان بالعلم والقدرة والتدبير دون الذات، وهذا باطلٌ لأن من يعلم مكانًا لا يقالُ إنه في ذلك المكان بالعلم، فما شاع عند بعض من ينتسب للتصوف من قول: إن الله تعالى بكل مكان لا يجوز، فقد نقل الشعرانيُّ عن علي الخواص أنه قال: لا يجوز أن يقال إنه تعالى بكل مكان، قال صاحب روح البيان في تفسيره: إنه قول جهلة المتصوفة. على أن أولئك ما قالوا: موجود بكل مكان، بل قالوا: إنه تعالى بكل مكان من دون أن يضيفوا كلمة موجود؛ وبيْن قول القائل: إن الله بكل مكان وقول القائل: إن الله موجود بكل مكان، فرقٌ كبير لأن كلمة موجود إثبات للتحيز في المكان صريح، اللهم إلا أن يكون بعض الأشخاص لا يفهمون من قولهم موجود التحيزَ، فهؤلاء ينظر في حالهم إن كانوا لا يعتقدون تحيز الذات في الأماكن فلا يكفرون، لكن كلامهم هذا كلام فاسد، أصله إلى المعتزلة والجهمية، فوضح أنّ الذي قالها بالباء أو بحرف في إن كان يفهم من هذه العبارة تحيز الذات القديم الأزلي المقدس في الأماكن كلها فهو كافر من أكفر الكفار، لأنه إذا كان الذي يعتقد أن الله متحيز بمكان واحد كالعرش كافرًا لأنه أثبت لله المشابهة لخلقه وذلك لأن فوق العرش كتابًا كتب الله فيه إن رحمتي تغلب غضبي -رواه البخاري وابن حبان[2]- فلو كان الله متحيزًا فوق العرش لكان ذلك الكتاب مثلاً لله، وكذلك اللوح المحفوظ على القول بأنه فوق العرش. فتبين بطلان ظن المشبّهة أن كون الله فوق العرش تنزيه له عن المثل، فكيف الذي يعتقد في الله التحيز في كل مكان فقد جعله منتشرًا منبثًّا في الأماكن النظيفة والأماكن القذرة، لكن هؤلاء العوام حالُهم يدل على أنهم لا يقصدون التحيز إنما يقصدون أنه تعالى محيط بخلقه قدرة وعلمًا، إلا أن بعضهم يعتقد ذلك الاعتقاد الفاسد وهو أن ذاته منتشر» اهـ.

---

(١) إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية (ص/ ١٤٠ - ١٤١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾، وابن حبان في صحيحه: كتاب التاريخ: باب بدء الخلق: ذكر الأخبار عما كان عليه العرش قبل خلق الله جل وعلا السموات والأرض، انظر الإحسان (٨/ ٥).

**تحذير**: اشتد النكير على المعتزلة والجهمية القائلين بهذه الكلمة الفاسدة كما سبق نقلنا لذلك، وهذا الانحراف في العقيدة عند هؤلاء المبتدعة المعتزلة والجهمية نجده عند سيد قطب في مؤلَّفه الذي فسر فيه القرءان على زعمه حيث قال في تفسير قوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[1] ما نصه[2]: «وهي كلمة على الحقيقة لا على الكناية والمجاز. فالله سبحانه مع كل أحد ومع كل شىء، في كل وقت وفي كل مكان» اهـ.

فالعجب من هذه الجماعات التي تدافع عن سيد قطب وتصفه بالمفكر الإسلامي تارة وبالمفسّر تارة أخرى، مع جهله بعقيدة أهل السنة والجماعة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

## تحقيق مهمٌ جدًا حول من هم أهل القبلة

وهي القاعدة المقررة عند أهل السنة والجماعة قاطبة: «ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله»[3] اهـ.

لكن هذه العبارة تحتاج إلى تبيين، فقد علم بما لا يقبل التردد أن الشخص قد ينطق باللفظ الكفري أو يفعل الفعل الكفري أو يعتقد الكفر ويحكم بخروجه من الإسلام، وأنه لا يعد في دائرة أهل الإيمان، سواء أنكر ضروريا من ضروريات الدين أم استخف بالشرع أم بالله أم الرسول، وهذا مما علم من دين المسلمين ضرورة، وإذا كان الأمر كذلك فما هو المراد من هذه العبارة: «ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله»؟.

**الجواب**: أن من عقائد أهل السنة والجماعة المتّفق عليها أنه لا يكفّر مسلم بذنب إن لم يستحلّه، وإنّما يكفر الذي يستحلّه أي على الوجه المقرر عند أهل

---

(١) سورة الحديد/ ءاية ٤.

(٢) [(٤٣٨)].

(٣) العقيدة الطحاوية: (٣١-٣٢).

العلم، فإنّ المسألة يَدخلها تفصيل، فإنّه إن استحل معصية معلوما حكمها من الدين بالضرورة كأكل لحم الخنـزير والرشوة فهو كفرٌ أي خروج من الإسلام، قال أبو إسحاق الشيرازي: «ما علم من دين الرسول ﷺ ضرورة، كالصلوات المفروضة، والزكوات الواجبة، وتحريم الزنا واللواط وشرب الخمر وغير ذلك، فمن خالف في شيء من ذلك بعد العلم فهو كافر لأن ذلك معلوم من دين الله تعالى ضرورة، فمن خالف فيه فقد كذب الله تعالى ورسوله ﷺ في خبرهما فحكم بكفره»[1] اهـ.

وإن لم يكن حكمه كذلك أي معلوما من الدّين بالضّرورة لم يكفر مستحلّها إلا أن يكون من باب ردّ النص الشّرعي بأن علم بورود الشّرع بتحريمها فعاند فاستحلّها، لأن ردّ النصوص كفرٌ، كما قاله النسفي في عقيدته المشهورة[2] وغيره.

والأحكام نوعان: نوع يتعلق بالعقيدة، ونوع يتعلق بالأحكام الفرعية. فأما الأحكام الفرعية فقد بينت آنفا وجه الحكم في منكرها أو مستحلها، وأما في المخالف في العقيدة من أهل البدع فقد قال الشيخ محمود القونوي النسفي عند قول الطحاوي: «ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب»[3] ما نصه: «إشارة إلى تكفيره بفساد اعتقاده كفساد اعتقاد المجسمة والمشبهة والقدرية ونحوهم»[4] اهـ.

ويؤيد هذا ما في اللمع للشيرازي أيضًا حيث قال: «والأحكام ضربان عقلي وشرعي، فأما العقلي: فهو كحدوث العالم وإثبات الصانع وإثبات النبوة وغير ذلك من أصول الديانات، والحق في هذه المسائل واحد وما عداه باطل، وحكي عن عبيد الله بن الحسن العنبري أنه قال: كل مجتهد في الأصول مصيب[5]، ومن

---

(١) اللمع في أصول الفقه للشيرازي: (ص/ ١٢٩)، القول في الاجتهاد.

(٢) العقيدة النسفية لعمر بن محمد النسفي (ص/ ٣٤)، ضمن كتاب مجموع مهمات المتون.

(٣) العقيدة الطحاوية: (٣١-٣٢).

(٤) القلائد شرح العقائد، لمحمود بن أحمد بن مسعود القونوي النسفي (ص/ ٢٠٠).

(٥) رواه الرازي في المحصول عن العنبري: (٦/ ٤١)، وقال: واتفق سائر العلماء على فساد هذا القول.

الناس من حمل هذا القول منه على أنه إنما أراد في أصول الديانات التي يختلف فيها أهل القبلة، ويرجع المخالفون فيها إلى آيات وآثار محتملة للتأويل كالرؤية وخلق الأفعال والتجسيم وما أشبه ذلك دون ما يرجع إلى الاختلاف بين المسلمين وغيرهم من أهل الأديان، والدليل على فساد قوله هو أن هذه الأقوال المخالفة للحق من التجسيم ونفي الصفات لا يجوز ورود الشرع بها، فلا يجوز أن يكون المخالف فيها مصيبا كالقول بالتثليث وتكذيب الرسل»(١) اهـ.

وقال السيوطي بهذا المعنى: «ضابط منكر المجمع عليه أقسام:

أحدها: ما نكفره قطعا، وهو ما فيه نص، وعلم من الدين بالضرورة بأن كان من أمور الإسلام الظاهرة التي يشترك في معرفتها الخواص والعوام، كالصلاة والزكاة والصوم والحج وتحريم الزنا ونحوه.

الثاني: ما لا نكفره قطعا، وهو ما لا يعرفه إلا الخواص، ولا نص فيه، كفساد الحج بالجماع قبل الوقوف (أي قبل الوقوف بعرفات).

الثالث: ما يكفر به على الأصح، وهو المشهور المنصوص عليه الذي لم يبلغ رتبة الضرورة، كحل البيع، وكذا غير المنصوص على ما صححه النووي.

الرابع: ما لا على الأصح وهو ما فيه نص لكنه خفي غير مشهور كاستحقاق بنت الابن السدس مع بنت الصلب»(٢) اهـ.

قال الغزالي: «أما إذا كفر ببدعته فعند ذلك لا يعتبر خلافه، وإن كان يصلي إلى القبلة، ويعتقد نفسه مسلما، لأن الأمة ليست عبارة عن المصلين إلى القبلة بل عن المؤمنين وهو كافر، وإن كان لا يدري أنه كافر، نعم لو قال بالتشبيه والتجسيم وكفرناه فلا يستدل على بطلان مذهبه بإجماع مخالفيه على بطلان التجسيم، مصيرا إلى أنهم كل الأمة دونه، لأن كونهم كل الأمة موقوف على إخراج هذا من الأمة،

---

(١) اللمع في أصول الفقه للشيرازي (ص/ ١٢٩)، القول في الاجتهاد، باب القول في أقوال المجتهدين وأن الحق منها في واحد أو كل مجتهد مصيب.

(٢) الأشباه والنظائر (١/ ٤٨٨).

والإخراج من الأمة موقوف على دليل التكفير، فلا يجوز أن يكون دليل تكفيره ما هو موقوف على تكفيره فيؤدي إلى إثبات الشيء بنفسه، نعم بعد أن كفرناه بدليل عقلي لو خالف في مسألة أخرى لم يلتفت إليه، فلو تاب وهو مصر على المخالفة في تلك المسألة التي أجمعوا عليها في حال كفره فلا يلتفت إلى خلافه بعد الإسلام لأنه مسبوق بإجماع كل الأمة، وكان المجمعون في ذلك الوقت كل الأمة دونه، فصار كما لو خالف كافر كافة الأمة ثم أسلم وهو مصر على ذلك الخلاف فإن ذلك لا يلتفت إليه إلا على قول من يشترط انقراض العصر في الإجماع»[1] اهـ.

وقال شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني شارحا عبارة: «ولا نكفر أحدا من أهل القبلة»، ما نصه: «أقول هذا كلام قد اشتهر بين الناس، ونقل عن الأئمة مثل الشافعي وأبي حنيفة، وليس على إطلاقه؛ إذ المجسم كافر، وإن صام وصلى.

والحاصل: أن كل ما كان وجوده معتبرا في حصول الإيمان نافيه كافر، وإن قال بالتوحيد وصام وصلى»[2] اهـ. وهو كلام قوي منبه على ما تجده متفرقا في مجموع ما سبق ويأتي في هذه المسئلة. وليعلم أن قائل هذا الكلام هو ممن تولى تعليم السلطان محمد الفاتح، وولي القضاء في أيامه.

وقال المحدث الشيخ محمد أنور شاه الكشميري: «أهل القبلة في اصطلاح المتكلمين من يصدق بضروريات الدين أي الأمور التي علم ثبوتها في الشرع واشتهر، فمن أنكر شيئا من الضروريات كحدوث العالم وحشر الأجساد وعلم الله سبحانه بالجزئيات وفرضية الصلاة والصوم لم يكن من أهل القبلة، ولو كان مجتهدا بالطاعات، وكذلك من باشر شيئا من أمارات التكذيب كسجود للصنم والاستهانة بأمر شرعي والاستهزاء عليه فليس من أهل القبلة، ومعنى عدم

---

(١) المستصفى (١/ ١٤٥).

(٢) الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع (ص/ ٦٥٦)، لأحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني، تحقيق قبلان التركي، دارصادر، بيروت، ومكتبة الإرشاد، استانبول.

تكفير أهل القبلة أن لا يكفر بارتكاب المعاصي، ولا بإنكار الأمور الخفية غير المشهورة، هذا ما حققه المحققون فاحفظه»[1] اهـ.

وقال الكشميري في خاتمة رسالته إكفار الملحدين: «وبالجملة قولهم: «لا نكفر أحدا من أهل القبلة» كلام مجمل باق على عمومه، لكن له تفصيل طويل، والشأن في معرفة من هو من أهل القبلة ومن ليس منهم»[2] اهـ.ثم ذكر تقسيم الكفر إلى أربعة أقسام فقال: «الأول: كفر الجهل. والثاني: كفر الجحود والعناد. والثالث: كفر الشك. والرابع: كفر التأويل، إلى أن قال: ولما كان التوجه إلى القبلة من خواص معنى الإيمان سواء كان شاملة أو غير شاملة عبروا عن الإيمان بأهل القبلة، كما ورد في الحديث: «**نهيت عن قتل المصلين**»[3]، والمراد المؤمنين، مع أن نص القرءان على أن أهل القبلة هم المصدقون بالنبي ﷺ في جميع ما علم مجيئه به، وهو قوله تعالى: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾[4]، فليتأمل»[5] اهـ.

ويؤكد هذا ما قاله أبو بكر الإسماعيلي: «ويقولون (أي أهل السنة): إن أحدا من أهل التوحيد ومن يصلي إلى قبلة المسلمين لو ارتكب ذنبا أو ذنوبا كثيرة صغائر أو كبائر مع الإقامة على التوحيد لله والإقرار بما التزمه وقبله عن الله فإنه لا يكفر

(١) إكفار الملحدين والمتأولين في شيء من ضروريات الدين للمحدث الشيخ محمد أنور شاه الكشميري المتوفى سنة ١٣٥٢هـ (ص/ ١٧)، وفي التعليق علامة أنه نقله من شرح عقائد النسفي المسمى بالنبراس (ص/ ٥٧٢). وهذا الكتاب كان وضعه لبيان كفر القاديانية جماعة غلام أحمد مدعي النبوة من ناحية الهند، والذي حماه الإنكليز أيام استعمارهم لتلك البلاد.

(٢) إكفار الملحدين (ص/ ١٢٣).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٤٩٢٨): كتاب الأدب: باب في الحكم في المخنثين، من حديث أبي هريرة، والبيهقي في سننه الكبرى (١٦٧٦٥): كتاب الحدود: باب ما جاء في نفي المخنثين، من حديث أبي هريرة.

(٤) سورة البقرة/ ءاية ٢١٧.

(٥) إكفار الملحدين (ص/ ٢١ - ٢٢).

به، ويرجون له المغفرة، قال تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[1][2] اهـ.

قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: «ومذهب أهل الحق من السلف والخلف أنه لا يكفر أحد من المسلمين بذنب أو ذنوب من الكبائر، فقد ارتكبت الذنوب الكبائر في زمان رسول الله ﷺ والخلفاء فلم يعاملوا المجرمين معاملة المرتدين عن الدين، والقول بتكفير العصاة خطر على الدين لأنه يؤول إلى انحلال جامعة الإسلام، ويهون على المذنب الانسلاخ من الإسلام منشدًا «أنا الغريق فما خوفي من البلل»[3] اهـ.

وإذا تبين وتقرر ذلك، يطرأ هنا سؤال: ما هو كلام أهل العلم في أقوال ومذاهب أهل البدع من الفرق المنتسبة للإسلام، خاصة أن في الكتب الكثير مما قد يظهر فيه الاضطراب والتضارب والتناقض لغير المحقق؟

الجواب: نقل السيوطي هذا المعنى فقال: «قاعدة: قال الشافعي: لا يكفر أحد من أهل القبلة، واستثنى من ذلك المجسم ومنكر علم الجزئيات، وقال بعضهم: المبتدعة أقسام:

الأول: ما نكفره قطعا كقاذف عائشة رضي الله عنها، ومنكر علم الجزئيات، وحشر الأجساد، والمجسمة والقائل بقدم العالم.

الثاني: ما لا نكفره قطعا، كالقائل بتفضيل الملائكة على الأنبياء، وعلي على أبي بكر.

الثالث والرابع: ما فيه خلاف، والأصح التكفير أو عدمه، كالقائل بخلق القرءان، صحح البلقيني التكفير، والأكثرون عدمه[4]، وساب الشيخين، صحح

---

(١) سورة النساء: في موضعين: الأول: جزء من الآية ٤٨، والثاني: جزء من الآية ١١٦.

(٢) اعتقاد أئمة الحديث (ص/ ٦٤).

(٣) التحرير والتنوير (١/ ٣٧٥).

(٤) ولخطورة هذه المسألة ينبغي الوقوف عليها، والتنبيه إلى أن الفصل فيها أن من قال بأن كلام الله بمعنى الصفة الذاتية مخلوق فلا شك في كفره ولا تردد عند الكل، أما من أطلق هذا اللفظ=

المحاملي التكفير، والأكثرون عدمه»[1] اهـ.

وقد لخص هذا المبحث أبو البقاء الكفوي، فقال: «وعدم إكفار أهل القبلة موافق لكلام الأشعري والفقهاء، لاعتقادهم أن ما ذهبوا إليه هو الدين الحق، وتمسكهم في ذلك بنوع دليل من الكتاب والسنة، وتأويله على وفق هواهم، لكن إذا فتشنا عقائد فرقهم[2] الإسلاميين[3] وجدنا فيها ما يوجب الكفر قطعا، فلا نكفر أهل القبلة ما لم يأت بما يوجب الكفر. وهذا من قبيل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[4]، مع أن الكفر غير مغفور، ومختار جمهور أهل السنة من الفقهاء والمتكلمين عدم إكفار أهل القبلة من المبتدعة المؤولة في غير الضروريات، لكون التأويل شبهة، كما هو المسطور في أكثر المعتبرات، وأما منكر شيء من ضروريات الدين فلا نزاع في إكفاره، وإنما النـزاع في إكفار منكر القطعي بالتأويل»[5] اهـ.

إلى أن قال: «وخرق الإجماع القطعي الذي صار من ضروريات الدين كفر، ولا نزاع في إكفار منكر شيء من ضروريات الدين، وإنما النـزاع في إكفار منكر القطعي بالتأويل، فقد ذهب إليه كثير من أهل السنة من الفقهاء والمتكلمين، ومختار جمهور أهل السنة منها عدم إكفار أهل القبلة من المبتدعة المؤولة في غير الضروريات، لكون التأويل شبهة، كما في خزانة الجرجاني والمحيط البرهاني وأحكام الرازي وأصول البزدوي، ورواه الكرخي والحاكم الشهيد عن الإمام

---

= أي القول بخلق القرءان ولا يريد من ذلك إلا أن اللفظ المنـزل هو المخلوق فلا يكفر، ومع ذلك فإن هذا الإطلاق ممنوع عند أهل السنة، وهذا هو التفصيل المرضي عند المحققين في بيان قولهم: إن القائل بخلق القرءان كافر.

(١) الأشباه والنظائر (١/ ٤٨٨).

(٢) أي فرق أهل القبلة.

(٣) أي المنتسبين إلى الإسلام وإن كان بعضهم في عداد المسلمين وبعضهم لا يعد من المسلمين كما يقول بعض الكتاب (الفلاسفة الاسلاميين).

(٤) سورة الزمر/ ءاية ٥٣.

(٥) كليات أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ص/ ٧٦٥).

أبي حنيفة، والجرجاني عن الحسن بن زياد وشارح المواقف والمقاصد والآمدي عن الشافعي والأشعري، لا مطلقا»[1] اهـ.

وقال السخاوي في أثناء كلامه عمن تقبل روايته ومن لا: «هذا كله في البدع غير المكفرة، وأما المكفرة وفي بعضها ما لا شك في التكفير به، كمنكري العلم بالمعدوم القائلين ما يعلم الأشياء حتى يخلقها، أو بالجزئيات، والمجسمين تجسيما صريحا، والقائلين بحلول الإلهية في علي رضي الله عنه أو غيره»[2] اهـ.

وقال ابن أمير الحاج: «والمراد بالمبتدع الذي لم يكفر ببدعته، وقد يعبر عنه بالمذنب من أهل القبلة، كما أشار إليه المصنف سابقا بقوله: «وللنهي عن تكفير أهل القبلة» هو الموافق على ما هو من ضروريات الإسلام، كحدوث العالم، وحشر الأجساد، من غير أن يصدر عنه شيء من موجبات الكفر قطعًا من اعتقاد راجع إلى وجود إلـٰه غير الله تعالى، أو إلى حلوله في بعض أشخاص الناس، أو إنكار نبوّة محمد ﷺ أو ذمه أو استخفاف به، ونحو ذلك المخالف في أصول سواها مما لا نزاع أن الحق فيه واحدٌ كمسألة الصفات وخلق الأعمال وعموم الإرادة وقدم الكلام، ولعل إلى هذا أشار المصنف رحمه الله تعالى ماضيًا بقوله: «إذ تمسكه بالقرءان أو الحديث أو العقل، إذ لا خلاف في تكفير المخالف في ضروريات الإسلام من القبلة المواظب طول العمر على الطاعات، وكذا المتلبس بشيء من موجبات الكفر ينبغي أن يكون كافرا بلا خلاف، وحينئذٍ ينبغي تكفير الخطابية لما قدمناه عنهم في فصل شرائط الراوي، وقد ظهر من هذا أن عدم تكفير أهل القبلة بذنب ليس على عمومه إلا أن يحمل الذنب على ما ليس بكفر فيخرج المكفّر به، كما أشار إليه السبكيّ»[3] اهـ.

---

(١) كليات أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ص/ ٧٦٦).

(٢) فتح المغيث شرح ألفية الحديث للشيخ محمد بن عبد الرحمـٰن السخاوي (١/ ٣٣٣).

(٣) التقرير والتحبير لابن أمير الحاج وهو تلميذ الحافظ ابـن حجر والكمال بن الهمام (٣/ ٤٢٣- ٤٢٤).

وقال الشيخ محمد أنور شاه الكشميري: «واعلم أن أصل هذه المسألة - مسألة عدم تكفير أهل القبلة - مأخوذة مما رواه أبو داود رحمه الله في الجهاد: عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاث من أصل الإيمان: الكفُّ عمّن قال لا إلـٰه إلا الله، ولا تكفره بذنب، ولا تخرجه من الإسلام بعمل»** [1] الحديث.

والمراد بالذنب فيه على عرف الشريعة غير الكفر، وكذلك هذه الجملة في عبارة الأئمة كالإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى وغيره كالإمام الشافعي رحمة الله عليه، كما نقله في اليواقيت مقيدة بالذنب، فجاء الناظرون أو الجاهلون أو الملحدون فوضعوها في غير موضعها، وأصل هذه الأحاديث في إطاعة الأمير، والنهي عن الخروج ما صلوا، كما عند مسلم وغيره، وهو مقيد عنده وعند آخرين بقوله ﷺ: **«إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان»**[2]، وهو المراد بما عند البخاري وغيره عن أنس: **«من شهد أن لا إلـٰه إلا الله، واستقبل قبلتنا، وصلّى صلاتنا، وأكل ذبيحتنا فهو المسلمُ، له ما للمسلم، وعليه ما على المسلم»**[3] اهـ.

قلت (الكشميري): وفي قوله ﷺ: **«إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان»** دلالة على أن تلك الرؤية إلى الرائين، فلينظروا فيما بينهم وبين الله، ولا يجب عليهم تعجيزه بحيث يحصر لسانه ولا ينطلق بتأويل، بل إنما يجب أن يكون عندهم من الله فيه برهان لا غير.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٢٥٣٢): كتاب الجهاد: باب في الغزو مع أئمة الجور، من حديث أنس بن مالك، والبيهقي في سننه الكبرى (١٨٢٦١): كتاب السير: باب الغزو مع أئمة الجور، كذلك من حديث أنس بن مالك.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٦٤٧): كتاب الفتن: باب قول النبي ﷺ سَتَرَونَ بعدي أُمُورًا تُنكِرُونها، من حديث عبادة بن الصامت، ومسلم في صحيحه (١٧٠٩): كتاب الإمارة: باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، من حديث عبادة بن الصامت.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٨٥): كتاب الصلاة: أبواب القبلة: باب فضل استقبال القبلة، من حديث أنس بن مالك، والنسائي في سننه الكبرى (٣٤٣٠): كتاب تحريم الدم: المقدمة، من حديث أنس ابن مالك.

ووقع عند الطبراني فيه كما في الفتح: «كفرا صُراحا»[1]، بصاد مهملة مضمومة ثم راء، فدل على أن التأويل في الصريح لا يقبل، وقال في الفتح: قوله: «عندكم من الله فيه برهان» أي نص آية أو خبر صحيح لا يحتمل التأويل[2]. فدل أنه يجوز التكفير بناء على خبر واحد وإن لم يكن متواترا، وكيف لا وهم يكفرون بما عدده الفقهاء من موجبات الكفر، أفلا يكفرون بما في حديث صحيح لم يقم على تأويله دليل، ودل أيضًا أن أهل القبلة يجوز تكفيرهم وإن لم يخرجوا عن القبلة، وأنه قد يلزم الكفر بلا التزام وبدون أن يريد تبديل الملة، وإلا لم يحتج الرائي إلى برهان، فهم -كما في حديث ءاخر عند البخاري-: «**من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، وهم دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها**»[3]. قال القابسي كما في الفتح: معناه أنهم في الظاهر على ملتنا وفي الباطن مخالفون، وحمله الحافظ رحمه الله تعالى على الخوارج[4][5] اهـ.

وقال: «كان وضع هذه الرسالة في أن التصرف في ضروريات الدين والتأول فيها وتحويلها إلى غير ما كانت عليه، وإخراجها عن صورة ما تواترت عليه كفر، فإن ما تواتر لفظا أو معنى وكان مكشوف المراد، فقد تواتر مراده، فتأويله رد للشريعة القطعية، وهو كفر بواح، وإن لم يكذب صاحب الشرع وإنه ليس فيه إلا الاستتابة، ومن زعم أنه لا بد من إلقاء اليقين في قلبه وإثلاج صدره، فإذا عاند بعد ذلك فقد كفر وإلا فلا، فإن ذلك الزاعم لم يضع للدين حقيقة تارة، وإنما جعله يدور مع الخيال كيفما دار، وهذا باطل قطعا، فإن الأمر فيما ثبت ضرورة

---

(١) لم أجده حيث أشار الشيخ الكشميري لكنه في فتح الباري (١٣/ ٨).
(٢) فتح الباري (١٣/ ٨).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٤١١): كتاب المناقب: باب علامات النبوة في الإسلام، من حديث عبادة بن الصامت، ومسلم في صحيحه (١٨٤٧): كتاب الإمارة: باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطّاعة ومفارقة الجماعة، من حديث عبادة بن الصامت.
(٤) فتح الباري (١٣/ ٣٦).
(٥) إكفار الملحدين في ضروريات الدين (ص/ ٢٠ - ٢١ - ٢٢).

مفروغ منه، فمن ءامن به فقد دان بدين له، ومن أنكره فقد كفر وإن لم يقصد الكفر، وإنما الدور مع الظن في المحل المجتهد فيه لا في غيره»[1] اهـ.

**تنبيه مهم:** ثم ها هنا عبارة أخرى تحتاج للبيان والوقوف عليها، وهي قول الإمام الشافعي رضي الله عنه: «أقبل شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية»[2].

وينبغي لفهم هذه العبارة على وجهها أن ندرك المراد منها، لا أن تحمل على عمومها، بل الذي ينبغي التنبيه عليه إلى أنها كقول: «لا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله».

والأهواء جمع هوى، وهو البدعة الاعتقادية، فكل من خالف أهل السنة في الاعتقاد فهو من أهل الأهواء، فقول الشافعي: «أقبل شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية» معناه أن المخالفين في العقيدة لأهل السنة لا يكفرون إلا من يعتقد عقيدة كفرية منهم، وأما من لم يُعْلَم منه ذلك فلا يكفر بل يعد مسلمًا مع انتسابه إلى بعض هذه الفرق المخالفة لأهل السنة، وأما الخطابية فمقالتهم ظاهرة وهي أنهم يجيزون الشهادة بالكذب لمن كان على مذهبهم أي أن يشهد له عند الحكام فلما كان قضية الخطابية أمرًا واحدًا ظاهرًا وهو استحلال الشهادة بالكذب استثنى الشافعي بإطلاق رد شهادتهم بلا تفصيل، فينبغي أن تفهم المقالتان على هذا الوجه.

قال الحافظ سراج الدين البلقيني تعقيبا على كلام للنووي: «فائدة: الصحيح أو الصواب خلاف ما قال المصنف، وقول الإمام الشافعي رضي الله عنه محمول على من ذُكر عنه أنه من أهل الأهواء، ولم تثبت عليه قضية معينة تقتضي كفره، وهذا نص عام، ونص نصًّا خاصًّا على تكفير من قال بخلق القرءان والقول بالخاص هو المقدم.

---

(١) إكفار الملحدين في ضروريات الدين (ص/ ١٢٨)، في خاتمة الرسالة المبينة.

(٢) رواه النووي في شرح مسلم (٧/ ١٦٠)، (١٠٦٣) قوله ﷺ: «ومن يعدل اذا لم أكن أعدل لقد خبت وخسرت».

وأما الصلاة خلف المعتزلة فهو محمول على ما قدمته من أنه لم يثبت عن المقتدين بهم ما يكفرهم»[1][2] اهـ.

ثم ذكر قول النووي: «وقد تأول البيهقي وغيره من أصحابنا المحققين ما جاء عن الشافعي وغيره من العلماء من تكفير القائلين بخلق القرءان على كفران النعم لا كفر الخروج عن الملة»، ثم قال أي البلقيني: «فائدة: هذا التأويل لا يصح لأن الذي أفتى الشافعي رضي الله عنه بكفره بذلك هو حفص الفرد، وقد قال: أراد الشافعي ضرب عنقي، وهذا هو الذي فهمه أصحابه الكبار، وهو الحق وبه الفتوى خلاف ما قال المصنف»[3] اهـ يعني بقوله المصنف النووي.

وحاصل كلام الحافظ البلقيني أن قول الشافعي: «أقبل شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية» اهـ ليس معناه أن كل فرد من أهل الأهواء على اختلاف أهوائهم مسلم تصح الصلاة خلفه إنما مراده من لم تثبت في حقه قضية تقتضي كفره لأنه ليس كل منتسب إلى كل فرقة من فرق أهل الأهواء يعتقد كل معتقداتهم، بل إن منهم من يعتقد كل معتقداتهم، ومنهم من يعتقد بعض معتقداتهم من الضلال التي هي دون الكفر، وأن تأويل البيهقي لتلك المقالة غير صحيح لأن كبار أصحاب الشافعي لم يقولوا بذلك وأن هذا التأويل يرده قول الربيع الذي حضر مناظرة الشافعي لحفص الفرد وتكفيره له، وقول حفص الفرد: «أراد الشافعي ضرب عنقي»، دليل على فساد ذلك التأويل.

---

(١) وعبارة النووي: وأطلق القفال وكثيرون من الأصحاب القول بجواز الاقتداء بأهل البدع، وأنهم لا يكفرون، قال صاحب العدة: وهو ظاهر مذهب الشافعي، قلت: هذا الذي قاله القفال وصاحب العدة هو الصحيح أو الصواب، فقد قال الشافعي رحمه الله: «أقبل شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية»، لأنهم يرون الشهادة بالزور لموافقيهم، ولم يزل السلف والخلف على الصلاة خلف المعتزلة وغيرهم ومناكحتهم وموارثتهم وإجراء أحكام المسلمين عليهم. روضة الطالبين (١/ ٣٥٢).

(٢) حواشي روضة الطالبين لسراج الدين عمر بن رسلان البلقيني (١/ ٣٥٢).

(٣) حواشي روضة الطالبين لسراج الدين عمر بن رسلان البلقيني (١/ ٣٥٣).

ثم هناك روايتان لكلام الشافعي إحداهما رواية من طريق عبد الرحمن بن أبي حاتم عن الربيع فيها التصريح أن الشافعيّ كفره[1].

ثم أيد البلقيني أن العبرة بنص الشافعي الخاص، وهو تكفيره لحفص الفرد على النص الآخر الذي هو عام، وأيّد ذلك بالقاعدة المقررة عند الأصوليين أنه إذا تعارض الخاص والعام قدم الخاص.

وقد حكى القاضي حسين عن نص الشافعي أنه قال: «وهذا منتظم من كفره مجمع عليه، ومن كفرناه من أهل القبلة، كالقائلين بخلق القرءان، وبأنه لا يعلم المعدومات قبل وجودها، ومن لا يؤمن بالقدر، وكذا من يعتقد أن الله جالس على العرش»[2] اهـ. وهذا نص خاص أيضا، يؤكد ما ذكرناه.

ونقل السيوطي هذا المعنى فقال: «قاعدة: قال الشافعي: لا يكفر أحد من أهل القبلة، واستثنى من ذلك المجسم ومنكر علم الجزئيات»[3] اهـ.

وعليه فمن المهم معرفة المراد بهاتين المقالتين قول بعض الأئمة: «لا نكفر أهل القبلة»، وقول الشافعي: «أقبل شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية»، فهاتان العبارتان كثير من الناس لم يفهموا المراد منهما، فظنوا أن الخوارج والمرجئة والمعتزلة وكلّ من خالفوا أهل السنة في العقيدة لا يكفّرون، وهذا الظن باطل، بل المراد بالمقالتين أن من لم تثبت في حقه قضية تقتضي كفره من مقالات أهل الأهواء فهو مسلم، أما من ثبت في حقه القول بمقالة تقتضي كفره فهو كافر، وذلك لأن بعضهم يوافقهم في شيء ويخالفهم في شيء مع انتسابه إليهم وشهرته بذلك، فلذلك جرت عادةُ كثير من المؤلفين في الحديث أنّ فلانًا روى عن فلان القدري، وأن فلانًا روى عن فلان المرجئ، ونحو ذلك، لأنه ما عرفَ عنه إلا الانتساب إليهم، ولم يعرف منه مقالة معينة من مقالاتهم الكفرية.

---

(١) تبيين كذب المفتري (ص/ ٣٣٩ - ٣٤٠).

(٢) نجم المهتدي لابن المعلم القرشي (ص/ ٥٥١) مخطوطة.

(٣) الأشباه والنظائر (١/ ٤٨٨).

فما رواه الربيع من أنّ الشافعيّ روى عن فلان وهو قدري، فهو محمول على أنه لم يكن من القدرية الذين يعتقدون كفرياتهم، لأن بعض القدرية لا يعتقد مقالاتهم الكفرية، إنما يوافقهم في بعض الأمور. فتحمل رواية الشافعي عن هذا الرجل على هذا الباب، لأنه ثبت عن الربيع أنّ الشافعي كفر القدري، فيحمل تكفيره على من يقول بمقالاتهم الكفرية، وروايته عن هذا الراوي الذي ذكره الربيع على أنه من الصنف الآخر، أي من الذين لا يعلم فيهم الشافعي تلك المقالات الكفرية، وبهذا يتفق كلام الشافعي في التكفير وروايته عن بعضهم لأنه من المعروف بين أهل الأهواء أن بعضهم لا يعتقد جميع مقالات طائفته، إنما يعتقد بعضها وينتسب إليهم. وقد ذكر أبو حامد أن الشافعيّ كفر القدرية، كما حكاه صاحب البيان العمراني اليمني.

قال العمراني في البيان: «مسئلة: «قال الشافعيّ رحمه الله: «ولا ترد شهادة أحد من أهل الأهواء إذا كان لا يرى أن يشهد لموافقيه بتصديقه وقبول يمينه، ولشهادة من يرى أن كذبه شرك بالله ومعصية تجب بها النار أولى أن تطيب النفس بقبولها ممن يخفف المأثم في ذلك»، فنص بهذا على قبول شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية. وقال في «الأم»: «ذهب الناس في تأويل القرءان والأحاديث والقياس، أو من ذهب منهم إلى أمور اختلفوا فيها فتباينوا فيها تباينًا شديدًا، واستحل فيها بعضهم من بعض ما تَطولُ حكايته، فكان ذلك منهم متقادمًا عن السلف وبعدهم إلى اليوم، فلم نعلم أن أحدًا ممن سلف من هذه الأمة يُقتدى به ولا من التابعين بعدهم ردّ شهادة أحد بتأويل، وإن خطأه وضلله ورءاه استحل منه ما حرم عليه، ولا رد شهادة أحد بشيء من التأويل كان له وجه يحتمله، وإن بلغ فيه استحلال الدم والمال أو المفرط من القول» اهـ فكذلك أهلُ الأهواء، وجملة ذلك أنه لا خلاف بين أصحابنا في أن شهادة الخطابية غير مقبولة، وهم أصحاب أبي الخطاب الكوفي، يعتقدون أن الكذب لا يجوز، فإذا ذكر بعضهم لبعض أن له على رجل حقًا حلّفه، وصدقه على ذلك، وشهد له بالحق الذي حلفه عليه لأنهم يشهدون بقول المدعي».

إلى أن قال: قال الشيخ أبو حامد: «أهل الأهواء على ثلاثة ضروب: ضرب نخطئهم ولا نفسقهم فهم الذين اختلفوا في الفروع التي يسوغ فيها الاجتهاد، مثل أصحاب مالك وأبي حنيفة، وغيرهما من أهل العلم الذين يخالفون في نكاح المتعة، وهو النكاح بلا وليّ ولا شهود وغير ذلك، فهؤلاء لا نفسقهم ولا نرد شهادتهم»[1]. قال: وهذا الضرب هو الذي أراد الشافعي رحمه الله بأهل الأهواء الذين لم ترد شهادتهم دون غيرهم، لأن الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا في مسائل كثيرة في الفروع، وخطأ بعضهم بعضًا وأغلظ بعضهم على بعض في القول في الخطإ في ذلك، ولم يرد بعضهم شهادة بعض.

وأما الضرب الذين نفسقهم ولا نكفرهم فهم الروافض، الذين يسبون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، والخوارج الذين يسبون عثمان وعليًّا رضي الله عنهما، فلا تقبل شهادتهم لأنهم يذهبون إلى شيء لا يسوغ فيه الاجتهاد، فهم معاندون مقطوع بخطئهم وفسقهم فلم تقبل شهادتهم، هذا خلاف قول القفال.

وأما الضرب الذين نكفرهم فهم القدرية الذين يقولون إنهم يخلقون أفعالهم استقلالًا دون الله، -أي مع قولهم إن الله أعطاهم القدرة عليها، فهم يرون أنهم يخلقون استقلالًا فيكفرون، ولو قالوا خلقنا فعلنا بقدرة أعطانا الله إياها- ومن يقول بخلق القرءان، -يعني من يقول: إن الله ليس له كلام صفة له إلا ما يخلقه في غيره-، ويقولون: إنّ الله لا يرى يوم القيامة، والجهمية النافون عن الله تعالى الصفات، لأن الشافعي رحمه الله تعالى قال في مواضع من كتبه: من قال بخلق القرءان فهو كافر، وإذا حكم بكفرهم فلا معنى لقبول شهادتهم.

والدليل على ذلك ما روي أن النبي ﷺ قال: «**القدرية مجوس هذه الأمة، فإذا مرضوا فلا تعودوهم، وإذا ماتوا فلا تَشهَدوهم**»[2]، وروي عن النبي ﷺ أنه

(١) هذا فيمن لم يبلغهم التحريم من الحديث.
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: (١/ ١٥٩)، (٢٨٦)، كتاب الإيمان.

قال: «**من سب نبيًا فقد كفر، ومن سب[1] صاحب نبي فقد فسق**». وروي عن عمر أنه قال: «**لا تُجالِسوا القدرية**»[2]، وأقل ما في هذا أن لا تقبل شهادتهم. وقال علي رضي الله عنه: «ما حكّمتُ مخلوقًا وإنما حكّمت القرءان»[3]، وكان ذلك بمحضر من الصحابة ولم ينكر عليه أحد، ولأن هذه المسائل قد نصب الله تعالى عليها أدلة، إذا تأملها المتأمل حصل له العلم بها فنسبوا في مخالفتها إلى العناد، كما ينسب المخالف في التوحيد». انتهى كلام أبي حامد.

وقال أبو إسحاق في «الشرح»: «من قدَّم عليًّا على أبي بكر وعمر في الإمامة فُسّق، لأنه خالف الإجماع. ومن فضّل عليًّا على أبي بكر وعمر وعثمان أو فضل بعضهم على بعض لم أفسقه وأقبل شهادته.

وأما قبول الشافعي رحمه الله لشهادة من يرى كذبه شركًا بالله فهم الخوارج، لأنهم يرون الكذب معصية وكفرًا تجب به النار. ولم يرد به أن شهادتهم تقبل وإنما أراد أن شهادتهم لا ترد لذلك، لأن ذلك أدعى إلى قبول شهادتهم، وإنما ترد شهادتهم لقولهم بخلق القرءان وأنهم يخلقون أفعالهم وغير ذلك»[4] انتهى.

ومراده بقوله: «**من سب صاحب نبي فقد فسق**» من كان من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ومن كان على سيرتهم، أما من ليس كذلك فليس مرادًا بهذا الحديث، فقد قال الرسول ﷺ في صحابي خطب فقال في خطبته: «**من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى**». فقال الرسول ﷺ: «**بئس الخطيب أنت، قل ومن يعصِ الله ورسوله فقد غوى**». هذا حديث صحيح رواه مسلم[5]. فقد قال الرسولُ هذا الكلام لهذا الصحابي بسبب هذا الكلام المكروه،

---

(١) أي من سبّه بغير حق.

(٢) رواه ابن بطة العكبري في الإبانة الكبرى: (٢/ ٢١٠)، (١٧٦٢)، محمد بن كعب القرظي.

(٣) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: (١/ ٣٦٩)، (٣٢٣)، سياق ما روي من إجماع الصحابة على أن القرءان غير مخلوق.

(٤) البيان في مذهب الإمام الشافعي (١٣/ ٢٨٠ - ٢٨٤)، مسألة شهادة أهل الأهواء.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه: (٢/ ٥٩٤)، (٨٧٠)، كتاب الجمعة: باب تخفيف الصلاة والخطبة.

وهو قول ذلك الخطيب: «ومن يعصهما»، حيث جمع بين الله والرسول في ضمير واحد، وذلك لأن هذا الجمع يوهم التسوية بين الله ورسوله.

وقول من قال من الأئمة: «لا نكفر أهل القبلة»، مرادهم من كان يشهد أن لا إلـٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأن الكعبة قبلته لا نكفره بما يرتكبه من الذنوب أي ما لم يعلم منه ما يثبت الكفر في حقه، وليس مرادهم بذلك أن كل من يقول الشهادتين لا يكفر مع اعتقاده بعض الاعتقادات الكفرية، فإن هذا الإطلاق بعيد من مرادهم في هذه العبارة لأن كثيرًا ممن يقول الشهادتين وينتسب إلى الإسلام ويظن نفسه مسلمًا كفروا كفريات صريحة لا يتردد فيها عالم ولا جاهل، كقول البيانية: إن الله يفنى يوم القيامة كله إلا وجهه، أخطأوا في فهم هذه الآية: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[1]، فظنوا أن الله له وجه مركب على البدن كالبشر وغيرهم من الملائكة والبهائم لأنهم أجسام مركب عليها وجه يكون أعلى البدن فقالوا أي البيانية إن الله يوم القيامة يفنى كله إلا الوجه[2]. وهؤلاء كانوا يقولون الشهادتين ويصومون ويصلون كغيرهم فهل يجوز ترك تكفيرهم لأنهم يقولون بألسنتهم لا إلـٰه إلا الله ويستقبلون قبلتنا بل يجب تكفيرهم. وكذلك من كان على مثل هذا ممن يعتقدون في الله أنه جسم مركب، وقد اغترّ كثير ممن لا قدم له في فهم كلام العلماء فقال بترك تكفير كل من يقول لا إلـٰه إلا الله بلا فرق بين فرقة وفرقة وبين فرد وفرد ءاخر منهم.

وقال الإمام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي التميمي: «اعلم أن تكفير كل زعيم من زعماء المعتزلة واجب»[3] اهـ وذلك لأنهم عشرون فرقة، وزعماء هذه الفرق يعتقدون الكفر، وأما الأفراد المنتسبون إليهم فمنهم من يعتقد الكفر الذي عندهم، ومنهم من لا يوافقهم إنما يعتقد غير مقالاتهم التي

---

(١) سورة القصص/ ءاية ٨٨.
(٢) الفرق بين الفرق (ص/ ٢١٤).
(٣) أصول الدين لأبي منصور البغدادي (ص/ ٣٥٩).

هي كفر فيسمي الناس هذا معتزليًا وهذا معتزليًا. فإنّ من المعتزلة وغيرهم من أهل الأهواء من ينتسب إليهم ولا يعتقد كل مقالاتهم الكفرية، وإنما يعتقد بعض مقالاتهم التي هي دون الكفر كالمعتزلي الذي وافقهم في نفي رؤية الله في الآخرة فإنّ هذا متأول لا يكفر.

وقال البغدادي في كتاب تفسير الأسماء والصفات، في الفصل الحادي عشر: في حكم الدار التي عليها أهل السنة والجماعة، والدار التي غلب عليها أهل الأهواء:

«فإن قيل: ما معنى وصف الدار بأنها دار إيمان وإسلام؟..

قيل: معناه أن كل أحد ممن وجدناه فيها حكمنا له بأنه مسلم، له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين، وحكمنا لولده بحكمه.

وإن وجدنا في دار الإسلام ميتا غسلناه، وكفناه، وصلينا عليه، ودفناه في مقابر المسلمين من غير بحث في حاله، إلا رجلا عرفنا منه الكفر الذي لا يقر عليه بإقراره، أو بإظهاره زي أهله، فإنه لا يجوز مناكحته، وأكل ذبيحته، ولم تجز الصلاة عليه حينئذ، ولا دفنه في مقابر المسلمين. وكذلك حكم من وجدناه لقيطا من هذه الدار من الأطفال لم يعرف من والده، يجري عليه أحكام المسلمين. وكذلك القول في كل موضع وصفناه بأنها دار كفر، فمعناه الحكم على كل من فيه بأنه كافر، لا يصلى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين، وحكم أطفالهم كحكمهم، إلا أن يكون فيهم من عرف إسلامه بعينه، فيكون حكمه حكم المسلمين»[1].

وقال في موضع ءاخر: «الفصل الثاني عشر في بيان تنفيذ أحكام أهل الأهواء، وبيان حكمها في الإجماع والاختلاف، وبيان أنه لا طاعة لهم ولا يصح منهم عبادة:

أجمع أصحابنا على أن المعتزلة والنجارية والجهمية والغلاة من الروافض

---

(١) تفسير الأسماء والصفات (ص/ ٤٥٩)، مخطوط في المكتبة البريطانية قسم المجموعات الشرقية والمكتبة الهندية.

والخوارج والجسمية لا اعتبار بخلافهم في مسائل الفقه، وإن اعتبر خلافهم في مسائل الكلام. هذا قول الشافعي رضي الله عنه في أهل الأهواء، وكذلك رواه أشهب عن مالك، والعباس بن الوليد عن الأوزاعي، ومحمد بن جرير الطبري، وإسناد له عن سفيان، وحكاه ابن جرير بإسناده عن أبي سليمان الجوزجاني عن محمد بن الحسن، وجماعة من أصحاب أبي حنيفة، وحكاه أبو ثور في أصوله عن جميع الأئمة من التابعين، وهم الفقهاء السبعة من أهل المدينة، وعمر بن عبد العزيز، والشعبي، والنخعي، ومسروق بن الأجدع، وعلقمة، والأسود، ومحمد بن سيرين، وشريح القاضي، والزهري، وأقرانهم. واختلف فقهاء الأمة في قبول شهادتهم، فقال مالك بإبطال شهادة المعتزلة، وسائر أهل الأهواء، وقال الشافعي، وأبو حنيفة رضي الله عنهما بقبول شهادات أهل الأهواء إلا الخطابية فإنها ترى الشهادة بالزور، وإشارة الشافعي رضي الله عنه في كتاب القياس إلى رجوعه عن قبول شهادات المعتزلة، وهذا هو الأصح على قياس مذهبه. فأما الكلام في قضاء أهل البدع، وأحكام قضائهم، فإن الشافعي رضي الله عنه قال في الخوارج وأهل البغي إذا غلبوا على بلد، فأخذوا صدقات أهلها، وأقاموا عليهم الحدود: إنها لا تعاد فيهم، ولا يرد من قضاء قاضيهم، إلا ما يرد به قضاء قاضٍ غيرهم، وقال في موضع ءاخر: إذا كان غير مأمون برأيه على استحلال دم، ومال لم ينفذ قضاؤه، ولم يقبل كتابه، فيجب على هذا الأصل أن يرد قضاء من قال من المعتزلة بقتل مخالفيه غيلة، واستحلال أموالهم. فأما الصدقات التي أخذوها، والحدود التي أقاموها، فلا خلاف على مذهبه في أنها لا تعاد ثانية، فأما أهل الذمة إذا ادعوا أن الخوارج، وأهل البغي قد أخذوا منهم الجزية فلا يقبل قولهم فيها، إلا ببينة عادلة من المسلمين. وقال مالك، وأحمد بن حنبل بإبطال قضايا أهل الأهواء من الخوارج والغلاة والمعتزلة، كما أبطلا شهاداتهم. وبه قال داود، وأكثر أهل الظاهر، وزاد على ذلك داود قوله في الزكاة التي أخذوها: إنها لا تجزئ عن فروض أصحابها، وأوجب على الإمام قضاء قاضي أهل البغي. وخالفه ابنه أبو

بكر في ذلك، فأجاز قضاء قاضي أهل البغي، دون قضاء قاضي المعتزلة، وأهل الأهواء. وأما الكلام في طاعات المعتزلة، وسائر أهل الأهواء الضالة، فإن أهل السنة والجماعة يجتمعون على أن الأهواء المؤدية إلى الكفر لا يصح منهم طاعة لله عز وجل، ما يفعلونه من صلاة، وصوم، وزكاة، وحج لأن الله عز وجل أمر عباده بإيقاع هذه العبادة على شرط مقارنة كاعتقاد صحيح العدل والتوحيد، وبشرط أن يراد بها التقرب إلى الله عز وجل، مع اعتقاد صفة الإلـٰه على ما هو عليه، ولا يجوز أن يقصده بالطاعة من لا يعرفه، وقد بينا قبل هذا أن المعتزلة، وسائر أهل البدع الضالة، غير عارفين بالله عز وجل، لاعتقادهم فيه خلاف ما هو عليه في عدله، وحكمته. وليس شيء من الطاعات يصح وقوعها طاعة من العبد لله عز وجل من غير قصد منه إلى التقرب به، إلا طاعة واحدة وهي النظر والاستدلال الواقع من المكلف عند توجه التكليف عليه، فإنه قبل نظره واستدلاله لا يكون عارفا بالله عز وجل، فلا يصح منه التقرب إلى الله عز وجل، لأنه أمره بها وما بعدها من العبادات، فلا يكون طاعة لله عز وجل إلا ممن عرفه سبحانه، وقصد بفعله التقرب إليه، وأهل البدع خارجون عن معرفة الله، وطاعته، فخرجوا من أجل ذلك عن الإيمان، وعن عماد أهل الإسلام، والحمد لله على العصمة من البدعة والله تعالى أعلم»[1].

وقال أيضًا: «وأما أهل الأهواء من الجارودية والهشامية والنجارية والجهمية والإمامية الذين كفروا أخيار الصحابة، والقدرية المعتزلة، والبكرية المنسوبة إلى بكر ابن أخت عبد الواحد، والضرارية والمشبهة كلها، والخوارج فإنا نكفرهم كما يكفرون أهل السنة، ولا تجوز الصلاة عليهم عندنا، ولا الصلاة خلفهم، واختلف أصحابنا في التوارث منهم، فقال: بعضهم نرثهم ولا يرثوننا، وبناه على قول معاذ بن جبل: «إن المسلم يرث من الكافر والكافر لا يرث من المسلم»، والصحيح عندنا أن أموالهم فيء لا توارث بينهم وبين السني، وقد روي أن شيخنا

---

(١) تفسير الأسماء والصفات (ص/ ٤٦٠ - ٤٦١).

أبا عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي لم يأخذ من ميراث أبيه شيئا، لأن أباه كان قدريا... إلى أن قال: وروى يحيى بن أكثم أن أبا يوسف سئل عن المعتزلة فقال: هم الزنادقة. وأشار الشافعي في كتاب الشهادات إلى جواز شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية، الذين أجازوا شهادة الزور لموافقيهم على مخالفيهم، وأشار في كتاب القياس إلى رجوعه عن قبول شهادة المعتزلة وسائر أهل الأهواء ورد مالك شهادة أهل الأهواء في رواية أشهب عن ابن القاسم والحارث بن مسكين عن مالك أنه قال في المعتزلة: زنادقة لا يستتابون بل يقتلون»[1] اهـ.

وقال أيضًا: «فأما أصحابنا فإنهم وإن أجمعوا على تكفير المعتزلة والغلاة من الخوارج والنجارية والجهمية والمشبهة فقد أجازوا لعامة المسلمين معاملتهم في عقود البياعات والإجارات والرهون وسائر المعاوضات دون الأنكحة، فأما مناكحتهم وموارثتهم والصلاة عليهم وأكل ذبائحهم فلا يحل شيء من ذلك إلا الموارثة ففيها خلاف بين أصحابنا، فمنهم من قال: إن مالهم لأقربائهم من المسلمين، لأن قطع الميراث بين المسلم والكافر إنما هو في الكافر الذي لا يعد في الملة، ولأن خلاف القدري والجهمي والنجاريّ والمجسم لأهل السنة والجماعة أعظم من خلاف النصارى لليهودي والمجوسي، وقد أجمع الشافعي وأبو حنيفة على وقوع التوارث بينهم مع اختلاف أديانهم، وكذلك التوارث بين المسلم وبين الكافر من أهل الأهواء دون الكافر الخارج عن الملة بجحده بالله عزّ وجل أو برسوله أو بكتابه، وهم يقولون في القرامطة والباطنية وفي الغلاة القائلين بالتناسخ وبالغلط في الوحي حكمُهم حكم الخارج عن الملة وعن حكم الذمة فلا تحل موارثتهم، ويكون ما خلّفوه فيئًا للمسلمين. ومنهم من قال إن حكم أهل الأهواء حكم المرتدين، لا يرثون ولا يورثون، ولا يرث بعضهم من بعض، وحكي عن محمد بن الحنفية وجماعة من التابعين أنهم قالوا بتوريث المسلم من أهل الأهواء، ولم يورثوا أهل الأهواء من المسلمين، وكذلك قالوا في المسلم والكافر إن المسلم يرث من الكافر والكافر لا يرث من المسلم، وإلى هذا القول ذهب شيخ أهل

---

(١) الفرق بين الفرق (ص/ ٣٥٠).

الحديث إسحاق بن راهويه، ورواه هو بإسناده عن معاذ بن جبل، وروى غيره مثل ذلك عن مسروق وسعيد بن المسيّب، وأنهم قالوا: الإسلام يزيد ولا ينقص. وقال قوم من التابعين: لا يرث أهل السنة من أهل الأهواء، ولا يرث بعضهم من بعض، وكل أهل مذهب يكفر أهل مذهب ءاخر فلا توارث بينهما، وكذلك كل صنف من أهل الكفر يكفر صنفًا ءاخر منهم فهما ملتان لا يتوارثان، وبه قال الزهري وربيعة والنخعي والحسن بن صالح بن حي وأحمد بن حنبل، وقال قوم: أموال أهل الأهواء لأهل بدعتهم فلا يرث منهم أهل السنة، وكذلك قالوا في مال المرتد إذا مات إنه لأهل الدين الذي ارتد إليه دون المسلمين، وبه قال قتادة وبعض أهل الظاهر[1] اهـ.

فهذه عبارات الإمام أبي منصور فكن على ذكر منها، وفي ضمنها فوائد يحتاج مطالعها إلى التنبيه:

* منها أن المعتزلة كفار بشرط أن يكون هذا المعتزلي يعتقد أصول مقالاتهم، وهي إثبات الخلق بمعنى الإحداث من العدم للعبد بقدرة أعطاه الله إياها، وأنه كان قادرا على خلقها قبل أن يعطيه القدرة عليها، فلما أعطاه القدرة عليها صار عاجزا، والقول بأن الله لم يرد ما يقع من العباد من المعاصي والمكروهات، إلا ما يقع منهم من الحسن.

* ومنها أن كلام الشافعي بقبول شهادة أهل الأهواء بالمعنى الشامل للمعتزلة وغيرها محمول على أنه أراد من لم يقل منهم بما يؤدي إلى الكفر، لأنه ليس كل منتسب إليهم يعتقد عقيدة الآخرين، لأن الواحد قد ينتسب إلى المعتزلة والكرامية[2] وغيرهم من أهل البدع المشتملة على الكفر، من غير أن يشارك

(١) تفسير الأسماء والصفات لأبي منصور البغدادي مخطوط في مكتبة قيصري - تركيا -...

(٢) الكرامية: أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام، وهم طوائف بلغ عددهم اثنتي عشر فرقة وأصولها ست: العابدية، والتونية، والزرينية، والإسحاقية، والواحدية، وأقربهم الهيصمية، ولكل واحدة منهم رأي: الملل والنحل للشهرستاني (ص/ ٨٧).

الآخرين في تلك المسائل المؤدية إلى الكفر كما ذكر أبو منصور أنه لقي أناسا من الكرامية لا يعرفون عقائدهم إنما يتعلقون بالاسم، وكذلك في المعتزلة أناس ينتسبون إليهم وهم خالون عن اعتقاد أقوالهم التي تؤدي إلى الكفر، وهذا ما صرح به الإمام سراج الدين البلقيني في عبارته التي نقلناها من حاشيته على روضة الطالبين، وذلك محمل كلام بعض الشافعيين الذين ذكر عنهم أن المعتزلة لا يكفرون. فتبين بهذا أن لا عبرة بقول من أطلق ترك تكفيرهم على غير هذا المعنى، كبعض المتأخرين من الشافعية حيث صرح بعدم تكفيرهم مع نسبة القول بخلق العبد فعله إليهم، فإن هذا ليس من كبار أصحاب الشافعي.

* وهنا دقيقة يجب التنبه لها وهي أن القول بخلق القرءان كفر بالنسبة لأناس وليس بكفر بالنسبة لأناس، فمن نفى ثبوت صفة الكلام لله تعالى على الوجه اللائق به، وهو كونه متكلم بكلام أزلي أبدي، بل يعتقد أن الله متكلم بمعنى خالق الكلام في غيره، ويطلق مع ذلك القول بأن القرءان مخلوق، فهو الذي يكفر. وأما من يطلق هذا اللفظ ويثبت الكلام بمعنى الصفة الأزلية الأبدية بمعنى أنه قائم بذات الله، كقيام علمه وغيره من صفاته بذاته، ويقول مع ذلك بأن القرءان يطلق على هذا الكلام الذي هو صفة أزلية أبدية، ويطلق على اللفظ المنزل، ويعتقد في اللفظ المنزل أنه مخلوق لله ليس من تأليف أحد من خلق الله، فهذا لا يكفر ولا يدخل تحت قول الشافعي لحفص الفرد: «لقد كفرت بالله العظيم»، كما لا يدخل تحت ما شهر عن كثير من الأئمة أنهم قالوا: «من قال القرءان مخلوق فهو كافر»، فإنه لا يظن بإمام من أئمة الهدى أنه يعتقد أن اللفظ المنزل صفة قائمة بذات الله، لأنه يلزم من ذلك جعل ذات الله القديم محلا للحادث، والذات الذي يكون محلا للحادث حادث لا يكون قديما، وذلك مما يجل عنه مقام أئمة الهدى كجعفر الصادق وأبي حنيفة والشافعي وغيرهم، لأن ذلك مما لا يخفى بطلانه على أدنى طالب علم، بل ولا أدنى مسلم عرف تنزيه الله عن مشابهة خلقه من جميع الوجوه.

وقد نقل عن الإمام أبي حنيفة ما هو صريح فيما قلنا، فإنه قال في مسألة

الكلام: «ما قام بالخالق فهو غير مخلوق، وما قام بالخلق فهو مخلوق» اهـ. يعني بالجزء الأول من هذه العبارة الكلام الذاتي القائم بذات الله الذي هو أزلي أبدي كسائر صفاته، ويعني بالجزء الثاني اللفظ المنزل. وما نقل عن الإمام أحمد من نهيه عن القول: «لفظي بالقرءان مخلوق»، والقول: «لفظي بالقرءان غير مخلوق» ينزل على أنه أراد ما ذكرنا.

* ومنها أنه ليس كل من شهر بأنه وافق المعتزلة في مسألة معتزليًا على الحقيقة فيحكم عليه بحكمهم، وذلك كالخلفاء الثلاثة من العباسيين المأمون وتالييه، فإنه لا يجوز الشهادة عليهم بأنهم معتزلة لأنه لم يثبت عنهم سوى القول بهذا اللفظ «القرءان مخلوق»، والظن بهم أنهم قصدوا اللفظ المنزل من غير نفي الكلام الذاتي. ونظير هذا قول بعض الفقهاء في الخوارج إن بعضهم يكفرون وبعضهم لا يكفرون، كما ذكره الحافظ ابن حجر في شرح البخاري في أثناء شرح الأحاديث الواردة في الخوارج.

## تحقيق عزيزٌ نادرٌ في مسألة لازم المذهب

وهي مما يشكل على بعض الناس بسبب ما تردد على الأذهان من وجود خلاف في لازم المذهب هل هو مذهب أم ليس مذهبا، نعم إن المسألة خلافية، قال بعض: لازم المذهب مذهب، وقال بعض: لازم المذهب ليس مذهبا، ولكن لتتضح هذه المسألة نحتاج للإجابة عن ثلاثة أسئلة:

الأول: ما معنى لازم المذهب مذهب؟

الثاني: وأين محل الاتفاق ومحل الخلاف؟

الثالث: مَنْ مِنَ العلماء بيّن هذا التفصيل؟

فأما الأمر الأول: فهو فهم معنى قولهم: (لازم المذهب مذهب):

ولنقف على إيضاحها كلمة كلمة، وهي ثلاث كلمات، وبيانها كما يلي:

أولها لفظة لازم: وهو (في اللغة من الملازمة للشيء والدوام عليه، وهو أيضًا

الفصل في القضية، فكأنه من الأضداد)[1]، (والفِعل لَزِم يَلزم، والفاعل لازم والمفعولُ به ملزوم)[2]، وأنت تقول: (لازمُ الخبَرِ احتمال الصدق والكذب)[3]، حيث يرد احتمال هذا وهذا على الخبر، (وكل شيء لازم شيئًا فقد استصحبه)[4].

وجاء في (تفسير قول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾[5] أنه عنى به يومَ بدر، جاء أنه لوزم بين القتلى لِزامًا، وتأويله فسوف يكون تكذيبُكم لزامًا يلزمكم، فلا تُعطَونَ التَّوبة وتلزمكم به العقوبة، فيدخل في هذا يومَ بَدر وغيره مما يلزمهم من العذاب.

وقال أَبو عُبَيدة: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ فَيصَلًا، وهو قريب مما مر، قال الهُذَليّ:

فإما يَنجُوَا من حَتْفِ أَرْضٍ ... فقد لقيَا حُتُوفهما لِزامَا

وتأويلُ هذا أن الحتْف إذا كان مقدَّرًا فهو لازم، إن نجا من حَتْفِ مكانٍ فإن الحتف وهو الهلاك أي الموت لزامًا واقع بهما في المآل، وشَرٌّ لازِب ولازم دائم، ولازم جاريته إذا عانقها ملازمة)[6].

أو تقول: ( الملازمة لغة: امتناع انفكاك الشيء عن الشيء، واللزوم والتلازم بمعناه.

واصطلاحا: كون الحكم مقتضيا لحكم ءاخر على معنى أن الحكم بحيث لو وقع يقتضي وقوع حكم ءاخر اقتضاء ضروريا، كالدخان للنار في النهار، والنار

---

(١) النهاية في غريب الأثر (٤/ ٢٤٨).
(٢) تهذيب اللغة (١٣/ ١٥٠).
(٣) معجم مقاليد العلوم (ص/ ٩٤).
(٤) تهذيب اللغة (٤/ ١٥٤)، والمصباح المنير (ص/ ١٢٧).
(٥) سورة الفرقان/ ءاية ٧٧.
(٦) بتصرف من تهذيب اللغة (١٣/ ١٥٠-١٥١).

للدخان في الليل)[1]. ولا يخفى أن المقصود هنا هو فهم اللازم أي ما يلزم من اللفظ الذي تكلم به المتكلم، وأن (هذا الفهم إنّما يحصل بواسطة اللّفظ الدّال على الملزوم، لأنّ الذّهن ينتقل من اللّفظ إلى معناه ومن معناه إلى اللّزوم)[2].

فاللازم في المحصلة هو ما يتبع الشيء ويمتنع انفكاكه عنه، ولذلك قالوا: لازم المذهب مذهب.

وثانيها: لفظة المذهب:

في اللغة: (ذهب الذَّهابُ السَّيرُ والمرور، ذهب يَذهَب ذَهابًا وذُهوبًا فهو ذاهب وذَهُوب، والمَذهَبُ مصدر كالذَّهاب، وذَهَب به وأَذهَبَه غيره أزالَه، وقالوا: ذَهبتُ الشَّامَ فعَدَّوهُ بغير حرف، وإن كان الشامُ ظرفًا مخصوصًا، شَبَّهوه بالمكان المُبهَم، إذ كان يقع عليه المكانُ والمَذهَبُ، والمَذهَب المُتوَضَّأُ لأَنَّه يُذهَبُ إليه، وفي الحديث: أَنَّ النبي ﷺ «**كان إذا أَراد الغائطَ أَبعَدَ في المذهَب**»[3] وهو مَفعَلٌ من الذَّهاب، والمذهَبُ المعتَقَد الذي يُذهَبُ إليه، ويقال: ذَهَبَ فُلانٌ مَذهَبًا حَسَنًا، وقولهم: به المَذْهِب، يَعنون الوَسوَسَة في الماء وكثرة استعماله في الوُضوء)[4].

فالمذهب لغة: يشمل (محل الذهاب وزمانه، والمصدر والاعتقاد والطريقة المتسعة، ثم استعمل فيما يصار إليه من الأحكام)[5].

ويقال: (المذهب الكلامي: وهو أن يورد حجة للمطلوب على طريق أهل الكلام، بأن يورد ملازمة، ويستثني عين الملزوم أو نقيض اللازم أو يورد قرينة من القرائن الاقترانيات لاستنتاج المطلوب، مثاله قوله تعالى: ﴿ لَوْكَانَ فِيهِمَآ

---

(١) معجم مقاليد العلوم (ص/ ٧٨)، والتعاريف (ص/ ٦٧٥ - ٦٧٦)، والتعريفات (ص/ ٢٩٣- ٢٩٤).

(٢) بتصرف من البحر المحيط في أصول الفقه (١/ ٤٢٢).

(٣) رواه ابن الجارود في المنتقى بلفظ «وكان إذا ذهب لحاجته أبعد في المذهب» (١/ ١٩)، (٢٧)، كتاب الطهارة، باب ما جاء في التباعد للخلاء.

(٤) بتصرف من لسان العرب (١/ ٣٩٣ - ٣٩٤).

(٥) التعاريف (ص/ ٦٤٦).

﴿ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[1] أي الفساد متنف فكذلك تعدد الإلهية منتفية، وقوله تعالى أيضًا: ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأٓفِلِينَ﴾[2] أي الكوكب آفل، وربي ليس بآفل، ينتج من الثاني الكوكب ليس بربي)[3].

فيكون المعنى إجمالا: لازم المذهب مذهب أي أن ما يتبع المذهب أي القول الذي ذهب إليه الشخص يمتنع انفكاكه عنه، لأنه يُفهَم من قوله أو يمكن انفكاكه لوقوع الاحتمال في لفظه، على ما مر بيانه في المقدمة الثانية.

الثاني: فأين محل الاتفاق ومحل الخلاف؟

بعد أن ذكرنا معنى اللازم في لازم المذهب، وأن المقصود بلازم المذهب: ما يتبعه ولا ينفك عنه، يمكن القول: إن ثمة تفصيل يدخل المسألة، وهو أن اللازم قد يكون واضحًا بينًا وقد يكون خفيًا:

فاللازم البين الواضح هو الذي لا يحتاج في إثبات لزومه لغيره إلى دليل.

وأما اللازم الخفي فهو الذي يحتاج في إثبات لزومه لغيره إلى دليل.

فإذا في قولهم: لازم المذهب مذهب أو ليس مذهبا شيء لا بد من التنبيه عليه، وهو قيد لازم بالمعنى الذي بيناه قريبا، لينكشف الفرق ويتضح، وإلا فالإطلاق فيه لا يستقيم، إذ أن المتخاطبينِ يميزان حالة تخاطبهما وتحدثهما بأنه لا بد من فرق بين ما هو صريح من الكلام بحيث يفهم السامع المعنى بمجرد الإفصاح بالتصريح أو بالتضمين كما مر بيانه، وهو ما لا يقدر في العادة أن يتهرب الشخص من التزام لازمه الذي لا ينفك عنه معنى الكلام وإلا عدّوه كاذبا أو مذبذبا مترددا غير متزن، ولذلك وقع التمييز بين أهل العقل والفهم وبين غيرهم، وإذا كان الأمر كذلك فقد بقي ما يمكن أن يقع في أثناء الحديث ما يشكل أو يحتمل على السامع لأسباب منها: سبق اللسان أو الزلل، أو وقوع الاحتمال في الكلام لأن

---

(١) سورة الأنبياء/ ءاية ٢٢.

(٢) سورة الأنعام/ ءاية ٧٦.

(٣) التعاريف (ص/ ٦٤٦ - ٦٤٧)، والتعريفات (ص/ ٢٦٥).

اللغة تسوغ أكثر من مقصود لبعض الكلمات، ولم يتضح من السياق، ومع ذلك يقع بعد ذلك التفاهم بسبب وضوح أو تقارب المفردات اللغوية التي يستعملها المتخاطبانِ، وهو ما يمكن التمثيل عليه بما يسمونه اليوم توصيات المؤتمرات حيث يقع الاتفاق على مضامين ومقاصد معلومة للمؤتمرين والمجتمعين، إلا أن وضع الصياغة النهائية هي ما تحتاج من أهل الاختصاص باللغة والخبرة والمعرفة بالمصطلحات الحديثة التي تختلف باختلاف نوع تلك المؤتمرات من سياسية إلى طبية إلى هندسية إلى نقابية إلى غير ذلك، وبهذا المثال ربما يتضح الفارق بين اللازم وغير اللازم الذي يمكن أن يعبر عنه بعبارة أخرى بلفظ الصريح من الكلام الذي يفهم السامع لازمه ومعناه وبين غير الصريح من الكلام، وهو المحتمل الذي يحاول أحيانا بعض المتحدثين أن يناور به ليتخلص ربما من إجابة مباشرة يراد استخلاصها منه، وإذا تم بيان هذا التقريب فلنعد إلى بيان هذا الفارق بالآتي:

الأول: أن يقال: إن اللازم إن كان بينا أي صريحًا على ما سبق بيانه في المقدمة الثانية فلا بد أن يكون مذهبا لصاحبه، هذا إن كان يفهم ويعي ما يقول كما سبقت الإشارة إليه، (لأن الألفاظ قوالب المعاني وموضوعة لها، والمعاني إنما تؤخذ من الألفاظ وإلا لما ثبت كفر أحد ولا إيمانه، مع أن العلماء والعقلاء اجتمعوا على أن مذاهب الرجال إنما تعرف من كلامهم في كتبهم) أو أقوالهم، (وإلا فقد الأمن من كل شيء)[1].

(وصرف الكلام عن ظاهره وجواز تأويله وحمله على المجاز إنما يحكى إذا لم يصرح المتكلم أن مقصوده حقيقة الكلام، ولم يقم على إثباتها البرهان، فعند التصريح وإقامة الدليل على إثبات مفهومه الصريح يصير محكما في إفادة الحقيقة غير قابل للتأويل وحمله على المجاز، وذلك كتصريح الملاحدة الوجودية بأن الله تعالى هو الموجود المطلق المنبسط في الظاهر، ثم تلفيقهم المغالطة في صورة البرهان

---

(١) مراحل السالكين لبهاء الدين الخزامي الصيادي (ص/ ٧٠)، وسبق هذه الكلمات قوله: «ولا تغتر أيها المحب بقول من يقول: إن هذه الكلمات من أمور القلب، فذلك جهل أو عناد» اهـ.

على إثباته، ثم تفريعهم عليه بأن كل من عبد الأصنام فقد عبد الله، وكل من ادعى الألوهية فهو صادق في دعواه، فلذلك بعدما صار محكما بالتصريح وإقامة الدليل لا يقبل التجوز والتأويل.

وبهذا يظهر لك بطلان ما يقوله الذابون عن هؤلاء الملاحدة أن ليس مراد الوجودية ما تفهمه العامة بل لهم تأويل لا يفهمه إلا الخاصة، انتهى.

وقولهم: «لعل له تأويلا» عين الفساد في الدين أن يتكلم شخص بكلام هو كفر وإلحاد في ملة الإسلام، ويرغب فيه ويدعو إليه، ثم يقال لعل له تأويلا عند أهل الباطن، وهل باطن دين الإسلام يخالف ظاهره؟!

فإن قالوا: كلاهما حق، يقال لهم: هذا مخالف لقوله تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾[1]، وأيضًا مخالف لإجماع المسلمين أن الحق واحد في الاعتقاديات التي يكفر مخالف الحق فيها)[2].

وقد مر معنا أن الصريح من الألفاظ لا يؤول، بل مدار الحكم فيه على الأفهام لا على القصود والنيات. ولا يخفى ما في أصول الفقه من البيان أن الأصل في الكلام الحقيقة، وأن النص القطعي لا مجال فيه للاجتهاد فهو ليس كالمحتمل. ولا يخفى ما في الفقه من مثال واضح كما في ألفاظ الطلاق والعتاق الصريحة التي لا تحتاج إلى نية في مقابل ألفاظ الكناية التي تحتاج إلى نية من القائل، وإلا لم يقع الطلاق ولا العتاق، ثم لو جاز تأويل كل لفظ لجاز تأويل كلام اليهود في قولهم عزير ابن الله وهو كفر صريح كما لا يخفى.

وهكذا فيما نحن بصدده فإن العبرة في الألفاظ الصريحة بفهم الشخص لا بقصده، وقد رد بعض المعاصرين وهو الشيخ محمد الحامد الحموي على من حملوا سورة الفيل بأن هلاك القوم كان بمرض الجدري لا بالحجارة التي رمتهم بها الطيور كما هو معلوم عند أصغر الطلاب وأقربهم عهدا بالقراءة، فحكم بكفرهم،

---

(١) سورة يونس/ ءاية ٣٢.

(٢) نقلها الشيخ بهاء الدين الصيادي في المصدر السابق (ص/ ٧٠-٧١).

فسئل: ألا ينفع هذا المتأول تأويله ويخرجه من الكفر؟ فكان مما قاله: «التأويل إنما ينفع في مواضع احتمال اللفظ لمعان عديدة، وهجران الحقيقة إلى المجاز في الكلام لا يصح إلا إذا قامت القرائن المانعة من إرادة الحقيقة، وكانت تلك القرائن قطعية، ولا بد أيضًا من مناسبة بين المعنى المنتقَل منه والمعنى المنتقَل إليه»[1] اهـ.

وعقّب الحافظ السبكي في السيف الصقيل على كلمة ينقلها عن ابن قيم الجوزية تلميذ ابن تيمية الحراني، وعبارته: «قال (ابن القيم): «وقضى -يعني جهما- وشيعته الذين هم الأشعرية بزعمه بأن الله كان معطلا، والفعل ممتنع بلا إمكان ثم استحال وصار مقدورا له من غير أمر قام بالديان»، فقال السبكي: «مقصوده أن الله ما زال يفعل، وهذا يستوجب القول بقدم العالم وهو كفر» اهـ.

ثم عقب الشيخ محمد زاهد الكوثري على قول السبكي: «وهذا يستوجب القول بقدم العالم» اهـ بقوله: «وهذا الاستلزام بيّن، وما يقال من أن لازم المذهب ليس بمذهب إنما هو فيما إذا كان اللزوم غير بيّن، فاللازم البيّن لمذهب العاقل مذهب له، وأما من يقول بملزوم مع نفيه للازمه البيّن فلا يعد هذا اللازم مذهبا له، لكن يسقطه هذا النفي من مرتبة العقلاء إلى درك الأنعام، وهذا هو التحقيق في لازم المذهب، فيدور أمر القائل بما يستلزم الكفر لزوما بيّنا بين أن يكون كافرا أو حمارا»[2] اهـ.

وكلمة الشيخ الكوثري هنا على سبيل التهكم لا على سبيل التقرير كما هو واضح للمتأمل في السياق.

وقد جعل الشارع قانونا للكلمات العربية به تعرف المعاني وتفهم المقاصد كما تقدم، وعليه فلا يجوز لمسلم أن يؤول كل لفظ ولو على وجه مخالف لما يقتضيه لسان العرب التي نزل بها القرءان ووقعت بها السنة فتنقلب الحقيقة اللغوية

---

(١) بتصرف من كتاب سيرة العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد لعبد الحميد طهماز (ص/ ١٣٠).

(٢) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل لتقي الدين السبكي يرد به على نونية ابن القيم، وعليه تعقيبات وتكملة الرد على هذه النونية بقلم محمد زاهد الكوثري (ص/ ٣١).

المطابقة للقواعد الشرعية معاني مجازية والاصطلاحات المحدثة كأنها حقيقة عرفية؟

وهل لمسلم أن يقول صدق فرعون في قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[1]؟ فإن المراد بالرب هنا المَلِك، فهو كان كبيرهم ورئيسهم وزعيمهم الأعلى وتحت يده ملوك وسلاطين، أو أن يقول قائل: إن إبليس لم يعترض على الله تعالى في قوله: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾[2]؟ إلى غير ذلك مما جاء في النصوص الموصوفة بأنها قطعية الدلالة في سياقها وقرائنها، محسومة عند علماء الأمة المعتبرين، فيؤدي ذلك إلى الفوضى العارمة ونسف العمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وإذا لانقلبت المفاهيم وضاعت المعايير، ولما حكم العلماء في الماضي على أحد بالقتل بسبب ردته.

وقد (أحرق علي بن أبي طالب رضى الله عنه من ادعى له الإلهية، وقد قتل عبد الملك بن مروان الحارث المتنبي وصلبه، وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك بأشباههم، وأجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم، والمخالف في ذلك من كفرهم كافر، وأجمع فقهاء بغداد أيام المقتدر من المالكية وقاضي قضاتها أبو عمر المالكى على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الإلهية والقول بالحلول، وقوله: «أنا الحق»، مع تمسكه في الظاهر بالشريعة، ولم يقبلوا توبته، وكذلك حكموا في ابن أبى العزافير، وكان على نحو مذهب الحلاج بعد هذا أيام الراضي بالله وقاضي قضاة بغداد يومئذ أبو الحسين ابن أبي عمر المالكي، وقال أبو حنيفة وأصحابه: من جحد أن الله تعالى خالقه أو ربه أو قال: ليس لي رب فهو مرتد)[3].

قال الجرجاني: «اللازم ما يمتنع انفكاكه عن الشيء، واللازم البين هو الذي يكفي تصوره مع ملزومه في جزم العقل باللزوم بينهما، كالانقسام بمتساويين

---

(١) سورة النازعات/ ءاية ٢٤.

(٢) سورة الأعراف/ ءاية ١٢.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (٢/ ٢٩٦-٢٩٧)، فصل هذا حكم من صرح بسبه وإضافة ما لا يليق بجلاله.

للأربعة، فإن من تصور الأربعة وتصور الانقسام بمتساويين جزم بمجرد تصورهما بأن الأربعة منقسمة بمتساويين، وقد يقال: البين على اللازم الذي يلزم من تصور ملزومه تصوره ككون الاثنين ضعفا للواحد، فإن من تصور الاثنين أدرك أنه ضعف الواحد، والمعنى الأول أعم لأنه متى كفى تصور الملزوم في اللزوم يكفي تصور اللازم مع تصور الملزوم، فيقال للمعنى الثاني اللازم البين بالمعنى الأخص، وليس كلما يكفي التصورات يكفي تصور واحد، فيقال لهذا اللازم البين بالمعنى الأعم»[1] اهـ.

وقال القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري: «ثم البين نوعان، بين بالمعنى الأخص، وبين بالمعنى الأعم. أما اللازم البين بالمعنى الأخص فهو الذي يلزم تصور الملزوم تصوره، ككون الاثنين ضعف الواحد، فإنه من تصور الاثنين أدرك أنه ضعف الواحد.

وأما اللازم بالمعنى الأعم فهو الذي يكفي تصوره مع تصور ملزومه في جزم العقل باللزوم بينهما كالانقسام بمتساويين للأربعة، فإن من تصور الأربعة تصور الانقسام بمتساويين، جزم بمجرد تصورهما بأن الأربعة منقسمة بمتساويين، وإنما كان اللازم البين بهذا المعنى أعم منه بالمعنى الأول لأنه متى كفى تصور الملزوم في اللزوم يكفي تصور اللازم مع تصور الملزوم، وليس كلما يكفي التصور أن يكفي تصور واحد»[2] اهـ.

الثاني: أن يقال: إن اللازم إن كان غير بيّن أي كان خفيا، فهذا يصح القول فيه إنه يحتمل أن لا يكون قائله ملتزما بذلك اللازم لوقوع الاشتباه أو الإشكال في المفردات المستعملة، وفي هذا وقع الخلاف: هل لازم المذهب مذهب أم أنه ليس مذهبا لقائله، وهو ما يمكن إلحاقه باللفظ الظاهر أو الكناية، وهو ما يقع فيه النظر في فهم مراد قائله إما بالقرائن والأدلة أو بإفصاح من القائل نفسه عن

---

(١) التعريفات (ص/ ٢٤٤)، وبأخصر منه في التعاريف (ص/ ٦١٥).

(٢) دستور العلماء (٣/ ١١٢).

مراده، ولا يقدم القاضي عندما يرفع إليه أمره على حمل كلامه على المعنى الفاسد إلا أن يتبين أنه يريد فعلا ذلك المعنى، وكذلك غير القاضي، ولا يكون ذلك إلا حيث وقع الاحتمال، ولا يتصور عاقل أن يقع مثل هذا الخفاء والإشكال في جميع الكلام مهما كان، بل من زعم ذلك كان مكابرا للواقع، بل ربما ألحقوا كلامه بمن يتحدث حالة نومه أو كما سبق في كلام الكوثري.

قال الجرجاني: «واللازم الغير البين: هو الذي يفتقر جزم الذهن باللزوم بينهما إلى وسط كتساوي الزوايا الثلاث للقائمتين، لا يكفي في جزم الذهن بأن المثلث متساوي الزوايا للقائمتين، بل يحتاج إلى وسط وهو البرهان الهندسي»[1] اهـ.

وقد جاء في الحديث الصحيح: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت»[2] اهـ.

ولذلك ينبغي التنبه إلى أن الخلاف إنما قام في اللازم الخفي لا غير، وهذا ما بينه ابن أمير الحاج في التقرير والتحبير في بحث مطول، وفيه قال: «وظهر من هذه الأمثلة للإشارة السالمة من التعقب أنها أي الإشارة الدلالة الالتزامية للمعنى المراد من اللفظ التي لم تقصد بسوقه، ويحتاج الوقوف عليها إلى تأمل، ومن ثمة قال: وإن خفي اللزوم حتى احتاج إلى تأمل، وجرى فيه خلاف، لأن الفقهاء لا يشرطون في الالتزامية اللازم البين، فضلا عنه بالمعنى الأخص بل الثبوت في نفس الأمر احتاج إلى تأمل»[3] اهـ.

وهو ما ينبغي أن يكون البحث فيه عند الكلام على الدلالة حيث قالوا فيها: (الدلالة كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، ودلالة اللفظ

---

(١) التعريفات (ص/ ٢٤٤)، وبأخصر منه في التعاريف (ص/ ٦١٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٧٦٩): كتاب الأدب: باب إذا لم تستح فاصنع ما شئت، من حديث أبي مسعود، وابن حبان في صحيحه (٦٠٧): كتاب الرقائق، باب الحياء، من حديث أبي مسعود.

(٣) التقرير والتحبير (١/ ١٤٣).

على معناه مطابقة، وعلى جزئه تضمن، وعلى لازمه الذهني التزام)[1]، ذلك أن: (الدلالة اللفظية الوضعية هي كون اللفظ بحيث متى أطلق أو تخيل فهم منه معناه للعلم بوضعه، وهي المنقسمة إلى المطابقة والتضمن والالتزام.

لأن اللفظ الدال بالوضع يدل على تمام ما وضع له بالمطابقة، وعلى جزئه بالتضمن، وعلى ما يلازمه في الذهن بالالتزام، كالإنسان فإنه يدل على تمام الحيوان الناطق بالمطابقة، وعلى جزئه بالتضمن، وعلى قابل العلم بالالتزام)[2].

يوضح ذلك بالمثال أن يقال: (إن دلالة اللفظ على المعنى تنحصر في ثلاثة أوجه:

وهي المطابقة والتضمن والالتزام، فإن لفظ البيت يدل على معنى البيت بطريق المطابقة، ويدل على السقف وحده بطريق التضمن، لأن البيت يتضمن السقف لأن البيت عبارة عن السقف والحيطان، وكما يدل لفظ الفرس على الجسم، إذ لا فرس إلا وهو جسم، وأما طريق الالتزام فهو كدلالة لفظ السقف على الحائط فإنه غير موضوع للحائط، وضع لفظ الحائط للحائط، حتى يكون مطابقًا، ولا هو متضمن، إذ ليس الحائط جزءًا من السقف، كما كان السقف جزءًا من نفس البيت، وكما كان الحائط جزءًا من نفس البيت، لكنه كالرفيق الملازم الخارج عن ذات السقف الذي لا ينفك السقف عنه، وإياك أن تستعمل في نظر العقل من الألفاظ ما يدل بطريق الالتزام، لكن اقتصر على ما يدل بطريق المطابقة والتضمن، لأن الدلالة بطريق الالتزام لا تنحصر في حد، إذ السقف يلزم الحائط، والحائط الأس، والأس الأرض، وذلك لا ينحصر)[3].

ولذلك قال التفتازاني: «وتحقيق ذلك أن المعتبر في دلالة الالتزام عند علماء الأصول والبيان مطلق اللزوم عقليا كان أو غيره، بيّنا كان أو غير بيّن، ولهذا يجري

---

(١) الحدود الأنيقة (ص/ ٢٥).
(٢) التعريفات (ص/ ١٤٠).
(٣) المستصفى في علم الأصول لأبي حامد الغزالي (ص/ ٢٥).

فيها الوضوح والخفاء، ومعنى الدلالة عندهم فهم المعنى من اللفظ إذا أطلق بالنسبة إلى العالم بالوضع، وعند المنطقيين متى أطلق، فلهذا اشترطوا اللزوم البيّن بالنسبة إلى الكل»[1] اهـ.

ومعنى ذلك أن الدلالة عند أهل الأصول والبيان هي ما يفهم من اللفظ إن كان إطلاقه بالنسبة إلى من يعلم ذلك اللفظ بأصل الوضع، سواء كان اللزوم بيّنا أو غير بيّن، كما قال التفتازاني، وأما أهل المنطق فالدلالة عندهم معتبرة كلما أطلق اللفظ، ولا يقيدونه بالعلم بالوضع، فلذلك يشترطون كون لزوم الدلالة بيّنا، فإن كان غير ذلك، أي لا بيان في اللزوم، لم تعتبر دلالته عندهم، ومقتضى ذلك أن المناطقة لا يعتبرون من لزوم الدلالة إلا ما لا خفاء فيه، بخلاف الأصوليين فإن العبرة عندهم بمطلق اللزوم شريطة العلم بالوضع، هذا هو المراد بالعبارة.

وقال الجلال المحلي في شرحه على جمع الجوامع: «(قوله: الذهني) بحث فيه الناصر بأن تقييد اللازم بالذهني خروج عن الأصول إلى فن المنطق، لأنه مبني على أن المراد بالدلالة التي هي المقسم كون اللفظ بحيث مهما أطلق بعد العلم بالوضع فهم منه المعنى كما تقول المناطقة لا كونه إذا أطلق بعد العلم بالوضع فهم منه المعنى كما تقول الأصوليون والبيانيون، ومن ثم ترك ابن الحاجب التقييد بذلك وضعف القول به فقال: وغير اللفظي التزام، وقيل: إذا كان ذهنيا، وأجاب بأن اللازم الذهني له معنيان:

أحدهما: ما يمتنع انفكاك تعقله عن تعقل المسمى وهو اللازم البين عند المطابقة، وهذا هو المختلف في اشتراطه بين المناطقة وغيرهم.

والثاني: ما يلزم من حصول المعنى الموضوع له في الذهني حصوله فيه، إما على الفور أو بعد التأمل في القرائن، وهذا مراد من قيد به من أهل الأصول والبيان لا الأول، وإلا لخرجت معان كثيرة في المجازات والكنايات عن المدلولات

---

(١) شرح التلويح على التوضيح (١/ ٢٤٥).

الالتزامية»[1] اهـ.

وقال عبد الرحمٰن البناني المغربي: «قوله: (لجزئه المدلول) أي المدلول عليه باللفظ فهو من باب الحذف والإيصال. قوله: (الذهني) لم يرد به ما لا يمكن انفكاكه عن الملزوم، وهو الذي يلزم من تصور ملزومه تصوره، وهو اللازم البين بالمعنى الأخص عند المناطقة، بل مطلق اللازم سواء تصور بعد الملزوم بلا مهلة أو بعد التأمل وإعمال الفكر»[2] اهـ.

الثالث: مَنْ مِنَ العلماء بيّن هذا التفصيل؟

فإن قال قائل: من أين لك هذا التفصيل، ومَنْ مِنَ العلماء بيّنه؟

أقول: تتابع شراح مختصر خليل بن إسحاق الجندي في الفقه المالكي على التنبيه لهذا القيد، اعتبارا من الشيخ محمد عليش الذي جرى كثير من الشراح على اختصار كلامه أو التعقيب عليه من باب مزيدٍ من الإيضاح، ونصه: «وسواء كفر بقول صريح في الكفر، كقوله: أكفر بالله أو برسول الله أو بالقرءان أو الإلـٰه اثنان أو ثلاثة.

أو قوله: المسيح ابن الله أو العزير ابن الله أو بلفظ يقتضيه أي يستلزم اللفظ الكفر استلزاما بينا، كجحد مشروعية شيء مجمع عليه معلوم من الدين ضرورة، فإنه يستلزم تكذيب القرءان أو الرسول، وكاعتقاد جسمية الله وتحيزه، فإنه يستلزم حدوثه واحتياجه لمحدث ونفي صفات الألوهية عنه جل جلاله وعظم شأنه»[3] اهـ.

وقال في موضع ءاخر: «ويكفر من ذهب مذهب القدماء من أن في كل جنس من الحيوان نذيرا أو نبيا حتى من القردة والخنازير والدواب والدود وهذا يستلزم وصف الرسل عليهم الصلاة والسلام بصفات البهائم الذميمة وهذا يوجب

---

(١) حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع (١/ ٥١).
(٢) حاشية البناني (١/ ١٧٥).
(٣) منح الجليل (٩/ ٢٠٥-٢٠٦).

القتل بلا استتابة إلا أنه تقرر أن لازم المذهب غير البين ليس بمذهب»[1] اهـ. وفي موضع ءاخر قال: «لازم المذهب ليس مذهبا إذا لم يكن بينا»[2] اهـ.

وهذا الشيخ محمد الدسوقي في حاشيته على الشرح الكبير يقول: «قوله: (بصريح) أي بقول صريح في الكفر، قوله: (أو لفظ يقتضيه) أي يقتضي الكفر أي يدل عليه سواء كانت الدلالة التزامية كقوله: الله جسم متحيز، فإن تحيزه يستلزم حدوثه لافتقاره للحيز، والقول بذلك كفر أو يتضمنه، كما إذا أتى بلفظ له معنى مركب من كفر وغيره، كقوله: زيد خداي[3]، إذا استعمله في الإلـٰه المعبود بحق، ولأجل هذا التعميم عبر بيقتضيه دون يتضمنه لإيهامه أن المعتبر في اللفظ دلالة التضمن فقط.

قوله: (كقوله: الله جسم متحيز) أي وكقوله: العزير أو عيسى ابن الله.

قوله: (أو فعل يتضمنه) إسناد التضمن للفعل يدل على أن المراد هنا الالتزام لا حقيقة التضمن الذي هو دلالة اللفظ على جزء المعنى الموضوع له.

قوله: (ويستلزم الخ) أي وأما قولهم: لازم المذهب ليس بمذهب فمحمول على اللازم الخفي»[4] اهـ.

كما يعقب في موضع ءاخر ليقول: «(قوله: أو فرعون) أي أو غزوة بدر أو أحد أو صحبة أبي بكر، (قوله: لأنه تكذيب للقرآن) أي فوجود ما ذكر معلوم بالضرورة من الدين يجب الإيمان به، لأن إنكاره يؤدي لتكذيب القرءان، لا يقال هذا ظاهر في إنكار غير صحبة أبي بكر لا فيها، لأن قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ﴾[5]، وليس فيه تعيين له، لأنا نقول انعقد إجماع الصحابة

---

(١) منح الجليل شرح مختصر خليل (٩/ ٢٠٩).

(٢) منح الجليل شرح مختصر خليل (٩/ ٢٤١).

(٣) خداي كلمة فارسية، ومعناه إله.

(٤) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (٤/ ٣٠١).

(٥) سورة التوبة/ ءاية ٤٠.

على أن المراد به أبو بكر، والحق أن إنكار وجود أبي بكر ردة، لأنه يلزم من إنكار وجوده إنكار صحبته لزوما بينا، وقد علمت أن قولهم: لازم المذهب ليس بمذهب في اللازم غير البين، كذا قرر شيخنا»[1] اهـ.

وهذا الشيخ أحمد الصاوي يشرح: «قوله: (أو فعل يتضمنه) إسناد التضمن للفعل، يدل على أن المراد به هنا الالتزام لا حقيقة التضمن الذي هو دلالة اللفظ على جزء المعنى الموضوع له، فلذلك قال الشارح: أي يستلزمه، ولا يرد علينا قولهم: لازم المذهب ليس بمذهب لأنه في اللازم الخفي، وعبّر أولا بيقتضيه وثانيا بيتضمنه تفننًا»[2] اهـ.

وقال محمّد الخرشيّ المالكيّ: «قولُه: (إلا أن يقال: لازمُ المذهب ليس بمذهب) ظاهره ولو بينا مع أنّ اللازم إذا كان بيّنا يكون كفرا، ولا يخفى أنّ اللازم هنا بيّن فليُنظر ذلك»[3] اهـ.

وذلك تعقيبا على قول صاحب المتن الذي يقول: «وكذلك من اعتقد أنّ في كلّ جنس من أجناس الحيوانات من القردة والدّود ونحوهما نذيرا أي: نبيّا، فإنّه يكفر لأنّه يؤدّي إلى أنّ جميع الحيوانات تكون مكلّفة، وهذا يخالف الإجماع وأن توصف أنبياء هذه الأصناف بصفاتهم الذّميمة، وفيه من الازدراء على هذا المنصب المنيف ما فيه مع إجماع المسلمين على خلافه، وتكذيب قائله، والمراد بالأمّة في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[4] المكلّفون وما تقدّم من التّعليل يقتضي القتل بلا استتابة إلا أن يقال: إنّ لازم المذهب ليس بمذهب»[5] اهـ.

وفي هامش إدرار الشروق على الفروق عند كلامه على البسملة أي إن قال

---

(١) حاشية الدسوقي (٤/ ٣٠٣-٣٠٤).

(٢) بلغة السالك لأقرب المسالك للشيخ أحمد الصاوي (٤/ ٢٢٤).

(٣) شرح مختصر خليل للخرشي (٢٣/ ١٠٤-١٠٥).

(٤) سورة فاطر/ ءاية ٢٤.

(٥) شرح مختصر خليل للخرشي (٢٣/ ١٠٣).

بسم الله إلخ عند شرب الخمر ونحوه قال: «ومنع علة التكفير إذا لم يتهاون ولم يستحل فإنه المعين على الخير والشر، على أنا لو سلمنا أن الاستعانة والتبرك به -أي بالله- لا تتصور إلا فيما فيه إذنه ورضاه فهو أمر لم يقصده، وإنما هو لازم لما فعله، ولازم المذهب ليس بمذهب إذا لم يكن اللزوم بينا كما هنا»[1] اهـ. وذلك أن الشخص قد يقصد عند تلفظه بالبسملة أن يخلص من ضرر الخمر، ولا يخطر له التبرك بالبسملة حال كونه يشرب الخمر الذي تعلم حرمته من الدين بالضرورة.

وقال الشيخ حسن العطار في حاشيته على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع: «لازِمَ المَذهَب لا يُعَدُّ مَذهَبا إلا أن يكونَ لازما بَيِّنا فَإِنَّهُ يُعَدُّ»[2] اهـ.

وقال في موضع ءاخر: «(مهمّتان) الأولى: قولهم لازم المذهب ليس بمذهب، مقيّد بما إذا لم يكن لازما بينا.

الثّانية: التّكفير بالعقائد لا سيّما مسألة الكلام أمر مستفيض فيه النّزاع بين الأئمّة من قديم الزّمان حتّى نقل السّيوطيّ في شرح التّقريب أنّ القائل بخلق القرءان يكفر، نصّ عليه الشّافعيّ واختاره البلقينيّ ومنع تأويل البيهقيّ له بكفران النّعمة، فإنّ الشّافعيّ قال ذلك في حقّ حفص الفرد لما أفتى بضرب عنقه، وهذا ردّ للتّأويل»[3] اهـ.

ومن الأمثلة على وضوح اللازم وعدم انفكاكه ما قالوه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[4]: (فإن ﴿اصْطَفَىٰ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ﴾ يدل على الفاصلة، وهي العالمين لا باللفظ بل بالمعنى، لأنه يعلم أن من لوازم اصطفاء شيء أن يكون مختارا على جنسه،

---

(١) الفروق مع هوامشه (١/ ٢٤٠)، لأبي العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي.
(٢) حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع (٢/ ٤٢٦).
(٣) حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع (٤/ ٢٤٩).
(٤) سورة آل عمران/ ءاية ٣٣.

وجنس هؤلاء المصطفين العالمون)[1].

و(كدلالة ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾[2] على تحريم الضرب، فإن المعنى العباري له تحريم خطاب الولد للوالدين بهذه الكلمة الموضوعة للتبرم والتضجر، ثم ينتقل منه إلى المقصود بالنهي الذي لأجله تثبت الحرمة، وهو الأذى وتثبت بدلالته حرمة ضربهما أو شتمهما بطريق أولى من حرمة التأفيف لهما نظرا إلى علة تحريمه المفهومة لكل واحد ممن يعرف اللغة وهو الإيذاء، فإن الإيذاء فيهما فوق الإيذاء بالتأفيف)[3].

وأما الالتزام فيحتاج إليه عند خفاء اللزوم لا عند كون اللازم بينا، ويكشف عن هذا أكثر ما قالوه في تعريف الإقرار أنه (إظهار الالتزام بما خفي أمره)[4]. وفي المحصلة يتلخص ما يلي:

قال الشيخ الكشميري: «والحاصل في مسئلة اللزوم والالتزام:

- أن من لزم من رأيه كفر لم يشعر به، وإذا وقف عليه أنكر اللزوم وكان في غير الضروريات وكان اللزوم غير بين فهو ليس بكافر، -أي إن لم يلتزمه-.

- وإن سلم اللزوم وقال: إن اللازم ليس بكفر، وكان عند التحقيق كفرا فهو إذن كافر»[5] اهـ. فاللازم البين قول لقائله، كقول المعتزلة: عالم بلا علم، لازمه بيّن، لزوم الفساد فيه بيّن، لأنه كقول: ليس بعالم، عالم بلا علم مثل قول: الله ليس بعالم.

قال الحافظ السخاوي ناقلا عن شيخه الحافظ ابن حجر العسقلاني: «والذي

---

(١) كتاب الكليات (ص/ ٣٠٦ - ٣٠٧).

(٢) سورة الإسراء/ ءاية ٢٣.

(٣) التقرير والتحبير (١/ ١٤٤).

(٤) التعاريف (ص/ ٨٣).

(٥) إكفار الملحدين والمتأولين في شيء من ضروريات الدين (ص/ ٧٣)، للمحدث الشيخ محمد أنور شاه الكشميري المتوفى سنة ١٣٥٢هـ.

يظهر أن الذي يحكم عليه بالكفر من كان الكفر صريح قوله، وكذا من كان لازم قوله وعرض عليه فالتزمه[1]، أما من لم يلتزمه وناضل عنه فإنه لا يكون كافرا ولو كان اللازم كفرا، وينبغي حمله على غير القطعي ليوافق كلامه الأول، وسبقه ابن دقيق العيد فقال: الذي تقرر عندنا أن لا نعتبر المذاهب في الرواية إذ لا نكفر أحدا من أهل القبلة إلا بإنكار قطعي من الشريعة»[2] اهـ.ومثله في التقرير والتحرير لابن أمير الحاج في بحث مطول[3].

وكل هذا إنما هو من حيث بيان القواعد والأصول قبل الدخول بصلب وفحوى وخصوص ما جعلت له هذه الرسالة، وعلى ما تقدم ينكشف أن مذهب أهل السنة والجماعة جلي بحمد الله ليس فيه تسرع ولا تعميم، وأن التوسط والإنصاف في بيان المكفرات والتكفير للأفراد بضوابطه هو منهجهم المعروف.

## بيان أن الإجماع قائم على تكفير المجسم والجهوي

وقد نقل جمهرة من الأعلام الإجماع على تكفير المجسم والجهوي، وهذا التكفير لمثبت الجهة لله تعالى واضح، لأن معتقد الجهة لا يمكنه إلا أن يعتقد التحيز والجسمية، وإن قال غير ذلك فهو قول متناقض، وممن نقل ذلك:

الشيخ ابن حجر الهيتمي فإنه قال: «واعلم أن القرافي وغيره حكوا عن الشافعي ومالك وأحمد وأبي حنيفة رضي الله عنهم القول بكفر القائلين بالجهة والتجسيم، وهم حقيقون بذلك»[4] أي جديرون بالحكم عليهم بالكفر.

قال الشيخ ابن حجر الهيتمي: عقيدة إمام السنة أحمد بن حنبل رضي الله

---

(١) أي عرض عليه اللازم فقبله، بأن قيل له: هذا يلزم منه كذا تقبل ذلك، فقال: أقبل، وكان ذلك اللازم كفرا.

(٢) فتح المغيث شرح ألفية الحديث (١/ ٣٣٤)، للشيخ محمد بن عبد الرحمٰن السخاوي.

(٣) التقرير والتحبير (٣/ ٤٠٤)، لابن أمير الحاج.

(٤) المنهاج القويم (ص/ ٢٢٤) للشيخ ابن حجر الهيتمي، وشرح الفقه الأكبر (ص/ ٢١٥) لملا علي القاري.

عنه وأرضاه وجعل جنان المعارف متقلَّبه ومأواه وأفاض علينا وعليه من سوابغ امتنانه وبوأه الفردوس الأعلى من جنانه، موافقة لعقيدة أهل السنة والجماعة من المبالغة التامة في تنزيه الله تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوًا كبيرًا من الجهة والجسمية وغيرهما من سائر سمات النقص، بل وعن كل وصْف ليس فيه كمال مطلق، وما اشتهر بين جهلة المنسوبين إلى هذا الإمام الأعظم المجتهد من أنه قائل بشيء من الجهة أو نحوها فكذب وبُهتان وافتراء عليه، فلعن الله من نسب ذلك إليه، أو رماه بشيء من هذه المثالب التي برَّأه الله منها، وقد بين الحافظ الحجة القدوة الإمام أبو الفرج بن الجوزي من أئمة مذهبه المبرِّئين من هذه الوصمة القبيحة الشنيعة، أنَّ كل ما نسب إليه من ذلك كذب عليه وافتراء وبهتان وأن نصوصه صريحة في بطلان ذلك وتنزيه الله تعالى عنه فاعلم ذلك فإنه مهم.

وإياك أنْ تصغي إلى ما في كتب ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية وغيرهما ممن اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله، وكيف تجاوز هؤلاء الملحدون الحدود وتعدوا الرسوم وخرقوا سياج الشريعة والحقيقة، فظنوا بذلك أنهم على هدى من ربهم وليسوا كذلك، بل هم على أسوأ الضلال وأقبح الخصال وأبلغ المقت والخسران وأنهى الكذب والبهتان فخذل الله متَّبِعهم وطهر الأرض من أمثالهم.

وإياك أن تغتر أيضًا بما وقع في الغُنْية لإمام العارفين وقطب الإسلام والمسلمين الأستاذ عبد القادر الجيلاني، فإنه دسَّه عليه فيها مَنْ سينتقم الله منه وإلا فهو بريء من ذلك وكيف تروج عليه هذه المسألة الواهية مع تضَلُّعه من الكتاب والسنة وفقه الشافعية والحنابلة حتى كان يفتي على المذهبين، هذا مع ما انضَّم لذلك من أن الله منّ عليه من المعارف والخوارق الظاهرة والباطنة وما أنبأ عنه ما ظهر عليه وتواتر من أحواله، ومنه ما حكاه اليافعي رحمه الله وقال: مما علمناه بالسند الصحيح المتصل أن الشيخ عبد القادر الجيلاني أكل دجاجة ثم لما لم يبق غير العظم توجه إلى الله في إحيائها فأحياها الله إليه وقامت تجري

بين يديه كما كانت قبل ذبحها وطبخها، فمن امتَّن الله عليه بمثل هذه الكرامات الباهرة يتصور أو يتوهم أنه قائل بتلك القبائح التي لا يصدر مثلها إلا عن اليهود وأمثالهم ممن استحكم فيه الجهل بالله وصفاته وما يجب له وما يجوز وما يستحيل: ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾(١). ومما يقطع به كل عاقل أن الشيخ عبد القادر لم يكن غافلًا عما في (رسالة القشيري) وإذا لم يجهل ذلك فكيف يتوَّهم فيه هذه القبيحة الشنيعة، وفيها عن بعض رجالها أئمة القوم السالمين عن كل محذور ولوم أنه قال: كان في نفسي شيء من حديث الجهة فلما زال ذلك عني كتبتُ إلى أصحابنا إني قد أسلمت الآن، فتأمل ذلك واعتن به لعلك توفق للحق إن شاء الله تعالى وتجري على سنن الاستقامة»(٢) اهـ.

ونقل السيوطي هذا المعنى فقال: «**قاعدة**: قال الشافعي: لا يكفر أحد من أهل القبلة، واستثنى من ذلك المجسم، ومنكر علم الجزئيات، وقال بعضهم: المبتدعة أقسام:

الأول: ما نكفره قطعا، كقاذف عائشة رضي الله عنها، ومنكر علم الجزئيات، وحشر الأجساد، والمجسمة، والقائل بقدم العالم.

الثاني: ما لا نكفره قطعا، كالقائل بتفضيل الملائكة على الأنبياء، وعلي على أبي بكر.

الثالث والرابع: ما فيه خلاف، والأصح التكفير أو عدمه، كالقائل بخلق القرءان صحح البلقيني التكفير والأكثرون عدمه، وساب الشيخين صحح المحاملي التكفير والأكثرون عدمه»(٣)اهـ.

انظر إلى قوله: «ما نكفره قطعا» ثم عد المجسمة فيهم.

ثم ها هو الأصولي أبو جعفر الطحاوي المولود سنة ٢٢٧هـ في عقيدته

---

(١) سورة النور/ ءاية ١٦.

(٢) الفتاوى الحديثية (ص/ ١٤٤ - ١٤٥)، الشيخ ابن حجر الهيثمي، دار الفكر/ لبنان-بيروت.

(٣) الأشباه والنظائر (١/ ٤٨٨).

المشهورة والتي ارتضاها المسلمون ودرسوها في معاهدهم وجامعاتهم، والتي ذكر أنها عقيدة أهل السنة والجماعة حيث قال فيها: «تعالى (الله) عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، ولا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات»[1] اهـ.

ثم أوضح أن المتحيز في الجهة مشبه لسائر المبتدعات أي المخلوقات، وفي نفس المتن يقول: «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر»[2] اهـ.

وبالنظر إلى أنه قال في أول هذه الرسالة: إنها عقيدة أهل السنة والجماعة، ثم بين تكفير من وصف الله بصفة من صفات الخلق يتبين أنه ينقل إجماع أهل السنة على تكفير القائل بالجسمية والجهة في حق الله.

قال الحافظ البيهقي في شعب الإيمان ناقلا عن الحليمي: «وأما البراءة من التشبيه بإثبات أنه ليس بجوهر ولا عرض، فلأن قوما زاغوا عن الحق فوصفوا البارئ جل وعز ببعض صفات المحدثين، فمنهم من قال: إنه جوهر. ومنهم من قال: إنه جسم. ومنهم من أجاز أن يكون على العرش قاعدا كما يكون الملك على سريره، وكل ذلك في وجوب اسم الكفر لقائله كالتعطيل والتشريك، فإذا أثبت المثبت أنه ليس كمثله شيء. وجماع ذلك أنه ليس بجوهر ولا عرض فقد انتفى التشبيه، لأنه لو كان جوهرا أو عرضا لجاز عليه ما يجوز على سائر الجواهر والأعراض، وإذا لم يكن جوهرا ولا عرضا لم يجز عليه ما يجوز على الجواهر من حيث إنها جواهر كالتأليف، والتجسيم وشغل الأمكنة والحركة والسكون، ولا ما يجوز على الأعراض من حيث إنها أعراض كالحدوث، وعدم البقاء»[3] اهـ.

قال القاضي أبو علي المحسن بن علي بن محمد التنوخي المتوفى سنة ٣٨٤ للهجرة، ما نصه: «حضرت مجلس أبي محمد المهلبي، وكانت العامة ببغداد قد

---

(١) العقيدة الطحاوية: ٢٦.

(٢) العقيدة الطحاوية: ٢٣.

(٣) شعب الإيمان (١/ ١٠٤)، الأول من شعب الإيمان وهو باب في الإيمان بالله عز وجل.

هاجت في أيام وزارته وعظمت الفتنة وقبض على جماعة من العيارين وحملة السكاكين وجعلهم في زوارق مطبقة وحملهم إلى بيروذ[1] وحبسهم هناك. فاستهانوا بالقصة وكثف أمرهم وكثر كلام القصاص في الجوامع ورؤساء الصوفية فخاف من تجديد الفتنة، فقبض على خلق منهم وحبسهم، وأحضر أبا السائب قاضي القضاة إذ ذاك، وجماعة من القضاة والشهود، والفقهاء وكنت فيهم لمناظرتهم، وأصحاب الشرط لنأمن مضرتهم إذا قامت الحجج عليهم.

فاتفق أن بدئ برجل من رؤساء الصوفية يعرف بابي إسحاق بن ثابت ينزل بباب الشام أحد الربانيين عند أصحابه، فقال له: بلغني أنك تقول في دعائك: «يا واحدي بالتحقيق يا جاري اللصيق» فمن لا يعلم بأن الله لا يجوز أن يوصف بأنه لصيق على الحقيقة فهو كافر لأن الملاصقة من صفات الأجسام، ومن جعل الله جسما كفر، فمن يكون محله في العلم هذا يتكلم على الناس»[2] اهـ.

وقال القاضي عبد الحق بن عطية الإشبيلي: «العلي يراد به علو القدر والمنزلة لا علو المكان لأن الله منزه عن التحيز، وحكى الطبري عن قوم أنهم قالوا هو العلي عن خلقه بارتفاع مكانه عن أماكن خلقه، وهذا قول جهلة مجسمين، وكان الوجه أن لا يحكى، وكذا «العظيم» هي صفة بمعنى عظم القدر والخطر لا على معنى عظم الأجرام»[3] اهـ.

ولا فرق بين الذي يقول: الله جسم، ويسكت وبين من يقول: الله جسم كالأجسام، أو الله جسم لا كالأجسام، أليس قال الله جسم؟ أليس الوصف بالجسم من صفات المخلوقات من بشر وجن وملائكة وحجر وجبل وهواء وروح وريح ونار ونور وغير ذلك؟

وقال الفخر الرازي: «بل الأقرب أن المجسمة كفار لأنهم اعتقدوا أن كل

---

(١) بيروذ: وهي من نواحي أهواز، يراجع الأنساب (ص/ ٤٢٩).

(٢) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة (٢/ ١٥٣-١٥٤)، دار الكتب العلمية.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٣٣٦).

ما لا يكون متحيزا ولا في جهة فليس بموجود، ونحن نعتقد أن كل متحيز فهو محدث وخالقه موجود ليس بمتحيز ولا في جهة، فالمجسمة نفوا ذات الشيء الذي هو الإلـٰه فيلزمهم الكفر»[1] اهـ.

وقال القاضي أبو محمد عبد الوهاب البغدادي المالكي: «واعلم أن الوصف له تعالى بالاستواء إتباع للنص، وتسليم للشرع، وتصديق لما وصف نفسه تعالى به، ولا يجوز أن يثبت له كيفية، لأن الشرع لم يرد بذلك، ولا أخبر النبي عليه السلام فيه بشيء، ولا سألته الصحابة عنه، ولأن ذلك يرجع إلى التنقل والتحول وإشغال الحيز والافتقار إلى الأماكن، وذلك يؤول إلى التجسم، وإلى قدم الأجسام، وهذا كفر عند كافة أهل الإسلام، وقد أجمل مالك رحمه الله الجواب عن سؤال من سأله: الرحمـٰن على العرش استوى، كيف استوى؟ فقال: الاستواء منه غير مجهول، والكيف منه غير معقول، والسؤال عن هذا بدعة، ثم أمر بإخراج السائل»[2] اهـ.

وقال ابن الملقن في شرح الجامع الصحيح: «ما ذكره في تفسير: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾[3] هو قول قتادة، وهو معروف في اللغة يقال: صنعت الفرس وصنعته إذا أحسنت القيام عليه، واستدلاله من هذه الآية والحديث على أن الله تعالى (صفة) سماها (عينا) ليست هو ولا غيره، وليست كالجوارح المعقولة بيننا، لقيام الدليل على استحالة وصفه بأنه ذو جوارح وأعضاء تعالى عن ذلك، خلافا لما تقوله المجسمة من أنه تعالى جسم لا كالأجسام، واستدلوا على ذلك بهذه، كما استدلوا بالآيات المتضمنة لمعنى الوجه، واليدين. ووصفه لنفسه بالإتيان والمجيء والهرولة في حديث الرسول، وذلك كله باطل وكفر من متأوله، لقيام الدليل على تساوي الأجسام في دلائل الحدث القائم بها واستحالة كونه من جنس

---

(١) معالم أصول الدين (ص/ ١٣٨).

(٢) شرح عقيدة الإمام مالك الصغير (ص/ ٢٨)، لأبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني للقاضي أبي محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي المالكي.

(٣) سورة طه/ ءاية ٣٩.

المحدثات، إذ المحدث إنما كان محدثا من حيث متعلق هو متعلق بمحدث أحدثه، وجعله بالوجود أولى منه بالعدم»[1] اهـ.

وقد قال ملا علي القاري في أثناء كلامه على مذهب العلماء في المتشابهات ما نصه: «بكلامه -أي النووي- وبكلام الشيخ الرباني أبي إسحاق الشيرازي وإمام الحرمين والغزالي وغيرهم من أئمتنا وغيرهم يعلم أن المذهبين متفقان على صرف تلك الظواهر، كالمجيء والصورة والشخص والرجل والقدم واليد والوجه والغضب والرحمة والاستواء على العرش والكون في السماء وغير ذلك مما يفهمه ظاهرها، لما يلزم عليه من محالات قطعية البطلان تستلزم أشياء يحكم بكفرها بالإجماع، فاضطر ذلك جميع الخلف والسلف إلى صرف اللفظ عن ظاهره»[2] اهـ.

وضبط هذه المسئلة الشيخ محمد بن أحمد ميارة المالكي، فقال: «وأما القسم الثاني وهو الاعتقاد، فينقسم قسمين:

مطابق في نفس الأمر: ويسمى الاعتقاد الصحيح، كاعتقاد عامة المؤمنين المقلدين.

وغير مطابق: ويسمى الاعتقاد الفاسد، والجهل المركب كاعتقاد الكافرين، فالفاسد أجمعوا على كفر صاحبه، وأنه آثم غير معذور.

يلخص هذا كله ما قاله الشيخ تقي الدين الحصني رحمه الله، ونصه: «الكيف من صفات الحدث، وكل ما كان من صفات الحدث فالله عز وجل منزه عنه، فإثباته له سبحانه كفر محقق عند جميع أهل السنة والجماعة»[3] اهـ.

وقال محمد مرتضى الزبيدي: «وقال السبكي في شرح عقيدة ابن الحاجب: اعلم أن حكم الجواهر والأعراض كلها الحدوث، فإذًا العالم كله حادث. وعلى

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (المجلد٣٣/ ٢٥٥-٢٥٦):كتاب التوحيد والرد على الجهمية، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية إدارة الشؤون الإسلامية دولة قطر.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢/ ١٣٦).

(٣) دفع شبه من شبه وتمرد (ص/ ١٨).

هذا إجماع المسلمين بل كل الملل، ومن خالف في ذلك فهو كافر لمخالفته الإجماع القطعي وهذا المطلب مما يكفي السمع لعدم توقفه عليه لحصول العلم بوجود الصانع بإمكان العالم وإمكانه ضروري، ثم أقام البرهان على حدوث الجوهر وأن الجوهر لا يخلو عن عرض والعرض حادث، فالجوهر لا يخلو عن الحادث وما لا يخلو عن الحادث لا يسبقه إذ لو سبقه لخلا عنه وما لا يسبق الحادث حادث، فالجوهر حادث. قال: وهو أشهر حجج أهل النظر العقلي. قال: وقد يقال على وجه أخص وأتم وهو أن كل ما سوى الواجب ممكن وكل ممكن حادث، فالعالم حادث. أما المقدمة الأولى فظاهرة، وأما الثانية فلأن الممكن يحتاج في وجوده إلى موجد، والموجد لا يمكن أن يوجد حال وجوده، وإلا لكان إيجادا للموجد وهو محال. فيلزم أن يوجده حال لا وجوده فيكون وجوده مسبوقا بعدمه وذلك حدوثه وهو المطلوب»[١] اهـ.

وقال النسفي في تفسيره المشهور عند تفسير ءاية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٢] ومن الإلحاد تسمية الله بالجسم والجوهر والعقل والعلة»[٣] اهـ.

قال الشيخ محمد بن أحمد الفاسي المالكي الشهير بميارة والمتوفى سنة ١٠٧٢هـ «وخرج بوصفه بالمطابق الجزمُ غيرُ المطابق ويسمى الاعتقاد الفاسد والجهل المركب كاعتقاد الكافرين التجسيم أو التثليث أو نحو ذلك والإجماع على كفر صاحبه أيضًا، وأنه ءاثمٌ غيرُ معذور مخلدٌ في النار اجتهد أو قلّد. قال في شرح الكبرى: ولا يُعتدُّ بخلاف من خالف في ذلك من المبتدعة»[٤] اهـ.

---

(١) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين (٢/ ١٥٣)، كتاب قواعد العقائد، دار الكتب العلمية.

(٢) سورة الأعراف/ ءاية ١٨٠.

(٣) تفسير النسفي (٢/ ٨٧).

(٤) مختصر الدر الثمين والمورد المعين (ص/ ١٩-٢٠)، شركة دار المشاريع/ بيروت - لبنان ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

وهذه نقول عن العلماء في بيان كفر من يعتقد أن الله يسكن السماء أو يتحيَّز فوق العرش أو في غير ذلك من الأماكن، لتأكيد ما نبهنا عليه من أمر الإجماع على هذه المسألة، وإنما خصصناها بمزيد من العناية والنقول لأن بعض الناس يتهاون فيها ما لا يتهاون في تكفير المجسم.

١ - قال الإمام المجتهد أبو حنيفة رضي الله عنه في كتابه الفقه الأبسط ما نصه: «من قال لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض فقد كفر، وكذا من قال إنه على العرش، ولا أدري العرش أفي السماء أو في الأرض»[(١)] اهـ.

٢ - ووافقه على ذلك الشيخ العزّ بن عبد السلام في كتابه حلّ الرموز فقال ما نصه: «لأن هذا القول يوهم أن للحق مكانًا، ومن توهم أن للحق مكانًا فهو مُشَبِّهٌ» اهـ.

٣ - وارتضاه الشيخ ملا علي القاري الحنفي وقال ما نصه: «ولا شك أن ابن عبد السلام من أجلّ العلماء وأوثقهم، فيجب الاعتماد على نقله»[(٢)] اهـ.

٤ - وحكى القاضي حسين عن نص الشافعي أنه قال: «وهذا منتظم من كفره مجمع عليه، ومن كفرناه من أهل القبلة، كالقائلين بخلق القرءان، وبأنه لا يعلم المعدومات قبل وجودها، ومن لا يؤمن بالقدر، وكذا من يعتقد أن الله جالس على العرش»[(٣)] اهـ.

٥ - وقال أبو القاسم القشيري في رسالته القشيرية ما نصه: «سمعتُ الإمام أبا بكر بن فورك رحمه الله تعالى يقول: سمعتُ أبا عثمان المغربي يقول: كنتُ أعتقدُ

---

(١) الفقه الأبسط، ضمن مجموعة رسائل أبي حنيفة بتحقيق الكوثري (ص/ ١٢)، وشرح الفقه الأكبر لملا علي القاري (ص/ ١٧١)، والبرهان المؤيد للإمام أحمد الرفاعي (ص/ ١٨)، ودفع شبه من شبه وتمرد لتقي الدين الحصني (ص/ ١٨).

(٢) نقله ملّا علي القاري في شرح الفقه الأكبر بعد أن انتهى من شرح رسالة الفقه الأكبر (ص/ ١٩٨).

(٣) نجم المهتدي لابن المعلم القرشي (ص/ ٥٥١) مخطوط، وهو في كفاية النبيه شرح التنبيه في فقه الإمام الشافعي لابن الرفعة المتوفى سنة ٧١٠هـ (٤/ ٢٤).

شيئًا من حديث الجهة، فلما قدِمتُ بغداد زال ذلك عن قلبي، فكتبتُ إلى أصحابنا بمكة: إني أسلمتُ الآن إسلامًا جديدًا»[1] اهـ.

٦ - وقال أبو منصور البغدادي: «إن أصحابنا أكفروا أهل البدع في صفات البارئ عز وجل بإجماع الأمة على إكفار من أنكر النبوات أو شك في عقائد الأنبياء، فما كان شكه في صفة من صفات بعض الناس يورثه الكفر فشكه في صفة لازمة لله تعالى أو جهله بها أولى بأن يوجب تكفيره»[2] اهـ.

٧ - وقال رحمه الله تعالى: «وأما مجسمية خراسان من الكرامية فتكفيرهم واجب لقولهم إن الله تعالى له حد ونهاية من جهة السفل ومنها يماس عرشه»[3] اهـ.

٨ - أبو حامد الغزالي يقول: «فعلى العامي أن يتحقق قطعا ويقينا أن الرسول ﷺ لم يرد بذلك جسما هو عضو مركب من لحم ودم وعظم، وأن ذلك في حق الله تعالى محال وهو عنه مقدس، فإن خطر بباله أن الله جسم مركب من أعضاء فهو عابد صنم، فإن كل جسم فهو مخلوق، وعبادة المخلوق كفر، وعبادة الصنم كانت كفرا لأنه مخلوق، وكان مخلوقا لأنه جسم، فمن عبد جسما فهو كافر بإجماع الأمة السلف منهم والخلف»[4] اهـ.

٩ - وقال الأسفراييني أبو المظفر: «وأما الهشامية فإنهم أفصحوا عن التشبيه بما هو كفر محض باتفاق جميع المسلمين، وهم الأصل في التشبيه، وإنما أخذوا تشبيههم من اليهود حين نسبوا إليه الولد، وقالوا: عزير ابن الله، وأثبتوا له المكان والحد والنهاية والمجيء والذهاب، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا»[5] اهـ.

١٠ - وقال لسان المتكلمين أبو المعين ميمون بن محمد النسفي الحنفي ما

---

(١) الرسالة القشيرية (ص/ ٥).

(٢) تفسير الأسماء والصفات (ق/ ١٨٧).

(٣) أصول الدين المسألة الحادية عشرة من هذا الفصل في حكم المجسمة والمشبهة (ص/ ).

(٤) إلجام العوام عن علم الكلام (ص/ ٦٢ - ٦٣)، من مجموعة رسائل الغزالي.

(٥) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية (ص/ ٤١).

نصه: «والله تعالى نفى المماثلة بين ذاته وبين غيره من الأشياء، فيكون القول بإثبات المكان له ردًّا لهذا النص المحكم -أي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾- الذي لا احتمال فيه لوَجْهٍ ما سوى ظاهره، ورادُّ النص كافر، عصمنا الله عن ذلك»[1] اهـ.

١١ - وقال الشيخ زين الدين الشهير بابن نُجَيْم الحنفي ما نصه: «ويكفر بإثبات المكان لله تعالى، فإن قال: الله في السماء، فإن قصد حكاية ما جاء في ظاهر الأخبار لا يكفر، وإن أراد المكان كفر»[2] اهـ.

١٢ - وقال الشيخ ملا علي القاري الحنفي ما نصه: «فمن أظلم ممن كذب على الله، أو ادعى ادعاءً معينًا مشتملًا على إثبات المكان والهيئة والجهة من مقابلة وثبوت مسافة وأمثال تلك الحالة، فيصير كافرًا لا محالة»[3] اهـ.

١٣ - وقال: «من اعتقد أن الله لا يعلم الأشياء قبل وقوعها فهو كافر، وإن عُدّ قائله من أهل البدعة، وكذا من قال: بأنه سبحانه جسم وله مكان ويمرّ عليه زمان ونحو ذلك كافر، حيث لم تثبت له حقيقة الإيمان»[4] اهـ.

١٤ - وقال أيضًا ما نصه: «بل قال جمع منهم -أي من السلف- ومن الخلف إن معتقد الجهة كافر كما صرح به العراقي، وقال: إنه قول لأبي حنيفة ومالك والشافعي والأشعري والباقلاني»[5] اهـ.

١٥ - وقال الشيخ العلامة كمال الدين البَياضي الحنفي في شرح كلام الإمام أبي حنيفة ما نصه: «فقال -أي أبو حنيفة- (فمن قال: لا أعرف ربي أفي السماء أم في الأرض فهو كافر) لكونه قائلا باختصاص البارئ بجهة وحيّز وكل ما هو

(١) تبصرة الأدلة (١/ ١٦٩).
(٢) البحر الرائق (٥/ ١٢٩)، باب أحكام المرتدين.
(٣) شرح الفقه الأكبر (ص/ ٢١٥)، بعد أن انتهى من شرح الرسالة.
(٤) المصدر السابق (ص/ ٢٧١ ـ ٢٧٢).
(٥) مرقاة المفاتيح (٣/ ٣٠٠).

مختص بالجهة والحيز فإنه محتاج محدَث بالضرورة، فهو قول بالنقص الصريح في حقه تعالى (كذا من قال إنه على العرش ولا أدري العرش أفي السماء أم في الأرض) لاستلزامه القول باختصاصه تعالى بالجهة والحيز والنقص الصريح في شأنه سيما في القول بالكون في الأرض ونفي العلوّ عنه تعالى بل نفي ذات الإلـٰه المنزه عن التحيز ومشابهة الأشياء. وفيه إشارات:

الأولى: أن القائل بالجسمية والجهة مُنكِر وجود موجود سوى الأشياء التي يمكن الإشارة إليها حسًّا، فمنهم منكرون لذات الإلـٰه المنزه عن ذلك، فلزمهم الكفر لا محالة. وإليه أشار بالحكم بالكفر.

الثانية: إكفار من أطلق التشبيه والتحيز، وإليه أشار بالحكم المذكور لمن أطلقه، واختاره الإمام الأشعري فقال في النوادر: من اعتقد أن الله جسم فهو غير عارف بربه وإنه كافر به، كما في شرح الإرشاد لأبي قاسم الأنصاري»[1] اهـ.

١٦ - قال الشيخ عبد الغني النابلسي الحنفي ما نصه: «وأما أقسام الكفر فهي بحسب الشرع ثلاثة أقسام ترجع جميع أنواع الكفر إليها، وهي: التشبيه، والتعطيل، والتكذيب... وأما التشبيه: فهو الاعتقاد بأن الله تعالى يشبه شيئًا من خلقه، كالذين يعتقدون أن الله تعالى جسمٌ فوق العرش، أو يعتقدون أن له يدَين بمعنى الجارحتين، وأن له الصورة الفلانية أو على الكيفية الفلانية، أو أنه نور يتصوره العقل، أو أنه في السماء، أو في جهة من الجهات الست، أو أنه في مكان من الأماكن، أو في جميع الأماكن، أو أنه ملأ السموات والأرض، أو أنَّ له الحلول في شيء من الأشياء، أو في جميع الأشياء، أو أنه متحد بشيء من الأشياء، أو في جميع الأشياء، أو أن الأشياء منحلّةٌ منه، أو شيئًا منها. وجميع ذلك كفر صريح والعياذ بالله تعالى، وسببه الجهل بمعرفة الأمر على ما هو عليه»[2] اهـ.

١٧ - وقال الشيخ محمد بن أحمد عليش المالكي عند ذِكر ما يوقع في الكفر

(١) إشارات المرام (ص/ ٢٠٠).
(٢) الفتح الرباني والفيض الرحماني (ص/ ١٢٤).

والعياذ بالله ما نصه: «وكاعتقاد جسمية الله وتحيّزه، فإنه يستلزم حدوثه واحتياجه لمحدِث»(١) اهـ.

١٨ - وذكر هذا الحكم أيضًا الشيخ العلامة المحدث الفقيه أبو المحاسن محمد القاوقجي الطرابلسي الحنفي في كتابه الاعتماد في الاعتقاد فقد قال: «ومن قال لا أعرِفُ الله في السماء هو أم في الأرض كفَر -لأنه جعل أحدَهما له مكانًا»(٢) اهـ.

١٩ - وفي كتاب الفتاوى الهندية لجماعة من علماء الهند ما نصه: «يكفر بإثبات المكان لله تعالى. ولو قال: الله تعالى في السماء، فإن قصد به حكاية ما جاء فيه ظاهر الأخبار لا يكفر، وإن أراد به المكان يكفر»(٣) اهـ.

٢٠ - وقال تقي الدين الحصني: «إلا أن النووي جزم في صفة الصلاة من شرح المهذب بتكفير المجسمة(٤)، قلت (تقي الدين الحصني): وهو الصواب الذي لا محيد عنه، إذ فيه مخالفة صريح القرءان، قاتل الله المجسمة والمعطلة، ما أجرأهم على مخالفة من ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(٥)، وفي هذه الآية رد على الفرقتين» اهـ.

٢١ - وقال الشيخ محمود بن محمد بن أحمد خطاب السبكي المصري ما نصه: «سألني بعض الراغبين في معرفة عقائد الدين والوقوف على مذهب السلف والخلف في المتشابه من الآيات والأحاديث بما نصه: ما قول السادة العلماء حفظهم الله تعالى فيمن يعتقد أن الله عز وجل له جهة، وأنه جالس على العرش في مكان مخصوص، ويقول: ذلك هو عقيدة السلف، ويحمل الناس على أن يعتقدوا هذا الاعتقاد، ويقول لهم: من لم يعتقد ذلك يكون كافرًا مستدلا بقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ

---

(١) منح الجليل شرح مختصر خليل (٩/ ٢٠٦).
(٢) الاعتماد في الاعتقاد (ص/ ٥).
(٣) الفتاوى العالمكيرية وهي الفتاوى الهندية (٢/ ٢٥٩).
(٤) المجموع شرح المهذب (٤/ ٢٥٣)، ونصه: «فممن يكفر من يجسم تجسيما صريحا» اهـ.
(٥) سورة الشورى/ ءاية ١١.

عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾[1]، وقوله عز وجل: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ ﴾[2]، أهذا الاعتقاد صحيح أم باطل؟ وعلى كونه باطلا أيكفر ذلك القائل باعتقاده المذكور ويبطل كل عمله من صلاة وصيام وغير ذلك من الأعمال الدينية وتبين منه زوجه، وإن مات على هذه الحالة قبل أن يتوب لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، وهل من صدّقه في ذلك الاعتقاد يكون كافرًا مثله؟ فأجبت بعون الله تعالى، فقلت: بسم الله الرحمـٰن الرحيم الحمد لله الهادي إلى الصواب، والصلاة والسلام على من أوتي الحكمة وفصل الخطاب، وعلى ءاله وأصحابه الذين هداهم الله ورزقهم التوفيق والسداد. أما بعد: فالحكم أن هذا الاعتقاد باطل ومعتقده كافر بإجماع من يعتد به من علماء المسلمين، والدليل العقلي على ذلك قِدَم الله تعالى ومخالفته للحوادث، والنقلي قوله تعالى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾، فكل من اعتقد أنه تعالى حلّ في مكان أو اتصل به أو بشىء من الحوادث كالعرش أو الكرسي أو السماء أو الأرض أو غير ذلك فهو كافر قطعًا، ويبطل جميع عمله من صلاة وصيام وحج وغير ذلك، وتبين منه زوجه، ووجب عليه أن يتوب فورًا، وإذا مات على هذا الاعتقاد والعياذ بالله تعالى لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، ومثله في ذلك كله من صدَّقه في اعتقاده أعاذنا الله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. وأما حمله الناس على أن يعتقدوا هذا الاعتقاد المكفر، وقوله لهم: من لم يعتقد ذلك يكون كافرًا، فهو كفر وبهتان عظيم»[3] اهـ.

ثم قال الشيخ محمود محمد خطاب السبكي عقب هذه الفتوى: «هذا وقد عرضت هذه الإجابة على جمع من أفاضل علماء الأزهر فأقروها، وكتبوا عليها أسمائهم، وهم أصحاب الفضيلة:

---

(١) سورة طه/ ءاية ٥.

(٢) سورة الملك/ ءاية ١٦.

(٣) إتحاف الكائنات ببيان مذهب السلف والخلف في المتشابهات (ص/ ٣-٤) الطبعة الأولى، مطبعة الاستقامة.

الشيخ محمد النجدي شيخ السادة الشافعية.

والشيخ محمد سبيع الذهبي شيخ السادة الحنابلة.

والشيخ محمد العربي رزق المدرس بالقسم العالي.

والشيخ عبد الحميد عمار المدرس بالقسم العالي.

والشيخ علي النحراوي المدرس بالقسم العالي.

والشيخ دسوقي عبد الله العربي من هيئة كبار العلماء.

والشيخ علي محفوظ المدرس بقسم التخصص بالأزهر.

والشيخ إبراهيم عيارة الدلجموني المدرس بقسم التخصص بالأزهر.

والشيخ محمد عليان من كبار علماء الأزهر.

والشيخ أحمد مكي المدرس بقسم التخصص بالأزهر.

والشيخ محمد حسين حمدان»[1] اهـ.

٢٢ - وقال أيضًا: «إن من اعتقد وصفه تعالى بشيء من الجسمية أو الاستقرار على العرش أو الجهة... فهو كافر بإجماع السلف والخلف»[2] اهـ.

٢٣ - وقال الشيخ محمد زاهد الكوثري وكيل المشيخة الإسلامية في دار الخلافة العثمانية ما نصه: «إن القول بإثبات الجهة له تعالى كفر عند الأئمة الأربعة هداة الأمة كما نَقل عنهم العراقي على ما في شرح المشكاة لعلي القاري»[3] اهـ.

٢٤ - وقال العلامة الشيخ المحدث الفقيه عبد الله الهرري المعروف بالحبشي حفظه الله ما نصه: «وحكم من يقول: (إنّ الله تعالى في كل مكانٍ أو في جميع الأماكن) التكفير إذا كان يفهم من هذه العبارة أنَّ الله بذاته منبثٌّ أو حالٌّ في

---

(١) إتحاف الكائنات ببيان مذهب السلف والخلف في المتشابهات (ص/ ٨) الطبعة الأولى، مطبعة الاستقامة.

(٢) الدين الخالص (ص/ ٢٤)، للشيخ محمود السبكي.

(٣) مقالات الكوثري (ص/ ٢٢٢).

الأماكن، أما إذا كان يفهم من هذه العبارة أنه تعالى مسيطر على كل شيءٍ وعالمٌ بكل شيء فلا يكفر. وهذا قصدُ كثير ممن يلهج بهاتين الكلمتين، ويجب النهي عنهما في كل حال»[1] اهـ.

٢٥ - وقال أيضًا: «ويكفر من يعتقد التحيُّز لله تعالى، أو يعتقد أن الله شيءٌ كالهواء أو كالنور يملأ مكانًا أو غرفة أو مسجدًا، ونسمّي المساجد بيوت الله لا لأن الله يسكنها بل لأنها أماكن يُعْبَدُ الله فيها.

وكذلك يكفر من يقول: (الله يسكن قلوب أوليائه) إن كان يفهم الحلولَ.

وليس المقصود بالمعراج وصول الرسول إلى مكان ينتهي وجود الله تعالى إليه ويكفر من اعتقد ذلك، إنما القصدُ من المعراج هو تشريف الرسول ﷺ باطلاعه على عجائب في العالم العلويّ، وتعظيمُ مكانته ورؤيتُه للذات المقدس بفؤاده من غير أن يكون الذات في مكانٍ»[2] اهـ.

قال الشيخ تقي الدين الحصني: «فإن الفوقية بإعتبار المكان لا تكون بالضرورة إلا في الأجرام والأجسام مركبة كانت أو بسيطة، والرب سبحانه وتعالى منزه عن ذلك إذ هو (أي الجرم) من صفات الحدث»[3] اهـ.

وكان قال قبل ذلك: «والعجب من قول هذا ما نحن مجسمة، وهو تشبيه محض، تعالى الله عز وجل عن المحل والحيز لاستغنائه عنهما، ولأن ذلك مستحيل في حقه عز وجل، ولأن المحل والحيز من لوازم الأجرام، ولا نزاع في ذلك، وهو سبحانه وتعالى منزه عن ذلك لأن الأجرام من صفات الحدث وهو عز وجل منزه عن ذلك شرعا وعقلا، بل هو أزلي لم يسبق بعدم بخلاف الحادث، ومن المعلوم أن الإستواء إذا كان بمعنى الإستقرار والقعود لا بد فيه من المماسة، والمماسة إنما تقع بين جسمين أو جرمين، والقائل بهذا شبه وجسم وما أبقى في

---

(١) الصراط المستقيم (ص/ ٦٢).
(٢) الصراط المستقيم (ص/ ٦٢).
(٣) دفع شبه من شبه وتمرد (ص/ ١٤).

التجسيم والتشبيه بقية كما أبطل دلالة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾، ومن المعلوم في قوله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾، أنه الاستقرار على الأنعام والسفن وذلك من صفات الآدميين فمن جعل الإستواء على العرش بمعنى الإستقرار والتمكن فقد ساوى بينه عز وجل وبين خلقه، وذلك من الأمور الواضحة التي لا يقف في تصورها بليد، فضلا عمن هو حسن التصور جيد الفهم والذوق، وحينئذ فلا يقف في تكذيبه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾، وذلك كفر محقق»[1] اهـ.

فبان من هذه النصوص الواضحة عن جملة من علماء الأمة الإسلامية من السلف الصالح والخلف أن معتقد الجهة والمكان في حق الله تعالى مكذب للقرءان الكريم ولنبيه المصطفى ﷺ ومخالف لما اتفقت عليه كلمة هذه الأمة.

قال ابن منده: «ذكر الدليل على أن المجتهد المخطئ في معرفة الله عز وجل ووحدانيته كالمعاند، قال الله تعالى مخبرا عن ضلالتهم ومعاندتهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤﴾[2] وقال علي بن أبي طالب، رضي الله عنه لما سئل عن الأخسرين أعمالا فقال: «كفرة أهل الكتاب كان أوائلهم على حق، فأشركوا بربهم عز وجل وابتدعوا في دينهم، وأحدثوا على أنفسهم، فهم يجتمعون في الضلالة، ويحسبون أنهم على هدى، ويجتهدون في الباطل ويحسبون أنهم على حق، ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا». وقال علي رضي الله عنه: «منهم أهل حروراء»[3] اهـ.

فمن ادعى أن انحرافه في العقيدة من نحو اعتقاد الجسمية والجهة في حق الله اجتهاد منه فقد نادى على نفسه بالجهل والكفر والشذوذ عن إجماع الأمة.

وبعد ان نقلنا اجماع الأمة على كفر المجسمة والجهوية ننقل نصوص علماء

---

(١) دفع شبه من شبه وتمرد (ص/ ٩).
(٢) سورة الكهف/ ءاية ١٠٣.
(٣) التوحيد (ص/ ٨٠)، لابن منده.

الأمة الاسلامية من الصحابة والى يومنا هذا وإنك تجد بعض الاقوال مكررة في اكثر من موضع وهذا متعمد لماسة حاجة الناس اليها فليتنبه لذلك.

نصوص علماء السلف والخلف من الصحابة إلى يومنا هذا على تكفير من يقول الله جسم كالأجسام وعلى كفر من يقول الله جسم لا كالأجسام.

الإمام علي والامام جعفر الصادق وأبو حنيفة ومالك والشافعي، وأحمد ابن حنبل، والأوزاعي، والليث بن سعد، وإسحاق بن راهويه، والبيهقي،، وأبو الحسن الأشعري، وأبو الحسن الباهلي وأبو بكر بن فورك، وكل علماء الأمة الإسلامية كفّروا من يقول إنّ الله جسم ولو قال لا كالأجسام.

قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

- أقوال بعض الأئمة في تنزيه الله عن المكان والجسمية:

١ - قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «سيرجِع قومٌ من هذه الأمّة عند اقتراب الساعة كفّارًا يُنكرون خالقهم فيصفونه بالجسم والأعضاء»[١].

٢ - قال الإمام الشافعيُّ رضي الله عنه: «من قال أو اعتقد أنَّ الله جالسٌ على العرشِ فهو كافرٌ»[٢].

٣ - قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه في كتاب «الوصية»: «من قال بحدوثِ صفةٍ من صفات الله أو شكَّ أو توقفَّ كفر».

٤ - قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: «من قال الله جسمٌ لا كالأجسام كفر»[٣].

٥ - قال الإمام أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه: «من اعتقد أنَّ الله جسمٌ

(١) رواه ابن المعلم القرشي في كتابه «نجم المهتدي ورجم المعتدي» (ص/ ٥٨٨).
(٢) رواه ابن المعلم القرشيُّ في كتابه «نجم المهتدي ورجم المعتدي» (ص/ ٥٥١).
(٣) رواه الحافظ بدر الدين الزركشي في كتابه «تشنيف المسامع».

فهو غير عارفٍ بربه وإنه كافرٌ به»[1].

٦ – نقل الحافظ النَّوويُّ عن الإمام المتوليّ الشافعيّ وأقرّه[2]: «أنَّ من وصف الله بالاتصال والانفصال كان كافرًا».

٧ – قال شيخ الأزهر سليم البشري المالكي[3]: «من اعتقد أنَّ الله جسمٌ أو أنه مماسٌّ للسطح الأعلى من العرش وبه قالت الكرَّاميَّة، واليهودُ وهؤلاء لا نزاع في كفرهم».

٨ – قال الإمام الشافعي رضي الله عنه[4]: «المجسّم كافرٌ».

٩ – قال أبو حنيفة: «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر» وهذا إجماع كما بيّن ذلك الطحاوي في عقيدته التي ذكر أنها عقيدة أبي حنيفة وأصحابه وكل الأمة فهو إجماع.

١٠ – في المنهاج القويم على المقدمة الحضرمية في الفقه الشافعي لابن حجر الهيتمي: «واعلم أنّ القرافي وغيره حكوا عن الشافعي ومالك وأحمد وأبي حنيفة رضي الله عنهم، القول بكفر القائلين بالجهة والتجسيم وهم حقيقون بذلك».

١١ – ومثل ذلك نقل مُلاّ علي القاري في كتابه «المرقاة في شرح المشكاة»، فقال: «وتعالى عن صفات المخلوقين من الطلوع والنزول». ثم قال: «(كل ليلة إلى السماء الدنيا) قال ابن حجر أي ينزل أمره ورحمته أو ملائكته وهذا تأويل الإمام مالك وغيره». ثم قال بعد ذِكر مذهب السلف والمتكلمين: «يعلم أن المذهبين متفقان على صرف تلك الظواهر كالمجيء والصورة والشخص والرجل والقدم واليد والوجه والغضب والرحمة والاستواء على العرش والكون في السماء وغير ذلك مما يفهمه ظاهرها لما يلزم عليه من محالات قطعية البطلان تستلزم أشياء

---

(١) نقله عنه كمال الدين البياضي الحنفي في كتابه «إشارات المرام من عبارات الإمام» (ص/ ١٦٨).

(٢) روضة الطالبين (١٠/ ١٥).

(٣) نقله عنه الشيخ سلامة القضاعي في كتابه: «فرقان القرءان» (ص/ ١٠٠).

(٤) رواه الحافظ السيوطي في كتابه «الأشباه والنظائر» (ص/ ٤٨٨).

يُحكم بكفرها بالإجماع، فاضطر ذلك جميع الخلف والسلف إلى صرف اللفظ عن ظاهره». ثم قال: «وقد علمت أن مالكًا والأوزاعي وهما من كبار السلف أوّلا الحديث تأويلا تفصيليًا». ثم قال: «بل قال جمع معهم -مع السلف- ومن الخلف أن معتقد الجهة كافر كما صرح به العراقي وقال إنه قول لأبي حنيفة ومالك والشافعي والأشعري والباقلاني وقد اتفق سائر الفرق على تأويل نحو ثم استوى على العرش»[1] اهـ.

١٢ - قال ابن بلبان الدمشقي الحنبلي في كتابه «مختصر الإفادات»[2]: «ولا يشبه شيئًا ولا يُشبهه شيء، فمن شبَّهه بشيءٍ من خلقه فقد كفر كمن اعتقده جسمًا أو قال إنه جسم لا كالأجسام فلا تبلغه سبحانه الأوهام ولا تدركه الأفهام ولا تضرب له الأمثال».

١٣ - قال الحافظ السيوطي عبد الرحمـٰن جلال الدين بن أبي بكر: «المجسم كافرٌ قطعًا». يعني بلا خلاف ولا تردد ولا توقف جزمًا.

١٤ - قال أبو الحسن علي بن خلف بن بطال في شرحه على البخاري[3] «خلافًا لما تقوله المجسمة من أنه جسم لا كالأجسام واستدلوا على ذلك بهذه الآيات كما استدلوا بالآيات المتضمنة لمعنى الوجه واليدين ووصفه لنفسه بالإتيان والمجيء والهرولة في حديث الرسول وذلك كله باطل وكفر من متأوله» وفيه تكفير لمن يقول الله جسم لا كالأجسام.

١٥ - ومثل ذلك تمامًا قال سراج الدين ابن الملقن الشافعي المتوفى (من ٨٠٤هـ) في كتابه «التوضيح»[4]: «فإنه يكفر من يقول عن الله جسم لا كالأجسام».

١٦ - قال القاضي عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي المالكي المتوفى

---

(١) المرقاة في شرح المشكاة (٢/ ١٣٦-١٣٧)، دار إحياء التراث العربي.

(٢) مختصر الإفادات (ص/ ٤٩٠).

(٣) شرح البخاري (١٠/ ٤٣٢).

(٤) التوضيح (٣٣/ ٢٥٦).

سنة ٤٢٢ هجرية في شرحه على عقيدة مالك الصغير[١]: «ولا يجوز أن يثبت له كيفية لأن الشرع لم يرد بذلك، ولا أخبر النبي عليه السلام فيه بشيء ولا سألته الصحابة عنه ولأن ذلك يرجع إلى التنقل والتحول وإشغال الحيّز والافتقار إلى الأماكن وذلك يؤول إلى التجسيم وإلى قِدم الأجسام وهذا كفر عند كافة أهل الإسلام».

١٧ - ونقل عبد الرحمٰن الجزيري في كتابه «الفقه على المذاهب الأربعة»[٢] في تكفير المجسم، يعني أنّ المجسم كافر في المذاهب الأربعة يعني بالإجماع.

١٨ - قال عبد القاهر البغدادي في كتابه «أصول الدين»: «المشبهة مجسمة والمجسمة كفار» انتهى.

١٩ - وقال أبو منصور البغدادي في تفسير «الأسماء والصفات»[٣]: «وأما أصحابنا فإن شيخنا أبا الحسن الأشعري وأكثر الفقهاء والمتكلمين من أهل السنة والجماعة قالوا بتكفير كل مبتدع كانت بدعته كفرًا أو أدته إلى كفر كقول من يزعم أن معبوده صورة أو له حد أو نهاية، أو يجوز عليه الحركة والسكون أو أنه روح ينتقل في الأجساد، وأنه يجوز عليه الفناء أو على بعضه، أو قال إنه ذو أبعاض وأجزاء» اهـ.

٢٠ - قال النووي في «المجموع»[٤]: «قد ذكرنا أن من يكفر ببدعته لا تصح الصلاة وراءه ومن لا يكفر تصح فممن يكفر من يجسم» اهـ.وقد قال تقي الدين الحصني الشافعي في كتابه «كفاية الأخيار»[٥]: «إلا أن النووي جزم في صفة الصلاة من شرح المهذب بتكفير المجسمة، قلتُ وهو الصواب الذي لا محيد عنه،

(١) عقيدة مالك الصغير (ص/ ٢٨).
(٢) الفقه على المذاهب الأربعة (٥/ ٣٩٦).
(٣) الأسماء والصفات (ص/ ١٨٨).
(٤) المجموع (٤/ ٢٥٣).
(٥) كفاية الأخيار (٢/ ٣٨٢).

إذ فيه مخالفة صريح القرءان، قاتل الله المجسمة والمعطلة ما أجرأهم على مخالفة مَن ليس كمثله شيء» اهـ.

٢١ - وقال الشيخ أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي الشافعي (٤٠٣هـ) وذلك في «المنهاج» في «شعب الإيمان» ما نصه[١]: «وأما البراءة من التشبيه بإثبات أنه -تعالى- ليس بجوهر ولا عرض، فلأن قومًا زاغوا عن الحق فوصفوا البارئ جل ثناؤه ببعض صفات المحدثين، فمنهم من قال: إنه جوهر، ومنهم من قال: إنه جسم، ومنهم من أجاز أن يكون على العرش كما يكون الملك على سريره، وكان ذلك في وجوب اسم الكفر لقائله كالتعطيل والتشريك. فإذا أثبت المثبت أنه ليس كمثله شيء، وجماع ذلك أنه ليس بجوهر ولا عرض فقد انتفى التشبيه، لأنه لو كان جوهرًا أو عرضًا لجاز عليه ما يجوز على سائر الجواهر والاعراض، ولأنه إذا لم يكن جوهرًا ولا عرضًا لم يجز عليه ما يجوز على الجواهر من حيث إنها جواهر كالتآلف والتجسم وشغل الأمكنة والحركة والسكون، ولا ما يجوز على الأعراض من حيث إنها أعراض كالحدوث وعدم البقاء» اهـ.

٢٢ - قال البغدادي في «الفَرق بين الفِرق»[٢]: وإنما تبرءوا -أي أهل السنة- من أهل الملل الخارجة عن الإسلام ومن أهل الأهواء الضالة مع انتسابها إلى الإسلام كالقدرية والمرجئة والرافضة والخوارج والجهمية والنجارية والمجسمة.

٢٣ - في الإرشاد لإمام الحرمين الجويني[٣] قوله: «إن كل أصل قاد إلى تقدير الإلـٰه أو تبعيضه فهو كفر صراح» اهـ.

٢٤ - قال الغزالي في «المستصفى» ما نصه: «أما إذا كفر ببدعته فعند ذلك لا يعتبر خلافه وإن كان يصلي إلى القبلة ويعتقد نفسه مسلمًا لأن الأمة ليست عبارة

---

(١) شعب الإيمان (١/ ١٨٤).

(٢) الفَرق بين الفِرق (ص/ ٣٦١)، دار المعرفة.

(٣) الإرشاد (ص/ ٤٠)، مكتبة الخانجي مطبعة السعادة بمصر ١٣٦٩هـ.

عن المصلين إلى القبلة بل عن المؤمنين وهو كافر وإن كان لا يدري أنه كافر» اهـ.

٢٥ - يقول الإمام المدقق البحر العلامة ابن الجوزي في كتابه «المدهش» ما نصه[١]: «وإنما تضرب الأمثال لمن له أمثال وكيف والكيف في حق الله تعالى محال أن تتخيله الأوهام وكيف تحده العقول. ويقول في الكتاب نفسه: ما عرفه من كيفه ولا وحده من مثله ولا عبده من شبهه، المشبه والمعطل أعمى» اهـ.

٢٦ - قال ابن الجوزي في «صيد الخاطر»[٢]: «ومن رُزق التوفيق فليحضر قلبه لما أقول: اعلم أن ذاته سبحانه لا تشبه الذوات، وصفاته ليست كالصفات، وأفعاله لا تقاس بأفعال الخلق». ثم قال: «فإياك إياك أن تقيس شيئًا من أفعاله على أفعال الخلق، أو شيئًا من صفاته أو ذاته سبحانه وتعالى فإنك إن حفظت هذا سلمت من التشبيه الذي وقع فيه من رأى الاستواء اعتمادًا، والنزول نقلة، ونجوت من الاعتراض الذي أخرج قومًا إلى الكفر حتى طعنوا في الحكمة» اهـ.

٢٧ - قال الجويني في البرهان في «أصول الفقه» ما نصه[٣]: «وكم للحشوية المشبهة من خبط يناقض حقيقة التوحيد وشفاء الغليل في ذلك يظهر في باب التأويلات إن شاء الله عز وجل» اهـ.

٢٨ - قال الغزالي في كتابه «إلجام العوام عن علم الكلام» ما نصه: «الوظيفة الأولى: التقديس ومعناه أنه إذا سمع اليد والإصبع وقوله ﷺ إن الله خمر طينة ءادم بيده وإن قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمـن، فينبغي أن يعلم أن اليد تطلق لمعنيين أحدهما هو الموضع الأصلي وهو عضو مركب من لحم وعظم وعصب، واللحم والعظم والعصب جسم مخصوص وصفات مخصوصة أعني بالجسم عبارة عن مقدار له طول وعرض وعمق يمنع غيره من أن يلج بحيث هو إلا بأن يتنحي عن ذلك المكان، وقد يستعار هذا اللفظ أعني اليد لمعنى ءاخر

---

(١) المدهش (دار الكتب العلمية ص١٣٧-١٣٨).

(٢) صيد الخاطر (ص/ ٣٨٤-٣٨٥-٣٨٦)، دار ابن زيدون الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

(٣) كتاب البرهان في أصول الفقه (١/ ١٥١)، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

ليس ذلك المعنى بجسم أصلًا كما يقال: البلدة في يد الأمير فإن ذلك مفهوم وإن كان الأمير مقطوع اليد مثلًا فعلى العامي وغير العامي أن يتحقق قطعًا ويقينًا أن الرسول ﷺ لم يرد بذلك جسمًا هو عضو مركب من لحم ودم وعظم، وأن ذلك في حق الله تعالى محال وهو عنه مقدس، فإن خطر بباله أن الله جسم مركب من أعضائه فهو عابد صنم فإن كل جسم فهو مخلوق، وعبدة المخلوق كفروا وعبادة الصنم كانت كفرًا لأنه مخلوق، وكان مخلوقًا لأنه جسم فمن عبد جسمًا فهو كافر بإجماع الأمة السلف منهم والخلف» اهـ.

٢٩ - قال السيوطي في «الأشباه والنظائر» في كتاب «الردة» ما نصه[١]: قاعدة قال الشافعي: لا يكفر أحد من أهل القبلة واستثنى من ذلك: المجسم ومنكر علم الجزئيات وقال بعضهم: المبتدعة أقسام: الأول: ما نكفره قطعًا كقاذف عائشة رضي الله عنها ومنكر علم الجزئيات وحشر الأجساد والمجسمة والقائل بقدم العالم» اهـ.

٣٠ - قال الأسفراييني أبو المظفر في كتابه «التبصير في الدين» بعد أن ذكر بعض أقوال المجسمة الهشامية ما نصه[٢]: «والعقل بأوّل وهلة يعلم أن من كانت هذه مقالته لم يكن له في الإسلام حظ» اهـ، ولكن المداهن يقول «بل هناك خلاف»!

وقال: «وأما الهشامية فإنهم أفصحوا عن التشبيه بما هو كفر محض باتفاق جميع المسلمين وهم الأصل في التشبيه وإنما أخذوا تشبيههم من اليهود حين نسبوا إليه الولد وقالوا عزير ابن الله وأثبتوا له المكان والحد والنهاية والمجيء والذهاب تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا» اهـ.

٣١ - قال القرطبي المالكي في المجسمة في تفسيره[٣]: «الصحيح القول

---

(١) كتاب الأشباه والنظائر (ص/ ٤٨٨)، باب الردة.

(٢) التبصير في الدين (ص/ ٤٠ - ٤١)، عالم الكتب الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

(٣) تفسير القرطبي (٤/ ١٤).

بتكفيرهم إذ لا فرق بينهم وبين عباد الأصنام والصور ويستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا كما يُفعل بمن ارتد».

٣٢ – قال الشيخ محمد بن أحمد عليش المالكي ١٢٩٩هـ عند ذكر ما يوقع في الكفر والعياذ بالله ما نصه[١]: «وكاعتقاد جسمية الله وتحيزه، فإنه يستلزم حدوثه واحتياجه لمحدث» اهـ.

٣٣ – يقول الولي الصالح بلا خلاف الإمام أحمد الرفاعي رضي الله عنه: «صونوا عقائدكم من التمسك بظاهر ما تشابه من الكتاب والسنة، فإن ذلك من أصول الكفر» اهـ.

٣٤ – قال الإمام المتولي الشافعي وهو من أصحاب الوجوه في المذهب الشافعي، كما نقل عنه النووي في «روضة الطالبين» ما نصه[٢]: «من اعتقد قِدم العالم، أو حدوث الصانع، أو نفى ما هو ثابت للقديم بالإجماع ككونه عالمًا وقادرًا، أو أثبت ما هو منفي عنه بالإجماع كالألوان، أو أثبت له الاتصال والانفصال كان كافرًا» اهـ.

٣٥ – قال الشيخ محمود بن محمد خطاب السبكي في كتابه «إتحاف الكائنات» ما نصه[٣]: «فمن قال إن المراد به الجلوس فقد خالف السلف والخلف وخرق الإجماع وكفر بالله تعالى وحبط كل عمله» اهـ ذكر ذلك أثناء كلامه عن الذي يعتقد أن الله يجلس على عرشه.

٣٦ – قال الإمام أبو سعيد المتولي الشافعي الأشعري في كتابه «الغنية في أصول الدين» ما نصه[٤]: «والغرض من هذا الفصل نفي الحاجة إلى المحل والجهة خلافًا للكرامية والحشوية والمشبهة الذين قالوا إن لله جهة فوق.

---

(١) منح الجليل شرح على مختصر سيد خليل (ص/ ٢٠٦)، المجلد ٩ دار الفكر ١٩٨٩مـ-١٩٠٩هـ.
(٢) روضة الطالبين (١٠/ ٦٤)، المسمى المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.
(٣) إتحاف الكائنات، المسماة مطبعة الاستقامة، الطبعة الأولى ١٣٥٠هـ.
(٤) الغنية في أصول الدين (ص/ ٧٣-٧٤)، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

وأطلق بعضهم القول بأنه جالس على العرش مستقر عليه تعالى الله عن قولهم.

والدليل على أنه مستغن عن المحل أنه لو افتقر إلى المحل لزم أن يكون المحل قديمًا لأنه -أي الله- قديم، أو يكون -أي الله على زعمهم- حادثًا كما أن المحل حادث، وكلاهما كفر.

والدليل عليه أنه لو كان على العرش على ما زعموا لكان لا يخلو إما أن يكون مثل العرش أو أصغر منه أو أكبر، وفي جميع ذلك إثبات التقدير والحد والنهاية وهو كفر.

٣٧ - قال الملا علي القاري الحنفي في كتابه «الرد على القائلين بوحدة الوجود» ما نصه[١]: «قال الإمام الرازي إن المجسم ما عبد الله قط لأنه يعبد ما تصوره في وهمه من الصورة والله تعالى منزه عن ذلك» اهـ.

٣٨ - وأقدم من هؤلاء جميعهم الإمام الأشعري أبو الحسن وهو شافعي المذهب، قال رحمه الله تعالى في كتابه «النوادر» كما نقل عنه البياضي الحنفي في كتابه «إشارات المرام من عبارات الإمام»[٢]: «من قال إن الله جسم فهو غير عارف بربه وإنه كافر به» اهـ.

٣٩ - قال ابن جهبل الشافعي وهو أشعري ما نصه: «وهذا ينتظم من كفره مجمع عليه ومن كفرناه من أهل القبلة كالقائلين بخلق القرءان وبأنه لا يعلم المعدومات قبل وجودها ومن لا يؤمن بالقدر. وكذا من يعتقد بأن الله جالس على العرش كما حكاه القاضي حسين هنا عن نص الشافعي» اهـ.

٤٠ - قال الحافظ الفقيه اللغوي مرتضى الزبيدي: «من جعل الله تعالى مقدّرًا بمقدار كفر».

---

(١) الرد على القائلين بوحدة الوجود (ص/ ٢٣)، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

(٢) إشارات المرام من عبارات الإمام (ص/ ١٦٨)، للبياضي الحنفي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.

٤١ – وقال النابلسي: «من زعم أن الله يسكن السماء، أو أنه جسم قاعد فوق العرش فهو كافر» اهـ.

٤٢ – قال الرازي في تفسيره[١]: «أما الإيمان بوجوده، فهو أن يعلم أن وراء المتحيزات موجودًا خالقًا لها، وعلى هذا التقدير فالمجسم لا يكون مقرًا بوجود الإلـٰه تعالى لأنه لا يثبت ما وراء المتحيزات شيئًا ءاخر فيكون اختلافه معنا في إثبات ذات الله تعالى أما الفلاسفة والمعتزلة فإنهم مقرون بإثبات موجود سوى المتحيزات مُوجد لها، فيكون الخلاف معهم لا في الذات بل في الصفات» اهـ.

وقال أيضًا[٢]: «وأقول: أما قوله: المجسمة قد افتروا على الله الكذب، فهو حق. وأما قوله: إن هذا افتراء على الله في صفاته، فليس بصحيح. لأن كون الذات جسمًا ومتحيزًا ليس بصفة، بل هو نفس الذات المخصوصة، فمن زعم أن إلـٰه العالم ليس بجسم، كان معناه أنه يقول: جميع الأجسام والمتحيزات محدثة، ولها بأسرها خالق هو موجود ليس بمتحيز، والمجسم ينفي هذه الذات، فكان الخلاف بين الموحد والمجسم ليس في الصفة بل في نفس الذات، لأن الموحد يثبت هذه الذات والمجسم ينفيها» اهـ.

وقال: «والجواب: أن الدليل على أن من قال إن الإلـٰه جسم فهو منكر للإلـٰه تعالى، وذلك لأن إلـٰه العالم موجود ليس بجسم ولا حال في الجسم، فإذا أنكر المجسم هذا الموجود فقد أنكر ذات الإلـٰه تعالى، فالخلاف بين المجسم والموحد ليس في الصفة، بل في الذات، فصح في المجسم أنه لا يؤمن بالله أما المسائل التي حكيتموها فهي اختلافات في الصفة، فظهر الفرق. وأما إلزام مذهب الحلولية والحروفية، فنحن نكفرهم قطعًا، فإنه تعالى كفَّر النصارى بسبب أنهم اعتقدوا

---

(١) تفسير الرازي «التفسير الكبير» (٧/ ١١٣-١١٤)، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤١١هـ المجلد الرابع.

(٢) تفسير الرازي «التفسير الكبير» (دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤١١هـ المجلد السابع، (١٣/ ٦٩))/ والمجلد الثامن، (١٦/ ٢٤).

حلول كلمة (الله) في عيسى وهؤلاء اعتقدوا حلول كلمة (الله) في ألسنة جميع من قرأ القرءان، وفي جميع الأجسام التي كُتب فيها القرءان، فإذا كان القول بالحلول في حق الذات الواحدة يوجب التكفير فلأن يكون القول بالحلول في حق جميع الأشخاص والأجسام موجبًا للقول بالتكفير كان أولى» اهـ.

٤٣ - قال الباقلاني في الإنصاف(١): «فإن قالوا: أليس تقولون إن كلام الله مسموع بحاسة الآذان على الحقيقة؟ قلنا: بلى. فإن قالوا: فليس يجوز أن يكون مسموعًا على الحقيقة إلا ما كان صوتًا أو حرفًا.

فالجواب: أن هذا جهل عظيم، وذلك أن أهل السنة والجماعة قد أجمعوا على أن الله تعالى يُرى بالأبصار على الحقيقة، ولا يجوز أن يرى على الحقيقة إلا ما كان جسمًا وجوهرًا وعرضًا. أفتقولون: إن الله تعالى جسم، وجوهر، وعرض؟ فإن قالوا: نعم.. فقد أقروا بصريح الكفر للتشبيه، وإن قالوا: يُرى وليس بجسم، ولا جوهر ولا عرض ولا يُشَبَّه شيئًا من المرئيات. قلنا: فكذلك كلامه قديم ليس بمخلوق ومسموع على الحقيقة، وليس بحروف ولا أصوات، ولا يُشَبَّه بشيء من المسموعات، فكما أنه يرى على الحقيقة ولا تكييف لذاته فإنه يتكلم ولا تكييف لكلماته. فاتقوا الله وقفوا عند حدود الشرع، ولا تكونوا ممن قال فيهم:أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض. وتمسكوا بقوله تعالى:ليس كمثله شيء وهو السميع البصير اهـ.

٤٤ - قال الفقيه المتكلم ابن المعلم القرشي في كتابه «نجم المهتدي» ما نصه: «والذي يعبد جسمًا على عرش كبير ويجعل جسمه كقبر أبي قبيس سبعة أشبار بشبره كما حكي عن هشام الرافضي أو كلامًا ءاخر تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم فقد عبد غير الله فهو كافر، وقال إن قسمًا من القائلين بالتحيز بالجهة أطلقوا الجسمية ومنعوا التأليف والتركيب وقالوا: «عنيت بكونه جسمًا وجوده وهؤلاء كفروا» اهـ.

---

(١) الإنصاف (ص/ ١٩١).

٤٥ - ويقول الحصني رحمه الله: «الكيف من صفات الحدث وكل ما كان من صفات الحدث فالله عز وجل منزه عنه فإثباته له سبحانه كفر محقق عند جميع أهل السنة والجماعة» اهـ.

٤٦ - يقول إمام الحرمين رحمه الله في «العقيدة النظامية»: «فذهبت طوائف إلى وصف الرب بما يتقدس في جلاله عنه، من التحيز في جهة حتى انتهى غلاة إلى التشكيل والتمثيل تعالى الله عن قول الزائغين والذي دعاهم إلى ذلك طلبهم ربهم من المحسوسات وما يتشكل في الأوهام ويتقدر في مجاري الوساوس، وخواطر الهواجس، وهذا حيد بالكلية عن صفات الإلـهية، وأي فرق بين هؤلاء وبين من يعبد بعض الأجرام العلوية» اهـ.

٤٧ - قال ابن حجر في الفتح[1]: «واستدل به أبو علي الفارسي في «التذكرة» على تكفير المشبهة فحمل الحديث عليهم وأنهم المراد بقوله المصورون أي الذين يعتقدون أن لله صورة. وتعقّب بالحديث الذي بعده في الباب بلفظ: «إن الذين يصنعون هذه الصورة يعذبون» وبحديث عائشة الذي بعد بابين بلفظ: «إنّ أصحاب هذه الصور يعذبون» وغير ذلك، ولو سَلِمَ له استدلاله لم يرد عليه الإشكال المقدم ذكره» اهـ.

وقال: «وأما أهل السنّة ففسروا التوحيد بنفي التشبيه والتعطيل، ومن ثم قال الجنيد فيما حكاه أبو القاسم القشيري «التوحيد إفراد القديم من المحدث» وقال أبو القاسم التميمي في كتاب «الحُجّة»: التوحيد مصدر وحّد يُوحِّد، ومعنى وحّدت الله اعتقدته منفردًا بذاته وصفاته لا نظير له ولا شبيه، وقيل معنى وحدته علمته واحدًا، وقيل: سلبت عنه الكيفيّة والكميّة فهو واحد في ذاته لا انقسام له، وفي صفاته لا شبيه له وفي إلهيته وملكه وتدبيره لا شريك له ولا رب سواه ولا خالق غيره» اهـ.

فالمجسم إذن لم يتحقق التوحيد عنده.

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٠/ ٣٩٧)، دار الريان للتراث الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٤٨ - وقد نقل القاضي أبو علي المحسن بن علي بن محمد التنوخي المتوفى سنة ٣٤٨ للهجرة في «نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة»[1] تكفير من يقولها وأن هذا تجسيم وأقرّ ذلك. وهذه عبارته: «حضرت مجلس أبي محمد المهلبي، وكانت العامة ببغداد قد هاجت في أيام وزارته وعظمت الفتنة وقبض على جماعة من العيارين وحملة السكاكين وجعلهم في زوارق مطبقة وحملهم إلى بيروذ وحبسهم هناك. فاستهانوا بالقصة وكثّف أمرهم وكثر كلام القصاص في الجوامع ورؤساء الصوفية فخاف من تجديد الفتنة، فقبض على خلق منهم وحبسهم وأحضر أبا السائب قاضي القضاة إذ ذاك، وجماعة من القضاة والشهود، والفقهاء وكنت فيهم لمناظرتهم، وأصحاب الشرط لنأمن مضرتهم إذا قامت الحجج عليهم.

فاتفق أن بدئ برجل من رؤساء الصوفية يعرف بابي إسحاق بن ثابت ينزل بباب الشام أحد الربانيين عند أصحابه، فقال له: بلغني أنك تقول في دعائك يا واحدي بالتحقيق يا جاري اللصيق» فمن لا يعلم بأن الله لا يجوز أن يوصف بأنه لصيق على الحقيقة فهو كافر لأن الملاصقة من صفات الأجسام، ومن جعل الله جسمًا كفر فمن يكون محله في العلم هذا يتكلم على الناس!!

٤٩ - يقول أبو المظفر الأسفراييني في «التبصير في الدين» عن المشبهة[2]: «ومن جملتهم الهشامية وهم أتباع هشام بن سالم الجواليقي الذي كان يزعم أن معبوده على صورة إنسان ولكن نصفه الأسفل مصمت ونصفه الأعلى مجوف وله شعر أسود على رأسه وأن قلبه منبع بالحكمة نبع الماء من العيون.

ومن جملتهم اليونسية أتباع يونس بن عبد الرحمن القمي الذي كان يقول حملة عرش الرحمن يحملونه وإن كان هو أقوى منهم كما أن رجل الكركي تحمل بدنه وإن كان بدنه أقوى من رجله. وداود الجواربي من جملة المشبهة يثبت لمعبوده جميع أعضاء الإنسان وكان يقول أعفوني عن الفرج واللحية والكرامية من جملة

---

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة (٢/ ١٥٣ - ١٥٤) طبع دار الكتب العلمية.

(٢) التبصير في الدين (ص/ ١٢٠-١٢١)، عالم الكتب الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

المشبهة لقولهم بأنه جسم وله حد ونهاية وأنه محل الحوادث وأنه مماس للعرش ملاق له فهؤلاء كلهم مشبهة ذاته بالذوات وأما مشبهة الصفات فهم المعتزلة البصرية الذين أثبتوا إرادة حادثة كإرادات الإنسان قالوا إنها من جنس إرادتهم وشبهوا كلامه بكلام الخلق وقالوا إنه عرض حال في جسم وكذلك الكرامية شبهوا في الصفات فقالوا إن إرادته وقوله عرض حادث من جنس كلام الخلق وإرادتهم» اهـ.

٥٠ - قال الملا علي القاري في كتابه «الرد على القائلين بوحدة الوجود»: فالمعطل يعبد عدما والمشبه يعبد صنمًا».

٥١ - قال البغدادي في «الفرق بين الفرق»[(١)]: «والصحيح عندنا أن أمة الإسلام تجمع المقرين بحدوث العالم وتوحيد صانعه وقدمه وصفاته وعدله وحكمته ونَفْي التشبيه عنه» اهـ.أي أن من كان على عقيدة أهل السنة مجتنبًا ما يناقضها فهو من المسلمين.

٥٢ - قال عبد القاهر البغدادي رحمه الله تعالى في «أصول الدين»[(٢)] «المسألة الحادية عشرة من هذا الفصل في حكم المجسمة والمشبهة كل من شبه ربه بصورة الإنسان من البيانية والمغيرية والجواربية والهشامية المنسوبة إلى هشام بن سالم الجواليقي فإنما يعبد إنسانًا مثله ويكون حكمه في الذبيحة والنكاح كحكم عبدة الأوثان فيها وكذلك من زعم أن بعض الناس إلـٰه أو ادعى أن لله روحًا وأنها حلت فيه على مذهب الحلولية كما قالته الخطابية في جعفر الصادق وكما قالته الزرارية في أبي مسلم صاحب دعوة بني العباس وكما قالته المبيضة في المقنع فهو عابد وثن وأما مجسمة خراسان من الكرامية فتكفيرهم واجب لقولهم إن الله تعالى له حد ونهاية من جهة السفل ومنها يماس عرشه ولقوله بأن الله تعالى محل للحوادث وإنما يرى الشيء برؤية تحدث فيه ويدرك ما يسمعه بإدراك يحدث

---

(١) الفرق بين الفرق (ص/ ١٣)، دار المعرفة.

(٢) أصول الدين (ص/ ٣٣٧)، دار الآفاق الجديدة بيروت الطبعة الأولى.

تعالى الله عما يصفون» اهـ.

٥٣ - وقال نعيم بن حماد أحد شيوخ البخاري وهو صدوق «من شبه الله تعالى بخلقه كفر ومن جحد ما وصف الله نفسه فقد كفر».

٥٤ - وقال الشيخ محمد أمين الشنقيطي رحمه الله تعالى في تفسيره عند قوله تعالى: ولله المثل الأعلى «ومن اعتقد أن وصف الله تعالى يشابه صفات الخلق فهو مشبه ملحد ضال» اهـ.

٥٥ - وفي الكتاب المسمى «اعتقاد أهل السنة» للالكائي[١]: «ذكره عبد الرحمٰن قال ثنا إسماعيل بن أبي الحارث ثنا سويد بن سعيد قال ثنا علي بن عاصم قال تكلم داود الجواربي في التشبيه فاجتمع فيها أهل واسط منهم محمد بن يزيد وخالد الطحان وهشيم وغيرهم فأتوا الأمير وأخبروه بمقالته فأجمعوا على سفك دمه» اهـ.

٥٦-وفي كتاب اللالكائي: «ذكره عبد الرحمٰن قال ثنا عبد الله بن محمد بن الفضل الصيداوي قال قال نعيم بن حماد: من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر فليس ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيها» اهـ.

٥٧ - قال الشيخ محمود بن أحمد بن مسعود القونوي النسفي في كتابه «القلائد»[٢] عند قول الطحاوي «ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب» ما نصه: «إشارة إلى تكفيره بفساد اعتقاده كفساد اعتقاد المجسمة والمشبهة والقدرية ونحوهم» اهـ.

٥٨ - وقد ذكر الفقيه يوسف الأردبيلي الشافعي[٣] أن من أثبت لله الاتصال أو الانفصال فهو كافر.

---

(١) اعتقاد أهل السنة (ص/ ٢٩٠)، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ المجلد الأول.

(٢) القلائد (ص/ ٢٠٠).

(٣) الأنوار لأعمال الأبرار (٢/ ٤٨١).

٥٩ - وقال سيف السنة أبو المعين النسفي في «تبصرة الأدلة»: «والله تعالى نفى المماثلة بين ذاته وبين غيره من الأشياء، فيكون القول بإثبات المكان له ردًا لهذا النص المحكم -أي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ الذي لا احتمال فيه لوجه ما سوى ظاهره. ورادّ النص كافر، عصمنا الله عن ذلك» اهـ.

٦٠ - قال أبو منصور البغدادي في تفسير «الأسماء والصفات» ما نصه[1]: «أجمع أصحابنا على أن الله عز وجل قديم أزلي وبأنه واحد لا شبيه له، وبأنه يجوز رؤيته وبأنه قادر على جميع المقدورات وعالم بجميع المعلومات وسميع بصير بجميع المسموعات والمبصرات، والجاهل بوجود علمه وقدرته وبقائه وسمعه وبصره وإرادته وكلامه، والجاهل بأن هذه صفات له أزلية ونعوت أبدية، والجاهل بشيء يلزمه أن يعلمه من صفات ربه القائمة به، والجاهل بنوع من أحكام عدله في جميع أفعاله، والجاهل بنفوذ قضائه ومشيئته في كل مراده ونحو ذلك جاهل بالله عز وجل غير صحيح إيمانه به» اهـ.

ثم قال «إن أصحابنا أكفروا أهل البدع في صفات البارئ عز وجل بإجماع الأمة وعلى إكفار من أنكر النبوات أو شك في عقائد الأنبياء، فما كان شكه في صفة من صفات بعض الناس يورثه الكفر فشكه في صفة لازمة لله تعالى أو جهله بها أولى بأن يوجب تكفيره» اهـ.

٦١ - وقد قال الإمام مالك رضي الله عنه في أهل الأهواء كلهم: «أرى أن يستتابوا فإن تابوا وإلا قتلوا» روى ذلك الحافظ المجتهد المطلق محمد بن المنذر في كتابه «الإشراف»[2] ومعناه أنهم كفار وهم المجسمة والجهمية والخطابية والقدرية القائلين بخلق الأفعال وبخلق القرءان على معنى أن الله ليس له كلام إلا ما يخلقه في غيره فجعلوا القرءان مما يخلقه في غيره.

٦٢ - قال البياضي بعد أن ذكر أصنافا من المشبهة المجسمة وذكر شيئًا من

---

(١) تفسير الأسماء والصفات (ق/ ١٨٧).

(٢) الإشراف (٣/ ٢٦٠).

أقوالهم وكل ذلك كفر وجهل بالرب ونسبة للنقص الصريح إليه تعالى عن ذلك علوًا كبيرا. اهـ.

٦٣ - وقال البياضي قبل هذا فيمن قال بعدم إكفار من قال إنه تعالى جسم لا كالأجسام، ذهب إليه محمد بن الهَيْصَم وبعض الحنابلة وإليه أشار بعدم التعرّض له في المقام هو مبتدع في إطلاق الجسم وليس بكافر لرفعه إيهام النقصان بقوله لا كالأجسام وقيل يكفر بمجرد الإطلاق كما في باب الإمامة من فتح القدير. انتهى وهذا هو الصحيح لأن الأول لا معنى له بل هو من باب جمع النقيضين.

٦٤ - جاء في الكتاب المسمى «تاريخ الإسلام» للذهبي: «عبيد الله بن المحدث عبد الله بن الحسين البصري، القاضي أبو القاسم المروزي قاضي نسف، قال المستغفري: كان صلب المذهب، لما دخل سبكتكين صاحب غزنة إلى بلخ، دعا فقهاءها إلى مناظرة الكرامية، وكان منهم القاضي عبيد الله، وهو يومئذ على قضاء بلخ، فقال سبكتكين: ما تقولون في هؤلاء الزهاد الأولياء، يعني الكرامية؟ فقال القاضي: هؤلاء كفار. فقال: ما تقولون فيَّ إن كنتُ أعتقد مذهبهم؟ فقال: قولنا فيك كقولنا فيهم، فقام وضربهم بطبرزين حتى أدماهم، وشبح القاضي، وقيدهم وحبسهم، ثم خاف الملامة فأطلقهم، وتوفي القاضي سنة ثمان وثمانين» اهـ.

٦٥ - جاء في شرح مسلم للنووي[1]: قال القاضي عياض رحمه الله: «هذا يدل على أنهم ليسوا بعارفين الله تعالى، وهو مذهب حذاق المتكلمين في اليهود والنصارى أنهم غير عارفين الله تعالى؛ وإن كانوا يدعون أنهم يعبدونه، ويظهرون معرفته لدلالة السمع عندهم على هذا، وإن كان العقل لا يمنع أن يعرف الله تعالى من كذّب رسولا. قال القاضي عياض رحمه الله: ما عرف الله تعالى من شبهه وجسمه من اليهود، أو أجاز عليه البداء، أو أضاف إليه الولد منهم، أو أضاف إليه الصاحبة والولد، وأجاز الحلول عليه، والانتقال والامتزاج من النصارى، أو وصفه بما لا يليق به، أو أضاف إليه الشريك والمعاند في خلقه من المجوس

(١) شرح مسلم للنووي (١/ ١٩٩).

والثنوية فمعبودهم الذي عبدوه ليس هو الله وإن سموه به إذ ليس موصوفًا بصفات الإلـٰه الواجبة له. فإذن ما عرفوا الله سبحانه».

٦٦ – قال أبو حيان في تفسير «البحر المحيط»: «وارتكبوا ثلاثة أنواع من الكفر: التجسيم، لأن الولادة مختصة بالأجسام، وتفضيل جنسهم، حيث نسبوا أرفع الجنسين لهم وغيره لله تعالى؛ واستهانتهم بمن هو مكرم عند الله، حيث أنثوهم، وهم الملائكة» اهـ.

٦٧ – قال إمام الحرمين الجويني في «الإرشاد»[1]: «وكل أصل قاد إلى تقدير الإلـٰه أو تبعيضه فهو كفر صراح» إذ من المعلوم أن المحصور والمحدود قد أحاطت به المقادير والكيفيات وجاز عليه التبعيض.

٦٨ – قال الشيخ الشهيد حسن البنا في «مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا»[2]: «فرقة أخذت بظواهرها كما هي فنسبت إلى الله وجها كوجوه الخلق ويدا أو أيديا كأيديهم وضحكا كضحكهم وهكذا حتى فرضوا الإلـٰه شيخا وبعضهم فرضه شابا وهؤلاء المجسمة والمشبهة وليسوا من الإسلام في شئ وليس لقولهم نصيب من الصحة» اهـ.

٦٩ – قال الإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي في «تفسير النسفي»[3]: «ومن الإلحاد تسميته بالجسم والجوهر والعقل والعلة» اهـ.

٧٠ – قال الإمام أبو بكر بن علي الرازي الحنفي في «شرح بدء الأمالي»[4]: «وقد ثبت قدمه فينتفي كونه جوهرا فلا يتمثل بأمثال في الفهم ولا يدخل كيفية وجوده الوهم خلافا للنصراني والمجوسي لأن الجوهر في اصطلاح المتكلمين اسم لما لا يتجزأ وهو واقع بجهة وقابل للكيفيات المتضادات والسكون ونحو ذلك

---

(١) الإرشاد (ص/ ٤٠).

(٢) مجموعة رسائل الشهيد الشيخ حسن البنا رحمه الله ( / ).

(٣) تفسير النسفي (٢/ ٨٧)، دار الكتاب العربي بيروت – لبنان.

(٤) شرح بدء الأمالي (ص/ ١٦٠)، دار الكتب العلمية.

والله تعالى غير متجزئ لأنه غير متحيز ولا موصوف بالكيفيات.

وكذلك الله تعالى ليس بجسم ولا عرض وهو خالق الاعراض والأجسام فلا يوصف بها لأن الجسم عند المتكلمين هو الأجزاء المركبة والله تعالى منزه عن وصف المركب.

وكذلك لا يوصف بالكل والبعض لأن الكل اسم جملة تركبت عن جوهر فصاعدا والله تعالى ليس بمتركب والفرق بين الجوهر والعرض فالجوهر ما يقوم بنفسه والعرض ما يقوم بغيره.

وقالت المشبهة والكرامية: هو جسم لا كالأجسام كما يقال هو شئ لا كالأشياء. قلنا: الله تعالى منزه عن الشبيه والنظير والجسم اسم لذات الصورة والله تعالى لا صورة له وهو خالق الصورة لقوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[1].

وقال[2]: «تعالى الله على أن يحويه مكان أو يحده زمان وهو لا في شئ ولا على شئ ولا من شئ فمن زعم هكذا فقد كفر لأنه لو كان في شئ لكان محصورا ولو كان على شئ لكان محمولا ولو كان من شئ لكان محدثا تعالى الله عن ذلك» اهـ.

٧١- قال القاضي عبد الرحمن بن أحمد الإيجي في «شرح العضد على مختصر المنتهى الأصولي»[3]: «المجتهد المبتدع إن كانت بدعته تتضمن كفرا كالمجسمة» اهـ.

٧٢- قال الإمام علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري في «كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي»[4]: «ومثل جهل المشبهة فإنهم قالوا بجواز حدوث صفات الله عز وجل وزوالها عنه مشبهين الله تعالى بخلقه في صفاته».

---

(١) سورة غافر/ ءاية ٦٤.

(٢) شرح بدء الأمالي (ص/ ٢٠٣).

(٣) شرح العضد على مختصر المنتهى الأصولي (ص/ ١١٣)، دار الكتب العلمية.

(٤) كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي (٤/ ٤٦٧)، دار الكتب العلمية.

وقال أيضا[1]: «أو ممن ينتحل الإسلام يعني إذا غلا في هواه حتى كفر ولكنه ينتسب إلى الإسلام مع ذلك كغلاة الروافض والمجسمة» اهـ.

٧٣- قال أبي حامد بن مرزوق في «براءة الأشعريين من عقائد المخالفين»[2]: «ذكر الحافظ ابن الأثير في «كامله» في حوادث تسعة عشر ومائة تحريق خالد بن عبد الله القسري عامل هشام بن عبد الملك على العراق للمغيرة بن سعيد وبيان، قال: وكان رأي المغيرة التجسيم» وقال: «وسرد ابن الأثير كثيرا من كفره» اهـ.

٧٤- قال الإمام محمد بن الحسن البدخشي في شرح البدخشي المسمى «منهاج العقول»[3]: «أي أن يكون من المصلين صلاتنا الموحدين العادين أنفسهم من متابعي نبينا محمد عليه الصلاة والسلام فلا يقبل خبر من لم يكن كذلك سواء علم من دينه الاحتراز عن الكذب أولا ولم يقل الإسلام كما هو مشهور لئلا يخرج كالمجسمة أي الكافر الموافق للقبلة» اهـ.

٧٥- قال الشيخ محمد عليش في «شرح منهج الجليل على مختصر العلامة خليل»[4]: «وكاعتقاد جسمية الله وتحيزه فإنه يستلزم حدوثه واحتياجه لمحدث ونفي صفات الألوهية عنه جل جلاله وعظم شأنه» اهـ.

٧٦- قال السخاوي في «فتح المغيث شرح ألفية الحديث»[5]: «هذا كله في البدع غير المكفرة أما المكفرة وفي بعضها ما لا شك في التكفير فيه كمنكري العلم بالمعدوم القائلين ما يعلم الأشياء حتى يخلقها أو بالجزئيات والمجسمين تجسيما صريحا والقائلين بحلول الإلهية في علي أو غيره» اهـ.كالذي يقول الله جسم وإن قال لا كالأجسام.

---

(١) كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي (ص/ ٤٦٩).

(٢) براءة الأشعريين من عقائد المخالفين (١/ ٩)، دار العلم دمشق.

(٣) منهاج العقول (٢/ ٣٣٤)، دار الكتب العلمية.

(٤) شرح منهج الجليل على مختصر العلامة خليل (٩/ ٢٠٦)، دار الفكر.

(٥) فتح المغيث شرح ألفية الحديث (١/ ٣٦٤)، دار الكتب العلمية.

٧٧ - قال الإمام تقي الدين أبي بكر محمد الحصني في «دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد»[(١)]: «فالحاصل من كلام ابن حامد والقاضي وابن الزاغوني من التشبيه والصفات التي لا تليق بالله سبحانه وتعالى هي نزعة سامرية في التجسيم ونزعة يهودية في التشبيه».

وقال[(٢)]: «ومن المعلوم أن الاستواء إذا كان بمعنى الاستقرار والقعود لا بد فيه من مماسة والمماسة إنما تقع بين جسمين أو جرمين والقائل بهذا شبه وجسم وما أبقى في التجسيم والتشبيه بقية كما أبطل دلالة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[(٣)]».

وقال أيضا[(٤)]: «وقال بعض أئمة الحنابلة المنزهين: من أثبت لله تعالى الصفات بمعنى المحسوس فما عنده من الإسلام خبر تقدس الله عز وجل عما يقولون علوا كبيرا».

وقال[(٥)]: «وقد بالغ في الكفر من ألحق صفة الحق بالخلق وأدرج نفسه في جريدة السامرة واليهود الذين هم أشد عداوة للذين آمنوا» اهـ.

٧٨ - قال الأصفهاني في «شرح المنهاج للبيضاوي في علم الأصول»[(٦)]: «لكن يخالف الجماعة في معتقد يتضمن الكفر كالمجسمة» اهـ.

٧٩ - قال الإمام عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي في «الفرق بين الفرق»[(٧)]: «وأما أهل الأهواء من الجارودية والنجارية والجهمية والأمامية الذين أكفروا خيار الصحابة والقدرية المعتزلة عن الحق والبكرية المنسوبة إلى بكر ابن

---

(١) دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد (ص/ ٢٨٦)، تعليق الكوثري دار الكتب العلمية.
(٢) دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد (ص/ ٢٨٩).
(٣) سورة الشورى/ ءاية ١١.
(٤) دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد (ص/ ٢٩٢).
(٥) دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد (ص/ ٢٩٤).
(٦) شرح المنهاج للبيضاوي في علم الأصول (٢/ ٣٩)، المكتبة العصرية.
(٧) الفرق بين الفرق (ص/ ٣٥٧)، دار المعرفة.

أخت عبد الواحد والضرارية والمشبهة كلها والخوارج فإنا نكفرهم كما يكفرون أهل السنة ولا تجوز الصلاة عليهم عندنا ولا الصلاة خلفهم» اهـ.

٨٠ - قال الغزالي في «المستصفى من علم الأصول»(١): «أما إذا كفر ببدعته فعند ذلك لا يعتبر خلافه وإن كان يصلي إلى القبلة ويعتقد نفسه مسلما لأن الأمة ليست عبارة عن المصلين للقبلة بل عن المؤمنين وهو كافر وإن كان لا يدري أنه كافر نعم لو قال بالتشبيه والتجسيم كفرناه» اهـ.

٨١ - قال الإمام أبي زرعة العراقي في «النكت على المختصرات الثلاث»(٢):

«وفي شرح المذهب جزم بتكفير المجسمة ومنكري العلم بالجزئيات» اهـ.

٨٢ - قال الشيخ محمد ياسين الفاداني في «بغية المشتاق في شرح اللمع لأبي اسحاق»(٣): «حتى من كان من لوازم بدعته أنه كافر عندنا وإن كان من أهل قبلتنا (كالمجسمة والمشبهة والحلولية)» اهـ.

٨٣ - قال الدكتور عبد الرحمن كمال محمد في «علم أصول الدين وأثره في الفقه الاسلامي»(٤): «أو كفر بها كالقائلين بخلق القرءان وبنفي القدر والمشبهة والمجسمة والجهمية» اهـ.

٨٤ - قال الشيخ شمس الدين محمد بن يوسف الجزري في «معراج المنهاج شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول»(٥): «وإن كفرناه كالقائلين بالتجسيم» اهـ.

٨٥ - قال الشيخ عبد الغني بن اسماعيل النابلسي الحنفي في «نهاية المراد في شرح هداية ابن عماد»(٦): «وقال والدي رحمه الله فإن قال الله في السماء فإن قصد به حكاية ما جاء في ظاهر الأخبار لا يكفر وإن أراد المكان يكفر وإن لم يكن له

---

(١) المستصفى من علم الأصول (١/ ٢٥٨)، المكتبة العصرية الطبعة الأولى.

(٢) النكت على المختصرات الثلاث (ص/ ٣٤٣)، دار المنهاج.

(٣) بغية المشتاق في شرح اللمع لأبي اسحاق (ص/ ٢٤٣)، دار ابن كثير.

(٤) علم أصول الدين وأثره في الفقه الاسلامي (ص/ ٥٩٨)، دار الكتب العلمية.

(٥) معراج المنهاج شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول (ص/ ٤٢٥)، دار ابن حزم.

(٦) نهاية المراد في شرح هداية ابن عماد، دار الجفان والجابي (ص/ ٥٧٤).

نية يكفر عند الأكثر كما في فصول العمادي وغيره لأنه ظاهر في التجسيم كما في البزازية» اهـ.

٨٦ - قال الشيخ عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي في «التوضيح شرح الجامع الصحيح»[١]: «خلافا لما تقوله المجسمة من أنه تعالى جسم لا كالأجسام وذلك كله باطل وكفر من متأوله» اهـ.

٨٧ - قال ابن بطال في شرحه على البخاري[٢]: «خلافا لما تقوله المجسمة من أنه جسم لا كالأجسام واستدلوا على ذلك بهذه الآيات كما استدلوا بالآيات المتضمنة لمعنى الوجه واليدين ووصفه لنفسه بالإتيان والمجيء والهرولة في حديث رسول الله وذلك كله باطل وكفر» اهـ.

٨٨ - قال الشيخ أبي العباس نجم الدين أحمد بن محمد بن الرفعة في «كفاية النبيه شرح التنبيه»[٣]: «ومن كفرناه من أهل القبلة كالقائلين الله جالس على العرش» اهـ.

٨٩ - قال الإمام النووي في «المجموع شرح المهذب»[٤]: «قد ذكرنا أن من يكفر ببدعته لا تصح الصلاة وراءه ومن لا يكفر تصح فمن يكفر من يجسم تجسيما صريحا» اهـ.

٩٠ - قال الشيخ مرتضى الزبيدي في «اتحاف السادة المتقين بشرح احياء علوم الدين»[٥]: «والاقتداء بأهل الأهواء صحيحة إلا الجهمية والقدرية والروافض الغالية والخطابية ومن يقول بخلق القرءان والمشبهة ونحوهم ممن تكفره بدعته» اهـ.

---

(١) التوضيح شرح الجامع الصحيح (٣٣/ ٢٥٦)، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر.

(٢) انظر الكتاب (١٠/ ٤٣٢)، مكتبة الرشد.

(٣) كفاية النبيه شرح التنبيه (٤/ ٢٤)، دار الكتب العلمية.

(٤) المجموع شرح المهذب (٤/ ٢٥٣)، دار الفكر.

(٥) اتحاف السادة المتقين بشرح احياء علوم الدين (٣/ ٢٩٣)، دار الكتب العلمية.

٩١ - قال الشيخ عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي المالكي في «شرح عقيدة الإمام مالك الصغير»[(١)]: «ولا يجوز أن يثبت له كيفية لأن الشرع لم يرد بذلك ولا أخبر النبي عليه السلام فيه بشئ ولا سألته الصحابة عنه ولأن ذلك يرجع إلى التنقل والتحول وإشغال الحيز والافتقار إلى الأماكن وذلك يؤول إلى التجسيم وإلى قدم الأجسام وهذا كفر عند كافة أهل الإسلام» اهـ.

٩٢ - قال الشيخ أحمد بن اسماعيل بن عثمان الكوراني قاضي السلطنة العثمانية في كتابه «الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع»[(٢)] صديق وأستاذ وشيخ السلطان محمد الفاتح المتوفى سنة ٨٩٣هـ: «قوله: لا نكفر أحدا من أهل القبلة ولا نجوز الخروج على السلطان ونعتقد أن عذاب القبر وسؤال الملكين، أقول هذا كلام قد اشتهر بين الناس ونقل عن الأئمة مثل الشافعي وأبي حنيفة وليس على إطلاقه إذ المجسم كافر وإن صام وصلى» اهـ.(اي صورةً)

٩٣ - قال الشيخ أبي عبد الله محمد بن الحسين الأرموي في «الحاصل من المحصول في أصول الفقه»[(٣)]: «الكافر الموافق للقبلة كالمجسمة» اهـ.

٩٤ - قال الشيخ ابن الهمام الحنفي في «شرح فتح القدير على شرح الهداية شرح بداية المبتدي»[(٤)] تكلم فيمن قال جسم كالأجسام أو جسم لا كالأجسام ثم قال: «وقيل يكفر بمجرد الإطلاق أيضًا وهو حسن بل هو أولى بالتكفير» اهـ.

ونختم هذا الفصل ببيان دس وتحريف وتدليس وتلبيس المجسمة وكذبهم على الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، إذ نقل العلماء عنه تكفيره لمن نسب لله المكان، أما المجسمة فحرفوا وغيروا المعنى وزعموا أن مراد الإمام أبي حنيفة على حسب أهوائهم التي هي إثبات المكان لله وتكفيرهم لمن ينزه الله عن المكان، في حين

(١) شرح عقيدة الإمام مالك الصغير (ص/ ٢٨)، دار الكتب العلمية.
(٢) دار صادر (ص/ ٦٥٦).
(٣) الحاصل من المحصول في أصول الفقه (٣/ ٦٠)، دار المدار الإسلامي.
(٤) شرح فتح القدير على شرح الهداية شرح بداية المبتدي (١/ ٣٦٠)، دار الكتب العلمية.

أنهم ألفوا كتابًا سمّوه «السنة» المنسوب كذبًا إلى عبد الله بن أحمد بن حنبل، فيه يكفرون الإمام أبا حنيفة، فكيف يكفرونه هنا بينما يحرفون كلامه داسين عليه ومزورين ومستشهدين بتزويرهم وكذبهم على أبي حنيفة زورًا وبهتانًا؟!

قال الإمام أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الحنفي السمرقندي (٣٣٣هـ) في كتابه «شرح الفقه الأكبر» للإمام أبي حنيفة رضي الله عنه[١]: «قال أبو حنيفة: (من قال لا أعرف الله أفي السماء أم في الأرض فقد كفر) لأنه بهذا القول يوهم أن يكون له مكان فكان مشركًا. قال الله تعالى:وهو رب العرش العظيم) فإن قال (أقول بهذه الآية ولكن لا أدري أين العرش في السماء أم في الأرض) فقد كفر أيضًا، وهذا يرجع إلى المعنى الأول في الحقيقة لأنه إذا قال (لا أدري أن العرش في السماء أم في الأرض) فكأنه قال (لا أدري أن الله تعالى في السماء أم في الأرض) (أي جوز على الله أن يكون في جهة من الجهات وهو كفر)[٢] اهـ.

وقال الشيخ العز بن عبد السلام الشافعي (٦٦٠هـ) في كتابه «حل الرموز»، في بيان مراد أبي حنيفة ما نصه[٣]: «وقال أبو حنيفة: «من قال لا أعرف الله أفي السماء هو أم في الأرض هو، فقد كفر»، لأن هذا القول يوهم أن للحق مكانًا، ومن توهم أن للحق مكانًا فهو مشبه» اهـ، وأيد ملا علي القاري كلام ابن عبد السلام كما في «غوث العباد ببيان الرشاد» بقوله[٤]: «ولا شك أن ابن عبد السلام، يجب الاعتماد على نقله لا على ما نقله الشارح شارح عقيدة الطحاوي (أي المجسم الذي تبع ابن تيمية وهو ابن أبي العز الحنفي الذي تستشهد المجسمة بكلامه) - مع أن أبا مطيع رجل وضاع عند أهل الحديث كما صرح به غير واحد- هذا كلام العلامة

---

(١) شرح الفقه الأكبر (ص/ ٢٥)، طبع على نفقة الشؤون الدينية بدولة قطر.

(٢) وكلام أبي الليث هذا، موجود في المخطوطة (ص/ ٨١) في المكتبة السليمانية - اسطنبول - تركيا).

(٣) حل الرموز (ص/ ٧٥)، الناشر المكتبة الأزهرية للتراث.

(٤) غوث العباد ببيان الرشاد (ص/ ٩٩-١٠٠)، للشيخ مصطفى أبو السيف الحمامي خطيب المسجد الزينبي سابقًا في القاهرة، طبع شركة بوغكول إنداة.

ملا علي القاري. ومنه يعلم أمور: الأمر الأول: أن تلك المقالة ليست في الفقه الأكبر، وإنما نقلها عن أبي حنيفة ناقل، فيكون إسنادها إلى الفقه الأكبر كذبًا يراد به ترويج البدعة. الأمر الثاني: أن هذا الناقل مطعون فيه بأنه وضاع لا يحل الاعتماد عليه في نقل يبنى عليه حكم فرعي فضلا عن أصلي فالاعتماد عليه وحاله ماذكر خيانة يريد الرجل بها أن يروج بدعته.

الأمر الثالث: أن هذا النقل صرح به فقيه شافعي هو ابن عبد السلام بما يُكذّبُ هذا المجسم فيما افتراه على أبي حنيفة فزعم أنه منقول عن هذا الإمام العظيم رضي الله عنه، فاعتماد الكذاب وإغفال الثقة خيانة يراد به تأييد بدعته وهي جرائم تكفي واحدة منها فقط لأن تسقط الرجل من عداد العدول العاديين لا أقول من عداد العلماء أو أكابر العلماء أو الأئمة المجتهدين، ويعظم الأمر إذا علمنا أن الخيانات الثلاث في نقل واحد وهو مما يرغم الناظر في كلام هذا الرجل على أن لا يثق بنقل واحد ينقله فإنه لا فرق بين نقل ونقل، فإذا ثبت خيانته في هذا جاز أن تثبت في غيره وغيره» اهـ.

وقال المحدث محمد زاهد الكوثري في تعليقه على «الفقه الأبسط»[1]: «لم يذكر في المتن وجه كفره فبينه الشارح أبو الليث السمرقندي بقوله (لأنه بهذا القول يوهم أن يكون له تعالى مكان فكان مشركًا). ويدل على ذلك ما سيجيء في المتن: قلت: أرأيت لو قيل أين الله، يقال له: كان الله تعالى ولا مكان قبل أن يخلق الخلق، وكان الله تعالى ولم يكن أين ولا خلق ولا شيء، وهو خالق كل شيء يعني لا تتصور الأينية إلا في الحادث. ومما يدل على ذلك أيضًا قول الطحاوي في كتابه» بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن رحمهم الله»: «ومن لم يتوق النفي والتشبيه، زل ولم يصب التنزيه، فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية، منعوت بنعوت الفردانية، ليس في معناه أحد من البرية، تعالى عن الحدود والغايات، والأركان

---

(١) الفقه الأبسط (ص/ ٦٠٧)، لأبي حنيفة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

والأعضاء والأدوات، ولا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات. وهذا جلي واضح مستغن عن الإيضاح. ثم قال[1]: «قال أبو حنيفة: من قال لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض فقد كفر، لأن الله تعالى قال:وهو رب العرش العظيم، فإن قال إنه على العرش استوى، ولكنه يقول: لا أدري العرش في السماء أم في الأرض، قال هو كافر لأنه أنكر كون العرش في السماء لأن العرش في أعلى عليين) ولا وجود لهذين التعليلين في رواية أبي الليث وغيرهما من أصحابنا كما سبق، على أنه ليس فيهما إثبات مكان له تعالى وإنما فيهما إثبات استوائه تعالى على العرش استواء يليق بجلاله كما هو معتقد أهل الحق، وأنى ذلك من إثبات الاستقرار المكاني له تعالى على العرش؟! وذلك القائل جوّز إثبات المكان له تعالى فأخذ يتحرى مكانًا له في السماء والأرض. وهذا جهل بالله وكفر به عند أبي حنيفة» اهـ.

وأما المجسمة فقد قالوا في دسِّهم وتحريفهم وكذبهم على الإمام أبي حنيفة، ما ذكره حبيبهم المجسم علي بن أبي العز الدمشقي الحنفي (٧٩٢هـ) في كتابه «شرح العقيدة الطحاوية»[2] وعلى زعمهم بتحقيق عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط، بعد إيراده لقول الإمام أبي حنيفة، وما ذكره أيضًا شيخهم المجسم الألباني في كتابه «شرح العقيدة الطحاوية»[3]، حيث قالا: «وعرشه فوق سبع سماوات». ثم قالا: «لأنه أنكر أنه في السماء، فمن أنكر أنه في السماء، فقد كفر. وزاد غيره: لأن الله في أعلى عليين، وهو يُدعى من أعلى لا من أسفل. ولا يُلتفت إلى من أنكر ذلك ممن ينتسب إلى مذهب أبي حنيفة، فقد انتسب إليه طوائف من المعتزلة وغيرهم، مخالفون له في كثير من اعتقاداته» اهـ.

فانظر أخي المسلم، كيف أن المجسمة بقولهم «ولا يُلتفت إلى من أنكر ذلك ممن ينتسب إلى مذهب أبي حنيفة فقد انتسب إليه طوائف من المعتزلة»، كيف أنهم

---

(١) انظر الكتاب (ص/ ٦٠٨).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص/ ٢٧٩)، مؤسسة الرسالة ناشرون، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (ص/ ٢٦٢-٢٦٣)، دار الفكر العربي.

يُكفِّرون السمرقندي والعز ابن عبد السلام وملا علي القاري لمخالفتهم المجسمة ولقولهم بقول أهل الحق الذي هو تكفير من يثبت الجهة لله أو يصفه بالجسمية.

والله تعالى فضح المجسمة المشبهة وبيّن دسَّهم وتدليسَهم وكذبَهم على الإمام أبي حنيفة من كتبهم وبأيديهم، فقد طبعت الوهابية كتاب «وصية الإمام أبي حنيفة النعمان» دار ابن حزم، تحقيق وتعليق أبي معاذ محمد بن عبد الحي عوينة، فيه وضعوا نسخة من المخطوطة (أ) ص١٧ للإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، حيث يقول الحق: «ونقر بأن الله تعالى استوى على العرش من غير أن يكون له حاجة واستقرار عليه» اهـ. بينما في نفس الكتاب وبطباعتهم المنسوبة إلى المخطوطة، ص٣٩ يقولون: «واستقرَّ عليه»!!!

فيا لفضيحتهم، لاحظ تحريف المجسمة بأيديهم وبما طبعوه من كتبهم، لكلام الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه.

وقد نقل ملا علي القاري الحنفي في كتابه «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» الإجماع على تكفير من نسب لله المكان، بعد ذكر مذهب السلف والخلف، ما نصه[1]: «يعلم أن المذهبين متفقان على صرف تلك الظواهر كالمجيء والصورة والشخص والرجل والقدم واليد والوجه والغضب والرحمة والاستواء على العرش والكون في السماء وغير ذلك مما يُفهمه ظاهرها لما يلزم عليه من محالات قطعية البطلان تستلزم أشياء يُحكم بكفرها بالإجماع، فاضطر ذلك جميع الخلف والسلف إلى صرف اللفظ عن ظاهره». ثم قال[2]: «بل قال جمع معهم -أي مع السلف- ومن الخلف أن معتقد الجهة كافر كما صرح به العراقي وقال إنه قول لأبي حنيفة ومالك والشافعي والأشعري والباقلاني» اهـ.

فتبين مما تقدم أن عقيدة السلف والخلف من الصحابة ومن بعدهم كالأئمة الأربعة أن الله تعالى موجود بلا جهة ولا مكان ليس جسما ولا يتصف بصفات

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢/ ١٣٦)، طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت.
(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (ص/ ١٣٧).

الجسم وأن من خالف في ذلك فهو كافر بالإجماع كما نقله ملا علي القاري وقد مرَّ أنفًا.

ويتبين أيضًا أنّ ما عليه الفقيه الشافعي العز بن عبد السلام من تكفير من يثبت الجهة والمكان لله كما مرَّ في كتابه «حلِّ الرموز» فيما نقله عن أبي حنيفة وأكّده هو بقوله: «لأن من توهم أن للحق مكانًا فهو مشبه وهو موافق لقول أبي حنيفة إنه كافر ولقول السمرقندي أنه مشرك.

فلاحظ أيها المنصف اتفاق أقوالهم جميعًا في تسمية من ينسب لله المكان بالكافر والمشرك والمشبه.

وهذا يؤكد أن العز بن عبد السلام على ما نقله هو عن أبي حنيفة من تكفير مثبت الجهة لله تعالى ولا يجزم بها في بعض كتبه من عدم تكفير مثبت الجهة والجسمية لله فإنه مخالف لنصوص أئمة الاجتهاد الأربعة والإجماع الذي مرَّ نقله ونحن نبرئه من ذلك ونقول لعله دسّ عليه في كتبه كما دسَّ على الشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتبه وعلى الشيخ محي الدين بن عربي قبلهم.

## إجماع علماء السلف والخلف على المنع من الصلاة خلف المبتدع الكافر ببدعته كالمجسم

نقل الحافظ اللغوي الفقيه الحنفي محمَّد مرتضى الزبيدي في «شرح إحياء علوم الدين»[1] عن سفيان الثوري (١٦١هـ) أن الصلاة تصح خلف المبتدع وقال المرادُ البِدعةُ التي لا نكفّر صاحبَها وإلا لم تَصِح إمامته. قال ما نصه: «القدوة بأهل الأهواء صحيحة إلا الجهمية والقدرية والروافض الغالية والخطابية ومن يقول بخلق القرءان والمشبهة ونحوهم ممن تكفّره بدعته» انتهى كلامه. ويعني بقوله ونحوهم المرجئة فإنهم كفار وهم الذين يقولون لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

وقال الحافظ المجتهد ابن المنذر في «الأوسط»: «قيل للثوريّ: رجل يكذب بالقدر أصلي وراءه؟ قال: لا تقدموه» اهـ.

وقال النوويُّ في المجموع، باب صفة الأئمة، فصل إمامة الكافر في الصلاة: «ولا تصح الصلاة خلف أحد من الكفار على اختلاف أنواعهم، وكذا المبتدع الذي يكفر ببدعته».

وقال في باب صفة الأئمة، فصل الصلاة خلف الفاسق: «قال ابن المنذر: إن كفر ببدعة لم تجز الصلاة وراءه، وإلا فتجوز وغيره أولى» اهـ.

وقال الإمام الحافظ الكبير أبو منصور البغدادي في كتابه «الفرق بين الفرق» ما نصه[2]: «وأما أهل الأهواء من الجارودية والهشامية والنجارية والجهمية والإمامية الذين أكفروا خيار الصحابة والقدرية المعتزلة عن الحق والبكرية المنسوبة إلى بكر ابن أخت عبد الواحد والضرارية والمشبهة كلها والخوارج، فإنا نكفرهم كما يكفرون أهل السنة ولا تجوز الصلاة عليهم عندنا ولا الصلاة خلفهم» اهـ.

---

(١) إتحاف السادة المتّقين (٣/ ١٧٩).

(٢) الفرق بين الفرق (ص/ ٣٥٧).

وقال الشيخ الفقيه الحنفي عبد الغني بن اسماعيل النابلسي (١١٤٣هـ) في كتابه «صدح الحمامة في شروط الإمامة» ما نصه[1]: «والجهمي والقدري والمشبه وحاصله ويدخل في المشبهة من يعتقد بأن الله في السماء (أي حقيقة أو بذاته) أو في جهة من الجهات كالجهلة بالعقائد الصحيحة في زماننا، فلا تصح إمامتهم كما كشفت عن أحوالهم في كتابي «الرد المتين» اهـ.

وقال الفقيه الحنفي كمال الدين محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام الحنفي (٦٨١هـ) في كتابه شرح فتح القدير الجزء الأول طبعة دار الكتب العلمية ص ٣٦٠ ما نصه: «يريد بالمبتدع من لم يكفر ولا بأس بتفصيله الاقتداء بأهل الأهواء جائز إلا الجهمية والقدرية والروافض الغالية والقائل بخلق القرءان والخطابية والمشبهة» اهـ.

ثم قال: «ويكفر بمجرد إطلاق لفظ الجسم على الله وهو حسن بل هو أولى بالتكفير» اهـ.

وقال الفقيه الشافعي نجم الدين أحمد بن محمد بن الرفعة (٧١٠هـ) في كتابه «كفاية النبيه شرح التنبيه في فقه الإمام الشافعي» ما نصه[2]: «ولا تجوز الصلاة خلف كافر لأنه لا صلاة له فكيف يقتدى به وهذا ينتظم من كفره مجمع عليه ومن كفرناه من أهل القبلة كالقائلين بخلق القرءان وبأنه لا يعلم المعدومات قبل وجودها ومن لا يؤمن بالقدر وكذا من يعتقد أن الله جالس على العرش كما حكاه القاضي الحسين هنا عن نص الشافعي» اهـ.

أما المرجئة والقدرية فقد ورد فيهما حديث صريح يحكم بكفرهم وذلك قوله ﷺ «**صنفان من أمتي ليس لهما نصيب في الإسلام: المرجئة والقدرية**». أخرجه الحافظ المجتهد محمد بن جرير الطبري في كتابه «تهذيب الآثار» وصححه[3].

---

(١) صدح الحمامة في شروط الإمامة (ص/ ٥٤-٥٥)، طبعة الدار المسمى البشائر الإسلامية.
(٢) كفاية النبيه شرح التنبيه في فقه الإمام الشافعي (٤/ ٢٤)، دار الكتب العلمية.
(٣) تهذيب الآثار (٢/ ١٧٨).

والمرجئة هم الذين يقولون بالإرجاء أي أنه لا يضر مع الإيمان معصية كما أنّه لا يَنفَع مع الكفر طاعة.

قال أبو حامد أحد كبار أصحاب المذهب الشافعي: المعتزلة كفار، وقال: إن الإمام الشافعي كفَّر القدرية، كما حكاه صاحب البيان العمراني اليمني.

وأما المجسمة فهم الذين يعتقدون أن الله جسم وهم في هذا العصر الوهابية. وقد قال الإمام أبو الحسن الأشعري في كتابه «النوادر»: «المجسم جاهل بربه فهو كافر به» اهـ.

والمجسمة نوعان مجسمة يعتقدون أن الله جسم كثيف ومجسّمة تعتقد أن الله جسم لطيف فقد كان فيما مضى مجسّمة تعتقد أن الله نورٌ يتلألأ.

ولا بد من ذكر أنه لا يُعتَمد ما في كتاب قواعد عز الدين بن عبد السلام من القول بترك تكفير الجِهَويّ الَّذي يعتقد أن الله مستقر في جهةٍ فوق، لأن هذا تجسيم والشافعي كفّر المجسم فلا معنى لقول بعض من ينتسب للمذهب الشافعي فيما يخالف قول إمامه أي يخالف كلامَ الشافعي في هذه المسئلة.

وقال النسفيُّ[1] (٧١٠هـ) في تفسيره المشهور عند تفسير ءاية: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ «ومن الإلحاد تسمية الله بالجسم والجوهر والعقل والعلة» اهـ.

وفي كتاب «نجم المهتدي» عن الإمام علي بن أبي طالب أن رسول الله ﷺ قال[2]: «**سيرجع قوم من هذه الأمة عند اقتراب الساعة كفارًا**، قال رجل: يا أمير المؤمنين كفرهم بماذا أبالإحداث أم بالإنكار، فقال: **بل بالإنكار ينكرون خالقهم فيصفونه بالجسم والأعضاء**» اهـ.

قال الشيخ المتكلم ابن المعلم القرشي في كتابه «نجم المهتدي» ما نصه[3]: «نقلًا عن الشيخ الإمام أقضى القضاة نجم الدين في كتابه «كفاية النبيه في شرح

---

(١) تفسير النسفي (٢/ ٨٧).

(٢) نجم المهتدي (ص/ ٥٨٨)، لابن المعلم القرشي.

(٣) نجم المهتدي (ص/ ٥٥١).

التنبيه» في قول الشيخ أبي إسحاق رضي الله عنه في باب صفة الأئمة: «ولا تجوز الصلاة خلف كافر لأنه لا صلاة له فكيف يُقتدى به» قال: «وهذا ينتظم من كفره مجمع عليه ومن كفرناه من أهل القبلة كالقائلين بخلق القرءان وبأنه لا يعلم المعدومات قبل وجودها ومن لم يؤمن بالقدر وكذا من يعتقد أن الله جالس على العرش كما حكاه القاضي حسين هنا عن نص الشافعي رضي الله عنه» اهـ.

وقال الكمال ابن الهمام الحنفي في «فتح القدير»[1]: «من قال الله جسمٌ لا كالأجسام كفر» اهـ.

وقال الشيخ تقي الدين الحصنيُّ في كفاية الأخيار في باب الردّة ما نصه: «إلا أن النووي جزم في صفة الصلاة في شرح المهذب بتكفير المجسمة، قلت: وهو الصواب الذي لا محيد عنه» اهـ.

وقال الشيخ عبد الغني النابلسي (١١٤٣هـ) في كتابه «الفتح الرباني والفيض الرحماني» ما نصه[2]: «وأما أقسام الكفر فهي بحسب الشرع ثلاثة أقسام ترجع جميع أنواع الكفر إليها وهي التشبيه والتعطيل والتكذيب وهي أصول ثلاثة من أصول الكفر، لا يدخل الإنسان في مرتبة عوام المسلمين إلا بعد تبرئته منها ظاهرًا وباطنًا ومتى وجدَ عنده شيء منها فليعلم أنه كافر وليس بمؤمن ولا يغره بالله الغرور.

التشبيه: هو الاعتقاد بأن الله تعالى يشبه شيئًا من خلقه كالذين يعتقدون أن الله تعالى جسم فوق العرش أو في جهة من الجهات الست أو أنه في مكان من الأماكن أو في جميع الأماكن، وجميع ذلك كفرٌ صريح والعياذ بالله تعالى، وسببه الجهل بمعرفة الأمر على ما هو عليه» اهـ.

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه: «المجسم كافر» ذكره السيوطي في «الأشباه والنظائر»[3].

---

(١) فتح القدير (١/ ٤٠٣).

(٢) الفتح الرباني والفيض الرحماني (ص/ ١٩٠-١٩١).

(٣) الأشباه والنظائر (ص/ ٤٨٨).

وقال ابن حجر الهيتمي (٩٧٣هـ) في كتابه «المنهاج القويم شرح المقدمة الحضرمية»[١]: «واعلم أن القرافي وغيره حكوا عن الشافعي ومالك وأحمد وأبي حنيفة رضي الله عنهم القول بكفر القائلين بالجهة والتجسيم وهم حقيقون بذلك» اهـ.

وقال الإمام أحمد رضي الله عنه[٢]: «من قال الله جسم لا كالأجسام كفر» ذكره صاحب الخصال من الحنابلة، وكذلك الإمام مالك كفَّر المجسم وكذلك الإمام أبو حنيفة.

وقال محمد بن بدر الدين بن بلبان الدمشقي الحنبلي من أهل القرن الحادي عشر في «مختصر الإفادات»[٣]: «ويجب الجزم بأنه سبحانه وتعالى ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض لا تحله الحوادث ولا يحل في حادث ولا ينحصر فيه فمن اعتقد أو قال إن الله بذاته في كل مكان أو في مكان فكافر».

ثم قال[٤]: «ولا يشبه شيئًا ولا يشبهه شيء فمن شبهه بشيء من خلقه فقد كفر كمن اعتقده جسمًا أو قال إنه جسم لا كالأجسام» اهـ.

ونقل الحافظ العراقي[٥] شيخ الحفاظ عن الشافعي ومالك وأبي حنيفة والأشعري والباقلاني تكفير من نسب إلى الله الجهة، وقال المحدث محمد زاهد الكوثري في مقالاته[٦]: «إن القول بإثبات الجهة له تعالى كفرٌ عند الأئمة الأربعة هداة الأمة كما نقل عنهم العراقي على ما في شرح المشكاة لعلي القاري» اهـ.

وأما ما رواه الربيع من أنَّ الشافعيَّ روى عن فلان وهو قدري فهو محمول على أنه لم يكن من القدرية الذين يعتقدون كفرياتهم لأن بعض القدرية لا يعتقد مقالاتهم الكفرية إنما يوافقهم في بعض الأمور فتحمل رواية الشافعي عن هذا

---

(١) المنهاج القويم شرح المقدمة الحضرمية (ص/ ٢٢٤).
(٢) انظر تشنيف المسامع (٤/ ٦٤٨)، للزركشي.
(٣) مختصر الإفادات (ص/ ٤٨٩).
(٤) المصدر نفسه (ص/ ٤٩٠).
(٥) انظر شرح المشكاة (٣/ ٣٠٠)، لملا علي القاري.
(٦) مقالات الكوثري (ص/ ٣٢١).

الرجل على هذا الباب لأنه ثبت عن الربيع أنّ الشافعي كفر القدري فيحمل تكفيره على من يقول بمقالاتهم الكفرية، وروايته عن هذا الراوي الَّذي ذكره الربيع على أنه من الصنف الآخر أي من الذين لا يعلم فيهم الشافعي تلك المقالات الكفرية، وبهذا يتفق كلام الشافعي في التكفير وروايته عن بعضهم لأنه من المعروف بين أهل الأهواء أن بعضهم لا يعتقد جميع مقالات طائفته إنما يعتقد بعضها وينتسب إليهم. وقد ذكر أبو حامد الشافعيّ كفر القدرية كما حكاه صاحب البيان العمراني اليمني.

# خاتمة: الحق أحق أن يُتبع

قال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾، وقال: ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾، وقال سبحانه: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾.

ويقول أيضًا: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾.

ويقول: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

الله أكد على أن إنكار المنكر من أهم مهمات أمور الدين، وذم بني إسرائيل الذين كانوا بعد داود وعيسى ابن مريم لأنهم ما كانوا يتناهون عن المنكر أي يسكت بعضهم لبعض على فعل المحرمات.

والقاعدة الشرعية أن الشخص إذا رأى المنكر وجب عليه أن ينكره إن كان من الكبائر أو من الصغائر. الرسول ﷺ قال لعبد الله بن عمرو بن العاص: «**إذا رأيت أمتي تهاب الظالم أن تقول له يا ظالم فقد تُوُدِّعَ منهم**»[1]، معنى الحديث أن هذه الأمة إذا صاروا إلى حد أنهم لا يقولون للظالم يا ظالم فقد تُوُدِّعَ منهم، معناه رفع الخير أي البركة عنهم، فالذي يجب علينا أن ننكر المنكر بقدر وسعنا، ولا نكون كهؤلاء الذين يسكتون لمن يحيد عن الحق لمجرد كونه معظمًا في الصدور.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن الناس إذا رأوا المنكر ولم يأخذوا على يدي من يفعله أوشك الله أن يعمهم بعقاب منه**»[2]، فلذلك كان الأمر بالمعروف

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٤/ ١٠٨)، كتاب الأحكام، والبيهقي في سننه الكبرى (٦/ ٩٥)، باب نصر المظلوم والأخذ على يد الظالم عند الإمكان.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١/ ٥٤٠)، باب الصدق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، =

والنهي عن المنكر بابًا عظيمًا من أبواب التراحم.

وقد قال شيخ الطريقة القادرية الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ونفعنا الله به: «إياكم أن تحبوا أحدًا أو تكرهوه إلا بعد عرض أفعاله على الكتاب والسنة، كيلا تحبوه بالهوى، وتبغضوه بالهوى، واعلموا أنه لا يجوز لكم هجر أحد على الظن والتهمة» اهـ.

وقال الشيخ محي الدين بن عربي في الفتوحات المكية: «من أراد أن لا يضل فلا يرم ميزان الشريعة من يده طرفة عين بل يستصحبها ليلًا نهارًا عند كل قول وفعل واعتقاد» اهـ.

فالقول الأول: وهو قول الشيخ عبد القادر الجيلاني يوقعنا على معنى عظيم وهو ألا نقع في فخ إتباع الهوى، وأن يكون ميزاننا الحب في الله والبغض في الله، وهو ما يترتب عليه تقديم ما يحبه الله على هوى النفس، وبغض ما يبغضه الله، وذلك ما لا يعرف إلا بالعلم، كما قال ابن رسلان في الزبد:

وزن بحكم الشرع كل خاطر ... فإن يكن مأموره فبادر

ولذلك قال الشيخ عبد القادر نفعنا الله به ما نصه: «إذا لم تتبع الكتاب والسنة ولا الشيوخ العارفين بهما فما تفلح أبدًا، ما سمعت من استغنى برأيه ضل، هذّب نفسك بصحبة من هو أعلم منك» اهـ.

وقال سيدنا الحبيب الشيخ أحمد الرفاعي رضي الله عنه: «والرجل من جمع الناس على الله لا على نفسه وجذبهم لله لا إلى نفسه وبقي بمعزل عنهم وهو ذلك الفارس البطل» اهـ وهذا ما تراه واضحًا في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث كان شديدًا في أمر الله إنكارًا على من تبع هواه حتى قال يومًا «ما ترك الحق صاحبًا لعمر».

---

= ذكر البيان بأن المتأول للآي قد يخطىء في تأويله لها وإن كان من أهل الفضل والعلم، وأحمد ابن حنبل في مسنده (١/ ٩)، مسند أبي بكر الصديق.

وهو ما تجده أيضًا في سيرة التابعي الجليل أويس القرني رضي الله عنه وهو القائل: «إن قيام المؤمن بما الله لم يترك له صديقًا والله إنا لنأمرهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر فيسبون ويشتمون أعراضنا».

وقال العز بن عبد السلام في رده على الملك الأشرف كما في «طبقات الشافعية» ما نصه[1]: «وليس رد البدع وإبطالها من باب إثارة الفتن فإن الله سبحانه أمر العلماء بذلك وأمرهم ببيان ما عَلِموه، ومن امتثل أمر الله ونصر دين الله لا يجوز أن يلعنه رسول الله ﷺ» اهـ وذلك في رده على ما أورده الملك الأشرف في رسالته للعز بن عبد السلام وهو قوله: «ورد في الحديث: «**الفتنة نائمة لعن الله مُثيرها**» اهـ ثم قال العز في تتمة رسالته: «وبعد ذلك فإنا نزعم أنا من جملة حزب الله وأنصار دينه وجنده، وكل جندي لا يخاطر بنفسه فليس بجندي» اهـ.

وقال الشيخ محمد زاهد الكوثري في هامش «السيف الصقيل» ما نصه[2]: «وأما اليوم فقلما تجد بين العلماء من يسهر على السنة النقية البيضاء والدين الحنيف فاتسع المجال لتمويه الضلال. وأدعو الله سبحانه أن يوقظ أهل الشأن من سباتهم العميق ويرشدهم إلى حراسة الشرع من اعتداء المعتدين» اهـ.

تلك هي شيمة العالم الرباني الذي يطلب رضا مولاه كما قال الله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ وقال: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾، وهو معنى حديث رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**».

وإليك نموذجًا من أولئك العلماء الذين ما زلت تسمع بهم قال الشيخ عبد الحميد طهماز في سيرة العلامة المجاهد محمد الحامد رحمه الله ما نصه[3]: «وقد ظهر ورع سيدي غريبًا عن طبيعة هذا العصر المدنسة بالمحارم والملطخة بالمآثم،

---

(١) طبقات الشافعية (٨/ ٢٣٣)، لتاج الدين السبكي.

(٢) السيف الصقيل (ص/ ٢٤).

(٣) انظر الكتاب (ص/ ٢١٦-٢١٧).

حتى إن كثيرًا من الناس ظنوا لجهلهم ورع سيدي -رحمه الله- تزمتًا وتشددًا، وما عرفوا أن ورعه في هذه الحياة كالواحة الخضراء في الصحراء، وأنه حزمة من النور سرت في دياجير حياة القرن الرابع عشر الهجري المظلمة. جعله الله سبحانه وتعالى مثالًا حيًا للسلف الصالح، ولقد أكرمه الله تعالى بصفاء الباطن ونقاء الظاهر، وحرصًا منه على صفاء الباطن، كان -رحمه الله- يحرص أشد الحرص على سلامة العقيدة وصفائها، حتى لا تشوبها شائبة ولا تخالطها بدعة، ولهذا كان - رحمه الله تعالى - يتحرى الدقة العلمية في عرض حقائقها، ويختار لها الألفاظ المناسبة لمعانيها، ويحتاط بشأنها، فيأمر الناس بتفقد قلوبهم، وتفتيش دخائلهم، وتجديد إيمانهم، خاصة إذا سمع منهم لفظًا مكفِّرًا من قريب أو بعيد، وكم كان -رحمه الله تعالى- يحمّل نفسه من عناء ومشقة هذا السبيل. إذا سمع من إنسان لفظة قد تحتمل معنىً مكفّرًا استفسر منه عن مراده ومقصده، ودقق في سؤاله، وألح في استفساره، وقد يزوره في بيته من أجل أن يتأكد من سلامة إيمانه، وصحة اعتقاده، فيظن الجاهل أن هذا من الشيخ تشدد وتزمت، وهو لا يدري أنه من صفاء القلب، ونقاء النفس، وسلامة العقيدة» اهـ.

وأما القول الثاني: وهو قول الحبيب قدوة المحققين الشيخ الجليل محي الدين ابن العربي رضي الله عنه ففيه تأكيد أن الحق لا يعرف بالرجال وإنما الرجال يعرفون بالحق فليست الحجة بالأشخاص وإنما الحجة بالشرع الذي هو الحق الذي أنزله الله لـيُرجع إليه وليعرف به الحق من الباطل قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾، ولا تخفى فائدة كلامه رضي الله عنه في ضبط اللسان عن الكلام في الذات والصفات كما قال أبو الهدى الصيادي الرفاعي في كتابه مراحل السالكين، وقد عدَّه رحمه الله من أشرف مراتب الصبر.

قال الشيخ الجليل السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه في «البرهان» ما نصه: «إياكم والكذب على الله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾، ينقلون عن الحلاج

أنه قال: أنا الحق! أخطأ بوهمه، لو كان على الحق ما قال أنا الحق يذكرون له شعرًا يوهم الوحدة وكل ذلك ومثله باطل ما أراه رجلًا واصلًا أبدًا ما أراه شرب ما أراه حضر ما أراه سمع إلا رنة أو طنينًا فأخذه الوهم من حال إلى حال» اهـ

ثم قال رضي الله عنه: «إياكم والقول بهذه الأقاويل إن هي إلا أباطيل درج السلف على الحدود بلا تجاوز! هل يتجاوز إلا جاهل؟ هل يدوس عنوة في الجب إلا الأعمى؟ ما هذا التطاول؟» اهـ

وقال رضي الله عنه: «إذا رأيتم واعظًا أو قاصًا أو مدرّسًا فخذوا منه كلام الله تعالى وكلام رسول الله ﷺ وكلام أئمة الدين الذين يحكمون عدلًا ويقولون حقًا واطرحوا ما زاد، وإن أتى بها لم يأت به رسول الله ﷺ فاضربوا به وجهه. الحذر الحذر من مخالفة أمر النبي العظيم صلوات الله وسلامه عليه قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾» اهـ، رحم الله أولئك الرجال.

وقال رضي الله عنه: «الله الله بالوقوف عند الحدود عضوا على سنة السيد العظيم ﷺ بالنواجذ.

مالي وألفاظ زيد ووهم عمرو وبكر
وجه الشريعة أهدى من سر ذاك وسري» اهـ

وقد قيل ليحيى بن سعيد: أما تخشى أن يكون هؤلاء خصماءك عند الله فقال يحيى: «لأن يكونوا خصمائي أحب إلي من أن يكون خصمي رسول الله ﷺ يقول لِمَ لم تذُبَّ الكذب عن حديثي» اهـ فكيف إن كان في الأمر تحريف لدين الله وقد سمعت قول الله: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾، أم هل نكون كمن يقطع يد الفقير إن سرق ويترك يد الغني، ما لكم كيف تحكمون وإنما هي مدة الحياة الدنيا فإذا انقضت فلا مفر ولا مهرب: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾، في يوم

ينصب فيه الميزان فتكثر الفضائح وتنشر الكتب وتسيل المدامع وتظهر القبائح بين تلك المجامع، يا له من يوم تصعد فيه القلوب إلى الغلاصم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾، وفي مقابل هذا نجد الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه يقول وهو تحت السياط واللحم يتناثر عنه: «كيف أقول ما لم يقل»، ولذلك جاء عن السيد الجليل أحمد الرفاعي رضي الله عنه قوله: «والعالم العارف عظيم السياسة لنفسه بالمخافة من الله والمراقبة له، وإذا أراد أن يتكلم بكلام اعتبره قبل أن يخرجه من فيه فإن رأى فيه صلاحًا أخرجه وإلا ضم فمه عليه» اهـ.

وعليه فما هو الطريق الموصل لمرضاة الله؟ اسمع معي الإمام الجليل السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه وهو يقول: «العلم لا يكتم والحق يقال والشارع روحي الفداء لقبره المبارك أوضح لنا ما لنا وما علينا تمامًا فالناجي من آمن به واتبع أمره والحذر والهلاك ممن خالفه بلَّغَ كما أُمِرَ وما بقي لنا حجة»، وقال: اجعلوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دينكم» اهـ، وقال: «أجل ومن شاهد منكرًا ولم ينكره وسكت عنه فهو شريك فيه» اهـ.

وها هو الشيخ محمد الحامد يقتدي بأعلام الأمة فيرد على أباطيل كانت تنشر أو تقال، فما ردعه أن يقال: «نريد وحدة الأمة» فإن وحدة الأمة في حفظها نهج نبيها المصطفى ﷺ، وقد ردّ على مقالة نشرتها مجلة الأزهر فيها مخالفة للدين ولم يبال بأن من نشره مشيخة الأزهر، بل تصدى للباطل ولم يبال بصفة الناشر، وكان الأولى بالناشر أن ينقح ما يراد نشره قبل نشره.

وقد قال ابن أخ الشيخ تقي الدين الحصني يومًا للشيخ الحصني: «لو تكلمت في ذلك -أي في الرد على مفاسد المشبهة أتباع ابن تيمية والكرامية فقال: أنا مشغول بنفسي فقال له: ما يخلصك هذا عند الله عز وجل كيف يتعرض هذا الجاهل للرسول ﷺ وحط مرتبته ومرتبة النبيين ويتكلم في الله بما لا يليق بجلاله وغير ذلك مما فيه زندقة لا يخلصك هذا عند الله مع تمكنك من ردع هذا الزائغ عن تنـزيه الله»، فألف كتابه: «دفع شبه من شبّه وتمرد».

وهكذا جرت عادة العلماء فيما سبق، ولذلكم قال السيد الجليل أحمد

الرفاعي رضي الله عنه في البرهان: «أي سادة الطريق إلى الله كطريق الرجل إلى البلدة الأخرى فيه الصعود والهبوط والاعتدال والاعوجاج والسهل والجبل، الأرض القفراء التي خلت من الماء والسكان، والأرض النضرة الخضرة الكثيرة المياه والأشجار والسكان، والبلدة المقصودة وراء ذلك كله. فمن انقطع بلذة الصعود أو بذلة الهبوط أو براحة الاعتدال أو بتعب الاعوجاج أو بيسير السهل أو بعسير الجبل أو بغصة القفر ولوعة العطش أو بحلاوة النضارة والخضرة والمياه والأشجار والأنس بالسكان بقي دون المقصود ومن لم يشتغل بكل ذلك حاملًا شدة الطريق معرضًا عن لذائذه وصل إلى المقصود.

وكذلك سالك الطريق إلى الله إن صرفته صعوبة الأحوال عن مُحوّل الأحوال وقلّبته سكرة إقبال الخلق عن مقلّب القلوب ! فقد فاته الغرض وبقي دون مقصوده، وانقطع بلا ريب.

وإن ترك عقبات الطريق حلوها ومرها وراء ظهره، فقد فاز فوزًا عظيمًا.

أي سادة أنا بايعت الله على عرفات على ترك الغرض والنفس والمال. ناجى بعض الرجال ربه في المنام فقال: يا رب دلني كيف أصل إليك؟ فجاءه الجواب: اخلع نفسك وتعال» اهـ.

وقال رضي الله عنه: «يا ولدي نجاة العالم عمله بعلمه وهلاكه ترك العمل» اهـ.

وقال رضي الله عنه: «فإذا كنت من أرباب البصائر ففي متفرق كلامنا ما يدلك على معانيه، فإن الكلام لم يخل من إشارة إليه وتنبيه عليه» اهـ.

وقال رضي الله عنه: «وما أخوفني عليك أن تكون ممن خسر نفسه، وإنما يتبين لك الخسارة عند الانتباه من نومك فإن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا وعند الانتباه يظهر تأويل الرؤيا فيؤول لك ما لزمت ظاهره في عقدك (اعتقادك) بأحسن تأويل ويبدو لك ضد ما احتسبت ويضل عنك ما إليه ذهبت: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴾.

ستبدي لك الأيام ماكنت جاهلًا ... ويأتيك بالأخبار من لم تُزَوّد

ويتلو عليك ملك الموت: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾، وذلك حين تأتي سكرة الموت بالحق الذي كنت منه تحيد وتميل عنه إلى التقليد» اهـ.

قال العز بن عبد السلام رضي الله عنه: «وعلى الجملة فمن آثر الله على نفسه آثره الله، ومن طلب رضا الله بما يسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن طلب رضا الناس بما يسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس وفي رضا الله كفاية عن رضا كل أحد:

في كل شيء إذا ضيّعتهُ عِوَضٌ ... وليس في الله إن ضيّعتهُ عِوَضُ» اهـ

وهذا الشيخ محمد الحامد يقول في إحدى خطبه: «كن أيها المؤمن حرًا غير مستعبد لأهواء الخلق ونزعاتهم، إذا رأيت ما لا يتفق وتعاليم الشريعة الإسلامية، فلا تكن ممالئًا على الباطل، ولا تكتم الحق وأنت تعلم، فتكون شيطانًا أخرس، تلجم بلجام من نار يوم القيامة. وليكن خوف الله تعالى أخوف الأشياء عندك، ولتكن خشيته مالئة قلبك وفائضة على جوارحك، اصدع بالحق واجهر به، ولا عليك إن رضي فلان أو سخط فلان، فإن الله أجل وأعظم من الجميع. والله ما أفشى المنكرات وعمّمها، وجعلها ظاهرة لا يبالى بها، إلا إغضاؤنا على القذى، وسكوتنا على الباطل، وممالأتنا لأصحابه. ما ضر الجماهير شيء كسكوت الواعظين، حين يرون المخالفات العلنية، فلا يزجرون عنها، وما كثّر عدد المبطلين إلا عدم تقريعنا أدنياء الهمم وصغار النفوس، الذين يطلبون رضاء الناس بسخط الله عز وجل. هذا الذي زعزع كثيرًا من الناس عن مبادئ الشريعة، وجعلهم يسعون وراء أبناء الدنيا، لينالوا من حطامها وأوساخها التي يرمي إليهم المترفون. ألا إن من كان مع الله كان الله معه، وإن العاقبة للمتقين، أتقياء القلوب، ذوو الضمائر النقية، لهم العز والشرف في الآخرة والأولى، يعرف لهم أعداؤهم مكانتهم وقدرهم» اهـ.

وقد قيل: «زلة العالِم زلةُ العالَم»، وما ذلك إلا لقوة وقع كلامه في النفوس، ولكن بعض الناس يوردون القسم الأول منها «زلة العالِم» ولو أكمل العبارة لأدركوا خطورة السكوت على كلام من شهر بالعلم وعظمته الصدور عند انزلاقه إلى ما يعارض الدين، ونسوا أن المعصوم هو النبي ﷺ، وقد روى الطبراني في «المعجم الأوسط» أن رسول الله ﷺ قال: «**كل منكم يؤخذ من قوله ويترك غير رسول الله**»، وفي رواية: «**غير النبي**»، وحقيقة هذا الكلام معلومة لكن تعظيم الرجال في النفوس غلب على تعظيم الشريعة فلا حول ولا قوة إلا بالله.

فإذا أدركت معنى ما تقدم من الكلام علمت علم اليقين أن الصدمة الحقيقية هي في عدم تراجع الواقع في الفساد عن فساده ليتدارك نفسه.

واليوم اضطرب ميزان كثيرين من حاملي لواء العلم حتى صار ميزان بعضهم رضا الجماهير وتصفيقهم وإعجابهم أو أن لا يسخط عليه شيخ أو دكتور أو أن ينالوا الإعجاب، بل تجد بعضهم يمشي في ركاب فلان من الناس ينقاد له تاركين ميزان الشريعة الذي هو دليل الصادقين.

أين تلك النفوس الأبية القوية التي تحمل الحق والإنصاف ولا تبالي بمدح الناس أو ذمهم، لا يعذر عند الله من سكت وهو قادر على النصيحة، وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لذلك القاضي الذي أخبره أنه رأى في المنام اقتتال الشمس والقمر وأنه كان مع القمر، قال له عمر: «لا تل لي عملًا» ثم عزله عن القضاء، ذلك أنه كان مع الآية الممحوة، أعاذنا الله من اتباع الهوى وعصمنا بفضله من الضلال والفتن.

ويناسب في هذا السياق أن أنقل لطلاب العلم -من كانوا وحيثما كانوا- مثالًا عن حالهم اليوم مع بعض المنتسبين للعلم وأهله، فحال بعضهم كما قال تاج الدين السبكي (ت ٧٧١هـ) في «طبقات الشافعية الكبرى» ما نصه[1]: «واعلم أن هذه الرفقة أعني المزي والذهبي والبرزالي وكثيرًا من أتباعهم أضرَّ بهم أبو

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى (١٠/ ٤٠٠).

العباس ابن تيمية إضرارًا بيّنًا وحمّلهم من عظائم الأمور أمرًا ليس هينًا وجرّهم إلى ما كان التباعد عنه أولى بهم وأوقفهم في دكادك من نار» اهـ.

فالله الله في أنفسكم، فإن الأمر جِدٌّ فلا تكن أسير التقليد في غير معنى، أو أن تكون ممن يبيع دينه بدنيا غيره، وفي الحديث: «**الناس غاديان فغاد في فكاك نفسه فمعتقها وغاد فموبقها**»، صدق رسول الله ﷺ.

اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وممن يقف مع الحق لا يبالي بالرجال المعظمين في الصدور عند شذوذهم عن الحق، واجعلنا يا رب متأدبين بهدي نبيك ﷺ وجنبنا طريق الردى يا أرحم الراحمين.

وفي الختام أقول إياك -أيها القارىء- أن تنسى أن الأدب مع الشرع هو المقدّم وهو الأولى، ووالله ما هي إلا النصيحة، فكن أيها القارئ منصفًا لا جامدًا.

# الفهرس العام